صفحات من تاريخ مصر (٣١)

خانقاوات الصوفية في مصر

في العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧م)

الجزء الأول

تأليف: الدكتور عاصم محمد رزق

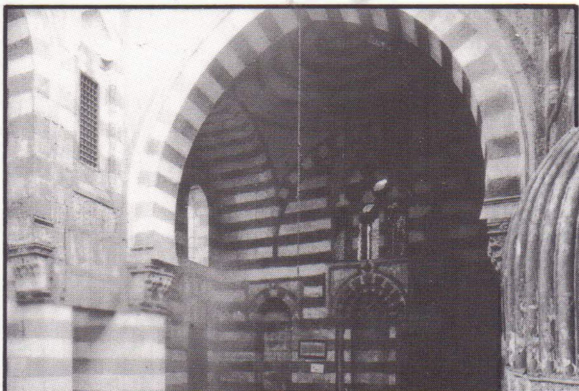

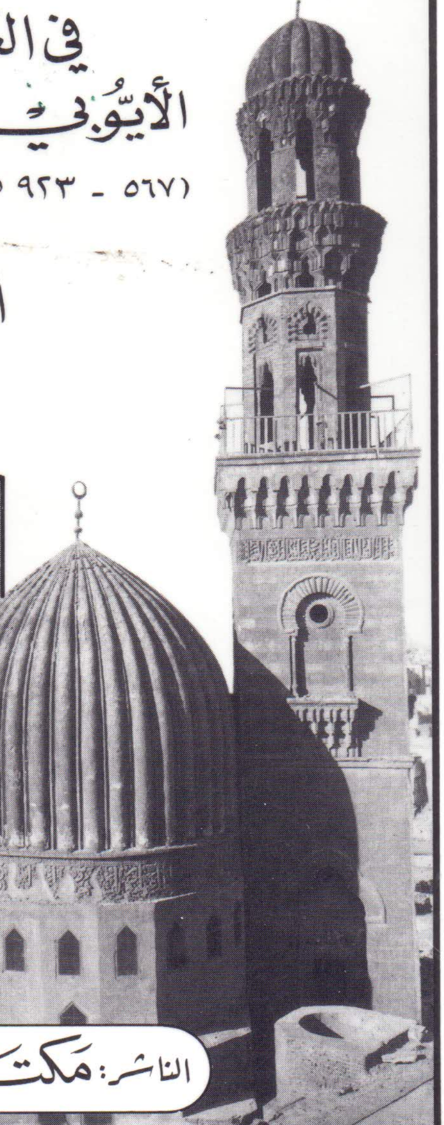

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

هذه السلسلة تضم:

١ ـ فتح العرب لمصر
٢ ـ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
٣ ـ الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
٤ ـ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
٥ ـ تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
٦ ـ تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
٧ ـ ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
٨ ـ تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد أول)
٩ ـ تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد ثاني)
١٠ ـ فتوح مصر وأخبارها
١١ ـ تاريخ مصر الحديث مع فزلكة في تاريخ مصر القديم
١٢ ـ قوانين الدواوين
١٣ ـ تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث
١٤ ـ الحكم المصري في الشام
١٥ ـ تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق
١٦ ـ آثار الزعيم سعد زغلول
١٧ ـ مذكراتي
١٨ ـ الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم
١٩ ـ وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر البطاركة
٢٠ ـ الجمعية الأثرية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية
٢١ ـ الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع الب
الأبيض (النيل الأبيض)
٢٢ ـ السلطان قلاوون (تاريخه ـ أحوال م
في عهده ـ منشآته المعمارية
٢٣ ـ صفوة العصر
٢٤ ـ المماليك في مصر
٢٥ ـ تاريخ دولة المماليك في مصر
٢٦ ـ سلاطين بني عثمان
٢٧ ـ محمود فهمي النقراشي
٢٨ ـ دور القصر في الحياة السياسية في مصر
٢٩ ـ مذكرات اللورد كيللرن
٣٠ ـ عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم
٣١ ـ خانقاوات الصوفية في مصر
٣٢ ـ فاروق وسقوط الملكية في مصر
٣٣ ـ تحفة الناظرين

مكتبة مدبولي
MADBOULI BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت: ٥٧٥٦٤٢١
6 Talat Harb SQ. Tel.: 5756421

خانقاوات الصوفية في مصر

في العصرين
الأيوبي والمملوكي

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مدبولي

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الناشـــر
مكتبة مدبولى
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٥٧٥٦٤٢١

صفحات من تاريخ مصر

(٣١)

خانقاوات الصوفية في مصر

في العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧م)

تأليف

الدكتور عاصم محمد رزق

الجزء الأول

مكتبة مدبولي
القاهرة

إهداء

إلى أسرتى الصغيرة :

- زوجتى العزيزة المضحية
- وولدى المأمول محمد
- وابنتى الحبيبة علياء

أهدى هذا الكتاب

تحية عرفان وتقدير

لما ينالهم منى من تقصير

المؤلف

شكر

لقد بدأت ارهاصات هذا العمل العلمى منذ ما يقرب من عشرين عاماً مضت، ظلت جذوته خلالها وأن خفتت كثيراً غير منطفئة وكانت انجازاته طوال هذه السنين رغم ضآلتها أحياناً، وتوقفها أحياناً أخرى، كبصيص من النور لا ينقطع، حتى قدر لهذا العمل فى النهاية أن يولد بعد جهد للتحقيق غير قليل، ومثابرة على استيفاء تشعباته بغير ملل.

وهنا لابد من أذكر بالشكر والعرفان كل من ساعدنى فى انجازه من الآثاريين والرساميين والمصورين والنساخ، ممن كان لمساعداتهم كل الفضل فى إخراجه بالصورة التى ادعها - بكل الامتنان لهم - بين يدى القارىء الكريم .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

"فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لاتلهيهم
تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار،
ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله
والله يرزق من يشاء بغير حساب"

صدق الله العظيم

النور ٣٦ - ٣٨

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تمهيـــد:

الفصل الأول : دراسة تاريخية

١ - معنى الخانقاة ووظائفها . ٢١

٢ - تاريخ الخانقاة وأوقافها . ٢٤

٣ - الدراسة والمكتبة فى الخانقاة . ٢٧

٤ - تصوف فى غير خانقاوات . ٣٢

الفصل الثانى : دراسة صوفية

١ - علم التصوف ونشأته . ٣٩

٢ - أصل كلمة صوفى . ٤٨

٣ - خرقة الصوفية وأزياؤهم وعوائدهم. ٥٠

٤ - صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم . ٥٥

٥ - أعلام الصوفية ومجاذيبهم . ٥٩

الفصل الثالث : دراسة أثرية معمارية

١ - عمارة الخانقاة وخصائصها . ٦٧

٢ - المنشآت التابعة للخانقاة . ٧٥

٣ - الخانقاوات الدارسة . ٨٠

٤ - الرباط والزاوية والتكية . ٩٨

حواشى وتعليقات فصول الدراسات التاريخية والصوفية والأثرية المعمارية . ١٠٧

الفصل الرابع : خانقاوات القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ / ١٣م)

١ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) . ١٢٧

٢ - الخانقاة البند قدارية (أيدكين) . ١٥٩

٣ - الخانقاة الجاولية (سلار وسنجر) . ١٧٢

الفصل الخامس : خانقاوات النصف الأول من القرن (٨ هـ/١٤م)

٤ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) . ٢١١

٥ - الخانقاة المهندارية (احمد) . ٢٤٧

٦ - الخانقاة الجمالية (مغلطاى) . ٢٥٨

٧ - الخانقاة القوصونية . ٢٧٥

٨ - الخانقاة الناصرية خوند طغاى (ام انوك) . ٢٩١

الفصل السادس : خانقاوات النصف الثانى من القرن (٨هـ/١٤م)

٩ - الخانقاة الدوادارية (يونس) . ٣٠٧

١٠ - الخانقاة الشيخونية . ٣١٥

١١ - الخانقاة النظامية . ٣٦٨

حواشي وتعليقات فصول خلنقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية . ٣٧١

مصادر ومراجع الكتاب ٤٣٥

فهرس الأشكال واللوحات ٤٦٤

١ - الأشكال . ٤٦٩

٢ - اللوحات . ٤٧١

تمهيد

كانت اعتبارات الكتابة فى موضوع خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى (٥٦٥ – ٩٢٠ هـ / ١١٦٩ – ١٥١٦م) كثيرة ومتنوعة، أهمها أن ما كتب عن هذا الموضوع لذاته حتي الآن لا يتعدى كتاباً عربياً واحداً للدكتورة دولت عبد الله عنوانه «معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى» نشرته مطبعة حسان بالقاهرة سنة ١٩٨٠م ، أما ما كتب عن بعضه مختصرا مع آثار أخرى فأهمه ما أوردته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر فى الجزأين الثالث والرابع من كتابها الكبير المسمى «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة بين سنتي (١٩٧١ – ١٩٨٣م) وما جاء عن بعضه الآخر بشكل أكثر اختصاراً فى ثنايا كتب عربية أخرى لم يكن يقصد منها أن تكون كتباً علمية بقدر ما كان يقصد منها أن تكون أدلة للزائرين مثلما فعل المرحوم الأستاذ محمود أحمد فى كتابه المسمى «دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة» الذى طبع فى بولاق سنة (١٩٣٨م) أو تخليداً لذكرى صلاة ميمونة أداها فى هذه الخانقاة أو تلك ملك أو حاكم مثلما فعل المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب فى كتابه المسمى «تاريخ المساجد الأثرية» الذى طبعته دار الكتب المصرية سنة (١٩٩م) أو مشاركة سطحية فى الكتابة عن هذه الأبنية الأثرية مثلما فعلت وزارة الاوقاف فى كتابها المسمى «مساجد مصر» الذى طبعته مصلحة المساحة المصرية سنة (١٩٤٨م).

يضاف إلى هذه المراجع بطبيعة الحال ما ورد عن هذه الخانقاوات فى المصادر العربية لا سيما الخطط المقريزية والخطط التوفيقية، رغم أن مادة كليهما كانت لا تعنى بعمارتها وفنونها بقدر ما كانت تعنى بتواريخها وترجمة منشئيها مع ذكر بعض من أخبارها، وهى مادة لا تفى رغم اهميتها بعناصر البحث العلمى الاستقصائى المقارن الذى حاولنا تحقيقه فى هذه الدراسة.

تلك هى أهم الكتب التى تناولت خانقاوات الصوفية فى مصر بالحديث، وإذا كانت غالبيتها – فيما عدا الكتابين الأولين – قد تناولت الموضوع – كما قلنا – بصفة الأدلة تارة، وتخليد الذكرى تارة ثانية، ورغبة فى مجرد الكتابة تارة ثالثة، فإن لنا على الكتابين المذكورين

عدة ملاحظات تجعل اعادة الكتابة فى هذا الموضوع أمراً لازم الانجاز لاستيفاء كثير من النقاط الهامة التى أغفلتها الدراسة فى كل منهما.

ويأتى على رأس هذه النقاط بالنسبة للكتاب الأول مثلاً أنه إلى جانب ما تعرض له من الحديث عن معنى الخانقاة وتاريخها وعمارتها، والحديث عن الرباط والزاوية والتكية، فإنه لم يتعرض لكثير من النقاط الأخرى التى كان من الواجب بحثها مثل المنشآت المختلفة التى كانت تتبع الخانقاة، ووظائف الخانقاة وموظفيها وعلوم التدريس بها، والكتب والمكتبات التى كانت تشتمل عليها، والأوقاف المختلفة من الأراضى والعقارات التى كانت موقوفة على هذه الخانقاوات للصرف من ريعها على البنايات نفسها وعلى الموظفين فيها، والتصوف فى غير الخانقاوات، والخانقاوات التى درست، والترميمات الكثيرة التى أجريت فيها للمحافظة عليها، إلى غير ذلك من النقاط التى سيرد ذكرها فى المقدمة المعمارية.

كذلك فإن هذا الكتاب لم يتعرض لكثير من النقاط الأخرى وثيقة الارتباط بالموضوع مثل علم التصوف وأصل مذهبه، معنى التصوف ونشأته، أصل كلمة صوفى، خرقة التصوف أو عهده، صفات الصوفية، أحوال الصوفية ومراحلها واصطلاحاتها، طرق الصوفية وطوائفها وطبقاتها، زى الصوفية ولباسها، عوائد الصوفية، أعلام الصوفية، أرزاق الصوفية، خوارج الصوفية ومجاذيبهم، أهم مصادر الصوفية، وهى النقاط التى سيرد الحديث عنها – بما يخدم الموضوع فى المقدمة الصوفية.

أما بالنسبة للكتاب الثانى فإن أهم ما تجب الاشارة إليه أن الحديث فيه لم يشتمل على كل الخانقاوات القائمة وإنما اشتمل على بعضها دون البعض، لأنه لم يكن كتاباً عن عمارة الخانقاوات فقط وانما كان كتاباً عن العمارة الإسلامية ككل، وكان ذلك سبباً فى أن ما ذكر فيه عن هذا البعض ينقصه الكثير، فالوصف المعمارى مثلاً لم يغط كل أجزاء الخانقاوات الموصوفة وانما اكتفى فيه – وصفاً وقياساً – بذكر عناصرها الرئيسية دون الجزئيات، كذلك فإن هذا الوصف لم يغط الكثير من التفصيلات الزخرفية المختلفة التى تملأ جنبات هذه الخانقاوات رغم ما لهذه الزخارف من أهمية فى أى وصف أثرى كامل، يضاف إلى هذه وتلك أنه أغفل

ذكر الكثير من الكتابات القرآنية والانشائية والدعائية المنقوشة بكثير على أجزاء مختلفة من هذه الخانقاوات، وأن ما جاء فيه عن بعض هذه الكتابات لا يعد كاملاً لأنه أسقط نصوصاً كاملة أحياناً، وكثيراً من الكلمات والجمل أحيانا أخرى، علاوة على اشتماله على بعض أخطاء فى القراءات أحيانا ثالثة.

ليس هذا فقط بل أن التقديمين – الوارد أولهما فى الصفحتين (٩، ١٠) من الجزء الثالث عن الخوانق فى العصر المملوكى، والوارد ثانيهما فى الصفحتين (١٤، ١٥) من نفس الجزء عن التصميم المعمارى للخانقاة لم يوفيا الموضوع حقه من النواحى اللغوية والدينية والتاريخية والأثرية المعمارية، فلم يشر فى ذلك من الناحية اللغوية مثلاً إلى شيء عن أصل الكلمة واشتقاقها وتطور معناها، ولم يشر فيه من الناحية الدينية إلى أن الإسلام لا يقر مبدأ أن تصبح الصوفية وظيفة ينقطع فيها المتصوف للزهد والعبادة دون عمل، ولم يشر فيه من الناحية التاريخية إلى أن صلاح الدين كان قد لجأ – كما هو معروف – إلى بناء المدارس فى مصر لنشر المذهب السنى رغبة فى القضاء على المذهب الشيعى، وكان ذلك يتفق فى نظرنا مع بدعة تخصيص الصلاحية للمتصوفة طمعاً فى التغلغل إلى نفوس الناس ولا سيما أهل الطبقات الدنيا التى كانت ولا تزال تعتقد فى الكثير من الموروثات الشعبية الشيعية.

كذلك فقد أشير فى هذا التقديم إلى أن صفة التدريس كانت قد أضيفت للخانقاوات اعتباراً من القرن (٨هـ / ١٤م) رغم أن أول الخانقاوات المعروفة كانت الخانقاة الصلاحية التى يرجع تاريخها إلى القرن (٦هـ / ١٢م) وكانت تشتمل على صحن وأربعة إيوانات خصصت لتدريس المذاهب الأربعة حتى قبل أن تختص الخانقاوات بتدريس هذه المذاهب، كذلك لم يرد فيما جاء عن هذه الخانقاوات بهذا الكتاب ذكر لأية ترميمات أو اصلاحات، رغم أن كثيراً من هذه الخانقاوات قد تناولتها لجنة حفظ الآثار العربية بالعديد من الأعمال الترميمية والاصلاحية التى أعادت بعضها إلى سابق عهده من الكمال والجمال، بينما تركت بعضها الآخر نهباً لعوادى الزمن فأتت عليه ولم تبق منه إلا القليل.

ورغم اشتمال نصوص الكتابات المنقوشة على هذه الخانقاوات على العديد من الألقاب والوظائف الخاصة بمنشئيها مثل المولوى الأميرى الأجلى الكبيرى المخدومى الاستفهسلارى

الأستادار المهمندار الذخرى العضدى المشيرى السفيرى . . الخ فإن ما ورد عن هذه النصوص فى الكتاب المشار إليه لم يتناول شرح أى من هذه الألقاب رغم أن تفسير ذلك يعد عنصراً هاماً مكملاً لما جاء عنها كترجمة صاحب المنشأة تماماً، وهناك الكثير من المصادر والمراجع التى تناولت هذا الجانب بالشرح والتفصيل مثل معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيت المتوفى سنة (٧٤٨هـ) وصبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى المتوفى سنة (٨٢١هـ) والألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار للأستاذ الدكتور حسن الباشا الذى نشرته مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧م، والفنون الإسلامية والوظائف لنفس المؤلف الذى نشرته دار النهضة العربية سنة ١٩٦٥م وغيرها.

ورغم الحديث عن الكثير من خانقاوات العصرين المملوكى البحرى والمملوكى البرجى فى هذا الكتاب بالصورة المشار إليها، فإن خانقاوات أخرى كثيرة قد أسقطت منه ولم يشر إليها مثل الخانقاة الصلاحية «سعيد السعداء» وخانقاة يونس الدوادار وخانقاة الأشرف برسباى بقرافة المماليك وخانقاة الأشرف إينال بصحراء قايتباى وخانقاة قوصون وخانقاة قرقماس السيفى بنفس الموقع، بالإضافة إلى ما ذكر منها فى فقرة واحدة مثل خانقاة سعد الدين بن غراب وخانقاة أيدكين البندقدارى.

ورغم أن التصوف لم يكن قاصراً فى الفترة موضوع البحث ولا قبلها ولا بعدها على الخانقاوات فقط، لأن وظيفة الخانقاة كانت قد أدتها – كما هو معروف – أبنية أخرى مثل الأربطة والزوايا والتكايا بل وبعض المدارس التى الحق بها منشئوها بعضا من المتصوفة، فإن شيئاً من ذلك لم ترد له إشارة فى أى من الكتابين المشار إليهما.

وأخيراً فإنه لم يشر فى أى من هذين الكتابين بشىء عن أوقاف هذه الخانقاوات من الأراضى والعقارات التى أوقفت على بعضها باستثناء ما أورده الكتاب الأول عن وثائقها، رغم أن جانباً هاماً من ذلك كان من الممكن العثور عليه فى بطون بعض المصادر العربية مثل الإنتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق، والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان وغيرهما، وقد وجدت فى هذه الكتب كثيراً من الأراضى والنواحى التى أوقفت على بعض هذه الخانقاوات للصرف من ريع أوقافها على أبنيتها من ترميم وصيانة، وعلى القائمين عليها من

المشايخ والمتصوفة والنظار ومدرسى المذاهب وكتاب الغيبة والخدم ونحوهم، مما أتاح لنا فرصة طيبة لاستخلاص الموقف المالى لما كان ينفق على المنقطعين فيها باسم الدين، وهو أمر لا خلاف على حرمته من الناحية الشرعية لأن الإسلام دين عمل لا دين رهبنة وكلنا يعلم أنه لا رهبانية فى الإسلام، وأن من يعول المنقطع فى المسجد أعبد منه، ليس هذا فقط بل أن عمر بن الخطاب (ر) كان يسأل عن الرجل فيقول : أله حرفة ؟ فإن قيل له لا سقط من عينه.

لكل هذا كان من الضرورى إعادة الكتابة فى هذا الموضوع بصورة تستدرك كافة النواقص المشار إليها، لتسد رمق الباحثين فيه بشكل أكثر تفصيلاً، وقد فرضت علينا المادة الوافرة التى أمكن جمعها من كل ما أتيح لنا الإطلاع عليه من المصادر والمراجع خاصا بموضوع خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى، أن يكون مدخل هذه الدراسة مسرحاً لعرض كثير من النقاط الهامة الوثيقة الصلة بالموضوع مما لم يرد معظمه مع دراسة سابقة حتى الآن، وقد أمكن حصر هذه النقاط بعد تصنيف مادتها فيما يلى :

١– معنى الخانقاة ووظائفها .

٢– تاريخ الخانقاة وأوقافها .

٣– الدراسة والمكتبة فى الخانقاة .

٤– تصوف فى غير الخانقاوات .

٥– أصل التصوف ومعناه .

٦– خرقة التصوف وعهده .

٧– صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم .

٨– أعلام الصوفية وخوارجهم .

٩– عمارة الخانقاة وخصائصها .

١٠– المنشآت التابعة للخانقاة .

١١– الخانقاوات الدارسة .

١٢–الرباط والزاوية والتكية .

وقد رؤى تبعاً لهذا التنوع فى المعلومات المجموعة أن تقسم هذا النقاط إلى ثلاثة فصول تكون بمثابة أرضية خصبة ورحيبة لهذا الموضوع الكبير يختص الفصل الأول منها بدراسة تاريخية تتناول النقاط الأربع الأولى (من ١–٤) ويختص الفصل الثانى بدراسة صوفية تتناول النقاط الأربع الثانية (من ٥–٨) ويختص الفصل الثالث بدراسة أثرية معمارية تتناول النقاط الأربع الأخيرة (من ٩–١٢).

ولكن يبقى مع ذلك ضرورة الاعتراف بأن كافة النواقص التى لوحظت على الكتب المشار إليها لا يمكن لها أن تقلل من قيمته العلمية شيئاً، لأنه لولا هذه الكتب ما كان لنا هذا الكم الهائل من المعلومات التى حاولنا من خلالها أن نعيد بحث الموضوع بهذه الصورة التى نرجو أن نكون قد وفقنا فيها، فإن كنا قد أصبنا ففضلاً من الله ونعمة، وإن كنا قد أخطأنا فما أردنا إلا الصواب ما استطعنا وما التوفيق إلا من عند الله، وفوق كل ذى علم عليم.

المؤلـــف

الفصل الأول

دراسة تاريخية

الفصل الأول

دراسة تاريخية

يتحصر حديثنا فى هذا الفصل عن دراسة الخانقاوات من الناحية التارخية فى أربع نقاط رئيسية هى :

١- معنى الخانقـاة ووظائفهـا.

٢- تاريخ الخانقـاة وأوقافـهـــا.

٣- الدراسة والمكتبة فى الخانقاة.

٤- تصـوف فى غيـر خانقاوات.

١- معنى الخانقاة ووظائفهـا :

تحدث كثير من مؤلفى المصادر والمراجع العربية عن معنى الخانقاة ووظائفها، فذكر ابن بطوطة فى القرن (٨هـ /١٤م) أن أصل الخانقاة هو الزاوية حين قال «وأما الزوايا فهى كثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقة(١)» وقـال المقـريزى فى القـرنين (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) أن «الخوانك جمع خانكاة» وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها «خونقاة» أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى(٢).

أما محقق كتاب السيوطى الذى يرجع إلى القرنين (٩-١٠هـ / ١٥-١٦م) فقد اتفق فى اللفظ مع ما ذكره ابن بطوطة واختلف فيه مع ما أشار إليه المقريزى حين قال تعليقاً على ذكر السيوطى للخانقـاة أن «جمعها خوانق» وهى معاهد دينية أنشئت لايواء المنقطعين للعلم والزهاد والعبـاد، والخانقـاة لفظة فارسية معناها البيت، وهى حديثة فى الإسلام فى حدود الأربعمائة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف(٣).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) وأعاد علينا ما ذكره المقريزى مختلفاً فى ذلك مع ما أشار إليه كل من ابن بطوطة ومحقق السيوطى حين قال «الخوانك مفردها خانكاة بالكاف وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاة بالقاف أى الموضع الذى يأكل فيه الملك» ⁽٤⁾.

أما ما ورد عن معنى الخانقاة فى المراجع العربية فهو كثير، ومؤداة أن لفظ «خانقاة» هو لفظ فارسى معناه فى الأصل المائدة أو المكان الذى يأكل فيه الملك، ثم أطلق بعد ذلك على الخوانق أو الخانقاوات أو الدور التى قام على إنشائها المملوك والأمراء الراغبون فى عمل القرب والمبرات لأغراض كثيرة أهمها إيواء الغرباء من المسلمين الوافدين إلى ديارهم والقيام بمعيشتهم وتثقيفهم، ومع أن الصلوات الخمس المفروضة كانت تؤدى فى ايوان خاص للصلاة بهذه الخانقاوات إلا أن صلاة الجمعة لم تكن تقام فيها ⁽٥⁾.

ويغلب على الظن أن المقريزى وعلى باشا مبارك كانا على حق دون كافة من أشاروا إلى تعريف هذه اللفظة عندما قال كل منهما أن هذه المنشأة المعمارية الدينية كانت تسمى «خانكاة» وجمعها «خوانك» ففى بحث متخصص عن «الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية» قيل أن لفظ «خانكة» مأخوذ من الكلمة الفارسية «خانكاة» التى عربت إلى «خانقاة» بمعنى محل اجتماع الدواوين، وهى لفظة مركبة من مقطعين هما (خانة + كاِة) ثم دخلت العامية بمعنى المستشفى الخاص بالمجانين ⁽٦⁾.

ومن هنا نرى أن الخانقاة وهى بيت الصوفية كانت أشبه ما تكون بالمدرسة، لأنها كانت فعلاً مدرسة العامة ممن نذروا أنفسهم لحياة الزهد والتقشف، سواء كانوا من ابناء الشعب أو من أرباب الحرف والصناعات الذين عملوا على حمل مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الطرق والأسواق، فتشابهت الخانقاة بذلك مع المدرسة من حيث الشكل والوظيفة.

ومن المعروف أن أهل الصوفية فى المغرب كانوا يسمون (بالمرابطين) أخذا من الرباط الذى كانوا يرابطون فيه للجهاد فى سبيل الله حماية لحدود الدولة الإسلامية، وبذلك اختلفت الصوفية فى المغرب عنها فى المشرق، فهناك كانت عملاً ايجابياً يقره الدين تماماً، وهنا كانت عملاً سلبياً

لم يخرج عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(٧).

ومن هنا أيضاً حدث الخلط بين المدرسة والرباط والخانقاة، لأن الرباط فى الأصل كان كما قلنا – هو المكان الذى خصص للمرابطة فى الثغور على حدود الدولة، وكان من الجائز أن يقوم الفقهاء بهذه المرابطة فى الربط لأن معنى المتصوف موجود فى الفقيه والعكس غير صحيح، ولذا كانت إقامة الصوفية فى الربط وتناول راتبها وجرايتها أمر جائزاً بعكس المدارس التى لم يكن من الجائز للمتصوف الاقامة فيها أو أخذ جرايتها(٨).

والخلاصة أن الخوانك فى الإسلام كانت عبارة عن دور للعلم والعبادة قامت بأدوار دينية اجتماعية وثقافية هامة فى حياة المجتمع الإسلامى منذ نشأتها فى غالب الظن فى القرن (٥هـ / ١١م)، فالثابت لدينا مما ورد فى كثير من المصادر العربية أنها كانت أولاً معاهد للمذاهب الفقهية والحديث والقراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، وكانت ثانياً مواقع إيواء لكل وافد إلى الديار من البلاد الإسلامية الأخرى ممن لم يكن لهم مأوى، وكانت ثالثاً مراكز اشعاع ثقافى بما احتوته بعض مكتباتها من الكتب المصنفة فى كثير من العلوم والمعارف، يدل على ذلك مثلاً أن خانقاة شيخو كانت تشتمل طبقاً لما ورد فى وقفيتها على أربعة دروس للمذاهب الفقهية إلى جانب درس للحديث النبوى ودرس لإقراء القرآن بالقراءات السبع، وجعل لكل درس من هذه الدروس مدرس وجماعة اشترط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف.

أما عن وظائف الخانقاة التى سيرد ذكرها بالتفصيل عند الحديث عن كل منشأة من هذه المنشآت فكانت كثيرة ومتعددة، منها شيخ الخانقاة وإمامها وناظر وقفها ومدرسو المذاهب ومعيدوهم والكحال والجرائحى والطبائعى وخازن الكتب وكاتب الغيبة والشاهد والمؤذن والمزملاتى ومشرف الحمام ومشرف المطبخ والطباخ وخادم الشيخ وخادم الربعات الشريفة والبواب والفراش وسواق الساقية والوقاد ونحوهم، وإن دل هذا الكم الهائل من الوظائف على شىء، فإنما يدل على حجم ما كان فى هذه الخانقاوات من وظائف متنوعة كان كل واحد من أربابها يتقاضى نظير عمله بالخانقاة أجراً نقدياً راعى فيه الوقف أن يتناسب مع ثرائه المالى ومقامه الاجتماعى، علاوة على ما كانوا جميعاً يشتركون فيه من أجر عينى انحصر فى المآكل من الخضروات واللحوم والأرز واللبن والعسل والحلوى ونحوها، وفى الملبس والصابون وغير ذلك من الأرزاق الوافرة التى كانت توزع

عليهم مما سيرد ذكره بالتفصيل كل فى موضعه.

٢ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/١٤ – ١٥م) أن الخوانك فى الإسلام حدثت فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة، ثم أشار إلى أن زيد بن صوحان بن صبرة هو أول من اتخذ بيتا للعبادة فى عهد ثالث الخلفاء رضوان الله عليهم حينما عمد إلى رجال من أهل البصرة كانوا قد تفرغوا للعبادة وليست لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم دوراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من ملبس ومطعم ومشرب، ثم جاء يوماً لزيارتهم فإذا عبد الله بن عامر عامل عثمان بن عفان رضى الله عنه على البصرة قد دعاهم، فأتاه زيد وقال له يا ابن عامر ماذا تريد من هؤلاء القوم ؟ قال أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا على فأقبل منهم، قال زيد أتانى إلى قوم قد انقطعوا إلى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم فى أمرك، حتى إذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الأخرة، ثم أشار إليهم بقوله قوموا فارجعوا إلى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظه (٩)، ومعنى ذلك أن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين إرجاع المقريزى لحدوث هذه الخوانك فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وبين أول خانقاة عملها زين بن صوحان – على عهد الخليفه الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى القرن الأول الهجرى، وقد نقل على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) هذه القصة كاملة عن المقريزى، إلا إنه أضاف أن اسم الخانقاة لم يكن مستعملاً فى مصر على عهده وإنما استعمل بدله لنفس الغرض لفظ التكية والزاوية (١٠).

والواقع أن أول خانقاة فى مصر – طبقاً لما ورد فى كافة المصادر والمراجع بغير خلاف – هى الخانقاة الصلاحية التى كانت تعرف بدار سعيد السعداء، وهو الأستاذ قنبر أو عنبر عتيق الخليفة المنتصر بالله الفاطمى الذى قتل سنة (٥٤٤ هـ/ ١٤٩م)، وقد حدث ذلك عندما استقل صلاح الدين بأمور مصر، فعمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية – طبقا لما سيرد ذكره تفصيلا عند الحديث عن هذه الخانقاة – ووقف عليها أوقافا كثيرة فكانت بذلك أول خانقاة عملت بديار مصر، وعرفت بدويرة الصوفية وكان أهلها يعرفون بالعلم والصلاح، ولا زالت بقايا هذه الخانقاة قائمة حتى الآن بحى الجمالية من القاهرة وتعرف بجامع الخانقاة (١١).

أما ما ورد عن تاريخ الخانقاة فى المراجع العربية فإنه يعود إلى الوراء قليلا ليشير إلى أن الكرامية (أصحاب محمد بن كرام) كانوا قد شيدوا قبل القرن (٤هـ/١٠م) عدد كبيراً من مجالس الذكر فى إيران وما وراء النهر وبيت المقدس، وكانت لهم محلة بالفسطاط(١٢) ومعنى ذلك أن ظهور الخوانق بمعناها المعروف فى شرق العالم الإسلامى خلال العصر العباسى فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى كان قد سبقه ما شيده الكرامية قبل ذلك بقرن من الزمان تقريبا(١٣).

وصفوة القول أن أول ظهور حقيقى للخانقاة كان – على ما يبدو – فى إيران خلال القرنين (٣ – ٤ هـ/٩ – ١٠م) حيث كانت هذه الأبنية قد وصلت إلى مرحلة متطورة التنظيم والتوجيه، فوضعت لها القوانين واللوائح المنظمة لأداء المهمة التى أنشئت من أجلها، وكانت الخانقاة فى هذه الفترة تنقسم من الناحية المعمارية إلى قسمين رئيسيين خصص أولهما لاجتماع الشيخ بمريديه وسمى بالفارسية «جماعت خانة» أودار الجماعة، وخصص ثانيهما لخلوات الصوفية والمطبخ ونحو ذلك من الأبنية اللازمة للاقامة الدائمة، واستكمل هذا التنظيم بالأحباس التى خصصت لهذه الخانقاوات فتطورت رسالتها فى أواخر القرن (٥ هـ/ ١١م) وأضيفت إليها مهمة تعليمية استهدفت علوم الدين ومذاهبه.

أما فى مصر فقد عرفت الخانقاة فى زمن متأخر نسبيا خلال العصر الأيوبى فى النصف الثانى من القرن (٦هـ/١٢م)، وكان ذلك بفضل صلاح الدين الأيوبى الذى نقل الخانقاة بنظمها ولوائحها وأحباسها، واختصت الدار الفاطمية سعيد السعداء بها بعد أن عدل كيانها المعمارى لتفى بالغرض الذى سعى إليه ولتؤدى من خلاله رسالتها التى أنيطت بها، إلى أن كان العصر المملوكى بشقية البحرى والبرجى فأصبحت الخانقاة عمارة مستقلة لها تخطيط خاص تعددت جوانبه واكتملت مقوماته حتى بلغ ذروته عندما اصبحت الخوانق شبه جامعات كبرى يفد إليها طلاب العلوم ولا سيما الدينية من كافة الأقطار الإسلامية بالشروط التى كانت تتفق مع نظمها ولوائحها التى وضعت من خلال شروط واقفيها.

ورغم ما قد يتبادر إلى الذهن من ضرورة خلو هذه الخانقاوات من أية مظاهر زخرفية بصفتها دور عبادة وزهد وتصوف، إلا أنها جاءت مشتملة على كثير من مظاهر العظمة المعمارية

والفنية التى تجلت فى واجهاتها الداخلية والخارجية وفى محاريبها وقبابها وأرضياتها وسقوفها، وفى كل ما اشتملت عليه من منابر وكتيبات وكراسي وغيرها، فزخرت هذه الأجزاء جميعاً بشتى آيات النقش الفنى ممثلاً فى كافة عناصر الزخرفة النباتيه والهندسية والكتابية التى عرفتها الفنون العربية الإسلامية بصفة عامة.

ويبدو أن صوفية هذه الخانقاوات – ولا سيما الرعيل الأول منهم – كانوا يشاركون مشاركة إيجابية فى حياة المجتمع العلمية، فكان شيوخها الأوائل من حملة علوم الشريعة يمتازون بعلوم التزكية وتصفية النفس مما جعل الأقبال على هذه الخوانق كبيراً إلى أن انحط أمرها فى آخر المطاف وسكنها الأراذل بعد الصفوة (١٤).

أما عن أوقاف هذه الخانقاوات فإنه يمكن القول بإختصار أن سلاطين المماليك كانوا قد اهتموا بها كثيراً وأوقفوا عليها الأوقاف السخية من العقارات والأراضى، فإذا تم بناء إحداها وكانت للسلطان افتتحها السلطان بنفسه فى حفل كبير يحضره رجال الدين والقضاة ومشايخ الصوفية، وقد حرصت معظم الحجج المتعلقة بهذه الأبنية على وضع الشروط الكفيلة بانقطاع الصوفية فيها للعبادة وعدم تغيبهم عنها أكثر من ثلاثة أيام فى الشهر الواحد لا يقطع لهم فيها معلوم، فإن غاب أحدهم أكثر من هذه الثلاثة أيام انقطع معلومه ووفرلجهة الوقف.

على أن الملاحظ لهذا الجانب من حياة أى خانقاة يكتشف أمرا هاماً حرص عليه صوفية كل منها ودافعوا عنه كثيراً، فلم يكن من مصلحتهم ووقف الخانقاة ثابت لا يتغير أن يزداد عددهم حتى لا تؤدى هذه الزيادة العددية إلى نقص فى رواتبهم وجراياتهم بما يؤدى بدوره إلى انخفاض مستوى معيشتهم، وكان من نتيجة هذا الحرص على ما يبدو أن ظهرت العصبيات الطائفية بينهم، ليس هذا فقط بل إن عملية انتقال مريد من شيخ إلى شيخ أو من خانقاة إلى أخرى كثيراً ما كانت تترجم إلى نزوع هذا المريد إلى الدنيا وترك الدين، خاصة وأن بعض هذه الخانقاوات كانت تتمتع بأوقات كثيرة تجعل حياة صوفيتها أكثر ليونة وسعة (١٥)، ومهما يكن من أمر فإن ادخال هذه المنشآت إلى مصر كان بمثابة انقلاب ثقافى فيها أدى إلى زوال صفة الهرطقة الشيعية منها وإلى تدفق الثقافات المختلفة عليها من جميع أنحاء العالم الإسلامى (١٦). وسترد

الإشارة إلى هذه الأوقاف بالتفصيل عند الحديث عن كل خانقاة عثر لها على شيء من ذلك.

٣- الدراسة والمكتبة فى الخانقاة:

يرجع أصل التدريس فى الخانقاة إلى موضوع التدريس فى الإسلام الذى نشأ – على ما يبدو – بنشأة المجتمع الإسلامى الأول، فقد روى الإمام الغزالى أن جماعة من الصحابة كانوا يمارسون ذلك فى مسجد قباء على عهد الرسول ﷺ (١٧). وكان من نتيجة ذلك أن استخدمت المساجد للدراسة منذ ذلك العهد. وكان مسجد الرسول بالمدينة هو أول جامعة للمسلمين، فيذكر ابن خلكان فى القرنين (٦-٧ هـ/ ١٢-١٣م) أن أبا عثمان بن ربيعة كان يجلس فى المسجد فيأتيه مالك والحسن وأشراف المدينة للأخذ عنه وكانت له فيه حلقة وافرة(١٨).

ومن هنا جاءت حلقة التدريس فى الإسلام فلا يكاد يخلو تاريخ شيخ من الشيوخ من الإشارة إلى حلقة كانت له بمسجد من المساجد، حتى انتشرت هذه الحلقات منذ العصور الإسلامية المبكرة فى المساجد الجامعة بمصر والشام والحجاز والعراق والقيروان وقرطبة وغيرها، وقد سمى المؤرخون الدرس فى هذه المساجد الجامعة «حلقة» لأن مريدى العلم كانوا ينتظمون فى حلقة تضيق وتتسع حول شيخها تبعاً لعدد الطلاب الدارسين عليه، ولعل خير ما ينقل فى هذا الصدد ما ذكره السيوطى فى القرن (١٠هـ/١٦م) من أن أبا بكر النعالى أمام المالكية فى مصر المتوفى سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) كانت حلقته فى الجامع العتيق (يقصد جامع عمرو بن العاص) تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة من يحضرها(١٩).

وتأتى دورة الحلقة على الأعمدة لأن كل شيخ كما يقول ابن جبير فى القرن (٦هـ/١٢) والمقريزى فى القرن (٩هـ/١٥) كان يستند إلى سارية فى المسجد أو إلى اسطوانة أو عامود فيه، حتى أن هذه الأسطوانة كانت تظل وقفاً عليه ما دام قائماً بالتدريس وهو على قيد الحياة وكثيراً ما تنسب إليه بعد وفاته(٢٠) ومما لا شك فيه أن هذه الاسطوانة كانت موضع اعتبار كامل من الطلاب، وكان لها نظام مرعى منهم يدل على ذلك ما ذكره المقدسى فى القرن (٤هـ/١٠م) بقوله أن الشيخ إذا قدم لاسطوانته نادى أحد مريديه على الباقين بقوله «دوروا وجوهكم نحو المجلس» (٢١).

ومع ذلك فإن هذا النظام لم يمنع من أن يجلس بعض المدرسين فى محراب المسجد بدلاً من الجلوس إلى الاسطوانة أو العامود، بل لقد سميت الحلقة فى بعض روايات المؤرخين ولا سيما ابن جبير والمقريزى «زاوية»، يؤيد هذا ما ذكره ابن جبير فى القرن (٦هـ/١٢م) من أنه كان للمالكية بجامع دمشق الأموى زاوية للتدريس فى الجانب الغربى منه (٢٢)، وما ذكره المقريزى فى القرن (٩هـ/١٥م) من أنه كان بجانب عمرو بن العاص بالفسطاط «زوايا» يدرس فيها الفقه (٢٣).

والواقع أن هذه الحلقات لم تكن مقصورة – على ما يبدو – على علوم الدين فقط، بل جلس للتدريس فيها مشايخ علوم اللغة وعلوم النحو وعلوم التاريخ وغيرها من العلوم النقلية، وظل التدريس فى المساجد الجامعة بهذا الشكل مستمراً منذ القرن الهجرى الأول (القرن الميلادى السابع) وما زال مستمراً فى بعضها حتى عصرنا الحاضر (٢٤).

وهكذا كان أصل التدريس فى الإسلام، يستوى فى ذلك التدريس فى المدارس أو فى الخانقاوات، أما عن أجور المدرسين وسكن الطلاب، فتفيدنا المصادر والمراجع أن هذا التدريس كان مباحاً لكل من وجد فى نفسه القدرة عليه، تماماً كما كان الاستماع إلى الدرس مباحاً لكل من رغب فيه، فكان العلماء يعلمون والطلبة يتعلمون، كل على حسابه الخاص باستثناء ما كان يمنحه الخلفاء والأمراء ونحوهم من هبات، وكانت مسئولية حياة الشيوخ ومريديهم تقع فى تلك الحقبة المزهرة من تاريخ العلوم الإسلامية على عاتق جماعة المسلمين الذين اعتبروا بيت الله وما يدرس فيه مسئوليتهم، فقدموا للمدرسين والدارسين كل ما يعوزهم حتى يعينوهم على هذا العمل الجليل من الدرس والتحصيل.

وظل الأمر على ذلك قروناً عديدة حتى كانت أول خطوة من خطوات تدخل الخلفاء والولاة وأولى الأمر فى شئون التدريس، فأنشأوا له دور العلم وبيوت الحكمة التى سرعان ما عينوا لها المدرسين لقاء راتب محدود، ويذكر المقريزى أن أول درس بديار مصر من هذا النوع كان فى خلافة العزيز بالله الفاطمى ووزارة يعقوب بن كلس سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) عندما بنى العزيز دارا لجماعة الفقهاء بجوار الأزهر، وكان هؤلاء خمسة وثلاثون فقيهاً رتب الخليفة لكل منهم من المعلوم ما يكفيه (٢٥)، ويغلب على الظن أن هذا المعلوم كان يجرى على المدرسين والطلاب على السواء، وفى هذا ما يثبت أن بناء الدور العلمية للشيوخ والمريدين، وجراية الأرزاق عليهم، كان قد

أصبح حقيقة واقعة فى مصر منذ العصر الفاطمى على الأقل.

ثم جاءت الإشارة إلى الأجر المعلوم فى شرق العالم الإسلامى فى إيران فيما ذكره الإمام السبكى فى القرن (٨هـ/١٤م) من أن نظام الملك (الحسن بن على الطوسى) وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقى الذى توفى بعد العزيز بالله الفاطمى بقرن من الزمان كان يجرى المعاليم على الفقهاء والطلبة(٣٦)، وفى هذا يقول السيوطى فى القرنين (٩-١٠هـ/١٥-١٦م) أن هذا الوزير كان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم ويؤثرهم فبنى لهم المدرسة النظامية فى بغداد سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)، واقتدى الناس به فى بناء المدارس، (٢٧) ومع ذلك فقد عاد السيوطى إلى القول نقلا عن الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام أنه أنكر على من زعم أن نظام الملك كان أول من بنى المدارس مدللا على ذلك بكثير من المدارس التى بنيت قبل أن يولد نظام الملك نفسه، ومنها مدارس نيسابور الأربع (البيهقية والسعيدية والاستراباذية نسبة إلى إسماعيل بن على الاستراباذى الصوفى ومدرسة أبى اسحاق)(٢٨) وكانت هاتان الحالتان – على ما يبدو – سببا فى شيوع التدريس بأجر معلوم فى بقية أنحاء العالم الإسلامى منذ القرن (٥هـ/ ١١م)، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن جبير فى القرن (٦هـ/ ١٢م) من أنه شاهد عند زيارته للجامع الأموى فى دمشق سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) فقيها إشبيليا عرف بالمراوى كان يستند إلى سارية من سوارى المسجد وكان لهذه السارية وقف معلوم يأخذه المستند إليها للتدريس والمذاكرة(٢٩).

ونعود إلى مصر لنجد المقريزى يقول أنه فى سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٥م) رتب المنصور قلاوون فى قبته درسا للحديث النبوى ودرسا للتفسير(٣٠)، وفى سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) رتب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير دروسا للمذاهب الفقهية الأربعة ودرسا لاقراء الحديث فى مسجد الحاكم وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة (٣١)، ومما لا شك فيه أن تحديد الرواتب للمدرسين وتعيين الجرايات لهم كان بمثابة الخطوة التى اتخذها الخلفاء والولاة – كما قلنا – ذريعة للتدخل فى شئون التدريس بصفة عامة، إما تكريما لأحد أو تقريبا له دون أحد آخر، وإما تمييزا للبعض دون البعض لأسباب سياسية أو دينية، ويؤيد ذلك ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ – ٧هـ/ ١٢ – ١٣م) من أن الشيخ يحيى بن على الخطيب التبريزى كان قد أخرج من المدرسة النظامية التى رتب لتدريس النحو فيها لاتهامه بالتشيع(٣٢).

وطبقا لما أشار إليه القلقشندى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) فقد اعتبرت مشيخة الخوانق (التى لم تكن تختلف كثيراً عن مشيخة المدارس) من الوظائف التى يصدر بها مرسوم من ديوان الإنشاء السلطانى، واختلفت مكانه كل شيخ من شيوخ هذه الخانقاوات تبعا لأهمية الخانقاة التى يتولى مشيختها(٣٣) واشترط فيه أن يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، وألا يكون قد أتخذ من التصوف حرفة(٣٤)، كذلك كان الحال بالنسبة للمدرسين، فقد ذكر القلقشندى أيضاً أن وظيفة التدريس بالمدرسة (أو الخانقاة) كانت جليلة القدر، يخلع السلطان على صاحبها ويكتب له توقيعا من ديوان الانشاء يختلف باختلاف المادة التى سيقوم بتدريسها، وفى هذا التوقيع يقدم النصح للمدرس بألا يبخل بمكنون علمه على الطلاب، وأن يقوم على الدرس طلق الوجه منشرح الصدر ليستميلهم إليه ويربيهم كما يربى الوالد ولده(٣٥)، وجرت العادة كما يقول الذهبى أن يعين لكل مدرس معيد أو أكثر تكون مهمته أن يعيد للطلبه ما ألقاه الشيخ حتى يزيد فهمهم له ويحسنوه(٣٦).

أما بالنسبة للطلبة فالراجح أنهم كانوا يتمتعون بحرية اختيار المواد التى يدرسونها، وكثيراً ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العلمية، ويظل الطالب يدرس مع أحد المدرسين أو الشيوخ حتى يأخذ منه كفايته، ثم ينتقل إلى آخر وهكذا، فإذا أتم هذا الطالب دراسته وتأهب للفتيا والتدريس أجاز له شيخه ذلك وكتب له إجازة تشتمل على اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ حصوله عليها إلى غير ذلك من التوثيق الذى يبيح له القيام بالفتيا والتدريس(٣٧) وكثيراً ما نصت شروط الوقف بالنسبة للخانقاوات على تفضيل الأفقر والأحوج من طلاب أهل البلاد، ثم يليهم فى الأفضلية الفقراء المغتربون، علاوة على تقديم الأعزب دون المتزوج للمبيت فى خلوات الصوفية بها حتى يكون منقطعا للعبادة متفرغا لها(٣٨).

ولم تخل هذه الدراسة كما يقول السخاوى فى القرنين (٩–١٠هـ/١٥/١٦م) من ضروب الترويح عن النفس أحياناً، فكثيراً ما أقيمت الحفلات فى مختلف المناسبات الدراسية كختم البخارى أو تصنيف كتاب أو نحو ذلك، حيث يقوم صاحب الحفل بإحضار مالذ وطاب من المأكول، فيجلس أهل المدرسة ومعهم الأعيان والقضاة فى مناقشات علمية خفيفة حتى ينتهى الحفل الذى غالباً ما كان على نفقة صاحبه ونادراً ما كان على نفقة المدرسة(٣٩).

والحقيقة أن هذه الحياة العلمية لم تخل – على ما كان لها من حسنات ومزايا – من بعض الأمراض الاجتماعية التى زكاها التباغض والتحاسد بين العلماء والطلاب على السواء نتيجة تفضيل البعض، ونتيجة تشوق بعض الشيوخ فى ذلك العصر إلى المناصب، فبذلوا الأموال فى سبيل الوصول إليها، الأمر الذى كان له أسوأ الأثر بين العلماء والطلاب على السواء.

أما بالنسبة للمكتبات فى هذه الأبنية فقد أفادتنا بعض المراجع العربية أن غالبية هذه المدارس والخانقاوات كانت تلحق بها خزانة كتب تضم العديد من المؤلفات فى مختلف العلوم والفنون، يرجع إليها المدرسون والطلاب للاستزادة من البحث والاستقصاء كل فى مجال تخصصه، وكان يشرف على هذه الخزانة أمين للمكتبة يقال له خازن الكتب، كانت مهمته ترتيب هذه الكتب وتنظيمها وحفظها وحبكها وترميمها، بالإضافة إلى قيامه بإرشاد القراء إلى مايلزمهم منها، لذلك كان اختيار هذا الخازن امراً تحدد له شروط أهمها أن يكون فقيها عالماً يراعى فيه سعة العلم والأمانة (٤٠).

وقد وجدت خزائن هذه الكتب بالإضافة إلى المدارس فى كثير من الترب والربط والخانقاوات، فيذكر ابن خلكان فى القرن (٧هـ/١٣م) أنه عثر فى خزانة كتب التربه الأشرفية بدمشق على ديوان فى مجلد كبير للشاعر اسعد بن يحيى (٤١)، ويذكر ياقوت فى القرنين (٦ـ٧هـ/ ١٢ـ ١٣م) أنه شاهد المكتبة الضميرية فى خانقاة بمرور (٤٢).

وقد الحق بمعظم هذه الخزائن غرف للنسخ، يجلس فيها النساخ على مراتب مهيأة لهم ينسخون عليها الكتب التى يطلب منهم نسخها عن طريق موظف اختص بجلب هذه الكتب إليهم واعادتها إلى أماكنها بعد نسخها، كذلك كانت هذه الخزائن تزود بالبسط والسجاجيد والستائر وجميع ألوان الأثاث الذى يمكن رواد الخزانة من المطالعة المريحة، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى من أن دار الحكمة بالقاهرة لم تفتح للناس إلا بعد فرشت وزخرفت وعلقت الستائر على جميع أبوابها وممراتها (٤٣).

ويغلب على الظن أنه كانت هناك بهذه الخزائن غرف للمطالعة وأخرى للمناظرة والاجتماعات والمحاضرات، كما زودت الغرف المعدة لخزن الكتب بالأرفف الخشبية التى جعلت

فى بعض الخزائن مفتوحة دون مصاريع عليها، وذات مصاريع واقفال فى بعضها الآخر لحماية كنوزها من أن تعبث بها أيدى العابثين، وقد درجت أغلب المكتبات على تزويد روادها بالأقلام والأحبار والأوراق وكل ما يساعدهم على النسخ (٤٤)، وكان يعهد بالإشراف على المكتبات الكبرى إلى ثلاثة أشخاص يأتى على رأسهم المشرف الأعلى ويسمى الوكيل، يليه أمين المكتبة ويسمى الخازن، يليه مساعد الأمين ويسمى المشرف، وقد ظلت المحافظة على هذا النظام الإشرافى الثلاثى قائمة مع مرور الزمن وإن تغيرت فيها المسميات.

٤– تصوف فى غير خانقاوات:

يذكر السخاوى وابن حجر وابن الغزى وغيرهم من مصنفى كتب التراجم العربية كثيراً من المعلومات التى يستفاد منها أن وظيفة التصوف كانت تباشر فى كثير من الأبنية الأثرية التى لم يرد لها ذكر فى أى من المصادر والمراجع التى تحدثت عن الخانقاوات ولا سيما المدارس والترب، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه كان هناك تصوف فى كثير من المنشآت المعمارية المملوكية غير الخانقاوات، وقد أحصينا هذه الأبنية فوجدناها تزيد عن العشرة وهى المؤيدية ومسجد الطواشى علم دار والجامع الجديد الناصرى بمصر والصرغتمشية (بتربة الصحراء وبمدرسة حارة الديلم) والفخرية وتربة باب القرافة وتربة قايتباى والسنقرية.

وقد ذكر السخاوى فى القرنين (٩–١٠هـ/١٥–١٦م) فيما يتعلق بالتصوف فى المؤيدية تراجم عديدة منها ترجمة إبراهيم بن حجاج بن محرز بن مالك الدهان أبو اسحاق الأبناسى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد بعد الثمانين وسبعمائة بأبناس (وهى بلدة بالوجه البحرى) وقال «ولم يكن باسمه من الوظائف سوى التصوف بالمؤيدية» (٤٥).

وترجمة سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح النابلسى الأصل المقدسى الحنفى نزيل القاهرة الذى عرف بابن الديرى (نسبة إلى الدير الذى بحارة المرد او بين بيت المقدس) وقد ولد فى رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة فحفظ واشتغل واجتمع بجماعة من مشايخ الصوفية كالشيخ محمد القرمى وعبد الله البسطامى وسعد الهندى وابى بكر الموصلى ثم قال «وولى مشيخة المؤيدية تصوفا وتدريسيا .. مات فى تاسع ربيع الآخر سنة سبع وستين وثمانمائة

بمصر العتيقة ودفن بتربة الظاهر خشقدم» (٤٦).

وترجمة عبد القادر بن الشيخ عمر بن حسين بن على بن شرف بن سعيد بن خطاب محيى الدين الزفتاوى الأصل القاهرى المقدسى الشافعى الأحدب الذى ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ واشتغل إلى أن تنزل فى صوفية المؤيدية وغيرها إلى أن مات فى شوال سنة ثلاث وثمانين (وثمانمائة) (٤٧).

وترجمة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الجمال القاهرى الحنبلى ويعرف بابن هشام الذى ولد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ يتيما فحفظ القرآن وأخذ ولازم واشتغل إلى أن تنزل فى صوفية الحنابلة بالمؤيدية أول ما فتحت بتعيين شيخهم العز البغدادى إلى أن مات فى صفر سنة خمس وخمسين (وثمانمائة) ودفن عند أبيه وجده بتربة سعيد السعداء(٤٨).

وبالنسبة للتصرف فى مسجد الطواشى علم دار فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما ترجمة داود بن سليمان بن حسن عبيد الله ابى زيادة أبو الجود بن ابى الربيع البنبى ثم القاهرى المالكى البرهانى الذى عرف بأبى الجود، ولد سنة (٧٩٢هـ) ببنب من الغربية بالقرب من جزيرة بنى نصر، ثم انتقل إلى القاهرة فلازم الاشتغال إلى أن ولى مشيخة الصوفية بمسجد علم دار بدرب ابن سنقر بالقرب من باب البرقية .. مات فى ربيع الأول سنة ثلاث وستين (٨٦٣هـ)(٤٩).

وثانيتهما ترجمة زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزينى الأنصارى السنيكى القاهرى الأزهرى الشافعى القاضى الذى ولد سنة (٨٢٦هـ) بسنيكة من الشرقية ثم تحول إلى القاهرة سنة (٨٤١هـ) وعرضت عليه إمامة المدرسة الزينية الأستادار أول ما فتحت بشرط أن يكون ساكنها فأبى واستمر به العلم بن الجيعان فى مشيخة التصوف بمسجد الطواشى علم دار بدرب ابن سنقر بالقرب من باب البرقية عوضاً عن زينب ابنة شيخه ابى الجود (٥٠) ولعل فى هذا خير دليل على أن مشيخة التصوف لم تكن قاصرة على مشايخ الصوفية من الرجال وانما كانت متاحة المجال لأن تتولاها الشيخات من النساء أيضاً.

وبالنسبة للتصوف فى الجامع الجديد الناصرى بمصر فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما ترجمة لرجل يقال له عبد الحميد لم يزد فيها على القول بأنه ولى مشيخة الصوفية بالجامع الجديد

بمصر إلى أن مات فى صفر سنة ثمان وعشرين (وثمانمائة) ذكره المقريزى هكذا فى عقوده(٥١).

وثانيتهما ترجمة عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث بن محمد بن يحيى المحيوى ابن النجم البكرى المصرى ثم الدمشقى قاضيها الذى عرف بابن عبد الوارث، ولد بمصر فى شعبان سنة (٨٢٤هـ) فحفظ واشتغل إلى أن «ولى مشيخة الصوفية بالجامع الجديد الناصرى ثم قضاء المالكية بدمشق وحمدت سيرته حتى مات فى جمادى الثانية سنة أربع وسبعين» (٥٢).

وبالنسبة للتصوف فى الصرغتمشية فلم نعثر على تراجم تشير إليه صراحة سوى ترجمة السخاوى لكافور الصرغتمشى الرومى الطواشى الزمام، احد عتقاء منكلى بغا الشمسى، أنشا تربة بالصحراء عرفت به «وعمل فيها خطبة وصوفية ووقف عليها عدة أوقاف، وكذا أنشا مدرسة بحارة الديلم من القاهرة وفيها أيضاً خطبة وصوفية» (٥٣).

وبالنسبة للتصوف فى المدرسة الفخرية فقد ذكر السخاوى ترجمة واحدة هى ترجمة عبد اللطيف بن عبيد بن أحمد العقبى الطلخاوى ثم الصحرواى القاهرى الشافعى، كان أبوه بواب التربة الناصرية فرج بالصحراء، حضر واستمع وأجيز له حتى «استنزل محمد بن الشمسى بن المرخم عن مشيخة الفخرية تصوفاً وتدريساً وباشرهما» (٥٤).

وبالنسبة للتصوف فى تربة باب القرافة فقد أورد السخاوى ترجمة واحدة هى ترجمة برقوق الظاهرى جقمق الذى كان من خواص السقاة، ثم تأمر فى الأيام الإينالية ورقاة الظاهر خشقدم وصار أحد المقدمين، جدد تربة بباب القرافة «وعمل فيها صوفية شيخهم ابن السيوطى بسفارة الموقع ابى الطيب السيوطى، ولى نيابة الشام ومات بحلب فى شوال سنة سبع وسبعين»(٥٥).

وبالنسبة للتصوف فى تربة قايتباى فقد ذكر الشيخ نجم الدين الغزى ترجمة واحدة هى ترجمة زكريا بن محمد بن زكريا الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الأنصارى السنيكى (نسبة إلى بلدة من الشرقية) المصرى الأزهرى الشافعى، ولد سنة (٨٢٣هـ) «جاءه مرة رجل شريف أسود من صوفية تربة قايتباى فقال ياسيدى خطفت عمامتى مات فى جمادى الآخر سنة سبع وعشرين وتسعمائة» (٥٦).

أما بالنسبة للتصوف فى السنقرية فلم نجد إلا ترجمة واحدة ذكرها الغزى أيضاً هى ترجمة سنطباى الشيخ المتصوف الذى قال عنه «أخذ نظر السنقرية بالقرب من خانقاة سعيد السعداء وأخرج ما كان فيها من طلبة العلم والصلحاء ووضع فى خلاويها الجلابقية وكانوا مريدين له يسجدون له ويقرّهم على ذلك، فرسم السلطان الغورى بنفية إلى القدس بعد أن زجره وقال له إنك تدعى إنك الصوفى المسلك وأنك زوكارى شيطان زغلى أخرج من مملكتى، وكان ذلك فى أوائل شوال سنة إحدى عشرة وتسعمائة» (٥٧).

الفصل الثانى

دراسة صوفية

الفصل الثانى

دراسة صوفية

كان من الضرورى ونحن نتكلم عن خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى أن نتحدث فى فصل من هذا الباب الذى خصصناه للدراسات التمهيدية وعرضنا فى فصله الأول لدراسة الخانقاوات من الناحية التاريخية أن يكون للناحية الصوفية فيه نصيب، لا سيما وأن هذه الناحية ذات علاقة لا تنفصم عمن عاشوا فى هذه الخانقاوات، وكان لهم من العموميات والخصوصيات ما لا يمكن فصله عن مذهب التصوف الذى اتخذوه منهجاً وسلوكاً ومعتقداً، فكان هذا المذهب رائدهم وموجه عاداتهم وإطار معتقدهم، وسينحصر حديثنا فى هذا المجال فى خمس نقاط رئيسية هى :

١- علم التصوف ونشأته.

٢- أصل كلمة صوفى .

٣- خرقة الصوفية وأزياؤهم وعوائدهم.

٤- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم.

٥- أعلام الصوفية وخوارجهم.

١- علم التصوف ونشأته :

التصوف لغة مشتق من الفعل الماضى «تصوف» أى لبس الصوف، على وزن تقمص إذا لبس «القميص»، وهو اصطلاحاً منهج مذهبى نهجته الحياة الروحية الإسلامية منذ بواكر نشأتها فى صدر الإسلام، وبهذا المعنى كان التصوف مرآة للحياة الروحية التى يخضع فيها المسلم نفسه لأنواع من الرياضة والمجاهدة، ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمجاهدة.

ويقوم هذا المنهج أصلاً عل ما اقتدى فيه المسلمون الأوائل بالنبى ﷺ من زهد ونسك، ويرد

مصدره إلى تحنثه صلوات الله وسلامه عليه فى غار حراء قبل البعثة، وإلى ما كان يأخذ به نفسه من عبادة وتهجد واعتكاف بعد البعثة، عندما كان يعتكف بمسجده فى المدينة المنورة فى العشر الأواخر من رمضان، وعندما كان يقيم الليل بالذكر والتعبد فى كل أوقات حياته حتى اعتبر الصوفية ذلك بأنه أعظم المنازل وأرفعها فى عشق الذات الالهيه وجعلوه ﷺ أول صوفى فى الإسلام.

ولكن هذا المنهج ما لبث بحكم دخول غير العرب فى الإسلام ولا سيما من الأمم ذات الحضارات القديمة أن اختلطت فيه عناصر دينية وفلسفية أحالت معها التصوف الذى كان يمثل الحياة الروحية الإسلامية الحقة ممثلة فى تصفية النفس وتطهير القلب إلى علم لبواطن الأمور ثم إلى فلسفة روحية استقت من مصادر شتى هندية وفارسية ويونانية ومسيحية حتى أنكر بعض علماء النفس التصوف من أساسه لأنه يقوم فى قسط كبير منه على إحساس ووجدان وكشف، وكل هذه أمور لا يمكن إدراكها على نحو ما صورها الصوفية أنفسهم لأنهم كثيراً ما لجأوا إلى الرمز والمجاز حتى كانت لهم لغتهم المستقلة التى لا يفهمها إلا الخاصة (٥٨).

ومع ذلك فقد تمضى فترة من الزمن إلى أن يكون لدينا تصور دقيق للجهود المبكرة التى مهدت لتصنيف كتب مستقلة فى الزهد والتصوف منذ منتصف القرن الثانى للهجرة، فعلى الرغم من أنه كان هناك اتجاه للزهد والتصوف فى صدر الإسلام، إلا أن قضية تدوين أقدم نصوص هذا الزهد لم تأخذ حقها من البحث والتحقيق بعد، باستثناء ما كتبه ماسينون (٥٩) وما أشار إليه ريتر من أقوال الحسن البصرى (٦٠) الذى كان واحداً من رواد التصوف الذين أطلق عليهم الزهاد الثمانية، وقد وصف أربعة من هؤلاء بالنساك والزهاد والعباد والبكاؤون بينما وصف الأربعة الآخرون بالفقهاء، ولم يذكر من هؤلاء وأولئك مؤلفاً إلا الحسن البصرى (٦١).

ورغم ما وصل الينا من بعض صحائف الزهد والتصوف للجيل الأول من هؤلاء العباد ممثلاً فيما ألفه زين العابدين على بن الحسين (ت: ٩٢هـ/٧١٠م) وما ألفه من الجيل الثانى الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣هـ/ ٨٥٨م) والحكيم الترمذى (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وغيرهما، فإن رسائل الحسن البصرى كانت ولا تزال هى أقدم ما نعرفه مما صنفه أولئك الصوفية الأوائل،

وكانت هذه الرسائل فى غالب الظن – عبارة عن مواعظ وخطب ووصايا وقصص ومسائل، ذكرها الجاحظ كمختارات من نصوص الزهد المبكرة فى فصل مستقبل من كتابه المعنون باسم «البيان والتبين» (٦٢) ثم كان بعد رسائل الحسن البصرى فيما يتعلق بنصوص الزهد المتأخرة ما ألفه عبد الله ابن المبارك (ت: ١٨١هـ/ ٧٩٧م) بعنوان «كتاب الزهد» إلى أن كانت أكبر المصنفات فى هذا الصدد فيما ألفه أبو نعيم الأصفهانى بعنوان «حلية الأولياء» وما الفه ابن العربى فى الفتوحات المكية وغيرهم(٦٣).

أما فى العصور المتأخرة فيمدنا السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) ببعض هذه المصنفات الصوفية ومنها «العباد والصوفية» لأبى عبد الرحمن السلمى «والرسالة» لأبى القسم القشيرى التى تشتمل على معظم أعلام الصوفية حتى زمانه، «الوحيد فى سلوك أهل التوحيد» (فى مجلدين) لعبد الغفار القوصى، «كتاب الصوفية» فى مجلد لابن الملقن الذى قال أنه جمع فيه طبقات الأعيان وأوتاد الأقطاب من كل قطر، طبقات الصوفية لابن الشرج اليمنى، بهجة الأسرار ولوامع الأنوار فى حكايات الصالحين العلماء والأخيار والصوفية الحكماء الأبرار لأبى الحسين بن جهضم وغيرها(٦٤).

وقد أدت هذه الصورة غير الواضحة عن الزهد والتصوف فى عصوره المبكرة إلى إتاحة الفرصة لشطحات الفكر ببعض الكتاب الغربيين حتى قال أحدهم فيما نقله آدم متزأن أقدم الكتب الصوفية التى وصلت إلينا وهى مصنفات الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣هـ/ ٨٥٨م) تدل على أنه تأثر بالنصرانية، وأن الحكيم الترمذى وهو من كبار شيوخ الصوفية الأوائل (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) كان يقول أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأولياء، وأن المملكة الإسلامية كانت فى ذلك العصر مملؤة بالكثير من المتصوفة الذين ادعوا الوصول إلى الاتحاد بالله(٦٥).

وفى تعليق جيد لمترجم هذا الكتاب على ما ذكره المؤلف فى هذا الصدد ولا سيما فيما يتعلق بعيسى عليه السلام يقول نقلاً عن ابن العربى فى الفتوحات المكية أن عيسى عليه السلام سينزل فى آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد ﷺ أو باطلاعه، وبهذه الصفة يكون عيسى فى رأى ابن العربى صاحباً أو تابعاً لخاتم النبيين محمد ﷺ وأفضل أمته(٦٦)، وقد نبه الحكيم الترمذى إلى

ذلك أيضاً فى كتابه «ختم الولاية» وشهد لعيسى عليه السلام بالفضيلة عن كبار الصحابة ثم قال المترجم «وقد ترجمت هنا كلام المؤلف لا بنصه بل بحسب الأصول العربية لأن ما يذكره من رأى الحكيم الترمذى فى مكانة عيسى بالنسبة لمحمد غير صحيح الأصول»(٦٧).

والغالب على الظن أن أول ظهور لطوائف الصوفية فى مصر كان كما قال الكندى والمقريزى وغيرهما فى نهاية القرن الثانى للهجرة حين ظهرت بالأسكندرية سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) أول جماعة للصوفية كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ترأس عليهم رجل قيل له أبو عبد الله الصوفى(٦٨)، ويبدو أن هذه الجماعة هى التى كانت تحيط بعيسى بن المنكدر الذى ولى قضاء مصر على عهد المأمون فى العصر العباسى، فكانوا يأتونه وهو فى مجلس الحكم يشتكون من ضياع الإسلام فيترك المجلس ويمضى معهم لتفقد شكواهم ثم لم يزالوا به حتى جعلوه يكتب للمأمون بما لا يرضيه فخلعه(٦٩).

كذلك فقد أضافت بعض المراجع العربية فى هذا الشأن أن قرب مصر من الحجاز كان قد جعلها مقصدا للثوار العلويين من ناحية، كما كانت مقصدا لفقهاء الأمامية الواردين من الكوفة أمثال أبو الفضل الصابونى، محمد بن الأشعث الكوفى أعظم فقهاء الإمامية وغيرهما من ناحية أخرى، وكان لهذا وذاك أكبر الأثر فى قيام مذهب الشيعة الأمامية فى مصر خلال القرن (٣ هـ/ ٩م) الذى كان من أبرز أئمته على بن ساباط المصرى(٧٠).

ومهما يكن من أمر فإن ما لدينا من مادة لا بأس بها فيما يتعلق بعلم التصوف ونشأته يقول كما ذهب البكرى أن هذا العلم علمان: أولهما «علم الظاهر» وهو معرفة الحقيقة عن طريق الرياضة والمجاهدة، والغرض من هذه الرياضة أن تتغلب النفس على الحس فينكشف لها الحجاب لتعرف الحقائق وتطلع على المغيبات، ولهذا قيل أن أبا القاسم الجنيد فى سؤال عن تعريف العارف قال: من يعلم ما فى نفسك من غير أن تتكلم، وقيل أن من يحصل له الكشف يطلع على كل شئ ما بطن منه وما ظهر، وما كان فى الماضى والحال أو كان فى الاستقبال، فالشريعة شجرة والطريقة أغصانها والحقيقة أزهارها والمعرفة أثمارها(٧١).

وفى هذا يقول ابن خلدون أيضاً أن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة

الإسلامية وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس والانفراد عن الخلق فى الخلوة للتعبد، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف رضوان الله عليهم، فلما اقبل المسلمون على الدنيا فى القرن الثانى للهجرة وما بعده اختص المقبلون على العبادة بالصوفية وأصبح إدراك الإنسان للعلوم على نوعين: أولهما إدراك العلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم ونحوه، وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والحب والغضب والصبر والشكر ونحوه، ومن هذا صار علم الشريعة على صنفين صنف اختص به الفقهاء وأهل الفتيا وتعلق بالأحكام العامة فى العادات والمعاملات وسمى بعلم الظاهر، وصنف اختص به القوم (يعنى أهل الصوفية) وتعلق بالمجاهدات والمحاسبات والمراقبات والرياضيات وسمى بعلم الباطن، فلما كتب أصحاب العلم الأول فى الفقه والأصول وعلوم الكلام والتفسير وغير ذلك كتب أصحاب العلم الثانى فى المجاهدة والورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك كما فعل القشيرى فى الرسالة والسهروردى فى عوارف المعارف والغزالى فى الإحياء ونحوهم، ومن هنا أصبح التصوف علما مدونا بعد أن كان طريقة عبادة فقط(٧٢).

ومهما يكن من أمر فإن ما قيل عن التصوف بشكل يقبله العقل والمنطق أنه تخلق وتحقق وتعلق، فالذى يناسب العموم من ذلك هو الوقوف عند مرتبة التخلق فيكون الغرض منه فى هذه الحالة هو تعليم الناس الآداب الشرعية وحملهم على العمل بها بالكيفية المرضية، وأما ما يناسب الخواص فهو الحصول على مرتبتى التحقق والتعلق(٧٣).

وإنه مبنى على ثلاث خصال هى التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق والبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار، وهو استرسال النفس مع الله سبحانه وتعالى على ما يريد، وهو ذكر مع اجتماع، ووجل مع استماع وعمل مع اتباع، وهو الدخول فى كل خلق سنى، والخروج من كل خلق دنى، أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة وكله آداب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن حفظ أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال من صنيع الأداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يرجو القبول(٧٤).

ويبدو أن مذهب الصوفية كان قد تأثر بمذهب المعتزلة حينما جعل الصوفية من مسألة

القدرية – وهى أهم النقاط عند المعتزلة – نقطة أساسية فى مذهبهم رغم قول المعتزلة بالقدر أو الجبر أو التوكل الذى لا اضطراب فيه، واعتماد القدر أو الجبر أو التوكل عند الصوفية على أنه ليس ذلك الاقتران الآلى بين الأسباب والمسببات، بل هو التوكل على الله والثقة المطلقة به وترك الأمر كله لمشيئته حتى أنهم قالوا أن العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء فلا يكون له حركة ولا تدبير، فكان مذهب الصوفية يقوم من ثم على أربعة أحوال هى التوكل والصبر والرضا والرجاء(٧٥).

أما مسألة الولاية التى ادعى بعض المستشرقين فيما نقله أدم متزأنها مذهب نصرانى غنوسطى، فكانت من المسائل التى أدخلتها الصوفية فى الإسلام بشكل قوى ظاهر على يد أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى المتوفى سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وكان من جرائها أن قوى اعتقاد الناس بالأولياء، يستوى فى ذلك من تقدم منهم ومن تأخر، وإن كانوا قد وضعوا الحسن البصرى على رأسهم جميعاً، ويبدو أن الصوفية بأصولها الثلاثة الكبرى ممثلة فى الاستسلام أو الجبر أو القدرية، وفى الولاية واجلال الأولياء والمريدين والأتباع، وفى تعظيم النبى ﷺ والعمل بسنته، قد رسمت فى القرنين (٣– ٤هـ/ ٩–١٠م) اتجاه الحركة الإسلامية التى كانت ولا تزال حتى اليوم(٧٦).

وفى هذا يقول ابن خلدون أن سلف الصوفية كانوا مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين بالحلول وإلهية الأئمة مما لم يعرض لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر عند المتصوف القول بالقطب وهو رأس العارفين لا يساويه أحد فى مقامه حتى يقبض فيرثه فى هذا المقام قطب آخر وهكذا، وهنا يقول ابن خلدون تعليقاً على ما ذكره ابن سينا فى الإشارات بقوله «جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد الواحد» أن هذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعى، وإنما هو نوع من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة بترتيب وجود الإبدال بعد هذا القطب وما يقوله الشيعة فى النقباء حتى أنهم لما أسندو خرقة التصوف ليجعلوها أصلاً لطريقتهم وتخليهم رفعوها إلى على رضى الله عنه، والمعروف أن علياً رضى الله عنه لم يختص من دون الصحابة بتخلية ولا طريقة فى لباس ولا حال، وكان الصحابة كلهم أسوة فى الزهد والمجاهدة،

وحتى سلف الصوفية الصالح لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب وما يتعلق بهذا النوع من الإدراك، إنما كان همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا، ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه فلا ينطق به وهكذا يكون حال المريد (٧٧).

على أن نقطة يجب ألا تغيب عن الذهن ونحن نتناول مفاهيم الصوفية وهى خلافهم مع العلماء والفقهاء ولا سيما فيما يتعلق بعلم الفقه، وفى ذلك يقول المكى المتوفى (٣٨٦هـ/٩٩٦م) أن مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم نهر فلا هى تشرب الماء ولا هى تركته يخلص إلى الزرع، وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله عز وجل، ومثل علماء السوء كمثل قناة الحسن ظاهرها حسن وباطنها نتن، ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى (٧٨).

وقد كان ذلك رداً على اتهام الفقهاء لهم بالكفر وفساد العقيدة والخطر على الإسلام مما حدا بالصوفية بالرد عليهم معتمدين فى ذلك على أصول العلم وفنون الجدل، فلجأوا إلى التأليف والتصنيف متخذين من العلم سلاحاً يردون به على أعدائهم ويدافعون من خلاله عن أنفسهم، كما اضطروا إزاء شدة اضطهاد الفقهاء ورجال الدين لهم إلى استعمال الرمز والإيحاء حتى لا يفهمهم إلا اتباعهم والراسخون فى علمهم (٧٩).

وقد فرق الصوفية بين المعرفة (أى علم الحقائق) وبين العلم (بمعنى العلوم المألوفة للناس)، يقول الحلاج المتوفى سنة (٣٠٩هـ/ ٩٢٢م) عجبا ممن لا يعرف شعرة من بدنة كيف تنبت سوداء أم بيضاء، كيف يعرف مكون الأشياء، من لا يعرف المجمل والمفصل، ولا يعرف الآخر والأول والتصاريف والعلل والحقائق والحيل لا تصح له معرفة من لم يزل (٨٠).

والذى لا شك فيه أيضاً أن مذهب الصوفية كان قد تأثر بمذهب الشيعة، يدل على ذلك ما أورده بعضهم من القول أن علياً رضى الله عنه كانت له من دون جميع أصحاب الرسول ﷺ خصوصية بمعان جليلة وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وخصال شريفة للتعلق والتخلق التزم بها أهل الحقائق من الصوفية (٨١).

ليس هذا فقط بل لقد ورد فيما نقله الشعيبى عن القاشانى المتوفى سنة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م) أنه كان لعلى كرم الله وجهه مقاماً سابقاً فى الزهد بين الخلائق، وكان ذلك سبباً فى تسمية كثير من العلويين مثل محمد بن يحيى ابن عبد الله بن محمد بن عمر ابن على ابن ابى طالب الذى قتله الرشيد محبوساً وأخوه إبراهيم الثائر بمصر سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م) الذى عرف بابن الصوفى، وزيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الذى عرف بالزاهد الناسك، عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الذى لبس الصوف، محمد بن جعفر الصادق الذى كان يخرج للصلاة بمكة فى مائتى رجل من الجارودية المتدثرين بثياب الصوف، بل لقد أخذ أوائل الصوفية عن أوائل الأئمة من العلويين، ومن ذلك إسلام معروف الكرخى المتوفى سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م) على يد الإمام على بن موسى الرضا المتوفى سنة (٢٠٣هـ/ ٨١٨م)(٨٢).

ومن هذا يتضح أن علم التصوف – كما يقول ابن خلدون فيما سبقت الإشارة إليه هو من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل على سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين من العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة إلى أن نشأ الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى الهجرى وما بعده فسمي المقلبون على الله باسم الصوفية أو المتصوفة.(٨٣) فكان التصوف بذلك فى أصله تعبير عن الرغبة فى إيجاد الصلة بين الخالق والمخلوق بواسطة التقوى والورع والزهد والتقشف والإعراض عن الثورة والجاه مما يهتم به عامة الناس، والانطلاق من ثم إلى عالم الروح والفضيلة واتباع الهدى.

والواقع أن المناخ السياسى والدينى الذى ساد الدولة الإسلامية منذ القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م) كان واحداً من أهم العناصر الأساسية التى ساعدت على انتشار الصوفية، بعد ما ابتلى العالم الإسلامى كله فى الشرق والغرب خلال القرنين المشار إليهما بنكبات متوالية يرجع السبب فى معظمها إلى تدهور نظم الحكم وضياع هيبتها ويأس الناس منها، فنزلهت بهذا العالم نكبات التتار من ناحية الشرق ونكبات المسحيين الغربيين من ناحية الأندلس، وظل الصليبيون قابعون فى منطقة الشرق الأدنى يمثلون خطرا مباشرا على البلاد الإسلامية، وتحول

عدوانهم فى الأندلس وبلاد الشام من غارات إلى غزو واحتلال، ومن ثم إلى تكوين ممالك نصرانية على أرض إسلامية، ووقفت دول الإسلام فى المغرب عاجزة لاتستطيع القيام بشئ يصون أنفس المسلمين ويحمى أموالهم، أما فى المشرق فقد ضاع الحزم كلية ووقف السلاجقة أمام العدوان الصليبى موقف العاجز، واتضع أمر الخلافة حتى لم يعد لها فى العالم السياسى وزن يذكر، حتى الفاطميين فى مصر لم يدركوا حقيقة هذا الغزو إلا فى وقت متأخر وخرجوا من ميدان هذا الصراع كلية بعد استيلاء الصليبيين على آخر معاقلهم فى عسقلان ودخلت دولتهم فى طور الاحتضار(٨٤).

يضاف إلى ذلك كله كثرة الفتن والاضطرابات واختلال الأمن والمجاعات والأوبئة مما دفع الكثير من عامة الناس إلى الدخول فى دائرة التصوف، وشجع على ذلك سلاطين المماليك الذين شاركوا عامة الشعب فى الصوفية والعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من كل هذه الخوانق التى أنشأوها وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة وأغدقوا منها الرواتب والجرايات على صوفيتها، مما كان له – على ما يبدو – أكبر الأثر فى صبغ الحياة المصرية بصبغة الزهد فى الدنيا والاتجاه للآخرة، وترتب على هذا الشعور فى النهاية نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس مما لا تزال بقاياه فى نفوس الكثيرين حتى اليوم (٨٥)، وأن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الصوفية وغيرها من الأنشطة الدينية التى اتخذت الصبغة الدينية فى عصر المماليك مظهراً لها كانت فى الواقع الستر التى أخفى وراءه حكام هذه الدولة ما كان قد عظم من أمورهم السيئة فى شتى المجالات من السلب والنهب والمصادرة والرشوة والسخرة والعقوبات والزنا واللواط وغيرها من الجوانب التى لم تحظ بعد بكتابات هادفة جادة توفيها حقها من البحث والدراسة.

فمن هذا المناخ العام لدولة الإسلام شعر المسلمون أنهم يقفون فى عجز كامل أمام أعداء لا يرحمون، فاتجهت قلوبهم ونفوسهم إلى الله سبحانه وتعالى يسألون الغوث للإسلام وأهله، والتفت قلوبهم حول طوائف الصوفية ونحوهم من الزهاد والعباد والأولياء، فازدادت أهمية هؤلاء

الناس وتنوعت أشياعهم وأشكالهم، وكان لهم فى ذلك ترتيب محكم أوله الأبدال (وهم أثنا عشر وليا) كلما توفى أحدهم استبدل الله سبحانه وتعالى به غيره، وثانيه الأقطاب (وهم رؤوس المعرفة ومفاتيحها) وثالثه الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ونشأ من هذا العصر الذهبى للتصوف (٨٦).

٢- أصل كلمة صوفى :

مما لا شك فيه أن هذه الكلمة كانت مصدر خلاف كبير بين الباحثين الذين تناولوا تلك النقطة فى كتاباتهم بالبحث والدراسة واستوى فى ذلك القدامى منهم والمحدثون.

يقول المقريزى فى القرن (٩هـ/١٥م) نقلاً عن أبى قاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى (٣٤٧هـ/١٤٠٥) أنه لم يكن للمسلمينْ على عهد رسول الله ﷺ من تسمية إلا «الصحابة» إذ لا فضيلة فوق صحبته صلوات الله وسلامه عليه، فلما كان العصر الثانى سمى من صحب الصحابة «بالتابعين» وهكذا، ولم ير هؤلاء وأولئك أشرف من هذه المسميات فاتخذوها (٨٧).

فلما اختلف الناس وتباينت المراتب عندهم ولا سيما بعد أن اتسعت مملكة الإسلام وأقبل الناس على الدنيا قيل لخواصهم ممن عنوا كثيراً بأمر الدين «الزهاد والعباد»، ثم ظهرت البدع الدينية وحصل التداعى بين الفرق فادعى كل فريق أن منهم زهادا وعباداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون لأنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون لقلوبهم عن ظواهر الغفلة باسم «الصوفية» واشتهر هذا الإسم لهؤلاء قبل المائتين من الهجرة (٨٨).

وغلبت هذه التسمية على تلك الطائفة من خواص أهل السنة الذين انقطعوا للزهد والتقشف فقيل للرجل «صوفى» وللجماعة «صوفية» ومن يتوصل منهم إلى ذلك يقال له «متصوف» وللجماعة «متصوفة» ورغم أنه لا يشهد لهذه الصفة من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، ورغم أن الأظهر فيه أنه كان كاللقب، إلا أنه يغلب على الظن أنه من الصوف من قولهم «تصوف» إذا لبس الصوف قياساً على قولهم تقمص إذا لبس القميص، وقد فصل البكرى المتوفى سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) فى كتابه «نشأة التصوف والصوفية» القول فى هذا المجال فذكر ما قيل

من أن هذه التسمية نسبت إلى أهل الصفة فى مسجد رسول الله ﷺ وبين أن النسبة إلى الصفة لا تجيء على وزن «صوفى» وإنما تجيء على وزن «صفى» ثم أورد ما قيل من أنها نسبت إلى «الصف المتقدم» بين يدى الله سبحانه وتعالى فبين أن النسبة إلى الصف لا تأتى على وزن «صوفى» وانما على وزن «صفى» وما قيل من أنها نسبت إلى «الصفوة» من خلق الله فأوضح أن النسبة فى هذه الحالة لا تأتى على وزن «صوفى» وانما تأتى على وزن «صفوى».

ليس هذا فقط بل لقد أورد ما قيل من أنها نسبت إلى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة (وهى قبيلة من العرب جاورت بمكة فى الزمن القديم) ورد عليه بأن هذا السند ضعيف لأن هذه القبيلة لم تكن مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب فى زمن الصحابة والتابعين أولى، ولأن أغلب من تكلم فى الصوفية لا يعرف من هذه القبيلة أحداً ولا يعقل أن تنسب الصوفية إلى قبيلة جاهلية لا وجود لها فى الإسلام.

وانتهى البكرى فى ذلك إلى القول بأنها نسبت إلى لبس الصوف، وكان أول ظهورها فى البصرة لأن أول من بنى دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد أبن زيد احد صحابة الحسن البصرى، والمعروف أنه كان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ما لم يكن فى سائر الأقطار الإسلامية، حتى قيل «فقه كوفى وعبادة بصرية»، وخلص البكرى من ذلك إلى أن التصوف مأخوذ من لبس الصوف رغم انكار القشيرى نسبة الصوفية للصوف، ورغم عودته إلى القول بصواب ما قاله أبو الريحان البيرونى من أن التصوف مأخوذ من الكلمة الأعجمية «سوفيا» ومعناها الحكمة (٨٩).

ويغلب على الظن أن الجاحظ البصرى كان أول من استعمل هذه الكلمة عند حديثه عن النساك (٩٠) ثم عم استعمالها فى أواخر القرن (٢هـ/ ٨م) وأوائل القرن (٣هـ/ ٩م) حين شاعت الكلمة فى بلاد ما بين النهرين ولا سيما الكوفة، وسرعان ما عرف بها صوفية الإسلام بصفة عامة فى بلاد ما بين النهرين وفى غيرها، حتى أصبحت هذه الكلمة صفة يميز بها السالكون طريق الله من خواص المسلمين عن غيرهم من عامة المتدينين وعلماء الظاهر (٩١).

وهكذا يتضح أنه رغم أختلاف الباحثين فى أصل هذه الكلمة – كما أشرنا – إلا أن شبه

المتفق عليه أنها مشتقة من «الصوف» الذى اختص الصوفية بلبسه تمييزاً لهم عمن يلبسون فاخر الثياب ممن فتنتهم الدنيا، حتى قيل أن الصوفى هو من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى (٩٢)، ومن هنا كان الصوف لباس المتقدمين من سلف الصوفية لكونه أقرب إلى التواضع والزهد من ناحية، ولكونه لباس الأنبياء عليهم السلام ومنهم موسى وعيسى ويحيى ومحمد من ناحية أخرى، والتزم التابعون من الصوفية بلبسه، بل كانوا يحرصون على ترقيعه لما عرفوه من أن النبى ﷺ كان يرقع ثوبه، وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى صارت المرقعة عنواناً عليهم (٩٣).

٣- خرقة الصوفية وأزياؤهم وعوائدهم:

يقول الشعرانى فيما يتعلق بخرقة التصوف أنه إذا ارتبط أحد من الصوفية بشيخ من مشايخها وأصبح من مريديه ألبسه الشيخ خرقة التصوف، ومن هنا تصبح العلاقة بين المريد وشيخه على صورة الميت فلا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه (٩٤)، وليت الأمر كان قد اقتصر عند هذا الحد، بل لقد بالغ بعض مشايخ الصوفية فى عصر المماليك بما لا يقبله عقل فى هذا الشأن، يدل على ذلك ما ذكره ابن الحاج من أن هؤلاء الشيوخ كانوا يشترطون على مريديهم ألا يبقى لهم مع شيوخهم تصرف فى مال ولا زوج ولا نفس (٩٥)، حتى أصبح إخلاص المريد لشيخه ينحصر كما يقول الشعرانى فى مدوامته على حضور مجلسه فإذا انقطع المريد يوما لزلة وقعت منه أو لأى سبب من الأسباب عد هذا الانقطاع طلاقاً رجعياً بينه وبين شيخه، وللشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمته لا تزال باقية (٩٦).

ويبدو أن العلاقة بين المريد وشيخه بعد أخذ العهد وإلباس الخرقة كانت قد تخطت المرحلة الدنيوية إلى المرحلة الأخروية أيضاً، يدل على ذلك ما ذكره كل من السخاوى وابن تغرى بردى من أن كثيراً من الصوفية كانوا قد حرصوا على أن يدفنوا بجوار مشايخهم وأوصوا إلى أهليهم بذلك ومنهم من اتخذوا قرافات خاصة بهم أحاطوها بأسوار حتى لا يشاركهم فيها غيرهم (٩٧).

وقد فصل البكرى كيفية إعطاء العهد وإلباس الخرقة فقال أن الطالب أو المريد إذا جاء ليأخذ العهد على شيخه كان يؤمر بالوضوء ثم بصلاة ركعتين لله تعالى بنية التوبة والإنابة

الخالصة، ثم جلس المرشد أو الشيخ على سجادته مستقبلاً القبلة جاثيا على ركبتيه بكل الأدب والخشوع، ويجلس الطالب أو المريد أمامه فيقرأ الشيخ الفتحة ثلاثاً ويأخذ بيد المريد ثم يقرأ قول الله عز وجل «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»، (٩٨) ثم يقول للمريد قل «استغفر الله العظيم» «استغفر الله العظيم» «استغفر الله العظيم» الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، تبت إلى الله ورجعت إلى الله ونهيت نفسى عما نهى الله، ورضيتك شيخاً لى ومرشداً لطريقة سيدى القطب الولى (ويسميه) فهذا الطريق طريقى وهذا المنهج منهجى وهؤلاء الإخوان إخوانى والطاعة تجمعنا والمعصية تحول بيننا والعهد عهد الله واليديد سيدنا رسول الله ﷺ والبيعة بيعة شيخنا وسيدنا السيد العارف القطب (ويسميه) والله على ما نقول وكيل، فإذا ما انتهى الشيخ من ذلك والمريد يردده خلفه قال له وأنا أقمتك مريداً بهذه الطريقة فاسمع منى كلمة التوحيد بطريقة التلقين تلقفها منى كما تلقفتها من مشايخى، وحينئذ يغمض الشيخ عينه ويقول (لا اله إلا الله) ثلاثاً ثم يقولها المريد بعده ثلاثاً أيضاً، فإذا أتمها دعى له الشيخ بالتوفيق والإخلاص والبركة بما يفتح الله عليه من دعاء الخير ويختم دعاءه بالفاتحة(٩٩).

والذى لا شك فيه أن عهد التصوف وإلباس الخرقة لم يزل على الصلاح مازال السلف على جادة الطريق وصحته، ثم ما لبث أن انحدر من الحقائق إلى الظواهر حتى قال بعضهم نقلاً عن ابن الجوزى أن الزهد كان فى بواطن الأمور فصار فى ظواهر الثياب، وكان الزهد حرقة فصار اليوم خرقة، ويحك صوف قلبك لا جسمك وأصلح نيتك لا مرقعتك(١٠٠).

وقد امدنا كل من ابن بطوطة وابن حجر والسخاوى ببعض من لبسوا خرقة التصوف فيقول ابن بطوطة – فيما نقله الدكتور حسين مؤنس – بعد أن وصل إلى القدس الشريف ووصفه وصفاً مفصلاً وذكر مزاراته وأسماء من لقيهم فيه من الفضلاء ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرزن الروم، وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعى الذى قال عنه «صحبته ولبست منه خرقة التصوف وكان ذلك على الطريقة الرفاعية(١٠١)».

وذكر ابن حجر فى هذا الصدد مسعود بن عبد الرحمن بن صالح الجعبرى الذى لبس

خرقة التصوف من القطب القسطلانى وقال أنه عمر نحوا من تسعين سنة ولبس الخرقة منه جماعة من شيوخنا ومات بالجيزة سنة (٧٥٥هـ/١٣٥٤م) (١٠٢).

أما من ذكرهم السخاوى فمنهم إبراهيم بن محمد بن داوود بن شمس بن رستم بن عبد الله البرهان أبو اسحاق الشمبارى ثم المكى الشافعى الزمزمى (نسبة لبئر زمزم التى كان يلى أمرها كأبيه) ولد فى جمادى الأولى سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) بمكة وقرأ فى التصوف ولبس خرقته من الزين الحافى والغزالى وأذنا له فى إلباسها (١٠٣)، ومنهم أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن شمس المدنى الحنفى الأخوى، ولد فى جمادى الأولى سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م)، كان يدخل الخلوة الأيام البيض من كل شهر مدة سنتين ... لبس من العفيف المطرى وابن جماعة الخرقة الصوفية وهى فرجية من صوف أزرق (١٠٤)، ومنهم أحمد بن موسى بن أحمد ابن على الشهاب اليمنى المشرع ولد سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) وتفقه قليلاً ثم صحب إسماعيل بن أبى بكر بن الشيخ إسماعيل الجبرتى ولبس منه الخرقة (١٠٥).

هذا فيما يتعلق بخرقة التصوف وعهده، أما فيما يتعلق بأزياء الصوفية وعوائدهم وأرزاقهم، فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير من المعلومات الهامة فى هذا الصدد ومنها فيما يتعلق بأزيائهم أنهم كانوا يعتمدون كما يقول ابن الجوزى إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد فيها على لون فيجعلونها خرقاً ويقطعون من كل ثوب قطعة ويخيطون هذه القطع بعضها مع بعض ويعملون منها ثوباً يسمونه مرقعة، ومنهم من كان يلبس الصوف تحت ثيابه ومن كان يلبسه فوق ثياب لينة على جسده، وبذلك تميزت طبقات الصوفية بلبس الثياب الصوفية المرقعة مع فوطة مدلاة على رؤوسهم، وكانوا يفضلون اللون الأزرق ربما لكونه لون حداد أو لكونه زياً يلائم الرجال أكثر من غيره من الألوان، أما الزهاد منهم فقد لبسوا الملابس الخشنة ذات الأشكال البسيطة واتخذوها من القماش الرخيص الثمن، وكان منهم من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة، ومنهم من لم يكن له سوى ثوب واحد زهداً فى الدنيا، وإن أمكن اتخذ ثوباً آخر للجمعة والعيدين، ومنهم من لبسوا الخفاف الحمر شهرة، وإن كان ذلك كله لم يمنع بعضهم من أن يلبس الثياب المرتفعة الثمن كما فعل أبو العباس بن عطاء الذى لبس المرتفع من البز والديبقى وسبح بمسبحة من اللؤلؤ (١٠٦).

ومنها فيما يتعلق بعوائدهم أنه كانت لهم داخل زواياهم آداب خاصة وقواعد مرعية ولا

سيما فى طعامهم وصلاتهم ومع الوافدين عليهم (من البلاد الخارجية) ويوم الجمعة، وانحصرت هذه العوائد فيما يختص بطعامهم – وفقاً لما أشار إليه ابن بطوطة – فى قيام خادم الزاوية أو الخانقاة بمقابلة الصوفية كل صباح ليعين له كل منهم ما يشتهيه من الطعام، فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل منهم خبزه ومرقه فى إناء على حده، وطعامهم مرتين فى اليوم ولهم الحلاوة من السكر فى كل ليلة جمعة، وفيما يختص بصلاتهم أن يجلس كل منهم على سجادة مختصة به، وإذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الملك وسورة عم، ثم يؤتى بنسخ القرآن مجزأة فيأخذ كل صوفى جزءاً ويختمون القرآن ويذكرون، ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق، ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر، وفيما يختص بالقادمين عليهم من البلاد الخارجية أن يأتى القادم إلى باب الزاوية أو الخانقاة فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق فيعلم البواب بمكانه فيخرج إليه ويسأله من أى البلاد أتى وبأى الزوايا نزل فى طريقه ومن شيخه، فإذا تأكد من صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته فى موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضؤ ويأتى إلى سجادته فيحل وسطه ويصلى ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر معه ثم يقعد مع الحاضرين، وفيما يختص بعوائدهم فى يوم الجمعة أن يأخذ الخادم جميع سجاجيدهم فيذهب بها إلى المسجد ويفرشها لهم هناك، ثم يخرج الصوفية من خانقاتهم مجتمعين ومعهم شيخهم، وعندما يأتون المسجد يصلى كل منهم على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرأوا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين مع الشيخ إلى زاويتهم مرة أخرى (١٠٧).

وقد لخص البكرى أعمال الصوفية فى عملين جليلين: أولهما هداية المسلمين بمعنى تعليمهم وإرشادهم، وثانيهما هداية غير المسلمين للإسلام بمعنى إدخالهم فى الدين، ولهذا وجب فى رأيه أن يكون فى الأمة رجال أقاموا أنفسهم معلمين ومرشدين، وهؤلاء هم الصوفية أصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان فى سائر الأصقاع والبلدان، ولهم فى ذلك على الخاصة والعامة الفضل والسلطان، وتراهم فى إفريقيا وأواسط آسيا وفى الأقطار الهندية وجزر المحيط والبلدان الصينية يدعون للإسلام ويدخلون الناس فيه أفواجاً (١٠٨)، ليس هذا فقط وانما كانت لهم داخل خانقاواتهم أعمال كثيرة منها التدريس والدراسة والنسخ والوعظ والقضاء والميقات والقراءة والشهادة ونحو ذلك (١٠٩).

من الأوقاف المرصودة لهذه الخانقاة أو تلك، ومنها وضع من يقوم بالتدريس فيها من المشايخ والفقهاء، فقد شرط صلاح الدين مثلا لنجم الدين الخبوشانى الذى تولى مشيخة الخانقاة الصلاحية ولمن يأتى بعده أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنانير عن النظر فى الوقف شهريا، بالإضافة إلى ستين رطلا من الخبز وراوتين من ماء النيل يوميا حتى اضطربت الأوقاف فخفضت هذه الأرزاق إلى الربع(١١٠).

كذلك فقد أشار المقريزى إلى أنه كان يصرف لكل صوفى فى اليوم رطلا من لحم الضأن المطبوخ، وأربعة أرطال من الخبز النقى، علاوة على أربعين درهما ورطلا من الحلوى ورطلين من زيت الزيتون ومثله من الصابون فى كل شهر، ليس هذا فقط بل كان يصرف لكل منهم ثمن الكسوة فى كل سنة، وتوسعة فى رمضان وفى العيدين ومواسم رجب وشعبان وعاشوراء، وكلما ظهرت فاكهة صرف له مبلغ لشرائها، يضاف إلى ذلك كله أنه كان بكل خانقاة خزانة للأشربة والأدوية يصرف منها مرضى الصوفية ما يصفه لهم أطباؤها من الطبائعيين والجرائحيين والكحالين(١١١).

كذلك كان يفرق عليهم أول كل رمضان كيزان الماء الجديدة والأشنان لتنظيفها وتنظيف قدورهم بعد تبيضها، كما يعين لهم بالحمام حلاق لتدليك أبدانهم وقص شعورهم، فكان المنقطع بذلك لا يحتاج إلى شىء آخر، وكفى بذلك شاهداً على ما أحدثته الخانقاوات فى المجتمع باسم الدين، وزاد الطين بلة أن انتشار الفقر والفاقة بين الناس فى أواخر عهد الدولة المملوكية أن أقبل كثير منهم على التصوف فضمت الخوانق كثيراً من الدخلاء الذين أقبلوا على هذه الحياة ليس رغبة فى الانقطاع للزهد والعبادة وإنما فراراً من قسوة هذه الحياة ورغبة فى بسطة العيش دون عناء، وهنا ظهر بين الصوفية من شغلتهم الدنيا فانصرفوا عن الذكر والعبادة إلى البحث عن المال والمتاع فى ظل الأوقاف الواسعة التى تمتعت بها الخوانق حتى وجد من هؤلاء الصوفية من ارتبط بأكثر من خانقاة طمعا فى المال دون غيره، حتى أصبح هؤلاء – كما قال المقريزى – «ولا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى»(١١٢)، وهنا كانت الكارثة عندما اجتمع فى مجالس الصوفية الأراذل وأصحاب المغانى والملاهى فأخذوا أموال الوقف ليصرفوها فى اللهو والمسكرات حتى نسب إليهم قولهم (حشيشة الفقراء) فوقعت مسئولية نشر هذه الآفة الاجتماعية بين الناس على

كاهلهم(١١٣).

٤- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم:

لقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير من المعلومات الهامة عن صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم فيقول ابن خلدون أن للصوفية إدراكات وإدارات وأحوال ينشأ بعضها من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة، فكل مريد فى مجاهدته وعبادته لابد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال إما أن تكون نوعاً من العبادة فتصبح مقاما للمريد، وإما أن تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور ونحوه، ويظل المترقى يرقى من حال إلى حال حتى ينتهى إلى التوحيد والمعرفة التى هى الغاية المطلوبة للسعادة، وإذا وقع خلل فى النتيجة فإن مرده لابد وأن يكون إلى تقصير حدث فى الحال الذى قبله ولهذا يحتاج المريد دائماً إلى محاسبة نفسه(١١٤).

وقد اتخذت الصوفية فى ذلك العصر اصطلاحات خاصة بهم منها مثلاً الروح الأعظم التى تشير إلى العقل الأول، وروح المضاف التى تشير إلى النفس الكلية، والرياضة التى تشير إلى تهذيب الأخلاق النفسية إلى غير ذلك من الاصطلاحات الكثيرة التى عرفت عنهم(١١٥)، حتى قيل أن الطريقة هى عبارة عن الفضائل المكتسبة التى هى المقامات، وأن أوضاع الصوفية هى الأحوال التى تبدأ بمرحلة إنكار الذات والفقر والصبر والتوكل على الله، لأن المريد هو الذى يضع أعمال القلب فوق أعمال الحواس وهو الذى يجعل النية فوق العمل(١١٦).

وغالباً ما كان يتبع المجاهدة كشف الحس – لأصحاب الخلوة والذكر والإطلاع – على عوالم من أمر الله، وهو ما يسمى بالكرامات، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، ويبدو أن الصحابة رضوان الله عليهم كان حظهم من هذه الكرامات – على ما كان لهم من المجاهدة – عظيم، لكنهم لم يهتموا بهذه الأشياء، إلا أن المتأخرين من الصوفية قد غالوا فى هذه الدائرة فذهبوا إلى القول بالحلول والوحدة مع الله سبحانه وتعالى كما فعل الهروى وابن العربى وابن سبعين وتلاميذهم مثل ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلى وغيرهم.

أما ابن جبير فيذكر مجمل ما كان يتصف به أهل الصوفية فى زمنه فيقول أنهم الملوك بهذه البلاد (أى البلاد التى زارها) لأن الله قد كفاهم مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خاطرهم لعبادته

من الفكر فى أسباب المعايش، وأسكنهم فى قصور تذكرهم بقصور الجنان، وهم على طريقة شريفة وسنة فى المعاشرة عجيبة(١١٧)، وسيرتهم فى التزام الخدمة غريبة، وعوائدهم فى الاجتماع للسماع جميلة، وهم أهل أدب ومعرفة وترتيب أمورهم عجيب لأن حياة الصوفى الحقة كانت قد قامت على أساس من التقشف فى الملبس والمأكل وغير ذلك من أمور الدنيا مما عبر عنه العارف بالله إبراهيم الدسوقى فيما ذكره الشعرانى بقوله «أن قوته الجوع ومطره الدموع ووطره الرجوع»(١١٨)، وقد نقل المقريزى عن السهروردى أن – الصوفى الحق هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم، ويقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه، ويستر ما ينبغى أن يستر، ويظهر ما ينبغى أن يظهر، ويأتى بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص(١١٩)، وعلى أساس من هذه الأخلاقيات والعبادات عرفت قبور من دفن من أوائل الصوفية بقرافة مصر – كما قال ابن ظهيرة – باستجابة الدعاء لمن يدعو عندها ولا سيما ذى النون المصرى(١٢٠).

وعند الإمام الغزالى رحمه الله أن التصوف أمر باطن لا يمكن ضبط الحكم بحقيقته، بل يمكن ضبطه بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف، والتفصيل فيه أن الصوفى يتصف بخمس صفات هى الصلاح والفقر وزى الصوفية وألا يكون مشتغلاً بحرفة وأن يكون مخالطاً للقوم (الصوفية) بطريقة المساكنة(١٢١).

وإذا كنا نتفق مع بعض الصفات التى ذكرها الغزالى فى هذا الصدد ولا سيما الصلاح والمساكنة، فإننا نختلف معه فيما ذكره من الصفات الأخرى ولا سيما الفقر وانعدام الحرفة لأن الإسلام فى حقيته لا يحبذ الفقر ولا يرضاه للإنسان المسلم إلا إذا كان قضاء من الله سبحانه وتعالى، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولنا أن نتصور حال أمة الإسلام لو كان كافة أهلها فقراء يعيشون عالة على بقية الأمم يتكففونهم مخالفين بذلك ما قاله رسولهم الأعظم ﷺ فيما نقله الزبير بن العوام رضى الله عنه من حديث يقول «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله به وجهه خير له أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(١٢٢)، وما روى عن ثانى الخلفاء عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حين قال إذا عرفت الرجل سألت عنه أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عينى.

فالإسلام فى حقيقته يدعو للعمل ويحبب فيه حتى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال فيما نقله المقداد بن معد يكرب ما معناه «ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده» (١٢٣) وقوله ﷺ من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له (١٢٤)، وفوق هذا وذاك فنحن نعرف أنه لا رهبانية فى الإسلام ولا انقطاع لعبادة بغير عمل، ومن هنا كان التصوف الذى عرفته خانقاوات مصر المملوكية ولاسيما فى عصرها المتأخرة ليس من الإسلام فى شئ، بل هو بدعه ابتدعها السلاطين والأمراء لحاجات فى أنفسهم، وساعدهم عليها مرتزقة لبسوا خرق هذا التصوف بين سواد من الخلق لا يعرفون الحقيقة فصدقوهم.

يؤيد ذلك ما قاله المقريزى فى هذا الصدد نقلاً عن السهر وردى رحمه الله من أن قوماً من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا إليهم وما هم منهم فى شيء بل هم فى غرور وغلط، يتسترون بلبسة الصوفية توقياً تارة ودعوة أخرى، وينتهجون مناهج أهل الإباحة، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى، وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة، وتلك رتبة العوام والقاصرين فى الأفهام، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد، ثم أضاف إلى ما ذكره السهروردى قوله «ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى :

ما شروط الصوفى فى عصرنا اليو   م سوى ستة بغير زيادة
وهى (٠٠) العلوق والسكر والسط   لة والرقص والغناء والقيادة
وإذا ما هذى وأبدى اتحاداً   وحلولاً من جهلة أو إعادة
وأتى المنكرات عقلاً وشرعا   فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة

ثم قال «وتلاشى الآن (أى على عهده فى القرن ٩هـ/١٥م) حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى» (١٢٥).

هذا عن صفات الصوفية وأحوالهم، ولا سيما المتقدمين منهم والمتأخرين، أما عن طوائفهم

وطوائفهم فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير منها، فى مقدمته ما ذكره البكرى من أن مصر تشتمل على نحو من أربعين طريقة من الطرق الصوفية، واتخذ من ذلك مدخلاً لمحاولة الوصول إلى تعداد هؤلاء المتصوفة فى مصر بقوله أنه لو أن لكل طريقة نائب واحد فى كل مركز من المراكز التى لا يقلّ عددها عن مائة مركز، ولو كان لكل خليفة مائة مريد فقط لحصل من ذلك نحو أربعة ملايين نفس هم جمهور الصوفية فى مصر⁽١٢٦⁾.

والحقيقة أن الصراع بين الفقهاء والمتصوفة فيما أشير إليه كان قد أسفر بالنسبة للصوفية عن تكون فرق كانت أشبه ما تكون بالأحزاب، ثم اتخذت كل فرقة من هذه الفرق لنفسها بعض الأسس والمبادىء والأصول، وكان من نتيجة ذلك أن ظهر لكل فرقة شيخ وأتباع، ومن هنا أصبحت الصوفية كما قال المناوى وغيره صوفية جماعية بعد أن كانت صوفية فردية⁽١٢٧⁾. وبذلك كثرت أعداد فرق الصوفية وأصبح أتباعها يكونون قطاعاً هاماً فى المجتمع له تقاليده ونظمه وخصائصه، فكان ضرورياً من ثم أن تنشأ الخوانق لمثل هذه الجماعات والفرق.

وهكذا انقسم الصوفية فى مصر إلى فرق عديدة لكل منها كما ذكر ابن خلكان شيخها وشعارها فالأحمدية التى نسبت إلى السيد أحمد البدوى مثلاً كان شعارها اللون الأحمر، والرفاعية التى نسبت إلى ابى العباس أحمد الرفاعى كان شعارها العمائم السوداء⁽١٢٨⁾، وقد جرت العادة فى عصر المماليك أن تصدر تولية شيخ الطائفة الصوفية كما قال ابن إياس من السلطان، فيخلع عليه بالقلعة وينزل منها فى حفل كبير يحيط به سائر فقراء طائفته⁽١٢٩⁾.

ولم يقتصر الأمر بالنسبة لطوائف الصوفية على الأحمدية والرفاعية وغيرهما فى مصر، بل كانت هناك طوائف أخرى كثيرة فى بلاد أخرى من العالم الإسلامى منها مثلاً السقطية والقادرية فى بغداد، أولا هما فى القرن (٣هـ/٩م) نسبة إلى السرى السقطى، وثانيتهما فى القرن (٦هـ/١٢م) نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى (ت: ٥٦١هـ/ ١١٦٦م)، والشاذلية فى شمال إفريقية فى القرن (٧هـ/ ١٣م) نسبة إلى الشيخ الشاذلى (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٨م)، والكرامية (نسبة إلى محمد بن كرام السجستانى المتوفى بالشام وغيرها) ⁽١٣٠⁾.

والخلاصة – كما قال البكرى فى نشأة التصوف – أنه كان لكل طريقة من هذه الطرق

الصوفية شيخ جاوز الخمسين لغة وبلغ رتبة أهل الفضل والكمال اصطلاحاً، وهو عند الصوفية المرشد وصفته أنه المربى الدال على الله بأقواله وأفعاله وأحواله، ولابد لتلقى الطريق لمن يريد عن الشيخ المرشد، حتى إنهم قالوا من لم يعرف له أبا فى الطريق فهو دعى، وشيخ المريد هو أبو الروح عنده وهو أفضل له من أبى الجسد، لأن أبا الجسد سبب الوفاة وأبا الروح سبب الحياة ولذلك قال بعضهم .

أفضل شيخى عن أبى فى حقوقه وإن كـــان بالإيجـاد لى قــد تسـببا
فهذا إلى الدنيـا دعانى ودلنى وهذا إلى الأخرى هدانى وحببا (١٣١)

أما أعلى طبقات الصوفية شأناً فهو الولى وهو كما قال البكرى أيضاً ذو معنيين أولهما أن الله سبحانه وتعالى يتولى أمره فلا يكله إلى نفسه، وثانيهما أنه هو الذى يتولى عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته فيجريها على التوالى من غير عصيان، ومن شروطه أن يكون محفوظاً كما أن من شروط النبى ﷺ أن يكون معصوماً، حتى قيل أنه إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يوالى عبداً من عبادة فتح عليه باب الذكر، ثم فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم أدخله فى دار الفردانية، ثم كشف له عن الجلال والعظمة فيما عرف بالكرامات التى أجازها أهل السنة وأنكرها أهل المعتزلة (١٣٢).

٥- أعلام الصوفية ومجاذيبهم :

مما لا شك فيه أن الصوفية هم أصحاب فن المناجاة الذى تمثل فى حب الذات الإلهية، ومن أروع ما يذكر فى هذا المجال تلك الصورة التى وصفها الصوفية لبكاء داوود عليه السلام وهو يناجى ربه، فذكروا أنه بكى أربعين يوماً وهو ساجد لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وغطى رأسه، وهنا ناداه الله سبحانه وتعالى بقوله: ياداوود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر خوفه، فأنزل الله عليه التوبة والمغفرة، فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه فكان لا يبسط يده لطعام أو لشراب إلا رآها فأبكته حتى قال له الله سبحانه وتعالى ياداوود اسمع منى والحق أقول: أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وأن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك(١٣٣).

والواقع أن صوفية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى كانوا قد وضعوا أسس نظرية التصوف وجملة طرقه وقواعده، وكان على رأس هؤلاء أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الذى عرف بذى النون المصرى (ت: ٢٤٦هـ/٨٦١م) وكان كما قال ابن ظهيرة أول من عبر عن علوم المنازلات وحدث عن مالك ابن أنس والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم، فكان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً (١٣٤) وقد ولد ذى النون المصرى سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م) بأخميم من صعيد مصر من أب نوبى، ثم سار إلى مكة والشام يحاول الوصول إلى رياضة نفسه بالزهد والتصوف مع المحافظة على إطار أهل السنة فاجتمع له كثيرون من الأتباع والمريدين حتى خشى المتوكل الفتنة بسببه فقبض عليه وسجنه فى بغداد، ثم أطلقه وأعاده إلى مصر فاهتم بالطب والكيمياء حتى توفى سنة (٢٤٦هـ/٨٦١م) وقد قسم ذو النون المعرفة إلى ثلاثة أقسام أولها خط مشترك بين عامة المسلمين، وثانيها معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء، وثالثها العلم بصفات التوحيد، وهو خاص بالأولياء الذين يرون الله بقلوبهم، فجاء ذو النون بذلك إلى العالم الإسلامى بفكرة المعرفة (GNO-SIS)، وهى الإدراك الذى تتأتى منه حالة الوجد الإلهى مختلفة بذلك عن المعرفة الفكرية التى تتأتى من الدرس والعلم (١٣٥).

وعلى ذلك فقد ظل ذو النون المصرى قرابة قرن من الزمان قبلة متصوفى العالم الإسلامى، ولا سيما الإيرانيين منهم، حتى كانت أولى سياحات المتصوفة الإيرانيين إلى مصر على عهده(١٣٦).

ومما لا شك فيه أن كثيرين من مشايخ الصوفية فى المشرق العربى كانوا قد تأثروا بالتصوف المصرى الذى وضع ذو النون وأبو بكر الزقاق أساسه، وعلى ذلك نما مذهب الصوفية فى بغداد وكان نموه سريعاً متتابعاً على يد مجموعة من صوفيتها يأتى على رأسهم أبو حمزة محمد إبراهيم الصوفى البغدادى (ت: ٢٦٩هـ/٨٨٢م) الذى كان أول من تكلم فى اصطلاحات الصوفية المتعلقة بالذكر والمحبة والعشق والقرب والأنس ونحوها (١٣٧).

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى حمل تلاميذ السرى السقطى مذهب الصوفية البغداديين إلى كثير من أنحاء الدولة الإسلامية، فحملها موسى الأنصارى (ت:٣٢٠هـ/ ٩٣٣م) إلى خراسان، والروزبارى (ت: ٣٢٢هـ/٩٣٤م) إلى الفسطاط ومصر، وابو زيد الأدمى

(ت: ٣٤١هـ/٩٥٢م) إلى جزيرة العرب (١٣٨)، ومع ذلك فقد ظلت كل من بغداد والبصرة على طرفى نقيض فى أمر التصوف كما كانتا على طرفى نقيض فى أمر اللغة وعلم الكلام، فعلى حين ظلت بغداد أكبر مركز للصوفية بشكلها العام، ظلت البصرة أكبر مركز للزهاد والعباد الذين استطاعوا أن يضموا الحسن البصرى إلى صفهم، وقد ردوا علمه وزهده إلى حذيفة بن اليمانى ومن ثم إلى رسول الله ﷺ، وقد روى أن النبى ﷺ اختص حذيفة من بين الصحابة بعلوم منها علم معرفة النفاق والمنافقين وعلم خفايا اليقين (١٣٩).

وظل هذا الجيل المتقدم من الصوفية حاملاً لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بغيرة الأتقياء وحرصهم على حياة الجماعة الإسلامية مما جرهم إلى معارضة السلطان أحياناً، وامتاز عصر هؤلاء بازدهار الصوفية وذيوع صيت شعرائها من أمثال محمد بن سعيد البوصيرى (ت:٦٩٦هـ/١٢٩٦) الذى ذاعت بردته سائر أنحاء العالم الإسلامى وكان أعظم شعراء المتصوفة، عمر بن على بن مرشد بن الفارض (١١٨١-١٢٣٥هـ/١٧٦٧-١٨١٩م) وغيرهما (١٤٠). كما امتاز هذ العصر بذيوع صيت بعض أقطابها فى البلاغة والبيان والآداب من أمثال ابن عطاء الله السكندرى والحلاج ومحيى الدين بن عربى والسهروردى وغيرهم(١٤١).

ثم جاء بعد هؤلاء الإمام الغزالى الذى استطاع بيراعته وصدق إيمانه أن يحبب التصوف لأهل السنة عندما جعل منه طريقا روحيا للمعرفة اليقينية والسعادة الحقيقية لأنه أرجع كل حركات الصوفية الظاهرة والباطنة إلى نور مشكاة النبوة الذى ليس وراءه على ظهر الأرض نور يمكن الاستضاءة به، فكان التصوف على يديه أسمى من علم الكلام الذى لايزيل شكا وأسمى من الفلسفة التى لاتحقق يقينا(١٤٢).

ومع ذلك فقد اختلط التصوف الذى انتهى على يد الغزالى إلى طريق المعرفة والسعادة مخالفا لطريق المكتلمين والفلاسفة ولاسيما فى القرنين (٦- ٧هـ/ ١٢- ١٣م) بعناصر كلامية وفلسفية، فاصطبغت الأذواق والمواجيد الصوفية الحقة بصبغة المذاهب الفلسفية، مما كان له أثر بالغ فى ظهور الفلسفة الصوفية التى نادى بها السهروردى فى حكمته الإشراقية، وابن عربى فى وحدته الوجودية، وابن الفارض فى حبه الإلهى ووحدته الشهودية، وابن سبعين فى وحدته المطلقية وغيرهم.

إلا أ نه أعقب هؤلاء الصوفية المتفلسفين طائفة أخرى وقفت بالتصوف عند حدود الشرح والتعليق على ما ورد فى مصنفات المتقدمين من أعلام الصوفية وكان على رأس هذه الطائفة عبد الغنى النابلسى وعبد الرازق القاشانى الذى شرح نصوص الحكم لابن عربى والتائية الكبرى لابن الفارض.

ثم اعقب هؤلاء طائفة ثالثة كان أبرز سماتها رغم تأثرها بالمتقدمين من سلف الصوفية أنها وضعت مذاهبهم فى صور جديدة وأضافت إليها عناصر مستحدثة لتساير بالمذهب التطور الذى كان قد حدث على العصر كما فعل عبد الوهاب الشعرانى وعبد الكريم الجيلانى وغيرهما(١٤٣).

وكان القرن (٧هـ/١٣م) من أكثر القرون التى شهدت نزوح كثير من الصوفية إلى مصر ولا سيما أبى الحسن الشاذلى وابى العباس المرسى والسيد أحمد البدوى وغيرهم (١٤٤).

وعلى الجملة فقد اشتهر بالصوفية – كما يقول البكرى – كثير من أئمة الإسلام وأعيان العلماء والسلاطين والملوك والوزراء والأمراء، فعرف من الصوفية من أهل العلم والفضل شيوخ الإسلام العز بن عبد السلام وابن حجر وبدر الدين بن جماعة وابن دقيق العيد وابن زكريا الأنصاوى وغيرهم، ومن الأئمة الحافظ المنذرى وابن الحاجب وابن الصلاح وابن شداد (شيخ صلاح الدين الذى جعل داره خانقاة للصوفية من بعده) والفيروزابادى (صاحب القاموس المحيط) وغيرهم، ومن مشايخ الأزهر الشريف الشيخ الحنفى والشرقاوى والعروسى والباجورى والمهدى العباسى وغيرهم، ومن الملوك والسلاطين صلاح الدين يوسف بن أيوب والظاهر بيبرس والظاهر برقوق والأشرف قايتباى وغيرهم (١٤٥).

ورغم ما كان للصوفية الأوائل من قيمة روحية ومكانة اجتماعية لحفاظهم على نهج الصوفية الحقة التى اتخذت من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هدفاً، ومن ترك الدنيا والعمل للأخرة منهجاً، ومن الزهد والتقشف ومجاهدة النفس سلوكاً، فقد جاء بعدهم من خرجوا على ظاهر القرآن بالتأويل البعيد لإثبات دعواهم، فاشتركوا فى ذلك مع الشيعة الذين حاولوا تأويل كثير من الأسماء التى وردت فى القرآن الكريم بأسماء اشخاص، فقالوا أن بقرة موسى هى عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، وأن الجبت والطاغوت هما معاوية وعمرو بن العاص، فكان هؤلاء

وأولئك طبقاً لما ذكره ابن قتيبة هم الرافضة فى الإسلام (١٤٦).

ويبدو أن الأغانى الروحية العاطفية التى عرفها صوفية الصدر الأول كانت السبب الذى أدى فى القرن (٥هـ/١١م) إلى ازدياد الرقص والغناء أثناء الذكر عند اللاحقين من المتصوفة، حتى ظن عوام الصوفية أن مذهب التصوف يقتضى ذلك مما أدى إلى مخالطة هؤلاء للمجاذيب، وكان ذلك من أكبر آفات الصوفية فى عصرنا المتأخر، يؤيد هذا ما ورد فى بعض المراجع العربية من أن حياة الصوفية لم تلبث أن تغيرت فى أواخر عهد المماليك من الصلاح إلى الفساد فتخلى أصحابها عن النظم والآداب التى عرفوا بها بين الناس، فصارت أذكارهم – كما قال ابن الحاج – بصوت مسموع ومن ثم سميت السماعات (١٤٧) ولم تلبث أن أصبح الدف والمزمار والرقص والتصفيق من المظاهر الأساسية لتلك السماعات، فإذا دب مع المتصوف الطرب قليلاً حرك رأسه كما يفعل أهل الخمر، ثم إذا تمكن منه الطرب ذهب حياؤه ووقاره (١٤٨).

وكان من نتيجة ذلك أن نشأت طائفة المجاذيب أو الدراويش التى اشتهرت – كما تروى المصادر العربية بكثير من العادات والأفعال التى لم يكن لها من قبل وجود (١٤٩).

الفصل الثالث

دراسة أثرية معمارية

الفصل الثالث

دراسة أثرية معمارية

يشتمل حديثنا فى هذه الدراسة الأثرية المعمارية للخانقاوات على أربع نقاط رئيسية هى :

١- عمارة الخانقاة وخصائصها.

٢- المنشآت التابعة للخانقاة.

٣- الخانقاوات الدارسة.

٤- الرباط والزاوية والتكية.

١- عمارة الخانقات وخصائصها :

تكلمت المراجع العربية الحديثة كثيراً عن عمارة المدرسة فى الطراز المملكى، ورغم الفيض الهائل من المعلومات التاريخية والأثرية التى سجلتها تلك المراجع فى هذا الشأن ألا إنها ضنت علينا بما يشفى الغلة فيما يتعلق بالخانقاوات، ومع ذلك فإننا لا نجد اختلافا كبيراً بين تخطيط المدرسة وتخطيط الخانقاة لأن الشكل العام لكليهما كان واحدا تقريباً فيما عدا بعض الاختلافات المتعلقة بسكن الصوفية وبقية المنشآت الخدمية الصغيرة كالمطبخ والحمام وخزانة الأشربة والساقية ونحوها مما اعتاد منشئوا الخانقاوات بناءه لتلبى منشآتهم كافة الاحتياجات الحياتية للمنقطعين فيها.

والذى لاشك فيه أن عصر دولة المماليك (البحرية والبرجية) الواقع بين سنتى (٦٣٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) كان من أزهى عصور التشييد والبناء فى مصر، حيث بنى هؤلاء المماليك خلاله العديد من الأبنية المختلفة الأغراض مثل المساجد والمدارس والخانقاوات والأضرحة والتكايا والوكالات والأسبلة ونحوها، وكلها أبنية تنوعت زخارفها فى شتى جزئياتها من واجهات ومنارات وقباب وغيرها، وتشابهت مخططاتها كثيراً حتى أن الفرق بين تخطيط المسجد والمدرسة والخانقاة لم يكن جوهريا، إذ كانت كلها تشتمل على صحن تحيط به أربعة إيوانات فى

الجهات الأصلية الأربعة معقودة متقابلة اختلفت كبرا وصغرا باختلاف العصر وما درج عليه معماريوه، وإن ظل إيوان القبلة فيها هو أكبر الإيوانات وأهمها.

والواقع أن التخطيط فى عمارة مساجد الإسلام الأولى الذى هو أصل كل التخطيطات فى العمارة الإسلامية تقريبا كان تخطيطا بسيطا روعى فيه أن يلبى فقط حاجة المسلمين لمكان يؤدن فيه صلاتهم، ويتدارسون فيه أمر دينهم ودنياهم ولم تكن تعنيهم فى هذا التخطيط أمور التعقيد المعمارى أو تضخيمه، ولا أمور تنميقه أو تزيينه، وظل الأمر على ذلك فى الغالب إلى أن جاء سلاطين السلاجقة فى القرن (٥هـ/١١م) بعمارة المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب أهل السنة فأنشئت العمائر التى جمعت بين المسجد والمدرسة، وامتازت هذه العمائر عن المساجد الأولى بما أضيف إلى تصميمها من ملحقات شيدت لتكون سكنا للشيوخ والطلبة ممن كانوا يدرسون المذاهب الفقهية الأربعة فى هذه المداس كلها أو بعضها.

وقد روعى فى تصميم المدرسة الإسلامية بصفة عامة أن تشتمل على صحن مكشوف أو مغطى تحيط به أربعة إيوانات فى شكل متعامد، وكانت الأركان الواقعة بين ضلعى هذا الشكل تشتمل على المدخل والسلم الذى كان يوصل إلى الأدوار العلوية وما فيها من مساكن للشيوخ وللطلبة وملحقاتها، ونظرا لما أتى به هذا النظام فى المدارس من سهولة رؤية الإمام وسماع الخطب عنه فى المساجد ذات الأكتاف الضخمة مثل ابن طولون ونحوه، فقد راعى المعمار المسلم بعد ذلك أن يبنى المساجد على هذا النمط منذ القرن (٧هـ/١٣م) تقريبا (١٥٠)، وقد أدى ذلك إلى أن يزيد فى مساحة البناء ليكون مسجدا ومدرسة فى آن واحد حتى أصبح من العسير تماما على أى باحث أن يطلق على المبنى إحدى هاتين التسميتين دون الأخرى، وكثيراً ما كان يضاف إلى هذه وتلك ضريحا للمنشئ أو سبيلا وكتابا، وقد استخدم هذا النظام فى الخانقاوات أيضاً ولم يكن بينه فى هذه وتلك – كما قلنا – فارق جوهرى يذكر.

ويغلب على الظن – كما يقول كونل – أن مصر كانت قد عرفت نظام المدارس ذات الإيوانات الأربعة عن طريق الشام فى عهد صلاح الدين، كما عرفت الأضرحة ذات القباب عن طريق غرب التركستان فى عهد المماليك ثم انتفعت – على مايدو – بكل من هذين الطرازين فى تصميم المسجد والمدرسة والخانقاة دون تغيير يذكر فى عمارة المسجد التى كانت سائدة فيها قبل

دخول هذين العنصرين، إلا أنه عندما شاع تصميم المدرسة فى عمارة المماليك وسع المبنى تبعا لذلك حتى يمكن استعماله مسجدا ومدرسة فى آن واحد، وهو أمر كان من نتيجته – مراعاة لأهمية إيوان القبلة – أن تم تصغير الإيوانين الجانبيين حتى اصبحا مثل حنيتين بجانب الايوانين الشرقى والغربى⁽١٥١⁾.

وقد أعطى لين بول تفسيرا طيبا لهذه الظاهرة حين قال أنه لم يكن فى مصر من المذاهب الأربعة سوى اثنين فقط هما المذهب الشافعى والمذهب الحنفى ومن ثم لم تكن هناك حاجة الى الاحتفاظ بأربع قاعات وأربع ايوانات وقد شاعت هذه الصورة المعدلة بهد ذلك الى حد كبير فى عمارة الشراكسة⁽١٥٢⁾.

أما فيما يتعلق بالخانقاة فقد ورد فى بعض المراجع العربية أن تصميمها المعمارى يمكن أن ينقسم الى ثلاثة أنواع هى: الجامع الخانقاة، والمدرسة الخانقاة، والقبة الخانقاة، وأن الجامع الخانقاة كان يحتوى على صحن مكشوف أو مغطى حسب الحالة تحيط به أورقة من جميع الجهات أو بعضها على أن يكون رواق القبلة أكبرها، وتقع خلاوى الصوفية فى هذا الجامع الخانقاة خلف القبلة، وقد تشغل طابقا أو طابقين أو تصل الى أربعة طوابق، وأحسن أمثلة هذا الطراز خانقاة سعيد السعداء والبندقدارية والشيخونية والبرقوقية بجبانة المماليك⁽١٥٣⁾.

أما بالنسبة للمدرسة الخانقاة فقد ورد أن طراز العمارة الاسلامية كان قد شهد منذ العصر الايوبى ميلاد طراز معمارى جديد هو طراز المدرسة التى لاءم تخطيطها أداء وظيفتين هما تدريس المذاهب الأربعة وتأدية شعيرة الصلاة، لذلك وجد المعمار نفسه مضطرا لترك الأروقة الأربعة لكى يلتقى كل شيخ بتلاميذه فى واحد منها، وعلى هذا الاساس وافق نظام المدارس المعمارى الخانقاوات تمام الموافقة خاصة وأن هذه الخانقاوات كانت قد أصبحت منذ العصر المملوكى معاهد دراسية الى جانب كونها دورا للصوفية، وكانت خلوات المتصوفة تكتنف الايوانات الأربعة فى طوابق عليا مثلما كان الحال فى الخانقاة الجاشنكيرية بيبرس، أو تكتنف ايوانا واحدا أو أكثر من ايوان مثلما كان الحال فى الخانقاة البرقوقية بالجمالية، أو تكون منفصلة عنها تماما بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة مثلما كان الحال فى الخانقاة الاينالية بقرافة المماليك⁽١٥٤⁾.

أما بالنسبة للقبة الخانقاة فقد ورد أن هذا الطراز من الخانقاوات كان قليل الوجود فى العصر المملوكى، وكان من الممكن أن تسمى نماذجه بالزاوية لولا أنها كانت تشتمل على خلاو للصوفية، ومن المعروف أن القباب كانت قد اقيمت أصلا على المقابر والأضرحة فى سامرا منذ القرن (٣هـ/٩م) خلال العصر العباسى ثم انتقلت إلى غيرها من بلاد العالم الإسلامى، أما فى مصر فقد أقيمت القباب منذ العصر الفاطمى على أضرحة أل البيت (رضوان الله تعالى عنهم) التى عرفت بالمشاهد، إلا أن القبة فى العصرين الأيوبى والمملوكى كانت قد أصبحت ظاهرة معمارية مكملة للجامع أو المدرسة لما اعتاده منشئوا هذه الأبنية من إقامة أضرحة لهم فيها، ثم انفصلت بعض هذه القباب أو المدافن عن الجامع والمدرسة منذ القرن (٨هـ/١٤م) لكى تلحق بها مجموعة من الخلوات للصوفية حتى تكون خانقاة بذاتها مثلما كان الحال فى خانقاة خوند طغاى الناصرية(١٥٥).

أما ما ذكر عن المدرسة الخانقاة من أن خلوات الصوفية فيها كانت تكتنف إيواناتها الأربعة أحيانا، أو تقع خلف إيوان واحد منها أو أكثر أحيانا أخرى، أو تكون منفصلة عنها بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة أحيانا ثالثة، فإننا نضيف إليه أن هذه الخلوات كانت تقع أحيانا رابعة فى دور أرضى أسفل المدرسة فلا تعلو ولا تجانب مثلما كان الحال فى المدرسة الخانقاة التى أنشأها بحارة برجوان القاضى أبو بكر مزهر الأنصارى سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٤م)، والمدرسة الخانقاة التى أنشأها بميدان القلعة – الأمير جوهر اللالا سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) وغيرهما.

أما بالنسبة لما ورد عن القبة الخانقاة فمن المعروف أن الصلاة لا تجوز فى الأضرحة أو القباب شرعاً، وخير دليل على ذلك أن الأضرحة والمشاهد الفاطمية لم تكن مكانا تقام فيه شعائر الصلاة رغم اشتمالها جميعا على كثير من المحاريب حتى فى المشهد الواحد وبذلك تكون تسمية «الزاوية الخانقاة» أكثر انطباقا وتلاؤ ما من تسمية «القبة الخانقاة» لأن الزاوية هى فى الواقع مسجد صغير ولا يمنع فى هذه الحالة أن تلحق بها قبة للمنشئ وخلوات للصوفية أو لا تلحق، أما القبة فهى فى الأصل ضريح لأن كل الأضرحة المعاصرة كانت تغطى بقبة حتى طغى الجزء على الكل وأصبح ذكر القبة يعنى ضمنا وجود ضريح فيها.

والخلاصة أن الخانقاوات كانت منشآت معمارية خصصت لإقامة أعداد من الصوفية والأساتذة والمشرفين (تكثر أو تقل حسب إمكانية المنشئ) لفترات زمنية طويلة تكاد تكون شبه دائمة، وقد راعي المعمار المسلم ذلك جيدا عند تخطيط الخانقاة فجعل منها ملحقات أساسية لا غنى لأية خانقاة عنها، وأخرى إضافية ذات صلة بالمهمة التى أنشأت من أجلها، ومع ذلك فلم يمنع هذا من وجود بعض الاختلاف فى التخطيط المعمارى للخانقاة، فنجد فى بعض الخانقاوات عناصر وملحقات قد لا نجدها فى خوانق أخرى، ومهما يكن من أمر فالذى لاشك فيه أن مساكن الصوفية كانت من أهم أساسيات تخطيط الخانقاة وقد روى فيها أن تكون بمنأى عن الطريق العام كسبا للهدوء وكانت تتألف من طباق متراصة فى صفوف متوازية أطلق عليها «رباط أو ربط» وكانت غالبيتها من النوع المعروف بالطباق الحبيس أى الغرفة التى لافتحات فيها وإن لم يمنع هذا من وجود بعض الفتحات أحيانا فى بعضها تغشيها مصعبات من خشب الخرط أو من الأرماح والخرزات الحديدية.

هذا فيما يتعلق بعمارة الخانقاة وتخطيطها، أما فيما يتعلق بخصائصها الفنية فهى كثيرة، وقد أفاضت علينا المراجع العربية فى هذا الشأن بفيض من المعلومات الهامة مؤداه أن المميزات الفنية لعمارة الخانقاة وغيرها من منشآت المماليك كانت تنحصر بالنسبة للواجهات فى استمرار ما بدأه الفاطميون من ظاهرة تتابع مداميك هذه الواجهات الأفقية باللونين الأحمر والأصفر مما عرف بنظام المشهر أو من تتابعها باللونين الأسود والأبيض مما عرف بنظام الأبلق، وفى وجود حنايا أو تجاويف رأسية طويلة تحيط بالأبواب والشبابيك وتنتهى بقرنصات عملت على ما يبدو لإحداث التوازن الفنى بين هذه الخطوط الأفقية، وفى وجود أشرطة من الزخارف والكتابات القرآنية والتاريخية، وفى تتويج هذه الواجهات بشرافات مسننة أو مورقة، ليس هذا فقط، بل لقد حرص المعمار المسلم فى كثير من الحالات – حتى لا يكون التنظيم العمودى أقوى تأثيرا – ألا يكون مدخل المدرسة أو الخانقاة فى وسط واجهتها وانما جعلهما فى ركن من أركان هذه الواجهة حتى لا يطغى أى منهما عليها(١٥٦).

وقد امتازت واجهات الخانقاوات كغيرها من عمائر المماليك بخاصية وضع المداخل الخارجية داخل تجويفات رأسية شاهقة عميقة تنتهى عادة بطاقية مخوصة ذات عقد ثلاثى

الفصوص محمولة على مقرنصات أحيانا أو على نصف قبة مخموسة أحيانا أخرى، وغالبا ما كانت تمتد هذه التجويفات إلى نهاية ارتفاع الواجهات ونادرا ما كانت تزيد عليها، كما كان من المعتاد أن يكتنف هذا الباب مكسلتان (مصطبتان) حجريتان مزخرفتان تذكران بما عرف عن مداخل عمائر قونية بصفة خاصة أو مداخل العمائر السلجوقية فى آسيا الصغرى بصفة عامة(١٥٧).

أما المآذن التى كانت واحدة من أهم ما ميز واجهات العمائر المملوكية بما فى ذلك الخانقاوات، فالذى لا شك فيه أن هذه المآذن كانت قد أصبحت أكثر رونقا وجمالا عن ذى قبل سواء من حيث التفاصيل المعمارية الدقيقة التى امتازت بالرشاقة وجمال النسب أو من حيث الزخارف البديعة المختلفة، يدل على ذلك من الناحية المعمارية مثلا أن المعماريين أدمجوا هذه المآذن بالواجهات بحيث لا يكون لها وهى قائمة فى إحدى زاويتى الواجهة أو كليتهما قاعدة، ويدل عليه من الناحية الفنية ذلك القسط الوافر من التوفيق الذى أصابه المعماريون حينذاك فى تجميل هذه المآذن بالطاقات والحنايا والمقرنصات والخوذات المضلعة أو المستديرة التى تحملها أكتاف أو أعمدة رشيقة، بالإضافة الى كسوة قمتها أحيانا بالقاشانى أو تلبيس بدن دورتها الأولى بالرخام، يضاف إلى ذلك ما نشأ فى مصر منذ النصف الثانى من القرن (٨هـ/١٤م) من منارات ذات رؤوس مزدوجة مثل مئذنة الغورى بالجامع الأزهر وغيرها(١٥٨).

وعلى عكس المآذن التى لم يبالغ فى ارتفاعها كانت القباب العظيمة الرابية فوق هذه المنشآت المملوكية مما ساعد على تدرج الصورة الظلية خارج المنشأة وداخلها، على أن صغر حجم هذه القباب يؤكد أن نية معماريى هذه الحقبة لم تكن موجهة – على ما يبدو – إلى الاقتراب من شكل القباب الكبيرة الهائلة المتسلطة فى مركز البناء بقدر ما كانت موجهة لتحقيق ما يوحى للنفس المتعبدة بالهدوء والسكينة، والمعروف أن القبة الصغيرة التى كانت تبنى فوق المحراب أو فوق المدخل كانت – فى غالب الظن – هى أقصى ما استطاع المعمار قبل عصر المماليك أن ينجزه باستثناء القبة العظيمة التى بناها الأيوبيون فوق ضريح الإمام الشافعى رضوان الله عليه(١٥٩).

واذا ما انتقلنا من الحديث عن خصائص الواجهات والمداخل والمآذن والقباب فى عمارة المماليك من المساجد والمدارس والخانقاوات الى خصائص أى من هذه المنشآت الفنية الداخلية،

لقلنا أنها امتازت بالعديد من الزخارف، فكان للإيوانات ذات السقوف المسطحة عوارض خشبية مذهبة ذات أفاريز من الجص المنقوش بشتى العناصر الكتابية والزخرفية، ولم يعد المحراب ينقش بالخشب أو الجص كما كان قبل المماليك وإنما أصبح يغشى بأشرطة الرخام الملون أو بقطع الفسيفساء الجميلة التى تكون غالبا العديد من عناصر الزخرفة الهندسية، كذلك فضل للمنبر أن يصنع أحيانا من الرخام ليرتبط بالبناء ارتباطا وثيقا، وقد استتبع ذلك التغيير فى خامات بناء العناصر المعمارية الداخلية تغييرات أخرى حيث لعب الرخام الملون دوره باقتدار فى تغشية الحوائط ولا سيما الوزرات، وتطورت أشغال النجارة فظهر إلى جانب الأويمة الدقيقة الخرط والتطعيم بالسن والعاج والصدف والأبنوس والزرنشان فى المنابر والأبواب والشبابيك والكتيبات، بل لقد لعبت التغشية برقائق المعادن ذات الكتابات والزخارف النباتية والهندسية دورا هاما فى زخرفة أبواب هذه المنشآت(١٦٠).

كذلك كانت المقرنصات أو الدلايات (stalactites) من أكثر عناصر زخرفة هذه العمائر داخليا وخارجيا، وكانت هذه عبارة عن حلية معمارية تشبه خلايا النحل، وترى فى هذه العمائر مدلاة فى طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض، وكانت تستعمل أحيانا أخرى للتدريج من شكل إلى آخر ولا سيما من الشكل المربع إلى الشكل الدائرى الذى غالبا ما قامت فوقه القباب، كما قامت فى أحيان أخرى مقام الكوابيل حين تتخذ أسفل دورات المؤذن فى المنارات، وقد بدأ استخدام هذه الحلية المعمارية فى العمارة الإسلامية اعتبارا من القرن (٥هـ/١١م) وزاد الإقبال عليها بعد ذلك حتى أصبحت من أهم مميزات هذه العمارة، واختلفت أشكالها باختلاف الزمان والمكان حتى بلغت أوج عظمتها فى قصر الحمراء بغرناطة، وكان الأصل فى هذه الحلية هى الطاقية المقعرة فى ركن كل حجرة مربعة يراد أن يبنى فوقها رقبة، ثم تطورت المقرنصات بمضاعفة عدد حطاتها حتى وصلت فى عمائر المماليك أحيانا إلى تسع حطات، وهو تطور لم تصله فى عمارة مصر من قبل(١٦١).

وأخيرا كانت خلوات المتصوفة فى عمارة الخانقاوات – كما قلنا – عبارة عن حجرات صغيرة تفرش ببلاطات من الحجر الجيرى وتغطى بعد ذلك بالحصير، وقد تحتوى بعض هذه الخلوات على مصاطب ترتفع أرضيتها بعض الشئ، أما عن سقوفها فكانت تتألف أحيانا من أقبية نصف دائرية وتستعمل جلسات نوافذها المنخفضة كمصاطب للقراءة، وغالبا ما كانت توجد فتحة أعلى بابها ذات حاجز من خشب الخرط للتهوية والإنارة كما كانت تلحق بهذه الخانقاوات ولا سيما فى الطوابق العليا قاعات للشيوخ وغرف للمدرسين ومسئولى الإدارة(١٦٢).

وقد جرت العادة عند الفراغ من بناء الخانقاة أو المسجد أو المدرسة أن ينزل إليها السلطان أو الأمير فى جمع حافل من الأمراء والفقهاء والقضاة والأعيان، ويمد سماط زاخر بمختلف الأطعمة ليأكل الجميع منه ثم يخلع السلطان أو الأمير (صاحب المنشأة) على كل من أسهم فى البناء من المهندسين والمعلمين والبنائين بل والفعلة، ويعين للخانقاة أو المسجد أو المدرسة موظفيها من الشيوخ والمدرسين والفقهاء والمؤذنين والقراء والفراشين ونحوهم (١٦٣).

وقد أدت كثرة هؤلاء الموظفين أحيانا إلى نهب أموال أوقاف هذه المنشآت ولا سيما الخانقاوات، يؤيد ذلك ما ذكره ابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/١٥م) من أن مباشر أوقاف الظاهرية برقوق (فى شهر جمادى الآخرة سنة ٨٧٥هـ) كان قد «ظهر فى جهته للوقف ألف دينار فتوزعها هو وشمس الدين الانبابى وإمام الأمير الذى هو ابن إمام الشيخونية وصيرفى المدرسة وهو فى الترسيم وقاسى أضعاف ما فعل بابن البلقينى والجزاء من جنس العمل»(١٦٤) ليس هذا فقط بل إنه مما أشار إليه فى ذكره لحوادث نفس الشهر أن القاضى عز الدين البلقينى الشافعى «ضرب من الأمير جانى بك الظاهرى أمير آخور علقة على مقاعده لأنه كان باسمه تصوفا بالظاهرية برقوق وأن مباشرى الوقف كانوا يصرفون لمن يختارون من الصوفية ويمنعون من ذلك من يختارون فطلبه الأمير إلى القلعة فكلمه القاضى بكلام فيه إساءة ففعل فيه ما ذكر»(١٦٥).

٢ - المنشآت التابعة للخانقاة :

الواقع أن ما لدينا من مادة أثرية تاريخية يثبت أن عمارة الخانقاوات لم تقتصر فى عصر المماليك على كتلة الخانقاة ذاتها، وإنما اشتملت على كثير من المنشآت الأخرى ذات الأغراض المتعددة مما كن له ارتباط وثيق بمتطلبات المنشئ ممثلا فى القبة الضريحية ومتطلبات الصوفية ممثلا فى خلواتهم وخزانة أشربتهم وأدويتهم وحمامهم وساقيتهم ومطبخهم، بالإضافة إلى متطلبات الصدقات الجارية التى حرص عليها منشئوا هذه الخانقاوات، ولا سيما الأسلبة والكتاتيب.

أ - القبة الضريحية :

قال رسول الله ﷺ - فيما رواه البخارى ومسلم «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١٦٦) وقال «أولئك النصارى اذا كان فيهم الرجل الصالح (أى مات) بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور (يعنى الأقونات) أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة»(١٦٧) وقد اتفق أهل السنة على أن النهى عن اتخاذ القبر مسجدا يلزم منه النهى عن بناء المسجد عليه، لا فرق فى ذلك بين بناء المسجد على القبر أو إدخال القبر فى المسجد، فالكل حرام لأن المحذور واحد، فلو بنى إنسان مسجدا بقصد أن يدفن فى بعضه دخل فى اللعنة، ومعنى ذلك أن الدفن فى بعض المسجد حرام، وإن شرط المنشئ أن يدفن فى مسجده لا يصح شرطه لما فى ذلك من مخالفة صريحة لما نهى عنه الرسول ﷺ، وبهذا يمكن القول أن المسجد والقبر لا يجتمعان فى الإسلام شرعا لأن النهى صريح عن بناء المساجد على القبور حتى ولو كان دفناؤها من الأنبياء والصالحين، واتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك، بل ذهب الشافعية الى أنه كبيرة من الكبائر(١٦٨).

كانت تلك مقدمة ضرورية للحديث عن القباب أو الأضرحة التى قل أن نجد مسجدا أو مدرسة أو خانقاة من عمائر العصر الذى نتحدث عنه دون أن يكون بها ضريحا للمنشئ، وقد وقعوا بذلك فيما حذر منه الرسول ﷺ رغم أنهم قصدوا منه أن يكون رحمة لهم ومغفرة لخطاياهم وقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

ويغلب على الظن أن أصل القبة فى الإسلام كان قد أخذ عن القباب الساسانية فى إيران والقباب البيزنطية فى الشام، ثم أقبل المسلمون على استخدامها فى الأضرحة بشكل رئيسى منذ

القرن (٣هـ/٩م) حتى طغت تسمية الجزء على الكلل وصار لفظ القبة يعنى ضريحا(١٦٩).

وأقدم المدافن التى عرفت فى الإسلام هو مدفن الصليبية فى سامرا الذى دفن فيه المنتصر بالله العباسي المتوفى سنة (٢٤٥هـ/٨٦٢م) ثم تلاه مدفن اسماعيل السمانيد المتوفى سنة (٣٠٣هـ/ ٩٠٧م) فى بخارى وغيرهما، أما فى مصر فكان أول مدافنها هو مدفن آل طباطبا الذى يرجع تاريخه الى سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٣م) فى العصر الإخشيدى وتلاه مدفن السبع بنات (٤٠٠هـ / ١٠١٠م) ثم صار المدفن فى العصرين الأيوبى والمملوكى عبارة عن بناء مستقل له مدخل يقابل المحراب مثلما حدث فى مدفن الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) ومدفن الخلفاء العباسيين (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) ومدفن شجرة الدر(٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) وغيرها، إلى أن جمع المدفن مع المدرسة لأول مرة فى مدرسة الصالح نجم الدين (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩ – ١٢٥٠م) وق أدى هذا الاهتمام المتزايد بالمدفن إلى إظهاره عن بقية العناصر الأخرى بالمنشأة كما حدث فى مدرسة السلطان حسن (٧٥٧ – ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ – ١٣٦٢م) وغيرها.

وانتشر نموذج القباب ذات الضلوع المحدبة من الخارج والمقعرة من الداخل فى النصف الثانى من العصر الفاطمى وبخاصة فوق الأضرحة التى كثر بناؤها آنذاك فى كل من القاهرة والوجه القبلى، بينما كانت تبنى القباب فى المساجد فوق مربعة المحراب، وبانتشار بناء المدارس ذات الإيوانات تبعا لانتشار التخطيط السنى للعمارة فى مصر اعتبارا من عهد الناصر صلاح الدين، انتشرت ظاهرة بناء ضريح لصاحب المسجد أو المدرسة أو الخانقاة يغطى بقبة، وقد غلب الحجر على بناء هذه القباب فى العصر المملوكى وكانت تبنى إما ملساء وإما بضلوع متجاورة رفيعة أو ذات تكوينات زخرفية محفورة أو بارزة تتألف من عناصر نباتية وهندسية وكتابية(١٧٠).

وقد عرفت مصر فى عصر المماليك أنواعا مختلفة من القباب مثل القبة نصف الكروية والقبة المضلعة والقبة البيضاوية، بل والقبة الكبيرة التى تنتهى فى أعلاها بمنور فوقه مثمنة تحمل قبة صغيرة مضلعة مثل قبة الشيخ عبد الله المنوفى بالقرافة الشرقية التى ترجع إلى القرن (٧ – ٨هـ/ ١٣ – ١٤م)، كذلك فقد عرفت مصر خلال عصر الأيوبيين القبة الخشبية المكسوة بالرصاص، ولعل فى قبة الإمام الشافعى التى بناها السلطان العادل سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) أحسن الأمثلة الدالة على ذلك، ولم يقف تجميل هذه القباب عند زخرفتها من الداخل ولا سيما

بأبدع أشكال المقرنصات، وإنما كانت تنقش بشتى أنواع الزخارف المشار اليها من الخارج أيضا، وأحيانا ما كانت تكسى فى بعض أجزائها أو كلها بالقاشانى البديع(١٧١).

ورغم كل ما امتازت به قباب الأضرحة الإسلامية فى مصر من عظمة البناء وجمال الزخرف، يطلع علينا كونل برأى يقول فيه «أنه ليس فى هذه القباب ما يميز بعضها عن بعض فخطوطها الرئيسية واحدة، ومع كثرة عددها لم يطرأ عليها فى وقت تال تغيير يذكر»(١٧٢)، وإذا كانت قباب هذا العصر قد تميزت بصغر الحجم فعلا إلا أن المعمار المسلم كان قد أسرف فى زخرفتها من الداخل والخارج – كما قلنا – بزخارف نباتية وهندسية وكتابية وعناصر أخرى من خطوط مجدولة أو حلزونية، حتى كان المماليك – كما قال لين بول – هم سادة بناء القباب الجميلة التى ازدانت بها القاهرة وما زالت تضفى على مبانيها صبغة فنية خاصة حتى اليوم(١٧٣).

ب – خلوات الصوفية:

كان من الضرورى أن تلحق بالخانقاة خلوات لإقامة من تقرر نزولهم فيها من الصوفية حسب شروط الواقف، بالإضافة الى مساكن أخرى لشيخ الخانقاة ومدرسى المذاهب وغيرهم ممن أنيطت بهم مهمة القيام بأمور الخانقاة إشرافا وتدريسا.

وكانت هذه الخلوات – كما قلنا – عبارة عن حجرات صغيرة متجاورة على جانبى استطراق ضيق، ذات أرضيات مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى المغطى بالحصير، وقد تحتوى بعض هذه الخلوات عى مصاطب ذات ارتفاع أكبر قليلا من الأرضية بما يقرب من درجة واحدة، وذات سقف كان مسطحا أحيانا وعبارة عن قبو نصف دائرى أحيانا أخرى، أما نوافذها المنخفضة فكانت تستخدم كثيرا كمصطبة للقراءة، وغالبا ما وجدت نافذة أعلى الباب ذات مصبعات من خشب الخرط بغرض التهوية والإنارة(١٧٤).

جـ – خزانة الأشربة والأدوية:

مما لا شك فيه أن منشئى الخانقاوات كانوا قد حرصوا على توفير كافة الضروريات اللازمة لمن ينزلونهم فى خانقاواتهم من الصوفية حتى يغنونهم عن العالم الخارجى فيتفرغوا من ثم للزهد

والعبادة والتصوف، فخصصوا للكثير من هذه الخانقاوات من الأطباء طبائعيا وجرائحيا وكحالا، وقد استتبع هذا ضرورة أن تنشأ بالخانقاة خزانة للأشربة والأدوية، حتى يصرف منها المرضى ما يوصف لهم بمعرفة هؤلاء الأطباء من عقاقير، يدل على ذلك مثلا أن حجة وقف السلطان الغورى كانت قد نصت على تخصيص طبيب يتفقد مرضى صوفية خانقاته، وجعلت له خمسمائة درهم كأجر شهرى يتقاضاه نظير مراعاته لهؤلاء الصوفية وكتابة ما يلزم من أدوية للمرضى منهم، ليس هذا فقط بل لقد نصت الوقفية على ضرورة أن يحسن هذا الطبيب معاملتهم وأن يعمل فى ذلك بما يرضى الله والضمير(١٧٥).

د – السبيل والكتاب:

عنى سلاطين المماليك وأمراؤهم ووجهاء عصرهم ببناء أسبلة تعلوها كتاتيب إما ملحقة فى أركان مساجدهم ومدارسهم وخوانقهم وإما منفردة عن هذه وتلك كما فى أسبلة الناصر محمد وشيخو والوفائية وقايتباى ونحوها(١٧٦).

والأسبلة مشتقة من «أسبل الماء» أى صبه، ويقال أسبل المطر «أى هطل»(١٧٧)، والسبيل منشأة اجتماعية إسلامية اتصلت باستخدام الماء للشرب، وهو عبارة عن مبنى جرت عادة المسلمين على إقامته داخل المدن لسقاية المارة وإروائهم من باب التقرب الى الله تعالى، ثم انتشرت سقاية الماء عن طريق الأسبلة فى مختلف العصور الإسلامية، ويتكون السبيل عادة من طابقين أولهما صهريج لتخزين الماء فى باطن الأرض فوقه مزملة أو حجرة سبيل بصدرها سلسبيل هو عبارة عن لوح من الرخام فيه زخارف محفورة ينساب عليهما الماء ليبرد ثم يوزع على أحواض الشبابيك ليشرب منه الناس.

وجرت العادة أن يبنى السبيل – فى هذه المنشآت المشار اليها – بجوار المدخل ويفتح مباشرة على الدركاة أو يكون له باب بالدهليز المؤدى الى الصحن حتى يكون نقل المياه بالقرب اليه أمرا سهلا وميسورا، ولعل أقدم أمثلة الأسبلة والكتاتيب الملحقة فى عمارة المماليك هو سبيل الجاى اليوسفى الذى يرجع تاريخه الى سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، وكانت أرضية السبيل تفرش بالرخام

الملون المرصوص فى فصوص بديعة تكون أشكالا هندسية ونباتية، أما حوائطه فكانت تؤزر بوزرات رخامية ملونة.

وقد حاول المعمار المسلم أحيانا أن يبرز السبيل والكتاب فى المسجد أو المدرسة أو الخانقاة كعنصر من عناصر المنشأة، فجعل حوائطه فى تلك الأحيان مخالفة لحوائط باقى المبنى كأن يكسوها بالرخام الأبيض والأسود (الأبلق) كما فى سبيل مسجد الناصر فرج بن برقوق الذى يرجع تاريخه الى سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) مع تغيير شكل فتحات المبنى، وإبراز شرافات الكتاب فى كثير من الأمثلة عن طريق الزخارف الخشبية بهدف حماية فتحاته من الأمطار، وقد أطلق على الكتاب فى كثير من الوثائق «مكتب السبيل» تعبيرا عن الارتباط العضوى بين الإثنين(١٧٨) وكانت العادة أن يخصص للكتاب مؤدب اشترطت الوثائق فيه أن يكون متزوجا عطوفا لا يضرب الضرب المبرح ويحبب الأولاد فى التعليم ويحضهم عليه.

هـ – الحمام:

كان للحمامات دور بارز فى عمارة مصر الإسلامية نظرا لأهميتها بالنسبة للعامة فى التطهير والنظافة، وقد حرص المعمار المسلم علس بنائها وفقا لنظام يتيح للمستحم أن ينتقل تدريجيا بين المغاطس الباردة والحارة دون أن يصاب بأذى، ولذا كان كل حمام يشتمل على ثلاثة مغاطس تتدرج سخونتها من مغطس إلى آخر، وكانت عملية تسخين هذه المغاطس تتم عن طريق إيقاد النار تحت أرضها أو تسخينها بواسطة أنابيب من الفخار تمر تحت هذه الأرضية أو تجرى فى جدران تلك الحمامات، وكانت تزين هذه الجدران أحيانا بالصور والنقوش كما كان الحال فى بقايا الحمام الفاطمى الذى عثر عليه فى الفسطاط(١٧٩)، وقد راعى منشئو بعض هذه الخانقاوات أن يلحقوا بالحمام حلاقا لتدليك الأبدان وحلق الرؤوس، وبذلك يوفروا لصوفية خانقاواتهم النظافة والتطهير والتدليك وقص الشعر.

و– المطبخ :

كان من الضرورى لمنشأة معمارية خصصت لإقامة مجموعة من الصوفية بصفة دائمة بالليل والنهار أن تشتمل على مطبخ لإعداد الوجبات اللازمة لهؤلاء المتصوفة، وكان هذا المطبخ عبارة عن حجرة كبيرة بارتفاع طابقين ذات سقف معقود بقبو نصف دائرى أو مدبب، وذات أرضية مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى.

وكان من المعتاد أن يجهز هذا المطبخ بحوض كبير من الحجر تتصل به داخل الجدران مواسير المياه اللازمة لمده بها، كما كان يوجد فى بعض المطابخ مصطبة خصصت لجلوس العاملين فيه، وقد راعى المعمار أن يكون هذا المطبخ بجوار كل من باب الخدمة الملحق بالخانقاة ودورة المياه، ولعل من أبرز أمثلة هذه المطابخ التى ألحقت بالمدارس والخانقاوات هو مطبخ مدرسة وخانقاة الظاهر برقوق بالنحاسين التى بنيت فيما بين سنتى (٧٨٦ – ٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ – ١٣٨٦م) ومطبخ خانقاة الناصر فرج ابن برقوق بالقرافة الشرقية التى بنيت بين سنتى (٨٠١ – ٨١٣هـ/ ١٣٩٩ – ١٤١١م)(١٨٠).

ز– الساقية :

أخر المنشآت التى كانت تلحق بالخانقاة هى الساقية، وكان الهدف من إنشاء هذه السواقى بالخانقاوات والمدارس والمساجد أن يرفع الماء بواسطتها من البئر الى الصحن أمام إيوان القبلة، ومن ثم الى الفسقية التى تتوسط هذا الصحن، ومنها الى الميضأة التى كانت تجهز لوضوء المصلين بالخانقاة أو المدرسة أو المسجد، وقد حددت شروط الوقف الخاصة بهذه المنشآت كيفية الإنفاق على هذه المرافق وغيرها مما تحتاج إليه من الأطباق والسلاسل والأباريق والجرار ونحوها(١٨١).

٣ – الخانقاوات الدارسة :

لم تكن خانقاوات القاهرة التى سنتحدث عنها فى هذه الدراسة مما لا زال بعضه قائما شامخا متكامل العمارة والزخرف أو ناقصا فى أحدهما أو كليهما نتيجة الإهمال تارة وعبث العابثين تارات، لم تكن هذه وتلك هى كل خانقاوات القاهرة التى تكلمت عنها المصادر والمراجع

العربية، فهناك العديد من الخانقاوات الأخرى التى درست وأصبحت أثرا بعد عين، والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وردت فى العديد من هذه المصادر والمراجع يوضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الخانقاوات (الدارسة) كانت كثيرة وتنحصر فى خانقاوات فعلية أنشئت لكى تكون كذلك وفى أبنية أثرية لم تنشأ لكى تكون خانقاوات أصلا وإنما أضيفت إيها وظيفة التصوف فيما بعد، وفيما يلى عرض سريع لهذه الخانقاوات.

أ – الخانقاة الطيبرسية (٧٠٧هـ/ ١٣٠٢م) :

يقول المقريزى فى القرنين (٨-٩هـ/ ١٤-١٥م) أن هذه الخانقاة كانت «من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش فى سنة سبع وسبعمائة (٧٠٧هـ/ ١٣٩٧م) بجوار جامعه وقرر بها عدة من الصوفية وجعل لهم شيخا وأجرى لهم المعاليم»(١٨٢).

وقد ظلت هذه الخانقاة عامرة – كما يقول المقريزى أيضا– حتى سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) عندما نقل حضور التصوف منها الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الأزهر(١٨٣)، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار كان قد أنشأ فى أرض الخشاب خانقاة مستقلة ظلت عامرة حتى خربت فى بداية القرن (٩هـ/١٥م) فنقل صوفيتها الى المدرسة التى كان قد جعلها نفس المنشئ مسجدا لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر، وقرر فيها درسا لفقه الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوضا لسقاية الدواب(١٨٤).

وكان الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد الله الوزيرى هذا من مماليك الأمير بدر الدين بن بيليك مملوك الخازندار الظاهرى نائب السلطنة، ثم انتقل إلى مماليك الأمير بدر الدين بيدرا، وتنقل فى الخدمة حتى تقلد المنصور لاجين مقاليد الحكم فولاه نقابة الجيش سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، وله من الآثار الجميلة الجامع والخانقاة بأرض بستان الخشاب مطلان على النيل، ولم يزل فى نقابة الجيوش الى أن مات فى العشرين من ربيع الآخر سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ودفن بتربته فى المدرسة المشار اليها(١٨٥).

أما عن على باشا مبارك فقد نقل فى القرن (١٣هـ/١٩م) ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بهذه الخانقاة تماما، إلا أنه أضاف أن «على شط النيل خلف سراى الإسماعيلية الصغيرة جامع صغير يعرف بالأربعين فيحتمل أنه هو جامع الطيبرس ويحتمل أنها خانقاهه»(١٨٦).

وقد أيدت بعض المصادر العربية روايتى المقريزى وعلى باشا مبارك فيما يتعلق بالطيبرسية، يدل على ذل ما ذكره ابن حجر العسقلانى فى القرن (٩هـ/١٥) عند – ترجمته – لمحمد بن عقيل البالسى المعدى الفقيه الشافعى الذى ولد سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) حين قال أنه حفظ واشتغل وسمع بالقاهرة من ابن دقيق العيد ولازمه وناب فى الحكم عنه وولى قضاء بلبيس عن ابن جماعة ثم بالحسينية، ودرس بالطيبرسية بمصر وبعدة أماكن الى ان مات فى المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة(١٨٧)، وما ذكره فى ترجمته لعمر بن ابى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى المصرى الشافعى الذى ولد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) وولى الشرقية ودمياط ثم الغربية، كما ولى تدريس المنكوتمرية والإعادة بالقراسنقرية والحديث بالقبة المنصورية ثم ولى مشيخة خانقاة طيبرس إلى أن عزل منها ومات فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة رحمه الله وسامحه(١٨٨).

ب – الخانقاة الناصرية بسرياقوس: (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)

كانت هذه الخانقاة كما يقول المقريزى خارج القاهرة من شماليها فى أول تيه بنى إسرائيل بسماسم سرياقوس، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبدئ فى عمارتها عندما ركب السلطان الى هذه الناحية فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة واختطها مع عدة من المهندسين على قدر ميل، وبنى بها مسكنين جعل أحدهما لشيخ الصوفية وأهله وأولاده، وجعل الآخر متصوفا لهذا الشيخ ينزل فيه من يشاء، كما ألحق بها وحدتين سكنيتين لإقامة متصوفيها البالغ عددهم أربعون صوفيا، وأضاف لها حماما ومطبخا ألحق به مجموعة كبيرة من الحواصل لخزن ما يلزم من الطعام، كما جعل لها حوشان أحدهما لدفنه ودفن مشايخ خانقاته، والآخر لدفن الفقراء المتنزلين بها، وعمل بعد كل هذا حديقة كانت تتقدم الخانقاة والحوش(١٨٩). فلما كملت عمارتها سنة خمسة وعشرين وسبعمائة خرج إليها السلطان بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدت الأسمطة العظيمة بداخل الخانقاة فى يوم

الجمعة سابع جمادى الآخرة من السنة المشار اليها وعقد مجلس السماع بتصدر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، فلما انقضى هذا المجلس قرر السلطان أن يتولى الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد الأقصراى مشيخة هذه الخانقاة ولقبه بشيخ الشيوخ بعد ما كان لا يلقب بهذا اللقب إلا شيخ الخانقاة الصلاحية، وأحضرت التشاريف السلطانية، فخلعت على الحضور وفرق بها السلطان ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل(١٩٠).

وكان بناء هذه الخامقاة سببا فى تعمير الموقع، فبنى الناس من حولها الدور والحوانيت والخانات والحمامات حتى سارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاة سرياقوس، عمل فيها سوق عظيم يوم الجمعة تباع فيه سائر البضائع التى لا يؤخذ عليها مكسا احتراما للخانقاة.

وكانت معاليم هذه الخانقاة - كما يقول المقريزى - من أجل معاليم الخانقاوات فى مصر، حيث كان يصرف لكل صوفى من صوفيتها فى اليوم رطل من لحم الضأن، أربعة أرطال من الخبز النقى ورطل من الحلوى ورطلين من زيت الزيتون، ومثل ذلك من الصابون، بالإضافة إلى أربعين درهما فضة عنها ديناران، وتوسعة فى رمضان والعيدين ومواسم رجب وشعبان ورمضان وعاشوراء، وثمن كسوة فى كل سنة، ليس هذا فقط، بل لقد ألحق المنشئ بالخانقاة خزانة للأشربة والأدوية بها طبائعى (طيب أمراض باطنة) وجرائحى (طبيب جراح) وكحال (طبيب أمراض عيون) علاوة على حلاق يصلح الشعر ويدلك الأبدان، ثم استجد بها بعد سنة تسعين وسبعمائة حمام آخر برسم النساء، وقد ظلت هذه الخانقاة على حالها الزاهر الى أن كانت المحن سنة ستة وثمانين فبطل الطعام منها وصار ثمنه يصرف لصوفيتها نقدا(١٩١).

وقد ذكر كل من ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أن قرية منى جعفر (مفردة من سرياقوس) عبرتها خمسة آلاف دينار، وهى جارية فى الأوقاف الناصرية محمد بن قلاوون الصالحى على خانقاته هناك(١٩٢).

وصاحب هذه الخانقاة هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ولد فى قلعة الجبل للنصف من المحرم سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وولى الملك ثلاث مرات أولاها بعد مقتل أخيه الأشرف خليل فى المحرم سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) وعمره تسع سنين، وظل خلالها فى الملك سنة إلا ثلاثة أيام،

وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى فى المحرم سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، وثانيتها بعد مقتل المنصور لاچين فى جمادى الأولى سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) وظل خلالها فى الملك عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما الى أن عزل نفسه وسار الى الكرك، فولى مقاليد الحكم بعده الملك ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وثالثتها عندما ذهب من الكرك الى الشام وجمع العساكر ورجع الى مصر فترك له الجاشنكير السلطنة فى رمضان سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) وظل فى الملك خلالها من غير منازع الى ان مات بقلعة الجبل فى الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وعشرين يوما، وكانت جملة إقامته فى السلطنةثلاث وأربعين سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام(١٩٣).

وقد ترك الناصر محمد من الأولاد اثنى عشر ولدا ذكرا وثمان بنات، ولم يكن له عند موته نائب بديار مصر ولا وزير ولا صاحب، وكان إذا كبر أحد أمرائه قبض عليه وصادره وولى مكانه أحد الأمراء الصغار ليأمن شر هؤلاء الأمراء، وقد شره فى آخر أياه لجمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاة وغيرهم، وكان محبا للعمارة فبنى الكثيير منها، وحفر عدة من الخلجان والترع، وراك ديارمصر والشام، وقطع كثيرا من الجند عن الخدمة، وفتح كثيرا من الجزر مثل أرواد سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) وملطية سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م) وأناس سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) وعدة من بلاد الأرمن سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) وضرب السكة باسمه فى شوال سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)(١٩٤).

وقد أمدتنا كتب التراجم العربية بأكثر من ترجمة لبعض مشايخ هذه الخانقاة وخدمها وصوفيتها، فيذكر ابن حجر العسقلانى (فى القرنين (٨-٩هـ/ ١٤-١٥م) أن موسى بن احمد ابن محمود الأقصرى شيخ الخانقاة بسرياقوس كان قبل ذلك شيخا لخانقاة ابن بيليك المحسنى التى أقامها بالاسكندرية، ثم قرر بعدها فى مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة، ثم نقل أخيرا الى الخانقاة الجديدة الناصرية، ومات فى ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وقد زاد عن السبعين(١٩٥).

ويذكر السخاوى فى القرنين (٩-١٠هـ/ ١٥-١٦م) أن احمد بن محمد الشريف الذى عرف بابن كندة كان خادما لشيخ الصوفية بالخانقاة السرياقوسية، ومات فى ربيع الأول سنة

(٨٩٠هـ/ ١٩٨٥م) وقد قارب الأربعين[١٩٦]، وأن احمد بن محمد الشهاب العجمى كان صوفيا بالخانقاة السرياقوسية ومات بعد الستين (يقصد بعد سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)[١٩٧].

جـ – خانقاة بكتمر: (٧٢٦هـ/ ١٣٢م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – بطرف القرافة فى سفح الجبل (يقصد جبل المقطم) مما يلى بركة الحبش، أنشأها الأمير بكتمر الساقى وابتدأ حضور الصوفية بها فى رجب سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وكانوا عشرين صوفيا لكل منهم فى الشهر ثلاثين درهما علاوة على الطعام والخبز فى كل يوم، والدراهم والحلوى والزيت والصابون فى كل شهر، وقرر فى مشيختهم شمس الدين الرومى ورتب له فى الشهر مائة درهم عن معلوم المشيخة وخمسيين درهما عن معلوم الإمامة[١٩٨].

وكان من نتيجة بناء هذه الخانقاة أن عمرت الناحية وظلت عامرة إلى أن حدثت المحن سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) «فقل منها الطعام والخبز وانتقل سكانها إلى القاهرة وغيرها فاندثر الحمام والبستان وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب والربعات، وتخربت منها قناديل النحاس المكفت وقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الأمتعة، وصار يصرف لأرباب وظائفها مبلغا من نقد مصر»[١٩٩] وتدل عبارة المقريزى القائلة «وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب والربعات» على أنه كان بهذه الخانقاة مكتبة عظيمة تشتمل على العديد من المؤلفات التى كانت مرجعا لكل من اشتغل فيها بالعلم والدراسة[٢٠٠].

وما تجب الإشارة إليه هنا أن كثيرا من هذه الخانقاوات كانت تصبح بعد فترة من الزمن عبئا على الدولة لنفاد أوقافها فيخصص لصوفيتها وموظفيها – كما يقول المقريزى – مبلغا من نقد مصر (أى من ميزانية دولتها) ويقال أن ذلك بسبب المحن مرة أو بسبب التحاريق والتشاريق مرة، أو بسبب ضياع أوقافها وتلاشيهها مرة، إلى غير ذلك من الأسباب التى لا تخفى على كل ذى عقل، فكثيرا ما كانت تسند وظائف النظارة فى هذه الخانقاوات الى أناس غير أمناء فيبددون الأوقاف ويضيعون الإيراد، أو تعطل هذه الأوقاف من قبل السلطان أو أمرائه ويستولى عليها لحسابات أخرى، وتكون العاقبة فى كل ذلك أن يتحمل نقد مصر عملية الصرف على هؤلاء

المنقطعين ممن لا شغل لهم، ويتم ذلك للأسف باسم الدين.

ومنشىء هذه الخانقاة – كما يقول ابن حجر – هو الأمير أبو سعيد سيف الدين بكتمر الساقى الملكى الناصرى، كان من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير، فلما عاد الناصر محمد من الكرك واستولى على مقاليد السلطة فى مصر للمرة الثالثة دخل بكتمر هذا ضمن مماليكه وتنقل فى خدمته وعظم قدره حتى أن الناصر لم يكن يفارقه ليلا أو نهارا، وقد رفعه ذلك الى مرتبة جعلت المماليك جميعا يهادونه تقربا إليه، وقيل أنه كان أشقر اللون أسود اللحية، يركب بين يديه إذا ركب مائتا عصابة قبب، وقد عمر له الناصر اصطبلا على بركة الفيل وجعل به مائة سايس، أما قصره فكان بسرياقوس قبالة قصر الناصر، حج مع السلطان فى تجمل هائل، ثم تنكر عليه الناصر حتى مات فى أوائل سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)(٢٠١).

ومع أن المقريزى يحكى هذه السيرة شبه كاملة بأسلوب آخر، إلا أنه أضاف إليها وعدل بعضا مما ورد فيها، من ذلك قوله أن السلطان زوجه جاريته ومحظيته فولدت له ابنه احمد الذى اعتقد الناس أنه ابن السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبيله، وأن السلطان عمر له قصرا (لا اصطبلا) على بركة الفيل وصار هو الدولة إذا ركب كان بين يديه مائتان عصا نقيب (لا قبب) وأنه مات بطريق الحجاز سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) وليس سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) فأمر السلطان بحمل جثته وجثة ولده احمد الذى مات قبله فى طريق العودة من الحجاز بثلاثة أيام ألى خانقاته هذه فدفنا بقبتها.

ثم زاد المقريزى على ذلك (بما لم يشر إليه ابن حجر) بالحديث عن ثروته ومخلفاته فقال«وخلف من الأموال والقماش والأمتعة والأصناف والزردخاناة ما يزيد على العادة والحد ويستحى العاقل من ذكره، فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسا وبيع الباقى بمبلغ ألف ألف درهم، وأنعم السلطان بالزردخانة والسلاح خاناة التى له على الأمير قوصون بعد ما أخذ منها سيفا واحدا وسرجا قيمتها ستمائة ألف دينار، وبيع له من الصينى والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك، ومن الوبر والأطلس وأنواع القماش السكندرى والبغدادى وغير ذلك شئ كثير ودام البيع لذلك عدة شهور(٢٠٢).

د – خانقاة أرسلان : (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)

كانت هذه الخانقاة – طبقا لما ذكره المقريزى – من جملة أراضى منشأة المهرانى على شاطئ النيل بين القاهرة ومصر، أنشأها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، كان من رجال الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة، فلما قدم الناصر محمد بعساكره من الشام يريد العودة الى السلطنة للمرة الثالثة وعسكر بالريدانية، علم أرسلان أن جماعة (من رجال سلار) يريدون أن يقاتلوه يوم العيد، فذهب إليه (أى إلى الناصر) وأخبره بما علم فقام الناصر بفتح باب سر الدهليز وصعد الى القلعة وجلس على سرير الملك ورعى لأرسلان هذا النصح، فلما استقرت الأمور رتب له وظيفة الدودارية عندما أخرج منها الأمير عز الدين أيدمر.

وقد أنشأ بهاء الدين هذه الخانقاة خلال توليته لوظيفة الدوادارية (الناصرية محمد)، وكان ينزل اليها من القلعة كل ليلة ثلاثاء ويبيت فيها، ويحتفل الناس بحضوره إليها، حتى مات فى رمضان سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م) ووجد فى تركته طبقا لما ذكره المقريزى ألف ثوب أطلس وكثير من النفائس(٢٠٣).

وكان أول من ولى مشيخة هذه الخانقاة هو تقى الدين أبو ا لبقاء محمد بن جعفر الشريف الحسينى القنائى الشافعى جد الشيخ عبد الرحيم القنائى الصالح المشهور الذى ولد سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) ومات فى جمادى الأولى سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) ودفن بالقرافة، فتداول مشيختها القضاة الإخنائية الى أن صارت بيد شيخ المقريزى وقاضى قضاة مصر صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الإخنائى فلما مات سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) قرر فى مشختها عز الدين بن العاص ثم وليها من بعده ولده شمس الدين محمد(٢٠٤).

ويضيف ابن حجر فى القرنين (٨–٩هـ/ ١٤–١٥م) والسخاوى فى القرنين (٩–١٠هـ/ ١٥–١٦م) إلى من ذكرهم المقريزى من مشايخ هذه الخانقاة بعض الشخصيات الأخرى فيقول ابن حجر أن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم القنائى الشريف تقى الدين الشافعى الذى ولد سنة نيف وأربعين وستمائة حدث بالقاهرة ودرس بالمسرورية وقال الشعر الحسن وولى مشيخة خانقاة أرسلان حتى مات فى جمادى الأولى سنة(٧٢٧هـ)(٢٠٥).

ويقول السخاوى أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل البرهان بن الزينى المغربى ابى هريرة بن الشمس الذى ولد فى تاسع رمضان سنة (٨٣٥هـ) ولى مشيخة الصوفية الأرسلانية بالمنشية ونظرها(٢٠٦)، ويدل هذا ليس فقط على أن مشيخة الخانقاة كانت حقيقة قائمة، بل أيضا على أنه كان لهذه الخانقاة وقف ونظارة وقف، وهما الوظيفتان اللتان جمع بينهما إبراهيم بن عبد الرحمن المقرى المشار اليه.

هـ – خانقاة بشتاك : (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك، وقد أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى وافتتحها فى الأول من ذى الحجة سنة (٧٣٦هـ) وقرر فى مشيختها شهاب الدين القدسى مع عدة من الصوفية أجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم، واستمرت هذه الأرزاق مدة ثم بطلت فصرف لأربابها عوضا عنها بعض النقد فى كل شهر، وظلت هذه الخانقاة عامرة إلى عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ونسب إليها جماعة من المشتغلين بالتصوف منهم بدر الدين محمد بن إبراهيم الذى عرف بالبدر البشتكى نسبة إلى الأمير صاحب الخانقاة(٢٠٧).

وكان المسجد والخانقاة فى خط واحد هو خط قبوالكرمانى على بركة الفيل، وقد كان هذا الخط – كما يقول المقريزى – سكنا لجماعة من الفرنج والأقباط، كانوا يرتكبون من القبائح ما لا يليق، فلما عمر بشتاك الجامع والخانقاة فى هذا الخط تحولوا منه وتركوه، وقيل أن المنشئ كان قد عمل ساباطا يتوصل به من الجامع إلى الخانقاة ومنها إليه(٢٠٨).

وكرر على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بموقع هذه الخانقاة حين قال«وهى التى فى محلها الآن (أى على عهده السبيل والمكتب الكائنان بدرب الجماميز اللذان أنشأتهما الست المرحومة والدة المرحوم مصطفى باشا أخى الخديوى اسماعيل تجاه جامع بشتاك المعروف اليوم بجامع مصطفى باشا»(٢٠٩).

أما فيما يتعلق بتراجم بعض مشايخ وصوفية ونزلاء هذه الخانقاة فقد أمدنا كل من ابن حجر والسخاوى بمعلومات هامة فى هذا الصدد، فذكر ابن حجران «أحمد بن سلامة القدسى ثم

المصرى شهاب الدين الواعظ كان شيخا بالخانقاة وخطيبا بالجامع كلاهما لبشتاك وكان عليه قبول فى وعظه ثم تعصب عليه بعضهم فخرجت عنه الخانقاة فعوضه الله خانقاة سرياقوس فباشرها إلى أن مات سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) وصنف كتابا فى الصوفية»(٢١٠).

وذكر السخاوى أن عمر بن محمد التركى الأصل القاهرى الحنبلى الذى عرف باب مظفر كان بيده وظائف فتنزل فى صوفية الأشرفية الحنابلة من الواقف وفى خانقاة بشتاك وغيرهما ومات قريبا من الستين(٢١١)، وأن محمد بن ابراهيم محمد البدر أبو البقاء الأنصارى الدمشقى الأصل المصرى الشاعر الذى عرف بالبدر البشتكى (وهو الذى أشار اليه المقريزى أيضا) نشأ بخانقاة بشتاك وكان أحد صوفيتها(٢١٢).

و – خانقاة أقبغا: (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)

تثبت المادة التاريخية التى بين أيدينا أن الأمير آقبغا كان قد أنشأ خانقاتين أولاهما بالقرافة والأخرى بمدرسته فى الجامع الأزهر، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى بقوله أن خانقاة آقبغا «كانت موضعا من المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر أفرده الأمير آقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخا وأفرد لهم وقفا يختص بهم وهى باقية إلى يومنا هذا (أى على عهد المقريزى فى القرنين ٨ – ٩هـ/ ١٤– ١٥م) وله أيضا (أى للأمير آقبغا) خانقاة بالقرافة(٢١٣).

ومعنى ذلك أن خانقاة آقبغا التى كانت لا تزال بالقرافة حتى عهد المقريزى كانت قد تلاشت من الوجود تماما قبل مجئ القرن (١٣هـ/ ١٩م)، يدل على ذلك ما ذكره على باشا مبارك بقوله «الآقبغاوية أيضا خانقاة بالقرافة لم تقف لها على أثر(٢١٤)، أما الآقبغاوية بالأزهر فهى من الآثار التى لازالت قائمة حتى اليوم وقد أنشأها الأمير آقبغا عبد الواحد سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وقرر فى جزء منها طبقا لما ذكره المقريزى فيما سبقت الإشارة إليه عدة من الصوفية(٢١٥).

وصاحب هاتين الخانقاتين (الآقبغاوية بالقرافة والآقبغاوية بالأزهر) هو الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد، ذلك المملوك الذى أحضره إلى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه الملك

الناصر محمد بن قلاوون وضمه إلى مماليكه ولقبه باسم تاجره الذى أحضره فترقى فى خدمته إلى أن جعله شاد عمائره، ثم عمله استادارا بعد الأمير مغلطاى الجمالى فى المحرم سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ورقاه إلى مقدم المماليك فزادت حرمته حتى خافه – كما يقول المقريزى – سائر من فى بيت السلطان، فلما مات الناصر وتولى ابنه المنصور أبى بكر قبض عليه وعلى ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه فبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والقماش والأسلحة والأوانى ونحوها.

فلما خلع أبيى بكر من السلطنة بمساعدة الأمير قوصون وتولى أخوه الأشرف كجك أخرج آقبغا وولديه من القاهرة إلى الشام فى ربيع الأول سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) فلما حدثت الفتنة بين ولدى الناصر محمد بالكرك وبين أخيه الصالح اسماعيل بالقاهرة اتهم آقبغا بأنه بعث مملوكا من مماليكه إلى الكرك يخبر الناصر أحمد بن الناصر محمد أن أمراء الشام قد دخلوا فى طاعته فأرسل الصالح إسماعيل من قبض على هؤلاء الأمراء جميعا وكان آقبغا من جملة من قبض عليهم وحمل مقيدا من دمشق الى الاسكندرية حيث قتل بها فى آخر سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)(٢١٦).

ز – خانقاة طغاى النجمى : (٧٤٨هـ/ ١٤٤٤م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – بالصحراء «خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، أنشأها الأمير طغاى تمر النجمى، فجاءت من المبانى الجليلة، ورتب بها عدة من الصوفية، وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى، وبنى بجانبها حماما وغرس قبليها بستانا، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب، ووقف على ذلك عدة أوقاف»(٢١٧).

ولم يمض وقت طويل حتى تعطل كل من الحمام والحوض عن أداء المهمة التى أنشئ من أجلها وظل الأمر على هذا الحال من التعطل إلى أن ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) فدفنها زوجها خارج باب النصر ورغب فى البناء على قبرها ليوقف عليه الأوقاف اللازمة لاستمراره، إلا أنه عدل عن هذا الرأى – كما يقول

المقريزى – ونقلها الى قبة خانقاة طغاى النجمى هذه، وأدار الساقية وملأ الحوض، ورتب لقراء هذه الخانقاة معلوما، وعمل على تجديد ما كان قد تشعث منها، وأدار حمامها، ثم عاد بعد ذلك وأنشأ تربة بجانب هذه الخانقاة ونقل رفات زوجته للمرة الثانية إليها، وجعل أملاكه وقفا على هذه التربة الجديدة(٢١٨).

وفى ملحق لعدد الحوليات الإسلامية التى أصدرها المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة (١٩٨٧م) وردت دراسة لنشر وتحقيق وقفية فتح الله بن معتصم بن نفيس التبريزى رئيس الأطباء وكاتب السر فى القرن (٩هـ/ ١٥م)(٢١٩)، وتقول هذه الدراسة أنه ولد سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م) وكان يهودى الأصل ثم أتى إلى مصر وهو طفل خلال حكم السلطان الناصر حسن (٧٤٨ – ٧٦٣هـ/ ١٣٤٧ – ١٣٦١م) حيث كان جده الأكبر قد أسلم وعمل طبيبا للأمير شيخو.

أما ما ورد بالوقفية فإنه يشير الى ان الواقف (فتح الدين فتح الله) كان قد قرر أن يتحمل وقفه تكاليف ملأ أحد الصهريجين الكبيرين اللذين هما بالخانقاة المعروفة بالمقام المرحوم السيفى طغيتمر النجمى المظفر الدوادار الصالحى الكائن بخارج باب البرقية بما فى ذلك تكاليف السواق المرتب بالساقية المركبة على البئر التى من حقوق التربة السيفية طغيتمر النجمى (زيادة على المقرر له بالخانقاة المذكورة) وتكاليف إجراء الماء الى الحوض الذى من حقوق التربة المذكورة حتى يصير مملوءا ليلا ونهارا لينتفع الناس به فى سقى دوابهم وغسل هدمهم على العادة فى مثل ذلك ما مبلغه فى كل سنة كاملة ألفا وخمسمائة درهم، ويصرف من هذا الوقف فى كل سنة كاملة ثمن قنطارين من زيت الزيتون أو غيره برسم الرقود بالخانقاة المذكورة بالتربة المستجدة المنسوبة للواقف المذكور بالغا ثمن ذلك ما بلغ (زيادة على ما هو مقرر بالخانقاة المذكورة من ريع وقفها) ويصرف منه برسم فتايل القناديل بالخانقاة المذكورة وبالتربة المستجدة المذكورة على عادة مثله ما مبلغه كل سنة كاملة عشرون درهما(زيادة على المقرر لذلك من وقف الخانقاة المذكورة) ويصرف منه كل سنة كاملة للقائم بالخانقاة المذكورة (زيادة على المقرر له بالخانقاة المذكورة من ريع وقفها) مائة وعشرون درهما من النقد المتعامل به يوم ذاك، ويصرف منه لشيخ الخانقاة المذكورة كل سنة كاملة ما مبلغه ستمائة درهم (زيادة على معلومه المقرر له من ريع وقف الخانقاة المذكورة)، ويصرف منه

للصوفية المنزلين بالخانقاة المذكورة الذى عددهم ثلاثون نفرا فى كل سنة كاملة ما مبلغة سبعة آلاف ومائتى درهم، لكل منهم كل سنة كاملة مائتى وأربعون درهما (زيادة على ما هو مقرر لهم من ريع وقف الخانقاة المذكورة) على أنهم عند فراغهم من وظيفة التصوف بالخانقاة المذكورة يتوجهون والشيخ المذكور إلى المقصورة التى بالرواق الغربى من حقوق الخانقاة المذكورة المدفونة فيها السيدة المرحومة أرزباى المرأة زوجة الواقف المذكور ويقرأون (فيها القرآن) ويصرف منه كل سنة كاملة لعشرة من الصوفية الثلاثين المذكورين المقيمين بالخانقاة المذكورة الذين ليس لهم مسكن غير الخانقاة يرتبهم الناظر فى هذا الوقف بالتربة المستجدة المذكورة ويشترط عليهم أن يحضروا مع الشيخ يقرأون من الربعة الشريفة، ويصرف للشيخ المذكور الذى جعله الواقف المذكور بالتربة مع العشرة المذكورين على أن يفعل ما ذكر أعلاه فى كل سنة كاملة ما مبلغة ستمائة درهم.. .. ..(٢٢٠).

ومن نص هذه الوثيقة يتضح أن فتح الدين فتح الله بن نفيس المشار اليه كان قد وقف أوقافه على الخانقاة التى بين أيدينا بعد أن دفن زوجته فيها، وقد ساعد هذا ليس فقط على استمرار مرافقها من الساقية والحمام والصهريج ونحوها فى القيام بكامل وظائفها، بل أيضا على استمرار صوفيتها ومشايخها والمقرئين فيها فى وظائفهم حتى القرن (٩هـ/ ١٥م)، كل ذلك عن طريق ما أضافته إمكانيات هذا الوقف الجديد الى إمكانيات وقف الخانقاة الأصلى الذى كان قد أوقفه منشئوها طغيتمر النجمى.

وطغيتمر النجمى هذا صاحب الخانقاة المذكورة هو أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ثم أصبح دودارا لإبنه الملك الصالح اسماعيل، فلما مات الصالح بقى على حاله فى عهد أخويه الكامل شعبان والمظفر حاجى وكان أول دوادار يأخذ إمرة مائة وتقدمه ألف فى دولة المظفر هذا، واستمر فى الدوادارية حتى أخرج إلى الشام سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧) مع الأمير نجم الدين محمود الوزير والأمير سيف الدين بيدمر البدرى بعد أن لعب بهم أغرلو أثناء واقعة الأمير ملكتمر الحجازى والأمير آقسنقر وأدركهم فى الطريق عند غزة الأمير منجك وقتلهم(٢٢١).

ح – خانقاة الجبيغا المظفرى: (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

يقول المقريزى أن «هذه الخانقاة خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى، أنشأها الأمير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها، ولهم فيها شيخ يقيمون معه فى كل يوم وظيفة التصوف، ولهم الطعام والخبز»(٢٢٢)، ويقول على باشا مبارك أنه كان بجانب هذه الخانقاة حوضا لشرب الدواب وسبيلا لشرب الناس يعلوه كتاب يتعلم فيه الأيتام من الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ علوم الدين، ولهم فيه فى كل يوم الخبز وغيره، وقد ظلت الخانقاة على هذه الحال إلى أن أخرج الأمير برقوق أوقافها فتعطل حوضها ومكتب سبيلها وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها كلية وإن ظلت باقية بغير سكان(٢٢٣).

ومنشئ هذه الخانقاة هو الجيبغا المظفرى الخاصكى الذى علا شأنه فى أيام المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون حتى أصبح لا يشاركه أحد فى مرتبته، فلما تسلطن الناصر حسن أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة إلى أن أختلف أمراء الدولة فأخرج إلى دمشق فى ربيع الأول سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، ثم نقل منها إلى طرابلس عوضا عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطيرى، فظل فى نيابتها إلى سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) وكتب إلى الأمير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه فى التصيد فأذن له، وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما، ثم ركب ليلا بمن معه إلى خان لاچين بظاهر دمشق ومنه ليلا أيضا إلى أن طرق أرغون شاه وهو بالقصر الأبلق وقبض عليه وقيده فى ثالث عشرى ربيع الأول من السنة المذكورة واستدعى الأمراء بسوق الخيل فى الصباح وأخرج لهم كتاب السلطان بإمساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على أمواله.

وفى رابع عشرية (رابع عشرى ربيع الأول المشار إليه) وجدوا أرغون شاه مذبوحا وأشاع الجيبغا أنه ذبح نفسه، فأنكر الأمراء ذلك عليه وثاروا لحربه فركب إليهم وقاتلهم وانتصر عليهم وأخذ الأموال وخرج من دمشق متوجها إلى طرابلس فأقام بها إلى أن وردت الأخبار من مصر تستنكر ما حدث وتطلب الإمساك به فخرجت عساكر الشام إليه ففر من طرابلس إلى أن أدركه عسكرها عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل إلى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعتها هو

وفخر الدين إياس، ثم وسط هو ورفيقه بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكرها وعلقا على الخشب فى ثامن عشر ربيع الآخر سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) وعمره دون العشرين سنة، وكان كما يقول المقريزى «ماطر شاربه وكانه البدر حسنا والغصن اعتدالا»(٢٢٤).

ط – الخانقاة الشرابيشية: (ق ٨هـ/ ١٤م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – «فيما بين الجامع الأقمر وحارة برجوان فى آخر منحر الخلفاء (الفاطميين) فيما يعرف إليوم بالدرب الأصفر، كان يتوصل منها إلى هذا الدرب تجاه خانقاة بيبرس، وكان بابها الأصلى من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان، والذى أنشأها هو الصدر الأجل نور الدين على بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى الغنى واليسار وله عدة أوقاف على جهات البروالقربات»(٢٢٥).

ولما جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) كانت هذه الخانقاة قد تلاشت – على ما يبدو – من الوجود تماما وأصبحت أثرا بعد عين لأنه قال «وقد زالت هذه الخانقاة إليوم وفى محلها الآن (أى على عهده) الدار الكبيرة المعروفة بدار السحيمى التى بداخل الدرب الأصفر»(٢٢٦).

ى – الخانقاة الخروبية: (قبل٨٢٢هـ/ قبل١٤١٩م)

الواقع أنه ليس لدينا من الأخبار التاريخية عن هذه الخانقاة سوى ما ذكره المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) حين قال أنها كانت فى الأصل منظرة عظيمة بساحل الجيزة تجاه المقياس، أنشأها ركن الدين أبو بكر بن على الخروبى كبير التجار بمصر، ثم توارثها من بعده أبناؤه وأحفاده، فظلت بأيديهم إلى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ فى رجب سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) ورأى بعد الإقامة فيها أن يجعلها خانقاة فاستدعى له ابن الخروبى وعرض عليه المؤيد شراءها فتبرع ابن الخروبى له بما يخصه وصار إليه باقيها.

فأشار المؤيد إلى الأمير سيف الدين أبى بكر بن المسروق الأستادار بعملها خانقاة، فبدأ فى عمارتها حتى كملت فى آخر السنة المشار إليها، وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن

الحمى الدمشقى الحنبلى، وخلع عليه سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) ورتب له فى كل يوم عشرة مؤيدية، عنها مبلغ سبعين درهما فلوسا، سوى الخبز والسكن، وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدى واحد فى كل يوم⁽²²⁷⁾.

ك – خانقاة جامع المقياس: (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)

كما انحصرت معلوماتنا عن الخانقاة الخروبية فيما ذكره المقريزى، فقد انحصرت معلوماتنا عن هذه الخانقاة فيما ذكره على باشا مبارك، وخلاصته أن جامع المقياس فى الزاوية الغربية من قلعة الروضة تجاه الجيزة بناه فى أول الأمر أبو النجم بدر الجمالى بأمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ثم عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم هدمه الملك المؤيد شيخ المحمودى ليعيد بناءه ويوسعه سنة (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) إلا أنه مات قبل أن يتمه، فأكمله من بعده الظاهر چقمق ووقف عليه أوقافا، وكان به حينذاك ثمانية وثلاثون عمودا ومنبرا وثلاثة عشر شباكا مطلة على النيل، وارتفاع منارته أربعة وعشرون مترا وفيه سلالم موصلة إلى النيل عدتها ثمانية عشر درجة ربما كانت تجعل مقياسا للنيل فى الأزمان السابقة⁽²²⁸⁾.

وظل هذا الجامع تحت نظر بنى الرداد خدمة المقياس حتى تخرب بأعتداء الفرنسيين عليه وانتهاكهم لحرمته، فظل متخربا إلى أن جدده المرحوم حسن باشا المنسترلى، فجاء الجامع بعد تجديده هذا أصغر مما كان عليه، فعرف الجامع به بعد أن دفن فيه وقيل له جامع المنسترلى.

وما يهمنا فيما يتعلق بهذا الجامع هو ما أورده على باشا مبارك من مقتطفات من وقفية للسلطان الغورى مؤرخة بسنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) بعد أن قام هذا السلطان بتعمير الجامع، وفيها يذكر أن الغورى وقف عليه جميع البناء بخط مكامة الحطب بقرب سوق دار النحاس بالإضافة إلى الحديقة والإصطبل اللذين كانا هناك، وثلث الفندقين المعروفين بالمكارم، والرباع والمخازن والحوانيت بخط صناعة الزكايب والقماحين، وأرض زراعية بالروضة تعرف بالميدان، والبرك بقرب جامع الريس ومساحتها عشرون فدانا بالقصبة الحاكمية، وأرضا فى جزيرة الطائر بالجيزية، وجزيرة تجاه ديرالطين، وجزيرة الصابونى، وأرضا بناحية شوشة بالبهنساوية، وعقارا بمصر القديمة بخط دار النحاس وآخر بشاطئ النيل.

ونص فى هذه الوقفية على أن يصرف لإمام الجامع شهريا خمسمائة درهم نحاس شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، وللمرقى مائتى درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولسبعة عشر صوفيا مع شيخهم خمسة آلاف وأربعمائة درهم شهريا، وللقارئ فى المصحف بالجامع ثلاثمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولسبعة ميقاتية ثلاثة آلاف درهم شهريا واثنين وعشرين رغيفا يوميا، وللوقاد كذلك، وللكناس والفراش معا ستمائة درهم. ولسواق الساقية سبعمائة درهم وأربعة أرغفة، وللرشاش سبعمائة درهم وثلاثة أرغفة، ولا ثنين بوابين ألفا ومائتى درهم شهريا وستة أرغفة يوميا، ولنجار الساقية ثمانية دراهم وثلاثة أرغفة، وللمباشر ستمائة درهم واربعة أرغفة، وللشاهد خمسمائة دهم وثلاثة أرغفة، وللشاهد مثل المباشر وللجابى مثل الشاهد(٢٢٩).

ومن كل هذا يتضح أن السلطان الغورى كان قد وفر لهذا الجامع بما أوقفه عليه وما قرره له كل مقومات وظائف التصوف التى عرفت عن الخانقاوات فيما سبقت الإشارة إليه.

ل – خانقاوات متفرقة :

بالإضافة إلى كل ما ذكر من خانقاوات دارسة وصل عددها إلى إحدى عشرة خانقاة، كانت هناك ست خانقاوات أخرى لم ترد عنها معلومات كافية فى المصادر والمراجع العربية، وما جاء عن كل منها لا يتعدى خبرا ذكره مصدر أو مرجع، وقد آثرنا ذكرها قبل ان ينتهى الحديث فى هذا الفصل حتى لا نهمل الإشارة إليها.

وأول هذه الخانقاوات الست هى الخانقاة المجاهدية، وقد أورد ذكرها ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨–٩هـ/ ١٤–١٥م) حين قال فى ترجمة محمد بن ابى بكر الرقى شهاب الدين بن العدنية أنه كان «شيخ الخانقاة المجاهدية» حدث ومات فى ذى القعدة سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)(٢٣٠).

وثانيتها هى الخانقاة الناصرية الجديدة، وما لدينا من معلومات عنها ينحصر فيما ذكره ابن حجر العسقلانى أيضا عندما ترجم لمجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرى شيخ الخانقاة بسرياقوس وأنه قدم أولا من الاسكندرية حيث كان شيخا للخانقاة التى أقامها بيليك المحسنى، ثم

قرر فى مشيخة الخانقاة الجديدة الناصرية وكان الناصر يعظمه، مات فى ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وقد أناف على السبعين)(٢٣١).

وثالثتها خانقاة كريم الدين بالقرافة، وقد ورد ذكرها فيما أشار إليه ابن حجر عند ترجمته لموسى بن احمد بن محمود الأقصرى المشار إليه فى الخانقاة الناصرية الجديدة، حيث قال ثم قرر فى مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة، مات فى ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)(٢٣٢).

ورابعتها خانقاة منجك اليوسفى وقد جاءت الإشارة إليها فى كتاب جامع الكتابات العربية عند الحديث عن نص إنشاء تربة منجك إليوسفى وقد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا قبر المقر الأشرف الصالح المولوى السيفى منجك كافل المملكة الشريفة الإسلامية توفى يوم الخميس بعد عصر تاسع عشرى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بكرة يوم الجمعة من شهر ذى الحجة غفر الله له ولمن ترحم عليه»(٢٣٣)، وفى حاشية على هذا النص يقول المصنف تكملة لذلك «ودفن صبيحة يوم الجمعة بتربته التى أنشأها عند جامعه وخانقاته خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل»(٢٣٤).

وخامستها الخانقاة الخاتونية بالربوة، وقد ذكرها ابن حجر عند ترجمته لمحمد بن على أبى بكر العنصرى فقال «شيخ الخانقاة الخاتونية بالربوة مات فى أواخر شهر رمضان سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)(٢٣٥).

وسادستها الخانقاة المؤيدية عند باب زويلة، وقد ورد بحجة منشئها أنها كانت قد زودت بمائتى مسكن للصوفية، وأن هذه المساكن (الخلوات) كانت تقع خلف الإيوان الغربى(٢٣٦)، ومن ذلك يتضح أن جملة خانقاوات القاهرة التى درست كانت قد بلغت سبع عشرة خانقاة، وهو عدد إذا أضفناه إلى جملة الخانقاوات التى لازالت باقية مما سنتكلم عنه فى الفصول التالية وعددها ثلاث وثلاثون خانقاة، منها إحدى عشرة خانقاة مملوكية بحرية واثنتى عشرة خانقاة مملوكية برجية لا تضح لنا أن جملة خانقاوات القاهرة كانت قد بلغت فى عصرى الأيوبيين والمماليك خمسون خانقاة.

٤ – الرباط والزاوية والتكية :

كان الرباط والزاوية والتكية على علاقة لا تنفصم مع الخانقاة، لأن وظيفة التصوف كانت قد مورست فى كل من هذه الأبنية جميعا، فجاء الرباط سابقا على الخانقاة وجاءت الزاوية والتكية لاحقتين عليها.

والرباط كما وردت تعريفاته فى الموسوعات والمراجع هو نوع من المبانى العسكرية التى خصصت لمرابطة المجاهدين فى سبيل الله بثغور الحدود، وكانت عبارة عن مبان ذات تخطيط مستطيل يتألف من صحن أوسط تحيط به أبراج فى الأركان، بالجانب القبلى للصحن مصلى وبالجوانب الأخرى حجرات صغيرة بغير نوافذ للمرابطين، ولا يؤدى إلى الرباط إلا مدخل واحد(٢٣٧).

وقد رأى البعض – تأثرا بأفكار بعض الغربيين الذين شبهوا الأربطة بالأديرة المسيحية المحصنة – أن تصميم الرباط كان يشبه التحصينات البيزنطية(٢٣٨)، على حين رأى البعض الآخر – وهو الأرجح تصديقا – أن مخطط الرباط ما هو إلا نظام معمارى مقتبس من القصور الأموية التى بنيت فى بادية الشام منذ القرن (٢هـ/ ٨م)(٢٣٩).

أما فى قواميس اللغة فقد ورد أن الرباط بالكسر ما تشد به الدابة والقربة وغيرهما، والجمع ربط، والرباط أيضا يعنى المرابطة وهى ملازمة ثغر الحدود وهو واحد الرباطات المبنية(٢٤٠).

وأضاف المقرى إلى نفس تعريف الرازى أن الرباط أيضا هو الذى يبنى للفقراء وهو مولد (أى من الألفاظ المشتقة) ويجمع فى القياس ربط بضمتين ورباطات(٢٤١)، ولا ندرى لم ابتعد هؤلاء وأولئك عن أصل الكلمة الذى ورد فى القرآن الكريم فى موضعين يقول الحق تبارك وتعالى فى أولهما ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾(٢٤٢) ويقول عز من قائل فى ثانيهما ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطو واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾(٢٤٣) وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن المرابطة فى سبيل الله كانت أمر واجبا بنص القرآن الكريم.

هذا عن الرباط تعريفا وتفسيرا، أما عن تاريخ الرباط فقد أفاضت علينا المراجع العربية بالكثير من المعلومات الهامة فى هذا الصدد، وتشير هذه المعلومات إلى ان أصل الرباط – كما قلنا – هو بناء صغير حصين أعد لمرابطة المجاهدين فى الثغور لحمايتها، ثم زالت عنه بعد استتباب أمن الدولة الإسلامية واستقرارها صفته الحربية، واتخذ بيتا للتقشف والعبادة يسكنه الصوفية(٢٤٤)، وهنا تبرز العلاقة بين الرباط والخانقاة، فتشير بعض المراجع العربية إلى أن نظام الخانقاة كان قد أخذ ترجيحا – عن الرباط، حيث كان المرابطون يؤهلون دينيا وروحيا بجانب تدريبهم عسكريا، وقد ظهر الرباط قبل الخانقاة بكثير، مثل رباط المنستيربتونس ويرجع إلى سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٥م) ورباط سوسة على خليج جابس بشمال افريقيا ويرجع تاريخه الى سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م) ورباط أبى شوتران فى ايران ويرجع تاريخه الى سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م)(٢٤٥)، ويغلب على الظن أن من هذه الأربطة نشأت دعوة المرابطين الذين سيطروا على المغرب والأندلس فى القرن (٥هـ/ ١١م).

وقد ورد أن من شروط أهل الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بما يجرى عليهم من الأرزاق، وحبس النفس عن المخالطات، واجتناب التبعات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة، والاشتغال بحفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات، واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا(٢٤٦).

ولهذا كانت مهام مرابطى هذه الثغور تنحصر فى قيام بعضهم بمنارات هذه الأربطة لمراقبة أية تحركات للأعداء، وبقاء بعضهم الآخر مستعدا على أسطحها أو على صهوة جيادها، على حين انشغل الباقون بإعداد السلاح والطعام والشراب، وكان من هؤلاء الطبيب والمعلم والنساخ والكفاؤون (صانعوا الورق) والمشرفون على الحمام الزاجل، والوقادون الذين كانوا يتخاطبون ليلا مع الأربطة الأخرى عن طريق النار باصطلاحات يعرفونها فيما بينهم، ومع أن الدولة كانت تنفق عليهم دائما فإن هذا لم يمنع من تبرع المحسنين لهم بالأراضى والإقطاعات التى حبسوها عليهم(٢٤٧).

وقد شطح الفكر ببعض الكتاب الغربيين فقال أحدهم «وكل ما كان لهم (أى للمسلمين) بيوت صغيرة للذكر فى ظاهر المدن سموها رباطات .. ولكن يظهر أنه كان يعيش فى

هذه البيوت المنعزلة بعض العباد فى ذلك العصر، فيحكى عن على بن ابراهيم الحصرى الصوفى (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) أنه كبرت سنه فصعب عليه المجئ الى الجامع فبنى له الرباط المقابل لجامع المنصور(٢٤٨)، وهو قول ليس له من المنطق أو الدين سند فلا يعقل بناء رباط لمسلم واحد لا يستطيع المجئ إلى المسجد.

وقد أكثر المسلمون من إقامة الربط على حدود دولتهم ولا سيما فى الشام والمغرب والأندلس، وكان أهل الرباط يجمعون بين حياة الجهاد والحياة الدينية، وهو أمر لا غرابة فيه لاسيما وأن حياتهم فى هذه الثغور المنعزلة على حدود الدولة كانت تساعدهم على التعبد والتقشف، إلا أنه بعد أن ضعف خطر الصليبيين على الإسلام فى المشرق، أخذ الرباط يفقد طابعه الحربى – كما قلنا – وتغلبت عليه الصفة الدينية، وقد ساعد انتشار التصوف فى هذا العصر على خلق المبرر لبقاء الأربطة وتحويلها إلى دور للصوفية(٢٤٩).

ولم تقتصر الأربطة فى الإسلام على أربطة الرجال فقط وإنما كان هناك من الأربطة ما خصص للنساء، وكانت هذه بمثابة دور لكفالة البنات والنساء من اليتامى والأرامل والمطلقات اللائى لم يكن لهن عائل، ومع أن النسوة فى هذه الأربطة كن يحاكين الرجال فى لبس المرقعات من الصوف، إلا أن أربطة النساء كانت – كما يقول ابن حجر والسخاوى – بمثابة «ملاجئ لهن»(٢٥٠).

ووجود هذه الأربطة للنساء أمر فى الحقيقة لا غرابة فيه لأن ما ورد فى المصادر والمراجع العربية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن شيخة الرباط أو «صاحبة الرباط» أو «الصوفية» كانت من الوظائف التى ما رستها المرأة فى مصر ولا سيما فى العصر المملوكى، يدل على ذلك أن بيبرس الجاشنكير كان قد أنشأ مع خانقاته سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) رباطا للأرامل والمطلقات، وقد زال هذا الرباط فيما بعد وأقيمت فى موضعه وفى بعض مواضع الخانقاة مثل مساكن الصوفية وحظائر الدواب والمخبز الوكالة التى أنشأها سليمان أغا السلاحدار – سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م)(٢٥١) ليس هذا فقط بل كان هناك من أربطة النساء بالإضافة إلى رباط الجاشنكير، رباط زوجة السلطان إينال بالخرنفش ورباط البغدادية الذى أنشأته الأميرة تذكارباى إبنة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٨٥م) للشيخة زينب إبنة أبى البركات المعروفة بالبغدادية

ومعها النساء المطلقات وغيرهن ممن طلبن الأنفراد وترك العالم، وقد ظل هذا الرباط باقيا حتى عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ثم آل أمره الى الاضمحلال حتى تلاشى من الوجود تماما وأصبح أثرا بعد عين(٢٥٢).

ولعل من أبرز الأربطة فى مصر رباط الآثار الذى كان قريبا من بركة الحبش وقد بدأ فى إنشائه الأمير تاج الدين محمد بن الصاحب وأكمله إبنه من بعده وكان ذلك بين سنتى (٦٤٠ – ٧٠٧هـ/ ١٢٧١ – ١٣٠٧م)، وسمى هذا الرباط فيما بعد باسم مسجد أثر النبى لاحتوائه على قطعتين إحداهما من الخشب والأخرى من الحديد قيل أنهما كانتا للنبى ﷺ اشتراهما تاج الدين بن الصاحب من بنى ابراهيم فى ينبع (من الحجاز) بستين ألف درهم وأودعهما فيه، وقد ألحقت بهذا الرباط خزانة كتب(٢٥٣) كان من أهمها ربعة شريفة أوقفها المقر الأشرف الكريم العالى الناصرى الجمالى أبو المحاسن يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة، وجاء على كل جزء منها أن «هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلاثون جزءا قد أوقفت على الفقراء القاطنين بالرباط المعروف بإنشاء الصاحب بهاء الدين بن حنا بمصر المحروسة الذى به الآثار الشريفة النبوية والمترددين إليه، ينتفعون به الانتفاع الشرعى، وشرط ألا يخرج منه بوجه من الوجوه وأشهد على نفسه الكريمة بذلك فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى عام ست وخمسين وثمانمائة»(٢٥٤) وقد أجرى السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج أعمالا ترميميه فى هذا الرباط، ودليل ذلك لا يزال قائما على أحد الأعمدة المثمنة بدهليز الرباط ممثلا فى نص يقول «الناصر ناصر الدنيا والدين فرج» وقد أثبتت هذا النص لجنة حفظ الآثار العربيية منذ معاينتها للرباط سنة (١٩٠٠م)(٢٥٥).

وبالإضافة إلى أربطة القاهرة المذكورة ممثلة فى رباط الآثار والجاشنكير والبغدادية كان هناك رباط الزينى فى شارع بين السورين قريبا من الموسكى، وقد عرف هذا الرباط بضريح الشيخ أبى طالب نظرا لوجود نص محفور فى الحجر على عتب الشباك المجاور للمدخل يقول «هذا ضريح الشيخ الصالح سيدى أبو طالب نفعنا الله ببركته بمحمد وآله(٢٥٦)» أما الأصل فيه فهو رباط أنشأه المقر الأشرف العالى الأميرى الكبيرى الزينى (يحيى) أستادار العالية فى صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة وخصصه لسكن صوفية خانقاته الزينية العشرين(٢٥٧).

ليس هذا فقط بل كان هناك أيضا رباط العلائى الذى عرف بخانقاة المواصلة ورباط الناصر محمد بخانقاة سرياقوس الذى أنشأه لسكن صوفية خانقاته الأربعين، ورباط الأشرف برسباى الذى كان ملحقا بخانقاته بالتربيعة وخصص لسكن صوفية خانقاته الخمسة والستين وغيرها من الأربطة التى درست ولم يعد لها وجود.

أما عن الزاوية فقد قصد بها فى الأصل أن تكون مسجدا صغيرا تقام فيه الصلاة، ولا تزال تطلق هذه التسمية فى مصر حتى اليوم على بعض المساجد الصغيرة إلا أن اللفظ كان قد تطور معناه فى المغرب الإسلامى فأصبح يقصد به الخانقاة أو منزل الصوفية(٢٥٨).

وقد وردت الزاوية فى قواميس اللغة بمعنى «واحدة الزوايا» ومؤنث «الزاوى» وهى ركن لبيت، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر، ومأوى المتصوفين والفقراء(٢٥٩)، ويغلب على الظن أن انتشار هذه الزوايا كان قد أدى إلى شيوع التصوف وتعدد طوائفه، ومن ثم إلى دخول أمور مستحدثة لم يقرها المعتدلون من السلف من أهل الخوانق، وقد انتشرت هذه الزوايا فى جميع أنحاء العالم الاسلامى فكانت هناك مثلا زاوية الشيخ عبد الكبير الحضرمى فى مكة وقد أوقف المماليك عليها الأوقاف وخصصوا لها من الذهب الناصرى مائة دينار، وزوايا الطوائف فى الشام وآسيا الصغرى، والزوايا السنوسية فى المغرب والزوايا التيجانية فى السودان والزوايا القادرية فى غرب افريقية، وكانت كل هذه الزوايا إما فردية عرفت باسم ساكنها أو منشئها وإما جماعية احتفظت بالطابع الدينى الأول فتشابهت بذلك مع المدارس والخانقاوات فى مهمتها.

وهكذا تداخلت اسماء الخانقاة والرباط والزاوية لا سيما بعد ما تشابهت وظائفها فى مصر على عصر سلاطين المماليك، فاختلط الأمر على البعض، ولم تعد التفرقة فيما بينها واضحة لديهم، وقد زاد من صعوبة هذا التداخل تضارب الآراء التى وردت فى المصادر العربية خاصة بهذا المعنى ولا سيما ما ذكره ابن الحاج من أن الرباط هو ما عرف فى عرف معناه عند العجم بالخانقاة(٢٦٠)، وما ذكره ابن بطوطة من أن الزوايا فى مصر كثيرة وهم يسمونها الخوانق (جمع خانقاة)، ويتنافس الأمراء فى بناء هذه الزوايا، وكل زاوية منها معينة لطائفة من الفقراء، وأكثرهم الأعاجم، وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف، ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم

عجيب(٢٦١)، وما أشار إليه ابن إياس من أن السلطان قايتباى كان قد أنشأ زاوية بالمرج فسميت لذلك بمرج الزاوية(٢٦٢) أما ما ذكره المقريزى فقد فرق فيه بين الخانقاوات والأربطة والزوايا وتحدث عن كل منها بذاته وإن لم يخرج حديثه فيها عن معنى واحد هو أنها جميعا سميت «بيت الصوفية»(٢٦٣).

ومع ذلك فقد كان هناك من الفوارق ما يميز حتى بين الأربطة بعضها وبعض فكان منها الأربطة التى أنشئت على حدود الدولة أو فى ثغورها وكانت مخصصة للدفاع عن حدود الوطن، والأربطة التى خصصت لاستقبال الغرباء الوافدين من البلاد الخارجية، والأربطة التى كانت ملحقة بالخانقاوات وقد ساعدت كل هذه العوامل دون شك على تضارب الآراء والمفاهيم حول هذه المنشآت جميعا.

والواقع أن ما ذكره بعض المستشرقين من تسمية هذه المنشآت بالملاجئ هو قول لا يبعد عن الحقيقة كثيرا، لأن بيوت الصوفية فى ذلك العصر سواء كانت خانقاوات أو أربطة أو زوايا أو تكايا لم تكن بيوت عبادة فحسب بل كانت مأوى لكل مريد أو صاحب عاهة أو كبير سن أو فاقد بصر، فضلا عن اليتيمات والمطلقات والأرامل.

أما عن التكية فإن ما ورد بشأنها فى قواميس اللغة يقول أنها «خانقاة الدراويش يمر فيها المريدون بطورى الرضاع والفطام، وجمعها تكايا»(٢٦٤)، وقد أنشئت التكايا فى العصر العثمانى فى مصر لتحل محل الخانقاة وإن كانت تختلف عنها كثيرا فى تخطيطها المعمارى، لأن التكية كانت عبارة عن صحن به حديقة وفسقية تحيط به من الجهات الأربع إيوانات تفتح على هذا الصحن بعقود محمولة على أعمدة، وتغطى هذه الإيوانات بقباب كروية صغيرة، وتنتظم من حولها قاعات الدراويش المعقودة بنفس القباب، وكان من المعتاد أن يلحق بكل تكية من هذه التكايا مسجد صغير وسبيل(٢٦٥).

وقد جرت العادة أن يدفن الدراويش فى التكية أسوة – على ما يبدو – بما كان متبعا من دفن الصوفية فى حوش الخانقاة، ولا زال بالقاهرة حتى الآن خمس تكايا هى التكية المولوية التى

الحقت بمدفن حسن صدقة وتاريخها (٧١٥ - ٧٢١هـ/ ١٣١٥-١٣٢١م)، وتكية المغاورى التى تعرف باسم التكية البكتاشية للمذهب البكتاشى وتاريخها (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، وتكية الكلشنى للمذهب القادرى وتاريخها (٩٢٦-٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)، والتكية السليمانية وتاريخها (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) وأخيرا تكية السلطان محمود وتاريخها (١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م)(٢٦٦).

حواشي وتعليقات فصول

الدراسات التاريخية والصوفية والأثرية المعمارية

حواشى وتعليقات فصول

الدراسات التاريخية والصوفية والأثرية المعمارية

١ – ابن بطوطة : الرحلة : ص٣٧٠

٢ – المقريـزى : الخطط : جـ٢ص٤١٣.

٣ – السيـوطى : حسن المحاضرة : جـ٢ ص ٢٥٦ج ١.

٤ – على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : جـ٦ص٤٨.

٥ – عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى :

– ج١ص١٠٥.

– سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص ٧٢.

– صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر : ص١١٨.

– الموسوعة العربية الميسرة : ص٧٥٠.

– كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص١٠.

– زكى محمد حسن : فنون الإسلام : ص٢٧-٢٨.

– خليل الجر وآخرون : المعجم العربى الحديث : «لاروس» ص٤٧٩.

– محمد كرد على : خطط الشام : جـ٦ص١٣٠.

– عبد الجليل عبد المهدى: المدارس فى بيت المقدس : جـ١ص٤٠٠-٤٠٢.

٦ – محمد نور الدين عبد المنعم : بحث فى الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية ورد فى دراسات فى الحضارة الإسلامية : ص٢٠٧-٢٤٣.

٧ – سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الإسلام : ص٤٧٧.

٨ – حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية : جـ١ص١٣٥.

٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ص٤١٤.

– سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : جـ١ص٢٥-٢٦.

١٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٦ص٤٨-٤٩.

١١ – المقريـزى : المصدر السابق : جـ٢ص١٣.

- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : جـ١ ص٢٠٢.
- سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص٥٠.

١٢ - أدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : جـ٢ ص٢٩-٣٠.

١٣ - سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : جـ١ ص٢٥-٢٦.

- لين بـول : سيرة القاهرة : ص١٩١-١٩٣.

١٤ - دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى :

- ص٢٣-٢.

١٥ - سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك : ص١٧٠-١٧٢.

- فريد شافعى : العمارة العربية : ماضيها وحاضرها ومستقبلها : ص١٢٤.

١٦ - لين پول : المرجـع السابق : ص١٦٧.

١٧ - الغـزالى : إحياء علوم الدين : جـ١ ص٧.

١٨ - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : جـ١ ص٢٥٧-٢٥٨.

١٩ - السيوطى : حسن المحاضرة فى ملوك مصر والقاهرة: جـ١ ص ٢١٢.

٢٠ - ابن جبير: الرحلة : ص ٢٥٨،

- المقريزى المصدر السابق: جـ٢ ص٣٤١.

٢١ - المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: جـ١ ص ٢٠٥.

٢٢ - ابن جبير: المصدر السابق : ص ٢٦٠.

٢٣ - المقريزى: المصدر السابق جـ٢ ص ٢٥٥.

٢٤ - أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها «العصر الأيوبى» ص ١٤٣ - ١٤٦.

٢٥ - المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٤١.

٢٦ - السبكى: طبقات الشافعية الكبرى: جـ٣ ص ١٣٧.

٢٧ - السيوطى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٥.

٢٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢٥٥.

٢٩ - ابن جبير: المصدر السابق: ص ٢٦٠.

٣٠ - المقريزى : المصدر السابق: جـ٣ ص ٣٨٠.

٣١ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢٧٨.

٣٢ - ياقوت الحموى: معجم البلدان: جـ٥ ص ٤١٥.

٣٣ - القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: جـ١ ص ٣٧٠.

٣٤ - حجة بيبرس الجاشنكير رقم ٢٣٠ - محكمة شرعية.

٣٥ - القلقشندى: المصدر السابق: جـ١١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

٣٦ - الذهبى: تاريخ الإسلام: جـ٣ ص ١٦٤.

٣٧ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٤ - ١٤٦.

٣٨ - نفس المرجع: ص ١٧٠.

٣٩ - السخاوى: التبر المسبوك فى ذيل السلوك: ص ٢١٦.

٤٠ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٥ - ١٤٦.

٤١ - ابن خلكان: المصدر السابق: جـ١ ص ١٩٣.

٤٢ - ياقوت الحموى: المصدر السابق: جـ٨ ص ٣٦.

٤٣ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٣٧.

٤٤ - محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام: ص ١٥٠.

٤٥ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ١ ص ٣٧ - ٣٨ ترجمة رقم٣٧.

٤٦ - نفس المصدر: جـ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٣ ترجمة رقم ٩٣٩.

٤٧ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢ ترجمة رقم ٧٤٧.

٤٨ - نفس المصدر: جـ٥ ص ٥٦ -٥٧ ترجمة رقم ٢٠٩.

٤٩ - نفس المصدر: جـ٣ ص ٢١١ - ٢١٢ ترجمة رقم ٧٩٤.

٥٠ - نفس المصدر: جـ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ترجمة رقم ٨٩٢.

٥١ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٤٠ ترجمة رقم ١٢٤.

٥٢ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ترجمة رقم ٧١٤.

٥٣ - نفس المصدر: جـ٦ ص ٢٢٦ ترجمة رقم ٧٦٥.

٥٤ - نفس المصدر: جـ٤ ص٣٣٠ - ٣٣١ ترجمة رقم ٩١٣.

٥٥ - نفس المصدر: جـ ٣ ص ١٢ - ١٣ ترجمة رقم ٤٩.

٥٦ – الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: جـ١ ص ١٩٦ – ٢٠٧.

٥٧ – نفس المصدر: جـ١ ص ٢١١.

٥٨ – السخاوى: تحفة الأحباب: ص ١٨٠،

– ابن الحاج: المدخل : جـ٢ ص ١٤١،

– الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥ – ٥٢٦،

– دولت عبد الله: المرجع السابق.

Abdur Raziq (a.): La femme : P . P . 77 79.

٥٩ – دائرة المعارف الإسلامية: الطبعة الأوربية الأولى: جـ٤ ص ٧٣٩ – ٧٤٠.

٦٠ – Ritter (H.) Studien zurGeschichte der Islamischen Frommigkiet , Islam 21 , 1933, P . P . 1-63.

٦١ – أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء: جـ٢ ص ٧٩ – ٩٨، ١٠٢ – ١٦.

٦٢ – الجاحظ: البيان والتبيين: جـ٣ ص ١٢٥ – ٢٠٢.

٦٣ – فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى: جـ٤ م١ ص ٩١ – ٩٣.

٦٤ – السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص ١٠٤ – ١٠٥.

٦٥ – أدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٠ – ٢١.

٦٦ – ابن العربى: الفتوحات المكية: جـ١ ص ٢٠٦.

٦٧ – أدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢١ حاشية ٢.

٦٨ – الكندى: الولاة والقضاة ص ١٦٢،

– المقريزى: المصدر السابق.

– كامل الشعيبى: الصلة بين التصوف والتشيع: ص ٢٣٢.

٦٩ – اليعقوبى: تاريخ: جـ٣ ص ١٧٤ وأنظر أيضا:

– آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٢ – ٢٣.

٧٠ – مصطفى الشعيبى: المرجع السابق: ص ٢٣٥.

٧١ – محمد توفيق البكرى: نشأة التصوف والصوفية: ص ٧٠٦،

– الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦ – ٥٢٧.

٧٢ – ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٧١ – ٣٧٢، وانظر أيضا:

– الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.

٧٣ – البكرى: المرجع السابق: ص ٧.

٧٤ – راجع: يوسف بن اسماعيل النبهانى: كتاب: جامع كرامات الأولياء وبهامشه كتاب: نشر المحاسن الغالية فى فضل مشايخ الصوفية لسيدى عبد الله بن أسعد اليافعى: جـ٢ هامش ص ٣٤٠ – ٣٤٢.

٧٥ – آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٤٢ – ٤٣.

٧٦ – نفس المرجع: جـ٢ ص ٤٨ – ٥٧.

٧٧ – ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٥ – ٣٧٦.

٧٨ – أبو طالب المكى: قوت القلوب: جـ١ ص ١٤١.

٧٩ – سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١٠ – ١١،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٣.

٨٠ – الحلاج: كتاب الطواسين: ص ٢٣ – ٣٠.

– أدم متز: المرجع السابق: جـ١ ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

٨١ – كامل الشعيبى: المصدر السابق: ص ٣٤٣ وأنظر أيضا:

– فتحية النبراوى: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية: ص ٢٠٣.

٨٢ – كامل الشعيبى: المصدر السابق: ص ٣٤٣ – ٣٤٥.

٨٣ – ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٠ – ٣٧١ وانظر ايضا:

– صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥.

٨٤ – حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته: ص ٢٧ وانظر ايضا

– عبد الجليل عبد المهدى: المدارس فى بيت المقدس: جـ١ ص ١١٠ – ١١٣،

– توماس أرنولد: تراث الإسلام: ص ٣٣٣،

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٢ – ١٦٣.

٨٥ – نفس المرجع: ص ١٦٧ – ١٦٨،

– سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١١ – ٢٢،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٥ - ٣٦.

٨٦ - حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٢٧ - ٢٨،

- توماس أرنولد: المرجع السابق: ص ٣٤٦.

٨٧ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣ وراجع أيضا:

- القشيرى: الرسالة: ص ٧ - ٧،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٥، ١٣٠، جـ٣ ص ٩ - ١٠.

٨٨ - راجع: اليافعى: المصدر السابق: هامش ص ٣٤٥ - ٣٤٧،

- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥،

- آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٣ - ٢٤.

٨٩ - راجع : محمد توفيق البكرى: المصدر السابق: ص ١ - ٥،

- المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣،

- اليافعى: المصدر السابق: هامش ص ٣٤٣.

٩٠ - الجاحظ: المصدر السابق: جـ١ ص ١٩٥.

٩١ - أنظر: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٩ - ٣٠.

٩٢ - راجع الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.

٩٣ - راجع: ابن حبيب: درة الأسلاك: جـ٢ ص ٢٦٠،

- ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٥٢٢،

- المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣،

- كامل الشعيبى: المصدر السابق: ص ٢٦٠،

- زكى مبارك: التصوف: جـ١ ص ٦٤،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٩،

- توماس أرنولد: المرجع السابق: ص ٣٠٦،

- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥،

- فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٣.

٩٤ - الشعرانى: لواقح الأنوار: جـ١ ص ٢٤٢.

٩٥ - ابن الحاج: المصدر السابق: جـ٣ ص ٢٠٧.

٩٦ - الشعراني: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٧٦.

٩٧ - السخاوى: تحفة الأحباب: ص ١٩ - ٣٢،

- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة: جـ٩ ص ٢٩٥.

٩٨ - سورة الفتح: آية ١٠.

٩٩ - البكرى: المصدر السابق: ص ٢٥ - ٢٧.

١٠٠ - فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٣.

١٠١ - حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٥٥.

١٠٢ - ابن حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة: جـ٤ ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٩٥٠.

١٠٣ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ١ ص ٨٦.

١٠٤ - نفس المصدر: جـ٢ ص ١٩٤ - ٢٠١ ترجمة رقم ٥٣٠.

١٠٥ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٤٣٤.

١٠٦ - ابن الجوزى: تلبيس إبليس: ص ٢٩٢ - ٢٠٥ وما ذكره البكرى عن الزى الأخضر والأحمر فى نشأة التصوف والصوفية ص ١٦ - ١٧.

١٠٧ - ابن بطوطة: المصدر السابق: ص ٣٧-٣٩،
سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٢.

١٠٨ - البكرى: المصر السابق: ص ٨ - ١٠.

١٠٩ - راجع القاضى مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ ٢ ص ١٩٤ - ١٩٥،

- عبد الجليل عبد المهدى: المرجع السابق: جـ١ ص ١١١.

١١٠ - السيد الباز العرينى: مصر فى عصر الأيوبيين: ص ٢٢٦.

١١١ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٤.

١١٢ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤١٣ وراجع أيضا:

- توفيق ا لطويل: التصوف فى مصر: ص ١٥١ - ١٥٢،

- عبد اللطيف ابراهيم: دراسات تاريخية وأثرية: جـ١ ص ١٥٩ - ١٦٠،

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٤ – ١٧٥،

– سعاد ماهر: القاهرة القديمة وأحياؤها: ص ٧٣.

١١٣ – أنظر أيضا: سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٤.

١١٤ – ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٠ – ٣٧١.

١١٥ – سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٣ – ١٦٤.

١١٦ – توماس آرنولد: المرجع السابق: ص ٣١١ – ٣١٢.

١١٧ – حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٣٨ وأنظر أيضا:

– السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٨ – ٢١٩.

١١٨ – الشعرانى: المصدر السابق: جـ١ ص ٢٣٤،

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٥.

١١٩ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣.

١٢٠ – ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة: ص ١٩٣.

١٢١ – الغزالى: المرجع السابق: جـ٢ ص ١٥٣ وأنظر ايضا:

– فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٢.

١٢٢ – ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى: جـ٣ ص ٢٦١.

١٢٣ – منهاج الصالحين: حديث رقم ٣٠٠ ص ٢٠٩.

١٢٤ – نفس المصدر: حديث رقم ٣٠٥ ص ٢٠٩.

١٢٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٤.

١٢٦ – البكرى: المصدر السابق: ص ١٠ – ١١.

١٢٧ – المناوى: الكواكب الدرية: جـ ص ٢٠٩،

– ذولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٣.

١٢٨ – ابن خلكان: المصدر السابق جـ١ ص ٣٤،

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٣.

١٢٩ – ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور: جـ٣ ص ٧٨.

١٣٠ – راجع فى ذلك: الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف: ص ٥٧، ٧٢،

- آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٩ – ٣٠،
- صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.

١٣١ – راجع هذا القول وغيره فى: البكرى: المصدر السابق: ص ٢٣ – ٢٥.

١٣٢ – راجع فى ذلك: البكرى: نفس المصدر: ص ١٣ – ١٥.

١٣٣ – راجع: فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٥.

١٣٤ – ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ١٩٣.

١٣٥ – أنظر: توماس آرنولد: المرجع السابق: ص ٣١٢ – ٣١٣،

- السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٧ وراجع ايضا:
- ابن النديم: الفهرست: ص ٣٥٨،
- أبو نعيم: المصدر السابق: جـ٩ ص ٣٣١،
- الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد: جـ٨ ص ٣٩٣ – ٣٩٧،
- ابن خلكان: المصدر السابق: جـ١ ص ١٢٦،
- ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: جـ٢ ص ١٠٧.

١٣٦ – راجع مقال الدكتور ابراهيم الدسوقى شتا عن «دور المتصوفة الإيرانين فى ميدان التصوف الإسلامى» فى كتاب «دراسات فى الحضارة الإسلامية ص ٢٤٥ – ٢٧٠،

- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٣٦.

١٣٧ – راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٧،

- آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٥ – ٢٧.

١٣٨ – آدم متز: نفس المرجع: جـ٢ ص ٢٧ – ٢٨.

١٣٩ – نفس المرجع: جـ٢ ص ٢٧ – ٢٨.

١٤٠ – راجع: ابن خلكان: المصدر السابق: جـ١ ص ٤٨٣،

- ابن العماد: المصدر السابق: جـ٢ ص ٧٤١،
- عبد الرحمن زكى: القاهرة – تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ص ٧٨ – ٨٠،

- السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٦ - ٢١٧.

١٤١ - راجع: فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

١٤٢ - راجع: الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.

١٤٣ - نفس المرجع: ص ٥٢٦.

١٤٤ - راجع: سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٢ - ١٦٣،

Abdur - Raziq (A.) : op. Cit . P. 78.

١٤٥ - البكرى: المصدر السابق: ص ١٨ - ٢٢.

١٤٦ - راجع ابن قتيبة: مختلف الحديث: ص ٨٤ وما بعدها.

١٤٧ - ابن الحاج: المصدر السابق: جـ١ ص ١٠٤.

١٤٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢ - ٦.

١٤٩ - راجع: السخاوى: الذيل على رفع الإصر: ص ٣٧،

- الشربينى: هز القحوف: ص ٧٦،

- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٦.

١٥٠ - أنظر: زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٣ - ٢٤،

- محمود وصفى: دراسات فى الفنون والعمارة العربية الإسلامية: ص ٤١ - ٤٢،

- أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى: ص ٢٠٢ - ٢٠٤.

١٥١ - إرنست كونل: الفن الإسلامى: ص ١٠٥ ١٠٧.

١٥٢ - لين پول: المرجع السابق: ص ٢٠٨.

١٥٣ - سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١٤.

١٥٤ - نفس المرجع: جـ٣ ص ١٥.

١٥٥ - نفس المرجع: جـ٣ ص ١٥.

١٥٦ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٧٩ - ٨٠،

- أنور الرفاعى: تاريخ الفن عند العرب والمسلمين: ص ٨٠،

- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦،

- أبو صالح الألفى: المرجع السابق: جـ ٢٠٣،

- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨ ،
- لين پول: المرجع السابق: ص ١٩٤ .

١٥٧ - إرنست كونل: نفس المرجع: ص ١٠٨ .

١٥٨ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٤٤ - ١٤٨ ،

- لين بول: المرجع السابق: ص ١٩٤ ،
- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨ ،
- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦ .

١٥٩ - لين پول: المرجع السابق: ص ١٩٤ ،

- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨ .

١٦٠ - أبو صالح الألفي: المرجع السابق: ص ٢٠٤ ،

- أنور الرفاعي: المرجع السابق: ص ٨١ ،
- كمال سامح: المرجع الابق: ص ٣٦ ،
- إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١١٠ .

١٦١ - زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٥٢ .

١٦٢ - صالح لمعي: المرجع السابق: ص ٢٩ .

٦٣ - راجع: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك: جـ٣ ص ٤٦٤ ،

- ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ٥ ص ٣٨١ ،
- ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر: جـ١ ص ٧٧٢ ،
- ابن حبيب: المصدر السابق: جـ٣ ص ١٥٩ ،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٣ .

١٦٤ - ابن الصيرفى: إنباء الهصر بأبناء العصر: ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

١٦٥ - نفس المصدر: ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

١٦٦ - صحيح البخارى: جـ٢ ص ٤٢٢ ،

- صحيح مسلم: جـ٢ ص ٧١ .

١٦٧ - صحيح البخارى: جـ١ ص ٤١٦ .

١٦٨ – الألبانى: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: ص ١٤.

١٦٠ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٥ – ٢٦،

– محمود وصفى: المرجع السابق: ص ٣٩،

– حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٦٧.

١٧٠ – فريد شافعى: المرجع السابق ص ١٧٧ – ١٨٩،

– صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٩ – ٣٢.

١٧١ – راجع: زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٥٣ – ١٥٤،

– فريد شافعى: المرجع السابق: ص ١٨٩،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ١٠٦ – ١٠٨،

– ثروت عكاشة: القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية: ص ١٣٨.

١٧٢ – إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٦.

١٧٣ – لين پول: المرجع السابق: ص ١٩٤.

١٧٤ – صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٩.

١٧٥ – راجع: حجة رقم ٨٨٣ أرشيف وزارة الأوقاف وأنظر أيضا:

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٢.

١٧٦ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٨.

١٧٧ – حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٢٠٧ – ٢١٠.

١٧٨ – صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٣٣ – ٣٦.

١٧٩ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٨،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٢١٠ – ٢١١،

– محمود وصفى: المرجع السابق: ص ٤٠.

١٨٠ – راجع: صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٤٣٠ – ٤٤.

١٨١ – راجع: النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب: جـ٣٠ س ٣٤١،

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٥٠.

١٨٢ – راجع: المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٤٢٥.

١٨٣ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٥.

١٨٤ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٨٢.

١٨٥ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٨٢.

١٨٦ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥١ وراجع أيضا:

- نفس المصدر: جـ٥ ص ٤١ ، ٥١،
- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٢٩ - ١٣٠.

١٨٧ - ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ٤ ص ٥٠ ترجمة رقم ١٤٩.

١٨٨ - نفس المصدر: جـ٣ ص ١٦١ - ١٦٤ ترجمة رقم ٣٨٢.

١٨٩ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣.

١٩٠ - المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٤٢١.

١٩١ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٢،

- ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى: جـ١ ص ٨١ ح٦،
- عبد الله حمزة: المرجع السابق: جـ١ ص ١٠٨،
- سعاد ماهر: القاهرة القديمة: ٧٢.

١٩٢ - راجع: ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية: ص ١٣،

- ابن دقماق: الإنتصار لواسطة عقد الأمصار: ق ٢ ص ٥٠.

١٩٣ - المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

١٩٤ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٠٤.

١٩٥ - ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.

١٩٦ - السخاوى: الضوء اللامع: جـ٢ ص ٢١٥ ترجمة رقم ٥٨٩.

١٩٧ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢١٧ ترجمة رقم ٦٠١.

١٩٨ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٢.

١٩٩ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٤٢،

- ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٤٨٦ ترجمة رقم ١٣٠٨.

٢٠٠ - أنظر أيضا: عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ص ٢٠.

٢٠١ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ترجمة رقم ١٠٣٨.

٢٠٢ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٣.

٢٠٣ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٢.

٢٠٤ - نفس لمصدر: جـ٢ ص ٤٢٢.

٢٠٥ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ٣ ص ٤١٥ - ٤١٦ ترجمة رقم ١١٠٤.

٢٠٦ - السخاوى: الضوء اللامع: جـ١ ص ٥٩ - ٦١.

٢٠٧ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٨.

٢٠٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٠٨.

٢٠٩ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٣ ص ١٠، جـ٦ ص ٤٩.

٢١٠ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ١٤٠.

٢١١ - السخاوى: لمصدر السابق: جـ٦ ص ١١٨.

٢١٢ - نفس المصدر: جـ٦ ٢٧٧ وراجع أيضا:

- النقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٨.

٢١٣ - المقريزى: نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٦.

٢١٤ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٩.

٢١٥ - أنظر أيضا : عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٣٠.

٢١٦ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

٢١٧ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٤،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥١،

Hautcoeur (L.) et wiet. (G.): Les Mosquees du caire, 1.P.P.200 - 270.

٢١٨ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٢١٩ - دار الوثائق القومية - سجل حجج الملوك والأمراء رقم ٣٥٥/ ٥٣ مؤرخة فى ٢٥ ربيع الأول سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م).

٢٢٠ - Supplement aux Annales Islamiques, cahier No 10, I. F. A. O, 665, le Caire, 1987, P.P.27 - 30.

Fath Allah and Abu zakariyya, physicians under Mamluks, By: Doris Behrens Abouseif.

٢٢١ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢٣،
– المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤،
– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥١.
٢٢٢ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٠.
٢٢٣ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.
٢٢٤ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص٤٢٠ – ٤٢١،
– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠،
٢٢٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.
٢٢٦ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.
٢٢٧ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٦،
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٨.
٢٢٨ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ٢٧٨.
٢٢٩ – نفس المصدر: جـ٥ ص ٢٧٩.
٢٣٠ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٤ ص ٦٠ ترجمة رقم ١٦٧.
٢٣١ – نفس المصدر: جـ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
٢٣٢ – نفس المصدر: جـ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
٢٣٣ – Van Berchem (M.): II, P. 208, text, 153.
٢٣٤ – نفس المرجع: جـ٢ ص ٢٠٩ ح ٣.
٢٣٥ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٤ ص ٦٠ ترجمة رقم ١٦٨.
٢٣٦ – راجع حجة المؤيد شيخ: أرشيف وزارة الأوقاف رقم ٩٣٨ وانظر أيضا:
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٨ – ٢٤٠.
٢٣٧ – الموسوعة العربية الميسرة: ص ٨٦١،
– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٠.

٢٣٨ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٠٧.

٢٣٩ – أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ١٠٧.

٢٤٠ – الرازى: مختار الصحاح: ص ٢٢٩.

٢٤١ – المقرى: المصباح المنير: ص ٢٩٣.

٢٤٢ – سورة الأنفال: آية: ٦.

٢٤٣ – سورة آل عمران: آية ٢٠.

٢٤٤ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٦ – ٢٨.

٢٤٥ – صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٠.

٢٤٦ – السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٨ – ٢١٩.

٢٤٧ – أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ١٠٨،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٥.

٢٤٨ – آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٣٠ – ٣٢.

٢٤٩ – سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ٤٤.

٢٥٠ – ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١ ص ٣٧٦،

– السخاوى: الضوء اللامع: جـ١٢ ص ٢٥ وانظر ايضا:

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٦٩،

– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٣.

٢٥١ – راجع: المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٧،

– ابن تغرى برد: النجوم الزاهرة: جـ١٢ ص ١٤٢،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٦،

– Abdur-Raziq (A.): op. Cit: P. P. 72 - 74.

٢٥٢ – راجع: كرسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٢١.

٢٥٣ – راجع: المقريزى: المصدر السابق: جـ ص ،

– الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: جـ٤ ص ٩٩،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٨،
- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١١٧.

٢٥٤ - راجع كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١١٩.

٢٥٥ - نفس الكراسة : ص ١١٩.

٢٥٦ - Van Berchen (M.): Op. cir. p. 393, text.

٢٥٧ - كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٢٠،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٨ - ٤٩.

٢٥٨ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٩.

٢٥٩ - راجع: الرازى: المصدر السابق: ص ٢٧٩،

- خليل الجر وآخرون: المرجع السابق: ص ٦١٧.

٢٦٠ - ابن الحاج: المصدر السابق: جـ٣ ص ١٨٥.

٢٦١ - ابن بطوطة: المصدر السابق: جـ١ ص ٧١ وانظر أيضا:

- حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٤٢.

٢٦٢ - ابن إياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٣٩.

٢٦٣ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٧١ - ٣٠٠.

٢٦٤ - خليل الجر وآخرون: المرجع السابق: ص ٣٣٠.

٢٦٥ - صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٦.

٢٦٦ - نفس المرجع: ص ٢٧.

الفصل الرابع

خانقاوات القرنين السادس والسابع الهجريين

الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين

١ – الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء

٥٦٩هـ / ١١٧٣م

أثر رقم ٤٨٠

لا شك أن الخانقاة الصلاحية كانت واحدة من أكثر خانقاوات القاهرة التى نالت اهتمام المؤرخين القدامى ولا سيما المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وابن ظهيرة وغيرهم، وكان من نتيجة هذا الاهتمام أننا وقفنا على كثير من تاريخها وأخبارها، ولا غرابة فى ذلك فهى أول خانقاة للصوفية فى مصر استحدثها صلاح الدين الأيوبى وجعلها دارا للصوفية.

وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع فان حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – أوقاف الخانقاة.

٣ – منشئ الخانقاة.

٤ – موظفوا الخانقاة.

٥ – وصف الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة:

لعل المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ / ١٤ – ١٥م) كان من أكثر المؤرخين عرضا لتاريخ هذه الخانقاة، إذ يقول أن موقعها بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وأنها كانت دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء (وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أو بيان) أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر الفاطمى عتيق الخليفة المستنصر بالله، قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين

وخمسمائة ورمى برأسه من القصر، ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق(١).

وكانت هذه الدار تقابل دار الوزارة، فلما سكنها العادل رزيك بن الصالح طلائع عمل سردابا تحت الأرض يوصل بينهما(٢) ثم سكنها بعد العادل بن رزيك الوزير الفاطمى شارو بن مجير الدين السعدى ثم ابنه الكامل، فلما استقر الأمر للناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى السلطنة بعد موت الخليفة العاضد غير رسوم الدولة الفاطمية وعمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)(٣)، ولذلك فقد عرفت هذه الخانقاة بالناصرية والصلاحية نسبة إليه.

ويضيف السيوطى إلى ذلك فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) أنه لم يكن بمصر زمن العبيدية شئ من المدارس لأن مذهب الشيعة والرافضة لم يكن يعنى بما كان يدرس فى مثل هذه المدارس، فلما ملك صلاح الدين بنى مدرسة بالقرافة الصغرى مجاورة للإمام الشافعى ومدرسة بالقاهرة مجاورة للمشهد الحسينى، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء الفاطميين خانقاة للصوفية كما بنى دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفية عرفت بعد ذلك بالمدرسة السيوفية، وللشافعية مدرسة عرفت بالشريفية، وللمالكية مدرسة عرفت بالقمحية(٤)، ثم أفاض السيوطى بعد ذلك فى الحديث عن هذه الخانقاة وعن رفعة قدرها وقدر شيخها وصوفيتها قائلا «ويقال لها تاج المدارس، وهى أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعى، ولأن بانيها أعظم الملوك، ليس فى ملوك الإسلام مثله لاقبله ولا بعده، بناها السلطان صلاح الدين بنأيوب رحمه الله تعالى سنة أثنتين وسبعين وخمسمائة»(٥) ويقول فى موضع آخر «وقفها السلطان صلاح الدين بن أيوب .... على الصوفية فى سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم كل يوم طعاما ولحما وخبزا وهى أول خانقاة عملت بديار مصر، ووصف شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك بعدهم وما زال يتبع إلى أن بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاة سرياقوس فدعى شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة وضاعت الأحوال وتلاشت الرتب تلقب كل شيخ خانقاة بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم»(٦).

ورغم ما أفاض به السيوطى علينا من حديث عن هذه الخانقاة إلا أن أقواله قد تضاربت –

كما رأينا - فيما يتعلق بتاريخها حين قال فى موضع من مصنفه أنها بنيت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وفى موضع آخر سنة تسع وستين وخمسمائة، رغم أن المتفق عليه فى ذلك هو سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)(٧).

أما على باشا مبارك فقد كان أكثر دقة فى تحديد موقعها حين قال: أنها تقع «تجاه حارة المبيضة من الجمالية على يمنة السالك من شارع الجمالية إلى المشهد الحسينى خلف قرة قول الجمالية قرب جامع بيبرس الجاشنكير، وقد عملها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خانقاة للصوفية سنة (٥٦٩هـ) وأن بها أربعة ألونة وعدة خلاو للصوفية تحتها قبو دفن فيه بعض صوفيتها، وقد تغيرت بعض مبانيها الأصلية وجعل بها منبرا وخطبة وهى عامرة إلى الآن (أى إلى عصره فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وتعرف بجامع الخانقاة وبسعيد السعداء وخطها يعرف بخط الجمالية ثم أضاف أنه لما جدد الأمير يلبغا السالمى الجامع الأقمر وعمل له منبرا وأقيمت فيه الجمعة، ألزم صوفية هذه الخانقاة أن يصلوا الجمعة به، فلما زالت أيامه تركوا ذلك ولم يعودوا الى الاجتماع بالجامع الحاكمى أيضا(٨).

وقد حدث نفس التضارب الذى ذكره السيوطى بالنسبة لتاريخ هذه الخانقاة فيما ورد عنها فى بعض المراجع العربية الحديثة فجاء فى بعض هذه المراجع أنها بنيت سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) مرة، وسنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) مرة أخرى(٩)، وهذا يعنى أنه أخذ بكل من تاريخى المقريزى والسيوطى دون الوقوف بجانب أى منهما، وجاء فى بعضها الثانى أنها بنيت سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)(١٠).

ولم يكتف صلاح الدين بخانقاته التى أنشأها للصوفية بالقاهرة، بل أنشأ خانقاة أخرى بالقدس ورد ذكرها فى غير واحد من المصادر العربية، فيذكر ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م) فى ترجمة محمد بن على بن عبد الرحمن بن عمر المقدسى أنه كان خادم الخانقاة الصلاحية بالقدس ومات فى رمضان سنة (٧٥٧هـ)(١١)، ويؤيد القلقشندى فى نفس التاريخ أن مشيخة الخانقاة الصلاحية بالقدس كانت من الوظائف السنية الهامة وكان شيخها من أرباب الوظائف الدينية(١٢). ويشير القاضى مجير الدين الحنبلى فى القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) إلى أن المدرسة الصلاحية بباب الأسباط كانت كنيسة رومية تعرف بقبر حنة (نسبة إلى

حنة أم مريم عليها السلام) ثم وقفها الملك صلاح الدين على الصوفية وجعل وظيفة مشيختها من الوظائف السنية بمملكة الإسلام إلا أنه ذكر لذلك تاريخين مختلفين أحدهما فى رمضان سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) والآخر فى رجب سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) (١٣).

أما ما ورد عن هذه الخانقاة فى بعض المراجع العربية التى خصصت لمدارس بيت المقدس فهو كثير ويشتمل على تحديد موقعها وذكر طرف من تاريخها مع عرض لوضعها وحديث عن بعض مشايخها ووظائفها والتوقيع بها، ويفهم من هذا كله أنها كانت تلاصق كنيسة القيامة وأن بعضها كان راكبا على هذه الكنيسة، وكانت عبارة عن معهدين علميين يشتملان على مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية، أوقف صلاح الدين عليهما أوقافا كثيرة، وكانت هذه الخانقاة هى أول خانقاة أنشئت فى بيت المقدس بعد تحريره، وقد اشتغل أهلها بالعلم والخطابة ونظم الشعر ونسخ الكتب والاشتغال بالقضاء والتوقيت بالأقصى وغير ذلك(١٤).

هذا بالإضافة إلى أن شيخ هذه الخانقاة كان يعين بتوقيع يصدر عن السلطان، يؤيد ذلك ما أشار اليه مجير الدين الحنبلى من أن خطيبها محب الدين بن جماعة ولى نصف مشيختها مشاركا وقد كتب له توقيع شريف بذلك(١٥)، وأضاف القلقشندى أن توقيع مشيخة الخانقاة الصلاحية بالقدس كان يكتب فى قطع الثلث مفتتحا بالحمد لله(١٦) وكان من عادة مثل هذا التوقيع أن يتضمن التحميد والإشادة بالأولياء وشكر الحق والشهادة والصلاة على الرسول (ﷺ)، ثم يشير التوقيع إلى جدارة الشيخ الذى يتولى مشيخة الخاناة فى قدره ومعرفته وتقواه، ويبين التوقيع أن على الشيخ الدعاء بدوام أيام السلطان، وأن يبسط يده فى عمل المصالح، ويستمر على السعى الحسن والعمل الصالح، وأن يوفر لهم (أى للصوفية) الأقوات، وهو ما يوضح أن هذا الشيخ كان عليه أن يعنى بالعلم من ناحية وبتوفير بعض المتطلبات الحياتية للصوفية من ناحية أخرى، وكان من مشايخ هذه الخانقاة غانم بن على الأنصارى المقدسى المتوفى (٥٩٢هـ/ ٦٣٢هـ) وجلال الدين بن جماعة المتوفى (٧٩٧هـ) وغيرهما(١٧).

٢ – أوقاف الخانقاة :

الواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وردت فى كثير من المصادر العربية يوضح بما لا يدع

مجالا للشك فى مدى ما كانت تتمتع به هذه الخانقاة من أوقاف واسعة تتفق مع أهميتها التاريخية والعلمية مما أوقفه عليها واقفها الأصلى أو أوقفه غيره من ذوى الأموال الواسعة والثراء العريض.

وقد أشار ابن الجيعان فى القرن (٨هـ / ١٤م) إلى ست نواح كانت جارية فى أوقاف هذه الخانقاة هى:

١ – أبو رويش:

من الأعمال الجيزية مساحتها (٥٨٠) فدانا وعبرتها (٣٠٠٠) دينار كانت فى الأملاك الشريفة ثم صارت فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وقفا على الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء ووقف الزينى عبد الباسط(١٨).

٢ – أبو فار :

من الأعمال الجيزية أيضا مساحتها (٢٣٠) فدانا وعبرتها (١٢٠٠) دينار كانت وقفا خاصا للخانقاة الصلاحية(١٩).

٣ – الأعلام :

من الأعمال الفيومية، كانت الحقوق الواجبة عليها (٢٨١) دينارا للمقطعين ووقف المدرسة الصلاحية(٢٠).

٤ – أبو كعب :

من الأعمال البهنساوية مساحتها (٧٨٨) فدانا وعبرتها (٣٠٠٠) دينارا كانت باسم المقطعين ثم صارت فى القرن (٨ هـ/ ١٤م) وقفا للخانقاة الصلاحية سعيد السعداء(٢١).

٥ – دهمرو :

من الأعمال البهنساوية أيضا وقد جاء أنها كانت وقفا على الخانقاة الصلاحية ولم يرد لمساحتها ولا لعبرتها ذكر(٢٢).

٦ – ميانة سلقوس :

من الأعمال البهنساوية أيضا، مساحتها (٢٢٥٠) فدانا بها رزق (٣٠) فدان وعبرتها (٣٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أبى بكر طاز ثم صارت فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وقفا على الخانقاة الصلاحية(٢٣).

ويضيف المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أن صاحبها أوقف على صوفيتها بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج العاصمة وقيسارية الشراب بالقاهرة بالإضافة الى ناحية دهمرو من البهنساوية وهى الناحية التى أشار اليها ابن الجيعان غير أنه زاد على ما ذكره ابن الجيعان بقوله أن هذه الناحية كانت قد شرقت على عهد الظاهر برقوق سنة تسع وتسعين (وثمانمائة) لقصور ماء النيل فوقع العزم على غلق مطبخ الخانقاة وإبطال الطعام، فلم تحتمل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر (برقوق) الذى ولى الأمير يلبغا السالمى نظر الخانقاة وأمره أن يعمل بشرط الواقف(٢٤).

وقد أكد ابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ما ذكره ابن الجيعان من وقف ناحيتى دهمرو وابى رويش على مصالح الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء إلا أنه لم يوضح بالنسبة للناحية الأولى شيئا عن مساحتها أو عبرتها أو واقفها مشتركا فى ذلك مع ابن الجيعان(٢٥)، أما بالنسبة للناحية الثانية فقد أضاف أن الملك الأشرف شعبان هو الذى أوقفها على الخانقاة الصلاحية بعد السبعين وسبعمائة(٢٦).

وفى وقفية أخرى باسم أبى زكريا بن نفيس رئيس الأطباء فى مصر على عهد الظاهر برقوق ورد أن الواقف كان قد قرر أن يصرف نصف ربع وقفه بكماله على جماعة السادة الصوفية بالخانقاة المباركة الصلاحية سعيد السعداء الكائنة داخل القاهرة المحروسة بخط رحبة باب العيد، وأن يكون هذا الصرف للقاطنين بها والواردين عليها كما قرر إن تعذر صرف ما خصصه من هذا الوقف للبيمارستان المنصورى أن يحول للخانقاة المشار إليها ايضا(٢٧).

أما على باشا مبارك فقد أورد فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) عند حديثه عن أوقاف هذه الخانقاة أن صاحبها رتب بها درسا للشافعية، ووقف عليها عقارات ومزارع، ورتب لشيخ التدريس

بها فى الشهر أربعين دينارا معاملة صرف الدينار ثلاثة عشر درهما وثلث غير الخبز والماء(٢٨).

وعلى عتب باب من قيسارية كانت فى دسوق بمصر السفلى طوله (٢,١٢)متر محفوظ فى متحف الفن الاسلامى نجد نقشا كتابيا بخط النسخ يشتمل على أربعة أسطر طويلة نصها:

١ – العزة لله وحده.

٢ – اللهم ارحم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين وأرض عنه الذى أنعم على الصوفية بهذه القيصرية (يقصد القيسارية) وأوقفها على بقعتهم التى تعرف بدار السعيد السعداء بمحروسة القاهرة.

٣ – مما أمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد سيد الملوك والعبيد عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج الملة الزاهرة نظام العالم فلك.

٤ – المعالى الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين خلد الله ملكه فى تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين(٢٩).

ويؤكد هذا النص أن القيسارية المشار اليها كانت قد أوقفت على صوفية الخانقاة التى بين أيدينا، والذى أوقفها هو السلطان الناصر صلاح الدين، وأن أخاه العزيز عثمان كان قد أمر بعمل باب جديد لها ونقش النص المشار اليه على عتب هذا الباب الذى لولاه لما عرفنا عن هذا الوقف شيئا:

وأخيرا يشير ابن حجر فى الدرر الكامنة إلى وقف غير محدد لهذه الخانقاة أوقفه صدقة بن الشرابيشى، وكان كما وصفه من رؤساء القاهرة ذوى الأموال الواسعة كثير المعروف، وقف على الخانقاة السعيدية وقفا وعلى الجامع الأزهر غير ذلك، مات فى شوال سنة (٧٤٥هـ)(٣٠).

ولو أردنا أن نعرف قدر المتحصلات السنوية لأوقاف هذه الخانقاة التى ذكرتها المصادر

والمراجع تحديدا – باستثناء ما لم تحدد عبرته منها – لوجدنا أن ما ذكره ابن الجيعان ينحصر فيما يلى :

مسلسل	جهة الوقف	مساحة الوقف بالفدان	عبرته بالدينار
١	أبو رويش	٥٨٠	٣٠٠٠
٢	أبو فار	٢٣٠	١٢٠٠
٣	الأعلام	–	٠٢٨١
٤	أبو كعب	٧٨٨	٣٠٠٠
٥	دهمرو	لم تحدد	لم تحدد
٦	ميانة سلقوس	٢٥٠	٣٠٠٠
	المجموع	١٨٤٨	١٠٤٨١

أما ما أوقف على هذه الخانقاة ولم يحدد له ريع مما ذكره ابن الجيعان وغيره من المؤرخين والباحثين فهو كما ذكر ابن الجيعان ناحية دهمرو وكما ذكر المقريزى بستان الحبانية وقيسارية القاهرة، وكما ورد فى جامع الكتابات العربية قيسارية دسوق، ولو جاز لنا أن نقدم لكل واحدة منها ألف دينار سنويا فقط لكانت جملة متحصلات هذه الأوقاف أربعة آلاف دينار، إذا أضفناها إلى جملة الأوقاف التى ذكرها ابن الجيعان محددة العبرة فيما سبقت الإشارة إليه لاتضح لنا أن جملة متحصلات أوقاف هذه الخانقاة (مما حددت عبرته ومما لم تحدد له عبره) كانت تبلغ أربعة عشر ألفا وأربعمائة وواحد وثمانين دينارا.

٣ – منشىء الخانقاة :

مما لا شك فيه أن منشئ هذه الخانقاة – مهما حاولنا أن نتحدث عنه فى هذه الترجمة المختصرة – هو علم على أعلام التاريخ الإسلامى قاطبة لا يدانيه فى شرف الجهاد سلطان ولا

يسمو إليه فى حسن السيرة ملك، وقد تحدثت عنه باسهاب بالغ كل المصادر والمراجع العربية وغير العربية التى تعرضت لسيرته الشخصية أو لسيرة الدولة الأيوبية وتاريخها.

يقول ابن خلكان فى القرن (٧هـ / ١٣م) أن أصله كردى دَوَدِىٌّ من دوين وهى بلدة فى آخر عمل أذربيجان ولد فيها أبوه نجم الدين وعمه أسد الدين ثم نزح بهما جده شادى إلى بغداد وأقام فى تكريت حيث ولد صلاح الدين فى قلعتها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فى وجود أبيه وعمه، فلما ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق لازم خدمته أسد الدين شيركوه وأخوه نجم الدين وولده صلاح الدين الذى ما لبث أن تجهز للسير مع عمه شيركوه وجيشه إلى مصر، فدخلوها فى ثانى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقتل شاور فأرسلت خلعة الوزارة لأسد الدين شيركوه فلبسها ودخل القصر فى سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة، وظل صلاح الدين مقررا لأمور الدولة مع عمه أسد الدين إلى أن توفى لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة (٥٦٤هـ) فاستقرت الأمور من بعده لابن أخيه صلاح الدين.

وفى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة قطع صلاح الدين خطبة العاضد صاحب مصر بعد وفاته يوم عاشوراء واستولى على قصره وخطب للمستضئ بأمر الله العباسى ورتب بهاء الدين قراقوش لخدمته، ولما علم نور الدين بذلك سير إليه الخلع الكاملة والأعلام السود لتنصب على المنابر، لتعود مصر إلى الحظيرة السنية بعد أن ظلت قرابة قرنين من الزمان فى الحظيرة الشيعية.

ولم يزل صلاح الدين على نهج العدل ونشر الإحسان بين الرعية إلى أن كانت سنة ثمان وستين وخمسمائة فخرج بعساكره يريد الكرك والشوبك بعد أن تغلب على فتنة آل الكنز بأسوان، وتوفى بعد ذلك نور الدين فخلفه ولده الصالح إسماعيل الذى لم يكن أهلا لخلافته فاختلت أحوال الشام فتجهز صلاح الدين بجيشه من مصر وقصد دمشق فدخلها بالتسليم فى ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة، وحفلت حياته بعد ذلك بكثير من الكفاح المشرف الذى جمع شمل الأمة وحرر بيت المقدس، ثم كانت وفاته بعد هذه الحياة الحافلة التى ملأت بطون المصادر والمراجع فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير فى دمشق، ولم يخلف من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية، وكان رحمه الله كثير

التواضع واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة، وكان يحب أهل العلم وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة(٣١).

ويقول ابن تغرى بردى فى ترجمته لصلاح الدين فى القرن (٩هـ/ ١٥م) بشكل أكثر توضيحا من ابن خلكان أنه هو السلطان الملك الناصر ابو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الذى خدم بهروز الخادم فاستنابه بقلعة تكريت، وكانت بداية أمر بنى أيوب أن نجم الدين وأخاه أسد الدين شيركوه هما من الأفراد الدَّوَادِيَّة، قدما إلى العراق وخدما مجاهد الدين بهروز الخادم الذى رأى من نجم الدين رأيا وعقلا فولاه دزدارا بتكريت (أى ماسك القلعة) فأقام نجم الدين بها ومعه أخوه أسد الدين إلى أن انهزم الأتابك زنكى بن أقسنقر من الخليفة المسترشد بالله سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ووصل إلى تكريت فأقام له نجم الدين المعابر على نهر دجلة وبالغ فى إكرامه فحمل له زنكى هذا الصنيع وما لبث أن وفاه لهما عندما ملك دمشق وجعلهما من أكابر أمرائه حتى أن جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين لا يجلس أحد منهم حتى يأمره بالجلوس إلا نجم الدين الذى كان إذا وصل دخل وجلس من غير إذن.

ودام نجم الدين وأخوه أسد الدين عند نور الدين – كما يقول ابن تغرى بردى – فى حفاوة وتكريم إلى أن وقع من أمر شارو ما وقع، فتجهز أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ثلاث مرات ومعه ابن أخيه صلاح الدين، حتى دخلها فى المرة الثالثة وقتل شارو وولى أسد الدين وزارة مصر ولقب بالملك المنصور إلا أنه مات بعد شهرين فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر وكان ذلك فى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة، فاستولى صلاح الدين على الديار المصرية وأصلح أمورها(٣٢).

أما ابن إياس فقد ترجم فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) لصلاح الدين وقال أنه كان أول ملوك دولة الأكراد من بنى أيوب واتفق مع ما ذكره كل من ابن خلكان وابن تغرى بردى فى أصله الكردى وفى تاريخ ولادته فى قلعة تكريت سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) إلا أنه أضاف كثيرا مما تمتع به صلاح الدين من سيرة طيبة بين الرعية أهمها إسقاطه لكافة المكوس التى كانت قد فرضت على عهد الفاطميين وكتب بذلك مسامیح بخط صاحب ديوان الإنشاء قرئت

على المنابر، بالإضافة إلى ذكره لقيامه ببناء سور القاهرة بالحجر الفص النحيت بدلا من السور اللبنى القديم الذى كان قد بناه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله بعد بناء القاهرة وكان الشاد على عمارته هو وزيره الخصى الحبشى بهاء الدين قراقوش، وجعل على هذا السور أبوابا مصفحة بالحديد عدتها خمسة عشر بابا يضاف الى ذلك شروعه فى بناء قلعة الجبل لكى تكون دار المملكه، إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء هذه القلعة فأتمها من بعده ابن أخيه الملك الكامل محمد الذى كان أول من سكنها من الأيوبيين، وكان لصلاح الدين – طبقا لما أشار اليه ابن إياس – كثير من أيادى الخير، فهو أول من قرر الخدام الخصيان بالمدينة المنورة، وأوقف نقادة وقبالة من أعمال الصعيد على هذه المدينة، وأنشأ كثيرا من أماكن القرب والمبرات أهمها خانقاة سعيد السعداء قرب باب النصر، والمدرسة السيوفية قرب باب الزهومة، والمارستان عند دار الضرب القديمة، والمدرسة المجاورة للإمام الشافعى، والمدرسة الصلاحية بالقدس وكانت وفاته بالشام فى السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وله من العمر إحدى وسبعين سنة ودفن رحمه الله بمدرسة مجاهد الدين بدمشق(٣٣).

وبذلك يتضح أن هناك فارقا زمنيا قدره تسع سنين بين ما ذكره عن تاريخ وفاته كل من ابن خلكان من ناحية وابن إياس وابن ظهيرة وغيرهما من ناحية أخرى، وكانت وفاته – كما يقول الجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ/ ١٨ – ١٩م) بعد أن عمل من جلائل الأعمال الكثير فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ فى إعلاء السنة وإخفاء البدعة، وتطهير البلاد من التشيع والعقائد الفاسدة، وإظهار عقائد أهل السنة والجماعة، وواصل الجهاد وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما ظل فى يدهم قرابة احدى وتسعين سنة(٣٤).

وفى تاريخ مختصر الدول أن نور الدين كان يكاتبه بالأمير الإسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما له من أن يكتب إسمه، واستمال صلاح الدين قلوب الناس فأحبوه، وكان حكيما كريما حسن الأخلاق، متواضعا صبورا على ما يكره، كثيرا التغافل عن ذنوب أصحابه، ويكفى دليلا على كرمه أنه لما مات لم يخلف فى خزانته غير دينار واحد صورى وأربعين درهما ناصرية(٣٥).

٤ – موظفو الخانقاة:

الواقع أن المصادر العربية التى صنفها المؤرخون أمثال ابن حجر والعسقلانى والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى وغيرهم قد أمدتنا بكثير من المعلومات الهامة فيما يتعلق بوظائف خانقاوات القاهرة بصفة عامة من خلال التراجم المختلفة التى أوردتها، وقد أمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة – من واقع ما أتاحته لنا كتب التراجم – إلى قسمين أساسيين:

أولهما قسم الوظائف الدينية ويشمل:

١ – شيخ الخانقاة.

٢ – مدرسو الخانقاة.

٣ – امام الخانقاة.

٤ – ناظر وقف الخانقاة.

٥ – صوفية الخانقاة.

٦ – نزلاء الخانقاة ودفناؤها.

وثانيهما قسم الوظائف الخدمية ويشمل:

١ – كاتب الغيبة.

٢ – شاهد الشونة.

٣ – شاهد المخبز.

٤ – المزملاتى.

٥ – الطباخ.

٦ – مقدم النعال.

وفيما يلى عرض لبعض الشخصيات التى وليت هذه الوظائف جميعا:

أ – الوظائف الدينية :

شملت وظائف هذه الخانقاة الدينية – طبقا لما بين أيدينا من معلومات أمدنا بها كل من المقريزى وابن حجر فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) وكل من ابن تغرى بردى وابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وكل من السخاوى والسيوطى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) وغيرهم: شيخ الخانقاة ومدرسيها وإمامها وناظر وقفها وصوفيتها ونزلائها ودفنائها، نذكر منهم ما يلى:

١ – شيخ الخانقاة :

يقول المقريزى وولى مشيختها (أى مشيخة الخانقاة الصلاحية) الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ ابن حموية مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاه تقى الدين عبد الرحمن بن ذى الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وجماعة من الأعيان(٣٦).

وقد أمدنا ابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى بكثير من تراجم من تولوا مشيخة هذه الخانقاة، وكان ممن ذكرهم ابن حجر فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) عبد الكريم بن الحسين بن عبد الله الآملى الطبرى كريم الدين أبو القاسم تعانى الاشتغال بالتصوف وقام عليه الصوفية مرة فأثبتوا فسقه من ستة عشر وجها فأخرج من الخانقاة واستقر ابن جماعة عوضا عنه، مات فى شوال سنة (٧١٠هـ)(٣٧)، ومحمد بن مسعود الغزى الصوفى كان المنصور لاجين يعظمه حتى مات فى أول جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ)(٣٨)، ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن التقجواى الذى مات فى حادى عشر المحرم سنة (٧٣٨هـ)(٣٩)، وعمر الصفدى سراج الدين الذى انتقل من صفد إلى القاهرة وتنقلت به الأحوال حتى ولى مشيخة هذه الخانقاة الى أن مات بالطاعون سنة (٧٤٩هـ)(٤٠)، وعلى بن اسماعيل بن يوسف القونوى علاء الدين

الفقيه الشافعى الذى ولد بقونية سنة(٧٦٨هـ) وقدم دمشق سنة (٧٩٣هـ) فدرس بالإقبالية ثم قدم القاهرة فولى مشيخة سعيد السعداء وتقدم فى معرفة التفسير والفقه والأصول والتصوف وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة وكان الناصر يعظمه ويثنى عليه وكذا أرغون النائب(٤١). والحسن بن على بن اسماعيل بن يوسف القونوى الأصل الذى ولد بالقاهرة سنة (٧٢١هـ) فدرس واشتغل وأخد عن أبيه وغيره حتى أذن له بالتدريس والإفتاء فولى مشيخة الخانقاة التى بين أيدينا إلى أن مات فى شعبان سنة (٧٧٦هـ)(٤٢).

أما من ذكرهم ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) من مشايخ هذه الخانقاة فمنهم ابراهيم بن موسى بن ايوب الشيخ الإمام العلامة برهان الدين الأبناسى الشافعى الذى ولد سنة (٧٢٥هـ) وتفقه بالشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنائى والشيخ ولى الدين الملوى وتصدى للإفتاء والتدريس عدة سنين وانتفع به كثير من الطلبة قبل أن يلى مشيخة سعيد السعداء(٤٣)، ومنهم أحمد بن محمد بن صلاح قاضى القضاة شهاب الدين المعروف بابن المحمرة كان مولده خارج القاهرة فى صفر سنة (٧٦٩هـ)، طلب العلم وبرع فى الفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس وناب فى الحكم سنين ثم تنزه عن ذلك وولى مشيخة خانقاة سعيد السعداء مدة طويلة إلى أن توفى بالقدس فى ربيع الآخر سنة (٨٤٠هـ)(٤٤).

وممن ذكرهم ابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أيضا محمد بن يحيى الشيخ الإمام العالم أبو السعادات بن شرف الدين يحيى المناوى الشافعى الذى ولى مشيخة الصلاحية وتدريسها، ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ واشتغل على والده وغيره حتى برع فى الفقه والنحو والأصول ودرس وأفتى فى حياة والده إلى أن مرض أياما قليلة ومات فى سادس شوال سنة (٨٧٣هـ) ودفن بالقرافة(٤٥).

أما من ذكرهم السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) من مشايخ هذه الخانقاة فكان منهم محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن قاسم الشهاب بن الشمس العثمانى البيرى الحلبى القاهرى ذكره السخاوى فى ترجمة ولده أحمد الذى عرف بابن أخى الجمال الأستادار قال «كان أبوه (محمد) شيخ سعيد السعداء مات يوم الإثنين ثانى عشر صفر

سنة تسع وخمسين (وثمانمائة)(٤٦)، ومنهم أحمد الشهاب القوصى ثم القاهرى الذى اشتغل بالتجارة ثم صحب التقوى البلقينى ثم الزين بن مزهر إلى أن ولى مباشرة تصوف الصلاحية حتى مات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين (وثمانمائة)(٤٧)، ومنهم خالد بن أيوب بن خالد بن الزين المنوفى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد بأبى المشط من جزيرة بنى نصر من الأعمال المنوفية وانتقل منها إلى منوف ثم قدم القاهرة فقطن بالجامع الأزهر وحج وولى مشيخة الصلاحية بعناية الشرف الأنصارى، مات فى شوال سنة سبعين (وثمانمائة) ودفن بتربة طشمتر (حمص أخضر)(٤٨)، ومنهم عبد الرحمن بن عنبر بن على بن احمد بن يعقوب الزينى العثمانى البوتيجى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٧٧٩هـ) بأبى تيج من الصعيد فقرأ وحفظ وسار على قانون السلف فيما كان باسمه من مشيخة الصلاحية وغيرها من الوظائف الجليلة إلى أن مات فى شوال سنة أربع وستين (وثمانمائة)(٤٩)، ومنهم عمر بن حسين بن حسن بن احمد بن على بن عبد الواحد بن خليل بن البدر العبادى الطنتدائى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٨٠٤هـ) بمنية عباد من الغربية ثم تحول منها الى طنتدا فأكمل بها دراسته ثم ولى إمامة الجمالية ومشيخة الصلاحية بعد التقى القلقشندى، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين (وثمانمائة)(٥٠)، ومنهم خضر الخادم الذى تولى مشيخة الصلاحية عشرة أيام فقط خلفا للشمس البلالى الذى أعيد إلى وظيفته مرة ثانية(٥١)، ومنهم عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على التقى بن القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى الذى ولد بالقاهرة فى رجب سنة (٨١٧هـ) فدرس وحفظ واستقر فى مشيخة الخانقاة الصلاحية عقب الزين خالد المنوفى ببذل أربعمائة فأقل فيما قيل، مات فى شعبان سنة إحدى وسبعين (وثمانمائة)(٥٢)، وفى هذا ما يشير صراحة إلى أنه نال مشيخة هذه الخانقاة بالبذل (أى بالرشوة).

مدرسو الخانقاة:

يبدو – مما لدينا من معلومات أتاحتها لنا بعض المصادر العربية – أن هذه الخانقاة كانت مخصصة لدراسة المذهب الشافعى فقط لأن التراجم التى أفاض بها علينا كل من السيوطى والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) لم تخرج عن أصحاب هذا المذهب من ناحية ولأن ما ذكره القريزى بقوله أنها خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم

عشرة أنفس(٥٣)، ربما يخدم هذا الاستنباط لأنه أشار الى مدرسيها بصفة المفرد فقال «مدرس» ولم يقل «مدرسين» وهو ما يفهم منه ضمنا أن تدريسها كان لمذهب واحد يقوم به الفقيه الشافعي.

وقد ذكر السيوطي أن ممن تولوا تدريسها فى حياة واقفها الشيخ نجم الدين الخبوشانى الذى جعل له السلطان نظارة أوقاف الخانقاة إلى جانب التدريس فيها وشرط له من المعلوم فى كل شهر أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنانير عن النظر، ورتب له من الخبز كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل(٥٤)، وشيخ الشيوخ صدر الدين أبو المحاسن محمد بن حموية الجوينى الذى قرر له نفس المعلوم، وفى موضع آخر من نفس المصدر أحصى السيوطى عددا كبيرا من شيوخ هذه الخانقاة نذكر منهم تقى الدين بن رزين الذى ولى تدريسها سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) وقرر له نصف المعلوم المشار اليه، تقى الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم، الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى الذى أعيد له المعلوم المقرر فى كتاب الوقف كاملا، كمال الدين احمد بن حموية الذى ظل بها حتى مات سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) فوليها ولده معين الدين حسنى ثم قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز ثم عز الدين محمد بن الحارث بن مسكين ثم خاير الدين عبد الله بن أحمد بن منصور النسائى الذى وليها سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) وظل بها إلى أن مات سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، ثم وليها مجد الدين حرمى بن قاسم بن يوسف الفاقوسى وظل بها إلى أن مات سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) ثم وليها شمس الدين ابن القماح ثم ضياء الدين محمد بن ابراهيم المناوى ثم شمس الدين بن اللبان ثم شمس الدين محمد بن احمد بن خطيب بيروت ثم بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السبكى ثم أخوه تاج الدين ثم ابن عمه قاضى القضاة أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكى ثم ولده بدر الدين محمد ثم البرهان بن جماعة ثم الشيخ سراج الدين البلقينى ثم قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى ثم شمس الدين البيرى أخو جمال الدين الأستادار الذى عزل عنها سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) لما نكب أخوه فوليها نور الدين على بن عمر التلوانى وظل بها إلى أن مات سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) وكان أطول الشيوخ الذين مكثوا فى تدريسها زمنا إلى أن وليها بعده فقيه زمانه تقى الدين القلقشندى الذى أعقبه ابن حجر الونائى والقاياتى والسفطى والشرف المناوى والسراج الحمصى وكريم الدين الآملى وعلاء الدين القونوى ومجير الدين الأقصرائى وبرهان الدين الأبناسى وأخيرا السراج العبادى(٥٥).

أما من ذكرهم السخاوى ممن تولوا تدريس الشافعية بهذه الخانقاة فهم إبراهيم بن الحسن بن ابراهيم بن عبد الكريم برهان الدين العرابى المقدسى الشافعي الذى ولد سنة سبعين وسبعمائة ومات فى رجب ظنا سنة احدى وأربعين (وثمانمائة) بالقدس(٥٦). ومنهم ابراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن البرهان العدمانى الكركى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة خمس أو ست وسبعين وسبعمائة بالكرك فحفظ العمدة وألفية الحديث والنحو والمنهاج والشاطبية، ثم درس وأفتى وانتفع به جماعة فى القراءات والعربية، وقرأ عليه الجمال البدرانى صحيح البخارى سنة ست وعشرين بخانقاة سعيد السعداء، مات فى رمضان سنة ثلاث وخمسين (وثمانمائة)(٥٧). ومنهم شيخ السخاوى إمام الأئمة وعلامة عصره الشهب أبو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى المعروف بابن حجر الذى ولد فى ثانى عشرى شعبان سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) بمصر القديمة ونشأ بها يتيما فى كنف أحد أوصيائه فحفظ ودرس التفسير بالصلاحية ومات فى آواخر ذى الحجة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ودفن تجاه تربة الديلمى بالقرافة(٥٨).

ومنهم أحمد بن عيسى بن موسى بن سليم العامرى المقيرى (بلدة بالكرك) الشافعى الذى ولد فى شعبان سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) فحفظ واشتغل بالفقه وغيره وقدم مع أبيه بعد الأربعين من عمره فأبقى السلطان معه تدريس الفقه بالصلاحية والحديث بجامع ابن طولون وظل بهما حتى شغرت خطابة المسجد الأقصى وتدريس الصلاحية بالقدس فانتقل إليهما سنة إحدى (وثمانمائة) حتى مات فى نفس السنة وقيل انه ما تناول رشوة فى قضائه لا ببلده ولا بالديار المصرية(٥٩)، ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن عبيد ابو البركات بن أبى سعد بن القطان الذى اعتنى به أبوه فأقرأه القرآن وأسمعه الحديث، وكان ممن سمع على السخاوى إلى أن خلف والده فى سعيد السعداء وغيرها(٦٠)، ومنهم على بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن القطب القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م) بالقاهرة ونشأ فى كنف أبيه فحفظ القرآن وأخذ عن ابن الملقن والبلقينى والبرماوى وغيرهم إلى أن استقر به الدوادار الكبير تغرى بردى فى مشيخة مدرسته التى أنشأها بالصليبة وبعنايته استقر فى تدريس الصلاحية ونظرها بعد وفاة التلوانى إلى أن أخذ منه هذا التدريس بالصلاحية لابن حجر العسقلانى فكثر تألمه ومات سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)(٦١).

٣ – إمام الخانقاة :

بعد هذه القائمة الطويلة بأسماء مدرسى هذه الخانقاة نأتى إلى ذكر إمامتها، وقد أمدنا السخاوى بتراجم ثلاثة من هؤلاء الأئمة أولهم ابراهيم بن ابراهيم بن محمد عبد الله بن محمد بن مسعود القاهرى المولد والدار الذى عرف بابن سابق، ولد بعد الستين وثمانمائة، وحفظ القرآن وقرأ المنهاج وتشاغل بالأذان والوقيد ونحوهما بالمنكوتمرية حتى أخذ إمامتها وإمامة الصلاحية وغيرها بعد أبيه، وربما اشتغل بالخياطة وعمل حاسبا(٦٢) ، وثانيهم أحمد بن عباس بن أحمد ابن عمر بن ناصر بن أحمد المناوى (نسبة الى منية مسود بالمنوفية) الأزهرى الشافعى الذى لم يذكر تاريخا لولادته ووفاته(٦٣) ، وثالثهم أحمد بن محمد بن على الشهاب القاهرى الشافعى الذى عرف بابن شهيبة وبابن بيضون ثم عرف بالكتبى ولد سنة (٨٣٠هـ/ ١٣٢٩م) فحفظ واشتغل وتنزل فى الجهات إلى أن أم بسعيد السعداء ومات سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) ودفن بحوش الصوفية بنفس الخانقاة(٦٤) .

٤ – ناظر وقف الخانقاة :

أمدنا المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) وكل من السيطوى والسخاوى فى القرنين (٩ –١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) بفيض من المعلومات الهامة المتعلقة بنظارة وقف هذه الخانقاة، فأشار لمقريزى إلى أن وقف هذه الخانقاة كان قد ساء أمره زمنا إلى أن ولى الأمير يلغبا السالمى نظرها فى جمادى الآخرة سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) فنزل إليها وأخرج كتاب الوقف للعمل بشرط الواقف فيه فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومال، وزاد الفقراء المجردين من المقيمين بها فى كل يوم رغيفا فأصبح لكل منهم أبعة أرغفة بدلا من ثلاثة ورتب بالخانقاة وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء وصلاة الصبح، فكثر النكير عليه ممن أخرجهم حتى قال بعض أدباء العصر:

يا أهل خانقاة الصلاح أراكم ما بين شاك للزمان وشاتـم
يكفيكم ما قد أكلتم باطـلا من وقفها وخرجتم بالسالم

وكـان سبب ولاية السـالمى لنظر وقف هذه الخانقـاة – كـمـا يقـول المقـريزى – أن العـادة كانت قد جرت على أن يتحدث الشيخ فى نظرها، فلما كانت أيام الظاهر برقوق ولى مشيختها الشيخ محمد البلالى الشامى إلى أن صار للأمير سودون فيه اعتقاد فاسند إليه النظر فى وقفها إلى جانب مشيختها إعانة له(٦٥)، ولكن السالمى عندما نزل إلى الخانقـاة وتحدث فيها اجتمع بشيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف الذى شرط فيه أن هذه الخانقـاة تكون وقفـا على الطائفة الصـوفية الواردين من البلاد الشاسعة خارج مصر، علاوة على الصوفية القاطنين بالقاهرة والفسطاط، فإن لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد.

ثم جمع السالمى القضاة وشيخ الإسلام وسائر صوفية الخانقاة بها وقرأ عليهم كتاب الوقف، وسأل القضاة عن حكم الله فيه، فانتدب للكلام رجلان من صوفيتها هما زين الدين أبو بكر القمنى وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى وارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فأشار القضاة على السالمى أن يعمل بشرط الواقف وأنصرفوا، فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكورين، فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع فى أمر السالمى وبسط لسانه بالقول فيه فقبض عليه وقضى بتعزيره فى حضرة السلطان والقضاة والفقهاء، وخرج من القلعة ماشيا مكشوف الرأس إلى باب زويلة فسجن هناك بحبس الديلم ثم نقل منه إلى حبس الرحبة ثم استدعى إلى دار قاضى القضاة جمال الدين محمود القيصرى الحنفى وضرب أربعين عصا تحت رجليه ثم أعيد إلى الحبس إلى أن أفرج عنه بشفاعة شيخ الإسلام.

ثم لما جدد الأمير يلبغا السالمى الجامع الأقمر وعمل له منبرا وأقيمت فيه الخطبة فى شهر ربيع الأول سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) ألزم شيخ هذه الخانقاة وصوفيتها أن يصلوا الجمعة به، فتم له ذلك إلى أن زالت أيام السالمى فتركوا الاجتماع بالجامع الأقمر وعادوا إلى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمى ونسى ذلك(٦٦).

أما السيوطى فقد ذكر من نظار هذه الخانقاة فى القرن (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) الشيخ نجم الدين الخبوشانى وقال – طبقا لما أشير اليه أنفا – أن السلطان الواقف كان قد جعل له التدريس والنظر فى آن واحد وشرط له من المعلوم فى كل شهر أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنانير عن نظر الوقف ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل(٦٧).

وأخيرا يذكر السخاوى من هؤلاء النظار فى القرن (٩هـ/ ١٥م) خليل بن أحمد بن على بن غرس الدين السخاوى ثم القاهرى الذى صحب الشمس الحلاوى وكيل بيت المال وأحد خواص الظاهر جقمق قبل سلطنته، وصار خليل هذا يتردد مع الحلاوى إلى جقمق حتى استنابه فى نظر سعيد السعداء وقتا، مات بعد أن أسن فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعين (وثمانمائة)(٦٨).

٥ – صوفية الخانقاة ودارسوها:

يقول المقريزى أن الشيخ أحمد بن على القصار رحمه الله كان قد أخبره أنه أدرك الناس فى يوم الجمعة يأتون من مصر (الفسطاط) إلى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاة سعيد السعداء عندما يتوجهون منها إلى الصلاة بالجامع الحاكمى كى تحصل لهم البركة والخير بمساعدتهم، وكان لهم (أى للصوفية) فى هذا اليوم هيئة فاضلة، فيخرج شيخ الخانقاة منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون إلى باب الجامع فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة لوجود بسملة نقشت عليها بحروف كبار، فيصلى الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرأون القرآن حتى يؤذن المؤذنون، فتوخذ الأجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون، فإذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاة ورفع صوته بقراءة ما تيسير من القرآن، ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فإذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع إلى الخانقاة والصوفية معه كما كان توجههم فيكون هذا من أجمل عوائد القاهرة(٦٩).

وكان من شروط وقف هذه الخانقاة كما سبق القول أنها للواردين من خارج مصر والقاطنين بالقاهرة ومصر، فإن لم يوجدوا كانت للفقراء من فقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد، وأن من مات من صوفيتها وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره (أى تتم إعانته على سفره)، وبنى لهم حماما بجوارهم، لكل منهم فى اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال خبز، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق، وتعمل لهم الحلوى فى كل شهر، ويفرق عليهم الصابون ويعطى كل منهم فى السنة ثمن كسوة قدر أربعين درهما(٧٠).

وقد اختلف المؤرخون فى ذكر عدد الصوفية بهذه الخانقاة، فذكر المقريزى أنهم كانوا نحو الثلثمائة رجل(٧١) وقد نقل عنه ذلك على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ضمن ما نقله مما كان مخصصا لهؤلاء الصوفية من الجرايات النقدية والعينية من الخبزه واللحم والحلوى والصابون وثمن الكسوة ونحوها(٧٢)، إلا أن ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) قد تعرض لشئ من هذا القبيل (فى معرض حديثه عن ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة وأهلها من محاسن وفضائل وما شاركها فيه غيرها وهو قليل بالنسبة إليها على سبيل التفضيل نقلا عن شيخه العلامة شمس الدين القاياتى) فقال أن أهل خانقاة سعيد السعداء (أى صوفيتها يعمرون مدينة وقد بلغت عدة الصوفية بها على عهده سبعمائة نفر وأكثر(٧٣)، ويغلب على الظن أن عدد الصوفية بهذه الخانقاة كان قد زاد كثيرا على عهد ابن ظهرة فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) عنه فى عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وهو أمر لا غرابة فيه إذ من المعروف أن تقدم الزمن يستتبعه كثرة عدد الناس ومن ثم كثرة عدد الصوفية فيهم.

وقد أفاض علينا ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) بتراجم كثير من صوفية هذه الخانقاة نذكر منهم أحمد بن بركات شاه بن أبى الحسن شمس الدين أبو محمد الأقصرائى شيخ خانقاة بكتمر بالقرافة، الذى كان أول أمره صوفيا بالصلاحية مات فى سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)(٧٤)، ومنهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن أبى سالم داود بن أحمد بن غنائم الحلبى الذى ولد سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وسمع من المحسنى ومن فاطمة بنت الملك المحسن وأجاز له جماعة وحدث بالقاهرة وولى ديوان الصدقات وتنزل بهذه الخانقاة إلى

أن مات سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)(٧٥) ومنهم محمد بن اسماعيل ابن عبد العزيز بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شادى بن مروان ناصر الدين بن العادل بن عبد العزيز بن المعظم ابن العادل الأيوبى المعروف بابن الملوك الذى ولد سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) وحدث وتفرد وكان صوفيا بسعيد السعداء، مات بالقاهرة سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)(٧٦).

كذلك فقد ترك السخاوى فى القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) بعضا من تراجم صوفية هذه الخانقاة نذكر منهم أحمد بن على بن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد الشهاب أبو محمد المناوى القاهرى الشافعى الذى ولد تقريبا سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) ومات سنة سبع وستين (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)(٧٧)، ومنهم أحمد بن على بن أبى بكر الشهاب الحسينى سكنا الترجمان ولد قبل سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) ومات حوالى سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)(٧٨) ومنهم أحمد بن عمر بن خليل الشهاب القاهرى الذى عرف بابن السكرى (حرفة أبيه) ممن اشتغل عند الزين زكريا البكرى ثم نزل للكمال الطويل ونحوه، وقد حج وتردد وعنده سكوت وأدب(٧٩)، ومنهم أحمد بن محمد أبن صدقة الشهاب المصرى القاهرى الشافعى الذى مات فى حدود سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)(٨٠) ومنهم أحمد الشربينى ثم القاهرى نسخ بخطه أشياء سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)(٨١).

ومنهم رمضان بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى الزين المنوفى ثم القاهرى الشافعى نزيل القراسنقرية، مات سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) وكان خيرا مديما للتلاوة والعبادة(٨٢)، ومنهم عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعيد العقبى القاهرى الشافعى مات سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)(٨٣)، ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن على الزين السرورى المدينى الشافعى ممن قرأ على السخاوى فى النخبة واشتغل يسيرا وكان من صوفية هذه الخانقاة(٨٤).

أما الدارسون بهذه الخانقاة فقد أورد لنا ابن حجر العسقلانى تراجم بعضهم فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م) ومنهم محمد بن عمر بن أبى القاسم نجم الدين بن أبى الطيب الشافعى كان عارفا بتراجم أهل عصره وباشر الوظائف الكبار ودرس بالصلاحية، كان مولده سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ومات سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)(٨٥)، كما أورد لنا ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/

١٥م) منهم أحمد بن على بن حسن ابن إبراهيم شهاب الدين أبو الطيب المعروف بالحجازى الأنصارى المصرى الشافعى، ولد فى سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) وتفقه على الشيخ كمال الدين الدميرى وعلى الولى العراقى وغيرهما وسمع على أبى الحسن على بن أبى المجد بالخانقاة الصلاحية جميع صحيح البخارى بلافوت(٨٦).

٦ – نزلاء ودفناء الخانقاة:

كما أفاضت علينا المصادر العربية بتراجم كثير من شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها ونظار وقفها، وكذا تراجم كثير من كتاب غيبتها وشهود شونتها ومخبزها وطباخيها ومزلاتييها ومقدمى نعالها، بالإضافة إلى تراجم كثير من صوفيتها ودارسيها، فقد أفاضت علينا هذه المصادر أيضا بتراجم كثير من نزلائها ودفنائها.

وقد ترجم لهولاء النزلاء والدفناء كل من ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) وابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) والجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ/ ١٨ – ١٩م) وغيرهم.

فذكر ابن حجر من تراجم نزلاء هذه الخانقاة أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبرى ثم المكى حفيد الحافظ محب الدين الذى ولد سنة ٦٩٣٠هـ/ ١٢٩٣م) وكان صالحا فاضلا حدادا عاقلا، أقام بمصر فى خانقاة سعيد السعداء ورجع إلى مكة وانقطع بالمدينة من سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) إلى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) فأقام بمكة إلى أن مات سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)(٨٧).

كما ذكر السخاوى من تراجم هؤلاء النزلاء إبراهيم بن أحمد بن على بن خلف بن عبد العزيز بن بدران برهان الدين أبو السعود بن الشهاب الطنتدائى الحسينى نزيل الشرابيشية، الشافعى سبط الشمس البوصيدى، ولد سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)، وتنزل بالمدارس المختلفة وبالخانقاة الصلاحية حتى مات سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٦١م)(٨٨)، ومنهم إبراهيم ين حسن بن على الجراحى ثم القاهرى الشافعى نزيل الصلاحية وأحد صوفيتها ولد سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) وناب فى القضاء ببعض القرى(٨٩)، ومنهم إبراهيم بن على بن محمد بن عيسى البرهان بن العلاء الشامى

الأصل القاهرى الصحراوى الشافعى الذى عرف بالقطبى نسبة لأحد شيوخ والده، ولد سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م) وقرأ على العز بن عبد السلام البغدادى وتنزل فى صوفية سعيد السعداء وغيرها(٩٠)، ومنهم أحمد بن أحمد بن السُّنبل (وهو مكيال القمح بحمص) أبو العباسى الحمصى الشافعى، اشتغل ببلده ومهر وولى قضاءها ثم قدم القاهرة وتنزل فى صوفية سعيد السعداء ثم سعى فى قضاء دمشق فوليه سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) إلى مات هناك سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)(٩١).

ومنهم أحمد بن عبد العزيز بن يوسف بن عبد الغفار بن وجيه بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الصمد بن الشهاب بن العز السنباطى الأصل القاهرى الشافعى تنزل فى الصلاحية والبيبرسية وغيرها(٩٢)، ومنهم أحمد بن محمد بن إسماعيل شهاب الدين السنباريب ثم السنيكى القاهرى الشافعى، قدم القاهرة فتنزل فى صوفية الصلاحية وغيرها وتكسب بالشهادة وربما أم بالخانقاة، مات سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)(٩٣)، ومنهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبى نصر محمد بن عرب شاه ابن أبى بكر الشهاب الدمشقى الأصلى الرومى الحنفى الذى لقيه السخاوى فى الخانقاة الصلاحية بالقاهرة سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)(٩٤).

ومنهم اسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن على الشيخ أبو السعود المنوفى الشافعى نزيل القاهرة، كان عالما صالحا تنزل فى سعيد السعداء ودرس وأفتى ونظم الشعر، ومات سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)(٩٥)، ومنهم جار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن يحيى بن عبد الرحمن بن على بن الحسينى بن محمد بن شيبة الشيبانى الطبرى الأصلى المكى الحنفى، تردد إلى القاهرة مرارا وأدركه أجله بخانقاة سعيد السعداء سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) ودفن بمقبرة صوفيتها(٩٦)، ومنهم الحسن بن أحمد بن حسن البدر العاملى القاهرى الشافعى نزيل سعيد السعداء، وأحد أئمتها ولد سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) بمنية عامل ثم قدم القاهرة فحفظ وأخذ ومات سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)(٩٧)، ومنهم حسن بن على بن أحمد البدر أبو على الدماطى الأزهرى الشافعى الضرير، قدم القاهرة من بلده دماط من الغربية فحفظ وأخذ ولازم وتنزل فى صوفية سعيد السعداء ومات سنة (٨٨١هـ/ ١٤٨٦م) ودفن بتربتها(٩٨)، ومنهم على بن زكريا بن أبى بكر بن يحيى نور الدين أبو محمد السهيلى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بالسهيلى ولد

سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) بمنية سهيل من أعمال مصر، وقدم القاهرة فقرأ واشتغل وكثر اجتماعه بالسخاوى فى الخانقاة الصلاحية وغيرها حتى مات سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)(٩٩).

أما الجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ/ ١٨ – ١٩م) فقد ذكر ممن مات سنة (١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م) من نزلاء هذه الخانقاة العلامة الفاضل المحدث الصوفى الشيخ أحمد بن جمعة البجيرمى الشافعى الذى انتفع به الناس كثيرا، كان يسكن فى خانقاة سعيد السعداء مع حسن الأخلاق والانجماع وملازمة محله(١٠٠).

أما دفناء الخانقاة فقد ذكر لنا منهم كل من ابن تغرى بردى والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) شيخ الشيوخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسن بن أبى بكر الآملى(١٠١)، وأحمد بن محمد بن إبراهيم بن العلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن العلامة أحمد بن محمد ابن الشهاب ابو المحاسن بن الشمس بن البرهان الخجندى المدنى الحنفى الذى ولد سنة (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م) بالمدينة المنورة وحفظ القرآن والكنز وعرض على غير واحد ومات بالقاهرة سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) ودفن بحوش هذه الخانقاة(١٠٢)، وجعفر بن إبراهيم بن جعفر بن سليمان بن زهير أبو الفتح القرشى السنهورى القاهرى الأزهرى الشافعى المقرئ الذى ولد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) بسنهور ثم تحول إلى القاهرة فنزل بالجامع الأزهر واشتغل وسمع ونزل فى سعيد السعداء، ولم يزل متعللا حتى مات سنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) ودفن بحوش صوفية الخانقاة(١٠٣).

ب – الوظائف الخدمية :

تنحصر الوظائف الخدمية التى شملتها هذه الخانقاة طبقا لما لدينا من مادة تاريخية أمدنا بها السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) فى كاتب الغيبة وشاهد الشونة وشاهد المخبز والمزملاتى والطباخ ومقدم النعل، وفيما يلى بعض تراجم هؤلاء :

١ – كاتب الغيبة :

ذكر لنا السخاوى من كتاب الغيبة فى هذه الخانقاة على بن عبد الكريم بن صالح بن شهاب نور الدين الهيثمى ثم القاهرى الشافعى الذى تكسب بالشهادة وبكتابة الغيبة فى سعيد

السعداء ومات فى ذى الحجة سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)(١٠٤).

٢ – شاهد الشونة :

نذكر من شاهدى شونة هذه الخانقاة ممن ذكرهم السخاوى على بن محمد بن إبراهيم بن حامد العلاء الصفدى الشافعى الذى ولد فى ذى القعدة سنة (٨٠٤هـ) بصفد ثم ارتحل عنها فى طلب العلم إلى دمشق، ثم جاء إلى القاهرة مجتهدا فى الاشتغال إلى أن ولى شهادة الشونة بسعيد السعداء ومات سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)(١٠٥).

٣ – شاهد المخبز :

أشار السخاوى من شاهدى مخبز هذه الخانقاة إلى أحمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى الأموى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن المحمرة (وهى أمه نسبت إلى التحمير من الحمره) وبابن السمسار (لكون أبيه كلن سمسارا من سماسرة الغلال بساحل بولاق) وبابن الصلاح (لقب أبيه وجده وبابن البحلاق ولكنه بالأول أشهر، ولد فى صفر سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) بالمقس فحفظ وقرأ وأخذ إلى أن باشر شهادة المخبز بالصلاحية، ومات فى ربيع الآخر سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)(١٠٦).

٤ – المزملاتى :

من المزملاتية الذين باشروا تسبيل الماء بمزملة هذه الخانقاة طبقا لما ذكره السخاوى عبد الرازق بن حسن الدنجيهى ثم القاهرى الشافعى، كان أحد صوفية سعيد السعداء وصلحائها، حفظ القرآن والمنهاج ولازم درس البلقينى وتولى سقى الصوفية بالمزملة حتى مات فى رمضان سنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)(١٠٧).

٥ – الطباخ :

أشار السخاوى من طباخى هذه الخانقاة إلى محمد بن عمر بن محمد الشيرازى شمس الدين أبو الجد، سمع من حسن الكردى وابن السماك والعلم بن دراده وزاهدة بنت الظاهرى

وغيرهم وكان طباخا بالخانقاة الصلاحية سعيد السعداء حتى مات سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)(١٠٨).

٦ – مقدم النعال :

وآخر من أمكن الوقوف عليهم من مقدمى النعال بهذه الخانقاة ممن ذكرهم السخاوى على بن موسى بن هرون أبو الحسن الزيات المقرى الذى عرف بابن الزيات كان خيرا نيرا من صوفية سعيد السعداء يتولى تقديم نعالهم كل يوم غالبا، وربما فعل بصوفية البيبرسية ذلك، مات فى آخر سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)(١٠٩).

٥ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة ١:)

تقع هذه الخانقاة بشارع الجمالية فى الحى المعروف بذات الإسم، وكانت فى الأصل دارا تعرف بدار سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين على أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، ثم سكنها الصالح طلائع بن رزيك بعد أن عمل سردابا يوصل بينها وبين دار الوزارة، ثم سكنها من بعده الوزير شاور ثم ابنه الكامل، وأخيرا لما تولى صلاح الدين ملك مصر جعلها خانقاة باسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد، وكان ذلك فى سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، وتتكون هذه الخانقاة عامة من مدخل بسيط يؤدى إلى صحن كبير مكشوف تتعامد عليه أربعة إيوانات وبعض خلاوى أشبه بالحواصل فى إيوانها الشمالى الغربى وفيما يلى وصف أثرى لأجزائها المعمارية.

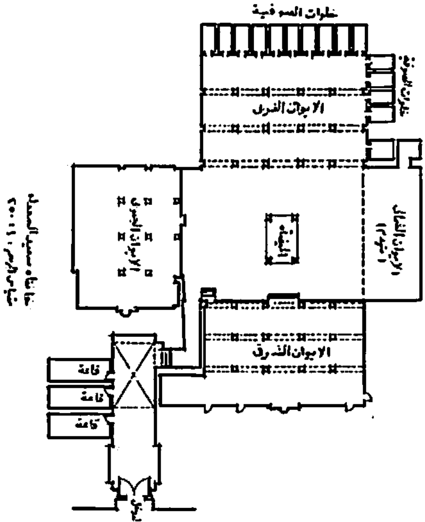

لوحة ١ : الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) – مسقط أفقى.

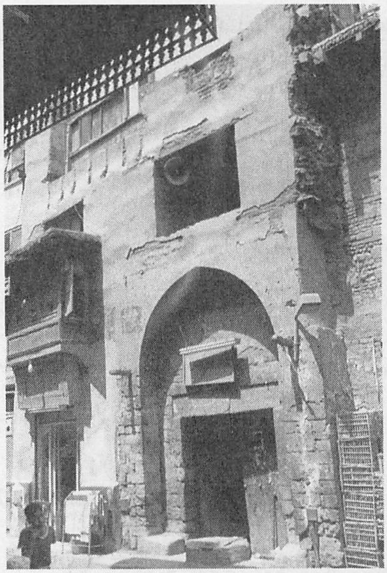

شكل ١ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) – الواجهة والمدخل

الواجهة الرئيسية : (أنظر شكل : ١)

الواقع أنه لم يبق من واجهات هذه الخانقاة إلا الواجهة الشرقية وطولها (٢٦) مترا، وقد ضاعت معظم هذه الواجهة أيضا ولم يبق منها إلا المدخل ويقع داخل دخلة عمقها (ر٥٠)م تكتنفها مكسلتان حجريتان مستطيلتان طول كل منهما (ر٥٠)م وارتفاعها (ر٤٥)م يعلوها عقد مدبب.

المدخل الرئيسى :

عرض المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة (٢) متر وعمقه (ر٥٠)م وارتفاعه (٥)م يعلوه عتب حجرى خالى من الزخارف وله طاقية على هيئة عقد مدبب كانت تعلوه نافذة مستطيلة ضاع ما كان فيها من نحاس أو أخشاب، وعلى يسار المدخل توجد مشربية من خشب الخرط تغطيها دروة خشبية من أعلى.

دركاة المدخل :

يفضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مستطيلة طولها (٣٤)م وعرضها (٤) متر يغطيها سقف من عروق خشبية مجددة فى ناحيتها الجنوبية مشربية تقوم على خمسة كوابيل خشبية تعلوها دروة خالية تماما من الزخارف، وبصدر هذه الدركاة فتحة عرضها (ر٥٢)م تعلوها مشربية تشبه المشربية الموجودة فى الجدار الجنوبى للدركاة.

الممر المنكسر المؤدى إلى الصحن :

من الفتحة الواقعة بصدر الدركاة يدخل إلى ممر مستطيل طوله (١١ر٣٠) متر وعرضه (٢ر٤٠) متر كان يغطيه سقف من عروق خشبية على يساره فتحة باب عرضها (ر٩٥)م ذات عقد نصف دائرى تعلوه نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية، ويؤدى هذا الباب إلى حجرة مستطيلة

يغطيها سقف مجدد، فى جدارها الجنوبى فتحة عرضها (١٫٨٥) متر مسدودة بقوالب من الطوب الأحمر الحديث، وعلى مسافة (٢٫٢٠) متر من هذا الباب يوجد باب ثان يشبه الباب الأول تماما بشكله وبنافذته المستطيلة التى تعلوه، ويؤدى هذا المدخل أيضا إلى حجرة مستطيلة ثانية يغطيها سقف من عروق خشبية مجددة، وعلى مسافة (٥٥ر)م من هذا الباب الثانى يوجد باب ثالث يشبه البابين السابقين بتكوينهما المعمارى وبما يعلوهما من نافذتين مستطيلتين يؤدى إلى حاصل مستطيل الشكل يغطيه سقف من عروق خشبية مجددة.

أما الجزء الغربى من هذا الممر فغير مسقوف وفى جداره الجنوبى مشربية ثالثة تشبه المشربيتين المشار إليهما فى جدارى الدركاة الغربى والجنوبى، وفى نهاية الجدار الشمالى توجد فتحة عرضها (٢٫٤٠) متر ذات عقد نصف دائرى تؤدى إلى سلم هابط يتكون من ست درجات، على يساره دخله عرضها (١٫٤٠) متر وعمقها (١٫١٠) متر ذات عقد نصف دائرى، ويغطى هذا الانكسار الثانى لممر المدخل سقف من عروق خشبية مجددة.

صحن الخانقاة:

يؤدى السلم المشار إليه إلى الانكسار الثالث للممر سالف الذكر، وهو خال من أية فتحات، ويغطيه سقف خشبى مجدد أيضا، جداره الغربى مفتوح بفتحة عرضها (٢) متر يفضى إلى صحن المدرسة وهو مستطيل الشكل طوله (٢٣٫٥٠) متر وعرضه (١٤٫٩٠) متر، وهو صحن متخرب أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى، ويتوسط هذا الصحن سقيفة محمولة على أربعة أعمدة حجرية تشبه أعمدة واجهتى إيوان القبلة والإيوان الغربى المطلتان على الصحن، يغلب على الظن أنها كانت فسقية للوضوء.

الإيوان الشرقى: (أنظر شكل: ٢)

يتكون الإيوان الشرقى لهذه الخانقاة من مساحة مستطيلة طولها (١٦٫٥٠) متر وعرضها (١٠٫٦٠) متر بها ثلاث بلاطات يحصرها مع جدار القبلة صفان من أعمدة حجرية تشبه

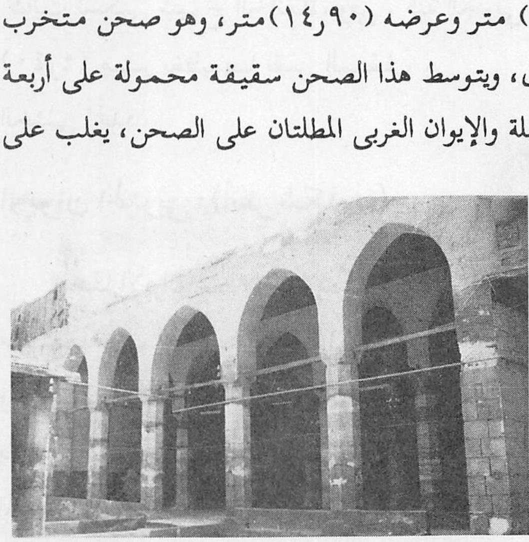

شكل ٢ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - الايوان الشرقى.

الأعمدة المشار إليها، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدببة يعلوها سقف من عروق خشبية مجددة، ويتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان المحراب وهو عبارة عن حنية عرضها (١,٢٠) متر وعمقها (٥٥ر) متر يعلوها عقد مدبب ويكتنفها عمودان خشبيان كل منهما مثمن الأضلاع له قاعدة وتاج متشابهين، وهذا المحراب خال من أية عناصر زخرفية تعلوه قمرية دائرية غير نافذة ليس بها أية زخارف أيضا، على يمينه منبر خشبى مجدد **(أنظر شكل : ٣)**

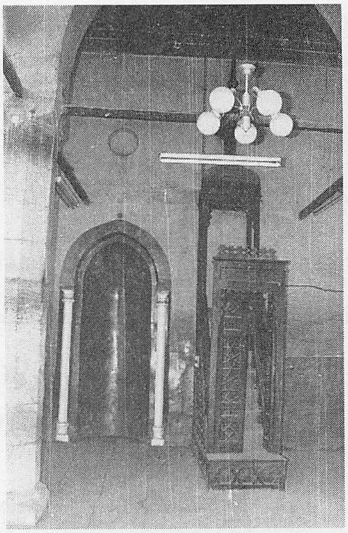

شكل ٢ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء)
المحراب والمنبر

ويشتمل جدار القبلة فى هذا الإيوان على ثلاثة أبواب متشابهة إثنان منها على يمين المحراب عرض كل منهما (١) متر يؤديان إلى غرفتين مستطيلتين يغطى كل منهما سقف خشبى مجدد، وواحد على يساره يشبه البابين السابقين يؤدى إلى حجرة ثالثة، أما فى الركن الشمالى الشرقى من هذا الإيوان فيوجد باب رابع يشبه الأبواب الثلاثة السابقة يؤدى إلى حجرة رابعة، ويغلب على الظن أن هذه الحجرات كانت لسكنى شيوخ الخانقاة، وفى ركنه الجنوبى الشرقى دخلة عرضها (٢,٩٠)متر وطولها (٤,٤٠) متر يغطيها نفس السقف الخشبى المجدد.

الإيوان الجنوبى : (أنظر شكل ٤:)

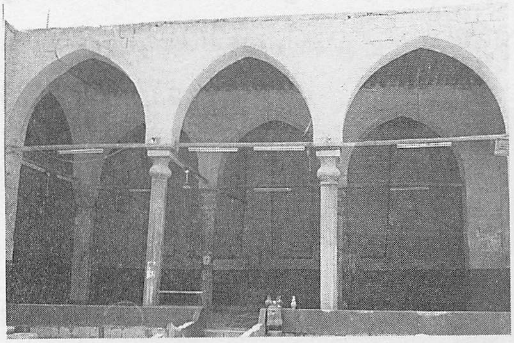

شكل ٤ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) – الايوان الجنوبى

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة أيضا طولها (١٧,٤٠) متر وعرضها (٩,٦٠) متر، ويتكون من بلاطتين وبه صفان من الأعمدة الرخامية المثمنة التى تحمل عقودا مدببة فيما عدا عمود فى ناحيته الشرقية من الحجر الجيرى المثمن الأضلاع أيضا، ويغطى هذا الإيوان سقف خشبى مجدد فى جداره الشرقى محراب عبارة عن حنية

خالية من الزخارف عرضها (١٫٣٠) متر وعمقها (٧٠ر) متر لا تكتنفها أعمدة، أما الجدار الجنوبى فكانت به ثلاثة شبابيك مستطيلة متشابهة عرض كل منها (١٫٦٠) متر وعمقها (٩٠ر) متر ذات أعتاب مستوية، وقد سدت هذه الشبابيك الآن بسدات حديثة.

الإيوان الغربى : (أنظر شكل: ٥)

يقابل إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٨٫٣٠) متر وعرضها (١١٫٣٠) متر ويتكون من ثلاث بلاطات، وبه ثلاثة صفوف من الأعمدة الحجرية تشبه الأعمدة الموجودة فى ايوان القبلة، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدببة يربط بينها طبان من الخشب، ويغطى هذا الإيوان سقف من عروق خشبية كان يزينها ويزين الألواح الخشبية فيما بينها زخارف ملونة ذات أشكال نباتية وهندسية مختلفة، كما كان يحيط بأعلى الجدران أسفل السقف فوق كل بلاطة منها إزار خشبى نقشت فيه بالألوان أيضا زخارف نباتية وهندسية وكتابات نسخية إلا أن غالبية هذه الزخارف وتلك الكتابات قد ضاعت ولم يبق منها إلا الآثار الدالة عليها.

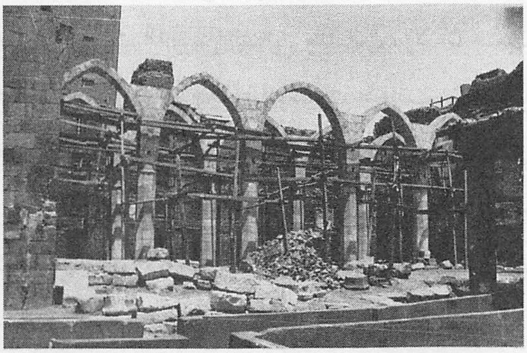

شكل ٥ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) – الايوان الغربى

وبجدار هذا الإيوان الغربى عشرة مداخل صغيرة متشابهة عرض كل منها (٨٠ر) متر فوقه عتب خشبى غير مزخرف تعلوه نافذة مستطيلة ذات (حلق خشبى) بها مصبعات من خشب الخرط العريض، ويؤدى كل مدخل من هذه المداخل إلى خلوة مستطيلة الشكل طولها (٣٫٥٠) متر وعرضها (١٫٥٠) متر ترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٤٠ر) متر فى صدرها مصطبة عرضها (٦٥ر) متر وارتفاعها (٣٥ر) متر كان يغطيها قبو نصف اسطوانى تهدم فى بعض منها واستعيض عنه بسقف من عروق خشبية مجددة.

أما الجدار الشمالى لهذا الإيوان فبه خمس فتحات تشبه فتحات الجدار الغربى تؤدى كل فتحة منها أيضا إلى خلوة تشبه الخلوات المشار إليها فى الناحية الغربية، وكان يعلو كلا من النوافذ الخشبية المستطيلة ذات الخرط الواسع فوق هذه الأبواب وعلى نفس محاورها صفان من نوافذ أخرى متشابهه لها فى كل من هاتين الناحيتين (الشمالية والغربية) كانت بالطبع منافذ إنارة وتهوية لخلوات الدورين الثانى والثالث، إلا أن معظم نوافذ هذين الدورين فى كل من هذين الجدارين قد تغيرت معالمها وسدت بقوالب من الطوب الأحمر الحديث، ومعنى ذلك أن هذه الخلوات كانت تتكون من اثنى عشر خلوة من دورين فى الناحية الشمالية، أما فى الناحية الجنوبية التى تغيرت معالمها بإقامة العديد من المساكن الأهلية الحديثة التى لم تبق إلا على نوافذها، فكانت تتكون من ثلاثة أدوار بكل دور ستة نوافذ تشبه باقى النوافذ ذات المصبعات الخشبية فى الجهتين الشمالية والغربية، وكان بها بالطبع نفس عدد الخلوات الموجودة فى الجانب الشمالى، وفى النهاية الجنوبية للجدار الغربى للإيوان الشمالى توجد فتحة باب عرضها (١٠ر١) متر ذات عتب حجرى كانت تؤدى إلى ممر مستطيل عرضه (٤٠ر١) متر كان يؤدى إلى دورة مياه، إلا أنه قد سد من الناحية الشمالية بسدة حديثة، وكانت هذه الخلوات ودورات مياهها تستوعب صوفية الخانقاة البالغ عددهم ثلاثمائة صوفى(١١٠).

ويقول المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أنه لم يكن لهذه الخانقاة مئذنة فى الأصل إلى أن ولى مشيختها سنة بضع وثمانين وسبعمائة شهاب الدين أحمد الأنصارى فعمل لها مئذنة مستحدثة(١١١)، ونقل عنه ذلك بنصه على باشا مبارك إلا أنه أضاف أنه كان بها على عهده أربعة إيوانات وعدة خلاو للصوفية تحتها قبور دفن فيها بعض صوفيتها وصوفية غيرها من الخانقاوات المعاصرة، وقد تغيرت فى أيامه بعض مبانيها الأصلية وجعل بها منبرا وخطبة(١١٢).

مرافق الخانقاة:

كان لهذه الخانقاة مطبخا عامرا بشتى المطهيات ليكفى مآكل هذا العدد الهائل من الصوفية، إلا أنه تعطل وأغلق عقب المحن التى حدثت سنة (٨٠٦هـ) كما أن لها حماما أعده المنشئ لصوفيتها حرصا منه على طهارتهم، ولا زال هذا الحمام قائما بمدخلين أحدهما من داخل الخانقاة والآخر من خارجها(١١٣).

٢ – الخانقاة البندقدارية أيدكين

"زاوية الأبار"

٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م

أثر رقم ١٤٦

تعتبر الخانقاة البندقدارية أو زاوية الأبار كما يسميها العامة لوجود قبر بالقبة يقال له قبر الشيخ علاء الدين الأبار، هى أول خانقاوات عصر دولة المماليك البحرية أنشأها تجاه المدرسة الفارقانية الأمير علاء الدين أيديكن البندقداري سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)، والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية يجعل حديثنا عن هذه الخانقاة محصورا فى خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – نزلاء الخانقاة ودفناؤها.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة:

يقول المقريزى «هذه الخانقاة بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود، وهى الآن (أى على عهد المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى، أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاة، ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة(١٢٨٤م)»(١١٤).

وقد نقل عنه على باشا مبارك هذه المعلومات بالنص إلا أنه أضاف إليها أن هذه الخانقاة كانت قد تخربت مدة من الزمن ثم جددها ديوان الأوقاف على عهده (أى على عهد على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وعمل لها مطهرة ومراحيض وجعلها مقامة الشعائر(١١٥)، ثم يقول فى موضع آخر أن هذه المدرسة كانت عامرة حتى أيامه وتعرف بزاوية الأبار وهى التسمية التى لازالت تعرف بها حتى اليوم(١١٦).

ورغم وجود النص الكتابى لصاحب الخانقاة الذى يحدد تاريخها بالسنة المشار إليها، ورغم اتفاق كل من المقريزى وعلى باشا مبارك وغيرهما على ذكر هذا التاريخ (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) إلا أن بعض المراجع المنشورة قد زادت على ذلك خمس سنوات وجعلت تاريخها سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)(١١٧).

وما تجب الإشارة إليه أنه إذا كانت مدرسة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٧ – ٦٤٨هـ/ ١٢٤٩ – ١٢٥٠م) هى أول مثل فى عمارة مصر جمع فيه بين المدفن والمدرسة فإن هذه الخانقاة هى أول مثل جمع فيه بين المدفن والخانقاة(١١٨).

٢ – منشئ الخانقاة:

منشئ هذه الخانقاة هو الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى، كان مملوكا للأمير جمال الدين يوسف بن يغمور، ثم انتقل عنه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى جعله بندقداره وأمره، ثم انقلب عليه وأخذ منه مملوكه بيبرس الذى قيل له بيبرس البندقدارى لأنه كان مملوكا له قبل أن ينتقل عنه إلى مماليك الصالح نجم الدين للأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى(١١٩) فأصبح أيدكين هذا ومملوكه بيبرس رغم انقلاب الصالح عليه من مماليك الصالح نجم الدين، ثم من مماليك شجرة الدر بعد وفاة زوجها، فلما ساءت الأمور بين شجرة الدر وبين الملك المعز أيبك سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٦م) عزم المعز أيبك على قتلها، ورتب لذلك بالقبض على مماليكها وسيرهم إلى قلعة الجبل حيث تم اعتقالهم، وكان أيدكين من جملتهم.

فلما تولى الظاهر بيبرس أمور البلاد بمصر سنة (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) كاتب أمراء دمشق يستميلهم إليه ضد الأمير علم الدين سنجر، فوقفوا بجانبه وحاربوا علم الدين وهزموه(١٢٠) فترك

دمشق ورحل عنها فأرسل إليها أيدكين الذى دخلها واستولى عليها فكافأه السلطان بأن ولاه نيابة السلطنة بحلب سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) إلا أن الغلاء كان بها شديدا فلم تطل بها أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الأشقر والقبض عليهْ فى صفر من السنة المشار إليها، فأقام فى نيابتها نحو شهر ثم صرف بالأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى.

ولما خرج السلطان إلى الشام سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) واقام بالطور استدعى الأمير علاء الدين وأعطاه إمرة طلبخاناه بمصر فى ربيع الآخر من هذه السنة، ثم لما فتح الله عليه الفتوحات الواسعة رأى أن يكافئ علاء الدين أيدكين على إخلاصه له فملكه باقة الشرقية⁽¹²¹⁾.

وعندما اتفق التتار مع الفرنج وأغاروا على الساجور قرب حلب جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدارى فى جماعة من العسكر وأمره أن يقيم فى مقدمة الشام على أهبة الاستعداد، فبقى هناك حتى انتصر عليهم فى برج برغوث على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب⁽¹²²⁾ ومات أيدكين البندقدارى بعد هذه السلسلة الحافلة من جلائل الأعمال فى ربيع الآخر سنة (٦٨٤هـ/ يونيه ١٢٨٥م) ودفن بقبة هذه الخانقاة وهو تاريخ يتفق عليه كل من المقريزى⁽¹²³⁾ وابن تغرى بردى⁽¹²⁴⁾ وغيرهما.

وفى ذلك يقول على باشا مبارك «وإلى الآن (أى إلى عصره فى القرن ١٣هـ ١٩م) قبره (أى قبر المنشئ) بها ظاهر وعليه تابوت من الخشب منقوش فيه آيات قرآنية⁽¹²⁵⁾، وإلى جانب ضريح المنشئ هذا الذى يطل على الطريق هناك ضريح آخر عليه قبة ثانية تضاربت الآراء بشأنه.

ولهذا المنشئ عدة ألقاب سجلها فى كتاباته المنقوشة بهذه الخانقاة نجد منها على الواجهة: الجناب العالى الأجلى المولوى المالكى الكبيرى الاسفسلارى العضدى النصيرى، وعلى قبة الضريح المقر الأشرف الصالحى الأميرى الكبيرى المخدومى المالكى المنصورى⁽¹²⁶⁾.

كما أن له مشكاة لا تزال محفوظة حتى اليوم فى متحف المتروبوليتان بنيويورك نقش عليها أنها عملت لضريح الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى وتتخلل كتاباتها ثلاثة رنوك مثل الرنك القائم بين نص الإنشاء على واجهة الخانقاة⁽¹²⁷⁾.

٣ – نزلاء الخانقاة ودفناؤها :

الواقع أن المصادر العربية التى أمكن الاطلاع عليها فى موضوع السير رغم عدم قلتها، بخلت علينا بالتراجم الكافية فيما يتعلق بنزلاء هذه الخانقاة ودفنائها، ولم نجد منها إلا النذر اليسير الذى ذكره كل من السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) ونجم الدين الغزى فى القرنين (١٠ – ١١هـ/ ١٦ – ١٧م).

وممن ذكرهم السخاوى على بن أحمد بن أبى بكر النور أبو الحسن المصرى الشافعى، قال عنه أنه نزيل البندقدارية، كلن أحد الأعيان فى المذهب مع الصلاح والخير، ولم يذكر لنا مع ذلك شيئا عن ميلاده ووفاته(١٢٨).

أما فيما يتعلق بدفناء الخانقاة فلعل أهم ما يمكن ملاحظته فى هذا الصدد هو وجود تركيبة خشبية لضريح يتوسط أرضية القبة يقال له ضريح الشيخ علاء الدين الأبار، والواقع أننى لم أعثر فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم ولا سيما الدرر الكامنة لابن حجر والضوء اللامع للسخاوى والكواكب السائرة لابن الغزى وغيرها على ترجمة للشيخ علاء الدين الأبار هذا، ولكننى عثرت على ترجمتين إحداهما للشيخ شمس الدين الأبار خطيب التبريزية والأخرى للشيخ عبد القادر بن محمد الأبار الحلبى الشافعى.

وقد أشار ابن الغزى إلى الترجمة الأولى بالتكرار فى موضعين عند حديثه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العاتكى الأبار فقال فى موضع أنه العالم الصالح شمس الدين الأبار الدمشقى الشافعى خطيب التبريزية لم يكن أبارا ولا أبوه وإنما خاله كان أبارا ورباه فنسب إليه، ثم أضاف أنه كان مؤذنا بالتبريزية ثم صار خطيبا لها وكان متقشفا يلبس البشت من الصوف الأسود وتحته جبة من القطن وعلى رأسه المئزر، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وتسعمائة (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)(١٢٩) وفى موضع آخر أنه مات فى ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الآخر سنة سبعين وتسعمائة (٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م) ودفن بتربة الدقاقين بمحلة قبر عاتكة(١٣٠)، وأشار إلى الترجمة الثانية عند حديثه عن الشيخ عبد القادر بن محمد الأبار فقال أنه عبد القادر بن محمد بن عثمان بن على بن شمس الدين الماردينى الأصلى الحلبى المولد والمنشأ والدار الشافعى الشهير بالأبار هو وأبوه لأنه كان يصنع

الإبر بحانوت له، اشتغل بالعلم ورحل فى طلبه وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)(١٣١).

ومن هذا تتضح صعوبة إمكانية القول برأى فى شخصية علاء الدين الأبار المشار إليه لأنه من جهة ليس واحدا ممن أمكن العثور على ترجمة لهم من عائلة الأبار هذه التى من الواضح أنها عائلة شامية كانت تفضل الأسماء المضافة إلى الدين، فمنها شمس الدين وتاج الدين وشهاب الدين وصاحبنا الذى لم نعثر على ترجمته علاء الدين، ومن جهة أخرى لتضارب رأى ابن الغزى نفسه الذى أعطانا لوفاة شخصية واحدة تاريخين مختلفين يفصل بينهما سبع سنين من الزمن، وربما من جهة ثالثة لسبب أو لآخر تداخل إسم المنشئ (علاء الدين) مع لقب واحد من هذه العائلة كان قد رحل إلى مصر وتوفى بها ودفن بتربة هذه الخانقاة فجمع العامة بين الإسمين وقالوا علاء الدين الأبار، ولعله فى هذه الحالة يكون هو الشيخ عبد القادر الأبار الذى قال ابن الغزى أنه رحل من حلب فى طلب العلم.

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٢)

تقع هذه الخانقاة بشارع السيوفية فى حى الخليفة وتتكون من ساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢٫٥٠) متر وعرضها (١١٫٥٠) متر يتوسطها صحن مربع طول ضلعه (٣٫٩٠) متر تحيط به أربعة إيوانات بالإضافة إلى القبة الضريحية التى تشمل على قبر المنشئ وفيما يلى وصف أثرى لمكونات هذه الخانقاة :

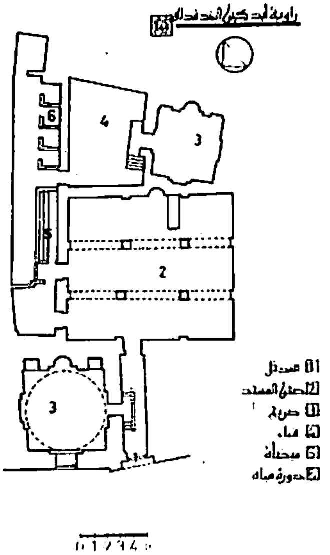

لوحة ٢ الخانقاة البندقدارية أبدكين (زاوية الابار) أثر رقم ١٤٦ (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) – مسقط أفقى

أ – الواجهة والمدخل :

تقع هذه الواجهة فى الناحية الشمالية وتمتد إلى مسافة طولها (٧٤) متر متوسط ارتفاع مداميكها (٢٩ر) متر يتوسطها المدخل الرئيسى ويقع داخل دخلة عمقها (٥٠ر)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان مستطيلتان ارتفاع كل منهما (٧٠ر)متر وعرضها (٤٠ر)متر وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص، أما الباب فهو من

الخشب المجدد عرضه (١٫٢٥) متر تعلوه نافذة شبه مربعة بها أسياخ حديدية حديثة.

وعلى الجانب الأيسر من هذه الواجهة يوجد الجدار الشمالى للقبة وتتوسطه نافذة مسدودة بقوالب من الطوب الحديث، يعلوها عتب حجرى فوقه عقد عاتق، وتنتهى الواجهة بإفريز غائر نقشت فيه كتابات نسخية بحروف رفيعة تبدأ من الجانب الخلفى لواجهة الخانقاة ثم تمضى لتجتاز كل الواجهة إلى أن تختفى لمسافة تزيد عن المتر متوارية خلف جدار بارز حديث البنيان نصها : بسم الله الرحمن الرحيم. «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»(١٣٢). أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الجناب(١٣٣) العالى(١٣٤) الاجلى(١٣٥) المولوى(١٣٦) المالكى(١٣٧) الكبيرى(١٣٨) الاسفهسلارى(١٣٩) العضدى(١٤٠) النصيرى(١٤١)، وهو نص يستدعى النظر فيه شيئان أولهما وجود رنكين منقوشين للمنشئ بين ألقابه كل منهما عبارة عن رنك بسيط يتألف من دائرة بها قوسين متدابرين ويرمز إلى وظيفة النبدقدار أو المبارز، وهى الوظيفة التى كان يتولاها صاحب الخانقاة، وهو بهذا يعد أقدم الرنوك المنقوشة على الأبنية الأثرية الدينية، وثانيهما أن تاريخ الإنشاء غير موجود فيه والمؤكد أنه قد ضاع مع الزمن لسبب أو لآخر، ويعلو إفريز النص الإنشائى هذا خمس وحدات من شرافات مسننة، أما الجانب الأيمن من هذه الواجهة فيشتمل على الباب الذى كان يؤدى إلى خلوات الصوفية، وهو عبارة عن مدخل صغير عرضه (٠٫٩٥)متر يعلوه عقد نصف دائرى.

ضريح المنشئ:

يؤدى باب الخانقاة المشار إليه إلى استطراق مستطيل الشكل يتوسط جداره الشرقى فتحة باب عرضها (٠٫٨٠)م وارتفاعها (٢) متر يعلوها عتب حجرى فوقه عقد عاتق، ويؤدى إلى هذا الباب سلم مكون من ثلاث درجات هابطة تدل على ارتفاع مستوى أرضية الشارع عما كان عليه الحال عند إنشاء الخانقاة، ويفضى هذا المدخل إلى قبة مبنية من الآجر تقوم على حجرة مربعة طول ضلعها (٦٫٢٠) متر وسمك حوائطها (١٫١٠) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال مجددة كل منها عبارة عن حطتين من المقرنصات حول بها المربع إلى مثمن انتهى بدائرة قامت

فوقها رقبة القبة البصلية التى تعلو الضريح.

ويتوسط الجدار الجنوبى لهذه القبة المحراب وهو عبارة عن حنية عرضها (١٫١٥) متر وعمقها (٠٫٨٠) متر كان يكتنفها من الجانبين عمودان إلا أنهما غير موجودين والباقى منهما فقط قاعدتيهما المستطيلتين، وتعلو هذه الحنية طاقية المحراب وهى ذات عقد مدبب تزينها زخارف جصية غائرة لتفريعات نباتية وأنصاف مرواح نخيلية وأوراق ثلاثية الفصوص بداخل العقد، أما واجهة المحراب فهى ذات عقد متراجع يزين الداخلى منهما شريط من كتابات نسخية نصه «بسم الله الرحمن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام(١٤٢). الله أكبر» ويزين واجهة العقد الخارجى (المدبب أيضا) زخارف لتفريعات نباتية وأنصاف مرواح نخيلية وزخارف أخرى هندسية قائمة على أرضية من زخارف نباتية مكونة شكلا يشبه الكتابة العربية، وكان يحيط بهذه الكتابة ويحددها شريط تشبه زخارفه الإفريز المشار إليه، أما جانبى المحراب ففيهما دخلتان عرض كل منهما (١٫٠٥) متر وعمقها (٠٫٨٥) متر يغطيها سقف مستو من أخشاب عادية، يعلوها فوق السقف المستوى عقد نصف دائرى من قوالب الطوب الأحمر (أنظر شكل: ٦).

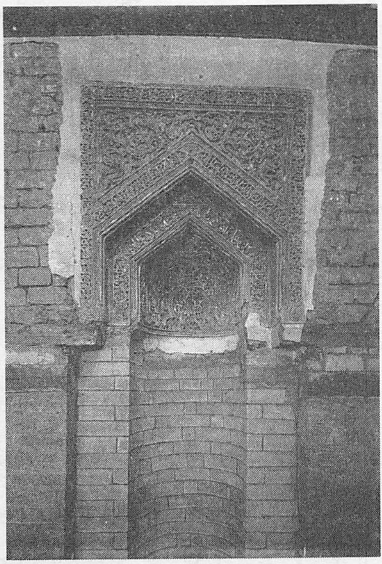

شكل ٦ – الخانقاة البندقدارية ايدكين (زاوية الابار) أثر رقم ١٤٦ (١٢٨٣م) – المحراب

أما الجدار الشرقى فيتوسطه مدخل عرضه (٠٫٧٠) متر يعلوه عتب من كتلة خشبية خالية من الزخارف كان يكتنفه عمودان غير موجودين، ويعلوه كذلك عقد نصف دائرى من قوالب الطوب الأحمر، وقد سد هذا المدخل حديثا، أما الجدار الشمالى فتتوسطه نافذة عرضها (٠٫٦٠) متر وارتفاعها (٠٫٩٠) متر يغطيها سقف خشبى مستو، ويعلوها أيضا عقد نصف دائرى من الطوب الأحمر، كما كان يكتنفها عمودان غير موجودين، وجدير بالذكر أن هذه النوافذ كانت مملوءة بزخارف جصية مخرمة زالت مع الزمن واستعيض عنها بهذه الأسقف الخشبية المستوية.

ويعلو جدران القبة تحت مناطق الانتقال إفريز خشبى يغلب على الظن أنه كان يزينه زخارف وكتابات مدهونة بالطلاء، هذا وفوق كل فتحة من الفتحات الأربعة الموجودة بجدران القبة ثلاث نوافذ داخل ما يشبه العقد الثلاثى اثنتان فى أسفل وثالثة تتوسطها من أعلى، ويزين كل منها زخرفة من الجص والزجاج الملون على هيئة زخرفة نباتية لأوراق وتفريعات، ويحدد كل نافذة إطار زخرفى قوام زخارفه أشكال نباتية لتفريعات وأنصاف مراوح نخيلية ذات حفر غائر، أما أسفل القبة من الداخل فيوجد شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية من الزخارف النباتية والهندسية داخل بحور فى الشريط يفصل بين كل بحرين منها جامة مستديرة ونص هذه الكتابات هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما»(١٤٣) وتنتهى القبة من الداخل أيضا بدائرة زخرفية هى قطب القبة إطارها شريط من كتابة نسخية نصه: أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل»(١٤٤) أنشأ هذه القبة المباركة المقر(١٤٥) الأشرف(١٤٦) الصالحى(١٤٧) الأميرى(١٤٨) الكبيرى المخدومى(١٤٩) الملكى(١٥٠) المنصورى(١٥١) أيدكين البندقدار بتاريخ ثلاث وثمانين وستمائة.

ويتوسط هذه القبة وحدة زخرفية هندسية على شكل الطبق النجمى، أما رقبتها ففيها ستة عشر نافذة (أى أربع نوافذ فى كل ضلع من أضلاعها الأربعة) كل منها مربعة الشكل يعلوها عقد مدبب كان يزين واجهته المرئية شريط من زخارف نباتية تشبه ذلك الشريط الذى يحيط بالنوافذ الثلاثة المشار إليها، أما باقى جدران القبة فمعظمها مجدد وخالية من الزخارف.

ويتوسط القبة فى الأرضية تركيبة خشبية تقوم فوق ضريح الشيخ علاء الدين الأبار، وهى تركيبة مستطيلة الشكل طولها (١,٩٠) متر وعرضها (١,٢٠) متر وارتفاعها (١,١٥) متر، ذات أربع جوانب متشابهة الزخارف كل منها عبارة عن وحدات مستطيلة رأسية وعرضية لحشوات مجمعة يعلوها شريط من الخورنقات ووحدات الخرط العريضة، ويحيط بالتركيبة شريطان من الكتابة النسخية يقع الأول فوق شريط الخورنقات ونص كتابته :

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى

السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم(١٥٢) أما الشريط الثانى فيقع أسفل الخورنقات ونص كتاباته النسخية قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور(١٥٣). هذا قبر الفقير(١٥٤) إلى الله تعالى الراجى عفو الله الأمير علاء الدين(١٥٥) أيدكين البندقدار الصالحى النجمى جعله الله محل عفوه وغفرانه.

المدخل والصحن:

استطراق المدخل والصحن:

أما استطراق المدخل فطوله (٧٫٨٠) متر وعرضه (٢٫٥٠) متر يغطيه سقف من عروق خشبية مجددة خالية من الزخارف، فى جداره الشرقى شريط غائر نقشت فيه آية الكرسى بحروف نسخية تتخللها زخارف نباتية، ويؤدى هذا الاستطراق إلى مدخل ثالث فى جداره القبلى عرضه (١٫٢٠) متر، بابه من الخشب المجدد وعتبه مستوخال من الزخارف يؤدى إلى الزاوية وهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢٫٥٠)متر وعرضها (١١٫١٠) متر يتوسطها صحن مربع الشكل طول ضلعه (٣٫٩٠) متر تعلوه شخشيخة خشبية مجددة تماما بكل ضلع من أضلاعها الأربعة نافذتان مستطيلتان.

الإيوانات:

يحيط بهذا الصحن أربعة إيوانات متساوية تقريبا يتكون كل منها من بلاطة واحدة، وفى ضلع الزاوية القبلى يوجد المحراب وعلى يمينه المنبر، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الزاوية بكل ما فيها من عقود وسقف ومحراب ومنبر مجددة تماما ولم تعد على حالتها القديمة، فى الركن الشمالى من جدارها الشرقى فتحة مدخل مربعة الشكل طول ضلعها (٣) متر يقع مدخلها فى جدارها الشرقى على يمينه نافذة مستطيلة سقفها من عروق خشبية خالية من الزخارف.

القبة الفرعية :

فى منتصف الجدار الغربى للاستطراق المشار إليه يوجد مدخل آخر عرضه (٢٠ر١) متر به سبع درجات هابطة تؤدى إلى ساحة مستطيلة ا لشكل تتقدم القبة الثانية التى تقع فى الناحية الجنوبية الغربية للقبة الأولى، وينزل إلى مدخل هذه القبة بسلم ثان من خمس درجات تؤدى إلى مدخل القبة ويقع فى منتصف جدارها الشرقى عرضه (١٠ر١) متر وعمقه (٨٠ر) متر يعلوه عتب خشبى مستو، وهى القبة التى أشارت تقارير لجنة حفظ الآثار العربية بأنها بنيت بأمر من ابنة صاحب الخانقاة لتدفن فيها بعد موتها ونقشت عليها «بنت هذا القبر المبارك ابنة علاء الدنيا والدين»⁽¹⁵⁶⁾. وهذه القبة أصغر قليلا من القبة الأولى ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعها (٥) متر وتحتوى من الداخل على محراب ضيق مرتفع ينتهى بعقد منكسر زالت جميع الزخارف التى كانت فيه، أما شكل القبة من الخارج فهو يحتوى على درج واحد يتفق مع بداية صف المقرنص الأول من الداخل – كما فى حالة القبة الأولى – أما فصوصها فتتألف من أربعة وعشرين فصا أعمق من فصوص القبة الأولى تفصل بينها ضلوع عميقة، ولا تزال هذه القبة تحتفظ ببعض الزخارف الجصية التى تشتمل على عناصر هندسية من معينات وأشرطة ضيقة بها بعض كتابات كوفية تتخللها زخارف نباتية على شكل مراوح نخيلية.

القبة الرئيسية :

تقوم هذه القبة فوق حجرة مربعة طول ضلعها (٥) متر يتوسط جدارها الجنوبى محراب خال من الزخارف عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٠ر) متر وعمقها (٧٥ر) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين، ويعلوها عقد مدبب متراجع، وعلى جانبى هذا المحراب دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٥ر) متر وعمقها (٣٠ر) متر يعلو كلا منهما عتب خشبى غير مزخرف.

أما الجدار الشمالى لهذه القبة فكان فيه باب (سد فيما بعد) يقع داخل دخلة عمقها (٢٠ر) متر وعرضها (٢٠ر١) متر كانت تعلوه نافذة مربعة (سدت هى الأخرى فيما بعد بالدبش) لم يبق منها غير أجزاء من إطارها الزخرفى، وكان قوام زخارفه كتابة نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية لم يبق منها غير بعض أحرف قليلة.

وعلى محور المدخل فى الجدار الغربى لهذه القبة توجد دخلة أخرى عمقها (٨٠ر) متر وعرضها (٨٠ر١) متر، تعلوها نافذة مربعة ذات زخارف جصية هندسية العناصر تتألف من أشكال مثلثات متداخلة بها إطار من زخارف نباتية لم يبق منه إلا القليل.

أما الأركان العلوية لحجرة الضريح فتوجد بها مناطق انتقال مجددة كل منها عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا (تتألف كل حطة منها من خمسة مقرنصات) وهى أول محاولة من هذا النوع فى العمارة المملوكية، وقد حولت هذه المقرنصات المربع إلى مثمن ثم تحول المثمن إلى دائرة قامت فوقها رقبة القبة، ويتوسط كل منطقتين فوق كل دخلة من دخلات الجدران الأربع وحدة مكررة يتكون كل منها من ثلاث نوافذ قندلية متشابهة تتألف كل منها من ثلاث فتحات، ويغلب على الظن أنها كانت تتألف من ست فتحات كما فى قبة الصالح نجم الدين إلا أن ثلاثتها السفلى قد سدت فيما بعد، وفوق مقرنصات مناطق الانتقال فى إطار الدائرة التى قامت فوقها القبة يوجد شريط قوام زخارفه كتابات نسخية لم تعد واضحة تتخللها عناصر زخرفية نباتية لبعض آيات من القرآن الكريم، ويعلو هذا الشريط نوافذ رقبة القبة وعددها أربع وعشرون نافذة (أى ست نوافذ فى كل ضلع من أضلاع القبة) وهى نوافذ متشابهة كل منها مستطيل الشكل يعلوها عقد مدبب ويزين كلا منها أيضا إطار زخرفى قوامه تفريعات نباتية وأوراق وأنصاف مراوح نخيلية.

وفوق زوايا عقود هذه النوافذ يوجد شريط زخرفى ثان زخارفه عبارة عن تقليد الكتابة الكوفية، يعلوه شريط ثالث من كتابات نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية كتاباته عبارة عن النص الإنشائى للقبة الذى لم يبق فيه سوى «الجناب العالى المولوى الأميرى الكبيرى المجاهدى»(١٥٧)، أما باقى القبة من الداخل فخالى من الزخارف تماما، وكان يتوسط هذه القبة ضريح يقال أنه لابنة الشيخ علاء الدين الأبار لا تقوم فوقه تركيبة وإنما هو عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل، أما القبة من الخارج فتتكون من ستة عشر فصا تفصل بينها ضلوع ذات زوايا، ويلاحظ أن منطقة انتقالها تشتمل على درج واحد، ويتفق التدرج فيها مع بداية صفوف المقرنصات فى منطقة الانتقال من الداخل.

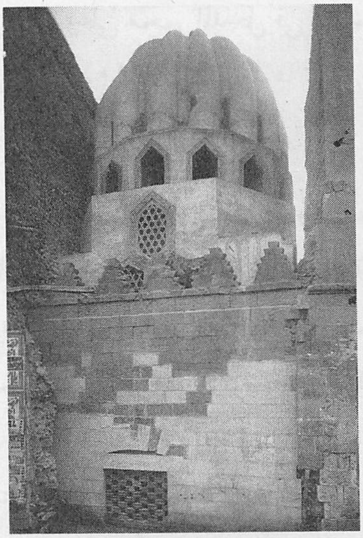

شكل ٧ – الخانقاة البندقدارية ايدكين (زاوية الابار) – القبة من الخارج.

(أنظر شكل : ٧)

خلاوى الصوفية :

يؤدى إلى خلاى المتصوفة فى هذه الخانقاة باب يقع على يمين المدخل الرئيسى يفضى إلى رحبة مربعة الشكل طول ضلعها (٢،٢٠) متر يغطيها سقف من عروق خشبية حديثة تنتهى فى جدارها القبلى بمدخل عرضه (١،١٠) متر يصعد إليه بدرجتين يؤدى إلى استطراق السلم، وفى مواجهة هذا المدخل من الناحية القبلية توجد إحدى خلاوى الصوفية، وهى عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل يقع مدخلها فى جدارها الشمالى على يمينه شباك مستطيل الشكل سقفها مجدد.

أما السلم الذى يصعد به إلى الأدوار العليا للخلاوى فيبدأ باتجاه شرقى غربى به تسع درجات، ثم ينكسر ثانيا ناحية الجنوب بثلاث درجات ثم ينكسر ثالثا ناحية الشرق حيث يقع الطابق الثانى من الخلاوى ولم يبق فيه سوى حجرة مستطيلة الشكل تقع فى الناحية الشمالية بها شباك مستطيل فى الركن الشرقى من جدارها الشمالى.

وفى الناحية القبلية كانت هناك حجرة أخرى يغلب على الظن أنها كانت مستخدمة كمطبخ أو دورة مياه، وينكسر السلم ناحية الغرب بتسع درجات ثم يتجه ببسطة ناحية الجنوب ثم انكسار آخر ناحية الشرق بتسع درجات أخرى حيث يوجد الطابق الثالث من الخلاوى ويتكون من خلوة مستطيلة الشكل فى الناحية الشرقية بها نافذة مستطيلة فى جدارها الجنوبى، إلى الشمال منها توجد خلوتان متداخلتان تقع إحداهما فى الناحية الشرقية وهى مستطيلة الشكل بها شباك فى الجدار الشمالى، وتقع الثانية فى الناحية الغربية وهى مستطيلة الشكل أيضا بها نافذتان بالجدار الشمالى ودخلة بالجدار الغربى كانت تطل على المدرسة إلا أنها مسدودة حاليا، ويستمر السلم بثلاثة اتجاهات أخرى مشابهة للاتجاهات السابق ذكرها حيث السطح.

والواقع أن صناعة الجص والأخشاب التى رأينا بقاياهما فى زخارف هذه الخانقاة تدل بغير شك على مدى الازدهار الذى أصابهما فى عهد دولة المماليك البحرية(١٥٨) وتذكرنا زخارفها بزخارف قبتى الخلفاء العباسيين والصالح نجم لدين.

٥ – ترميمات الخانقاة :

مما لا شك فيه – طبقا لما لدينا من المعلومات التى أوردتها كراسات لجنة حفظ الآثار العربية – أن هذه الخانقاة لم تحظ بالاهتمام الواجب بها من قبل هذه اللجنة لأن ما ترك لنا فى محاضر جلساتها من أخبار تتعلق بما أجرته فى هذه الخانقاة من ترميمات لا تعدو حاليتين وردت أولاهما فى كراسة سنة (١٩٠١م) وفيها يذكر التقرير أن القسم الهندسى بعد زيارته لزاوية الأبار وقبتها المهميتين اللتان تشتملان فى القبة الأولى على ضريح للأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى المتوفى سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وفى القبة الثانية على ضريح لابنته رأى ضرورة تسجيل هاتين القبتين ضمن الآثار العربية المسجلة بمدينة القاهرة، وقطع أرضية القبة المطلة على الشارع لارتفاع هذه الأرضية عن مستواها الأصلى، وهدم الجزء العلوى للحائط الموارى للقبة لإظهارها وهدم سقف الدركاة وإزاحة بعض الدرجات الموجودة بها ووضعها فى الداخل وفتح الشباك المسدود بالبناء فى القبة الأولى وإجراء ما يمكن من الأعمال لعزلها عن الأبنية المحيطة بها، واتخاذ كافة الأعمال اللازمة لحفظ القبة الثانية وعمل الرسومات اللازمة للقبتين(١٥٩).

أما الحالة الثانية فقد وردت فى كراسة سنة (١٩٠٩م) وفيها يذكر التقرير أن زاوية الأبار أصبحت معدودة من الآثار العربية المسجلة منذ سنة (١٩٠١م) وكتب عنها القسم الفنى ببعض الاقتراحات إلى ديوان عموم الأوقاف، ولكنه لم يؤخذ بهذه الاقتراحات إذ صدر قرار المحكمة بعد الاستئناف بإثبات الأحقية فى النظر للسيد عبد الخالق الأبار (وهو ما يثبت موضوع علاء الدين الأبار المشار إليه) فعهد القسم الفنى إلى جناب هرتس بك فخاطبة هذا النظر للسماح للجنة بعمل التقوية اللازمة للقبة الثانية التى قرر لها مبلغ مائة وخمسة وثلاثون جنيها مع الاحتياطات التى تمنع التغيير فى معالم هذه الخانقاة(١٦٠).

٣ – الخانقاة الجاولية سلار وسنجر

٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م

أثر رقم (٢٢١)

لا شك أن هذه الخانقاة كانت ولا تزال واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة المملوكية، وقد اهتم بالحديث عنها كثير من المؤرخين القدامى والكتاب المحدثين فاهتم بها المؤرخون لمكانة صاحبيها وما كانا يتمتعان به من سلطان ونفوذ، واهتم بها الكتاب المحدثين لما امتازت به من عظمة تخطيط وروعة بناء وجمال زخرف.

والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية أثرية معمارية يحصر حديثنا عن هذه الخانقاة فى خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفوا الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أن هذه الخانقاة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)[١٦١]، وقد جانبه التوفيق فى التاريخ الذى أعطاه لبنائها بزيادة عشرين عاما على ما هو منقوش فى نص انشائها الذى تشتمل عليه كتابات الواجهة ووارد فيه أنها بنيت سنة ثلاث وسبعمائة لا ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

وقد نقل عن المقريزى نفس التاريخ بخطئه كل من على باشا مارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) الذى زاد بقوله أنها لا زالت عامرة حتى عصره ويعرف خطها بخط الحوض المرصود ويقال لها جامع الجاولى(١٦٢)، وبعض المراجع العربية التى أعطت لهذه الخانقاة نفس التاريخ الذى أعطاه لها كل من المقريزى وعلى باشا مبارك(١٦٣).

على أن الجاولية بالقاهرة لم تكن الخانقاة الوحيدة التى أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وإنما كانت له جاولية أخرى بالقدس الشريف أنشأها – كما يقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) فى عهد السلطنة الثالثة للملك الناصر محمد بن قلاوون التى امتدت من سنة (٧٠٩ – ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ – ١٣٤٠م)(١٦٤).

ويضيف القاضى مجير الدين الحنبلى بعد ابن تغرى بردى بقرن من الزمان فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الملادى أن هذه الخانقاة صارت على عهده سكنا لنواب القدس وفيها مدفن الشيخ درباس الكردى الهكارى وكان صالحا معتقدا(١٦٥)، ويغلب على الظن أن جاولية القدس هذه كانت قد أنشئت بين عامى (٧١٢ – ٧٢٠هـ/ ١٣١٢ – ١٣٢٠م) خلال تولى علم الدين سنجر نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس والخليل التى كانت على ما يبدو قبل سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) عندما قبض عليه الناصر محمد كما يقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م)(١٦٦).

وتذكر بعض المصادر العربية أن علم الدين سنجر كان قد أرسل سنة (٧١٢هـ) إلى دمشق بأمر من السلطان الناصر محمد لروك البلاد الشامية (أى مسح أراضيها الزراعية، وقد كان ذلك أمرا شائعا فى العصر المملوكى، لأن هذه الأراضى كانت تقسم عند كل وضع سياسى جديد بين السلطان والأمراء والأجناد) وقد ورد فى هذه المصادر ذكر منشور هذا الروك الناصرى(١٦٧) وهو ما يؤيد تواجد الأمير سنجر بمنطقة الشام منذ سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

وقد استمرت جاولية القدس تقوم بدورها فى الحركة الفكرية ببيت المقدس منذ أنشائها فى بداية القرن (٨هـ/ ١٤م) حتى أوائل القرن (٩هـ/ ١٥م) عندما حولت إلى دار للنيابة، وكان الأمير شاهين الدباح نائب السلطنة على عهد الملك الأشرف أبو النصر برسباى (٨٢٥ –

٨٤١هـ/ ١٣٢٤ – ١٤٣٧م) هو أول من أتخذها دارا للنيابة سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، وظلت على هذا الحال دارا للنيابة إلى أن سكنها الأمير شاهين الشجاعى (٨٣١ – ٨٣٣هـ/ ١٤٢٧ – ١٤٢٩م) فقام بتجديدها ونقش نص هذا التجديد على عتبة بابها العلوية(١٦٨)، ثم تحولت بعد ذلك خلال العصر العثمانى إلى دار للحكم، وبعد الاحتلال البريطانى أقام فيها المجلس الإسلامى روضة المعارف الوطنية، ثم أصبحت دارا للشرطة وأخيرا مدرسة للبنين تسمى المدرسة العمرية(١٦٩).

أما عن أوقاف الخانقاة فإن ما لدينا من مادة تاريخية أثرية عنها لا يعد كافيا فى هذا الصدد على الإطلاق، وقد أورد على باشا مبارك بعضه فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) عندما تحدث عن جامع الجاولى فقال فى أربعة مواضع «وله إيراد من وقف حوش ومنزل وقهوة وبئر يبلغ شهريا مائة وعشرين قرشا وذلك تحت نظر الأوقاف»(١٧٠).

بينما ورد بعضه الآخر فى كتاب جامع الكتابات العربية الذى عثر فيه على نص بالغ الأهمية تقول كتاباته: «أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الاسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين، محيى العدل فى العالمين، أبو الفقراء والمساكين، ذخرا الأرامل والمحتاجين، صاحب الصدقات والمعروف، المغيث لكل ملهوف، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الإمام الأعظم، والملك الأكرم، مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى .. .. بمحمد وآله وأوقفه على مصالح المدرسة المباركة الجاولية على ما شهد به كتاب الوقف الذى أنشأه وكان ابتداء العمل المبارك السعيد فى شهر شوال سنة .. .. وثمانمائة وانتهاؤه فى شهر الله المحرم الحرام سنة تسعين وثمانمائة (Sic) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام»(١٧١).

ومنه يتضح أن المنشأة المشار إليها (وربما كانت وكالة أو ربعا أو قيسارية أو نحو ذلك) بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وأوقفها على مصالح الخانقاة الجاولية سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، ويغلب على الظن أن أوقاف هذه الخانقاة – كما هو واضح فيما لدينا من مادة تاريخية لم تكن كافية للقيام بما أنشئت من أجله رغم أن أحد صاحبيها – طبقا لما اتفقت عليه كافة المصادر والمراجع – كان واحدا من أغنى أغنياء عصره، وهو أمر كان على ما يبدو سببا لقيام الأشرف برسباى ببناء منشأته المشار إليها لتكون عونا لوقف هذه الخانقاة على الوفاء بالتزاماتها.

٢ – منشئ الخانقاة :

تنسب هذه الخانقاة إلى شخصين اثنين هما سلار التسترى الصالحى المنصورى وسنجر بن عبد الله الجاولى، وفيها لكل منهما ضريح مستقل، وقد تركت لنا المصادر والمراجع العربية كثيرا من المادة التاريخية المتعلقة بترجمتيهما نوجزها فيما يلى:

أ – ترجمة الأمير سيف الدين سلار :

أفاض علينا كل من ابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى وابن دقماق والجبرتى وعلى باشا مبارك وغيرهم من أصحاب المراجع العربية بكثير من المعلومات المتعلقة بسيرة الأمير سيف الدين سلار المنصورى نائب السلطنة المعظمة، فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أنه كان من مماليك الصالح على بن قلاوون، فلما مات صار من خواص أبيه وناب فى الملك عن الناصر محمد، واستمر فى ذلك فوق العشر سنين، وقصته من البداية أن أباه كان أمير شكار عند صاحب الروم، فلما حدثت المعارك بين الظاهر بيبرس وبين الروم كان سلار هذا من بين الأسرى فاشتراه قلاوون وأعطاه لابنه الصالح على وأمره عشرة، ثم انتقل بعد وفاة الصالح على إلى مماليك أبيه المنصور قلاوون وصار فى خدمته حتى انتقل بعده لخدمة ابنه الأشرف شعبان إلى أن صار نائبا للسلطنة بعد مقتل لاجين، فلما استولى المظفر بيبرس الجاشنكير على مقاليد الحكم استمر سلار فى النيابة، حتى عاد الناصر محمد من الكرك فولاه الشوبك فتوجه إليها ثم خاف على نفسه ففر فى الصحراء ثم ندم وطلب الأمان وحضر إلى القاهرة فاعتقله الناصر ومنع عنه الغذاء حتى مات جوعا فى ربيع الآخر سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م) وهو فى حدود الخمسين وقيل أن إقطاعاته بلغت نحو أربعين طلبخاناه واشتهر بين العوام أن دخله فى كل يوم مائة ألف درهم(١٧٢).

ويقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) فى معرض حديثه عن السنة التاسعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية وهى سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) أنه خلال هذه السنة وقعت الوحشة (أى خلاف) بين بيبرس الجاشنكير وسلار بسبب كاتب لبيبرس يسمى التاج بن سعيد الدولة أساء السيرة مع سنجر الجاولى، فقام بيبرس بنصرة كاتبه وقام سلار بنصرة صاحبه

الجاولى، وكان من عادة بيبرس أنه يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله، وأصبح بعدها لا يركب معه وكادت الفتنة تقع بينهما لولا أنهما استدركا أمرهما خوفا من الملك الناصر واصطلحا(١٧٣).

أما ابن دقماق الذى كان من معاصرى ابن تغرى بردى فيضيف لنا بعضا من مآثر سلار حين يقول أن عمد جامع مصر (يقصد جامع عمرو بن العاص) كانت قد انفصلت بعضها عن بعض بسبب الزلزال الذى حدث سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) فخصص له مالا وجعل كاتبه القاضى بدر الدين بن الحطاب شادا على هذه العمارة فأعاد بناء السور البحرى وعمل بابين جديدين للزيادة الغربية وأضاف عمودا إلى كل عمد الصف الأخير المقابل للجدار الذى هدمه(١٧٤).

ويوضح الجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ / ١٨ – ١٩م) سبب الوحشة التى كانت بين الناصر محمد وبين سلار فيقول أنه لما استدعى الناصر محمد من الكرك وأعيد إلى السلطنة للمرة الثانية ظل عشر سنين وخمسة أشهر محجورا عليه من الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة(١٧٥).

ويضيف على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) نقلا عن ابن الكتبى أن سلار هذا من التتار الأويراتية نال من سعادة الدنيا مالا يوصف وجمع من الذهب قناطير مقنطرة حتى اشتهر أن دخله فى اليوم مائة ألف درهم، واستمر فى دست النيابة إحدى عشرة سنة، ومات فى أوائل الكهولة سنة (٧١٠هـ) وأذن السلطان لصاحبه سنجر الجاولى أن يتولى خزانته وجنازته حتى دفن بتربته عند الكبش(١٧٦).

أما ما ورد عن سيرة سلار فى المراجع العربية فينحصر بعضه فى ترديد ما ورد فى المصادر العربية ولا سيما أصله ومراحل تطوره فى الخدمة المملوكية وغضب الناصر عليه وسجنه إلى أخر ما ذكر فى هذا الصدد، وينحصر بعضه الآخر فى بعض إضافات عليه ومنه ما ذكره صاحب دولة بنى قلاوون فى مصر الذى يقول أنه لما رحل بيبرس الجاشنكير إلى اطفيح قبض الأمير سلار على زمام الأمور فى مصر وعمل على إعادة الأمن إلى نصابه فأطلق سراح أتباع الناصر محمد وأمر بإقامة الخطبة له على المنابر ثم لم يلبث أن كتب إليه يخبره بنزول بيبرس عن العرش وكان ذلك من أهم

العوامل التى مكنت الناصر من العودة للسلطنة(١٧٧).

ثم تضيف بعض المراجع العربية الأخرى إلى صفات سلار أنه كان قليل الظلم كبير العقل شجاعا مهيبا تمكن من شؤون الدولة إحدى عشرة سنة، وكان ممن أثروا ثراء كبيرا بولغ فيه حتى أن ثراءه هذا كان وبالا عليه فمات جوعا بسجنه فى السنة المشار إليها، ونقل إلى تربته التى على الكبش فدفن فيها، وفى هذا يقول المرحوم حسن عبد الوهاب ولعل كلمة تربته هذه تلقى ضوءا على الغموض الذى يحيط بهذه الخانقاة ولمن تنسب إلى سلار قارون زمانه أم إلى سنجر الجاولى الذى كان حتى سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) أميرا فقيرا(١٧٨).

ومع أن النصوص التاريخية المنقوشة على جدران هذه الخانقاة لم تشير إلى شئ فيه فصل الخطاب فى هذا الصدد، فإن ثراء سلار الذى فاق الوصف مما أشير إليه فيه من ناحية، وفقر سنجر طبقا لما ورد عنه من ناحية ثانية، ووجود نص على مشكاة للأول يقول – وفقا لما أشار إليه حسن عبد الوهاب(١٧٩) «مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه» من ناحية ثالثة، كل هذا يجعل إمكانية القول بنسبتها إلى سيف الدين سلار أقرب الأقوال إلى المنطق والتصديق.

ب – ترجمة الأمير سَنْجَر الجاولى :

لقد ترك لنا كل من ابن حجر وابن تغرى بردى والقاضى مجير الدين الحنبلى وعلى باشا مبارك وغيرهم من الكتاب المحدثين كثيرا من المعلومات المتعلقة بترجمة الأمير علاء الدين سنجر بن عبد الله الجاولى.

فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أنه ولد بآمد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) ثم صار فى خدمة أمير يقال له جاول فى سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى فنسب إليه، ثم خدم المنصور قلاوون إلى ان أخرج إلى الكرك، وكان أول من ولى نيابة الشوبك، ثم عمل أستادار صحبة للناصر محمد بن قلاوون نيابة عن بيبرس الجاشنكير، فلما تسلطن بيبرس تغير عليه وصادره فخرج إلى الشام بطالا فى المحرم سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) فلم يزل بدمشق

حتى قدم مع الناصر إلى القاهرة عندما عاد من الكرك فولاه شد الدواوين ثم استنابه فى السلطنة سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) ويقال أنه بنى بالكرك قصرا للنيابة وجامعا وحماما ومدرسة للشافعية وخانا ومارستانا(١٨٠).

وفى سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) أرسله الناصر إلى دمشق لروك البلاد الشامية فوشى به بعض مماليكه بأنه يريد أن يهرب إلى بلاد اليمن فأرسل الناصر من قبض عليه وأحضره إلى القاهرة فسجنه بالاسكندرية بعد ما أحيط بماله ثم أفرج عنه سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) وأمر مائة وولى نيابة حماة فى أيام الصالح بن الناصر، ثم ولى نيابة غزة والخليل فبنى المدرسة الجاولية بالقدس طبقا لما أشير إليه فى تاريخ الخانقاة، كما بنى – كما يقول ابن حجر – المدرسة التى بالكبش والقناطر بأرسوف والخان بقرب السد والخان بحمرة شنان وهو آخر من بعثوه لحصار الناصر احمد بالكرك، وكان محبا للعلم وخصوصا علم الحديث وله فيه شروح، توفى فى تاسع رمضان سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) وقد قارب المائة(١٨١).

ويفسر ابن حجر فى موضع آخر من درره الكامنة سبب غضب الناصر عليه فيقول أن (سلار) لما راك البلاد الشامية اختار لمماليكه خيار الإقطاعات فيها فلم يعجب تنكز منه ذلك، ثم لما أمر الناصر أمراء البلاد كلها اختار أن يكون تنكز واسطة بينهم وبينه فغضب الجاولى من تلك التقدمة التى قدمها الناصر لتنكزبغا دونه لأنه كان يظن أنه يتقدم تنكز عند السلطان، ومن هنا غضب سلار واستأذن السلطان فى الحج وهو يريد – على ما يبدو – أن يهرب من الموقع الذى تقدمه فيه لاحقه فنم عليه بعض مماليكه فكان بذلك ما كان من أمر اعتقاله وسجنه(١٨٢).

ويقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) عند حديثه عن السنة الرابعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهى سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١) وتوفى فى هذه السنة «الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله المعروف بأرجواش المنصورى نائب قلعة دمشق فى ليلة السبت ثانى عشرين ذى الحجة وكان شجاعا، وهو الذى حفظ قلعة دمشق من نوبة غازان وأظهر من الشجاعة ما لا يوصف على تَغَفُّلٍ كان فيه»(١٨٣).

أما القاضى مجير الدين الحنبلى فقد ترجم هو الآخر فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) لشخصية هذا الأمير فكرر بعضا مما ذكره سابقوه عن مولده وموطنه ومراحل تطوره فى

الخدمة المملوكية التى ولى خلالها نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس والخليل ونيابة غزة مرتين ونيابة حماة، ثم يحصى لنا آثاره التى بناها وهى المدرسة المعروفة بالجاولية فى الخليل وجامع غزة وخانقاة القاهرة ومدرسة القدس الشريف، ووقف على هذه وتلك أوقافا كثيرة بغزة والخليل والقدس وغيرها، توفى فى شهر رمضان سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ودفن بالخانقاة التى أنشأها بالقاهرة عند الكبش بالقرب من جامع ابن طولون[١٨٤]، وفى ختام هذه المصادر التى تحدثت عن سيرة الأمير علم الدين سنجر الجاولى يأتى على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ويكرر ما ذكرته المصادر العربية فيما يتعلق بترجمة هذا الأمير من حيث النشأة والانتقال فى الخدمة المختلفة حتى وفاته فى السنة المشار إليها[١٨٥].

ولم يقتصر الحديث عن ترجمة الأمير علاء الدين سنجر على ما ورد فى المصادر العربية المشار إليها، وإنما كان هناك أكثر من حديث أورده غير واحد من الكتاب المحدثين، لا تخرج خلاصته عما أوردته المصادر العربية باستفاضة كاملة فيما سبقت الإشارة إليه[١٨٦].

٣ – موظفوا الخانقاة :

ينحصر موظفو هذه الخانقاة طبقا لما امكن الوقوف عليه من معلومات تاريخية فى أربع مجموعات هى:

١ – شيخ الخانقاة.

٢ – مدرسوا الخانقاة.

٣ – ناظر وقف الخانقاة.

٤ – دفناء الخانقاة.

أ – شيخ الخانقاة :

لم نعثر فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم من شيوخ هذه الخانقاة إلا على من ذكرهم كل من ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) والسخاوى فى

القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م).

وممن ذكرهم ابن حجر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المناوى شهاب الدين بن الضياء بن عم القاضى صدر الدين الذى قال عنه أنه كان شيخ الخانقاة الجاولية وناب فى الحكم عن ابن عمه ومات فى ربيع الآخر سنة (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)(١٨٧)، ومنهم جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف الخوارزمى الكاثى (وهى بلدة من قرى خوارزم) ثم المصرى افتخار الدين أبو عبد الله الحنفى، ولد فى شوال سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) وقرأ على خاله أبى المكارم محمد بن أبى المفاخر وعلى أبى عاصم الاسفندى واشتغل ببلاده وتمهر وقدم القاهرة فسمع من الدمياطى وولى مشيخة الجاولية التى بالكبش وباشر الإفتاء والتدريس بأماكن كثيرة حتى مات فى النصف الثانى من المحرم سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)(١٨٨).

أما السخاوى فلم يذكر من شيوخ هذه الخانقاة سوى أحمد بن محمد بن بركوت الصلاح بن الجمال بن الشهاب المكينى (نسبة لمكين الدين اليمنى) القاهرى الشافعى ربيب ابن البلقينى الذى عرف بأمير الحاج، ولد بالقاهرة سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ونشأ فى كفالة أمه وتحت نظر زوجها ابن البلقينى، وقرأ القرآن والمنهاجين وألفية ابن مالك، وأقام مدة بزى الجند، ثم لما كبر تزيا بزى الفقهاء وولى تدريس الفقه بالأشرفية القديمة بعد الشهاب بن صالح ثم ولى بعد وفاة عمه مشيخة الخانقاة الجاولية وتدريس الحديث بها والنظر عليها برغبة النور بن المناوى الأسمر، وظل على ذلك حتى مات فى خامس ربيع الأول سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) ودفن فى الفسقية التى فيها البلقينى الكبير وأولاده(١٨٩).

ب – مدرسوا الخانقاة:

أشار السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) إلى تراجم ثلاثة من مدرسى هذه الخانقاة، إثنان لفقه الشافعى وواحد للحديث.

وأول هذين الإثنين هو أحمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم البهاء أبو الفتوح بن الفخر أبى عمرو بن التاج أبى عبد الله بن البهاء ابى الفداء المناوى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى رجب سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) واستقر هو وأخوه بعد أبيهما فى وظائف الجاولية

والسعدية والسكرية والقطبية العتيقة والجدية والمشهد الحسينى وإفتاء دار العدل، مات فى رمضان سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) عن نحو الأربعين ودفن بالقرافة الصغرى(١٩٠).

أما الثانى فهو (ابن الأول) على بن أحمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق النور بن البهاء بن الفخر التاج المناوى الأصل القاهرى الشافعى الذى عرف بابن المناوى، ولد بالقاهرة فى ربيع الأول سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م) واستقر هو وأخوه فى وظائف والدهما بعد موته سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) وهى التدريس بالجاولية والسعدية والسكرية والقطبية وغيرها، مات فى ربيع الأول سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) ودفن بحوش سعيد السعداء(١٩١).

أما مدرس الحديث فقد سبقت الإشارة إليه وهو أحمد بن محمد بن بركوت بن الشهاب المكينى الأصل القاهرى الشافعى ربيب ابن البلقينى الذى عرف بأمير حاج، ولد بالقاهرة فى سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ثم ولى – كما يقول السخاوى – بعد وفاة عمه تدريس الحديث بالجاولية حتى مات فى ربيع الأول سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) ودفن فى الفسقية التى فيها البلقينى الكبير وأولاده(١٩٢).

جـ – نظار وقف الخانقاة :

ضنت علينا المصادر العربية التى أمكن الاطلاع عليها بذكر بعض تراجم من تولوا نظارة وقف هذه الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى نفس ترجمة مدرس الحديث المشار إليه حين قال أنه ولى بعد وفاة عمه نظر الجاولية برغبة النور بن المناوى الأسمر إلى أن مات فى الخامس من ربيع الأول سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)(١٩٣).

د – دفناء الخانقاة :

كان موقف المصادر العربية فيما يتعلق بدفناء هذه الخانقاة هو نفس موقفها فيما يتعلق بنظار وقفها، فلم نعثر من تراجم هؤلاء الدفناء فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم إلا على ترجمة واحد ذكره السخاوى هو عبد الله الذاكر الذى قال عنه أنه قدم من الروم فقطن دمشق واعتقده الناس وتسلك به المريدون كأبى بكر بن عبد الله العداس، مات سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) ودفن بحوش الجاولية(١٩٤).

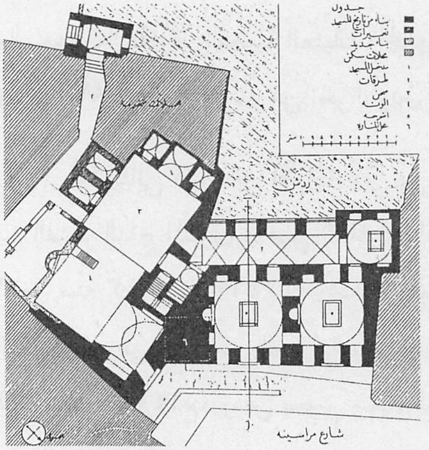

مسجد سنجر الجاولى بقلعة الكبش بالقاهرة رسم أفقى
لوحة ٣ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) أثر رقم ٢٢١
(٧٠٣هـ/ ١٣٠٢م)– مسقط أفقى
(عن لجنة حفظ الاثار العربية)

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٣)

لا شك أن هذه الخانقاة بما تتمتع به من مميزات معمارية وزخرفية تعد واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة بناء وزخرفا، ويختلف تصميمها عن تصميم المساجد والمدارس فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة وإنما هو تصميم خانقاة تشتمل على كثير من التفاصيل المعمارية للأضرحة والخلوات ونحوها، ومسقطها الأفقى غير منتظم ويبلغ مسطحها (٧٨٠) متر مربعا(١٩٥) . وفيما يلى وصف كامل لمكوناتها المعمارية:

أ – الواجهة الرئيسية والمدخل :

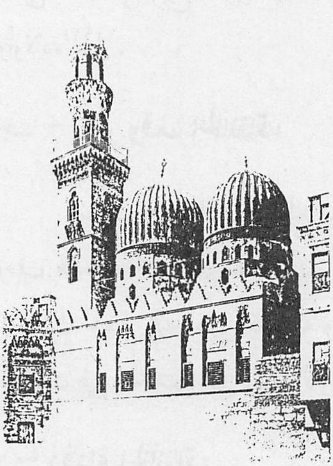

لوحة ٤ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) واجهة (عن لجنة حفظ الاثار العربية) .

تقع هذه الخانقاة فى شارع مراسينا بحى السيدة زينب وتطل واجهتها الرئيسية على الجهة البحرية وهى عبارة عن جدار حجرى ذو اتجاهين طول الأول (٢٢,٢٥) متر وطول الثانى (٥,٢٠) متر وارتفاعه الكلى (١٣,٥٠) متر ويمكن تقسيم هذه الواجهة إلى قسمين أولهما سفلى مصمت ليس به فتحات، وثانيهما علوى يتألف من ست دخلات تنقسم إلى قسمين يتكون كل منهما من ثلاث دخلات رأسية متجاورة بكل منها شباك مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية متقاطعة يعلوها عتب من أحجار مزررة تزينه فى بعض الأعتاب زخارف نباتية على شكل ورقة ثلاثية الفصوص وفى بعضها الآخر خطوط متماوجة متوازية وفى بعضها الثالث زخارف هندسية مختلفة(١٩٦) (أنظر لوحة ٤ ، شكل ٨) .

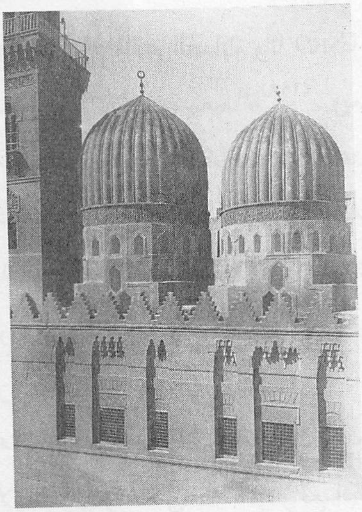

شكل ٨ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
اثر رقم ٢٢١ (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) – واجهة بحرية

وفوق العتب المشار إليه عقد عاتق تزينه وحدات زخرفية نباتية من أوراق وأنصاف مراوح نخيلية، فوقه عتب ثان عبارة عن صنجات مزررة، وتنتهى كل دخلة من هذه الدخلات قرب الحافة العليا للواجهة بزخارف من أربعة صفوف من المقرنصات المقعرة ذات الدلايات، وتذكرنا هذه الواجهة بواجهة المنصور قلاوون بالنحاسين إذا ما استثنينا الخلاف الوحيد بينهما ممثلا فى أن دخلات واجهة الجاولية متوجة بمقرنصات، بينما هى متوجة فى واجهة قلاوون بعقود مدببة (أنظر لوحة: ٥).

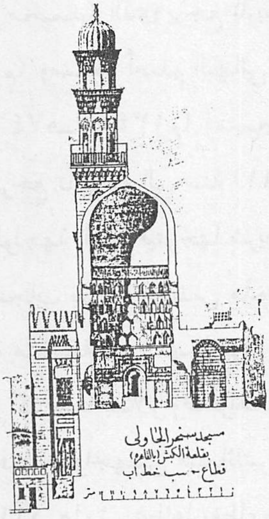

لوحة ٥ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) – قطاع رأسى للواجهة (عن لجنة حفظ الاثار العربية)

أما المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة فيقع فى نهاية الواجهة التى بين أيدينا من الناحية الشرقية، وهو مرتفع عن مستوى أرضية الشارع بثلاثة أمتار ونصف تقريبا، حيث يصعد إليه بسلم حجرى يتكون من ستة عشرة درجة تؤدى إلى بسطة خارجية أمام الباب، وهذا المدخل عبارة عن دخلة عمقها (٥٠ر) متر تكتنفه مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٦٥ر) متر وعرضها (٥٠ر) متر وارتفاعها (١) متر خاليتان من أية عناصر زخرفية، أما فتحة الباب فعرضها (٦٠ر١) متر بها مصراعين خشبيين مجددين، ويعلو هذا المدخل عتب من صنجات حجرية مزررة، يحيط به ويحدده جفت لاعب ذو ميمات دائرية فوقه إفريز حجرى نقشت فيه كتابة نسخية من سطرين نصهما:

١ – بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر.

٢ – واقام الصلاة وأتا (Sic) الزكاة ولم يخش إلا الله(١٩٧). عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة(١٩٨). ويعلو هذا المدخل شباك مربع الشكل ذو إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة فوقه عتب حجرى تزينه زخارف هندسية لأشكال مثلثات وخطوط متكسرة، ويحدد هذا العتب أيضا جفت لاعب ذو ميمات دائرية تشبه الجفت الذى يحدد عتب المدخل، وفوق هذا العتب عقد عاتق تزينه زخارف حجرية بارزة لأوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية يليه عتب ثالث من صنجات حجرية مزررة، وتنتهى دخلة هذا المدخل من أعلا بزخارف من مقرنصات حجرية مقعرة ذات دلايات(أنظر شكل: ٩)، والواقع أن هذا المدخل وما يشتمل عليه من أعتاب وزخارف يشبه إلى حد كبير مداخل مسجد الست مسكة (الست حدق دادة السلطان الناصر محمد) الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) ومسجد أصلم البهائى الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) ومسجد بشير أغا الجمدار الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، أما حافة الواجهة العليا فيتوجها شريط من شرافات حجرية مسننة، ولا يسع الواقف أمام هذه الواجهة إلا الإعجاب ببراعة مهندس هذه الخانقاة الذى استطاع أن ينفذ هدف المنشئين بطريقة معمارية جميلة متناسقة فبنى لهما فوق تربتيهما قبتين متماثلتين شكلا وزخرفا متفاوتتين قدرا وعلوا، اختص كبراهما بسلار وصغراهما بسنجر وقسم جزء الواجهة الذى على يمين المئذنة إلى قسمين عمل فيهما واجهتين متماثلتين وضعا ونظاما وكون فى كلتيهما مجموعة من ثلاثة شبابيك أوسطها أكبرها، ثم غطاها بغطاء مقرنص وتوج الواجهة بأكملها بشرافات مسننة(١٩٩).

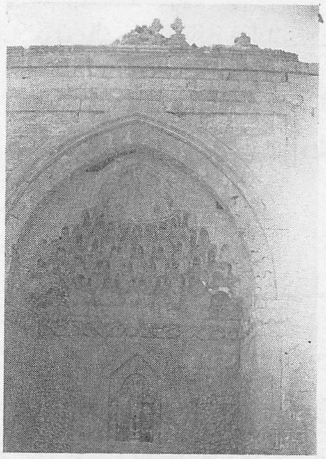
شكل ٩ الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
طاقية المدخل الرئيسى

(أنظر لوحة: ٦).

دركاة المدخل وممره:

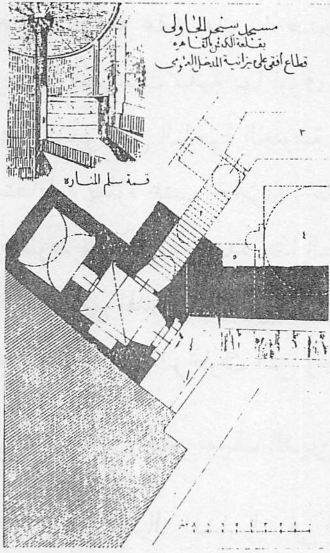

لوحة ٦ : الخانقاة الجاولية (سلار وسنجر) قطاع أفقى للمدخل عن (لجنة حفظ الآثار العربية)

يؤدى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طولها (٤) متر وعرضها (٣٫٩٠) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى، فى جدارها الشرقى دخلة عمقها (٧٠ر) وعرضاها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائرى بداخلها شباك عرضه (١ر٦٠) متر وعمقه (١) متر يعلوه عقد نصف دائرى مسدود بسدة حديثة.

وفى صدر هذه الدركاة باب يرتفع عن أرضيتها بمقدار (٧٠ر) متر عرضه (٩٥ر) متر، يعلوه عتب مستو فوقه نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية، ويؤدى هذا الباب إلى خلوة صغيرة عبارة عن قاعة مربعة طول ضلعها (٣ر٧٠) متر يغطيها قبو حجرى نصف دائرى، ويغطى هذه الدركاة سقف حجرى به بعض قوالب الطوب الأحمر عبارة عن قبو مروحى، أما جدارها الغربى فبه مدخل عرضه (١ر٤٠) متر ذو عقد مدبب يحدده جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويؤدى هذا المدخل إلى ممر مغطى بقبو حجرى نصف اسطوانى، ونظرا إلى أن بهذا الممر السلم الصاعد الذى يؤدى إلى داخل الخانقاة بعد أربع وعشرين درجة فقد قسم المعمار سقفه إلى قسمين يمتد كل منهما بطول اثنتى عشرة درجة وجعل سقف القسم الغربى أعلى مستوى من سقف القسم الشرقى، وينتهى هذا السلم ببسطة مربعة طول ضلعها (٢) متر تتقدم المدخل الذى يفضى إلى داخل الخانقاة ورغم ان هذه البسطة سماوية إلا أنها تنتهى بأربع مناطق انتقال تتكون كل منطقة منها من أربعة مثلثات كروية كانت تحول مربعها إلى مثمن يتحول إلى دائرة لتقوم فوقها رقبة اسطوانية اشبه برقبة القباب مما يدل على أنها كانت مغطاة بقبة، وبصدر الرحبة المشار إليها فى مواجهة السلم باب ذو عقد نصف دائرى عرضه (١ر٤٠) متر يؤدى إلى ممر منكسر ذو انكسارين يتجه أولهما ناحية الغرب بطول (١ر٢٠) متر ويتجه الثانى ناحية الشمال بطول (٤١ر١٠) متر ويغطيه فى الانكسارين أربعة أقبية مروحية، وفى الجدار الجنوبى من اتجاهه الأول شباك مستطيل الشكل به قوائم وعوارض خشبية يعلوه عتب

حجرى فوقه عقد عاتق به صنجات مزررة، وبين العتب والعقد توجد طبلة عقد تزينها عناصر زخرفية لتفريعات نباتية بها أوراق ثلاثية وثنائية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، أما الاتجاه الثانى لهذا الممر ففى الناحية الجنوبية من جداره الشرقى شباك مستطيل به أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة يعلوه عتب حجرى زخارفه عبارة عن عناصر هندسية بسيطة لأشكال مثلثات ومعينات وخطوط متكسرة، ويحدد هذا العتب جفت لاعب ذو ميمات دائرية يشبه الجفت الذى يحدد الأعتاب فى المدخل الرئيسى، ويعلو هذا العتب عقد عاتق من صنجات حجرية مزررة بينهما طبلة عقد تزينها نفس الزخارف التى وجدت فى الشباك السابق وصفه.

د – ضريح الأمير سيف الدين سلار:

يلى الشباك المشار إليه فى الناحية الجنوبية من الجدار الشرقى للممر باب يرتفع عن أرضية هذا الممر بمقدار (٣٠ر)متر، عرضه (١٥ر١) متر تشتمل على مصراعين خشبيين خاليين من الزخارف يعلوهما عتب حجرى نقشت فيه كتابة نسخية من ثلاثة أسطر نصها :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[٢٠٠] هذه تربة

٢ – العبد الفقير إلى الله سيف الدين[٢٠١] سلار نائب السلطنة المعظمة[٢٠٢] الملكى الناصرى المنصورى[٢٠٣] المستغفر من ذنبه.

٣ – الراجى عفو ربه رحمه الله ومن دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة[٢٠٤].

وفوق هذا العتب يوجد عقد أسفله طبلة عقد تزينها زخارف نباتية.

ويؤدى هذا المدخل إلى قبة ضريح الأمير سلار وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١٠ر٧) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال كل منها عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا حولت المربع إلى مثمن تحول إلى دائرة كبيرة نقش إطارها بكتابات نسخية نصها :

«الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر صدق الله العظيم»^(٢٠٥) ونقش داخلها بعناصر زخرفية نباتية وهندسية.

أما رقبة القبة فتنقسم إلى قسمين العلوى منهما يشتمل على كتابات نسخية نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعو ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين صدق الله العظيم ورسوله»(٢٠٦).

أما القسم السفلى من رقبة هذه القبة فهو يشتمل على عشرين نافذة متشابهة كل منها مربعة الشكل يعلوها عقد مدبب وبداخلها ثلاثة صفوف رأسية من الدوائر، بكل واحدة خارجية منها أربعة دوائر داخلية من الجص، وخلف كل نافذة من هذه النوافذ نجد زخارف زجاجية ملونة، أما المناطق الأربعة فى أركان القبة فهى متشابهة وبكل منها ثلاثة صفوف أفقية من النوافذ، فى الصف السفلى منها ثلاثة نوافذ ذات زخارف من جص مخرم فى أشكال نباتية وهندسية خلفه زجاج ملون، وفى الصف الأوسط نافذتان يتوسط كل منهما شكل مشكاة، أما العلوى ففيه نافذة واحدة ذات زخارف جصية فى أشكال هندية خلفها زجاج ملون أيضا، هذا وكان فى أعلى جدران الضريح مثمن من الخشب يغلب على الظن أنه كان معدا لتعلق فيه المشكاة التى كانت تضئ القبة.

أما جدران هذا الضريح فالشرقى منها يتوسطه محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٥ر١) متر وعمقها (٩٠ر) متر لا تكتنفها أعمدة يعلوها عقد نصف دائرى متراجع، ويمكن تقسيم زخارف هذا المحراب من أسفل إلى ثلاث مناطق: السفلية عبارة عن وزرة رخامية ارتفاعها (٩٥ر) متر وزخارفها أشرطة رأسية تتبادل اللونين الأبيض والأسود (أبلق) ويقوم فوق هذه الوزرة خمسة أشكال لخمسة محاريب زخرفية متشابهة يقوم كل منها على عمودين رخاميين دائرين، قاعدة وتاج كل منهما ذات شكل كمثرى، ويحمل هذان العمودان طاقية المحراب وهى عبارة عن عقد نصف دائرى تزينه زخارف مشعة.

أما المنطقة الثانية من هذا المحراب فارتفاعها (١٠ر١) متر وزخارفها عبارة عن فصوص رخامية ملونة بالأسود والأحمر والأبيض تشكل عناصر هندسية مختلفة ويحدد هذه المنطقة من الجوانب الأربع شريط زخرفى قوام عناصره ورقة نباتية ثلاثية الفصوص ذات شكل مكرر من رخام أسود.

أما المنطقة الثالثة فهى عبارة عن طاقية المحراب وتزينها من الداخل فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية لأطاق نجمية، ومن الخارج زخارف حجرية مزررة باللونين الأبيض والأسود بالإضافة إلى أطباق نجمية وأجزاء من أطباق بالرخام الملون أيضا على جانبى العقد، والواقع أن زخرفة طاقية هذا المحراب بالرخام الدقيق يعد واحدة من أهم مزاياه التى لم تتوفر لغيره من المحاريب إلا القليل وقد رأيناها فى محراب قبة المنصور قلاوون، ثم فى محاريب مساجد الماردانى وقطلوبغا الذهبى وقجماس الإسحاقى والأشرف برسباى بالخانكة، ثم فى محراب زاوية الناصر فرج بن برقوق المعروف بالديشة، وما عدا ذلك كانت هذه الزخرفة تعمل على هيئة أشرطة رخامية ملونة(٢٠٧)، كذلك يحيط بهذا العقد شريط خشبى ينقسم إلى قسمين الأول منهما ذو زخارف نباتية عناصرها أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات، والثانى زخارفه عبارة عن كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمنت الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمهإلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض»(٢٠٨).

ويلاحظ هنا أن الآيات القرآنية الكريمة التى يشتمل عليها الشريط الخشبى بجدار القبلة فى هذا الضريح لم تكتمل فيها آية الكرسى، ووقف النص عند قوله تعالى «وسع كرسيه السموات والأرض» وهذا يدل على أن هذا الشريط الكتابى الخشبى كان يمتد على باقى جدران الضريح إلا أنه لم يبق منه إلا الجزء الموجود على جدار القبلة فقط، وجدير بالذكر أن هذين الشريطين الخشبيين لا يحيطان بعقد المحراب فقط وإنما يمتدان على الجانبين بامتداد هذا

الجدار حيث نجد أسفلهما شريط ثالث زخارفه عبارة عن فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية مختلفة.

ويحيط بالمحراب من الجانبين كتيبتان متشابهتان كل منهما ذات شكل مستطيل يحيط ببابه إفريز زخرفى قوام عناصره ورقة نباتية ثلاثية مكررة، وينقسم هذا الباب إلى قسمين العلوى مربع وغير موجود والسفلى مستطيل وبه درفتان زخارفهما خطوط بارزة متداخلة.

ويتوسط الجدار الشمالى لهذا الضريح شباك عرضه (١٫٧٠) متر وعمقه (١٫٣٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى يتكون من صنجات حجرية مزررة على جانبيه شباكان آخران متشابهان عرض كل منهما (١٫١٥) متر وعمقه (١٫٣٠) متر أيضا يعلوه عتب حجرى فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد تزينها زخارف نباتية. أما جداره الجنوبى فبه على نفس محور الشباك الأوسط بالجدار الشمالى شباك آخر مشابه له تماما يفتح على الممر الخارجى على يساره كتبية تشبه الكتبيتين اللتين على جانبى المحراب، وعلى يمينه مدخل القبة السابق ذكره، كذلك ففى جداره الغربى مدخلان متشابهان عرض كل منهما (١٫٢٠) متر ويعلو كلا منهما نفس الأعتاب التى تعلو الفتحات السابقة، وفيما بين هذين البابين توجد بقايا شريط خشبى زخارفه عبارة عن أجزاء من أطباق نجمية، ويؤدى هذان البابان إلى القبة الثانية وبها ضريح الأمير سنجر.

أما الجزء العلوى من جداران هذا الضريح (ضريح سلار) فعليه شريط من كتابات نسخية نصها (بترتيب الجدران الشرقى والشمالى والغربى والجنوبى) :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشرقى لتبدأ كتابة الجدار الشمالى) بقوله تعالى «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشمالى لتبدأ كتابة الجدار الغربى) بقوله تعالى: «سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فاستجاب لهم

ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الغربى لتبدأ كتابة الجدار الجنوبى) بقوله تعالى «فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وآوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم»(٢٠٩).

أما الضريح نفسه فهو يتوسط أرضية هذه الحجرة وتقوم فوقه تركيبة خشبية تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٢٫٦٥) متر وعرضها (١٫٩٠) متر جوانبها عبارة عن صنجات رخامية مزورة ذات لونين أبيض وأسود، أما التركيبة فهى من الخشب وذات جوانب أربعة تزينها زخارف من حشوات رئيسية عرضية بها أجزاء من أطباق نجمية يزين وحداتها من الداخل عناصر زخرفية نباتية لأوراق ثلاثية وثنائية وأنصاف مراوح نخيلية تنبثق من تفريعات وجامات، ويحيط بهذه الحشوات الرئيسية العرضية حشوات صغيرة من أسفل كلها عبارة عن حشوات مستطيلة ومربعة تزينها نفس العناصر النباتية، ومن أعلى حشوات من الخرط الدقيق تتخللها أربع حشوات مربعة بكل منها شكل معين بها نفس عناصر الزخرفة النباتية المشار إليها.

هـ – ضريح الأمير علم الدين سنجر الجاولى :

يلى مدخل قبة الأمير سلار من الشمال شباك مستطيل يشبه ما فيه من أرماح ومخرزات حديدية، وبما يعلوه من أعتاب الشباك الأول الذى يقع بالجدار الجنوبى لقبة الأمير سلار، وينتهى هذا الممر من ناحيته الشمالية بفتحة ذات عقد نصف دائرى يحمله كابولى حجرى من الشرق ودعامة حجرية من الغرب، ويدخل من هذه الفتحة إلى حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٤٫٦٥) متر تعلوها قبة تقوم على مناطق انتقال فى أركان الحجرة العليا كل منها عبارة عن حطتين من المقرنصات ذات الزوايا عملت على شكل عقود مدببة أقيمت فوقها رقبة القبة، وبها ستة عشر نافذة متشابهة كل منها عبارة عن فتحة ذات عقد مدبب لا تزينها زخارف، وتتبادل هذه النوافذ الوضعين النافذ والمسدود الذى عرف بالمضاهيات.

أما القبة فتزينها من أعلى صرة على شكل وردة متعددة الفصوص إطارها عبارة عن كتابات نسخية نصها :

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك صدق الله العظيم﴾(٢١٠).

وكان يحيط بأعلى جدران هذا الضريح مثمن خشبى يشبه ذلك الذى أشرنا إليه فى قبة الأمير سلار وقلنا إنه كان على ما يبدو معدا لتعليق المشكاة لإضاءة الضريح، أما الجدار الغربى لهذه القبة فبه شباكان متشابهن كل منهما مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية، ويطل هذان الشباكان على منطقة خربة كانت عبارة عن حوش به مدافن للصوفية، أما الجدار الشرقى ففيه دخلة صماء عمقها (٢٥ر) متر تعلوها نفس الزخارف الموجودة فوق الفتحات إلا أنها هنا غير مزخرفة، وعلى يمين تلك الدخلة يوجد مدخل عرضه (٢٠ر١) متر يشبه تماما مدخل قبة الأمير سلار إلا أن عتبة الحجرى نقشت فيه كتابة نسخية من ثلاثة أسطر نصها :

سطر ١ – بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام(٢١١).

« ٢ – هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه (سنجر الجاولى استاذ).

« ٣ – الدار العالية(٢١٢) الملكى الناصرى المنصورى رحم الله من دعا له بالرحمة (فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة)(٢١٣).

ويفضى هذا المدخل إلى القبة الثانية – وهى كما قلنا – قبة الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وتشبه هذه القبة بكل تفاصيلها المعمارية قبة الأمير سلار فيما عدا جدارها الجنوبى حيث المحراب ذو العقد نصف الدائرى إلا أنه خال من الزخارف تماما اللهم إلا طاقيته المخوصة ذات الزخارف المشعة التى يوجد أسفلها حطة من مقرنصات على شكل حنايا ذات عقود مدببة نجد شبيها له فى قبة الصوابى التى ترجع إلى سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وقبة بدر الدين القرافى التى ترجع إلى سنة (٧٠٠ – ٧١٠هـ/ ١٣٠٠ – ١٣١٠م) وقبة تنكزبغا التى ترجع إلى سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م).

هذا وبدلا من الكتبيتين على يمين ويسار المحراب فى القبة السابقة فقد استبدلا هنا ببابين يربطان بين القبتين وقد سبقت الإشارة إليهما عند الحديث عن الجدار الشمالى للقبة السابقة، وبالإضافة إلى شريط الكتابة المشار إليه فى صرة هذه القبة فإنها تشتمل على شريطين كتابيين آخرين أحدهما أعلا رقبة القبة ونصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم»(٢١٤) والآخر فى أعلى جدرانها ونصه بترتيب الجدران (الشرقى والشمالى والغربى والجنوبى) :

«بسم الله الرحمن الرحيم. لله ما فى السموات وما فى الأرض، وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، والله على كل شئ قدير، آمن الرسول (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشرقى لتبدأ كتابة الجدار الشمالى) بقوله تعالى بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشمالى لتبدأ كتابة الجدار الغربى بقوله تعالى ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فا (وهنا تنتهى كتابة الجدار الغربى لتبدأ كتابة الجدار الجنوبى) بقوله تعالى : نصرنا على القوم الكافرين»(٢١٥) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين صدق الله العظيم ورسوله الكريم.

ويتوسط هذه الحجرة قاعدة رخامية مستطيلة الشكل طولها (٢ر٧٠) متر وعرضها (١ر٩٠) متر جانبيها الشرقى والغربى من ألواح رخامية مزررة، وتقوم فوقها تركيبة الضريح الرخامية وهى مستطيلة أيضا تقوم فى أركانها الأربعة أربع بابات ويغطيها سقف من ألواح رخامية ملونة.

ومما تجب الإشارة إلية أن القبتين مبنيتان بالطوب وقد حول المربع فى كل منهما إلى دائرة بواسطة أربعة صفوف من مقرنصات يعلوها إفريز به كتابات كوفية، وهذه ميزة من مميزات قباب نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجرى، ونجد مثلا لها فى قبة زين الدين يوسف التى يرجع تاريخها إلى سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، كذلك فقد امتازت القبتان بشكلهما المضلع من الخارج وقطاع كل منهما على شكل عقد مدبب ينزل رأسيا بعد بدء العقد[٢١٦] (أنظر شكل: ١٠).

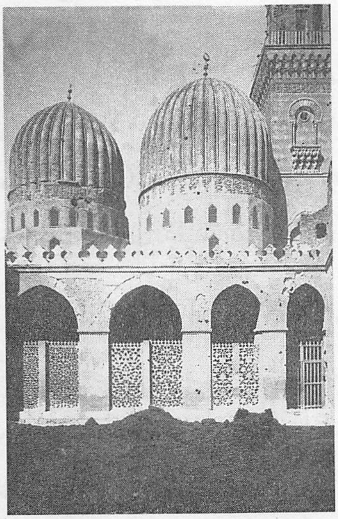

شكل ١٠ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
القبتان من الخارج

أما الجدار الغربى من الممر المقبى أمام الضريحين ففيه ثلاث فتحات عرض الوسطى (٣) متر وعمقها (١,٥٠)متر، واجهتها المطة على منطقة المقابر عبارة عن مستطيلين حجريين متشابهين زخارف كل منهما الجميلة المفرغة عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات دائرية، ويعو كل مستطيل منهما شريط من شرافات على شكل ورقة ثلاثية، ويفصل بين هذين المستطيلين شريط رأسى زخارفه بالحفر البارز عبارة عن أوراق ثنائية وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات أيضا، وجدير بالذكر أن هذا النوع من الزخرفة الحجرية المفرغة لم يكن يوجد قبل ذلك إلا فى الدروات الحجرية لبعض المآذن[٢١٧] (راجع : شكل: ١٠).

وإلى الشمال من هذه الفتحة توجد فتحة ثانية تشبهها تماما بكل ما فيها زخارف، وإلى الجنوب منها توجد فتحة ثالثة عرضها (٢,١٠) متر وعمقها (١,٥٠) متر إلا أن زخارفها المطلة على المقابر عبارة عن مستطيلين رأسيين أيضا تختلف زخارفهما عن زخارف الدخلتين السابقتين فى أنها عبارة عن أوراق وعناقيد عنب، أما الشريط الرأسى الذى يفصل بين المستطيلين فزخارفه مكررة من ورقة ثلاثية الفصص فقط، هذا وتوجد على واجهات دعائم هذه الدخلات أربع مستطيلات حجرية يزين الثلاثة الشمالية منها عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، أما المستطيل الرابع فتزينه زخارف لكتابات كوفية مربعة، وفى نهاية هذا الممر من الناحية الشمالية

يوجد عقد كبير اتساعه (٢٫٦٥) متر يرتكز فى أحد جانبيه على كابولى جميل نجد مثالا له فى مدرسة الأمير سيف الدين مثقال التى ترجع إلى سنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦٠م).

و- خلوات الصوفية:

يتوصل إلى هذه الخلوات عن طريق المدخل الجنوبى بالممر المقبى فيجتاز المرء ساحة خربة غير منتظمة الأضلاع، بالجهة الجنوبية الشرقية منها محراب متهدم سعة حنيته (١٫٢٠) متر وعمقها (٠٫٦٠) متر تغطيه طاقية على هيئة عقد نصف دائرى تعلوه زخارف هندسية وكتابات نسخية ذات أحرف غليظة تقرأ منها :

«يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»(٢١٨) ثم يتوج هذا المحراب رفرف خشبى ينتهى بشرافات مزخرفة تحته إزار به كتابات نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية بينها جامات بداخلها زخارف من عناصر هندسية جصية تقول كتاباته: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»(٢١٩).

وخلف هذا المحراب توجد بقايا خلوات الصوفية وكانت تتألف من طابقين يشتملان على خلوات من نوع الحبيس المبنية فى الجدران بالطوب وفى السقوف بالأقبية الحجرية، وكان للشيخ منها مسكن علوى بمرقى سلم المئذنة يتكون من ثلاث حجرات ببعضها فتحات دقيقة (تطل على الخانقاة)(٢٢٠) مستطيلة يغطيها قبو مروحى فى جدارها الشرقى فتحة باب عرضها (١) متر ذات عقد نصف دائرى تؤدى إلى سلم حجرى يتكون من أربع انكاسارات يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى استخدمت فيه نفس طريقة التنفيذ فى قبو السلم الأول، ويؤدى الانكسار الرابع فى نهاية جداره الغربى إلى مدخل ذو عقد نصف دائرى عرضه (٠٫٨٠)متر يؤدى إلى خلوة مستطيلة يغطيها قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشمالى نافذة مربعة تطل على الرحبة السماوية لسلم المدخل، وفى جدارها الجنوبى نافذة مستطيلة تطل على صحن المدرسة.

ويدخل من هذه الحجرة بواسطة فتحة عرضها (٠٫٨٠) متر تتوسط جدارها الغربى إلى حجرة ثانية مستطيلة الشكل يغطيها قبو نصف اسطوانى بها فى الجدار الشمالى دخلة عمقها

(ر٢٠) متر وعرضها (١) متر، وفى الجدار الجنوبى أربع نوافذ صغيرة مستطيلة تفتح على صحن المدرسة، أما جدارها الغربى فبه دخلة عمقها (١ر٢٥) متر وعرضها (ر٩٥) متر ذات سقف نصف اسطوانى فى جدارها الجنوبى نافذتان تعلو إحداهما الأخرى كل منهما مستطيلة الشكل بها مصاريع خشبية تزينها عناصر زخرفية نباتية وهندسية وترتفع هذه الدخلة عن أرضية الحجرة بمسافة (ر٧٥) متر.

وفى نهاية الانكسار الخامس لهذا السلم توجد فتحة باب عرضها (ر٧٥) متر كانت تؤدى إلى خلوة صغيرة مستطيلة متهدمة(٢٢١).

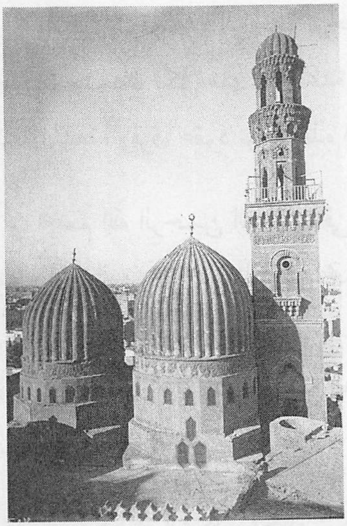

شكل ١١ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) المئذنة

و- المئذنة : (أنظر شكل: ١١)

يؤدى الانكسار الخامس للسلم المشار إليه إلى السطح حيث المئذنة وتقع فى الركن الشمالى الشرقى، ارتفاعها حوالى (٢٦ر٥٠)متر وتقوم على قاعدة حجرية مربعة طول ضلعها (٤ر٥٠) متر، أما بدنها فيتكون من ثلاث دورات تقوم فوق تلك القاعدة المربعة لتشمل بدن الدورة الأولى وتزينة فى الجانب الشرقى نافذة مستطيلة الشكل عملت على شكل محراب يقوم على عمودين رخاميين مثمنين لكل منهما قاعدة وتاج رخاميين يحملان طاقية المحراب وهى عبارة عن عقد نصف دائرى ذو زخارف مشعة تذكرنا بالنوافذ الفاطمية.

وأسفل هذه النافذة توجد شرفة بارزة واجهتها عبارة عن حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا على شكل حنايا ذات عقود نصف دائرية ممتدة (Stilted arches) وفى الجانب الغربى زخرفة مشابهة، إلا أنها هنا تشمل على حطتين من المقرنصات ذات الدلايات أسفل الشرفة، أما الحنية فبها كوة دائرية، وزخارف العقد عبارة عن خطوط متكسرة.

أما الجانب الجنوبى فبه شرفة ثالثة تتكون زخارف المقرنصات فيها من أربع حطات مضلعة

ذات زوايا، فوقها دخلة تشبه دخلة الجانب الغربى إلا أن عقدها تزينة زخارف عبارة عن مخدات متلاصقة، أما الجانب الشمالى فتشبه شرفته البارزة شرفة الجانب الجنوبى إلا أنه يوجد فوقها بدلا من الدخلة الغير نافذة فى الجدارين الغربى والجنوبى، نافذة ذات عقد ثلاثى الفصوص تقوم على ثلاثة أعمدة رخامية دائرية، يوجد فوقها بدلا من الدخلة الغير نافذة فى الجدارين الغربيى والجنوبى، نافذة ذات عقد ثلاثى الفصوص تقوم على ثلاثة أعمدة رخامية دائرية، يوجد بالعمود الأوسط منها كوة دائرية نافذة.

وأسفل شرفة هذه الواجهة توجد نافذة أخرى مستطيلة الشكل يقوم على جانبيها عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة وتاج متشابهين يحملان عقدا فارسيا مدببا زين بطريقة الزخرفة المشعة، وفوق عقود نوافذ هذه الدورة يوجد شريط من الكتابة النسخية نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب»(٢٢٢) وتنتهى هذه الدورة بمقرنصات مقعرة ذات دلايات.

أما الدورة الثانية فهى ذات بدن مثمن زينت أضلاعه الثمانية بزخرفة مكروه كل منها عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل تكون شكل محراب طاقيته ذات زخارف مشعة إلا أنه لا يكتنف أى محراب فيها أعمدة، ويعلو طواقى هذه المحاريب فى نهاية هذه الدورة زخارف لمقرنصات مضلعة ذات زوايا تتكون من أربع حطات، وجدير بالذكر أن هناك فوق كل ضلع من الأضلاع الثمانية أسفل حطة المقرنصات الأولى فتحة نافذة.

وفوق الدورة الثانية ترتفع الدورة الثالثة وهى عبارة عن جوسق يقوم على ثمانية أكتاف خالية من الزخارف تحمل أربع حطات لمقرنصات مضلعة ذات زوايا، وينتهى هذا الجوسق بقبة صغيرة (خوذة) ذات بدن عبارة عن مخدات متجاورة، يذكر قطاع عقود كرنيشها بالعقود الموجودة فى مئذنتى جامع الحاكم(٢٢٣).

ويقع مدخل هذه المنارة فى الناحية الجنوبية الغربية وهو عبارة عن فتحة عرضها (٩٠ر) متر

يعلوها عتب مستو وتكتنفها مكسلتان حجريتان مربعتان طول ضلع كل منهما (٤٠ر) متر وارتفاعها (٥٥ر) متر، ويقع هذا المدخل داخل دخلة عمقها (٣٥ر) متر يعلوها عقد ثلاثى الفصوص يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية يتوسطه من أعلا كوة دائرية، ويصعد إلى هذا المدخل بدرجتين حيث يوجد سلم المنارة وهو عبارة عن سلم حلزونى من الحجر.

والخلاصة أن هذه المئذنة كانت بداية مرحلة جديدة فى تطور عمارة المآذن المصرية، وهى المرحلة التى نالت المئذنة خلالها تنوعا فى التصميم وتعددا فى الطوابق وتباينا فى المقرنصات، بالإضافة إلى تفردها بباب معقود ذو مكسلتين يعد الأول من نوعه فى المآذن المملوكية، تلاه باب مئذنة مسجد الأمير بشتاك بدرب الجماميز[٢٢٤]، وقد ظهرت الدورة المستديرة لأول مرة فى هذه المئذنة وأصبحت منذ ذلك الحين عنصرا هاما من عناصر المآذن ذات المباخر، كما أصبح من المعتاد أن ترتفع هذه الدورة المستديرة فوق دورة مثمنة، والغالب أن مهندس هذه الخانقاة كان قد تأثر فى مئذنتها بنظام مئذنة المنصور قلاوون التى استخدم فيها الحجر فى صفوف متناوبة الألوان[٢٢٥].

وقد اشتملت النوفذ السفلية للقاعدة المربعة فى هذه المئذنة على النوع الشائع فى المآذن الأيوبية، بينما اشتملت فى النوافذ العلوية على تأثر كبير بالتقاليد الأندلسية ممثلة فى ظهور القواعد المقرنصة البارزة، أما الشرفة التى تتوج هذه القاعدة فقد عملت على هيئة مربعة أيضا على عكس الشرافات المثمنة التى استخدمت فى مئذنتى الصالح نجم الدين والمنصور قلاوون.

وما تجب الإشارة إليه أن الطابق المثمن فى المئذنة التى بين أيدينا يشبه نظيره بمئذنة زاوية الهنود باستثناء اشتماله هنا على صف واحد من المقرنصات بدلا من صفين، وأن الطابق العلوى منها كان الأصل الذى تأثرت به المآذن المملوكية المنتهية بالجوسق القائم على الأعمدة كما هو الحال فى مآذن الطنبغا الماردانى التى ترجع إلى سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٤٠م) والسلطان حسن التى ترجع إلى سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وغيرهما[٢٢٦]، ومع أن هذا الطابق العلوى يعد من مميزات المآذن الأيوبية إلا أنه لازم كثيرا من المآذن المملوكية حتى منتصف القرن (٨هـ/ ١٤م) فنراه فى مئذنة مسجد أبى الغضنفر أسد الفائزى ومئذنة خانقاة بيبرس الجاشنكير وقوصون ومنجك اليوسفى رغم أنه تطور فى المآذن الثلاثة الأخيرة من استخدام الطوب إلى الحجر، ثم بدأ هذا النوع من المآذن فى الظهور بالوجه البحرى فى القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) وخاصة فى المحلة

الكبرى وسمنود(٢٢٧).

ط – قبة الأمير سلار من الخارج : (راجع شكل: ١١)

هذه القبة مبنية من الطوب وذات بدن مضلع يزينها أسفل التضليع فى رقبة القبة شريط من الكتابات النسخية البارزة تتخللها عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وثنائية ومراوح نخيلية ونص هذه الكتابات:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون(٢٢٨).

هذا ويحيط بنوافذ رقبة القبة أشرطة زخرفة عبارة عن إطارات عناصرها تفريعات نباتية ذات أوراق وأنصاف مراوح نخيلية، كما كان يحدد أضلاع المثمن من الخارج إطارات ذات زخارف هندسية بارزة على شكل خطوط متداخلة تكون ما يشبه المثلثات لم يبق منها إلا أجزاء قليلة.

ى – قبة الأمير سنجر من الخارج: (راجع شكل ١١)

تشبه هذه القبة قبة الأمير سلار تماما فى الشكل العام إلا أنها تختلف عنها فى بعض التفاصيل مثل وجود بخاريتان جصيتان فى أضلاع المثمن من الخارج، يزين إطاريهما ووسطيهما خطوط متداخلة، ويزين نهايتيهما من أعلى ومن أسفل وحدة زخرفية على شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص، أما شريط الكتابات النسخية أسفل التضليع برقبة هذه القبة فنصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين. صدق الله العظيم(٢٢٩).

وهناك بالإضافة إلى قبتى سلار وسنجر قبة حجرية صغيرة ملساء خالية من النقوش مقرنصها من حطتين تضاربت الأقوال بشأنها فقيل أنها لدفين يدعى عبد الله الذاكر وقيل أنها للأمير بشتاك بعد أن نقلت إليها جثته من الاسكندرية سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، وهذه القبة هى

على ما يبدو أقدم القباب المبنية بالحجر فى مصر لأن كل ما قبلها من القباب كان يبنى بالآجر، ويقوم على منطقة انتقال تتكون من صفين من المقرنصات تتميز حطتها الوسطى بحلية زخرفية تشبه سعف النخيل(٢٣٠).

والواقع أن القباب المصرية كان قد تغير شكلها اعتبارا من سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) فارتفعت رقابها واتخذ انحناؤها شكلا خاصا أطلق عليه «القبة القاهرية» كما تحولت مادة بنائها من الطوب إلى الحجر، ولعل القبتين اللتين بين أيدينا هما خير دليل على ذلك رغم أن مادة بنائهما لا زالت بالطوب المغطى بالجص، فقد كانت البداية فى هذا التطور ثم تلتهما قبة سنجر المظفر التى بنيت سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) وغيرها(٢٣١)، وما تجب الإشارة إليه أن قطاع هاتين القبتين من الخارج قد بنى على شكل عقد مدبب ينزل رأسيا فى اتجاه رأسى بعد بدء العقد(٢٣٢).

وكما أن وجود الكتابات الكوفية فيهما يعد من مميزات قباب نهاية القرن (٧هـ/ ١٣م) وبداية القرن (٨هـ/ ١٤م) فقد رأيناها فى قبة الخانقاة البندقدارية (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وفى قبة زين الدين يوسف (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)(٢٣٣)، والخلاصة أن تضليع هاتين القبتين كان قد شاع فيما تلاهما من عمائر مملوكية ولا سيما فى قباب أيدكين البندقدارى (٢٨٣هـ/ ١٢٨٤م) والصوابى (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وزين الدين يوسف (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) وقوصون (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وأم أنوك (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ويونس الدوادار (٧٥٠هـ/ ١٣٤٨م) وشيخو (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) وتنكزبغا (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وغيرها.

ك – حوش الخانقاة :

الواقع أن حوش الخانقاة أو منطقة المرافق فيها هو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل يظهر منها على سطح الأرض ثلاث مقابر ذات تراكيب حجرية خالية من الزخارف، إلا أن الجانب الجنوبى من هذه المساحة به على الجدار شريط زخرفى قوام زخارفه كتابات نسخية تتخللها عناصر نباتية من أوراق وأنصاف مراوح نخيلية نصها :

«فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»(٢٣٤)(أنظر

شكل:١٢).

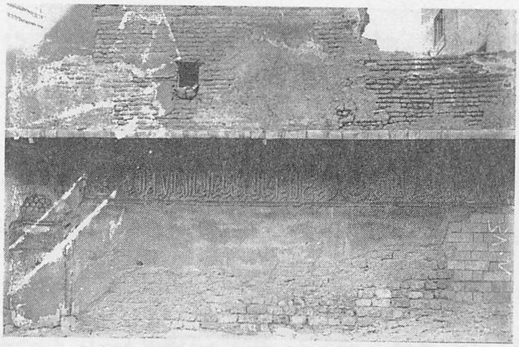

شكل ١٢: الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
محراب وكتابة بالحائط الشرقى لحوش الخانقاة

هذا وفى الركن الشمالى الشرقى من هذا الحوش توجد حنية ذات عقد نصف دائرى بها فتحة دائرية ربما كانت لسبيل فى هذه المنطقة، وقد ورد فى بعض المراجع العربية أن هذا الحوش هو عبارة عن صحن مكشوف به بقايا قبور خلفها محلات متخربة كانت خلوات للصوفية من دورين يتصلان بالخلوات العلوية المطلة على المصلى، وكان بهذا الجزء مزولة من عمل عبد الرحمن الطولونى سنة (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)(٢٣٥).

ل – المدرسة:

فى الناحية الجنوبية لرحبة سلم المدخل يوجد باب عرضه (١,٤٠) متر ذو عقد نصف دائرى يؤدى إلى صحن المدرسة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٩,٤٠) متر وعرضها (٨,٧٠) متر يغطييها سقف خشبى خالى من الزخارف حاليا رغم أن ما ورد فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية يشير إلى أن هذا الصحن كان مسقوفا بشخشيخة خشبية من نجارة غير مدهونة(٢٣٦)، ويشتمل الجدار الشمالى لهذا الصحن فى يسار المدخل المشار إليه على شباكين: الشرقى عرضه (١,٦٥) متر وعمقه (٢,١٥) متر والغربى عرضه (١,٤٠) متر وعمقه (١,٨٠) متر، كل منهما ذو وضع منحرف أراد المعمار عن طريق انحرافهما أن يخرج إيوان قبلة المدرسة على سمته الصحيح.

ويعلو كلا من هذين الشباكين عقد نصف دائرى، أما الجزء العلوى من هذا الجدار فبه النوافذ التى سبقت الإشارة إليها عند وصف الخلوات فى هذا الجانب، إلا أنه يحيط بأعلى وأسفل هذه النوافذ شريطان زخرفيان، السفلى منهما زخارفه عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية مكررة، أما الشريط العلوى فهو عبارة عن كتابات نسخية تتخللها عناصر زخرفية نباتية، وجدير بالذكر أن هذين

الشريطين كانا يحيطان بجدران هذا الصحن الثلاثة: الشمالية والجنوبية والغربية.

ويبدأ الشريط الكتابى المشار إليه من الجدار الغربى بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك الذى جعل فى السماء بروجا (ثم جزء فاقد) حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما»[٢٣٧].

أما فى الجهة الغربية من هذا الصحن فيوجد إيوان صغير عبارة عن دخلة عرضها (٢٫٨٠) متر وعمقها (٣٫٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى على جانبيها فتحتان كل منهما ذات عقد نصف دائرى عرضها (٫٩٥) متر تؤدى كل منهما إلى حاصل مستطيل يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هاتين الفتحتين (أو المدخلين) مستطيلا جصيا زخارفه عبارة عن أوراق نباتية ثلاثية وخماسية الفصوص ذات حفر نافذ داخل جامات.

أما الجدار الجنوبى لهذا الصحن ففيه ثلاثة أبواب تشبه البابين فى الجدار الغربى بعقودها وما يعلوها من وحدات زخرفية مستطيلة فيما عدا الباب الغربى فلا توجد فوقه هذه الوحدة، ويؤدى هذا الباب إلى حاصل صغير ذو سقف مستو أما الحاصلين الآخرين فيشبهان بقية الحواصل تماما، وينتهى هذا الجدار بباب رابع ذو عقد نصف دائرى عرضه (١٫١٠) متر كان يؤدى إلى خلوات بالناحيتين الغربية والجنوبية تهدمت الآن ولم يبق منها شيئا على سطح الأرض، وجدير بالذكر أن فى كل من جدارى الصحن هذين (الغربى والجنوبى) شقة حجرية على هيئة نافذة مستطيلة تزينها زخارف حجرية مفرغة لأوراق ثلاثية وخماسية وتفريعات نباتية من النوع المعروف بالأرابيسك.

وفى الناحية الشرقية من هذا الصحن يوجد إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (٩٫٧٠) متر وعرضها (٧٫٤٠) متر ذات سقف من عروق خشبية غير مزخرفة، وليس فى هذا الإيوان شئ من الزخارف اللهم إلا المنبر الواقع على يمين محراب عادى ذو حنية عرضها (١٫١٥) متر وعمقها (٫٨٥) متر ذو عقد نصف دائرى متراجع.

وهذا المنبر يقوم على قاعدة خشبية مستطيلة طولها (٢٫٨٠) متر وعرضها (٩٥ر) متر تقوم فوقها ريشتان متشابهتان تتكون كل منهما من مثلث كبير فى أسفل يتوسطه طبق نجمى، وفى إطاره أنصاف أطباق نجمية، ويعلو هذا المثلث سبع حشوات مختلفة الأشكال ذات خشب خرط، وفى مؤخرة المنبر بابا الروضة ويزين كلا منهما طبق نجمى فى الوسط حوله أجزاء من أطباق نجمية فى الأركان، ويعلو كلا منهما حليات خشبية على شكل تفريعات نباتية، وأعلى كل من هذين البابين حشوة خشبية نقش عليها بخط النسخ:

«جدد هذا المنبر فى عصر خديوى مصر عباس حلمى الثانى»

أما باب المنبر الرئيسى فيصعد إليه بقدمة ارتفاعها (٤٠ر) متر وهو ذو مصراعين تزينهما خطوط متداخلة، وتعلوه حليات تشبه الحليات التى تعلو بابى الروضة، وفوق هذه الحليات حشوة كتابية بخط النسخ نصها:

«إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [٢٣٨]»

ويعلو تلك الحشوة الكتابية حطتان من المقرنصات يعلوهما فى حافة الباب العليا شريط من الزخارف على هيئة ورقة ثلاثية مكررة، ويصعد من هذا الباب إلى جلسة الخطيب، وهى ذات أوجه ثلاثة تزينها نفس الحليات الموجودة أعلا أبواب المنبر، إلا أن ظهرها زخرف بشكل محراب يقوم على عمودين دائريين يحملان عقدا نصف دائرى فوق زاويته ميمة دائرية على جانبيها عناصر نباتية لتفريعات وأوراق.

أما جوانب هذه الجلسة من الخارج ففى كل منها حطتان من المقرنصات ويعلوها شرافات على شكل ورقة ثلاثية ويتوج الجلسة رقبة يعلوها شكل كمثرى يتوجه هلال.

وإلى الشمال من هذا الإيوان توجد دخلة عرضها (٥٫٦٠) متر وعمقها (٥٫٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشرقى دخلة عرضها (٢٫٨٥) متر وعمقها (١٫٥٥) متر ذات عقد نصف دائرى، ترتفع عن الأرضية بمقدار (٣٥ر) متر وفى جدارها الغربى دخلة مشابهة، أما فى جدارها الشمالى فيوجد من الشرق شباك عرضه (١٫٦٥) متر وعنقه (١٫٨٥) متر ذو عقد نصف دائرى به أرماح ومخرزات حديدية تطل على الشارع، إلى

الغرب منه توجد دخلة ثالثة عرضها (٦٠ر١)متر وعمقها (٢٠ر)متر ذات عقد نصف دائر أيضا.

هذا ويوجد فى ذلك الإيوان كرسى السورة وهو عبارة عن مستطيل طوله (٣٥ر١) متر وعرضه (٧٥ر) متر وارتفاعه (٢٠ر١) متر (بما فيه الجلسة) قوام زخارفه أطباق نجمية كاملة من أسفل تعلوها أجزاء من أطباق نجمية وحشوات مخروطة فى دروة الجلسة تقوم فوقها ستة بابات.

وفى الجنوب الغربى للمدرسة مطلا على ناحية قلعة الكبش يوجد مدخل آخر ذو سلم حجرى هابط يؤدى بعد انكسارين إلى هذا المدخل، وهو عبارة عن دخلة عمقها (٢٠ر١) متر وعرضها (٤٠ر٢) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٠ر) متر وطولها (٢٠ر١) متر وارتفاعها (٩٠ر) متر، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زخرف داخله بمقرنصات مقعرة ذات دلايات، أما المدخل نفسه فعرضه (٤٠ر١) متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة وبه مصراعان خشبيان خاليان من الزخارف، وكان هذا الباب على ما يبدو خاصا بصوفية الخانقاة وبسنجر الجاولى الذى كانت داره مجاورة للخانقاة من هذه الناحية[٢٣٩].

وقد ورد فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية أن منشئ هذه الخانقاة كان قد بنى منزلين بالقاهرة أحدهما كان مجاورا لها وكانت بقاياه لا تزال قائمة حتى سنة (١٨٩٢) ممثلة فى كتابة محفورة على لوح حجرى تثبت نص إنشائه إلا أن هذا المنزل كان قد هدم وتجدد بعضه على عهد الترك كما يقول محضر اللجنة[٢٤٠]، ومع ذلك فهناك فيما ورد فى هذا الأمر ظاهرة جديرة بالملاحظة وهى أن النص الذى أوردته اللجنة فى محاضرها[٢٤١] يشتمل عل ألقاب سلطان وليس ألقاب أمير فهو يقول:

«أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ذخر الأرامل والمحتاجين صاحب الصدقات والمعروف المغيث لكل ملهوف ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الإمام الأعظم والملك المكرم مولانا المقام الشريف السلطان الملك» وغنى عن التعريف أن كل هذه لألقاب التى وردت بهذا النص هى ألقاب سلطان وليس أمير أو نائب للسلطنة.

ليس هذا فقط بل إن اللجنة كانت قد قررت مبلغا قدره (٦٣٠) مليما لأعمال صيانة هذا المنزل وطلبت من الورثة تسديدها فرد الورثة بأنهم فقراء ولا يقدرون على ذلك فكلفت المسيو هرتس بملاحظة ذلك للتأكد من تنفيذه(٢٤٢).

ثم جاءت تقارير المجموعة الثانية عشر من هذه الكراسات لتؤكد أن ديوان عموم الأوقاف طلب من اللجنة التنازل بطريق الاستبدال عن المنزلين الملاصقين لهذه الخانقاة من جهة غرب إلى المالك بجوارهما، وبعد المعاينة رأى القومسيون الثانى للجنة الموافقة على هذا الاستبدال بشرط ألا يمكن المشترى من إقامة أية أبنية محل هذين المنزلين مستقبلا إلا بعد ترك حرم للخانقاة بعرض مترين بطول الحائط(٢٤٣).

يضاف إلى ذلك أن ما ورد فى كراسة اللجنة عن سنة (١٨٩٧)م يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذين المنزلين كانا لا يزالان موجودين بدليل ما أشار إليه التقرير(٢١٠) من أن ديوان عموم الأوقاف طلب من اللجنة هدم جزء من الدور العلوى للمنزل وقف سنجر الجاولى الذى له موردة فوق الدور الأرضى يخشى منها على الأمن العام لكونها مفككة فوافق القومسيون الثانى على ذلك شريطة أن تنتقل الأفاريز المنقوشة بالحفر بعد تصويرها إلى متحف الفن الإسلامى مع الكوابيل الحاملة لها(٢٤٤).

ويفضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طول ضلعها (٢٫٢٠) متر فى صدرها مصطبة عرضها (٩٥ر) متر وارتفاعها عن الأرض (٥٥ر) متر ويغطى كلا من الدركاة والمصطبة قبو مروحى، وفى جدار هذه الدركاة الشرقى يوجد مدخل ذو عقد فارسى مدبب عرضه (١٫٤٠) متر يؤدى إلى ممر حديث فيه كثيرا من التغييرات التى غيرت كل معالمه القديمة ولم تبق منها شيئا.

وفى نهاية الحديث عن هذا الوصف التفصيلى للخانقاة لا يفوتنا أن نشير إلى ما ذكره صاحب كتاب «جامع الكتابات العربية» من وجود مشكاة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة للأمير سيف الدين سلار مصنوعة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٢٥ر)متر نقشت عليها كتابة نسخية نصها:

«مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تقى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه»(٢٤٥).

٥ – ترميمات الخانقاة :

الواقع أن المادة التاريخية التى بين أيدينا والتى سجلتها محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الخانقاة كانت من أول الأبنية الأثرية التى أولتها هذه اللجنة عنايتها ورعايتها محاولة منها لإعادة هذا الأثر الجميل إلى ما كان عليه من رونق وبهاء عن طريق إصلاح ما كان قد تشعث من مبانيه وزخارفه.

وقد بدأت هذه الاهتمامات منذ سنة (١٨٩١م) عندما قرر قلم هندسة اللجنة أن هذا الأثر مقتضى إدراجه ضمن الآثار العربية المسجلة وأنه سيقدم للجنة تقريرا ومقايسة بمفردات الإجراءات اللازمة لترميمه بصفة عاجلة وضرورية(٢٤٦).

وفى سنة (١٨٩٢م) خصص للأعمال الترميمية بهذه الخانقاة مبلغا قدره (١٠١٥ر–)جنيه ألفا وخمسة عشر جنيها دفعت الأوقاف منها سبعمائة وعشر جنيهات وأكملت اللجنة مبلغ المقايسة وهو ثلاثمائة وخمسة جنيهات وقد وزع مبلغ المقايسة الإجمالية بين أعمال تعلقت بهدم ونقل أتربة من الطرقة أمام الأضرحة وبناء للسلم بالحجر الفص النحيت وبين إصلاحات للكسوات الرخامية داخل الأضرحة، وكذا إصلاح وتجديد شبابيك الجص والزجاج الملون بها، مع عمل أغطية خارجية لهذه الشبابيك من السلك النحاس بالإضافة إلى تجديد الأبواب واستكمال الناقص منها، وكان توزيع ذلك وفقا لما يلى :

جملة		أوقاف		لجنة		البيـــــــان
مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	
٤٨٣	٥٣٤	٧٣٣	٥١٨	٧٥٠	١٥	هدم ونقل أتربة من الطرقة وبناء سلم حجرى.
٣٢٠	٤٧	–	–	٣٢٠	٤٧	إصلاح كسوة رخام بالقباب.
٥٠٩	١٧٦	٥٥٥	٣٧	٩٥٤	١٣٨	تجديد شبابيك جبس وزجاج ملون بالقباب.
٨٤٢	١٣٣	٧٣٦	٧٤	١٠٦	٥٩	تجديد واستكمال أبواب.
٨٤٦	١٢٢	٩٧٦	٧٨	٨٧٠	٤٣	أعمال غير منظورة.

وفى سنة (١٨٩٤م) خصصت اللجنة لأعمال ترميمية بسلم هذه الخانقاة مبلغا قدره (–ر١٠٠)جنيه مائة جنيه اختصت هى بدفعها دون الأوقاف(٢٤٧).

وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية بهذه الخانقاة مبلغا قدره تسعمائة وخمسة عشر جنيها (–ر٩١٥)جنيه خص الأوقاف منها ستمائة وخمسة وثلاثين جنيها (–ر٦٣٥) وخص اللجنة مائتان وثمانون جنيها (–ر٢٨٠)رغم أن تقرير اللجنة لم يوضح على أية ترميمات صرف هذا المبلغ(٢٤٨).

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة على أعمال حفظية بهذه الخانقاة (لم تحدد) مبلغا قدره (–ر٩٠٠)جنيه تسعمائة جنيه خص الأوقاف منها مبلغ (–ر٧٠٠)جنيه سبعمائة جنيه وخص اللجنة مبلغ (–ر٢٠٠)جنيه مائتى جنيه(٢٤٩).

وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة على ترميمات بهذه الخانقاة (لم تحدد) مبلغا قدره (٩ر٩٢) جنيه اثنان وتسعون جنيها وتسعة مليمات(٢٥٠).

وفى المجموعة الحادية والأربعين عن السنوات من (١٩٥٤ – ١٩٦١م) ورد أن اللجنة صرفت عليى أعمال ترميمية (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغا قدره (–ر١٥٠)جنيه مائة وخمسون جنيها(٢٥١).

وبذلك يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها قد صرفت على ترميمات هذه الخانقاة اعتبارا من سنة (١٨٩١م) حتى سنة (١٩٦١م) مبلغا قدره(٣١٧٢٫٩)جنيه ثلاثة آلاف ومائة واثنين وسبعين جنيها وتسعة مليمات، وهو مبلغ لا شك كبير إذا ما قدر بقيمته القديمة، وكان لصرفه أكبر الأثر فى أن بقيت هذه الخانقاة محتفظة بحالتها الجيدة التى هى عليها الآن.

الفصل الخامس

خانقاوات النصف الأول من القرن الثامن الهجرى

النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى

٤ – الخانقاة الجاشنكيرية بيبرس

٧٠٦ – ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ – ١٣٠٩ م

أثر رقم : ٣٢

أقيمت هذه الخانقاة على جزء من دار الوزارة الفاطمية الكبرى وكانت – كما وصفها المقريزى فيما سيرد الحديث عنه تفصيلا – أجمل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، وما بقى منها حتى الآن يثبت صدق ما ذهب إليه المقريزى فى هذا الوصف.

وقد أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية بالكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بتلك المنشأة الصوفية الهامة وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من هذه المادة التاريخية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر فى ست نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة ومكتبتها.

٢ – أوقاف الخانقاة.

٣ – منشئ الخانقاة.

٤ – موظفو الخانقاة.

٥ – وصف الخانقاة.

٦ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة ومكتبتها:

ترك لنا المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك وغيرهم معلومات وافية عن تاريخ هذه الخانقاة.

يقول المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أن «هذه الخانقاة من جملة دار الوزارة الفاطمية الكبرى التى أنشأها الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى والتى كانت تمتد على وجه التقريب من وكالة ذى الفقار حتى حارة الروم الجوانية، وهى أجمل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، بناها المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يلى السلطنة وهو أمير، فبدأ فى بنائها فى سنة ست وسبعمائة وبنى بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاة قبة بها قبره(٢٥٢).

وتشرف شبابيك هذه القبة على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد إلى باب النصر ومن جملتها الشباك الذى حمله الأمير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة العباسى وأرسل بعمامته وشباكه الذى كان بدار الخلافة فى بغداد، وقد ركب هذا الشباك بعد وروده من بغداد بدار الوزارة واستمر فيها إلى أن عمر الأمير بيبرس هذه الخانقاة فنقل هذا الشباك إلى قبتها وقد ظل بها إلى أيام المقريزى الذى قال «وهو بها إلى يومنا هذا وإنه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة(٢٥٣).

وقد رفض بعض الكتاب المحدثين تصديق هذه الرواية التى ذكرها المقريزى فيما يتعلق بشباك دار الخلافة، بحجة أن شباك دار الخلافة كان من الحديد وهذا الشباك من النحاس وتبدو عليه علامات الجدة كما فى الشبابيك المجاورة، وقد علل ذلك بأن الشيخ محمد الابراشى ناظر الخانقاة كان قد أزال ثلاثة شبابية مما كان فى واجهتها وحولها إلى دكاكين(٢٥٤)، ومع ذلك فنحن لا نجد ما يتعارض بين الأمرين لأن المقريزى كان قد ذكر ذلك وأكده من واقع مشاهدته الشخصية بقوله «وهو إلى يومنا هذا» وهى عبارة تفرض إن كذبناه ضرورة أن تكون هناك حجة داحضة له، وما يمكن اعتقاده فى هذا الصدد أنه إذا كان الناظر المذكور – طبقا لما ذكره المعترض نفسه – «كان قد أزال ثلاثة شبابيك مما كان فى واجهتها وحولها إلى دكاكين» وكان هذا فى فترة زمنية لاحقة للمقريزى، فإن الاعتراض بهذا الشكل يكون فى غير محله ويكون الناظر من ثم هو الذى قام بتغيير شباك دار الخلافة الحديد ومعه الشباكين الآخرين ليحولا إلى دكاكين(٢٥٥).

ويضيف المقريزى أنه لما شرع فى بنائها سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) رفق صاحبها بالناس ولاطفهم ولم يعسف فى هذا البناء أحدا ولا أكره صانعا ولا اغتصب من آلاتها شيئا، وإنما اشترى

دارى الأمير عز الدين الأفرم والوزير هبة الله بن صاعد الفائزى وكذا دار الأنماط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة، وبعض أملاك كانت قد بنيت فى أرض دار الوزارة، وهدم كل هذه الدور وأخذ أنقاضها فكان قياس كل أرض الخانقاة والرباط والقبة نحو فدان وثلث(٢٥٦).

وعندما شرع الجاشنكير فى بنائها حضر إليه – طبقا لما ذكره المقريزى أيضا – الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، وأراد التقرب إليه فأخبره بأن القصر الذى فيه سكن أبيه، فيه مغارة تحت الأرض فيها رخام كثير مسدود عليه، فبعث بيبرس عدة من الأمراء فتحوا المغارة فإذا بها رخام جليل القدر عظيم الهيئة فنقله من المغارة ورخم منه الخانقاة والقبة وداره التى بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شئ كثير رجح المقريزى أنه كان لا يزال حتى أيامه مخزونا بالخانقاة ثم قال «ومن حسن بناء هذه الخانقاة أنها لم تحتج فيها إلى مرمة منذ بنيت إلى وقتنا هذا وهى مبنية بالحجر وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول أنه لم تبن خانقاة أحسن من بنائها»(٢٥٧).

ورغم تكرار السيوطى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) لما ذكره المقريزى وابن تغرى بردى فيما يتعلق بجلال بناء هذه الخانقاة وسعتها وإتقان صنعتها وشباك دار الخلافة البغدادية الذى فيها، إلا أنه أضاف إلى ذلك أن الناصر محمد بن قلاوون كان قد أغلقها مدة طويلة بعد موت صاحبها فى سلطنته الثالثة ثم عاد وأمر بفتحها(٢٥٨).

أما على باشا مبارك فقد أضاف فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) إلى ما ذكره المقريزى عن هذه الخانقاة كثيرا، وكان فيه أكثر تحديدا رغم تسميته لها بالجامع حين قال أن هذا الجامع بخط الجمالية بين حارة المبيضة وحوش عطى على يمنة الذاهب إلى باب النصر بجوار مكتب الجمالية الذى هو موضع جامع سنقر، وبه إيوانان ومقصورتان وأرضيته مفروشه بقطع الرخام الملون وسقفه مرتفع معقود بالحجر وبه منبر ودكة وكان فى صحنه حنفية هدمها ناظره الشيخ محمد الابراشى وجعل بدلها ميضأة مستعملة إلى الآن وله منارة عظيمة وبه قبر منشئه عليه قبة عظيمة كان بها ثلاثة شبابيك مطلة على الشارع أزالها الناظر محمد الابراشى وجعل مكانها حوانيت لأجل الريع وهو مقام الشعائر من الجمعة والجماعة إلى الآن (أى إلى عهده فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكان إنشاؤه أولا خانقاة للصوفية(٢٥٩).

كذلك فقد أضاف إلى ما ذكره السيوطى فيما يتعلق بغلق الخانقاة حيث قال «فلما خلع من السلطنة (بيبرس) أغلقت وأخذ وقفها ومحا الملك الناصر محمد بن قلاوون اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك وأقامت معطلة نحو عشرين سنة ثم فتحت سنة ست وعشرين وسبعمائة وأعيد إليها وقفها»(٢٦٠) وبهذا يكون الناصر قد فعل بطراز هذه الخانقاة ما فعله المأمون بطراز قبة الصخرة عندما محى منه اسم عبد الملك بن مروان ووضع اسمه بدلا منه ونسى أن يغير التاريخ ففضح أمره.

ولم يقتصر الحديث عن تاريخ هذه الخانقاة على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تكلمت فى ذلك المراجع العربية أيضا، وينحصر مجمل ما ذكرته هذه المراجع فى تكرار ما ورد فى المصادر عن منشئها وتاريخ إنشائها وموقعها ومساحتها وشبابيكها ورخامها، ثم قبض الناصر محمد بن قلاوون على منشئها وغلقها والاستيلاء على أوقافها وبقائها معطلة عشرين سنة إلى أن أعيد فتحها فى أول سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)(٢٦١).

أما فيما يتعلق بمكتبة هذه الخانقاة فقد استقينا معلوماتنا القليلة عنها مما ذكره السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) حين قال فى ترجمة أحمد الشهاب الحجازى نزيل القاهرة القديمة، أنه «تنزل فى صوفية البيبرسية وغيرها وتكلم فى خزانة كتبها لكونه فى ذلك كله من جهة ناظرها مات سنة ثلاث وتسعين (وثمانمائة) عن بضع وستين ظنا»(٢٦٢)، ولم تزد المراجع العربية الحديثة التى أكدت على وجود هذه المكتبة شيئا فى هذا الصدد يستحق الذكر عما كانَ فيها من علوم ومعارف وأعداد كتب ومصادر ونحو ذلك(٢٦٣).

٢ – أوقاف الخانقاة :

أمدنا كل من ابن الجيعان والمقريزى وعلى باشا مبارك بمعلومات على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة(٢٦٤)، فيذكر ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/ ١٤م) من أوقاف هذه الخانقاة قريتان هما العادلية ومخنان فيقول:

١ – العادلية :

(من توابع ثغر دمياط) عبرتها (٣٠٠) دينار، وقف الخانقاة الركنية بيبرس الجاشنكير الأحمدى(٢٦٥).

٢ – مخنان :

(من الأعمال الجيزية) مساحتها (٦٢٠) فدان وقف الخانقاة الركنية بيبرس الجاشنكير(٢٦٦)، وواضح من ذلك أنه لم يذكر مساحة الأولى وعبرة الثانية، وهو ما يجعل تقدير مدخول الثانية أمرا صعبا لأن أركان القياس هنا منعدمة، فلو أنه ذكر مساحة واحدة وعبرتها مثلا لكان تقدير عبرة الثانية أو مدخلها أمرا سهلا ..

أما المقريزى فقد أشار فى القرن (٩هـ/ ١٥م) إلى أن صاحب هذه الخانقاة كان قد أوقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماة من أرض الشام ومنية المخلص بالجيزة وبعض نواحى بالصعيد والوجه البحرى من أرض مصر بالإضافة إلى الربع والقيسارية بالقاهرة، فلما خلع من السلطنة وقبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله أمر بغلقها وأخذ سائر ما كان موقوفا عليها ففرقه إقطاعات على أمرائه ومحى اسم صاحبها من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك، فظلت الخانقاة معطلة نحوا من عشرين سنة إلى أن عاد الناصر بعد سعى حثيث لابنة بيبرس وأمر بفتحها فى أول سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وأعاد إليها ما كان موقوفا عليها فعادت الحياة إليها مرة أخرى إلى أن شرقت أرض مصر لقصور ماء النيل أيام الملك الأشرف شعبان سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) فبطل طعامها وتعطل مطبخها مع استمرار صرف الخبز ومبلغ سبعة دراهم عدلت بعد ذلك إلى عشرة لكل واحد من صوفيتها فى الشهر، فلما قصر مد النيل ثانية سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) بطل صرف الخبز أيضا وأغلق مخبز الخانقاة وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغا من الفلوس نظير ما تعطل صرفه لهم وظل حالهم على ذلك حتى أيام المقريزى الذى قال «وهم على ذلك إلى اليوم» أى إلى عصره فى القرن (٩هـ/ ١٥م)(٢٦٧).

ثم جاء على باشا فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكرر ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بالضياع التى أوقفت على الخانقاة بكل من دمشق وحماة والقاهرة ومنية المخلص بالجيزة والصعيد والوجه

البحرى، كما كرر أيضا ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بأخذ الناصر لأوقافها وتعطيلها ثم عودته لفتحها وإرجاع أوقافها حتى قصر مد النيل وشرقت الأراضى فتقلصت جراياتها جميعا إلى أن صارت مبلغا من معاملة مصر يصرفه الصوفية(٢٦٨).

٣ – منشىء الخانقاة:

أفاض علينا كثير من المؤرخين ولا سيما ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وابن اياس وابن ظهيرة والجبرتى وعلى باشا مبارك بكثير من المعلومات الهامة المتعلقة بترجمة منشئ هذه الخانقاة. فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرن (٨هـ/ ١٤م) أن الملك المظفر بيبرس البرجى العثمانى الجاشنكير(٢٦٩) كان أشقر اللون مستدير اللحية موصوفا بالعقل والعفة، وكان فى أصله أحد مماليك المنصور قلاوون وترقى عنده إلى أن قرره جاشنكيرا وأمره طلبخاناه، واستمر على هذا الحال إلى أن قتل الأشرف خليل بن قلاوون، فقام مع من قاموا فى طلب ثأره وقتلوا قتلته ونصبوا أخاه الناصر محمد سلطانا فأصبح بيبرس من أكابر الأمراء وولى أستاداريته إلى أن قبض عليه الشجاعى بأمر من العادل كتبغا وسجنه بالاسكندرية فلما تسلطن لاجين أخرجه من السجن وأمره، فلما عاد الناصر كان بيبرس ممن قاموا بتدبير المملكة فالتفت البرجية حوله بينما التفت الصالحية حول سلار فاستقر بيبرس أستادارا(٢٧٠) واستقر سلار نائبا للسلطنة(٢٧١).

وحج بيبرس سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١م) وكان من مآثره فى هذه الحجة أنه خلع المسمار الذى كان فى وسط الكعبة ينبطح عليه العوام بسرتهم مكشوفة اعتقادا منهم أن من فعل ذلك عتق من النار فزالت البدعة على يديه، كذلك كان من مآثره فى مصر إبطال عيد الشهيد الذى تعود النصارى الخروج فيه إلى ناحية شبرا فى ثامن بشنس فيلقون فى النيل تابوتا فيه إصبع لبعض من سلف منهم لأنهم كانوا يزعمون أن النيل لا يزيد إلا إذا وضع فيه هذا الإصبع.

وفى سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) تسلطن بيبرس ولقب بالملك المظفر، وكتب عهده عن الخليفة ابو الربيع سليمان وكان عنوانه يقول إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، وركب بالخلعة السوداء والعمامة المدورة والتقليد على رأس الوزير ضياء الدين النشائى، وناب عنه سلار وأطاعه أهل الشام(٢٧٢).

وإذا كانت المصادر العربية قد حفظت له بعض المآثر فى كل من مكة والقاهرة قبل أن يتولى السلطنة، فإنها قد حفظت له أيضا بعضا من هذه المآثر بعد ولايته للسلطنة، من ذلك مثلا أنه فى جمادى الأولى من السنة المشار إليها(٧٠٨هـ) أبطل ضمان الخمر وقبض على الزانيات وخرب بيوتهم وكسر آلاتهم، فكان ذلك من أجل حسناته»(٢٧٣).

فلما كانت سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) خامر عليه طغاى وجماعة من الأمراء، فذهبوا إلى الناصر بالكرك وصحبوه إلى دمشق، ثم ساروا به فى عسكر كبير لا رجاعه إلى الحكم، فجرد اليهم بيبرس عسكرا كبيرا خامر بعضهم على بعض فانهزموا أمام حملة الناصر، فأشار عليه جماعة ممن بقوا معه وعلى رأسهم بيبرس الدوادار بالنزول عن السلطنة والإشهاد على ذلك والخروج إلى اطفيح ومكاتبة الناصر فيه واستعطافه ففعل، وهنا خرج عليه العوام وسبوه ورجموه ففرق فيهم دراهم فلم يرجعوا فسل مماليكه عليهم السيوف فرجعوا، وظل باطفيح يومين ثم رحل طالبا الصعيد، وفى أخميم قدم عليه أمان الناصر وأنه أقطعه قلعة صهيون فقبل ذلك ورجع متوجها إلى غزة، فلما وصلها وجد هناك نائب الشام وغيره فقبضوا عليه وسيروه صحبة قراسنقر إلى القاهرة، فلما كان بالحطارة تلقاه رسول الناصر اسندمر فقيده وأركبه بغلا حتى قدم به إلى القلعة فى ثالث عشر ذى القعدة، فلما أحضر بين يدى الناصر عنته ووبخه ثم خنق بوتر حتى مات وقيل أنه سقاه سما(٢٧٤).

ويضيف المقريزى إلى ما ذكره ابن حجر أن بيبرس – على عكس ما كان مفروضا – بعد ما أقيم سلطانا فى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، ضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الأمراء والمماليك واضطربت أمور المملكه لما كان من سلار وكثرة حاشيته، علاوة على ميل القلوب إلى الملك الناصر، ثم أضاف إلى مآثره أنه هو الذى عمل الجسر من قليوب إلى مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولا فى عرض أربع قصبات من أعلا وست قصبات من أسفل حتى أنه كان يسير عليه ست من الفرسان معا بحذاء بعضهم ثم كرر ما ذكره ابن حجر من إبطاله لسائر الخمارات بسواحل بلاد الشام وغيرها وتسامحه عما كان من المقرر عليها للسلطان، بل وتعويضه للأجناد عنه، بالإضافة إلى غلقه لأماكن الريب والفواحش التى كانت بالقاهرة ومصر وتتبعه لأماكن الفساد ومبالغته فى إزالته وعدم مراعاته فى ذلك أحدا من الكتاب أو الأمراء حتى خف المنكر وخفى الفساد(٢٧٥).

وإذا كان ابن حجر لم يعطنا الأسباب الخلفية لمخامرة الأمراء عليه وذهابهم للناصر فى الكرك، إلا أن المقريزى قد أوضح لنا ذلك بقوله أن نفسه قد سولت له أن يبعث إلى الملك الناصر بالكرك يطلب منه إرجاع ما كان قد خرج به من الخيل والمماليك والأموال وغلظ عليه رسول بيبرس فى ذلك فحنق الناصر فى نفسه، وكاتب نواب الشام وأمراء مصر سرا يشكو لهم ما حل به، فرقوا له وامتعضوا لما فعله بيبرس فعززوه وساروا معه لمناصرته حتى كان من أمر تنازل بيبرس عن الحكم بعد مدة سلطنة لم تزد عن عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما انتهت بقدوم الناصر إلى قلعة الجبل للمرة الثالثة فى أول شوال سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) وجئ إليه بالمظفر بيبرس فى يوم الأربعاء ثالث عشر ذى القعدة من السنة المشار إليها فقبل الأرض بين يديه فعنفه وعدد له أخطاءه ثم أمر به فسجن فى موضع إلى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها لحق بربه تعالى فحمل إلى القرافة ودفن فى تربة الفارس أقطاى ثم نقل منها بعد مدة إلى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها للمرة الثالثة إلى خانقاته ودفن بقبتها، وقد أدرك المقريزى شيخا من صوفيتها أخبره أنه حضر نقله من تربة القرافة إلى قبة الخانقاة وأنه هو الذى تولى وضعه فى مدفنه الذى فيها بنفسه(٢٧٦).

ومع أن رواية المقريزى قد اختلفت مع رواية ابن حجر فيما يتعلق بالكيفية التى مات بها بيبرس فذكر انه مات بسجنه بينما ذكر ابن حجر أنه مات خنقا أو سما إلا أنه قال أنه «كان خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما فى النفوس مهاب السطوة فى أيام إمرته، فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الأمراء والمماليك، ولم تنجح مقاصده (الخيره) ولا سعد فى شئ من تدبيره إلى أن انفضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله»(٢٧٧)، ولم يبين لنا المقريزى أسباب ذلك الذى ألم به عندما تسلطن رغم أن ما ذكره عنه قبل السلطنة كان كفيلا باستمرارية موقفه الجيد، وتفسير ذلك بالإضافة إلى ما ذكره ابن حجر كان ينحصر على ما يبدو فى أن الناس لم يعجبهم ما قام به من أعمال خيره بكل المقاييس مثل إراقة الخمور وإبطال الخمارات والتنازل عن مقررات السلطنة عليها وغلق أماكن الزنى والفجور وضرب الفساد ومحاولة استئصاله، مما أثار عليه الأجناد الذين اعتادوا هذه المنكرات ومتحصلاتها، كذلك كان لكبسه لأماكن الريب والفواحش وضرب كثير من الناس فى ذلك بالمقارع وإزالته للفساد دون مراعاة لأحد من الكتاب أو الأمراء، أكبر الأثر فى كثرة أعداد الحانقين

عليه من طوائف المرتزقة والمنتفعين من كل ما أبطله من المفاسد.

أما ما ذكره المقريزى من أمر مطالبته للناصر بالكرك لإعادة ما كان قد أخذه من الخيل والمماليك والأموال فليس بكاف - فى اعتقادنا - لكل ما حدث له حتى إن العامة الذين قال عنهم بأنهم كانوا يصيحون عليه ويرجمونه ليس تعصبا للناصر بقدر ما كان - على ما يبدو - تعصبا لأنفسهم مما ألم بهم على عهده، إذ لا شك أنهم كانوا فى الغالب - بالإضافة إلى تشاؤمهم منه لانحسار النيل وتشريق الأرض وارتفاع الأسعار مما لم يكن له فيه يد حتى أنه أضطر لما بلغه من تغنى العامة بمسبته من القبض على كثير منهم فقطع ألسنة بعضهم وضرب بعضهم الآخر - ممن أضيروا كثيرا مما أبطله من المنكرات والمفاسد وياحبذا لو أنه كان قد ناقش ذلك على انه قضية أخلاق ثلة من قوم عالية الصوت والتأثير لا قضية خلع سلطان وإحلال آخر(٢٧٨) .

والخلاصة فى ذلك أنه لم يهنأ بالسلطنة منذ توليه لها، لأن الشعب كان قد كرهه لسؤ طالعه بسبب ما ألم به من نكبات انحصرت فى انحسار ماء النيل وتشريق الأرض وغلاء الأسعار وتحكم الأمراء فى الأثمان وتفشى الأمراض وصعوبة الحصول على الدواء، ولأن كثيرا من الأمراء كانوا يخافونه ولا يحبونه لما أصابهم منه عندما أبطل الخمر وأغلق مواطن الفسق والفجور وضرب بيد قوية شراذم الفساد، ولأن الوساوس كانت تشغل باله من ناحية نائب السلطنة سلار الذى ترامى إلى سمعه أنه يتواطأ مع الناصر ضده، وانتهى الأمر به رغم صلاح منهجه - فى رأينا - إلى ما كانت عليه نهايته فيما سبقت الإشارة إليه من القتل خنقا أو سما كما ذكر ابن حجر أو الموت سجنا كما ذكر المقريزى.

ثم كرر ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ما ذكره ابن حجر والمقريزى فيما يتعلق بقصة حياة المظفر بيبرس إلا أنه أضاف أن العادل كتبغا لما تسلطن بعد قتل الأشرف خليل عزله عن الأستادارية بالأمير بنحاص وقبض عليه وحبسه مدة ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، واستمر على ذلك حتى قتل المنصور حسام الدين لاجين فكان بيبرس أحد من أشاروا بعودة الناصر محمد إلى ملكه، فلما عاد الناصر قرره استادارا على عادته وقرر سلار نائبا، فصار بيبرس وسلار كفيلى الممالك الشريفة الناصرية والسلطان معهما آلة فى السلطنة لا يقدر على شئ إلى أن ضجر الناصر من ذلك وخرج بحجة الحج وسافر إلى الكرك، فوقع الاتفاق على سلطنة بيبرس

فجلس على تخت الملك فى يوم السبت الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وسبعمائة، فكان بذلك السلطان الحادى عشر من ملوك الترك والسابع ممن مسهم الرق والأول من الجراكسة إن صح أنه جركسى الجنس(٢٧٩).

ولم يقتصر الأمر بالنسبة للحديث عن ترجمة المظفر بيبرس على ما ورد فى المصادر العربية، وإنما وردت إشارات كثيرة إلى هذه الترجمة أيضا فى معظم المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن عمارة مصر الإسلامية، وصفوة ما جاء فى هذه المراجع أنه فى أحد شقيه تكرار لما أوردته المصادر العربية فى هذا الصدد مما سبقت الإشارة إليه، وفى شقة الآخر إضافة وتفسيرات لبعض ما ذكر فى هذه المصادر بما لا يخرج فى شئ عما أشير إليه(٢٨٠).

٤ – موظفو الخانقاة :

كانت المصادر العربية المتعلقة بالتراجم هى المصدر الرئيسى الذى استقينا منه كم المعلومات الهائل عن وظائف هذه الخانقاة، وقد تيسر لنا ذلك من خلال ما أوردته تلك المصادر عما شغله من ترجمت لهم من وظائف مختلفة أثناء حياتهم، وقد استطعنا أن نقف فى هذا الصدد على العديد من الشخصيات التى وليت وظائف هذه الخانقاة، وتبعا لما أمكن الحصول عليه من هذه التراجم فإنه يمكن تقسيم هذه الوظائف إلى قسمين رئيسيين أولهما مجموعة الوظائف الدينية وتشمل شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها، ومدرسوا الحديث ومعيدوه، وقارئ الصفة، وشيخ الرباط وإمامة الصوفية، وثانيهما مجموعة الوظائف الخدمية وتشمل كاتب الغيبة والمؤذن والصراف والخادم.

أ – مجموعة الوظائف الدينية :

اشتملت هذه المجموعة من الوظائف الدينية – كما قلنا – على شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها، بالإضافة إلى مدرسى الحديث ومعيديه وقارئ الصفة، وشيخ الرباط وإمامه، وفيما يلى عرض لبعض ممن أمكن الوقوف عليهم فى هذا الصدد:

١ – شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها :

أمدنا كل من ابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى وابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وكذا السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) بكثير من التراجم الهامة لبعض شيوخ هذه الخانقاة فكان ممن ذكرهم ابن حر أبو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز مجد الدين الزنكلونى الفقيه الشافعى وقال أنه اعتنى بالفقه ومهر فيه وولى مشيخة الخانقاة البيبرسية ودرس بالمسرورية وغيرها ومات فى ربيع الأول (٧٤٠هـ)(٢٨١)، وضياء بن سعد الله بن محمد بن عثمان القرمى قاضى القرم العفيفى الفقيه الشافعى الذى قدم القاهرة وحظى عند الأشرف شعبان وولى مشيخة البيبرسية بعد الرضى فى سنة (٧٦٧هـ)(٢٨٢)، وعثمان بن سليمان بن رسول بن يوسف بن خليل بن نوح المكرادى (نسبة إلى قبيلة من التركمان) قدم القاهرة فى دولة الأشرف شعبان وتعرف ببرقوق قبل السلطنة، فلما تسلطن جعله إمامه وولاه قضاء العسكر ومشيخة البيبرسية ومات فى ربيع الآخر سنة(٧٩١هـ)(٢٨٣).

وممن ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد قاضى القضاة وشيخ الإسلام حافظ العصر ومفتى الفرق وأمير الحديث، شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكنانى العسقلانى الأصل المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة الشافعى، ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة (٧٧٣هـ) وقرأ عليه غالب فقهاء مصر وأملى بخانقاة بيبرس نحوا من عشرين سنة ثم تنزه عن ذلك وتولى مشيخة البيبرسية فى دولة الملك المؤيد وصار إذ ذاك من أعيان العلماء(٢٨٤).

وممن ذكرهم ابن الصيرفى الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة المالكى الذى أشار إليه فى ذكره لحوادث المحرم سنة (٨٧٥هـ) وقال أنه «كان باسمه تصوف بمدرسة جمال الدين وآخر بمدرسة بيبرس الجاشنكير وكان يرمى بأنه شيعى وكان يعرف النجارة والحدادة ويصنع الاسفيداج وغير ذلك من الصنائع(٢٨٥).

أما من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) فمنهم بالإضافة إلى ابن حجر العسقلانى أحمد بن على بن يعقوب الشهاب بن الشمس القاياتى الأصل القاهرى الشافعى الذى

ولد بالقاهرة سنة (٨٢٦هـ) فحفظ وقرأ وعرض واختص بمشيخة البيبرسية إلى أن مات فى صفر سنة (٨٧٩هـ)[٢٨٦]، وحسن بن محمد بن حسن بن إدريس بن على بن عيسى سبط الشريف النسابة الذى ولى مشيخة هذه الخانقاة عشر سنين وجرت له مع صوفيتها منازعات حتى ثاروا عليه لسؤ سيرته فيهم فعزل عنهم ثم أعيد لهم حتى مات فى شوال سنة (٨٠٩هـ)[٢٨٧]، وعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن جابر أبو زيد الحضرمى من ولد وائل بن حجر الإشبيلى الأصل التونسى ثم القاهرى المالكى المعروف بابن خلدون، ولد فى أول رمضان سنة (٧٣٢هـ) بتونس ومات فجأة فى يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة (٨٠٨هـ) عن ست وسبعين سنة ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر وكان كما يقول السخاوى «قد ولى مشيخة البيبرسية وقتا»[٢٨٨].

وإن دلت هذه السلسلة من شيوخ الخانقاة على شئ فإنما تدل على ما كان لها من عظمة المكانة وجلالة القدر، ويكفيها فخرا أنها كانت محل تدريس كثير من عظماء العصر الشافعية أمثال الزنكلونى والقرمى وابن حجر والقاياتى، كما كانت محل تدريس كثير من عظماء العصر المالكية أمثال ابن الشحنة وابن خلدون وغيرهما.

أما عن نواب مشيخة هذه الخانقاة وأئمتها، فقد ذكر لنا منهم السخاوى حسن بن محمد بن أيوب بن حصن النسابة بن إدريس القاهرى الشافعى الذى عرف بالشريف النسابة ولد فى أواخر سنة (٧٦٧هـ) بالقاهرة «وولى النيابة فى مشيخة هذه الخانقاة وغيرها حتى مات فى صفر سنة (٨٦٦هـ)[٢٨٩]، وأحمد بن عباس بن أحمد بن عمر المناوى (نسبة لمنية مسود بالمنوفية) الأزهرى الشافعى قال عنه السخاوى» وناب فى إمامه البيبرسية ثم استقل بإمامه سعيد السعداء ولازم ابن الصيرفى وقرأ عليه فى البرقوقية حين استقر فى التفسير بها[٢٩٠].

٢ – مدرسو الحديث ومعيدوه:

أفادنا كل من ابن حجر والسخاوى وابن العماد فيما بين القدنين (٩ – ١١هـ/ ١٥ – ١٧م) ببعض تراجم من تولوا تدريس الحديس وإعادته بهذه الخانقاة، فكان ممن ذكرهم ابن حجر فى هذا الصدد محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن حاتم الأنصارى الذى ولد فى رجب سنة (٧١٨هـ) فدرس وتعلم إلى أن خطب بعد أبيه بجامع الرفعة ثم درس الحديث بالقبة البيبرسية

حتى مات فى ذى القعدة سنة (٧٩٣هـ)[٢٩١]، ومحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن أبى الفتح بن الكويك الربعى التكريتى الذى صاهر عز الدين بن جماعة وناب عنه ثم باشر نظر الأحباس ودرس بقبة بيبرس للمحدثين حتى وفاته فى رمضان سنة (٧٦٩هـ)[٢٩٢].

وكان ممن ذكرهم السخاوى: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن ابراهيم بن أبى بكر بن أبى زرعة الكردى الأصل المهرانى القاهرى الذى عرف كأبيه بابن الصيرفى، ولد فى ذى الحجة سنة (٧٦٢هـ) ودرس الحديث بالبيبرسية حتى مات مبطونا شهيدا فى شعبان سنة (٨٢٦هـ) ودفن بجوار والده فى قبة طشتمر بالصحراء[٢٩٣]، على بن عبد الرحمن بن أحمد الربعى الرشيدى القاهرى الشافعى الذى لازم البلقينى والدميرى ودرس بعده الحديث بقبة بيبرس إلى أن مات فى رجب سنة (٨١٣هـ)[٢٩٤] وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن السخاوى أيضا كان ممن درس الحديث بالقبة البيبرسية بعد الرشيدى والدميرى، يدل على ذلك قوله «درس بعده (أى بعد الدميرى الحديث بقبة بيبرس .. .. ودرست بعده بالقبة» والحديث هنا على لسان المتكلم وهو السخاوى رحمه الله، عبد الحق بن محمد بن الشمس السنباطى ثم القاهرى الشافعى أخو أمين الحكم بسنباط الذى عرف كأبيه بابن عبد الحق، قال عنه السخاوى ولد فى إحدى الجمادين سنة (٨٤٢هـ) وولى تدريس الحديث بالقبة البيبرسية[٢٩٥].

أما معيدو الحديث بهذه الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة ذكرها ابن حجر تختص بأبى بكر بن يوسف النسائى زين الدين المصرى خادم الشيخ بهاء الدين بن خليل قال عنه «كان معيدا فى الحديث بقبة بيبرس ومات سنة أربع وتسعين (وثمانمائة)[٢٩٦].

٣ – قارئ الصفة :

الواقع أننا لم نعثر من قراء صفة هذه الخانقاة إلا على ترجمتين ذكرهما السخاوى أولاهما هى ترجمة أحمد بن محمد بن على بن حسن بن إبراهيم الزكى الذى عرف بالشهاب الحجازى، ولد فى شعبان سنة (٧٩٠هـ) بالقاهرة وأكثر الحضور فى صغره عند الكمال الدميرى يدرس الحديث فى البيبرسية ثم تنزل فى صوفية السعيدية والبيبرسية وكان كما قال السخاوى أحد قراء الصفة بهما حتى مات فى رمضان سنة (٨٧٥هـ) ودفن بتربة تجاه الناصرية فرج[٢٩٧]، أما الثانية

فهى ترجمة إسماعيل المجد خطيب جامع المقس وأحد قراء الصفة بالبيبرسية، كان خيرا حسن التلاوة مات فى ذى الحجة سنة (٨٥١هـ)(٢٩٨).

٤ – شيخ الرباط وإمامه :

لقد وقفنا فيما كتبه السخاوى من تراجم تتعلق بمشيخة رباط البيبرسية على ترجمتين لشيخين هما إبراهيم بن سليمان بن عبد الرحمن السرائى الذى عرف بابراهيم شيخ «ولى مشيخة الرباط بالبيبرسية وكان خيرا دينا مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة»(٢٩٩)، وابراهيم بن على بن عمر بن حسن بن النور التلوانى الأصل (نسبة إلى تلوانة بالمنوفية) القاهرى الشافعى، ولد سنة (٨١٢هـ) بالقاهرة «وولى مشيخة الرباط بالبيبرسية وتنازل عنها بآخره فى سنة تسع وثمانين لعبد القادر بن النقيب، مات فى سنة سبع وتسعين»(٣٠٠).

أما فيما يتعلق بتراجم إمامة الرباط فقد ترك لنا نفس المؤرخ ثلاث تراجم أولاها هى ترجمة إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى الأصل الشافعى الذى كان بيده نصف إمامة الرباط بالبيبرسية حتى مات قريبا من سنة ثمانين (وثمانمائة)(٣٠١)، وثانيتها هى ترجمة أخو المتقدم عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى الأصل القاهرى الشافعى، قال عنه السخاوى «كان شيخا ذا فهم وحسن عشرة من صوفية البيبرسية بل هو إمام الرباط بها يتكسب من صناعة الحرير مات فى المحرم سنة سبع وسبعين ودفن من الغد بحوش البيبرسية»(٣٠٢) أما الثالثة فهى ترجمة عبد المغيث بن عبد الرحيم بن أحمد بن السنقرى الشافعى سبط البرهان الشنهوبى الذى عرف بابن الفرات، ولد فى جمادى الآخرة سنة (٨٣٤هـ) بالقراسنقرية واستقر فى إمامة الرباط بالبيبرسية(٣٠٣).

٥ – صوفية الخانقاة ونزلائها :

حفظت لنا المصادر العربية ولا سيما ما كتبه ابن حجر والمقريزى والسخاوى وعلى باشا مبارك تراجم بعض صوفية هذه الخانقاة، فكان ممن ذكرهم ابن حجر محمد بن على بن إبراهيم الواسطى الواعظ الأديب بن نور الدين أحد الصوفية بالبيبرسية مات فى رجب سنة

(٧٧٧هـ)(٣٠٤)، وممن ذكرهم السخاوى أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الشهاب المحلى القاهرى ولد قبل الخمسين وسبعمائة وسمع على القلانسى وأجاز له ابن سالم الغزى وكان أحد الصوفية بالبيبرسية ويكتسب بالشهادة في بولاق، مات في شعبان سنة ست وتسعين (وثمانمائة)(٣٠٥)، أحمد بن محمد بن أحمد بن شهاب الدين المسيرى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حذيفة، قدم القاهرة فاشتغل بالفقه والعربية وتردد لبعض الشيوخ، وكان صوفيا بالصلاحية والبيبرسية، مات فى سنة خمس وسبعين (وثمانمائة) بالطور راجعا من مكة بعد أن حج(٣٠٦)، إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد المحيى بن الإمام سراج الدين السيوطى القاهرى الشافعى كان شيخا وقورا كثير التلاوة يتكسب بالشهادة، صوفيا بالبيبرسية مات فى المحرم سنة تسع وثلاثين (وثمانمائة)(٣٠٧)، محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هشام بن البرهان الأنصارى المحلى ثم القاهرى، ولد سنة (٧٣٠هـ) بالمحلة وقدم منها فنزل بخلوة فى الخانقاة البيبرسية مجاورة للمزملة عند الباب على يمين الداخل ودامت معه ثم مع بنيه مدة مائة وعشرين سنة(٣٠٨).

وقد ذكر المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أنه قرر فى هذه الخانقاة لما كملت فى سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) أربعمائة صوفى وبالرباط مائة جندى، وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم اللحم والطعام فى كل يوم، بالإضافة إلى ثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الحلوى، وقد أدركها المقريزى قائمة عاملة حين قال «وقد أدركتها لا يمكن بوابها غير أهلها من العبور إليها والصلاة فيها لما لها فى النفوس من المهابة، ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والأجناد، وكان لا ينزل بها أمرد، وفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ما هنالك فتنزل بها اليوم (أى على عهده) عدة من الصغار ومن الأساكفة وغيرهم من العامة إلا أن أوقافها عامرة وأرزاقها دائرة بحسب نقود مصر»(٣٠٩).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكرر ما ذكره المقريزى قبله بأربعة قرون من الزمان فيما يتعلق ببوابها وعدد صوفيتها وسكان رباطها من الجنود وأبناء السبيل، وما كان يعمل فى مطبخها، إلا أنه أضاف أن هذا المطبخ كان قد تعطل لما شرقت أراضى مصر فى أيام الأشرف شعبان (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) وصرف لصوفيتها بدل طعام إلى أن بطل الخبز منه

أيضا عندما قصر ماء النيل سنة (٧٩٦هـ/ فأخذ الصوفية عوضا عنه فلوسا من نقد مصر(٣١٠).

وقد شرط الواقف أن تكون خلوات الصوفية بالخانقاة سكنا لمن يختار من المتأهل منهم والمتجرد والمقيم والمختار بحيث لا يكون منهم ولا من أهل الرباط من يخدم عند الأمرا أو نحوهم.

هذا فيما يتعلق بصوفية الخانقاة، أما فيما يختص بنزلائها فلم نعثر منهم إلا على من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) وهم إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن حافظ الشهاب العريانى القاهرى الشافعى، ولد فى جمادى الآخرة سنة (٧٩١هـ) بالقاهرة وولى مشيخة العلائى طيبغا الطويل المعروفة بالطويلية بالصحراء وظيفة أبيه وجده وتنزل فى صوفية البيبرسية وغيرها ومع ذلك كان يجاهر بالمعاصى ويسرف فى الخمر حتى سقط فى البحر وهو ثمل فى رجب سنة (٨٥٢هـ)(٣١١) فغرق، إبراهيم بن محمد بن مسعود بن سابق البرهمتوشى القاهرى الشافعى أحد أصحاب الغمرى الذى عرف بابن سابق ولد سنة (٨١٠هـ) وتحول إلى القاهرة سنة (٨٤٥هـ فأقبل عليه الظاهر جقمق لبركته وقرر له معلوما فى الجوالى، قرأ على السخاوى ولازمه كثيرا وتنزل فى صوفية الصلاحية والبيبرسية وغيرهما حتى مات فى شوال سنة (٨٨١هـ) ودفن بحوش الصلاحية(٣١٢).

ومنهم أيضا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن على الشهاب أبو زرعة بن البرهان البيجورى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى أيام التشريق سنة (٨٢٠هـ) فحفظ ودرس وأخذ الطب عن الزيد بن الجزرى والميقات عن الشمس الطنتدائى نزيل البيبرسية قال السخاوى عنه «وهو ممن صحبته قديما وسمع بقراءاتى وراجعنى فى كثير من الأحاديث ونعم الرجل توددا وتواضعا»(٣١٣) أحمد بن محمد بن الصدر بن الصلاح الأنصارى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن صدر الدين ولد سنة (٧٩٥هـ) فحفظ وقرأ وتفقه وتنزل بالبيبرسية وتكسب بالشهادة فى حانوت بباب القوس داخل باب القنطرة، مات فى رمضان سنة (٨٨٤هـ) ودفن بحوش البيبرسية(٣١٤)، إسماعيل الرومى الشافعى الصوفى الطبيب نزيل البيبرسية الذى عرف بكُردلّس لكونه كان أعوج الرقبة كان صوفيا عفيفا ماهرا بالطب مات فى شوال سنة (٨٣٤هـ)(٣١٥)، حسن بن على بن محمد البدر المناوى ثم القاهرى الأزهرى المرجوشى الشافعى ولد سنة (٨١٣هـ) بمنية صافور بالشرقية وقدم القاهرة فلازم وقرأ وأخذ وسمع «متقنعا بمعلومه فى البيبرسية والجمالية وما لعله يصل إليه من

المبرات»(٣١٦)، داوود بن محمد بن على القلتاوى الأزهرى المالكى ولد بقلتا بالمنوفية وقدم القاهرة فقطن الأزهر وحفظ ثم تنزل فى البيبرسية وسعيد السعداء وغيرهما(٣١٧).

أما عن دفناء الخانقاة فقد ترك لنا كل من ابن حجر والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) تراجم بعض منهم، لعل من أبرزهم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى ابن المؤرخ المعروف، وقد مات بالطاعون فى جمادى الآخرة سنة (٨٦٤هـ)(٣١٨) وتقول بعض المراجع العربية الحديثة أن من دفناء قبة هذه الخانقاة الشيخ محمد أمين البغدادى ثالث شيوخ الطريقة العلية النقشبندية المتوفى سنة (١٣٥٨هـ) وكان آخر من أقاموا من الصوفية بهذه الخانقاة(٣١٩).

ب – مجموعة الوظائف الخدمية :

قلنا أن مجموعة الوظائف الخدمية التى أمكن الوقوف عليها مما كان منها بالخانقاة البيبرسية تشتمل على كاتب الغيبة والمؤذن والصراف والخادم، وفيما يلى عرض لتراجم بعض ممن أمكن التعرف عليهم من هؤلاء وأولئك.

١ – كاتب الغيبة :

ترك لنا السخاوى من تراجم كتاب غيبة هذه الخانقاة ترجمتين أولاهما هى ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الغنى بن شاكر بن القاضى مجد الدين بن فخر الدين القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الجيعان، تخرج فى المباشرة وباشر الكتابة فى الخانقاة البيبرسية حتى مات فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) واستقر بعده أخوه عبد الرحيم خاتمة أبيه(٣٢٠)، أما الثانية فهى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن راهب شهاب الدين القاهرى الذى عرف بالدبيب، ولد فى جمادى الأولى سنة (٧٦٧هـ) وباشر النقابة فى بعض الدروس وكتابة الغيبة بالخانقاة البيبرسية إلى أن مات فى ربيع الأول سنة (٨٤٧هـ)(٣٢١).

٢ – المؤذن :

لم نعثر فيما يتعلق بوظيفة الأذان بالبيبرسية فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم إلا على ترجمة واحدة تخص عثمان بن حسين الجزيرى القاهرى الحنبلى المؤذن بالبيبرسية والخياط

على بابها كان خيرا محبا للعلم وأهله، سمع على السخاوى بعض المجالس فى شرحه لصحيح مسلم ومات قريب الثمانين(٣٢٢)، وهكذا يكون الإسلام الذى دعى إلى إقران الدين بالعمل وليس إلى إقرانه بالدعة والكسل، فهو مؤذن الخانقاة وخياط على بابها وهو ما فعله عبد الرحمن بن عوض من إمامة الرباط والتكسب من صناعة الحرير.

٣ – الصراف :

لم نعثر فيما يتعلق بهذه الوظيفة من وظائف البيبرسية أيضا إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن أبى بكر حسين شهاب الدين القاهرى الصيرفى الذى عرف بابن حُبَيِّنَة، حفظ القرآن واستقر فى الصرف بالبيبرسية وغيرها، أقام فى الترسيم نحو ست سنين وأهين بالضرب وقاسى ذلا بعد عز استمر كذلك حتى مات فى رمضان سنة أربع وثمانين ودفن بحوش البيبرسية(٣٢٣).

٤ – الخادم :

آخر الوظائف الخدمية التى أمكن الوقوف عليها فيما يتعلق بهذه الخانقاة هى وظيفة الخادم، وقد ترك لنا السخاوى فيما يخصها ترجمتين أولاهما هى ترجمة أحمد بن حسن بن محمد بن سليمان بن عبد الله الشهاب أبو العباس البطائحى المصرى الشافعى نزيل القاهرة، ولد فى رمضان سنة (٧٣٠هـ) وسمع السنن من الخلاطى واستقر فى خدمة البيبرسية حتى مات بها سنة عشر (وثمانمائة)(٣٢٤). أما الثانية فهى ترجمة على بن محمد بن عمر بن أحمد البطائحى القاهرى الحنبلى كان جده السراج عمر خادم البيبرسية قبل الجنيد ووالده الشهاب أحمد شيخ الرباط بها قبل التلوانى(٣٢٥).

٥ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٧)

تقع هذه الخانقاة بشارع الجمالية تجاه الدرب الأصفر بين المدرسة القراسنقرية وحوش عطى، وتقوم على مساحة مستطيلة غير منتظمة طولها (٦٨) متر وعرها (٢٩٫٥٠) مترا، ولها واجهة رئيسية من جزأين يبرزان عن بعضهما بمقدار (٣٫١٥) متر، وتطل هذه الواجهة على

الناحية الغربية بطول (٢٩٫٥٠) متر، أما الواجهة الفرعية فتطل على الناحية الشمالية بطول (٦٨) متر.

الواجهة الرئيسية والمدخل:

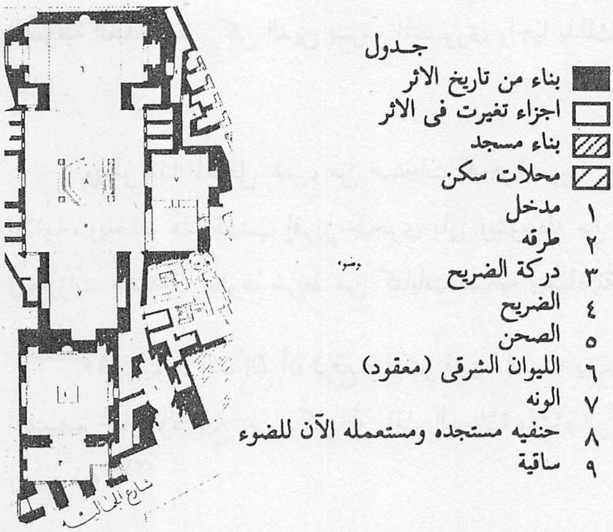
جدول
■ بناء من تاريخ الأثر
□ اجزاء تغيرت فى الأثر
▨ بناء مسجد
▨ محلات سكن
١ مدخل
٢ طرقه
٣ دركة الضريح
٤ الضريح
٥ الصحن
٦ الليوان الشرقى (معقود)
٧ الونه
٨ حنفيه مستجده ومستعمله الآن للضوء
٩ ساقية
شارع الجمالية

خانقاة السلطان بيبرس بشارع الجمالية بالقاهرة
لوحة ٧ : الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس) – أثر رقم ٣٢
(٧٠٦ – ٧٠٩هـ/ ٠٣٠٦ – ١٣٠٩م) – مسقط
أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

فى الركن الجنوبي من الواجهة الرئيسية يقع المدخل داخل دخلة عمقها (٤٫٣٠) متر وعرضها (٥٫٨٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى تزينه من داخل العقد وخارجه زخارف عبارة عن مخدات متلاصقة، وخلف العقد يوجد سقف هذه الدخلة وهو عبارة عن عروق خشبية يحيط به من أعلا الجدران إزار من الخشب، وتشتمل دخلة المدخل الفريدة المبتكرة على حنيتين متتاليتين: الخارجية عمقها (٢٫٤٥) متر وسعتها (٥٫٩٥) متر يعلوها عقد نصف دائرى ذو صنجات تتألف من مخدات متجاورة، أما الحنية الداخلية فعمقها (١٫٦٥) متر وسعتها (٣٫١٥) متر تغطيها نصف قبة مدببة محمولة على مقرنصات ركنية وبها المدخل وهو عبارة عن فتحة عرضها (٢٫١٥) متر تكتنفها مكسلتان رخاميتان طول كل منهما (١٫١٥) متر وعرضها (٠٫٤٠)متر يزينها إفريز رخامى بارز، وفى هذه الفتحة باب خشبى ذو مصراعين مصفحين بالنحاس زخارف كل منهما تشبه الأخرى وتتألف من طبقين نجميين كبيرين، يحيط بهما من أعلى ومن أسفل طبقان نجميان صغيران، كما يوجد بينهما طبقان نجميان آخران، وعلى الجوانب توجد أجزاء من أطباق نجمية (انظر لوحة٨)، ويحيط بهذه الزخارف فى كل من المصراعى جفت بارز تتخلله على أبعاد منتظمة ميمات دائرية، هذا وفى أعلا وأسفل المصراعين يوجد شريطان كتابيان كتاباتهما بخط النسخ وتقوم على أرضية من زخارف نباتية نصها: «أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة من فيض الله وجزيل إحسانه لجماعة

الصوفية العبد الفقر ركن الدين بيبرس المنصورى راجيا بذلك عفو مولاه وغفرانه»(٣٢٦)(أنظر شكل: ١٤).

ويعلو هذا المدخل عتب من صنجات حجرية مزررة على شكل زخرفى مكرر من ورقة نباتية ثلاثية، ويحدد هذا العتب إفريز حجرى بارز ويتوسطه من أعلا نافذة مربعة الشكل بها أرماح ومخرزات حديدية، يعلوها شريط من كتابات نسخية بيضاء نقشت على أرضية سوداء نصها:

«فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار»(٣٢٧).

ويعلو هذا الشريط قمرية دائرية إطارها عبارة عن صنجات مزررة تتبادل اللونين الأبيض والأسود مكونة شكلا مكررا لورقة ثلاثية، ويتوج هذه الدخلة عقد نصف دائرى تزينه فى الجانبين أربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويعتبر هذا المدخل من المداخل الفريدة فى آثار القاهرة لأنه يتكون من عقد ثلاثى الفصوص بداخله حنيتان يعلوهما عقد نصف دائرى مرتفع يتألف من صنجات مزررة.

وعلى جانبى هذا المدخل يوجد شكلان متشابهان كل منهما عبارة عن شكل محراب عرضه (٦٥ر) متر وعمقه (٢٥ر)متر يكتنفه عمودان دائريان لكل منهما قاعدة رمانية وتاج على شكل ورقة الأكانش، ويحمل هذان العمودان عقدا مدببا زخرف بأشرطة بيضاء وسوداء بالتبادل، نقش فى وسط طاقية المحراب الأيمن بفصوص رخامية بيضاء على أرضية سوداء لفظ الجلاله «الله» وفى المحراب المقابل كلمة «الواحد».

أما الحنية الخارجية من دخلة المدخل فعلى جانبيها أيضا شكلان متشابهان كل منهما عبارة عن حنية ذات عقد نصف دائرى عرضها (٥٠ر)متر وعمقها (٤٠ر)متر تغطيها طاقية مقعرة، وقد نقش فى وسط طاقية الحنية اليسرى منهما كلمة «القهار» أما الكلمة التى كانت منقوشة فى طاقية الحنية اليمنى فقد ضاعت ولم يعد لها وجود، ويغلب على الظن أن كلمات هذه الحنايا الأربع كانت تقول «بسم الله الواحد القهار» وأنه كان لكل حنية من هذه الحنايا وسيلة

للسقاية.

كذلك نجد فى زاويتى دخلة الحنية الداخلية عمودان أشبه بالأعمدة التى تكتنف المحرابين على جانبى المدخل، وفوق عقود هذه الدخلات التى على شكل المحاريب يوجد إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بيضاء على أرضية سوداء نصها «بسم الله الرحمن الرحيم، أدخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم»(٣٢٨).

وعلى امتداد شريط الكتابات الثانى أسفل المقرنصات بالقسم الخارجى من هذه الدخلة يمتد إزار كتابى آخر من الكتابة النسخية البارزة بامتداد الواجهة كلها بدءا من مسافة (٢٫٥٠) متر خلف الجانب البارز من المدخل مجتازا حنية المدخل نفسه ومتجاوزا لها حتى الجانب الشمالى الغربى للضريح فى جزء منقوش فى الرخام فيما يعلو حنية المدخل وجزء منقوش فى الحجر فى باقيه نص هذا الشريط يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب(٣٢٩) «أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة وقفا مؤبدا على جماعة الصوفية من فيض فضل الله تعالى وجزيل إحسانه راجيا بذلك عفوه وغفرانه العبد الفقير إلى الله تعالى ركن الدين(٣٣٠) بيبرس المنصورى عبد الله والفقير إليه الراجى رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما نشط إليه من المعروف بآماله بمنه وكرمه وأفضاله وصلى الله على سيدنا محمد» ومن المرجح أنها كانت تشمل على «السلطان الملك المظفر» وهى الكلمات التى أمر بمحوها الناصر محمد حتى لا يعترف له بصفة الملك(٣٣١).

الواجهة الفرعية:

على يسار حنية المدخل تمتد الواجهة الفرعية ناحية الشمال بطول (٥٫٦٥) متر ثم تنكسر ناحية الغرب إلى مسافة (٣٫١٠) متر حيث نجد فى انكسارها الأول تحت وفوق شريط الكتابات

التأسيسية نافذتان مستطيلتان بهما مصبعات خشبية متقاطعة، أما الانكسار الثانى فبه شباك مستطيل به أرماح ومخرزات نحاسية عرضه (١٫٣٠) متر يقع داخل دخلة عمقها (٣٥ر) متر ويعلوه عتبان حجريان من صنجات مزررة بهما طبلة عقد خالية من الزخارف، ثم يعلو هذه الأعتاب شريط الكتابة التأسيسية المشار إليه، وفوقه نافذة مستطيلة بها مصبعات من خشب الخرط، وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص يزين باطنها مقرنصات من ثلاث حطات مقعرة ذات دلايات.

ثم تنكسر الواجهة انكسارها الثالث والأخير المتجه ناحية الشمال إلى مسافة (١٥٫٩٠) متر ويوجد فى واجهة هذا الجزء ثلاث دخلات متشابهة تماما عمق الجنوبية (٣٥ر) متر وعرضها (٢٫١٠) متر وعمق الوسطى (٣٥ر) متر وعرضها (٣٫٥٥) متر أما الشمالية فمقاساتها هى نفس مقاسات الدخلة الأولى (الجنوبية) وتبدأ كل دخلة منها من أسفل بشباك مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية يعلوه عتب من صنجات مزررة فوقه عقد عاتق به طبلة عقد غير مزخرفة، ويلى هذه الأعتاب من أعلى شريط الكتابة التأسيسية ثم نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية متقاطعة، وتنتهى الدخلة من أعلا بمقرنصات مقعرة ذات دلايات فى الدخلتين الأولى والثالثة، وبمقرنصات مضلعة ذات زوايا فى الدخلة الوسطى، ويتوج تلك الواجهة شرافات مسننة أما قاعدة كل دخلة من أسفلها فهى منحدرة إلى أسفل وغير مستوية.

دركاة المدخل :

يفضى المدخل الرئيسى إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٥٫٣٠)متر وعرضها (٣٫٨٠) متر تغطيها قبة ضحلة تقوم على أربع مثلثات كروية مقعرة فرشت أرضيتها بدوائر من الرخام الملون فى صدرها مصطبة عرضها (٢٫٧٠) متر وعمقها (١٫٤٠) متر وارتفاعها (٩٠ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى فى جدارها الشرقى شباك مستطيل عرضه (١٫١٠) متر وعمقه (١٫٥٢) متر به أرماح ومخرزات حديدية وتعلوه داخل العقد نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية متقاطعة.

وفى جدارها الجنوبى يوجد بابان متشابهان عرض كل منهما (٨٠ر) متر يعلوه عقد مدبب، يؤدى الشرقى إلى حاصل يتكون من جزأين مستطيلين يغطى أولهما أقبية متقاطعة ويغطى ثانيهما قبو نصف برميلى، وكان موضع هذا الحاصل على ما يبدو ممرا يفضى إلى الرباط، أما

الباب الغربى من هذين البابين فيؤدى إلى سلم المنارة، كذلك ففى جدار هذه الدركاة الشمالى بابان آخران الغربى منهما عرضه (١٫٢٠) متر ويعلوه عقد مدبب يؤدى إلى ممر منكسر يتجه انكساره الأول ناحية الشمال وهو انكسار سماوى غير مسقوف ويصعد منه بثلاث درجات إلى انكساره الثانى المستطيل وطوله (٥٫٣٠) متر وعرضه (١٫٨٥) متر ويغطيه قبو نصف برميلى، وفى نهاية الجدار الجنوبى لهذا الانكسار الثانى توجد مصطبة عبارة عن دخلة عمقها (٠٫٩٠) متر وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائرى من صنجات حجرية مزررة، ثم ينكسر الممر فى اتجاهه الثالث ناحية الشمال إلى مسافة (١٫١٠) متر، وهذا الانكسار عبارة عن دخلة ذات عقد نصف دائرى بصدرها باب عرضه (١٫٣٠) متر يؤدى إلى منطقة مستطيلة طولها (١١٫٥٠) متر وعرضها (٤٫٨٠) متر يغطيها سقف من كتل خشبية فى وسطه شخشيخة مستطيلة ويحيط بأعلا الجدران أسفل هذا السقف إزار خشبى كانت تزينه – كما فى السقف – زخارف ملونة لم يبق منها إلا بعض الآثار التى تدل عليها(٣٣٢).

وفى جدارها الجنوبى يوجد الشباك المستطيل الذى سبق وصفه عن الحديث عن الانكسار الثانى للواجهة الرئيسية، أما جدارها الغربى فيه ثلاثة شبابيك ذات أوضاع منحرفة سبقت الإشارة إليها أيضا عند وصف الانكسار الثالث والأخير للواجهة، وفى جدارها الشمالى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٫٣٠) متر وعمقها (٠٫٦٠) متر يعلوها عتب من صنجات حجرية مزررة، فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة.

أما جدارها الشرقى فبه فتحة عرضها (٥٫٢٠) متر يعلوها عقد مدبب يقوم على عمودين رخاميين لكل منهما قاعدة و تاج متشابهين على شكل كمثرى، ويحدد عقد هذه الفتحة جفت حجرى لاعب، ولهذه الفتحة واجهة خشبية من خشب الخرط المتقاطع تعلوها حشوة زخرفية قوام زخارفها عناصر نباتية لأوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسطها مدخل عرضه (١٫٣٥) مت يعلوه عقد مدبب على جانبيه وحدات زخرفية نباتية لأوراق وأنصاف مراوح نخيلية، ويعلو العقد شريط من كتابات نسخية نصها:

«وافق الفراغ من هذه القبة والخانقاة فى شهر شعبان المعظم سنة تسع وسبعمائة»

وأعلى هذا الشريط الكتابى توجد لوحة كتابية ذات كتابات نسخية من أربعة أسطر نصها:

١ – بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين، فى جنات وعيون، يلبسون من سندس.

٢ – واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة أمنين، لا.

٣ – يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز.

٤ – العظيم، فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب إنهم مرتقبون»(٣٣٣).

القبة الضريحية: (أنظر: شكل ١٤)

شغلت هذه القبة واجهة الخانقاة بكاملها ويؤدى إليها المدخل الخشبى المشار إليه بالجدار الشمالى للدركاة، وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١١,٣٠) متر أرضيتها مفروشة بالرخام الملون بالأبيض والأسود على هيئة محاريب كما فى المدرسة الطيبرسية، وتقوم فى أركانها الأربعة العليا مناطق انتقال كل منها عبارة عن أربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا تعتبر أول نموذج فى القباب المصرية لمنطقة الانتقال التى تتألف من أربع حطات، ويتوسط الحطة الثالثة من كل منها نافذة مستطيلة ذات عقد مدبب بها زخارف من الزجاج الملون، وتقوم فوق هذه المقرنصات رقبة القبة الدائرية وبها ثمان نوافذ مستطيلة الشكل بكل منها زخارف جصية مخرمة بأشكال نباتية وهندسية خلفها زخارف من زجاج ملون، وتقوم القبة المبنية من الطوب فوق هذه الرقبة وهى خالية تماما من أية زخارف داخلية فيما عدا أربع صفوف من النوافذ ذات الزجاج الملون والجص المخرم بأشكال نباتية وهندسية مختلفة تقع بين كل منطقتين من مناطق الانتقال بواقع صف سفلى به أربع نوافذ يعلوه صف ثان به

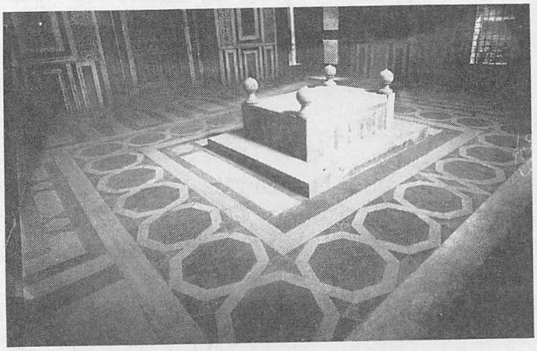

شكل ١٤: الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس) – أرضية القبة وتركيبة الضريح

ثلاث نوافذ يعلوه صف ثالث به نافذتان يعلوه صف رابع به نافذة واحدة، وقد بنى هذا الضريح بناء على وصية المنشئ بعد بناء الخانقاة بعامين ليكون مدفنا يقرأ فيه القرآن بصفة دائمة بالليل والنهار خلافا لما ذكره المقريزى من أنها أعدت لدراسة الحديث(٣٢٤).

ويتوسط جدار هذه القبة الشرقى من الداخل محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٫٥٥)متر وعمقها (١٫٣٠) متر ذات عقد نصف دائرى متراجع يقوم على عمودين رخاميين متشابهين كل منهما مثمن الأضلاع له قاعدة وتاج رمانى الشكل، وتنقسم زخارف هذا المحراب إلى ثلاثة مناطق: السفلية ارتفاعها (١٫٢٠)متر وقوام زخارفها سبعة أشكال لمحاريب يقوم كل منها على عمودين رخاميين دائريين يحملان طاقية المحراب وهى على شكل محارة ذات زخارف مشعة، ويزين واجهة عقود أشكال هذه المحاريب زخارف محفورة بأشكال نباتية من أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسط عقد كل شكل من هذه المحاريب وردة متعددة الفصوص.

وتتألف زخارف المنطقة الثانية فى هذا المحراب من فسيفساء رخامية ملونة عبارة عن خطوط متداخلة تكون أشكال عقود مدببة.

أما المنطقة الثالثة فتبدأ من أسفل بشريط من تسعة محاريب صغيرة تشبه شريط المحاريب فى المنطقة السفلية ثم يعلو هذه المحاريب شريط من كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره»(٣٢٥).

ويزين طاقية المحراب من الداخل زخارف مشعة عبارة عن خطوط سوداء وبيضاء بالتبادل، أما واجهة عقده المتراجعة فيزينها فى مستوييها الخارجى والداخلى زخارف من أوراق نباتية ثلاثية تتداخل فيها ورقة بيضاء فى ورقة سوداء عكسية لها كما هو الحال فى الإطار الذى يحيط بالمنطقة الزخرفية الثانية من هذا المحراب.

وعلى جانبى المحراب توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما مربعة الشكل طول ضلعها (٢٫٢٥) متر يزينها شريطان رأسيان جانبيان بكل منهما زخارف من فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية مختلفة لدوائر ومعينات ومربعات وغيرها ويحصر هذان الشريطان فيما بينهما مستطيلا زخرفيا رأسيا به بلاطة رخامية حمراء يعلوها مستطيل أفقى تتوسطه كتابات نسخية بيضاء

على أرضية سوداء نصها «لا إله إلا الله»تقابلها فى الوحدة الزخرفية الثانية «محمد رسول الله» وقد أحدثت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٩٠٩م) خلف هذا المحراب ممرا للتهوية يتوصل إليه من مدخلين على يمين المحراب ويساره كل منهما على هيئة دولاب بالحائط(٢٣٦).

أما جدار القبلة لهذه القبة على جانبى المحراب من الشمال والجنوب ففيه كتبيتان لكل منهما باب ذو مصراعين من خشب تزينهما أشكال زخرفة هندسية، ويعلو هذا الباب مستطيل رخامى تزينه زخارف من فسيفساء رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية بسيطة مختلفة، كذلك ففى جدار القبة الغربى على جانبى المدخل الخشبى وحدتان زخرفيتان مستطيلتان زخاف كل منهما عبارة عن كلمة «محمد» مكررة بالخط الكوفى المربع، أما جداريها الشمالى والجنوبى فهما متشابهان أيضا، فى ناحية كل منهما الغربية توجد كتبية مستطيلة الشكل يغلق عليها أربعة مصاريع خشبية تزينها نفس زخارف الكتبيتين الموجودتين فى جدار القبلة، ويعلو كلا منهما نفس الشريط الرخامى الذى يعلو الكتبيتين سالفتى الذكر، ويتوسط كلا منهما دخلة عرضها (٣٫١٥)متر وعمقها (٠٫٧٠) متر ترتفع عن أرضية الضريح بمقدار (٠٫٣٥) متر يعلوها عقد نصف دائرى وفى وسطها شباك مستطيل عرضه (١٫٣٠) متر به أرماح مخرزات حديدية يعلوه عتب تزينه زخارف من فسيفساء رخامية ذات أشكال هندسية مختلفة إلا أن الشباك الذى يقابل هذا الجدار الشمالى قد سد بسدة حديثة، هذا وعلى جانبى كل من الشباكين فى هذين الجدارين يوجد مستطيلان زخارفهما من فسيفساء رخامية ذات لونين أبيض وأسود وحداتها هندسية بسيطة لأشكال خطوط ومثلثات.

ويحيط بجدران القبة من الداخل شريطان زخرفيان خشبيان العلوى منهما تزينه زخارف نباتية بارزة لأوراق مختلفة، أما السفلى فقد نقشت فيه كتابات نسخية يبدأ نصها من جدار القبلة بما يلى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين،

واعتدنا لهم عذاب السعير، وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ إن أنتم إلا فى ضلال كبير، وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير، إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير، وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير(٢٣٧).

هذا وكان يحيط بالقبة من الداخل أيضا مثمن كانت تعلق فيه المشكاوات التى تضيئها، أما أسفل جدرانها فتقوم وزرة رخامية ملونة زخارفها عبارة عن أشرطة بالأوان الأبيض والأسود والأحمر، وتتوسطها تركيبة خشبية حديثة تقوم فوق ضريح العارف بالله الشيخ محمد الأمير البغدادى آخر الصوفية بالقبة وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن دفناء الخانقاة.

وفى الجدار الشمالى لدركاة المدخل الرئيسى توجد فتحة باب عرضها (١ر٨٠)متر يعلوها عقد مدبب وتؤدى هذه الفتحة إلى الممر المنكسر الذى يفضى إلى داخل الخانقاة، ويتجه انكساره الأول ناحية الشرق بطول (٤ر٥٠) متر ويغطيه قبو نصف برميلى فى جداره الشرقى شباكا الضريح المشار إليهما عند الحديث عن الجدار الجنوبى للقبة، ثم ينكسر هذا الممر ناحية الجنوب بطول (١ر٩٠) متر ويغطيه قبو نصف برميلى أيضا يتعامد على قبو اتجاهه الأول إلا أن به فتحة سماوية مسطيلة للتهوية والإنارة ..

وفى الجدار الغربى يوجد الشباك المستطيل الذى سبق وصفه عند الحديث عن الجدار الشرقى للدركاة، أما الجدار الجنوبى فبه فتحة باب عرضها (١ر٣٠) متر ذات عقد مدبب يؤدى إلى سلم صاعد يفضى إلى الميضأة يعلوه شباك مستطيل به أسياخ حديدية حديثة، والى الشرق من هذا الباب توجد دخلة عرضها (٩٥ر)متر وعمقها (٥٠ر) متر ذات عقد فارسى يعلوه شباك يشبه الشباك السابق، وخلف عقد هذه الدخلة توجد نافذة مسلوبة للتهوية والإنارة.

أما الانكسار الثالث لهذا الممر فيتجه ناحية الشرق بطول (٩ر٩٠)متر فى جداره الجنوبى شباك مستطيل به مصبعات خشبية سقفه عبارة عن قبو نصف اسطوانى، أما الأرضيات فى هذا الممر فهى من فسيفساء رخامية ملونة ذات أشكال هندسية مختلفة منها المستطيلات والمعينات

والمثلثات والدوائر، وينتهى هذا الممر فى جداره الشرقى بفتحة باب عرضها (٥٠ر١) متر ذات عتب حجرى مزرر يعلوه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة.

الصحن :

يؤدى هذا المدخل المشار إليه إلى صحن غير مسقوف عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (٩٠ر١٩) متر وعرضها (٥٠ر١٦) متر، تحيط به أربعة إيوانات أهما إيوان القبلة فى الناحية الشرقية، يقابله الإيوان الغربى فى الناحية الغربية، اما فى الجهتين الشمالية والجنوبية فيقع الإيوانات الشمالى والجنوبى وعلى جانبى كل منهما حواصل تعلوها خلوات للمتصوفة.

الإيوان الشرقى :

هذا الايوان عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٥ر١٢) متر وعرضها (٩٠ر٩) ترتفع أرضيتها عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠ر) متر يغطيها قبو نصف اسطوانى على جانبيه حنيتان متشابهتان عرض كل منهما (٢٥ر٨) متر وعمقها (١٠ر٣) متر وبنهاية كل منهما تجويف مكشوف على هيئة ملقف للهواء عرضه (٨٠ر٢) متر، ويعلو كل من هاتين الحنيتين قبو نصف دائر، وتؤدى كل منهما إلى دخلة ثانية عرضها (٨٠ر٢) متر وعمقها (١٥ر٢) متر ذات عقد نصف دائرى أيضا يحيط بها جفت لاعب ذو ميمات دائرية على جانبيها شباكان مستطيلان عرض كل منهما (٣٠ر١) متر وعمقه (٥ر) متر ويعلو كلا منهما عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد خالية من الزخارف، هذا وفى جدارى الدخلة الثانية الشرقى والغربى دخلتان أخريان عرض كل منهما (٧٥ر) متر وعمقها (٤٠ر) متر، وهذه الدخلة سماوية غير مسقوفة.

أما جدار القبلة فيتوسطه المحراب وهو عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (٥٠ر١) متر وعمقها (١٠ر١) متر يعلوها عقد دائرى متراجع يحمله عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة وتاج متشابهين كل منهما على شكل بصلى، ولا يزين هذا المحراب شئ من الزخارف اللهم إلا جفتين لاعبين يحددان عقديه المتراجعين وعلى يمينه يوجد منبر خشبى حديث.

الإيوان الغربى :

يقابل هذا الإيوان إيوان القبلة من الناحية الغربية وهو عبارة عن مستطيل طوله (٥٠ر٩١٠متر وعرضه (٤٠ر٩)متر أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠ر)متر وسقفه عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى كل من جدرانه الشمالى والجنوبى والغربى ثلاث دخلات متشابهة عرض كل منها (٥٠ر٣)متر وعمقها (٦٠ر١) متر يعلوها عقد نصف دائرى يحدده إزار حجرى بارز مجدول، إلا أن الدخلة الموجودة بالجدار الغربى بها خلف العقد سقف من عروق خشبية جزؤه الشمالى عبارة عن ملقف للتهوية والإنارة ولها جلسة حجرية مفروشة بالبلاط.

الإيوان الشمالى :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الشمالية للصحن وهو عبارة عن سدلة صغيرة مستطيلة الشكل طولها (٣٥ر٦)متر وعرضها (٣٠ر٦)متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى يفتح فى جدارها الجنوبى على الصحن ثلاث مداخل أحدها رئيسى أوسط عرضه (٠٥ر٢)متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة، ويعلو هذا المدخل نافذة مربعة تقع داخل دخلة يتوجها ثلاث حطات من المقرنصات، وعلى جانبى هذا المدخل مدخلان آخران متشابهان فتحة كل منهما (١)متر يعلوها عتب حجرى من صنجات مزررة فوقة عقد عاتق بينهما طبلة عقد خالية من الزخارف، وفوق العتب نافذة مربعة كان بها خشب مصبعات، تقع كل نافذة منها داخل دخلة ذات عقد زخارفه مشعة يحدده جفت لاعب.

وفى جدار هذا الإيوان الشرقى يوجد محراب بسيط عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٥ر)متر وعمقها (٧٠ر)متر يعلوها عقد مدبب، أما جداره الشمالى فبه دخلة عمقها (٦٠ر)متر وعرضها (٥٠ر٢)متر يغطيها سقف مستو على جانبيها دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٥ر)متر وعمقها (٥٠ر)متر.

وعلى كل من جانبى المدخلين المشار إليهما توجد ثلاث مداخل أخرى تشبهها تماما فى التكوين المعمارى وفيما يعلوها من أعتاب ونوافذ يؤدى كل منها إلى حاصل مستطيل الشكل

طوله (٤٫٣٠)متر وعرضه (١٫٧٥)متر يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى، إلا أن ما يعلو هذه الأبواب الثلاثة من شبابيك يتكون من دورين بكل منهما دخلة بها نافذة مستطيلة يعلوها مقرنصات بعضها مضلعة ذات زوايا وبعضها مقعرة ذات دلايات وبعضها عبارة عن عقد ذو زخارف مشعة.

أما فى الناحيتين الشرقية والغربية على جانبى عقد إيوان القبلة فيوجد بابان متشابهان عرض كل منهما (١٫١٠)متر يؤديا إلى حاصلين يغطى كلا منهما قبو نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هذين البابين عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد يتوسطها نافذة عبارة عن فتحة مستطيلة، ويعلو كل مدخل منهما دخلة ذات عقد مدبب يحدده جفت لاعب بداخله مستطيل زخرفى به عناصر من أوراق نباتية، وفوق الدخلة الأولى توجد دخلة ثانية ذات عقد على شكل ورقة ثلاثية، وأسفل كل من الدخلتين يوجد شباك مستطيل به قوائم وعوارض خشبية حديثة.

ويقابل الباب على يسار عقد إيوان القبلة فى الناحية الغربية باب ثالث يشبه البابين السابقين بتكوينهما وبما فوقهما من دخلتين ويؤدى هو الآخر إلى حاصل يغطيه قبو نصف اسطوانى.

الايوان الجنوبى :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الجنوبية ويشبه الإيوان الشمالى تماما بفتحته الرئيسية وبما حولها من فتحتين جانبيتين، وبما يعلو كلا منها من دخلات أسفلها نوافذ وأعلاها عقود ذات زخارف مشعة ومقرنصات مضلعة ذات زوايا، وبما فى جداره الشرقى من محراب على جانبيه دخلتان، وبما فى جداره الجنوبى من دخلة رئيسية كبيرة تكتنفها دخلتان صغيرتان، إلا أن وجه الاختلاف بين هذا الإيوان وبين الإيوان الشمالى يتخلص فى وجود عقدين كبيرين متشابهين لكل منهما عقد نصف دائرى مسدود من أسفل يفتحان على الميضأة وفى الدخلتين اللتين تكتنفان المحراب فى الجدار الشرقى، وبما فى ذلك أيضا من الحواصل الثلاثة السفلية على كل من جانبى المدخلين الأخيرين، وبما يعلوهما من دورى الخلوات الثانى والثالث التى تتألف من أربع وعشرين خلوة فى الجانب الشمالى ومثلها فى الجانب الجنوبى.

ومن الباب الواقع فى دركاة المدخل الرئيسى الجنوبى يصعد إلى سلم يتجه أولا ناحية الشرق ويغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى من حجرين يعلوان بعضهما كما هو الحال فى سقف سلم الخانقاة الجاولية، ثم يتجه ناحية الشمال فالجنوب حيث يؤدى إلى فتحة باب عرضها (٨٠ر) متر ذات عتب مستو من الخشب تؤدى إلى ممر مستطيل طوله (٧٠ر٢) متر يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جداره الغربى شباك مستطيل عرضه (٨٠ر) متر وارتفاعه (٥٠ر١) متر وهو الشباك الذى سبق وصفه فى جدار دركاة المدخل الشرقى.

وفى جدار هذا الممر الشرقى توجد فتحة مستطيلة عرضها (٣٠ر) متر عبارة عن مزغلة للتهوية والانارة، ويؤدى هذا الممر إلى خلوة مستطيلة يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الغربى شباك مستطيل به مصبعات خشبية يطل على الرحبة السماوية التى تلى المدخل الرئيسى، وفى ركنها الشمالى الشرقى توجد فتحة سماوية غير مسقوفة على يمينها فتحة باب عرضها (٨٠ر) متر وارتفاعها (٣٠ر١) متر تؤدى إلى خلوة ثانية مستطيلة الشكل تتكون من دخلة ذات عق نصف دائرى وسقف نصف اسطوانى تتقدمها رحبة مستطيلة سقفها من الناحية الجنوبية عبارة عن قبو مروحى ومن الناحية الشمالية نصف اسطوانى به منور للتهوية والإنارة.

وبعد أربع انكسارات يؤدى السلم فى انكساره الأخير المتجه إلى الغرب إلى فتحة باب تعلو الفتحة فى الدور السابق عرضها (٩٠ر) متر ذات عتب حجرى مستو تؤدى إلى رحبة مستطيلة الشكل بها السلم ذو الاتجاهات الثلاثة المؤدى إلى المئذنة.

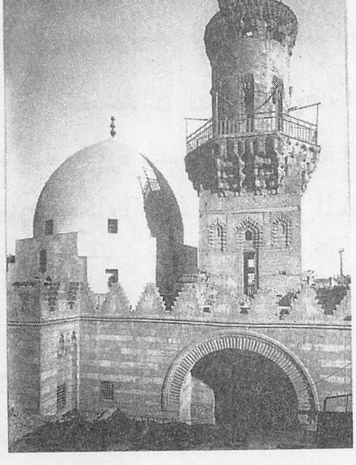
شكل ١٥ : الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس)
المئذنة والقبة وجزء من الواجهة.

المئذنة : (أنظر شكل : ١٥)

بنيت مئذنة هيه الخانقاة من الطوب فى ثلاث دورات تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها (٥٠ر٣) متر، ويلتف سلم المئذنة حول هذه القاعدة على عكس ما هو مألوف فى المآذن المصرية التى اعتاد المعمار أن يجعل سلمها الحلزونى فى وسطها، وتتكون الدورة الأولى من بدن مربع الشكل فى كل ضلع من أضلاعها الأربعة توجد نافذة مستطيلة يعلوها عتب حجرى مستو

وفوقها عقد مدبب تزينه مقرنصات مضلعة ذات زوايا، ويكتنفه من الجانبين حنيتان متشابهتان لكل منهما عقد مدبب تزينه أيضا زخارف المقرنصات، ويعلو كل جانب من جوانب هذه الدورة الأربعة مقرصات مضلعة ذات زوايا تتكون من أربع حطات فوقها دورة خشبية حديثة.

أما الدورة الثانية فهى ذات بدن مثمن الأضلاع بها ثمان دخلات متشابهة ويعلوها حطات لمقرنصات مضلعة ذات زوايا تساقط معظمها، وتنتهى هذه الدورة بمقرنصات أخرى مضلعة ذات زوايا تتخللها ثمان فتحات مستطيلة نافذة.

أما الجوسق الذى يعلو هذه الدورة فيقوم على ثمان أكتاف حجرية يعلو كل كتفين منها عقد مدبب، وينتهى هذا الجوسق من أعلا بحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، وتتوجه خوذة مضلعة تتألف من مجموعة من المخدات المتجاورة، وقد اقتبست خوذة هذه المئذنة من مباخر العصر الأيوبى، فنجد مثيلا لها فى مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين، وفى مئذنة زاوية الهنود، وفى مئذنتى جامع الحاكم اللتين جددهما بيبرس الجاشنكير سنة (٧٠٣هـ)، وترجع اهمية هذه الخوذة بالإضافة إلى ذلك كله إلى أنها لازالت تشتمل فى الجهة الجنوبية الغربية منها على ست بلاطات من القاشانى، وتلتها فى ذلك مئذنة الناصر محمد بالقلعة، ويوجد بمرقى سلم هذه المئذنة مسكن علوى لشيخ الخانقاة تتكون من غرفتين إحداهما مستطيلة تطل على الصحن والأخرى شبه مربعة تطل على الدهليز، وقد سدت بعض فتحات هذا المسكن الداخلية(٣٣٨).

خلوات الصوفية: (أنظر شكل: ١٦)

تقع خلوات الصوفية بهذه الخانقاة فى الناحية الشرقية والجزء الشرقى من الناحية الشمالية، أما الناحية الجنوبية فكلها متهدم ومن غير الممكن الصعود إليها أو وصفها.

وتشير وثيقة الخانقاة إلى أنها كانت تشتمل فى ثلاث طوابق على مائة خلوة أو مسكن للمتصوفة المقيمين بها بصفة دائمة، وقد دخلت غالبية هذه الخلوات للأسف ضمن المبانى الحديثة المجاورة وما بقى

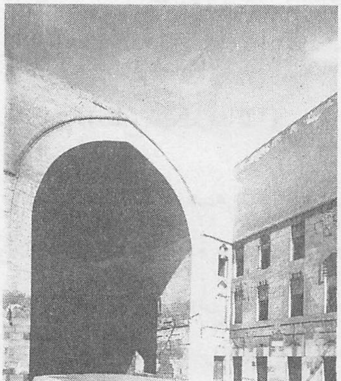
شكل ١٦: الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس)
حواصل مطلة على الصحن

منها حاليا لا يتعدى إحدى عشرة خلوة منها خلوتان تكتنفان إيوان القبلة طول كل منهما (٣٫٥٠)متر وعرضها (٢٫٢٠)متر، وخلوة غير منتظمة فى الركن الشمالى الغربى من الخانقاة، وخمس خلوات تكتنف لإيوان الشمالى أو المجلس البحرى، وثلاث خوات شرق الإيوان الجنوبى أو المجلس القبلى، أما غرب هذا الإيوان فقد اندثرت كل خلواته تماما ولم يبق منها إلا المداخل فقط.

والواقع أن هذه الخلوات لم تكن هى كل ما اندثر من هذه الخانقاة وإنما اندثرت منها أيضا بقية ملحقاتها الكثيرة التى كانت تشتمل على المطبخ والمخبز والمغسل وحظائر الدواب ونحوها وكان مطبخ هذه الخانقاة عامرا يطهى فيه اللحم والخضروات يوميا كما تعمل فيه الحلوى شهريا بالإضافة إلى التوسعات التى كانت تقرر للصوفية فى المواسم والأعياد.

٦ – ترميمات الخانقاة :

مما لا شك فيه أن هذه الخانقاة كانت موضع رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ عصرها المبكر فى سنة (١٨٩١م) وظل هذا الاهتمام ساريا حتى سنة (١٩٠٩م) وخلال هذه الفترة المديدة أجرت اللجنة فى تلك الخانقاة العديد من أعمال الترميم والصيانة التى كان لها الفضل الأكبر فى استمرار المحافظة على هذا الأثر الفريد الذى قيل عنه فى أول تقرير للقومسيون الثانى للجنة المشار إليها أنه ذو وضع لطيف وغريب وتعلوه قبة جميلة بداخلها زخرفة عظيمة من رخام (بوليكروم) برسومات نفيسة غير عادية، ولذلك يرى هذا القومسيون ضرورة أن يقوم المسيو هرتس بعمل المقايسة اللازمة لإصلاحه(٣٣٩).

وبناء على أهمية هذه الخانقاة قامت اللجنة فى سنة (١٨٩٢م) بإجراء أعمال تقوية وصيانة لقبتها بلغت تكاليفها (–ر١٥٥٠)جنيها تحملت اللجنة منها مبلغا قدره (–ر١٢٧٠)جنيه وتحملت الأوقاف الباقى وقدره (–ر٢٨٠)جنيها(٣٤٠)، وقد خصص هذا المبلغ الكبير فى حينه لأعمال ترميمية كثيرة انحصرت فى إصلاح ما كان قد تفكك من رخام الحوائط الفاخر الذى كان بارتفاع (١٣٫٦٠)متر عن طريق الفك والرد بعد تنكيس هذه الحوائط بالمونة المائية المركبة من الجير والحمرة، وكذا تجديد رخام الأرضية من جنس ما بقى منه، وتكميل الشبابيك الجصية ذات الرسومات الدقيقة البديعة، وتجديد سقف الطرقة الواقعة تجاه القبة، وتنظيف التكسية النحاسية للباب العمومى مع كمال الفاقد منها وإصلاح الأرضية أسفل باب الدخول وقد وزعت هذه الأعمال على النحو التالى:

بيان الاعمال	على الأوقاف		على اللجنة		جملة	
	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه
(أ) هدم وبناء ونجارة	٦٧٦	٢٥٣	٥٥٥	٣٩٢	٢٣١	٦٤٦
(ب) رخام أجناس	–	–	٦٧٩	٥٥٠	٦٧٩	٥٥٠
(د) النحاس	–	–	–	٢٢٠	–	٢٢٠
احتياطي وملاحظة	٣٢٤	٢٦	٧٦٦	١٠٦	٠٩٠	١٣٣
الإجماليات	–	٢٨٠	–	١٢٧٠	–	١٥٥٠

كذلك فقد رأت اللجنة ضرورة أن يقوم ديوان الأوقاف بإزالة الدكاكين التى بنيت تجاه الشبابيك الأربعة، ونزع ملكية المحلات التى بنيت لصق حائط الأثر من الجهة البحرية للقبة، وهدم المصطبة التى بنيت لصق الحائط البحرى تجاه المنارة ومطالبة نظارة الأشغال بتسوية ميزانية أرضية الشارع لتتناسب مع عتبة الأثر[٣٤١].

وفى سنة (١٨٩٤م) صوفت اللجنة مبلغا قدره (–ر١٢٠) جنيها لتجديد الكسوة الرخام والأرضية والنجارة بداخل الضريح بالإضافة إلى أشغال النحاس والنجارة اللازمة لباب الخانقاة[٣٤٢]، وفى نفس السنة صوفت اللجنة أيضا على أشغال الرخام المؤزر لجدر الخانقاة مبلغا قدره (–ر٧٠٠) جنيه[٣٤٣].

وفى سنة (١٨٩٦م) أجرت نظارة الأشغال تسوية الشارع الكائن أمام الخانقاة حتى منسوب عتبة الباب العمومى، ولما قامت اللجنة بإصلاح أرضية الخانقاة على وزن فتحة البوابة أتضح أن أرضية الشارع يجب أن تخفض مرة ثانية بمقدار (٢٤ر)متر فأخطرت نظارة الأشغال لخفض منسوب الشارع للمرة الثانية حتى يتلاءم مع منسوب أرضية الخانقاة[٣٤٤].

وفى سنة (١٨٩٨م) صرفت اللجنة على ترميم قبة الخانقاة مبلغا قدره (٩٠٨ر٩٢٦)جنيه

دفعت اللجنة منها مبلغا قدره (٦٦٦ر٣٣٠)جنيه ودفعت الأوقاف باقى المبلغ المطلوب لهذا الترميم وقدره (٢٦٠ر٥٧٨)(٣٤٥).

وفى سنة (١٨٩٩م) أخبر ديوان عموم الأوقاف اللجنة بأنه هو الناظر الحالى على وقف السلاحدار التابع له الوكالة المسدود بحائطها الشباك البحرى من ضريح الخانقاة، وأنه لمضى (٤٥)سنة على هذه الحائط فإنه من غير الممكن هدمها لفتح الشباك المشار إليه، فقدم هرتس بك مشروعا للتخيلية يقضى بإزالة الحائط المحكى عنه وبناء حائطين خلافها من الجهتين وقدر لذلك مبلغا قدره (٤٠ر–)جنيها فأقر القومسيون هذا المشروع(٣٤٦)، وفى نفس السنة المشار إليها ورد فى محاضر جلسات اللجنة أن هذه الخانقاة خصها من الأعمال المقررة لترميم الآثار مبلغا قدره (٥١٧ر٧٢٩)جنيه رغم أنه لم يرد فى ذلك على أية ترميمات بالخانقاة صرف هذا المبلغ(٣٤٧).

وفى سنة (١٩٠٨م) وافق القسم الفنى للجنة على المقايسات والشروط التى تم طرحها لإجراء الأعمال الترميمية ببعض الآثار التى أدرجت فى خطة الترميم، وقد خص هذه الخانقاة منها مبلغا قدره (٢٨ر–)جنيه تقرر صرفها على تجديد مبانى سبيل وقف بيبرس الجاشنكير، وكان هذا السبيل بحذاء الخانقاة فى شارع الجمالية، وقد أدمج ضمن أوقافها رغم أن مشيده هو الأمير قيطاس وقد بناه بعد مضى قرن ونصف من الزمان على بناء الخانقاة وخصص بعض ريع الأعيان التى أوقفها على الخانقاة لصيانة هذا السبيل الذى كان خارجا عن باب الدرب الأصفر بنحو (١ر٥٠) متر وهو خروج يكفى لتكوين واجهة ثانية ضيقة بها من أسفل شباك السبيل فى الدور الأرضى وقوس الكتاب فى الطابق العلوى، أما الواجهة الأخرى فكانت أكثر اتساعا وكانت تلاصق بيتا مجاورا تم هدمه، وكان يعلو هذا السبيل فى القديم طابق ثالث لم يبق منه إلا الكوابيل والماوردة التى تحملها.

وقد تم ترميم هذا السبيل بشكل غير جيد فى فترة زمنية سبقت لجنة حفظ الآثار العربية مما اضطر هذه اللجنة إلى هدم واجهته وإعادة بنائها بنفس المواد التى كانت مستعملة فيها ويشتمل إفريز سقف هذا السبيل على الكتابات التالية :

أمير اللوا قيطاس بك الذى علا   ورب السما بالفضل فى مصر أظهره

بنى مكتبا لله قصد ثوابه   وخير سبيل قد سقى الناس كوثره

لقد قلت فيه مادحا ومؤرخا   سبيل فريد الحسن قيطاس عمره

ورغم أن مجموع جمل حروف الشطرة الأخيرة يشير إلى أن تاريخ بناء هذا السبيل هو سنة (١٠٤٠هـ) فإن هذه الإشارة كانت على ما يبدو غير صحيحة لأن الأمير قيطاس كان من رجالات القرن الثانى عشر الهجرى حيث كان قد عين سنة (١١٤٢هـ) – طبقا لما ذكره تقرير اللجنة نقلا عن الجبرتى – أميرا لركب المحمل ومات بمنى ودفن بها(٣٤٨).

وفى سنة (١٩٠٩م) رأت اللجنة أنه لتعذر كشف الشباك البحرى من تربة الخانقاة بسبب ركوب مبانى الوكالة المجاورة لها والتابعة لوقف السلاحدار لمنع الرطوبة عن تلك القاعة تم فتح منافذ وراء الدواليب ليتجدد الهواء على الدوام وقرر لذلك مبلغا قدره (–٫٦٠)جنيها فوافق القسم الفنى على هذا المشروع وعلى المقايسة التى أعدت له(٣٤٩).

وخلاصة ما يمكن ملاحظته على ما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية فى هذه الخانقاة من أعمال ترميمية شملت معظم جوانبها المعمارية والفنية فى القبة والخانقاة والسبيل أن مجموع ما صرفته اللجنة على هذه الأعمال بلغ مبلغا قدره (٤١٩٤٫٦٣٧) أربعة آلاف ومائة وأربعة وتسعين جنيها وستمائة وسبعة وثلاثين مليما، وهو مبلغ إذا ما قدرت قيمته بقيمة النقد فى ذلك الحين الذى أجريت فيه الترميمات لأمكننا أن نعرف حجم ما قامت به اللجنة من جهد وما بذلته من مال من أجل إصلاح هذه الخانقاة وإرجاعها إلى الصورة المشرقة التى كانت عليها عند بنائها.

٥ – الخانقاة المهمندارية أحمد

٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م

أثر رقم : ١١٥

تقع هذه الخانقاة خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردانى، والذى بناها هو الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار سنة (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م).

وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية أثرية، فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة:

الواقع أن ما وصلنا عن تاريخ هذه الخانقاة ليس بالوفرة التى وصلتنا عن الخانقاوات السابقة ولا سيما الصلاحية والجاشنكيرية والجاولية، وقد انحصرت معلوماتنا فى هذا الصدد فيما ذكره كل من المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وعلى باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م).

يقول المقريزى وقد ذكرها مرة فى الخانقاوات ومرة فى المدارس أنها تقع خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل، ويعرف خطها بخط جامع الماردانى خارج الدرب الأحمر، وهى تجاه مصلى الأموات على يمنة السالك من الدرب الأحمر طالبا جامع الماردانى، ولها باب

آخر فى حارة اليانسية، وقد بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاة وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى إلى جانبها القيسارية والربع(٣٥٠).

أما على باشا مبارك فقد سماها «زاوية المهمندار» وقال أنها بخط البرادعية من الدرب الأحمر بين جامعى الماردانى وأبى حربة (قجماس الإسحاقى) ولها بابان أحدهما على الشارع والآخر على حارة اليانسية وكان أصلها مدرسة تعرف بالمدرسة المهمندارية لأن الذى بناها هو الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المهمندار سنة (٧٢٥هـ) وجعلها مدرسة وخاناة ثم أضاف أنه فى سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م) جدد بها سليمان أغا القازدغلى منارة ومنبرا، وهى عامرة مقامة الشعائر وفيها المنبر يخطب عليه للجمعة والعيدين ولها مطهرة وأخلية ومنارة ولها أوقاف تحت نظر الديوان(٣٥١).

والذى لا شك فيه أن ذكر كل من المقريزى وعلى باشا مبارك لهذه الخانقاة بالمدرسة أمر لا غرابة فيه لأن وظيفة المنشأتين (الخانقاة والمدرسة) لم تكن تختلف كثيرا، فكلاهما تقام فيه شعيرة الصلاة وما يستتبعها من خطبة وجماعة، وكلاهما تدرس فيه علوم الدين وما تقتضيه من ضرورة تواجد العلماء والفقهاء والدارسين، ولا تزيد الخانقاة عن المدرسة إلا فى وجود الصوفية المقيمين المنقطعين للزهد والتصوف.

٢ – منشئ الخانقاة :

يقول ابن حجر فيما ذكره من ترجمة مختصرة لمنشئ هذه الخانقاة أنه «احمد بن أقوش العزيزى نقيب الجيوش بالقاهرة ولى المهمندارية ومات فى ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة»(٣٥٢).

٣ – موظفوا الخانقاة :

انحصرت معلوماتنا عن موظفى هذه الخانقاة فقط فى شيوخها ودارسيها، وقد حفظ لنا السخاوى فيما ذكره فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م)، ثلاث تراجم تخص أولاها أحد

شيوخ المهمندارية، وتخص ثانيتها أحد شيوخ إعادتها وتخص ثالثتها أحد الدارسين فيها.

فذكر لنا فى الترجمة الأولى إبراهيم بن محمد إبراهيم الأمير صارم الدين بن القاضى نجم الدين البشبيشى المولد، المصرى الشافعى المهمندار، الذى عرف بابن الشهيد، ولد سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بمدينة بشبيش حين كان أبوه كاتب سرها ثم انتقل إلى القاهرة فأكمل حفظ القرآن والعمدة وسمع الصحيح، وولى المهمندارية سنة عشرين وثمانمائة فدام فيها مدة إلى أن مات فى سابع عشر ذى الحجة من السنة المذكورة بالقاهرة(٣٥٣).

وذكر فى الترجمة الثانية إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن الزينى المغربى أبى هريرة الذى ولد فى تاسع رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وولى الإعادة بالمهمندارية(٣٥٤).

وذكر فى الترجمة الثالثة على بن سليمان الطيبى الذى أخذ عن الولى العراقى وكان يدرس بالمهمندارية ويسكن بالبياطرة قرأ عليه الشمس الفارسكورى فى سنة خمس وأربعين (وثمانمائة)(٣٥٥).

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٩)

تقع هذه الخانقاة – كما قلنا – بشارع التبانة بين جامع المارداني ودرب اليانسية بالدرب الأحمر، وقد أنشأها شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار للصوفية الحنفية، وتشغل الخانقاة فى الوقت الحاضر مساحة صغيرة من الأرض لا تمثل مساحتها الأصلية نظرا لضياع معظم ملحقاتها ضمن الأبنية الحديثة المجاورة، وتتكون هذه الخانقاة من مدخل بديع غنى بالزخارف المختلفة، ومن ضريح ذى القبة

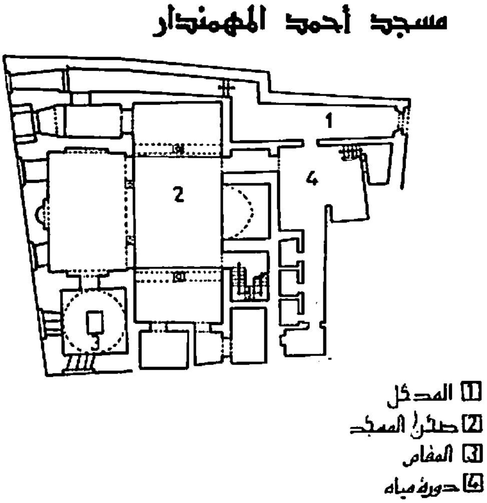

لوحة ٩ : الخانقاة المهمندارية (احمد)
أثر رقم ١١٥ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) – مسقط أفقى

صغيرة مضلعة من الخارج، خلفها صحن غير سماوى تتعامد عليه أربعة إيوانات، بالإضافة إلى ساحة خربة كانت تشتمل على المرافق التى لم يبق منها إلا بعض الشواهد الدالة عليها، وفيما يلى وصف أثرى لما بقى من عمارتها وما يزينه من زخارف.

الواجهة والمدخل: (أنظر شكل: ١٧)

تطل الواجهة الرئيسية لهذه الخانقاة على الناحية الشرقية بطول (٢١,٧٠) متر وتضم مع المدخل الرئيسى خمس دخلات رأسية ضحلة ترفع إلى أعلى جدار الواجهة وينتهى كل منها بمقرنصات متنوعة متقنة تتخللها فتحات من دورين تتميز الفتحات السفلية منها بوجود مدماكين باتساعها واستطالتها وبوجود أعتاب حجرية وعقود عاتقة سد اثنان منها جزئيا، أما الفتحات العلوية التى تعلو الطراز الكتابى بمقدار مدماكين فعبارة عن فتحات قنديلية يتكون كل منها من فتحة مزدوجة بينها عمود صغير من الرخام، وقد كسيت واجهات تلك الفتحات بالرخام الأبلق، وبين التجويفين الأول والثانى جهة الشمال والتجويف الثالث عقد مقرنص أصم، أسفله قمرية مستديرة، أما الطراز فيبدأ خلف الجنب الشمالى للواجهة ثم يتجاوزها ليمضى مجتازا حنية المدخل والجانب الجنوبى الشرقى لها.

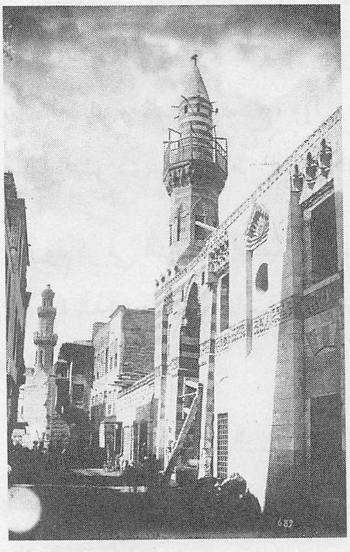

شكل ١٧ : الخانقاة المهمندارية (احمد)
اثر رقم ١١٥ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) – الواجهة والمئذنة

ومعنى ذلك أن الجانب الأيسر من هذه الواجهة يشتمل على دخلة عرضها (١,٣٠) متر وعمقها (٢٥,) متر كان بها من أسفل شباك مستطيل مسدود تعلوه نافذة قنديلية من غير قمرية يحمل عقديهما النصف دائريين بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية عمود رخامى مثمن الأضلاع وتنتهى الدخلة من أعلى بثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

أما الجانب الأيمن فبه ثلاث دخلات متشابهة تشبه الدخلة الموجودة على الجانب الأيسر

بما فيها من شباك سفلى به أسياخ حديدية متقاطعة وبما يعلوه من عتب مستطيل فوقه عقد عاتق تعلوه نافذه قندلية يتوجها مقرنصات ذات زوايا من ثلاث حطات، إلا أنه فى المنطقة بين الدخلتين اللتان تليان المدخل توجد دخلة غير واصلة للأرض بها قمرية دائرية يعلوها عقد مدبب زين بزخرفة مشعة.

ويمتد بامتداد هذه الواجهة شريط من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»⁽٣٥٦⁾ امر بإنشاء هذه التربة والمسجد المبارك من خالص ماله مما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة والرغبة فى عمارة بيوت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد المهمندار⁽٣٥٧⁾ نقيب نقباء الجيوش المنصورة الناصرية إذ يقول تقدس وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب⁽٣٥٨⁾، وذلك فى شهر المحرم سنة خمس وعشرين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله» وتنتهى الواجهة كلها بصف واحد من الحنايا الصغيرة التى تعلوها شرافات حجرية مزخرفة.

أما الجانب الشمالى لهذه الخانقاة ففيه دخلة خامسة تشبه باقى الدخلات بالواجهة الشرقية المشار اليها.

أما المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة الذى كسيت واجهته بالحجر والرخام الملون فيقع فى الجانب الجنوبى للواجهة الشرقية داخل دخلة عرضها (٢٫٥٥)متر وعمقها (١٫٣٥)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٠٫٥٠)متر وارتفاعها (٠٫٦٠)متر يحيط بها جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما عرض المدخل فهو (١٫٤٠)متر ويعلوه عتب مستو نقشت فيه زخارف مزررة

لأوراق نباتية متداخلة باللونين الأبيض والأسود، وفوق هذا العتب المستطيل عقد عاتق من صنجات مزررة بينهما طبلة عقد غير مزخرف، ويعلو العقد العاتق قمرية دائرية بها مصبعات خشبية، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زينت بواطنه بمقرنصات ذات زوايا من أسفل وذات دلايات من أعلا، وعلى جانبى الفص العلوى توجد نافذتان صغيرتان مستطيلتان بكل منهما مصبعات خشبية تقع كل منها داخل دخلة تنتهى بعقد على شكل ورقة ثلاثية.

ويمتد على جانبى هذا المدخل إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بأشرطة رخامية بيضاء على أرضية سوداء بطريقة التنزيل أو التلبيس نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين»[٣٥٩].

دركاة المدخل:

يؤدى مدخل الخانقاة المشار إليه إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤٫٣٠) متر وعرضها (٢٫١٠)متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وسقفها خشبى مستو على هيئة مربوعات مغلفة بفروخ مدهونه وألواح مستوية تزينها زخارف بالطلاء لعناصر نباتية وهندسية مختلفة فى جانبها الجنوبى مدخل عرضه (١٫٢٠)متر يفضى إلى منطقة خربة، وفى صدرها مدخل ثان عرضه (١٫٤٠)متر تعلوه نافذة مستطيلة يؤدى مباشرة إلى الإيوان الجنوبى للخانقاة.

الصحن والإيوانات:

يشغل صحن هذه الخانقاة مساحة مستطيلة طولها (٧٫٧٠)متر وعرضها (٥٫٩٠) متر، وقد فرشت أرضيته ببلاطات من الحجر الجيرى، وغطى بسقف خشبى حديث يتوسطه مربع رأسى للتهوية والإنارة عبارة عن شخشيخة مستحدثة.

الإيوان الجنوبى:

فى صدر دركاة المدخل باب عرضه – كما قلنا – (١٫٤٠) متر تعلوه نافذة مستطيلة

يؤدى مباشرة إلى هذا الإيوان وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٥٫٨٠)متر وعرضها (٣٫٨٠)متر يتكون من بلاطة واحدة يغطيها سقف خشبى مجدد، ،يفتح هذا الإيوان على الصحن بعقدين مدببين يحملهما بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشرقية والغربية عمود رخامى دائرى البدن يقوم على قاعدة مستطيلة ويعلوه تاج على شكل ورقة الأكنش.

الإيوان الشمالى :

يشبه هذا الإيوان الإيوان الجنوبى تماما فيما عدا أن جداره الشمال يشتمل على بابين متشابهين عرض كل منهما (٫٩٥)متر يؤدى كل منهما إلى خلوة مستطيلة الشكل يغطيها سقف خشبى، وبالجدار الغربى للخلوة الجنوبية باب آخر عرضه (٫٩٥)متر يؤدى إلى خلوة ثالثة متداخلة ذات شكل مستطيل أيضا يغطيها سقف خشبى يشبه سقفى الخلوتين المشار إليهما، أما الباب الشمالى فيؤدى إلى خلوة رابعة مستطيلة الشكل يغطيها سقف خشبى مشابه لبقية السقوف، ومن ذلك يتضح أن مساكن الصوفية كانت تقع أساسا خلف هذا الإيوان وقد تلاشى أمرها كما تلاشى أمر مطبخها وحظائرها.

الإيوان الغربى :

هذا الإيوان عبارة عن دخلة (سدلة) عرضها (٣٫٧٥)متر وعمقها (٣٫٣٠)متر، تفتح على الصحن بعقد نصف دائرى كبير، ويشتمل على دكة للمبلغ تقوم على سقف من عروق خشبية ولها دروة تتكون من سبع حشوات من خشب الخرط، كما تشتمل فى ناحيتها الشمالية والجنوبية على بابين متشابهين عرض كل منهما (١٫١٠)متر.

الإيوان الشرقى :

يشغل هذا الإيوان مساحة مستطيلة طولها (٧٫٨٠) متر وعرضها (٥٫٨٠)متر تفتح على الصحن بثلاثة عقود تتكون من عقد أوسط ذو عتب خشبى مستو يكتنفه عقدان جانبيان مدبيان، ويحمل هذه العقود بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية عمودان رخاميان دائريان يعلو كلا منهما تاج على شكل ورقة الأكنش ويغطى هذا الإيوان سقف من كتل خشبية كان يزينها ويزين المناطق فيما بينها زخارف مدهونة لعناصر نباتية وهندسية مختلفة، كما يحيط به أعلى

الجدران إزار خشبى نقشت فيه نفس الزخارف المشار إليها فى الإيوانات السابقة بالإضافة إلى كتابات نسخية ضاعت غالبية معالمها.

ويتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (١٠ر١)متر وعمقها (٦٠ر)متر ذات عقد نصف دائرى يحمله عمودان دائريان تعلوه قمرية تزينها زخارف من زجاج ملون على جانبيها شباكان مستطيلان بهما نفس الزخارف الزجاجية الملونة بأشكال نباتية وهندسية مختلفة، وعلى جانبى هذا المحراب شباكان مستطيلان عرض كل منهما (٤٠ر١)متر وعمقه (٩٥ر٥)متر لكل منها عتب مستو، أما جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى فبكل منهما دخلة عرضها (٧٥ر٢) متر وعمقها (٣٠ر) متر يعلوها عتب خشبى مستو تزينه نفس الزخارف النباتية والهندسية، إلا أنه يتوسط دخلة الجدار الشمالى مدخل عرضه (١٠ر١) متر ذو عتب حجرى مستطيل يؤدى إلى الضريح.

وعلى يمين المحراب يوجد المنبر ويقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٨٠ر٢)متر وعرضها (٩٠ر) متر تقوم فوقها ريشتان يزينهما من أسفل مثلث كبير به خطوط متداخلة تعلوه سبع حشوات من خشب الخرط وله باب تعلوه حشوة كتابية تثبت أنه صنع لهذه الخانقاة سنة (١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) على يدى أحمد المخلص صانع الأخشاب المعروف.

القبة:

يتوصل إلى هذه القبة من فتحة باب فى الجدار الشمالى لإيوان القبلة وهى عبارة عن حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٣٥ر٤)متر تغطيها قبة تقوم على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من حطتين من المقرنصات المعمولة على شكل حنايا ذات عقود مدببة، إثنان فى أسفل وثالثة فى أعلى، أما رقبة القبة فبها ست عشر نافذة تشبه النوافذ الموجودة بين مناطق الانتقال، وفيما عا ذلك فليس فى القبة من الداخل أى نوع من الزخارف.

أما جدرانها ففى الجدار الشرقى منها نافذة مستطيلة من أسفل يعلوها شباك مستطيل به زخارف جصية مخرمة تتكون من شجرة سرو مما يثبت أنها مجددة فى زمن لاحق خلال العصر العثمانى، ويشبه الجدار الشمالى الجدار الشرقى بنافذته السفلية وشباكه العلوى، وتتوسط أرضية

هذه القبة تركيبة رخامية ذات شكل مستطيل طولها (١٫٥٠)متر وعرضها (١٫٠٥)متر ذات جوانب أربعة تعلوها أربع بابات نقشت فى جوانبها الشرقية والغربية والشمالية آية الكرسى وفى جانبها الجنوبى المرمم نص إنشاء التركيبة وتبدأ كتابات هذه الجوانب الأربعة بعد البسملة بقوله تعالى «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم»[٣٦٠] كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور[٣٦١] هذا ما أعد فى حياته العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد أمير مهمندار وأمير نقباء الجيوش المنصورة الناصرى ولد الجناب المهمندار تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته برحمة منه».

القبة من الخارج :

من الباب الشمالى بجدار الصحن الغربى يفضى إلى سلم يؤدى بعد انكسارات ثلاثة إلى مدخل عرضه (٫٨٥)متر يوصل إلى دكة المبلغ، وبعد ستة انكسارات أخرى إلى السطح حيث القبة فى الركن الشمالى الشرقى للخانقاة وهى من الخارج ذات بدن مضلع كان يحيط برقبتها شريط من كتابات نسخية بارزة نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا[٣٦٢] وهذه الكتابات فى حالة سيئة وكثير منها ضائع.

المئذنة :

تقوم مئذنة هذه الخانقاة فى الركن الجنوبى الشرقى، وهى مئذنة صغيرة جددت فى عصر لاحق يغلب على الظن أنه العصر العثمانى، وقد شمل هذا التجديد بالإضافة إلى المئذنة نوافذ الجدار الشرقى للقبة التى ملئت بجص مخرم على هيئة شجرة السرو التى كانت من أخص سمات الفن فى العصر العثمانى.

ملحقات الخانقاة :

من مدخل جنوبى فى جدار الصحن الغربى يفضى إلى رحبة مستطيلة طولها (٣٠ر٢)متر وعرضها (٦٠ر١)متر ذات سقف خشبى مستو بصدرها مدخل عرضه (١٠ر١) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى منطقة مستطيلة يتقدمها من الناحية الغربية سلم ينتهى بفتحة عرضها (٨٠ر)متر تؤدى إلى حجرة مستطيلة يغطيها سقف خشبى مجدد فى جانبها الشمالى حوض مستطيل إلى الجنوب منه بئر مثمنة الأضلاع، وفى الجانب الشمالى من هذه المنطقة ممر مستطيل به أربع دورات مياة متشابهة مجددة، أما فى جدارها الجنوبى فيوجد باب مجدد يفضى إلى استطراق مستطيل فى ناحيته الغربية مدخل مجدد وفى ناحيته الشرقية فتحة فى الجدار الجنوبى مما يشير إلى ان هذه المنطقة كانت عبارة عن ميضأة ودورة مياه.

٥ – ترميمات الخانقاة :

نالت الخانقاة عناية كبيرة من لجنة حفظ الآثار العربية استهدفت من خلال الترميمات المعمارية والفنية التى أجريت فيها أن تعيد الخانقاة إلى ما كانت عليه من كمال عمارة وجمال زخرف، وقد صرفت اللجنة على هذه الأعمال أموالا كثيرة ويمكن حصر هذه الأعمال فيما يلى:

فى سنة (١٨٨٤م) قامت اللجنة بصرف مبلغ قدره (٥٠١ر٤١)جنيه على ترميم الجزء الأسفل من المئذنة وأكتاف الباب الكائن فى الواجهة الشرقية وهدم وبناء الواجهة الشرقية وبعض الأجزاء الداخلية، وترميم الأكتاف التى ترتكز عليها القبة مع إبقاء الأحجار السليمة وتغيير التالف، كذلك تجديد جميع الأحجار المنحوتة ولا سيما المكتوب والمنقوش منها وسد شبابيك الضريح بأحجار نحت جيدة وترميم الأعمدة والرخام والسقف(٣٦٣).

وفى سنة (١٨٨٦م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (–ر٤٥٤)جنيه على ترميمات بهذه الخانقاة لم نستطع تحديدها(٣٦٤)، وفى سنة (١٨٨٧ – ١٨٨٨م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (–ر٥٠)جنيه على ترميم المنزل الملاصق لهذه الخانقاة(٣٦٥). وفى سنة (١٨٨٨م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٢٢٠ر١٩٠)جنيه على أعمال ترميمية بالخانقاة لم تحدد(٣٦٦).

وفى سنة (١٨٨٩م) تم تقسيم مبلغ (–ر٢٣١٣)جنيه على أعمال ترميمية قامت بها اللجنة وخص الخانقاة المهمندارية من هذا المبلغ ما قدره (–ر٥٠)جنيها شريطة أن تتحمل الأوقاف

مبلغا قدره (٢٥٠ر–)جنيه وبذلك يصبح إجمالى ما صرف على الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (٣٠٠ر–)جنيه تم صرفه على تجديد واجهة الخانقاة والمدخل العمومى والمئذنة مع التحفظ على ما فيها من زخارف وأجزاء قديمة(٣٦٧)، وفى سنة (١٨٩٠م) تم ترميم رخام الخانقاة وشبابيكها الجبس وبلغ إجمالى ذلك مبلغا قدره (٣٥٠ر–) جنيها خص اللجنة منها خمسون جنيها وخص الأوقاف ثلاثمائة جنيه(٣٦٨).

وفى سنة (١٨٩٢م) صرفت اللجنة من حساب الأوقاف مبلغا قدره (٣٢ر٤٨٨)جنيه على أعمال ترميمية لم تحدد(٣٦٩)، كذلك فقد تم فى نفس السنة المشار إليها أن صرفت اللجنة من حساب الأوقاف أيضا مبلغا قدره (١٠٠ر–)جنيه فى أعمال ترميمية شملت إصلاح المدخل العمومى وبعض الأجزاء الداخلية(٣٧٠) بالإضافة إلى صرف مبلغ قدره (١٠ر–)جنيهات على تجديد الجزء المفقود من التاريخ المنقوش على باب الخانقاة بالرخام الأبيض الملبس على الحجر الأسود(٣٧١)، وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات الخانقاة فى السنة المذكورة هو مبلغ (١٤٢ر٤٨٨)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٤م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٥ر٥١)جنيه على أعمال ترميمية أخرى لم نستطيع تحديدها(٣٧٢).

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة على حساب الأوقاف مبلغا قدره (٧٠ر–)جنيها لتغطية صحن الخانقاة بسقف بسيط لا يغير شيئا من أوضاعها(٣٧٣)، وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٩ر–)جنيه لعمل سلك لشبابيك القبة(٣٧٤).

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته لجنة حفظ الآثار العربية على ترميم هذه الخانقاة بما فى ذلك ما صرفته من ميزانيتها وما صرفته من ميزانية الأوقاف بلغ مبلغا قدره (١٦١٢ر٣٦٠) ألفا وستمائة واثنى عشر جنيها وثلاثمائة وستون مليما، وهو مبلغ لا يمكن مقارنته بالمبالغ الأخرى التى صرفتها اللجنة على الخانقاوات المشار إليها، ومع ذلك فقد كان هذا المبلغ على ما يبدو كافيا بالنسبة لحجم هذه الخانقاة وأهميتها إذا قورنت بالخانقاوات الأخرى ذات المساحات الواسعة والزخارف الكثيرة المتعددة، ومهما يكن من أمر فانها قد استطاعت بالترميمات التى أجرتها بالمبلغ المشار إليه أن توصل الخانقاة بشكلها إلى مصلحة الآثار لتتابع المهمة التى بدأتها.

٦ - الخانقاة الجمالية مغلطاى

٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م

أثر رقم : ٢٦

يقول المقريزى أن «هذه الخانقاة بالقرب من درب راشدة يسلك إليها من رحبة باب العيد، والذى بناها هو الأمير الوزير مغلطاى الجمالى فى سنة ثمانين وسبعمائة، وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاة للصوفية، وتعد من أجمل مدارس القاهرة، ولها أوقاف عدة بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية، وقد تلاشى أمرها لسوء ولاتها وتخريبهم أوقافها حتى تعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى أسم الفقه وقرب الخراب منها»(٣٧٥).

والواقع أن هذه الخانقاة قد نالت حظا من كتابات الكتاب القدامى والمحدثين، وما أمكن الوقوف عليه من هذه الكتابات يجعل حديثنا عنها منحصرا فى ست نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - أوقاف الخانقاة ومكتبتها.

٣ - منشئ الخانقاة.

٤ - موظفو الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة:

اختلفت روايات الكتاب الذين تعرضوا للحديث عن تاريخ هذه الخانقاة كثيرا فذكر بعضهم أنها أنشئت سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)(٣٧٦) وذكر بعضهم الثانى أنها بنيت سنة (٧٨٠هـ/

١٣٧٨م)(٣٧٧) وذكر بعضهم الثالث أنها أسست سنة (٨١٠ – ٨١١هـ/ ١٤٠٧ – ١٤٠٨م)(٣٧٨)، بل إن هناك من المستشرقين من أعطاها تاريخا يرجع إلى سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)(٣٧٩)، ومن هذا نرى أن التواريخ التى أعطيت لهذه الخانقاة ترجع فيما بين سنتى (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) وقد آثرنا أن نأخذ فى ذلك بتاريخ سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) لأسباب منها أولا أن هذا التاريخ يأتى مباشرة قبل وفاة المنشئ بعامين وهو ما يتفق مع منطق حرص رجال الدولة فى هذا العصر عل تخليد ذكراهم قبل وفاتهم، ومنها ثانيا أن التاريخ الذى ذكره كل من المقريزى وعلى باشا مبارك وهو سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) لا يتفق مع إمكانية التصديق بأن الخانقاة كانت قد أنشئت بعد وفاة صاحبها بثمان وأربعين عاما، حتى المقريزى نفسه الذى ذكر سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) كتاريخ للإنشاء هو الذى أشار إلى وفاة المنشئ سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ومنها ثالثا أن هذا التاريخ هو الذى أخذت به معظم الكتب العربية التى تحدثت عن هذه الخانقاة.

وقد حدد المقريزى موقعها – كما سبق القول – على أنه «قريب من درب راشدة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر ويسلك إليها من رحبة باب العيد»(٣٨٠)، وأشار على باشا مبارك إلى «أنها واقعة بين حارة الفراخة وقصر الشوك»(٣٨١)، وقال فى موضع آخر أن الخانقاة الجمالية هى المدرسة الجمالية التى بين حارة الفراخة وقصر الشوك»(٣٨٢)، كذلك قيل أنها عرفت باسم المدرسة الجمالية ثم عرف شارعها بنفس الإسم(٣٨٣)، وخلاصة القول أن هذه الخانقاة كانت – على ما يبدو – ذات شأن كبير على عهد صاحبها ثم بدأ أمرها يتلاشى تدريجيا بتلاشى الاهتمام بها وتخريب أوقافها.

وقد ورد فى وثيقة الخانقاة(٣٨٤) أن من شروط مؤدب الكتاب أن يكون متزوجا صحيح العقيدة متدينا عاقلا من حملة كتاب الله عالما بالقراءات السبع، صالحا لتعليم القرآن والحديث والخط والآداب والاستخراج، وأن يعلم الأطفال ما يطيقون، وأن يعاملهم بالإحسان والتلطف والاستعطاف، ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه ويفعل ما أباحه الشرع ولا يضرب الضرب المبرح(٣٨٥).

٢ - أوقاف الخانقاة ومكتبتها :

أشار المقريزى إلى أن «شأن هذه الخانقاة كان كبيرا، وكان يسكنها أكابر فقهاء الحنيفة وتعد من أجل مدارس القاهرة، ولها أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية»(٣٨٦) وقد فسر لنا ذلك كل من ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) فأشار الأول إلى أن أوقاف هذه المدرسة الخانقاة كانت تشتمل على ما يلى:

١ - منزل نعيم (شرقية)

لم يعين لها مساحة ولكنه قال أن عبرتها كانت (٢٠٠)دينار، كانت باسم الأشراف من عربان الحجاز ثم صارت وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة(٣٨٧).

٢ - محلة نسيب : (غربية)

مساحتها (٨٠٠) فدان وعبرتها (٣٠٠٠)دينار، كانت باسم الأمير موسى بن قمارى ثم صارت وقفا على مدرسة الجمالى ناظر الخواص الشريفة(٣٨٨).

٣ - أفلاقة : (بحيرة)

مساحتها (٢٧٠٤) فدان، كانت عبرتها (٣٠٠٠) دينار ثم صارت (٢٠٠٠)دينار وكانت باسم الأمير مغلطاى ثم آلت للأمير أزبك اليوسفى(٣٨٩).

٤ - محلتا نصر ومسروق (بحيرة)

مساحتهما (٦٢٨) فدانا وعبرتهما (١٤٠٠) دينار كانتا باسم عامل ثغر الاسكندرية ثم صارتا وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة(٣٩٠).

٥ - بببيج أنقاش (بحيرة)

مساحتها (١٢٤٠)فدانا وعبرتها (٣٤٠٠)دينار، كانت باسم أقتمر عبد الغنى ثم صارت وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة(٣٩١).

٦ – قلفاو : (أخميم)

مساحتها (٣٣٢٥) فدانا وعبرتها (٧٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير علمدار المجمدى ثم صارت وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة(٣٩٢).

وذكر الثانى أن أوقاف الجمالى الأستادار كانت تشتمل على ما يلى :

٧ – بردنوهه : (فيوم)

عبرتها (٧٬٠٠٠) دينار ومساحتها (١٩٦٦) فدانا(٣٩٣).

٨ – مطاي وبني محمد : (فيوم)

عبرتهم (٢٣٬٠٠٠) دينار ومساحتهم (٤٩٩٠) فدانا(٣٩٤).

٩ – هرب شنت والكواشرة : (فيوم)

عبرتهما (١٠٬٠٠٠) دينار ومساحتهما(١٢٧٠) فدانا(٣٩٥).

١٠ – البرقا وجزائرها :

عبرتها (٩١٠٬٠٠٠دينار ومساحتها (٢٢١٩) فدانا(٣٩٦).

١١ – القلندون :

عبرتها (١٣٬٠٠٠) دينار ومساحتها (٣٤١٠) فدانا(٣٩٧).

١٢ – تنوف :

عبرتها (١٠٬٠٠٠) دينار ومساحتها (٤٠٧٢) فدانا(٣٩٨).

١٣ – زفيتى شطنوف :

عبرتها (١٠٬٠٠٠ دينار ومساحتها (لم تذكر)(٣٩٩).

ومعنى ذلك أن حصرا عاما لأوقاف صاحب هذه الخانقاة يوضح ما يلى:

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	منزل نعيم	–	٢٠٠	التحفة السنية
٢	محلة نسيب	٠٨٠٠	٣٠٠٠	» »
٣	أفلاقة	٢٧٠٤	٣٠٠٠	» »
٤	محلتا نصر ومسروق	٠٦٢٨	١٤٠٠	» »
٥	بيبج أنفاش	١٢٤٠	٣٤٠٠	» »
٦	قلفاو	٣٣٢٥	٧٠٠٠	» »
٧	بردنوهه	١٩٦٦	٧٠٠٠	الانتصار
٨	مطاى وبنى محمد	٤٩٩٠	٣٠٠٠	»
٩	هرب شنت والكواشرة	١٢٧٠	١٠٠٠٠	»
١٠	البرقا وجزائرها	٢٢١٩	١٠٠٠٠	»
١١	القلندون	٣٤١٠	١٣٠٠٠	»
١٢	تنوف	٤٠٧٢	١٠٠٠٠	»
١٣	زفتى شطنوف	–	١٠٠٠٠	»
جملة الأوقاف		٢٦٫٦٢٤	١٠١٫٠٠٠	

وهى أواقف ذات عائدات هائلة بلغت ستة وعشرون ألفا وستمائة وأربعة وعشرون فدانا، قيمة عائدها كانت قد بلغت مائة ألف دينار وألف، وعلى ذلك فلا غرابة أن تكون خانقاة مغلطاى الجمالى هذه واحدة من أهم عمائر عصرها، ولا غرابة أيضا أن ينتمى إليها أجل فقهاء الحنفية كما ذكر المقريزى.

أما فيما يتعلق بمكتبة الخانقاة فقد أشارت بعض المراجع العربية إلى أن الأمير جمال الدين الأستادار حينما شيد مدرسته برحبة باب العيد جمع لها الكتب واشترى الكثير من مكتبة المدرسة الأشرفية بعد هدمها(٤٠٠)، بل لقد ورد أن أمين مكتبة هذه الخانقاة كان يتقاضى أجرا قدره عشرة

دراهم(٤٠١)، وكان أمناء المكتبات يتقاضون مرتبات متفاوته تبعا – على ما يبدو – لأهمية المنشأة وإمكاناتها فأمين مكتبة قانى باى الرماح مثلا كان يتقاضى أجرا قدره ستة عشر درهما، وأمين مكتبة الناصرية فرج كان يتقاضى أجرا قدره عشرون درهما، وأمين مكتبة الأشرفية برسباى كان يتقاضى أجرا قدره مائتى درهم، وأمين مكتبة أزبك من ططخ كان يتقاضى أجرا قدره ثلاث مائة درهم، وامين مكتبة الغورى كان يتقاضى أجرا قدره الفا وخمسمائة درهم يضاف إلى هذا الأجر بضعة أرطال من الخبز يوميا كانت تتفاوت أيضا تبعا لتفاوت أهمية المنشأة إمكاناتها(٤٠٢).

٣ – منشىء الخانقاة:

منشىء هذه الخانقاة هو الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى بن عبد الله الأستادار الذى عرف بخزر (وهى كلمة تركية معناها الديك)، اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ونقله وهو شاب من الجامكية إلى الإمرة على إقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم نقيب المماليك السلطانية فى صفر سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، ثم قربة السلطان إليه وصار ينتدبه إلى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ولا سيما بعد أن عينه أستادارا لدولته.

ثم أرسله إلى الحجاز فى السنة المشار إليها أميرا للركب ليقبض على صاحب مكة الشريف أسد الدين رميته بن أبى نمى، فقبض عليه وأحضره إلى القلعة فى الثامن عشر من المحرم سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ولما قبض السلطان على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله ناظر الخواص خلع على مغلطاى الجمالى عند قدومه من دمشق بعد سفره إليها لإحضار شمس الدين غبريال وجعله أستادارا عوضا عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائى وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

ثم أضاف إليه السلطان بعد ذلك الوزارة وخلع عليه فى يوم الخميس ثامن رمضان سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م) عوضا عن الصاحب عبد الله بن الغنام، وقيل إنه لم يكن أهلا لهذه الوزارة ولا أهلا لتصريف أمور المملكة أو الأموال الديوانية.

وخلال الفتنة التى حدثت بالاسكندرية بين أهلها وبين الفرنجة غضب السلطان على أهل الاسكندرية وبعث إليهم بمغلطاى الجمالى فى رجب سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) فقبض على كثير

من العامة ووسط بعضهم، وقطع أيدى وأرجل بعضهم، وصادر أصحاب الأموال منهم، وبلغت متحصلاته التى أحضرها للسلطان مائتى ألف دينار، ومع ذلك فقد صرف من الوزارة فى ثانى شوال سنة (١٣٢٨م) وأبقى له على الأستادارية.

ثم سافر إلى الحجاز وتوفى فى طريق عودته عند أيله فى يوم الأحد سابع عشر المحرم سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) فصبر وحمل إلى القاهرة ودفن بهذه الخانقاة فى يوم الخميس حادى عشرى المحرم المذكور بعد ما صلى عليه بالجامع الحاكمى، فولى الأستادارية بعده الأمير أقبغا عبد الواحد، وأشار المقريزى إلى أنه كان حسن الطباع ميالا للخير يقبل الهدايا ويحب التقادم فحلت له الدنيا وجمع منها شيئا كثيرا لأنه كان يعزل ويولى بالمال وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين(٤٠٣).

٤ – موظفوا الخانقاة:

مما لا شك فيه أن إمكانات هذه الخانقاة التى أشير إليها من خلال الأوقاف التى كانت لمنشئها قد جعلتها واحدة من أهم خانقاوات القاهرة وأكثرها نفقة، وقد ارتبط بهذه الإمكانات كثرة عدد موظفيها الذين وقفنا منهم – طبقا لما أمكن الاطلاع عليه من المصادر العربية المتعلقة بالتراجم – على ست مجموعات هى:

أ – شيوخ الخانقاة وأئمتها.

ب – نظار الخانقاة ونوابهم.

جـ – مدرسو الخانقاة.

د – قراء السيرة بالخانقاة.

هـ – نزلاء الخانقاة.

و – خدم الخانقاة.

أ- شيوخ الخانقاة وأئمتها :

أفاض علينا كل من المقريزى وابن الصيرفى والسخاوى فى الفترة ما بين القرنين (٨هـ/ ١٤م)، (١٠هـ/ ١٦م) بتراجم عدد غير قيل من شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها.

وممن ذكرهم السخاوى من شيوخها على بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبى زرعه العراقى الأصل القاهرى الشافعى، ولد بعد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) فدرس واشتغل بالعلم حتى مات جده فأضيفت إليه جهاته كلها ومنها مشيخة الجمالية وتدريسها فيما عدا درس الحديث الذى أسند بوصيته من الجد إلى شيخ السخاوى العلامة ابن حجر، مات فى رمضان سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)(٤٠٤).

أما شيوخ صوفيتها فمنهم - كما ذكر المقريزى - الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى وابنه قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله التركمانى الحنفى ثم قريبهم حميد الدين حماد(٤٠٥)، ومنهم - كما ذكر ابن الصيرفى فى حوادث المحرم سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) - الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة المالكى الذى صار يسعى عند الأكابر حتى قرروا له نظر الجوالى ورتبوا له على الأوقاف الشافعية والحنيفة وكان باسمه تصوف الجمالية والبيبرسية (الجاشنكيرية) وكان يرمى بأنه شيعى، ثم قال عنه أنه كان يعرف النجارة والحدادة ويصنع الإسفيداج وغير ذلك من الصنائع(٤٠٦).

ومنهم - كما ذكر السخاوى - إبراهيم بن على بن محمد بن ظهيره القرشى المخزومى المكى الشافعى عالم الحجاز ورئيسة الذى عرف بابن ظهيرة، ولد فى النصف من جمادى الأولى سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) بمكة فحفظ وتعلم إلى أن حج السلطان سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) بعد انتهاء مدرسته التى أنشئت له بمكان رباط السدرة ونحوه فزاد فى تعظيمه وقرره شيخ الصوفية والدرس بها وحضر معه أول يوم وحينئذ رغب لابنه عن مشيخة الجمالية(٤٠٧).

ومنهم عبد الرحمن بن عنبر بن على بن يعقوب الزين العثمانى البوتيجى ثم القاهرى الشافعى، ولد سنة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) بابى تيج من الصعيد فقرأ وحفظ وسار على قانون السلف فى غالب أحواله ومزيد التودد وكمال العقل وملازمته لمباشرة ما كان باسمه من تصوف الجمالية

ومشيخة سعيد السعداء وغيرها من الوظائف الجليلة، ومات فى الثالث عشر من شوال سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)(٤٠٨).

أما عن أئمة الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة عمر بن حسين بن أحمد بن البدر العبادى الطنتدائى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى، ولد تقريبا سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) بمنية عباد من الغربية ثم تحول منها إلى طنتدا فأكمل بها وحفظ إلى أن «ولى إمامة الجمالية فى سنة ست وعشرين (وثمانمائة) ومشيخة التصوف بالباسطية وتدريس الفقه بالبرقوقية بعد المحلى وبالقراسنقرية ومشيخة سعيد السعداء بعد التقى القلقشندى، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين (وثمانمائة)»(٤٠٩).

ومن هذا يتضح أن مشيخة هذه الخانقاة كان قد وليها غير واحد من أفاضل علماء العصر مثل ابن أبى زرعة العراقى الشافعى وابن الشحنة المالكى وابن ظهيره الشافعى الذى كان كما قال السخاوى عالم الحجاز ورئيسه، وكفا الخانقاة بهؤلاء فخرا وتعظيما.

ب – نظار الخانقاة ونوابهم:

ترك لنا السخاى ترجمة اثنين من نظار هذه الخانقاة يعرف أولهما من سياق ترجمته لعلى بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبى زرعة العراقى المشار إليه حين قال «وقرر الناظر فى الجمالية ناصر الدين البارنباى نائبا عنه فى وظيفته فيها (أى نائبا عن على بن عبد الوهاب العراقى الناظر)(٤١٠)، أما ثانيهما فهو أحمد بن محمد بن خليل بن عرفات الشهاب بن الخباز الشافعى نزيل المنكوتمرية وقتا قرأ القرآن والمنهاج واشتغل فى الفقه والعربية وغيرها «وباشر بالمدرسة الجمالية ناظر الخاص نيابة»(٤١١).

جـ – مدرسوا الخانقاة:

انحصر مدرسوا هذه الخانقاة – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم – فى مدرسى المذاهب الأربعة ومدرسى الحديث ومدرسى التفسير ومدرسى القراءات وفيما يلى بعضا من تراجم هؤلاء وأولئك:

أ – مدرسوا المذاهب :

يؤكد ما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء المدرسين أن الخانقاة التى بين أيدينا كانت واحدة من المدارس التى درست فيها الذاهب الفقهية الأربعة (الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية)، وقد ترك لنا كل من المقريزى وابن الصيرفى والسخاوى بعض تراجم هؤلاء فذكر السخاوى من مدرسى شافعيتها أحمد بن على ابن محمد بن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حجر لقب بعض آبائه، ولد فى ثانى عشرى شعبان سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما فى كنف الزكى الخروبى (أحد أوصيائه) فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين والعمدة وألفية ابن العراقى وغيرها، ودرس فى أماكن كالتفسير بالحسينية والمنصورية والحديث بالبيبرسية والجمالية والشيخونية وجامع ابن طولون والقبة المنصورية وغيرها وولى الإفتاء بدار العدل والخطابة بالجامع الأزهرى، ولم يزل على جلالته وعظمته فى النفوس إلى أن توفى فى أواخر ذى الحجة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ودفن تجاه تربة الديلمى بالقرافة[٤١٢]، ويكفى الجمالية فخرا أن يكون ابن حجر العسقلانى علامة عصره أحد مدرسى المذاهب فيها.

وذكر ابن الصيرفى من مدرسى مالكيتها الشيخ نور الدين على بن القاضى شمس الدين محمد المشهور بابن التنسى المالكى، ولد بالقاهرة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة (١٤٢٧م) فحفظ واشتغل ولم يزل يدأب فى التحصيل حتى تقدم ومهر واستقر فى تدريس الجمالية بعد عمه القاضى بدر الدين التنسى، مات فى سابع شوال سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) ودفن بحوش الصوفية بسعيد السعداء[٤١٣] وأضاف السخاوى إلى مدرسى المالكية بهذه الخانقاة عبد الرحمن بن تقى الدين القبابى القاهرى المالكى ناب فى القضاء عن البساطين، ودرس للمالكية بالجمالية برغبة الشمس البساطى له عنها إلى أن مات واستقر فى الجمالية بدلا منه البدر بن التنسى[٤١٤].

أما عن مدرسى حنفيتها فقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره المقريزى من أنه كان يسكنها أكابر فقهاء الحنفية[٤١٥]، ومع انه لم يذكر لنا بعضا من تراجم هؤلاء الحنفية فقد أمكن الوقوف – مما ذكره السخاوى – على ترجمة اثنين أولهما أحمد بن اسماعيل ابن إبراهيم بن المجد القاهرى الحريرى الجوهرى القادرى الحنفى، ولد سنة خمس وأربعين وثمانمائة (١٤٤١م)

فحفظ القرآن والعمدة وألفية ابن مالك والجرومية وتنزل فى جهات كالأشرفية برسباى والصرغتمشية والشيخونية واستقر فى تدريس الجمالية إلى أن مات فى صفر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة (١٤٨٧)(٤١٦).

وثانيهما أحمد بن إبراهيم بن نصر بن القاضى عز الدين أبو البركات بن ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى الحنبلى ولد فى سادس عشر ذى القعدة سنة ثمانمائة (١٣٩٧م) بالمدرسة الصالحية ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فحفظ القرآن وجوده وتفقه وناب فى القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة، وصعد بها إلى الناصر وألبسه خلعه، بل لما ضعف استنابه فى تدريس الجمالية الحسينية والحاكم وأم السلطان فباشرها مع وجود الأكابر، ثم ولى قضاء الحنابلة بعد البدر البغدادى - مات ليلة السبت الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ست وسبعين (وثمانمائة)(١٤٧١م) وشهد السلطان الصلاة عليه فى جمع حافل ثم رجعوا به إلى حوش الحنابلة عند قبرأبويه ولم خلف بعده مثله(٤١٧).

ب - مدرسوا الحديث ونوابهم:

ترك لنا السخاوى ثلاث تراجم لمدرسى الحديث بهذه الخانقاة ونوابهم أولهم عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام بن عباس العز السلطى الأصل المقدسى الشافعى الذى عرف بالعز القدسى ولد سنة إحدى أو اثنتين وسبعين وسبعمائة بكفر الماء (قرية بين عجلون وحبراف) ثم انتقل به قريبه ابن هلال العجلونى فى حدود سنة سبع وثمانين إلى القدس فحفظ حتى أذن له فى الإفتاء والتدريس سريعا، واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية عقب الكمال الشمسى فانتفع به الفضلاء، قال عنه السخاوى أنه كان إماما علامة داهية لسنا فصيحا فى التدريس والخطابة وغيرها، مات يوم الخميس خامس رمضان سنة خمسين ببيت المقدس(٤١٨).

وثانيهم عبد القادر بن على بن مصلح القاهرى الشافعى الذى عرف بابن مصلح ثم بابن النقيب، ولد سنة أربع وأربعين وحفظ القرآن ومختصر أبى شجاع والمنهاج واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية وفى مشيخة الرباط بالبيبرسية برغبة إبراهيم التلوانى، قال عنه السخاوى «وما رأيت أحدا يحكى عن دروسه شيئا يؤثر»(٤١٩).

أما نواب مدرسى الحديث بهذه الخانقاة فقد أشار السخاوى إلى ترجمة واحد منهم هو عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى سادس رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة (١٤١٤م) بالقاهرة فحفظ ودرس «ثم ناب عن ابن النواجى فى درس الحديث بالجمالية ومات ليلة الثلاثاء ثالث شعبان سنة إحدى وسبعين وثمانمائة(١٤٦٦م)(٤٢٠).

جـ – مدرسو التفسير:

لم نعثر من هؤلاء إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة عبد البر بن محمد بن محمود سرى الدين بن المحب الحلبى ثم القاهرى الحنفى سبط الولوى السفطى عرف بابن الشحنة، ولد فى تاسع ذى القعدة سنة (٨٩١هـ/ ١٤٤٧م) بحلب وانتقل منها صحبة أبويه إلى القاهرة فحفظ واشتغل حتى ولى خطابة جامع الحاكم وتدريس الحديث بالحسينية والتفسير بالجمالية عوضا عن التقى الحصنى ولما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية تصوفا وتدريسا (ولم يذكر وفاته)(٤٢١).

د – مدرسو القراءات :

لم نجد من مدرسى القراءات الذين عملوا بهذه الخانقاة إلا ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة طاهر بن محمد بن على بن مكين الدين بن النور النويرى ثم القاهرى الأزهرى المالكى، ولد بعد التسعين وسبعمائة بقرية دنديل بالقرب من النويرة وانتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع ثم ولى مشيخة الإقراء بجامع طولون بالقاهرة وبالجمالية، مات فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وصلى عليه بالصحراء ودفن بتربة طشتمر(٤٢٢).

هـ – قراء السيرة بالخانقاة :

ترك لنا السخاوى أيضا ترجمة من تراجم قراء السيرة بالجمالية هى ترجمة خضر بن محمد بن داود بن يعقوب الحلبى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف كأبيه بابن المصرى، ولد بحلب سنة (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م) فحفظ واشتغل وأخذ ثم استقر بعد موت والده فى قراءة الحديث بالأشرفية

الجديدة وقراءة السيرة بالجمالية وكان أحد صوفية الخانقاة السعيدية، مات فى ذى القعدة سنة سبعين (وثمانمائة)(٤٢٣).

و– نزلاء الخانقاة :

انحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم نزلاء الخانقاة التى بين أيدينا فيمن ذكرهم السخاوى ومنهم إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن برهان الدين بن قطب الدين القلقشندى الأصل المصرى الشافعى الأطروش، اشتغل يسيرا وكتب المنسوب وتنزل فى صوفية البيبرسية والجمالية حتى مات فى ثانى عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين (وثمانمائة)(٤٢٤).

ومنهم إبراهيم بن أحمد بن خلف البمبى ثم القاهرى المالكى التاجر بسوق العمى خارج باب الفتوح، كان خيرا متعبدا وينزل فى الخانقاة الجمالية وغيرها، مات فى عشر رجب سنة ثمان وستين (وثمانمائة)(٤٢٥)، ومنهم أحمد بن محمد الشهاب البالسى الأصل القاهرى الشافعى الماوردى ابن أخت النواجى ممن اشتغل قليلا وسمع الحديث وتنزل فى الجمالية وغيرها حتى مات بعد التسعين ظنا(٤٢٦).

ومنهم أحمد بن على بن حسين بن الشهاب العبادى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى ابن أخى السراج عمر، ولد فى سنة سبع وثمانمائة بمنية عباد، وقدم القاهرة فحفظ القرآن والمنهاجين وألفيتى الحديث والنحو، مع المداومة على التلاوة وتصوفاته بالجمالية والبيبرسية وغيرهما، مات فى تاسع عشر ربيع الأول سنة ثمانين (وثمانمائة) ودفن بحوش سعيد السعداء(٤٢٧).

ز– خدم الخانقاة :

لم نعثر من خدم هذه الخانقاة أيضا إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن محمد بن قاسم الشهاب الطوخى ثم القاهرى الشافعى الذى وصفة السخاوى بخادم الجمالية، ولد فى صفر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) واشتغل وتنزل فى الجهات حتى مات فى ثانى عشر ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين بعد أن تعلل مدة واستقر بعده فى الخدمة الشمس بن أخت الشيخ مدين رحمه الله(٤٢٨).

٥ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٠)

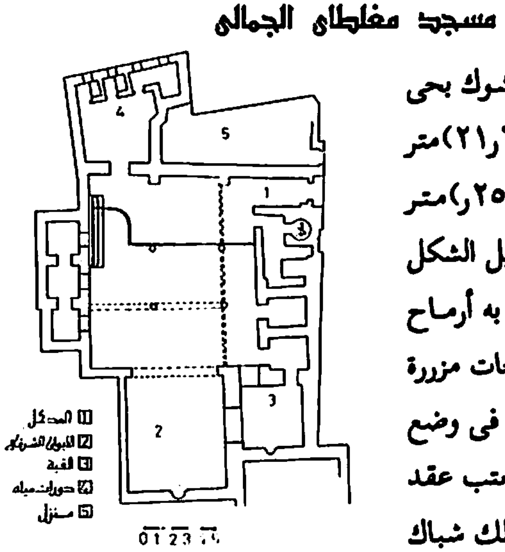

لوحة ١٠ : الخانقاة الجمالية (مغلطاى)
أثر رقم ٢٦ (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) مسقط أفقى

تقع بقايا هذه الخانقاة بشارع قصر الشوك بحى الجمالية، ولها واجهة رئيسية بحرية طولها (٢١ر٦٠)متر بها دخلتان متشابهتان عمق كل منهما (ر٢٥)متر وعرضها (١ر٩٠)متر فى أسفلها شباك مستطيل الشكل عرضه (١ر٣٠)متر وارتفاعه (٢ر٣٠)متر به أرماح ومخرزات حديدية يعلوه عتب حجرى من صنجات مزررة على شكل ورقة نباتية ثلاثة الفصوص واحدة فى وضع معتدل وواحدة فى وضع معكوس، وفوق هذا العتب عقد عاتق بينهما طبلة عقد ضاعت معالمها، يلى ذلك شباك قندلية ذو عقدين نصف دائريين يحملهما فى الوسط عمود رخامى دائرى البدن له قاعدة وتاج كمثرى الشكل، تعلوه قمرية دائرية إلا أن زخرفة هذا الشباك قد ضاعت، وتنتهى هذه الدخلة بحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، يمتد بطول هذه الواجهة إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة نصها:

«يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب(٤٢٩)، أمر بإنشاء هذه الخانقاة المباركة السعيدة من فواضل إنعام وجزيل عطاء الله المقر الكريم (٤٣٠) العالى المولوى الأميرى الأجلى الكبيرى الجيرى(٤٣١) المخدومى الاسفهسلارى العلائى عمدة الملوك(٤٣٢) والسلاطين مغلطاى الجمالى أستاذ الدار العالية الملكى الناصرى، وكان الفراغ (غير كامل)وكان يتوج هذه الواجهة شريط من شرافات مسننة، ومن هذا يتضح أن معالم هذه الواجهة كانت قد تغيرت تماما يدل على ذلك أن بداية النص الإنشائى ونهايته غير موجودة الآن(٤٣٣)(أنظر شكل : ١٨).

المدخل والدركاة والقبة :

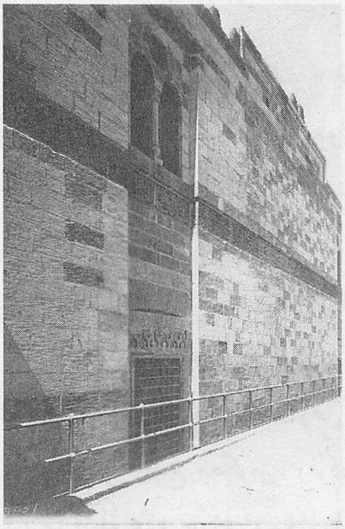

شكل ١٨ : الخانقاة الجمالية (مغلطاى) أثر رقم ٢٦ (٣٣٠هـ/ ١٣٢٩م) جزء من الواجهة

تبدأ الواجهة المشار إليها من الناحية الغربيبة بالمدخل المنخفض عن أرضية الشارع بحوالى (٢) متر وهو عبارة عن دخلة عرضها (٢) متر وعمقها (ر٧٥) متر يعلوها عقد ثلاثى الفصوص يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية غير منتظمة الأبعاد، وفوق الباب نافذة مستطيلة فاقدة لما كان فيها، ويدخل من هذا الباب عبر دهليز إلى صحن المدرسة الخانقاة التى لم يبق من عمارتها غير القبة(٤٣٤) التى تقع فى الناحية الشرقية ويؤدى إليها مدخلان فى جدارها الغربى عرض كل منهما (١) متر ويعلوه عتب مستو، وهذه القبة عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (٤ر٣٠) متر تقوم فى أركانها الأربعة العليا مناطق انتقال عبارة عن حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا (انظر شكل ١٩) تعلوها رقبة القبة وبها ست عشرة نافذة مستطيلة كل منها ذات عقد مدبب.

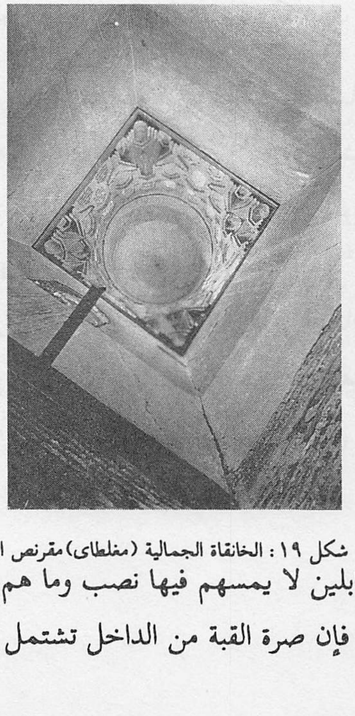

شكل ١٩ : الخانقاة الجمالية (مغلطاى) مقرنص القبة

وبين كل منطقتين من مناطق الانتقال توجد ثلاث نوافذ قندلية أخرى (اثنتان فى أسفل وثالثة فى أعلا) لكل منها عقد مدبب أيضا إلا أنه لا يوجد بأى منها ولا بنوافذ رقبة القبة أية زخارف، ويعلو الرقبة فى اسفل القبة شريط من كتابات بارزة بخط الثلث نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم(٤٣٥)، كذلك فإن صرة القبة من الداخل تشتمل على

كتابة أخرى تقول «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم(٤٣٦)».

المحراب :

يقع هذا المحراب فى جدار القبة الشرقى وهو عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٠ر)متر وعمقها (٧٠ر)متر ذات عقد مدبب يحمله عمودان رخاميان مثمنان لكل منها قاعدة وتاج كمثريا الشكل، وهذا المحراب خال من الزخارف تماما، أما جدارى القبة الشمالى والجنوبى فبكل منهما شباك عرضه (٤٠ر١)متر وعمقه (٤٠ر١)متر فوقه عتب خشبى مستو.

التركيبة :

يتوسط القبة تركيبة رخامية تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٧٠ر١)متر وعرضها (٣٠ر١)متر، أما التركيبة نفسها فهى ذات جوانب أربعة ارتفاع كل منها (٣٥ر) متر يغطيها سقف من لوح رخامى واحد وتقوم فى أركانها الأربعة أربع بابات رمانية الشكل.

وكان يحيط بجدران هذه القبة فوق زاوية عقد المحراب شريط خشبى كانت تزينه زخارف نباتية وهندسية مختلفة، أما باقى الخانقاة فيما عدا ذلك فكله حديث.

٦ – ترميمات الخانقاة :

نالت هذه الخانقاة بعضا من رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة (١٨٨٤م) حتى سنة (١٩٠٩م) يدل على ذلك ما ورد خاصا بهذا الشأن فى محاضر اللجنة وتقاريرها، ومن ذلك ما جاء فى الكراسة الثانية عن سنة (١٨٨٤م) خاصا بوصف حالة الأثر حينذاك وفيه أن هذا الجامع (الخانقاة) ذو تصميم غريب إذ يشتمل على مربع مكشوف الصحن محاط بعقود ستينية كبيرة وقد بنى فى زمن كانت الفنون فيه متقدمة، وكان بناؤه فى غاية الافتخار من الرخام النادر والأحجار الصلبة الموضوعة كالألواح وسط أسفله المصنوعة من الرخام الأبيض المزينة بأشكال على هيئة فروع بارزة قليلا، وكان لها منظر موفق ورونق زاهر، ومن سوء الحظ أنه لم يعتنى به على مرور الزمان

حتى أن معظم الألواح المذكورة فصل من السور وتشتتت قطعها فى جملة بلاط الصحن المنتزع هو يضا من البناء الملاصق فتشققت وفقدت توازنها، ورأت اللجنة ضرورة ترميم هذا الأثر وإعادة حدوده الأصلية إلى ما كانت عليه على أن يبدأ قسمها الهندسى بتقوية ألواح الرخام التى لم تزل فى مكانها بواسطة قضبان حديدية او كلاليب برونزية والانتفاع بالقطع المشتتة بين البلاط وترميم الحائط والعقد الغربى للمحراب وتجديد تبليط القاعة التى من الرخام على حسب طرازها القديم(٤٣٧).

ويدل عليه أيضا أنه فى سنة (١٨٩١م) حدث ميل فى الواجهة الشرقية لهذه الخانقاة وقد عاينتها اللجنة ورأت ضرورة ترميمها وترميم باقى الأثر وقررت لذلك مبلغا قدره (٠٠ر٨)جنيه(٤٣٨) ولم يرد فى المحاضر تفصيلا له، وفى سنة (١٨٩٢م) قامت اللجنة بالإشراف على ترميم واجهتى الخانقاة، وقد تمت هذه العملية على حساب ناظرها وتكلفت مبلغا قدره (–ر١٢٥)جنيه(٤٣٩)، وفى سنة (١٨٩٣م) قامت اللجنة بشد الكتف الأيسر لمدخل الخانقاة وكذا عتب الباب العمومى بواسطة مقاول أشغال جامع برقوق حيث كانت تقاسى من ضغوط معمارية اقتضى الأمر ضرورةإيقافها وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (–ر١١)جنيه(٤٤٠).

وفى سنة (١٩٠٩م) قامت اللجنة بترميم الواجهة البحرية وبنت الإيوان البحرى وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (–ر٥٠٠)جنيه(٤٤١).

ومن ذلك يتضح أن اللجنة لم تصرف على هذا الأثر الذى وصفته بكل مدح وإطراء غير ما يقرب من (–ر١٣١١)جنيه ويبدو أن عذرها فى ذلك كان بسبب أنه كان فى نظارة الشيخ محمد شمس الدين، ولم يقبل هذا الناظر التنازل عنه لديوان الأوقاف لكى تباشر اللجنة فيه أعمالها، وعلى ذلك فقد كان هذا الوضع علي ما يبدو عائقا كبيرا فى سبيل إصلاح هذا الأثر وترميمه مما كان له أكبر الأثر فى تلاشيه وضياع معظم معالمه المعمارية(٤٤٢).

٧ – الخانقاة القوصونية "قبة الغفير"

٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م

أثر رقم : ٢٩١

كانت الخانقاة القوصونية واحدة من أجل خانقاوات القاهرة المملوكية شمال القرافة مما يلى قلعة الجبل أنشاها تجاه جامعة الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

ترك لنا المؤرخون العرب – ولا سيما المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك وغيرهم – معلومات جيدة عن تاريخ هذه الخانقاة منذ القرن (٨هـ/ ١٥م) وحتى القرن (١٣هـ/ ١٩م).

يقول المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ا هذه الخانقاة كما سبقت الإشارة إلى ذلك شمال القرافة مما يلى قلعة الجبل، أنشأها تجاه جامعة الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة(٤٤٣)، وقد نقل محقق المنهل الصافى فى تعليقه على ذكر ابن تغرى

بردى لهذه الخانقاة ما ذكره المقريزى حيالها بالنص من حيث موقعها ومنشئها وسنة اكتمال عمارتها(٤٤٤).

وقد ترك لنا السيوطى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م)ما يتفق من حيث كمال عمارتها مع ما ذكره كل من المقريزى وابن تغرى بردى، إلا أنه أضاف أنها «كانت من أعظم جهات البر وأعظمها خيرا إلى أن حصلت المحن سنة ست وثمانمائة فتلاشى أمرها كما تلاشى غيرها»(٤٤٥).

أما على باشا مبارك فقد كرر فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ما ذكره المقريزى خاصا بموقع الخانقا ومنشئها وكمال عمارتها، ثم أضاف إلى ذلك ما يتفق مع ما ذكره السيوطى حين قال: «وقد تخربت هذه الخانقاة وبنى محلها زاوية سيدى محمد المجاهد التى هى خارج باب الوزير مما يلى القلعة تجاه جامع باب الوزير الذى هو جامع قوصون»(٤٤٦)، ثم قال فى موضع آخر من نفس الكتاب «أنها عرفت بالشيخ المعتقد سيدى محمد المجاهد المدفون بها على ضريحه مقصورة من الخشب أنشأها الحاج على المجاهد سنة (١٢٦٨هـ) وشعائرها مقامه إلى اليوم» أى إلى عصره فى القرن ١٣هـ / ١٩م)(٤٤٧).

وقد تعرضت هذه الخانقاة للتخريب مرتين أولاهما عندما نهبها العامة هى والمسجد تجاهها خلال ثورتهم على قوصون فى سلطنة الناصر محمد الأولى، وثانيتهما أيام الحملة الفرنسية عندما اعتدى الفرنسيون على كثير من آثار منطقة باب القرافة بالتدمير بالبارود كما حدث بالنسبة للخانقاة النظامية القريبة وغيرها.

وقبل أن ننهى الحديث عن تاريخ هذه الخانقاة يجب أن نشير إلى أن لجنة حفظ الآثار العربية قد سجلت بقايا الخانقاة تحت رقم (٢٩١ - أثر) بينما سجلت بقايا المسجد تحت رقم (٢٩٠ - أثر) وهو الجامع الذى اندثر وأقيم فى جزء من مكانه - على ما يبدو - مسجد مسيح باشا الوالى وفى الجزء الآخر زاوية الإمام جلال الدين السيوطى التى حقق أحمد تيمور باشا موقعها فى هذا المكان، وبذلك لم يبق من هذا المسجد إلا مئذنة فريدة فى شكلها عظيمة فى بنائها تمتاز بمقرنصاتها المتعددة وبدنها العالى الذى يتكون من قاعدة مربعة تعلوها دورة مثمنة فوقها دورة دائرية تنتهى بجلسة مقرنصة تحمل خوذة مضلعة، وتقف هذه المئذنة وحيدة على حائطها الغربى

والجنوبى بقايا شرافات المسجد(٤٤٨).

أما عن أوقاف الخانقاة فإن معلوماتنا فيما يتعلق بها تنحصر فيما ذكره ابن الجيعان فى القرن (٨هـ / ١٤م) وابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وفى هذا يشير الأول إلى أن أوقاف صاحب هذه الخانقاة كانت تشتمل على:

١ – العدوية والوقف السيفى:

«وقف قوصون ومنجك، لم يكن لها مساحة، عبرتها (٤٥٠٠) دينا»(٤٤٩).

٢ – طرا :

مساحتها (لم تذكر) وعبرتها (١٠٠٠) دينار كانت وقفا للأشراف وقوصون(٤٥٠)، وقد حدد ابن دقماق مساحة هذه البلدة بمائتى وستة وعشرون فدانا، أما عبرتها فقد اتفق فيها مع ما ذكره ابن الجيعان وهى ألف دينار، إلا أنه زاد على ذلك قوله «وكان بها الجميزة التى طرح تابوت موسى من تحتها والتى ظلت باقية حتى سنة (٣٥٢هـ/ ٩٦٣)(٤٥١).

٣ – حجر الأعلام:

لم تحدد مساحته، أما عبرته فكانت (٢٢٥٠) دينار كانت وقفا لقوصون ومن معه (٤٥٢).

٤ – قشش :

مساحتها (٣٢٦) فدانا وعبرتها (٤٢٢٠) دينارا، كانت وقفا لقوصون ومن معه (٤٥٣).

ويبدو أن أوقاف منشئ هذه الخانقاة لم تكن وقفا عليه وحده، بل كانت مشاركة بينه وبين الأشراف تارة وبين الأمير منجك تارة أخرى وبينه وبين الأمير بردبك السيفى تارة ثالثة – يدل على ذلك ما ذكره ابن الجيعان – فيما سبقت الإشارة إليه – عندما تحدث عن وقف العدوية فسماه العدوية والوقف السيفى، ويدل عليه أيضا أن هناك حجة محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (٣١١٦) باسم بردبك السيفى وقوصون، ورغم أننا لم نستطع الاطلاع عليها إلا أن اسم

الواقف الذى شمل الأميرين معا ربما يدل أيضا على صدق ما ذهبنا إليه بالنسبة لأوقاف هذه الخانقاة.

وأيا كان الأمر فإن نظرة فاحصة لهذه الأوقاف توضح أنها كانت بالأرقام كما يلى:

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	العدوية والوقف السيفى	–	٤٥٠٠	التحفة السنية
٢	طرا	٢٢٦	١٠٠٠	» الانتصار
٣	حجر الأعلام	–	٢٢٥٠	» »
٤	قشش	٣٢٦	٤٢٢٠	» »
	المجمـــــوع	٥٥٢	١١٫٩٧٠	

ومن هذا يتضح أن جملة متحصلات هذه الأوقاف كانت تبلغ حوالى اثنى عشر ألف دينار، اذا قسمناها مناصفة بين شركاء قوصون وبينه على اعتبار أنه كان عاملا مشتركا مع كل منهم أمكن القول أن ما كان بحصته من هذه الأوقاف كان يبلغ ستة آلاف دينار سنويا، وهو مبلغ ليس بالكبير إذا ما قيس بما سبقت الإشارة إليه من أوقاف الخانقاوات الأخرى ذات الإيرادات الهائلة، ولكنه مع ذلك كان كافيا للوفاء بالتزامات موظفى الخانقاة طبقا لإمكاناتها المتاحة.

٢ – منشئ الخانقاة :

يقول ابن حجر أن قوصون الساقى الناصرى كان قد أحضر لمصر مع الجماعة الذين أحضروا ابنة القان أزبك زوج الناصر محمد، فلما رآه (الناصر ألزم كبير الجماعة ببيعه له واشتراه بثمانية آلاف درهم، ثم عظمت منزلته عند الناصر فأمره وبالغ فى الإحسان إليه حتى زوجه ابنته سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٣م)، ولما توفى الناصر تعصب قوصون للمنصور أبى بكر حتى سلطنه وقام هو بتدبير المملكة فقبض على بشتاك وسجنه بالاسكندرية إلى أن أرسل إليه من قتله فخلا له الجو

واستبد بتدبير السلطنه عن طريق نيابته للمنصور، وظل الأمر على ذلك حتى وقعت الوحشة بينه وبين المنصور، وانتهت هذه الوحشة إلى إخراج المنصور إلى قوص فظل بها حتى دس إليه قوصون من قتله، وجلس فى نيابة السلطنة حتى أيام الأشرف كجك، ثم ترفع عن ذلك وبنى له دارا داخل باب القلة من القلعة كان يمد فيها سماطا أعظم من سماط السلطان، وظل على هذا الحال حتى خامر الأمراء عليه العامة، فثاروا عليه ونهبوا اسطبله وخانقاته ثم امسكوه وقيدوه وسيق معتقلا إلى الاسكندرية حتى رجع الناصر إلى مصر فأرسل إليه أحمد بن صبيح فقتله ف محبسه بالاسكندرية فى أواخر شوال سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م)(٤٥٤).

أما المقريزى فكان فيما ذكره عن قوصون أكثر تفسيرا للأحداث من ابن حجر حيث يقول أنه حضر إلى مصر من بلاد بركه(٤٥٥) صحبة خوند ابنة أزبك إمرأة الناصر محمد فى ثالث عشرى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة، ومعه من البضائع ما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيها فى أسواق القاهرة وتحت القلعة وفى داخلها، واتفق أنه دخل فى بعض الأوشاقية لأنه كان صبيا جميلا طويلا له من العمر ما يقارب الثمانى عشرة سنة، وظل يتردد إلى الأوشاقى حتى رآه السلطان (الناصر) فأمر باحضاره إليه وابتاع منه نفسه وصار من جملة مماليكه المحببين إليه.

وهنا أسلمه للأمير بكتمر الساقى وجعله أمير عشرة، ثم أعطاه إمرة طلبخانة ثم جعله أمير مائة ومقدم ألفورقاه حتى بلغه أعلا المراتب وزوجه ابنته وتزوج (السلطان) أخته فلما احتضر السلطان عهد بالسلطنه لابنه أبى بكر وجعل قوصون وصيا على أولاده، ولم يبق أبا بكر فى السلطنة إلا شهرين خلعه بعدهما قوصون ونفاه إلى قوص ثم قتله ونصب أخاه الأشرف كجك وله من العمر خمس سنين، وتقلد معه نيابة السلطنة وأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا، وظل الأمر على ذلك حتى اخفق قوصون فى التدبير لأحمد بن الناصر الذى كان مقيما بالكرك فحرك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الأمراء والنواب بالشام ومصر فأذعنوا وركبوا لحرب قوصون وقبضوا عليه بقلعة الجبل آخر شهر رجب سنة (٧٣٢هـ)، ونهبت داره ودور حواشيه وحمل إلى الاسكندريه صحبه الأمير قبلان فقتل بها، وكان كريما وله من الآثار بمصر الجامع والخانقاه بباب القرافة والوكالة بباب النصر وداره التى بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة(٤٥٦) وكان يعيش فيها – كما تروى بعض المراجع العربية الحديثة – عيشة بذخ وترف

زائد حتى قيل أنه وجد فى مخازن قصره كميات كبيرة من الأبسطة بلغت (١٨٠) زوجا منها ما كان طوله من (٣٠ – ٤٠) ذراعا ومنها أربعة أبسطة من الحرير الخالص(٤٥٧).

٣ – موظفوا الخانقاة :

أمدتنا المصادر العربية ببعض التراجم التى أمكن من خلالها حصر موظفى هذه الخانقاة فى قسمين رئيسين أولهما وظائف دينية تشمل بعض شيوخ الخانقاة وبعض مدرسيها وبعض صوفيتها ونزلائها، ثانيهما وظائف خدمية وتشمل بعض المؤذنين والفناء والكحال (طبيب أمراض العيون) وفيما يلى عرض لما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء وأولئك.

أولا أصحاب الوظائف الدينية :

ينحصر ما عثر عليه من تراجم وظائف هذه الخانقاة الدينية – كما قلنا – فى بعض شيوخ الخانقاة وبعض مدرسيها وبعض صوفيتها.

أ – شيوخ الخانقاة :

ترك لنا ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى بعض تراجم من ولوا مشيخة هذه الخانقاة، ومنهم محمود بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن أبى بكر بن على العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهانى الذى طلب – كما يقول ابن حجر – على البريد إلى القاهرة فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين (وسبعمائة) بسفارة الشيخ مجد الدين الأقصرائى شيخ خانقاة سرياقوس فنزل عنده وعمل له سماع وبنى له قوصون الخانقاة ورتبه شيخا لها وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين (وسبعمائة) بالطاعون العام(٤٥٨)، ويضيف المقريزى أن قوصون «رتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج إليه حتى جامكية غلام بلغته، واشتقر ذلك فى الوقت من بعده لكل من ولى المشيخة بها»(٤٥٩). وربما هذه – على قدر علمنا – هى أول سابقة من نوعها فى التاريخ المملوكى حيث تبنى خانقاة من أجل شيخ لم يكن حتى من أهل القاطنين فيها وإنما استدعى إليها على البريد بسفارة الأقصرائى شيخ خانقاة سرياقوس الذى كان يعرف بشيخ الشيوخ.

ويبدو أن سفارة الأقصرائى هذه كانت سببا فى قيام علاقة وطيدة بين خانقاة سرياقوس وخانقاة قوصون، يدل على ذلك أن ابن تغرى بردى فى ترجمته لشيخ السرياقوسية احمد بن اسحاق بن عاصم بن نظام الدين الأصبهانى الحنفى (٧٦٠ – ٨٠٢هـ/ ١٣٥٨ – ١٣٩٩م) قال «وتولى عوضه فى مشيخة خانقاة سرياقوس الشيخ إيليا شيخ خانقاة قوصون»(٤٦٠)، وقد ذكر السخاوى هذا الشيخ بتحريف فى ثنايا ترجمته للشيخ احمد بن اسحاق بن عاصم فقال» – إذا لم يكن خطأ مطبعيا – واستقر بعده (أى بعد أحمد بن اسحاق بن عاصم فى المشيخة ابنيا شيخ الخانقاة القوصونية، ثم أضاف نقلا عن المقريزى فى عقوده أنه لم ير فى شيوخ الخوانك من يداينه فى حشمته ورياسته ومرؤته وتجمله وأفضاله (٤٦١)، ورغم ان ابن تغرى بردى لم يذكر شيئا عن حياة الشيخ إيليا هذا، إلا أنه أضاف لنا شيخا آخر من شيوخ هذه الخانقاة حين قال «واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون الشيخ شرف الدين يعقوب بن رسولا بن احمد بن يوسف التبانى المتوفى سنة سبع وعشرين وثمانمائة»(٤٦٢).

ثم أضاف السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة على بن أقبرس العلاء القاهرى الشافعى الذى عرف بابن أقبرس، ولد سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) بالقاهرة «وتنزل فى قراء الصفة بالجمالية لطراوة صوته ثم اقتصر فيها على التصوف ولازم الظاهر جمقمق حتى عرف به فولاه وظائف منها نظر البيوت والأوقاف ومشيخة خانقاة قوصون بالقرافة، ومات فى منتصف صفر سنة اثنتين (وثمانمائة)(٤٦٣).

وكان آخر من ذكرهم السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة «عبد الله بن محمد بيرم بن مظفر بن صعلوك القرشى الميمونى القاهرى الشافعى سبط التاج الدندرى ولد فى شعبان سنة ثلاث سبعين واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون ورافع فيه صوفيتها بحيث عزل عنها بل وعن نيابة الحكم، مات فى شعبان سنة سبع وخمسين(٤٦٤).

ب – مدرسوا الخانقاة :

لم نعثر من تراجم مدرسى هذه الخانقاة إلا على ثلاث تراجم ذكر أولاها وثانيتها ضمنا ابن حجر العسقلانى فى القرن(٩هـ / ١٥م)، وذكر ثالثتها الجبرتى فى القرن (١٣هـ/ ١٩م)، يقول

ابن حجر أن عبد الله بن عمر بن داود الكقيرى المعروف بأخى يعقوب جمال الدين، اشتغل وأذن له الخابورى بالإفتاء ودرس بالقوصونية عوضا عن تقى الدين بن رافع بعناية القاضى تاج الدين وكان يحبه ويكرمه وقرره فى قراءة درسه، ومات فى ذى الحجة سنة سبعين ولم يكمل الأربعين(٤٦٥).

أما الجبرتى فيقول فى ذكر من مات سنة (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م) «ومات الشيخ الإمام العلامة المتفنن المتقن الفقيه الأصولى النحوى الشيخ محمد بن موسى العبيدى الفارسى الشافعى، أصله من فارسكور، كان آية فى المعارف والزهد والورع والتصوف وكان يلقى دروسا بجامع قوصون(٤٦٦) وهو مالا يستبعد معه إلقاءه للدروس فى خانقاته أيضا.

جـ – صوفية الخانقاة ونزلاؤها :

يقول المقريزى أن قوصون قرر فى هذه الخانقاة بعد بنائها «جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم والحلوى والزيت والصابون، وما زالت على ذلك إلى إن كانت المحن سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر، وتلاشى أمرها بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيرا»(٤٦٧)، وهكذا يؤول العبء فى كثير من الخانقاوات لفساد إدارة أوقافها إل نقد مصر فيصرف منه لهؤلاء المنقطعين ويكونون عالة على خزانة الدولة دون عمل إنتاجى مثمر، ورغم هذا كان لهم – على ما يبدو – صوت مسموع عند أهل الحل والعقد، يدل على ذلك ما ذكره السخاوى – فيما سبقت الإشارة إليه عند ترجمته لعبد الله بن محمد بن بيرم القرشى الممونى حين قال عنه واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون ورافع فيه صوفيتها بخحيث عزل عنها بل وعن نيابة الحكم(٤٦٨).

وقد ترك لنا السخاوى من تراجم صوفية القوصونية أيضا ترجمة «عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن بن السفط الرشيدى القاهرى الشافعى الخليفتى الصوفى بخانقاة قوصون بالقرافة الصغرى ولد سنة إحدى وأربعين وثمانمائة بسفط رشيد»(٤٦٩).

أما عن نزلاء الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى فقال «حسن

بن على بن جوشن بن محمد البدر أبو محمد القاهرى البدوى الركاب بالاسطبلات السلطانية كأسلافه، نزيل الخانقاة القوصونية من القرافة الصغرى، ولد بالقاهرة سنة ستين وسبعمائة تقريبا ومات فى جمادى الأولى سنة اثنين واربعين وثمانمائة ودفن بالقرافة(٤٧٠).

ثانيا : الوظائف الخدمية :

انحصرت الوظائف الخدمية بالخانقاة القوصونية طبقا لما أمكن الوقوف عليه من التراجم التى وردت فى بعض المصادر العربية فى بعض المؤذنين والدفناء والكحالين.

د – مؤذنو الخانقاة :

لم نعثر من مؤذنى هذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى فقال «خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الشيخ ابو الصفا القرافى المصرى المقرئ الحنبلى ظنا يعرف بالمشيب ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة تقريبا فسمع وقرأ على عبد المعطى مؤذن خانقاة قوصون وألف كراسا فى النحو، كات سنة إحدى (وثمانمائة)»(٤٧١)، ولم يذكر لنا السخاوى شيئا عن حياة عبد المعطى هذا لأن الأذان لم يكن – على ما يبدو – وظيفة هؤلاء المؤذنين الأولى والأخيرة، وإنما كان وظيفة لهم بجانب وظائف أخرى اختلفت باختلاف مدى علم المؤذن ومتحصلاته فيه، ولأن حياة هؤلاء المؤذنين وأمثالهم لم تكن من الأمور التى عنى بها المؤرخون كثيرا لأنهم لم يهتموا إلا بحياة السلاطين والأمراء ومن فى حكمهم من علية القوم دون العمال والصناع وأصحاب المهن الخدمية.

دفناء الخانقاة :

اتسمت معظم الخوانق بصفة عامة باشتمالها على حوش لدفن الصوفية من أهل الورع والعلم، وكذلك فعل قوصون بخانقاته حيث أعد بها حوشا لدفن صوفيتها، وينحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم دفناء هذه الخانقاة – كما كان الحال فى المؤذنين والنزلاء – فى ترجمة واحدة ذكرها ابن الغزى فى القرن (١١هـ/ ١٧م) حين قال «عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى سابق الدين بن عثمان بن العلامة كمال الدين السيوطى الخضيرى الشافعى ولد

فى مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وكانت وفاته فى تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة»^(٤٧٢)، وهذا يدل على أن القوصونية كانت تشمل على مدافن صدقة مثل غالبية الخانقاوات.

و – الكحال على باب الخانقاة :

ترك السخاوى ترجمة واحدة فى هذا الصدد هى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن موسى المنوفى ثم القاهرى الكحال على باب جامع (وخانقاة) قوصون كان بارعا ف الكحل، ازدحم عليه العامة فيه وراج أمره حتى مات فى مستهل صفر سنة اثنتين وثمانين بعد أن تكسح ورعت السوداء ببدنه ولم يكمل الستين عفا الله عنه»(٤٧٣).

٤ – وصف الخانقاة :

لم يبق من هذه الخانقاة الواقعة فى شارع الشعداء بصحراء قايتباى إلا قبة مضلعة مبنية بالطوب تعرف حالا «بقبة الغفير» ومئذنة بديعة تتكون من أربع دورات كل منهما منفصل عن الآخر وقائم بذاته.

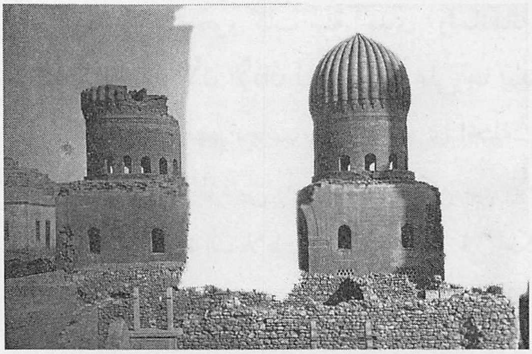

شكل ٢٠ : الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) – أثر رقم ٢٩١ (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) – القبتان من الخارج

أ – القبة : (أنظر شكل : ٢٠)

تقوم على مساحة مربعة طول ضلعها من الخارج (١١٫٣٥) متر تغطيها قبة متدرجة عند منطقة الانتقال بثلاث درجات تعلوها رقبة كانت مغطاة بالجص المزخرف الذى كان يحوى نقوشا زالت آثارها ولم يبق منها إلا ما يدل عليها، ولهذه القبة من الخارج أربع واجهات نوضح وصفها فيما يلى:

الواجهة الشمالية :

وبها من الناحية الغربية دخلة عرضها (١,٧٥)متر بها من أسفل شباك مستطيل أسفله صنجات حجرية مزررة وأعلاه عتب حجرى مزرر أيضا، فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد يزينها فرع نباتى، وكان يعلو هذا الشباك قندلية سدت حديثا، ويتوج هذه الدخلة حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

وإلى الشرق من الدخلة الواقعة بالضلع الشمالى للقبة يقع مدخلها المعقود – بمقعد مدبب واسع داخل دخلة عرضها (١,٤٠)متر – يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد تزينها زخارف نباتية، وكان يعلو هذا المدخل أيضا شباك قندلية مسدود بسدة حديثة وينتهى بمظلة كبيرة من الخشب.

وفى نهاية هذه الواجهة من الناحية الشرقية يوجد شباك يشبه الشباك القائم بالجانب الغربى إلا أنه لا يقع داخل دخلة ويعلوه نفس العتب ونفس العقد العاتق ونفس الشباك القندلية المسدود، وفى الركن الشمالى الغربى من هذه الواجهة يوجد عامود مخلق ذو بدن اسطوانى تزينه زخارف هندسية لخطوط متداخلة تحصر فيما بينها عناصر نباتية من أوراق الشجر الثنائية والثلاثية وأنصاف المراوح النخيلية.

الواجهة الشرقية :

بهذه الواجهة دخلتان متشابهتان تشبه كل منهما الدخلة التى سبق وصفها فى الجانب الأيمن من الواجهة الشمالية بما فيها من شباك سفلى مسدود وبما يعلوها من عتب مزرر وبما فوقه من عقد عاتق (إلا أن طبلتى العقدين فى هاتين الدخلتين غير مزخرفتين) وبما يعلو كلا منهما من شباك قندلية مسدود، إلا أن نهاية كل دخلة منهما ليست بها حطتى المقرنصات الموجودة فى الدخلة السابقة، وفى المنطقة بين هاتين الدخلتين توجد قمرية دائرية الشكل.

الواجهة الجنوبية :

بهذه الواجهة أيضا دهلتان تشتمل الدخلة الشرقية منهما على شباك عادى فوقه شباك قندلية يشبه ما سبق وصفه فى الواجهتين الشمالة والشرقية، أما الدخلة الغربية فعرضها (٤,٨٠)متر

وعمقها (١٥ر)متر وبها شباكان مسدودان من أسفل يعلو كلا منهما عتب من صنجات حجرية مزررة تزينها عناصر نباتية لأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية داخل جامات دائرية، وفوق هذا العتب عقد عاتق من صنجات مزررة أيضا أسفله طبلة عقد بها زخارف نباتية مشابهة، ويعلو كلا من هذين الشباكين شباك قندلية مسدود، هذا وفى المنطقة بين عقدى الشباكين يوجد مربع زخرف قوام عناصره أنصاف مراوح نخيلية وأوراق نباتية ثنائية وثلاثية، ويتوج هذه الدخلة من أعلا حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

الواجهة الغربية :

تشتمل هذه الواجهة على دخلة عرضها (٧٫٦٠)متر وعمقها (٢٥ر)متر بها من أسفل ثلاثةشبابيك تشبه الشبابيك المشار إليها فى الواجهات الأخرى بما فوقها من أعتاب وبما يعلوها من عقود عاتقة وبما فيها من شبابيك قندلية، إلا أنه يعول الشباك الأوسط فى هذه الواجهة قمرية دائرية يحيط بها إطار حجرى بارز بداخله شكل بخارية بارزة أيضا، وعلى جانبى عقد هذا الشباك الأوسط توجد تربعتان زخرفيتان متشابهتان قوام زخارف كل منهما طبق نجمى تتوسط وحداته عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وأشكال ورود متعددة الفصوص، هذا ويتوج تلك الواجهة من أعلا حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا. أما فى باقى أركان هذه القبة فتوجد أعمدة مخلقة تشبه العمود المشار إليه.

القبة من الداخل :

عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها (٧٫٧٠)متر تقوم فوقها قبة على أربع مناطق انتقال تتكون كل منطقة منها من سبع حطات من المقرنصات على شكل حنايا عبارة عن عقود نصف دائرية كانت مغلقة بالخشب تقوم فوقها رقبة القبة وبها ست نوافذ صغيرة مستطلة ذات قمم مثلثة تتألف من ثلاث نوافذ تحتية يعلوها اثنتان تقوم فوقهما النافذة السادسة وقد سدت هذه النوافذ بسدات حديثة.

ويزن القبة من الداخل زخارف بالطلاء تتكون من عناصر نباتية وهندسية مختلفة، وفيما بين كل منطقتين من مناطق الانتقال توجد وحدة مكررة كل منها عبارة عن ثلاثة شبابيك

مستطيلة ذات عقود نصف دائرية، فوقها ثلاث قمريات دائرية، وقد سدت هذه الشبابيك والقمريات بسدات حديثة.

محراب القبة:

يتوسط هذا المحراب الجدار الشرقى للقبة وهو عبارة عن حنية عرضها (٩٥ر)متر وعمقها (٦٥ر)متر يعلوها عقد نصف دائرى متراجع كان يكتنفها عمودان غير موجودين، وهذا المحراب خال من الزخارف فيما عدا مثلثين على جانبى عقدة زخارف كل منهما تتكون من تفريعات نباتية وأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية.

وفوق المحراب قمرية دائرية مسدودة يحيط بها جفت لاعب وتحددها من الداخل بخارية دائرية، وعلى جانبيه من الشمال والجنوب يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٢٠ر١)متر وعمقه (٣٥ر١)متر يعلوه عقد نصف دائرى وفوقه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى أيضا.

وعلى جانبى هذا المحراب شريط من كتابات نسخية بارزة يمتد أسفل طاقية المحراب بداخل الحنية أيضا نصه «بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره. صدق الله العظيم[٤٧٤]. وكان الفراغ فى رمضان المعظم قدره سنة سبع وثلاثين وسبعمائة».

أما الجدار الغربى لهذه القبة فيشبه تماما جدارها الشرقى إلا أنه بدلا من المحراب الذى يتوسط جدارها الشرقى نجد شباكا يشبه باقى الشبابيك تعلوه نفس الوحدة الزخرفية التى تحدد القمرية فوق المحراب بجفتها اللاعب وبالبخارية الدائرية فى داخلها.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى فيشبهان بعضهما بعضا، حيث نجد بكل منهما من أسفل ثلاثة شبابيك فوقها ثلاثة نوافذ، وتشبه هذه الشبابيك وتلك النوافذ شبابيك ونوافذ الجدارين الشرقى والغربى، وكان يحيط بأعلا جدران هذه القبة شريط من كتابات نسخية لآيات من القرآن الكريم ضاعت معالمه تماما.

ب – المئذنة :

هذه المئذنة هى أول ما يقابل الداخل من آثار بقرافة السيوطى، وهى ذات شكل مستطيل يشبه الأبراج، وتتكون من ثلاث دورات تقوم على قاعدة مستطيلة الشكل تعلوها شرفة حجرية على هيئة ورقة ثلاثة الفصوص محمولة على مجموعة من المقرنصات أسفلها بقايا شريط كتابى يحيط بأضلاع هذه القاعدة الأربعة نصه «واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ ارسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون»⁽⁴⁷⁵⁾.

أما الضلع الشمالى لهذه القاعدة فبه بروز يخرج عن سمت الجدار يغلب على الظن أنه كان يشتمل على المدخل الذى يفضى إلى المئذنة من الداخل، ويعلو هذا البروز فتحة توجت بعقد نصف دائرى تطل على سلم المئذنة، ومن الملاحظ أن هذه القاعدة محاطة من ثلاث جهات بشرفة تتكون من وحدة زخرفية مكررة على هيئة الورقة النباتية الثلاثية يستلفت النظر فيها أنها ملتصقة ببدن الدورة الأولى للمئذنة مما يرجح أن تغييرا حدث عليها فى فترة زمنية ما.

أما الدورة الأولى فهى أقل حجما من القاعدة وذات بدن مربع فتحت فى ثلاثة جوانب منه ثلاث فتحات ضيقة مستطيلة أشبه بالمزاغل للتهوية والإنارة، وقد عمل المعمار فى الجزء العلوى من هذه الدورة شرافات محمولة على ثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات تسمح كل شرفة منها بمساحة كافة لمن قوم بالآذان، ويكتنف كل شرفة منها من الجانبين عمودان حجريان، ويعلوها صدر مقرنص تشبه حطاته السفلى أشكال المحاريب، وفى أركان هذه الدورة السفلية زربعة أعمدة حجرية مندمجة تحمل تيجانا كورنثية الشكل ويؤزر هذه الدورة شريط كتابى نصه :

«١ – بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ٢ – وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة ٣ – الأمور الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف علهم ولا هم يحزنون. صدق الله العظم»⁽⁴⁷⁶⁾.

يلى ذلك مباشرة شرفة كبيرة مربعة تدور بنفس حجم تربيع المئذنة أقامها المعمار على أربع

حطات من المقرنصات الحجرية الضخمة وعمل لها سورا (دروة) من الجهات الأربع ذات شقق حجرية تعلوها ثمان بابات بكل ضلع بينما زخرفت المساحة المحصورة بين كل بابتين (الشقة) بزخارف نباتية من تلك التى عرفت باسم الزخارف الحجرية المفرغة حيث يختلف كل شكل فيها عن الآخر، وأسفل هذه الشرفة يوجد شريط كتابى يلتف حول أضلاع هذه الدورة الأربعة نصه.:

«١ – بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكر ٢ – ا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ٣ – ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنن رحيما تحيتهم يوم يلقـ ٤ – ونه سلام وأعد لهم أجرا كريما(٤٧٧). وذلك بتاريخ سنة سبع وثلاثين وسبعمائة».

أما الدورة الثانية فهى عبارة عن بدن مثمن الأضلاع غنى بالزخارف وأكثر ما يميزه أنه عمل فى كل ضلع من أضلاعه الثمانية زخارف على هيئة المحاريب الفاطمية المشعة يتكون كل منها من ثمانية عشر ضلعا تتوسطها دائرة مطموسة تذكرنا بزخارف المحاريب فى الجامع الأقمر ومحراب ضريح السادات الثعالبة وغيره من أضرحة المشاهد الفاطمية الشهيرة كالحصوانى والسيدة رقية ويحيى الشبيه وغيرها.

ويتوج كل ضلع من هذه الأضلاع الثمانية ذات المحاريب الزخرفية المشعة عقد منكسر أسفله فتحة تؤدى إلى السلم من الداخل زخرفها المعمار بعقد حجرى إلا أنه لم يفتح من هذه الفتحات إلا اثنتين فقط هما اللتان تؤديان إلى الشرفة المشار إليها، ويعلو هذه العقود المنكسرة شريط كتابى بالخط الكوفى البارز نصه :

«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين(٤٧٨). يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا»(٤٧٩).

ويعلو هذه المنطقة شرفة دائرية أخرى على أربع حطات من المقرنصات وتوجت بدروة حجرية تعلوها ثمان بابات تشتمل على شقق حجرية ذات زخارف تشبه الزخارف الموجودة فى الشرفة السفلى.

أما الدورة الثالثة فهى عبارة عن جوسق شتمل عل ستة عقود يرتكز كل منها على عمودين حجريين يعلوهما شريط كتابى نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم (متآكل) .. عملوا الصالحات (.. متآكل) .... ..

ثم يلى ذلك خوذة المئذنة وهى على هيئة المبخرة الأيوبية يخرج من أسفلها ما يشبه المزاغل المحمولة على أربع حطات من المقرنصات الحجرية، والمئذنة بشكل عام ذات طراز جمع بين الطرازين الأيوبى والفاطمى من حيث الشكل المعمارى والزخرفى، وكان عليها نص كتابى لم يبق منه شئ وضاعت معالمه تماما.

٥ – ترميمات الخانقاة :

رغم أن أعمال الترميم التى أجرتها لجنة حفظ الآثار العربة فى بقايا هذه الخانقاة لم تكن ذات أهمية كبيرة بالقياس إلى الأعمال التى أجريت فى الخانقاوات الأخرى نظرا لاندثار غالبية مبناها وانحصار الباقى منها فى القبة والمئذنة إلا أنه كان للأعمال التى قامت بها رغم قلتها الفضل فى الحفاظ عليهما.

ففى سنة (١٨٩٠)م عملت مقايسة بمبلغ(–ر٥)خمسة جنيهات لبعض الإصلاحات التى لم تحدد بضريحى قوصون والغورى[٤٨٠]، وفى سنة (١٩٠٢م) قررت اللجنة لتقوية قبة قوصون وترميمها مبلغا قدره (–ر١٠٠)مائة جنيه إلا أن هذا المبلغ المقرر لم كف الأعمال الترميمية المطلوبة واقتضى الأمر زيادته إلى (–ر٢٥٠)مائتين وخمسين جنيها على أن يؤخذ الباقى من الاعتمادات غير المنظورة[٤٨١].

وبذلك كون جملة ما صرفته اللجنة على ترم بقايا هذه الخانقاة من سنة (١٨٩٠م) إلى سنة (١٩٠٢م) هو مبلغ (٢٥٢٫٥٠٠) مائتان واثنان وخمسون جنيها وخمسمائة مليم.

٨ – الخانقاة الناصرية "أم أنوك"

٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م

أثر رقم : ٨١

تقع هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء والتى أنشأتها سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) هى الخوندة الكبرى الناصرية زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأم ولده الأمير أنوك، وقد وردت فى المصادر والمراجع العربية بمسميات مختلفة فسماها ابن حجر «طغاى أم أنوك»(٤٨٢) وسماها المقريزى مرة «أم أنوك» ومرة «طغاى الخوندة الكبرى» ومرة «الخاتون طغاى»(٤٨٣) بينما سماها الجبرتى «خوند طغاى الناصرية»(٤٨٤).

وأيا كان الأمر فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من مادة تاريخية – على خمس نقاط رئيسة هى :

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة :

أفادنا كل من المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) والجبرتى فى القرن (١٢هـ/ ١٨م) وعلى باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ببعض المعلومات القيمة عن تاريخ هذه الخانقاة من حيث موقعها ومنشئتها وصوفيتها وأوقافها، يقول المقرزى أن «هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء،

والتى أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الأمير طشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها»(٤٨٥) .

أما الجبرتى فيقول أن «بخارج باب البرقية خانكاة أنشأتها خوند طغاى الناصرية بالصحراء على يمنة السالك إلى وهذه الجبانة المعروفة الآن بالبستان .... فلما ولج الفرنساوية أراضى مصر وأحدثوا القلاع فوق التلول هدموا منارة هذه الخانكاة وبعض الحوائط الشمالة وتركوها على ذلك، فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها من التخرب(٤٨٦) وقد دخلت هذه الخانكاة فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون» ثم كرر ما ذكره المقريزى عنها من حيث الموقع والمنشئة والجوارى والأوقاف والصوفية والقراء ونحو ذلك.

ومع تكراره لبعض ما ذكره المقريزى عن هذه الخانقاة إلا أنه ترك لنا معلومات هامة عن ساقيتها فقال – من واقع مشاهدته العينية – أن هذه الساقية كانت تجاه بابها فى علوة يصعد إليها بمزلقان، ويجرى الماء منها إلى الخانكاة على حائط به قنطرة مر من تحتها المارون، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب(٤٨٧)، وظل الأمر بالنسبة لهذه الساقية على حاله المروى إل أن ولى أوقاف الخانقاة الشخ الشرقاوى فأبطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عله قبة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت ععال مربع على أركانه عساكر فضة وبن بجانبها قصرا يحتوى على أورقة ومساكن ومطبخ .. وذهبت الساقية وجعلها بئرا عليه خرزة ملؤون منها بالدلو(٤٨٨) .

أما على باشا مبارك فقد أشار هو الآخر إلى ما ذكره المقريزى والجبرتى وقال أن هذه الخانقاة «بأول القرافة خارج باب البرقة المعروف الآن بالغريب، كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنساوية أرض مصر فتخربت وبنى فى مكانها الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى زاويته المعروفة وقد استولى على جهات إيرادها وكان الناظر عليها قبله شخصا من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى»(٤٨٩) ثم كرر بعد ذلك بالنص ما ذكره الجبرتى خاصا بالساقية من حيث موقعها ووصفها وحوض الدواب الذى كان تحتها وقصة الشيخ الشرقاوى من إبطالها وبناء زاويته ومدفنه وقصره فى مكانها، إلى أن قال «ولم يبق الآن هناك سوى جدران قديمة بجوار زاوية الشيخ الشرقاوى يظن أنها من آثارها فسبحان من له الدوام والبقاء»(٤٩٠) .

والواقع أننا لم نستطيع الوقوف على أية معلومات تفصيلية عن أوقاف هذه الخانقاة التى لا شك فى أنها كانت قائمة بتأكيد أكثر من مصدر من المصادر العربية، يدل على ذلك أولا ما ذكره المقريزى بقوله «أنشأتها الخاتون طغاى .. وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها»⁽⁴⁹¹⁾ ويدل عليه ثانيا ما ذكره الجبرتى بقوله «وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى فلما مات تقرر فى نظرها المترجم (الشيخ الشرقاوى) واستولى على جهات ايرادها⁽٤٩٢⁾، ويدل عليه ثالثا ما ذكره على باشا مبارك بقوله أنها «كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنساوية أرض مصر»⁽٤٩٣⁾.

وإذا جاز لنا القول أن ما ذكره ابن الجيعان فى التحفة السنية خاصا بأوقاف الأمير أنوك أخى الأشرف شعبان كان من الأوقاف التى آلت إليه من أمه صاحبة هذه الخانقاة، أمكننا القول أن تلك الأوقاف كانت تشتمل على:

١ - الميما والعسكر:

مساحتها (١٠٠٥) فدان وعبرتها (٣٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير سودون العلائى⁽٤٩٤⁾.

٢ - دبيق:

مساحتها (٣٦٣) فدانا وعبرتها (١٦٠٠) دينار، كانت ملك الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين⁽٤٩٥⁾.

٣ - دهتور:

مساحتها (٢٠٣٤) فدانا وعبرتها (٥٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين⁽٤٩٦⁾.

٤ – شبين الكوم :

مساحتها (٣١٢١) فدانا وعبرتها (٧٥٠) دنار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين [٤٩٧].

٥ – الصف :

مساحتها (لم تذكر) وعبرتها (٤٠٠٠) دنار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت لديوان الذخيرة الشريفة [٤٩٨].

٦ – أهوى :

مساحتها (١٩٣٤) فدان وعبرتها (٧٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير جانى بك [٤٩٩].

٧ – دلهاس :

مساحتها (١٣٠٠) فدان وعبرتها (٦٠٠٠) دينار كانت باسم الأمر أنوك ثم صارت للأمير جانى بك [٥٠٠].

وبذلك يتضح أن جملة هذه الأوقاف كانت قد بلغت – وفقا للحصر التالى – تسعة آلاف وسبعمائة وسبعة وخمسين فدانا، كانت عبرتها سبعة وعشرون ألفا وثلاثمائة وخمسين دينارا سنويا:

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	المنا والعسكر	١٠٠٥	٣٠٠٠	التحفة السنية
٢	دبيق	٠٣٦٣	١٦٠٠	« الانتصار
٣	دهتور	٢٠٣٤	٥٠٠٠	» »
٤	شبين الكوم	٣١٢١	٠٧٥٠	» »
٥	الصف	–	٤٠٠٠	» »
٦	أهوى	١٩٣٤	٧٠٠٠	» »
٧	دلهاس	١٣٠٠	٦٠٠٠	» »
المجموع		٩٧٥٧	٢٧٣٥٠	

٢ – منشئة الخانقاة:

ترجم كل من ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى وعلي باشا مبارك لمنشئة هذه الخانقاة الخوند الكبرى الناصرية طغاى أم أنوك(٥٠١)، فقال ابن حجر أن تنكزبغا كان قد اشتراها بتعسين ألف درهم قيمتها يومئذ نحو خمسة آلاف دينار، ثم باعها للناظر فأعتقها وتزوجها وحظيت عنده بعد أن ولدت له سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) ولده الأمير أنوك واستأذنته فى الحج ففعل وبسببها أبطل عن مكة المكس الذى كان يؤخذ على القمح، وكانت عففة كريمة معظمة فى أيامه وبعده إلى أن ماتت فى شوال سنة) ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وبلغت عدة معتقاتها من الجوارى ألف نسمة ومن الخدام ثمانين طواشيا ولم يستمر الناصر على محبة غيرها من النساء ولم تنكب قط إلى أن ماتت(٥٠٢).

ومع أن المقريزى لم يذكر شيئا عن قصة شراء تنكزبغا لها وبيعها للناصر حين قال أنها كانت من جملة إماء الناصر فأعتقها وتزوجها، إلا أنه أضاف إلينا بعض المعلومات الأخرى عن شخصية هذه المرأة ومنها ما قيل من أنها أخت الأمير أقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر، وتنعمت فى ملاذ ما وصل

سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها، وصارت خوند كبرى بعد ابنة توكاى أكبر نساء الناصر حتى من ابنة الأمير تنكز، وحج بها القاضى كريم الدين الكبير وحمل لها البقول فى محاير طين على ظهور الجمال كما أخذت الأبقار الحلابة فسارت معها طوال الطريق وكان يقلى لها الجبن فى الغذاء والعشاء، وكان القاضى وأمير المجلس يترجلون عند نزولها ويمشون فى محفتها ويقبلون الأرض لها كما يفعلون للسلطان، فلما مات الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت – كما قلنا – فى شوال سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما وأموال كثرة جدا ودفنت بخانقاتها هذه، وكانت عففة طاهرة كثرة الخير والصدقات والمعروف، جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا جعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء فى كل يوم(٥٠٣).

أما ابن تغرى بردى فقد اختصر الحديث عن ترجمتها كثيرا وقال «خوند طغاى أم أنوك زوجة السلطان الملك الناصر تركت مالا كثيرا جدا وهى صاحبة التربة بالصحراء .. .. وهى التى تولت تربية السلطان الملك الناصر حسن بعد موت أمه أيام الملك الناصر محمد وكانت من أعظم النساء وقتها وأحشمهن وأسعدهم(٥٠٤).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ولم يزد فى تسميتها على كلمة «طغاى» ولم يخرج فى ترجمتها عما ذكره المقريزى من حيث تكرار القول عن زوجها وابنها وأخيها وحسنها وجمالها وحجها وترجل القاضى وأمير المجلس عند نزولها إلى أن ماتت فى الوباء سنة (٧٤٩هـ) عن ألف جارية وثمانين خصيا وأموال كثيرة(٥٠٥).

٣ – موظفوا الخانقاة:

طبقا لما لدينا من مادة تاريخية قليلة – لا تقاس بما أمكن الوقوف عليه خاصا ببعض الخانقاوات الكبيرة – فإنه يمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة إلى قسمين يتعلق أولهما ببعض وظائفها الدينية ولا سيما الناظر والصوفية، ويتعلق ثانيهما ببعض وظائفها الخدمية ولا سيما المؤذن والوقاد والكناس والملاء.

أولا : الوظائف الدينية :

تنحصر معلوماتنا عن هذه الوظائف فيما ذكره كل من الجبرتى وعلى باشا مبارك خاصا بالنظارة والصوفية فقط، وهو رغم قلته وعدم التفصيل فيه، إلا أنه يعطينا اسماء بعض الشخصيات التى كانت قد وليت نظارة أوقاف هذه الخانقاة، فيقول الجبرتى فيما سبقت الإشارة إليه «وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى فلما مات تقرر فى نظرها الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى فاستولى على جهات إيرادها وأزال ساقيتها وبنى لنفسه فى محلها ضريحا فاستولى على جهات وبيتا»(٥٠٦)، وقد نقل على باشا مبارك ما ذكره الجبرتى بنصه خاصا بهاتين الشخصيتين اللتين وليتا نظارة أوقاف هذه الخانقاة ولم يزد عليه شيئا(٥٠٧).

أما ما يتعلق بالصوفية فلم تزد معرفتنا عنه أيضا على ما ذكره كل من المؤرخين السابقين، فيقول الجبرتى فيما سبقت الإشارة إليه «وقد دخلت هذه الخانقاة فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطفة وبها مساكن وسكان قاطنون»(٥٠٨) وهو يقصد بالمساكن والسكان القاطنين خلوات الصوفية والمتصوفة الساكنين فيها، ويقول على باشا مبارك أن هذه الخانقاة «أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الأمير طشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء»(٥٠٩).

ثانيا : الوظائف الخدمية :

ينحصر ما أمكن الوقوف عليه من هذه الوظائف فيما ذكره الجبرتى عندما دخلها ووجد فيها روحانية لطيفة ومساكن وسكان قاطنون بقوله «وفيهم(أى سكانها)أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء» (٥١٠)

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٢)

تقع هذه الخانقاة بشارع قارفة باب الوزير وكانت تشغل مساحة غير منتظمة لم يبق منها إلا

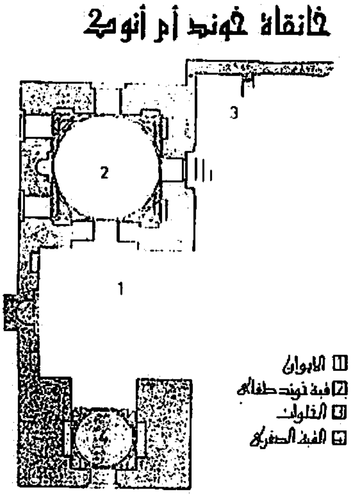

لوحة ١٢ : الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك)
أثر رقم ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسقط أفقى

إيوان كبير وقبتان إحداهما جنوبية كبيرة والأخرى شمالة صغيرة بالإضافة إلى مساحة خربة كانت تشمل على مرافق الخانقاة.

القبة الجنوبية الكبيرة : (أنظر شكل : ٢١)

تقوم هذه القبة على حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل(٧,٠٥) متر فى أركانها الأربعة العليا أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من ثلاث حطات من المقرنصات كل وحدة منها عبارة عن حنية ذات عقد مدبب، وتحصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه فيما بينها نافذتان مستطيلتان كل منهما ذات عقد مدبب تعلوها نافذة ثالثة مستطلة ذات عقد مدبب أيضا.

وفوق مناطق الانتقال المشار إليها تقوم رقبة القبة وبها اثنتى عشرة نافذة مستطيلة متشابهة ذات عقود مدببة يعلوها شريط من كتابات نسخية نصها:

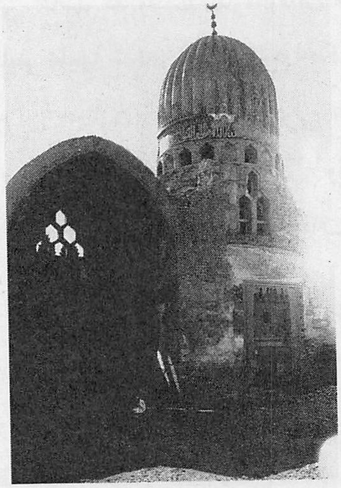

شكل ٢١ الخانقاة الناصرية (خوندطغاى – أم انوك) ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨)
القبة من الخارج ويظهر معها ايوان الخانقاة

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيدهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم»(٥١١).

أما صرة القبة من الداخل فبها دائرة إطارها عبارة عن كتابات نسخية بيضاء على أرضة زرقاء نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»(٥١٢).

محراب القبة : (أنظر شكل : ٢٢)

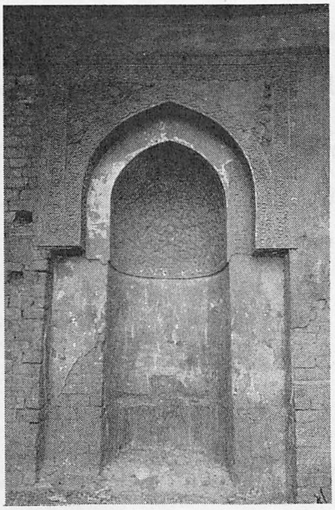

شكل ٢٢ : الخانقاة الناصرية
(خوند طغاى – أم انوك) محراب القبة

يتوسط الجدار الشرقى لهذه القبة محراب عبارة عن حنية عرضها (١٠ر١) متر وعمقها (١) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين، ويعلوها عقد نصف دائرى متراجع تزينه فى المستويين صنجات مزررة بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، وعلى جانبى هذا المحراب من الناحيتين الشمالية والجنوبية يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٣٥ر١) متر وعمقة (٧٠ر١) متر يغطيه سقف خشبى.

مدخل القبة :

يقع هذا المدخل فى جدار القبة الغربى داخل دخلة عمقها (٤٠ر١) متر وعرضها (٥٠ر١) متر يعلوها عقد نصف دائرى ممتد، على جانبيه يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٤٠ر١) متر وعمقها (٣٥ر) متر يعلوه سقف خشبى.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى لهذه القبة فهما متشابهان تماما، يتوسط كل منهما شباك كبير (يشبه الشباكين القائمين على جانبى المحراب) يكتنفه عن يمين وشمال شباكان يشبهان الشباكين الواقعين فى الجدار الغربى إلا أنه يعلو الشباك الأوسط بالجدار الجنوبى نافذة مستطيلة، وكانت أرضيات هذه الشبابيك مفروشة بفسيفساء رخامية ملونة ضاعت معالمها.

وهذه القبة ذات بدن مضلع من الخارج يتكون من مخدات متجاورة تحملها رقبة كان يزينها شريط من بلاطات القاشانى الخضراء المنقوشة بكتابات نسخة بيضاء نصها بعد البسملة آية الكرس، إلا أن معالم هذه الكتابات قد ضاعت، وتعد هذه التكسية هى ثالث ظاهرة فى تغطية رقاب القباب المعمارية المملوكية فى مصر بالبلاطات الخزفية بعد قبة طشتمر (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) وقبة أصلم الهائى (٧٤٥هـ/ ١٣٤٥م)(٥١٣).

كذلك قد ضاعت معالم التركيبة الرخامية البيضاء التى عل قبر المنشئة والتى وصفها الجبرتى بقوله «ودخلت إلى مدفن الواقفة وعلى قبرها تركيبه من الرخام الأبض وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرس بخط جميل، وهى مذهبة وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى فلو أن الشيخ الشرقاوى عمر هذه الخانقاة بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان بذلك منقبة وذكر حتى فى حياته وبعد مماته وبالله التوفيق» (٥١٤).

القبة الشمالية الصغيرة :

يؤدى إلى هذه القبة مدخل فى جانبها الغربى يقع داخل دخلة عرضها (٢٫٥٠) متر وعمقها (٥٥ر) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٦٥ر) متر وعرضها (٥٠ر) متر وارتفاعها (٨٠ر) متر يحد كلا منهما جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما المدخل نفسه فعرضه (١٫٢٠) متر يعلوه عتب حجرى مستو فوقه عقد عاتق من صنجات مزررة بينهما طبلة عقد غير مزخرفة، ويعلو هذا العقد العاتق نافذة مربعة، ويتوج الدخلة مقرنصات مقعرة ذات دلايات، وعلى جانب هذا المدخل يوجد إزار غائر نقشت فية كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين»(٥١٥)، ويحدد هذا المدخل جفت لاعب ذو ميمات دائرية كما كان يحدد عتبه المستوى إطار رخامى قوام زخارفة أشكال هندسية تتكون من أجزاء من أطباق نجمية.

الحواصل :

وعلى يمين هذه القبة الصغيرة كانت توجد مجموعة من الحواصل لم يبق منها إلا بقايا حاصلين متهدمين، الشرقى منهما مستطيل الشكل طوله (٣٫٩٠) متر وعرضه (٢٫٩٠) متر يغطيه سقف نصف برميلى من قوالب الطوب الأحمر، فى جداره الجنوبى نافذة مستطلة عرضها(٥٥ر) متر تنتهى من الخارج بمزغلة، ويغلب على الظن أن حواصل الخانقاة كانت تمتد فى هذه الناحية تجاه الغرب وكانت تقوم فوقها خلوات الصوفية التى لم يبق منها لا فى هذه الناحية ولا فى الناحية المقابلة (الشمالية) شيئا.

وعلى يسار هذا المدخل يوجد إيوان مستطيل طوله (١٠) متر وعرضه (٨٫٦٠) متر يغطيه سقف نصف برميلى، ويفتح هذا الإيوان على الناحية الغربية بعقد نصف دائرى كبير كان يحده إطار من كتابات نسخية بارزة لم يبق منها إلا آثارها، يليه إطار ثالث من كتابات نسخية أيضا، ومما يؤسف له أن هذه الكتابات ضاعت معالمها تماما.

محراب الإيوان:

يتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (١٫٧٠) متر وعمقها (١٫١٠) متر كان يكتنفها عمودان (غير موجودين) يحملان عقدا نصف دائرى متراجع، أما زخارف هذا المحراب فكانت تتكون فى أسفل من وزرة رخامية ذات أشرطة رأسية ضاعت معالمها، وفى داخل الطاقية من أعلا من تفريعات نباتية بها أوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخلية، وفى واجهة العقد من نفس العناصر النباتية الموجودة فى طاقيته.

ويعلو هذا المحراب منطقة مستديرة تزينها نفس الوحدات النباتية فى دائرتين متداخلتين تحصران بينهما دائرة ثالثة تتكون من أشكال دائرية وبيضاوية كانت بها كتابات نسخية لم يبق منها إلا البسملة فى إحدى وحداتها البيضاوية بينما ضاعت باقى معالمها تماما، وتذكرنا هذه الدوائر بالدوائر الحجرية الموجودة على واجهة الجامع الأقمر (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) وبالزخارف المنقوشة فى مسجد ألماس الحاجب (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) وفى ضريح قوصون (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) (٥١٦).

وفوق المنطقة المستديرة المشار إليها توجد ثلاثة صفوف من النوافذ الصغيرة المستطيلة ذات العقود المدببة تتكون من ثلاث نوافذ فى الصف الأول تليها نافذتان فى الصف الثانى ثم نافذة واحدة فى الصف الثالث، (وتشبه فى ذلك تماما نوافذ رقبة القبة فى خانقاة قوصون)، وعلى جانبيها توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما على شكل نافذة ذات عقد نصف دائرى ممتد تزينها نفس العناصر الزخرفية النباتية، أما جانبى المحراب فعلى كل منهما دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٫٢٥) متر وعمقها (٠٫٦٠) متر.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى لهذا الإيوان فهما متشابهان فى تكوينهما المعمارى بكل منهما دخلة عرضها (٤٫٣٥) متر وعمقها (٠٫٥٥) متر يعلوها عقد مدبب، يتوسطها فى الناحية

الجنوبية شباك عرضه (٦٠ر١) متر به أسياخ حديدية متقاطعة، وهو الشباك الذى يتوسط الجدار الشمالى للقبة الجنوبية.

ويعلو عقد هذا الدخلة منطقة دائرية تشبة زخارفها زخارف المنطقة الدائرية أعلى المحراب إلا أنه من المناطق البيضاوية والدائرية فى الدائرة الثانية يوجد بها صرر دائرية تحصر كل صرتين منها كتابات نسخية لآيات من القرآن الكريم غير واضحة المعالم. (أنظر شكل: ٢٣)

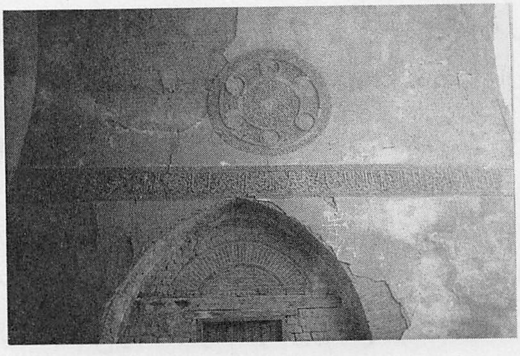
شكل ٢٣ : الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك) زخارف جصية وكتابات بالقبة

وكان يحيط بجدران هذا الإيوان (الشرقى والشمالى والجنوبى) شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية مورقة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يس والقرآن الحكيم إلى قوله تعالى وما علينا إلا البلاغ المبين» (٥١٧)، وقد ضاعت هذه الكتابات تماما فى كل من الجدارين الشرقى والشمالى (راجع شكل: ٢٣).

القبة المتهدمة:

فى جدار هذا الإيوان الشمالى دخلة تشبة الدخلة الموجودة ف الجدار الجنوبى بتكوينها المعمارى وبما يعلوها من دائرة ذات صرر بارزة إلا أن هذه الدخلة تفتح على قبة ثالثة فى هذه الناحية كانت تعلو حجرة مربعة طول ضلعها (٣٠ر٤) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال تتكون كل منها من حطة واحدة من المقرنصات التى عملت على شكل حنية ذات عقد مدبب، وتحصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه نافذتان متشابهتان متجاورتان، كل منهما ذات

شكل مستطيل يعلوه عقد مدبب، أما رقبة القبة فبها ستة عشر دخلة ذات عقود مدببة إلا أن القبة التى كانت تقوم فوق هذه الرقبة قد تهدمت، فى جدارها الشرقى والغربى بابان مسدودان متشابهان عرض كل منهما (٢ر٤٥)متر وعمقه (٥٥ر)متر يعلوه عتب من خشب مستو، أما الجدار الشمالى فبه شباك مسدود أيضا عرضه (١ر٧٥)متر وعمقه(٨٥ر)متر.

٥ – ترميمات الخانقاة :

لم تنل هذه الخانقاة من رعاية لجنة حفظ الآثار العربية إلا نذرا يسيرا انحصر فى مبلغ (–ر٥٠)جنيه صرفت سنة (٨٧ – ١٨٨٨م) على أعمال ترميمية لم تحدد(٥١٨) ومبلغ (–ر٣٠)جنيه صرفت سنة (١٩٠٨)على أعمال تقوية للتربة(٥١٩)، وبذلك لم يتعد ما صرفته اللجنة على هذا الأثر سوى ثمانين جنيها، وربما كان ذلك سببا جوهريا فى ضياع معالمها التى لم تبق لنا الأيام منها إلا الإيوان والقبتين.

الفصل السادس

خانقاوات النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى

النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى

٩ – الخانقاة الدوادارية يونس

ح : ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م

أثر رقم : ١٥٧

الواقع أن المعلومات التى أمكن الحصول عليها فيما يتعلق ببقايا هذه الخانقاة ليست بالوفرة التى وجدناها فى الخانقاوات الأخرى، والذى لا شك فيه أن هذا النقص فيما تركه المؤرخون والباحثون خاصا بها يرجع إلى أنه لم يبق منها إلا قبة صغيرة لا تستلفت النظر لا من حيث الضخامة ولا الفخامة التى اعتادها هؤلاء وأولئك فيما يكتبون عنه، وقد آثرنا ألا ننهج نفس منهجهم ونترك الحديث عنها رغم قلة ما تركته المصادر والمراجع فيما يتعلق بها عسى أن يكون ذلك مقدمة لإضافات أخرى عنها، وعلى ذلك فإن حديثنا عن بقايا هذه الخانقاة سينحصر طبقا لما لدينا من معلومات فى أربع نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقريزى أن «هذه الخانقاة من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر، أدركت موضعها وبه عدة عواميد تعرف بعواميد السباق وهى أول مكان بنى هناك»(٥٢٠)، ومعنى ذلك أن هذه الخانقاة كانت قد اندثرت على عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ولم يبق منها إلا آثارها، بدليل قوله المشار إليه «أدركت موضعها وبه عدة عواميد تعرف بعواميد السباق».

أما على باشا مبارك فإنه رغم تكراره لما ذكره المقريزى عن هذه الخانقاة ترك لنا فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) معلومات أخرى عنها أكثر تفصيلا مما ذكره المقريزى، وقد أشار إليها فى ثلاثة مواضع من كتابه المشهور ذكرها فى أول موضع منها تحت مسمى «زاوية الشيخ يونس» وقال أن التى أنشأتها هى الست عائشة اليونسية وشعائرها مقامة وبها عمودان من الرخام وميضاة وحوض ماء وبيت خلاء، وفى مقابلتها برأس باب شارع الدوداربة زاوية تعرف أضا بزاوية اليونسية كانت أول أمرها مدرسة أنشأتها الست عائشة اليونسية المذكورة نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفى الدوادار الكبير(٥٢١).

ثم تكلم فى موضع آخر من نفس الكتاب عن زاوية اليونسية فقال أنها «كانت أول أمرها مدرسة أنشأتها الست عائشة اليونسية نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفى الدوادار، فلما هدم رأس الزقاق لتوسعة الطريق هدم منها الجانب الذى به الباب، وبها ضريح الست عائشة اليونسية، ولما اختل نظامها جددها محمد مناو سنة (١٢٨٠) ولها أوقاف تحت نظره وشعائرها مقامة إلى الآن(٥٢٢) «ومعنى ذلك أن زاوية اليونسية هذه ظلت مقامة الشعائر من ريع أوقافها حتى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ثم أضاف إلى ذلك فى موضع ثالث قوله» والظاهر أن هذه الخانقاة محلها الآن (أى على عهده فى القرن ١٣هـ/ ١٩م) زاوية الشيخ يونس السعدى التى خارج باب النصر، وهى زاوية صغيرة بداخلها قبر عليه قبة تقول العامة أنه قبر الشيخ يونس مجدد طريقة السعدية بالديار المصرية، وهذا القول ليس بصحيح، لأننا لم نجد ما يدل على ذلك فى كتب التاريخ ولا فى النقل الصحيح، فلعل هذا القبر أنشأه الأمير يونس النوروزى منشئ الخانقاة لنفسه ولم يدفن به كما تقدم(٥٢٣)»، ولا ندرى لماذا دار على باشا مبارك كل هذه الدورات الثلاثة فيما يتعلق بيونس السعدى إلى أن وصل إلى أنه قبر يونس الدوادار الذى هو جزء من خانقاته التى بين أيدينا.

أما فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة فإننا لم نعثر منها إلا على ما ذكره ابن الجيعان فى التحفة السنية، ومنه يتضح أن ما أمكن الوقوف عليه من أوقاف هذا الأمير كان يشتمل على ثلاث جهات هى:

١ – الغرفة :

مساحتها (١٨٣) فدانا وعبرتها (٢٠٠)دينار وكانت وقفا للأمير يونس الدوادار(٥٢٤).

٢ – دمشوية :

مساحتها (٥٤٥) فدانا وعبرتها (٤٠٠)دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأمير يونس الدوادار(٥٢٥).

٣ – طوخ وجانة :

مساحتها (١٦١٩) فدانا وعبرتها (٤٠٠٠)دينار كانت باسم الأمير حاج بن مغلطاى ثم صارت للديوان المفرد والأمير يونس النوروزى (الدوادار)(٥٢٦).

وبذلك يتضح أن جملة أوقاف هذه الخانقاة كانت قد بلغت وفقا للاحصاء التالى ألفا وخمسمائة وثمانية وثلاثين فدانا كانت عبرتها ألفين وستمائة دينار سنويا.

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	الغرفة	١٨٣	٢٠٠	التحفة السينية
٢	دمشوية	٥٤٥	٤٠٠	» »
٣	طوخ وجانة	٨١٠	٢٠٠٠	» »
المجـــــموع		١٥٣٨	٢٦٠٠	

٢ – منشئ الخانقاة :

تنحصر معلوماتنا عن ترجمة منشئ هذه الخانقاة فقط فيما ذكره المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) الذى كان ينقل فى غالب الأحيان ما يذكره المقريزى بنصه ثم يعلله أو يضيف إليه من التفسيرات والإضافات ما يراه ضروريا.

يقول المقريزى أن الأمير النوروزى الدوادار (منشئ هذه الخانقاة) كان من مماليك الأمير سيف الدين جرجى الإدريسى أحد الأمراء الناصرية وأحد عتقائه، ترقى فى الخدم منذ أواخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية، فلما قتل الأمير يلبغا الخاصكى خدم بعده الأمير أسندمر الناصرى الأتابك وصار من جملة دواداريته، وما زال يونس هذا يتنقل فى الخدم إلى أن قام الأمير برقوق بعد مقتل الأشرف شعبان فى طلب السلطنة فكان يونس ممن أعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقاه إلى أمير مائة ومقدم ألف حتى جعله دواداره عندما تسلطن(٥٢٧).

ويبدو أن يونس هذا كان مغرما بالبناء والتشييد فقد ذكر المقريزى أنه أنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط البندقانيين، وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة، كما أنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الأعلى، وخانا عظيما خارج مدنة غزة، بالإضافة إلى الخانقاة التى بين أيدينا والتى يقول المقريزى أنه جعل بجانبها مكتبا يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وبنى بها صهريجا ينقل إليه ماء النيل(٥٢٨).

وظل يونس النوروزى الدوادار على وافر حرمته ونفاذ كلمته إلى أن خرج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) فجهز السلطان جيشا لقتاله جعل على رأسه الأمير أيتمش والأمير يونس الدوادار والأمير جهاركس الخليلى وعدة أخرى من الأمراء والمماليك، فلقوه بدمشق وقاتلوه فهزمهم وقتل الخليلى وفر أيتمش إلى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الأمير عيفا بن شطى أمير الأمراء وقتله يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر سنة ٧٩١هـ)، ولم يعرف له قبر رغم أنه كان قد أعد لنفسه عدة مدافن فى غير ما مدينة من مصر والشام(٥٢٩).

وقد كرر على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) كل ما ذكره المقريزى خاصا بترجمة الأمير يونس الدوادار، إلا أنه أضاف أنه عندما تسلطن برقوق سلك يونس هذا طريقة جليلة من كثرة الصيام والصلاة ومحبة الفقراء وحضور السماع⁽⁵³⁰⁾.

٣ – موظفو الخانقاة :

لم نعثر – فما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم – على كثير من سير الرجال الذين مارسوا العمل فى وظائف هذه الخانقاة الدينية مثل شيوخها ومدرسيها وناظر وقفها وصوفيتها، أو من الرجال الذين مارسوا العمل فى وظائفها الخدمية مثل المؤذنين والخدم وما إلى ذلك، وما أمكن الوقوف عليه من هؤلاء وأولئك ينحصر فى ترجمتين ذكر ابن حجر أولاهما بقوله : «محمود بن على بن اسماعيل بن يوسف التبريزى محب الدين بن الإمام علاء الدين القونوى ولد سنة (٧١٩هـ) واشتغل بالعلم فأفتى ودرس بالشريفية وغيرها وولى مشيخة الخانقاة الدوادارية إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين و(سبعمائة)⁽⁵³¹⁾.

وذكر السخاوى ثانيتهما حين قال «عبد الرحمن بن احمد بن عمر بن عرفات بن عوض الزينى بن الشهاب بن السراج الأنصارى الاطفيحى القمنى ثم القاهرى الشافعى ولد سنة (٧٩٠هـ) باطفيح من الوجه القبلى ونشأ بها فحفظ ودرس وولى مشيخة الصوفية بتربة يونس الدوادار المجاورة لتربة الظاهر برقوق التى كان أحد صوفيتها .. مات فى سنة ستين ظنا أو قبلها بيسير»⁽⁵³²⁾.

٤ – وصف قبة الخانقاة :

(أنظر لوحة : ١٣)

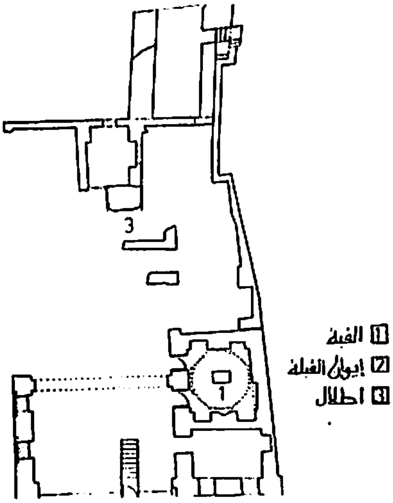

لوحة ١٣ : بقايا الخانقاة الدوادارية (يونس) أثر رقم ١٥٧
(ح ٧٥٠هـ/ ح ١٣٤٩م) مسقط أفقى

إلى الشمال من مدخل تربة الناصر فرج بن برقوق بالقرافة هناك ممر مستطيل لم يبق منه إلا جانبيه الشمالى والغربى، بالجانب الغربى منهما سبع عقود نصف دائرية تحملها ستة أكتاف حجرية ضخمة وبالجانب الشمالى عقدان، يؤدى هذا الممر إلى قبة مضلعة مبنية بالطوب تقوم على مساحة مربعة طول ضلعها (٦٠ر٧) متر هى كل تبقى من الخانقاة الدوادارية يونس.

مدخل القبة :

يقع هذا المدخل فى الواجهة الشمالية للقبة داخل دخلة عرضها (٥٠ر٢)متر وعمقها (٥٠ر)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٠ر)متر وطولها (٦٠ر١)متر وارتفاعها (٧٠ر)متر، أما المدخل نفسه فعرضه (١٠ر١)متر يعلوه عقد حجرى فريد فوقه نافذة مستطيلة، وتنتهى دخلة هذا المدخل بعقد نصف دائرى ممتد تزينه زخارف مخدات متوازية، وكان على جانبى هذا المدخل إزار به كتابات نسخية ضاعت معالمها ولم يبق منها بعد البسملة إلا «أمر بانشاء هذه القبة والمدفن المبارك .. .. .. آمين».

ويؤدى هذا المدخل إلى الضريح وهو عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل (٧٠ر٥)متر تقوم فى أركانها الأربعة أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، بين كل منطقتين منها توجد ثلاث نوافذ اثنتان سفليتان متجاورتان وثالثة تعلوهما، وفى رقبة القبة ثمان نوافذ أخرى مشابهة، أما القبة من الداخل فتزينها زخارف مضلعة متوازية.

محراب القبة :

فى الجدار الشرقى لهذه القبة يوجد محراب عبارة عن حنية عرضها (٨٠ر)متر ذات عقد نصف دائرى كان يكتنفها عمودان، ويزين طاقية هذا المحراب من الداخل زخارف لحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويمتاز هذا المحراب بوجود تجويفين متداخلين للداخل بينهما طاقية مخوصة لها مقرنص من ثلاث حطات، وهو بهذا الشكل يعد محرابا غريبا فى تصميمه فريدا فى شكله.

وعلى جانبى هذا المحراب من الشمال والجنوب يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٨٥ر) متر وعمقه (٥٥ر) متر إلا أنهما مسدودان الآن، أما الجدار الغربى فيقابل المحراب فيه دخله عرضها (٤٠ر١) متر وعمقها (٢٥ر) متر ذات عقد نصف دائرى يعلوه شباك قندلية يحمل عقديه السفليين فى الوسط عمود حجرى مثمن الأضلاع، وفوق هذا الشباك قمرية دائرية.

وعلى جانبى هذه الدخلة من الشمال والجنوب أيضا يوجد شباكان متشابهان مع الشباكين على جانبى المحراب، أما الجدار الجنوبى فتتوسطه دخله تشبه دخلة الجدار الغربى على جانبيها شباكان يشبهان باقى الشبابيك وفوقها شباك قندلية يشبه الشباك الموجود بالجدار الغربى.

ويغلب على الظن أن الدخلتين فى وسط الجدارين الغربى والجنوبى كل منهما كان عبارة عن باب يدخل منه إلى باقى الخانقاة من هاتين الناحيتين، كذلك يوجد على جانبى المدخل شباكان مستطلان يتشابهان مع باقى الشبابيك إلا أنهما مسدودان بسدات حديثة.

أما واجهات هذه القبة من الخارج (أنظر شكل: ٣٤) فالشرقية مصمته والجنوبية بها دخلة عرضها (٩٠ر١) متر وعمقها (٢٠ر) متر كان بأسفلها الباب المشار إليه بالداخل يعلوه عتب فوقه عقد عاتق يعلوه الشباك القندلية المشار إليه، وكان يتوج الدخلة مقرنصات تهدمت تماما، أما الواجهة الغربية فبها دخلة تشبه الدخلة الموجودة فى الواجهة الجنوبية، بها من أسفل شباك مستطيل الشكل عرضه (٤٠ر١) متر به أرماح ومخرزات حديدية ويعلوه عتب مستو نقشت فيه كتابات نسخية من سطرين نصهما:

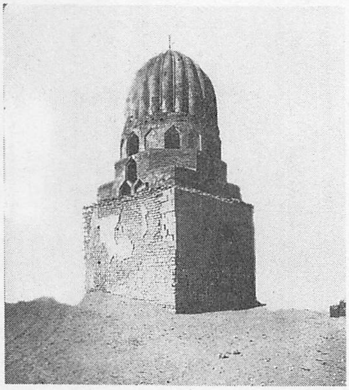

شكل ٢٤ : الخانقاة الدوادارية (يونس) أثر رقم ١٥٧
(ح ٧٥٠هـ/ ح ١٤٩م) القبة من الخارج

«بسم الله الرحمن الرحيم. بتاريخ يوم السبت ثامن عشر شوال سنة ثمانين وسبعمائة توفى المقر المرحوم الشرفى(٥٣٣) تغمده الله برحمته والد المقر الأشرف العالى السيفى(٥٣٤) برقوق أتابك(٥٣٥) العساكر عز نصره».

ونظرا لوجود هذا النص الذى يشير إلى وفاة والد السلطان الظاهر برقوق فى ١٨ شوال سنة

(٧٨٠هـ) ودفنه بهذه القبة فقد نسبت القبة خطأ إليه، وهذا يعنى أن السلطان الظاهر برقوق كان لا يزال حتى بناء هذه الخانقاة آتابك العسكر، وقد أيدت ذلك بعض المراجع العربية الحديثة التى أوردت أن هذه القبة نسبت خطأ إلى والد السلطان برقوق لأنه مدفون فيها رغم أنها هى كل ما تبقى من خانقاة كبيرة كانت قائمة فى تلك الصحراء باسم الأمير يونس النوروزى الدوادار(٥٣٦).

١٠ – الخانقاة الشيخونية

٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م

أثر رقم : ١٥٢

كانت الخانقاة الشيخونية واحدة من أهم خانقاوات المماليك البحرية التى أنشئت بالقاهرة، يدل على ذلك ما تركته لنا المصادر والمراجع العربية من معلومات فى هذا الصدد، وقد أمكن تقسيم هذه المعلومات طبقا لما اشتملت عليه من موضوعات إلى ست نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – صوفية الخانقاة.

٥ – وصف الخانقاة.

٦ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

حظيت هذه الخانقاة بكتابات كثيرة من المؤرخين القدامى مثل المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك، وبكتابات كثيره غيرهم من الباحثين المحدثين.

يقول المقريزى أن هذه الخانقاة فى خط الصليبة خارج القاهرة (يقصد القاهرة الفاطمية) تجاه جامع شيخو، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمرى الناصرى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة، وكان موضعها من جملة قطائع ابن طولون اشتراه الأمير شيخو من المساكن التى كانت مقامه عليه وهدمها فى المحرم من هذه السنة، فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان اختط فيها

الخانقاة وحمامين وعدة حوانيت تعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة ودرسا للحديث النبوى ودرسا لإقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف(٥٣٧).

أما السيوطى فيقول أن «خانقاة شيخو بناها الأمير الكبير رأس نوبة الأمراء الجمدارية سيف الدين شيخو العمرى، جالبة خواجا عمر وأستاذه الناصر محمد بن قلاوون، ابتدأ عمارتها فى المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة وفرغ من عمارتها سنة سبع وخمسين وسبعمائة(٥٣٨)» وفى موضع آخر من نفس الكتاب يقول «ورتب فيها (منشئوها) أربع دروس على المذاهب ودرس حديث ودرس قراءات ومشيخة إسماع الصحيحين والشفاء»(٥٣٩) وبذلك أضاف لنا مشيخة الإسماع زيادة على ما ذكره المقريزى وهذا يعنى إما أن يكون المقريزى قد نسى ذكرها عندما تحدث عن دروس هذه الخانقاة وإما أنها لم تكن موجودة على عهده فى القرنين(٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) ثم أضيفت إليها على عهد السيوطى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وذكر هذه الخانقاة تحت اسم جامع شيخو حين قال أن «جامع شيخوا اسم جامعين بشارع الصليبة متقابلين ذكرهما المقريزى فى خططه، أحدهما باسم جامع شيخوا والآخر باسم خانقاة شيخو لأنه جعل الأول لخصوص الصلاة ونحوها والثانى جعل فيه صوفية، وبنى لهم مساكن وجعل فى الجامع عشرين صوفيا، ثم لما عمر الخانقاة تجاه الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدتهم»(٥٤٠) ثم عاد فى موضع آخر من نفس الكتاب وسماها بالخانقاة حين قال «خانقاة فى خط الصليبة تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير شيخو العمرى سنة ست وخمسين وسبعمائة وهى عامرة إلى الآن وشعائرها مقامة»(٥٤١).

ولم يقتصر الحديث عن تاريخ الخانقاة الشيخونية على ما ورد فى المصادر العربية فيما سبقت الإشارة إليه، وإنما كان هناك مما أوردته فى هذا الصدد أيضا بعض المراجع العربية الحديثة ما لم يخرج عن دائرة ما ذكرته المصادر المشار إليها من حيث المنشئ وتاريخ الإنشاء ودروس المذاهب والحديث والقراءات ومشيخة الإسماع ونحو ذلك(٥٤٢)، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا صاحب فهرست وثائق القاهرة الذى ذكر أن بناء هذه الخانقاة كان قد تم بعد بناء الجامع بست سنوات

تماماً(٥٤٣)، ولا ندرى من أين جاء بهذا الجزم رغم أن نص إنشاء الخانقاة سنة (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م) كان قد سجل فى الكتابات المنقوشة على مدخلها ولم يترك بذلك مجالا لأى اجتهاد فيه.

وأخيرا يضيف القاضى مجير الدين الحنبلى إلى معلوماتنا عن شيخونيتى القاهرة (الجامع والخانقاة) شيخونية القدس فيقول أنها بالقرب من الصلاحية، عند سويقة باب حطة واقفها الأمير سيف الدين قطيشا بن على بن محمد من رجال حلقة دمشق كان مجاورا بالقدس الشريف وجعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف، وتاريخ وقفها مستهل صفر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة»(٥٤٤).

أما عن أوقاف هذه الخانقاة فقد وردت الإشارات إليها فيما ذكره كل من المقريزى وابن الجيعان والجبرتى وعلى باشا مبارك منذ القرن (٩هـ/ ١٥م) إلى القرن (١٣هـ/ ١٩م)، يقول المقريزى «ورتب (أى المنشئ) لكل من الطلبة فى اليوم الطعام واللحم والخبز، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون، ووقف عليها الأوقاف الجليلة .. ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فأخذه الملك الناصر فرج، وأخذت أحوالها تتناقض حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لأرباب الوظائف بها عدة أشهر، وهى إلى اليوم على ذلك»(٥٤٥) ومع أن هذا الذى ذكره المقريزى يشير صراحة إلى أن أوقافها كانت كثيرة وذات عائد وافر كان يفيض عن مصروفات أرباب الوظائف الكثيرة فيها، إلا أنه لم يوضح لنا ما هية هذه الأوقاف.

وعلى عكس ما ذكره المقريزى مجملا غير مفصل، فقد أشار ابن الجيعان إلى أن أوقاف منشئ هذه الخانقاة كانت تشتمل من الأراضى على ما يلى :

١ – طنبور والخريطة :

«مساحتها (٤٠٧) فدان وعبرتها (٧٠٠) دينار وهى وقف المرحوم شيخو والمرحوم منجك»(٥٤٦).

٢ – القصيعة :

«مساحتها (٢٦٣٩)فدانا وعبرتها (٦٣٠٠)دينار، كانت باسم الشوانى بثغر دمياط المحروس ثم صارت وقفا للخانقاة الشيخونية»^(٥٤٧).

٣ – بنابوصير :

«وقف الخانقاة الشيخونية (ولم يزد)^(٥٤٨).

٤ – حصة قسطة :

«مساحتها (١٩٠)فدانا وعبرتها (٤٠٠)دينارا وقف الأمير شيخو»^(٥٤٩).

٥ – محلة الأمير :

«عبرتها (١٥٠٠)دينار ملك المرحوم شيخو»^(٥٥٠).

٦ – الواقية :

«من كفور دير أسود مساحتها (٢٠٠)فدان وعبرتها (١٠٠٠)دينار وقف شيخو»^(٥٥١).

٧ – قوارير بني أحمد :

«مساحتها (٢١٠)فدانا وعبرتها (٦٠٠)دينار وقف الجامع والخانقاة إنشاء الأمير شيخو العمرى بالصليبية الطولونية رحمه الله تعالى»^(٥٥٢).

وبذلك يتضح أن جملة أوقاف هذه الخانقاة كانت قد بلغت وفقا للإحصاء التالى ثلاثة آلاف وستمائة وستة وأربعين فدانا، كانت عبرتها عشرة آلاف وخمسمائة دينار سنويا وذلك بخلاف ما لم تحدد مساحته ولا عبرته من هذه الأوقاف :

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	طنبور والخريطة	٤٠٧	٠٧٠٠	التحفة السينية
٢	القصيعة	٢٦٣٩	٦٣٠٠	» »
٣	بنا بوصير	–	–	» »
٤	حصة قسطة	٠١٩٠	٠٤٠٠	» »
٥	محلة الأمير	–	١٥٠٠	» »
٦	الواقية	٠٢٠٠	١٠٠٠	» »
٧	قوارير بنى أحمد	٠٢١٠	٠٦٠٠	» »
المجموع		٣٦٤٦	١٠٫٥٠٠	

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكرر ما ذكره المقريزى والجبرتى خاصا بأوقاف هذه الخانقاة من حيث كثرتها ووفرة مالها الذى أخذ فائضه الناصر فرج وعطل صرف رواتب أصحاب الوظائف فيها حتى كانت حوادث سنة (١٢٣١هـ) عندما عين الشيخ أحمد الطهطاوى الحنفى ناظرا لوقف الشيخونيتين واستخلص أماكنهما وجمع إيردهما ثم شرع فى تعميرها، وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح فجدد عمارة المسجد وأنشأ بها صهريجا(٥٥٣)، ثم أضاف إلى ما ذكره نقلا عن الجبرتى فى حوادث سنة (١٢٠١هـ) «أن الأمير أحمد جاويش وضع فى خزانة هذا الجامع كتبا نفيسة ف علوم شتى وجعلها وقفا فى حال حياته تحت يد الشيخ موسى الشيخونى الحنفى»(٥٥٤).

٢ – منشىء الخانقاة :

ترجم كثير من المؤرخين القدامى لمنشئ هذه الخانقاة ولا سيما ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والقاضى مجير الدين الحنبلى وعلى باشا مبارك وغيرهم، كما ترجم له غير واحد من الباحثين المحدثين، فيقول الحنبلى أن شيخون هذا هو ابن الأمير سيف الدين قطيشا بن على بن محمد الذى كان من رجال حلقة دمشق(٥٥٥)، ويضيف ابن حجر أنه تقدم فى أيام المظفر حاجى

واستقر فى أول دولة الناصر حسن أحد رؤوس المشورة إلى أن صار زمام الملك بيده فعظم شأنه، حتى كتب له فى شوال سنة إحدى وخمسين (وسبعمائة) بنيابة طرابلس وهو فى الصيد، فساروا به إلى دمشق غير أنه لم يلبث أن قبض عليه وسجن بالاسكندرية، فلما استقر الصالح صالح أفرج عنه فى رجب سنة اثنتين وخمسين، إلا أنه قام فى خلع الصالح وإعادة الناصر حسن فى شوال سنة خمس وخمسين فحملها الناصر له حتى قرره مدبرا للملكة إلى أن كان ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين فوثب عليه مملوك يقال له آى قجا أحد المماليك السلطانية المرتجعة عن منجك فجرحه بالسيف فى وجهه ويده وهو فى دار العدل بحضرة السلطان، فقبض على هذا المملوك وسمر وطيف به وظل شيخو متعللا بجراحه لا يطلع إلى القلعة والعسكر كله يتردد دون إليه ويقفون فى خدمته، وتكرر نزول السلطان إليه لمعاودته إلى أن مات فى سادس عشرى ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة(٥٥٦).

أما المقريزى فقد كان حديثه عن ترجمة الأمير شيخو أكثر تفصيلا مما ذكره ابن حجر، وأكثر تفسيرا للعديد من أحداث حياته حيث يقول أنه كان أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ثم نال خطوة عند ابنه المظفر حاجى، وزادت وجاهته حتى أنه كان يشفع فى الأمراء لإخراجهم من السجن، واستقر فى أول دولة الملك الناصر حسن أحد امراء المشورة، فكانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان فى أيام الخدمة، وصار زمام الدولة فى يده فساسها أحسن سياسة بسكون وعدم شر، وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه، فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أمسك السلطان الأمير منجك الوزير وكتب تقليدا لشيخو بنيابة طرابلس وهو فى الصيد فى ناحية طمان من الغربية وجهزه إليه مع الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار إلى دمشق حتى وصلها رابع ذى القعدة، وظهر مرسوم السلطان بإقامة شيخو فى دمشق على إقطاع الأمير بليك السالمى وبتجهيز بيليك إلى القاهرة، وتم ذلك فعلا(٥٥٧).

وما كاد بيليك يصل إلى القاهرة حتى وصل دمشق مرسوم بإمساك شيخو وتجهيزه إلى السلطان وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق، فأمسك وجهز مقيدا، فلما وصل إل قطيا توجهوا به إلى الاسكندرية فسجن بها إلى أن خلع الناصر حسن وتولى أخوه الصالح فأفرج عن شيخو فى رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وأنزل فى الأشرفية بالقلعة فأخذ فى تتبع رؤوس

الفتنة ولا سيما الأمير يلبغا روس وابن دلغار والأحدب الذى خرج بالصعيد وغيرهم فأمسكهم جميعا ووسط بعضهم وحز رؤوس بعضهم الآخر وعلقها على باب زويلة فسكنت الفتن فى أواخر سنة أربع وخمسين وأوائل السنة التى بعدها، ثم حدث أن خلع شيخو الملك الصالح وأقام بدله أخاه الناصر حسن فى ثانى شوال، وأخرج الأمير طاز إلى حلب نائبا لها فصارت الأمور كلها راجعة إليه وزادت عظمته وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته حتى كاد يكاثر أمواج البحر بما ملك وقل له قارون عصره وعزيز مصره(٥٥٨).

وكانت أمواله خير معين له على تقوية حزبه فجعل فى كل مدينة بعض أمرائه الكبار حتى قيل أن دخل ديوانه بلغ فى اليوم الواحد أكثر من مائتى ألف درهم نقرة، وهو ما لم يسمع بمثله فى الدولة التركية، وذلك غير الإنعامات السلطانية والهدايا التى كانت ترد إليه من مصر والشام، وما كان يأخذ من البراطيل (الرشوة) على ولاية الأعمال، ولم يزل على حاله هذه إلى كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الأمير منجك يقال له باى فضربه بالسيف فى وجهه ويده وهو جالس بدار العدل فارتجت القلعة كلها، وركب عشرة من الأمراء الكبار بسلاحهم حتى أمسك باى هذا وسجن ثم سمر وطيف به فى الشوارع وبقى شيخو عليلا إلى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ودفن بالخانقاة الشيخونية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما(٥٥٩).

ورغم أن ترجمة ابن تغرى بردى للأمير شيخو لم تكن بالتفصيل الوافر الذى ذكره المقريزى، ولا حتى بالحديث المختصر الذى أشار إليه ابن حجر، إلا أنه لم يضيف إلينا بعضا مما اختلف فيه بين ابن حجر والمقريزى ولا سيما فيما يتعلق بالمملوك الذى طعنه بدار العدل فى حضرة السلطان، بل أضاف إلينا بعضا مما يتعلق بشخصيته هو مما لم يذكره أى منهما فعلى حين ذكر ابن حجر لطاعنه باسم أى قجا وذكر المقريزى له باسم أى، أفادنا ابن تغرى بردى أن اسمه قُطْلُوخَجَا السلاح دار ثم أضاف أنه الأمير الكبير أتابك العسكر شيخون بن عبد الله العمرى الناصرى اللالا كان أصله من كتابية الملك الناصر محمد وكان تركى الجنس، وهو أول من سمى بالأمير الكبير، وليها بخلعة ثم صارت من بعده وظيفة(٥٦٠) وفى هذا ما يشير إلى أن شيخو كان مربيا لأبناء السلطان بدلالة التسمية التى ذكرها ابن تغرى بردى مضافا إليها لقب «لا لا».

وقد نقل على باشا مبارك ترجمته من المصادر التى سبقته ولا سيما المقريزى فأشار إلى أصله بين مماليك الناصر وحظوته عند المظفر حاجى وزيادة وجاهته حتى شفع فى الأمراء وأخرجهم من السجن، ثم ولايته لنيابة طرابلس ثم القبض عليه وإحضاره مقيدا إلى القاهرة حيث سجن بالاسكندرية إلى أن خلع الناصر حسن وتولى الصالح صالح فأفرج عنه وزادت عظمته وكثرت أمواله وممتلكاته(٥٦١).

ومع ذلك فلم تقتصر ترجمة الأمير شيخو على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تكلمت عنه أيضا بعض المراجع العربية الحديثة التى تناولت منشآته بالذكر، ومجمل ذلك لا يتعدى فى الواقع ما ورد فى المصادر مما سبقت الإشارة إليه تفصيلا رغم اشتماله على بعض الإضافات ولا سيما ما ورد فيها من أنه لما ولى الملك الصالح بن الملك الناصر محمد أفرج عنه من سجن الاسكندرية فى رجب سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) وأنعم عليه بتقدمه ألف، وأنه كان صاحب منشآت خيرية كثيرة لم يبق منها إلا سبيلا جميلا نادر المثال محفورا فى الصخر بالحطابة بالإضافة إلى الجامع والخانقاة بالصليبية(٥٦٢)، وأنه جلب من أواسط آسيا حيث المغول الذين وضعوا نهاية للخلافة العباسية فى بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ولذا يرجح البعض أنه مغولى الأصل(٥٦٣).

٣ – موظفو الخانقاة :

لقد حفظت لنا المصادر العربية كثيرا من تراجم الشخصيات التى وليت وظائف هذه الخانقاة، مما كان له أكبر الأثر فى وقوفنا على نوعيات هذه الوظائف ومن ثم على نوعيات التخصصات التى قرر المنشئ أن تمارس فيها، وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من هذه التراجم فقد أمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة إلى قسمين رئيسيين يختص أولهما بالوظائف الدينية ويختص ثانيهما بوظائف الخانقاة الخدمية.

أولا الوظائف الدينية :

شملت وظائف هذه الخانقاة الدينية – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم العديد من التخصصات ولا سيما شيوخ الخانقاة ومدرسو المذاهب والحديث والتفسير والقراءات بالإضافة إلى

شيوخ الإسماع والإقراء وإمام الخانقاة وخطيبها.

أ- شيوخ الخانقاة :

ترك لنا ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى وابن العماد وعلى باشا مبارك وغيرهم كثيرا من تراجم شيوخ هذه الخانقاة ممن شرط الواقف فيهم أن يكونوا عارفين بالتفسير والأصوال، وألا يكون أحدهم قاضيا، فكان ممن ذكرهم ابن حجر محمد بن محمد بن محمود بن احمد البابرتى الشيخ أكمل الدين الحنفى الذى قرره شيخو فى مشيخة الشيخونية بصفة شيخها الأكبر وعظم عنده جدا ثم عند من بعده إلى أن زادت عظمته عند الظاهر برقوق الذى كان يجئ إلى شباك الشيخونية فيكلمه وهو راكب وينتظره حتى يخرج فيركب معه، وقد أضاف المقريزى والسيوطى إليه علاوة على مشيخة الخانقاة تدريس الحنفية بها والنظر فى أوقافها، كان فاضلا صاحب فنون، مات سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد جاوز السبعين(٥٦٤)، ومحمد بن محمد بن عبد الله القيصرى أبو الثناء جمال الدين الذى اشتغل وتفقه ومهر فى المعانى والعربية وقدم القاهرة فنزل بالصرغتمشية ثم ولى الحسبة سنة ثمان وسبعين (وسبعمائة) واستقر فى قضاء العسكر وتزوج بنت الطولونى وأختها تحت برقوق، ثم ولى نظر الجيش فى ربيع الأول سنة إحدى وتسعين (وسبعمائة) «ثم أضيفت إليه مشيخة الشيخونية فلم يزل (بها) إلى أن مات سنة تسع وتسعين (وسبعمائة)»(٥٦٥).

وكان من ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن محمود بن عبد الله العلامة صدر الدين الحنفى الشهير بابن العجمى محتسب القاهرة وشيخ الشيخونية الذى ولد بالقاهرة سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) ولازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربية وتولى عدة وظائف منها نظر جيش دمشق وحسبة القاهرة ونظارة الجوالى ومشيخة الشيخونية وكان يجالس الملك المؤيد وينادمه حتى مات سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)(٥٦٦).

أما السيوطى فقد ذكر كثيرا من مشايخ هذه الخانقاة بترتيب توليهم ابتداء من عز الدين يوسف بن محمود الرازى الذى وليها بعد أكمل الدين البابرتى ومات فى المحرم سنة (٧٩٤هـ) فولى بعده جمال الدين محمود ابن احمد القيصرى المعروف بابن العجمى، ثم عزل منها بعد عام

واحد سنة (٧٩٥هـ) ووليها الشيخ سيف الدين السيرامى مضافا لمشيخة الظاهرية، ثم وليها بدر الدين الكلسانى إلى أن عزل فوليها الشيخ زاده ثم الشيخ جمال الدين بن العديم سنة (٨٠٨هـ) ثم والده ناصر الدين سنة (٨١١هـ) ثم الشيخ أمين الدين بن الطرابلس سنة (٨١٢هـ) ثم أعيد إليها ابن العديم ثم وليها من بعده شرف الدين بن التبانى سنة (٨١٥هـ) إلى أن مات فى صفر سنة (٧٢٧هـ) فوليها الشيخ سراج الدين قارئ الهداية إلى أن مات سنة (٨٢٩هـ) فوليها الشيخ زين الدين التفهنى ثم صرف منها فى سنة (٨٣٣هـ) بالقضاء ووليها صدر الدين بن العجمى إل أن مات فى رجب من عامة ووليها البدر حسن بن أبى بكر القدسى(٥٦٧).

وإذا كان السيوطى قد ذكر كل هؤلاء الشيوخ إجمالا بترتيب توليتهم لمشيخة هذه الخانقاة دون أن يعطى أية معلومات عن سيرهم الشخصية، فقد غطى السخاوى من بعده بعض جزئيات هذه الحلقة (السيوطية) فى ترجمته لكثير من هؤلاء الشيوخ الذين كان منهم أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله الصدر بن الجمال القيسرى القاهرى الحنفى الذى عرف بابن العجمى وهو صاحب الترجمة الوحيدة التى ذكرها ابن تغرى بردى - فيما سبقت الإشارة إليه - وصاحب الوظائف العديدة المشار إليها إلا أن السخاوى أضاف إلى معلوماتنا عنه كثيرا من الصفات التى لا تحمد فقال أنه «ولى وظائف عدة ولم ينفصل عن واحدة منها بخير ولا شكر، ولى الحسبة فى الأيام المؤيدية فخرج منها خائفا يترقب، ونظر الجيش بدمشق فعزل عنه بالضرب والعصر والمصادرة، ونظر المواريث فى الأيام المؤيدية فخرج غير مشكور، وكذا نظر الكسوة، وآخر الأمر تولى مشيخة الشيخونية فأخذ من وقفها مقدار سبعين ألف ومات وهى فى ذمته (كأشياء كثيرة لأناس معينين)»(٥٦٨).

والحسن بن أبى بكر أحمد بن الشهاب القدسى ثم القاهرى الحنفى الذى عرف بابن بقيرة، ولد سنة (٨٦٨هـ) ببيت المقدس فاشتغل وأخذ بالقدس ودمشق والقاهرة «ثم استقر فى مشيخة الشيخونية لما أعيد التفهنى إلى القضاء فى رجب سنة (٨٣٣هـ)، مات فى ربيع الآخر سنة (٨٣٦هـ) وقد قارب السبعين ودفن فى جامع شيخون بالفسقية التى فيها العز الرازى»(٥٦٩).

وزاده العجمى الجرزبانى الحنفى الذى عرف بالشيخ زاده «قدم من بلاده إلى حلب سنة أربع وتسعين (وثمانمائة) ثم دخل القاهرة وولى بعد ذلك تدريس الشيخونية ومشيختها، ولم يلبث

أن مات واستقر جمال الدين بولده فى تدريس الحنفية بمدرسته جبرا لما وقع من إخراج الشيخونية عن أبيه مع كونه ناب عنه فيها(٥٧٠).

وعبد البر بن محمد بن محمود سرى الدين بن المحب الحلبى ثم القاهرى الحنفى سبط الولوى السفطى الذى عرف بابن الشحنة، ولد فى تاسع ذى القعدة سنة إحدى وخمسين (وثمانمائة) بحلب وانتقل منها إلى القاهرة فحفظ واشتغل حتى صار – كما يقول ابن الغزى – جليس السلطان الغورى وسميره ولما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية تصوفا وتدريسا(٥٧١).

وقد وردت ألقاب ابن الشحنة فى السطور من (١٠ – ١٢) من وثيقة استبدال من القرن (١٠هـ/ ١٦م) نشرها الأستاذ الدكتور محمد أمين جاء فيها :

١٠ – قاضى قضاة المسلمين خالصة أمير المؤمنين أبو البركات عبد البر بن الشحنة الحنفى الناظر فى الأحكام

١١ – الشرعية بالديار المصرية وسائر المملكة الإسلامية كوالده وجديه لأبويه ذوى المناصب السنية وشيخ

١٢ – الشيوخ بالمدرسة الشيخونية كوالده ووالده وجده ذوى الرتب العلية وما أضاف إلى ذلك من الوظائف الدينية.

ويقول الناشر أن هذه الألقاب التى شغلت ثلاثة أسطر كاملة لم يظفر بها قاضى قضاة آخر، ولا غرابة فى ذلك خاصة وأن ابن الشحنة هذا سليل بيت من بيوت العلم فأبوه قاضى القضاة محب الدين محمد بن غازى الثقفى المتوفى سنة (٨٩٠هـ) ١٤٨٩م) وجده محب الدين أبو الدليد محمد المتوفى بحلب سنة (٨٢٥هـ/ ٢٤٢٢م)(٥٧٢).

وفى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل الزين الكركى والد الإمام إبراهيم يقول السخاوى أنه «تنزل فى صوفية الشيخونية قديما وسمع فيها على القوى والجمال عبد الله الحنبلى وغيرهما كشيخنا، مات فى يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمانين (وثمانمائة)(٥٧٣)، فإذا كان عبد الرحمن الكركى هذا كان قد سمع بالشيخونية على القوى والجمال الحنبلى وشيخ

السخاوى، فإن هذا يعنى أن ابن حجر علامة عصره كان أحد مدرسى هذه الخانقاة.

كذلك كان ممن ذكرهم السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة عبد الوهاب بن محمد بن أحمد الشمس الطرابلسى الأصل القاهرى الحنفى الذى عرف بابن الطرابلسى، ولد فى ثامن عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين فحفظ ودرس ثم ولى قضاء العسكر ثم القضاء الأكبر فى ١٢ جمادى الثانية سنة (٨٠٣هـ) عقب موت الجمال الملطى، ثم صرف عنه الكمال بن العديم ثم أعيد إليه فى رجب سنة (٨١١هـ) ثم صرف عنه بناصر الدين بن العديم «واعتنى به الجمال الأستادار فانتزع له مشيخة الشيخونية منه (ابن العديم) فباشرها إلى رجب سنة (٨١٥هـ) فاسترجعها ابن العديم بمال، فاستمر بطالا حتى مات بالطاعون فى ربيع الأول سنة تسع عشرة (وثمانمائة)[٥٧٤].

وعمر بن على بن فارس السراج ابو حفص الكنانى القاهرى الحسينى الحنفى الذى عرف بقارئ الهداية، ولد بالحسينية .. واستقر بآخره فى مشيخة الشيخونية بعد الشرف بن التبانى فى صفر سنة سبع وعشرين (وثمانمائة)[٥٧٥].

أما ابن العماد فلم يذكر من شيوخ هذه الخانقاة إلا «سيف الدين سيف وقيل يوسف الذى سماه المقريزى ابن عيسى السيرامى الحنفى نزيل القاهرة، كان منشأه بتبريز ثم قدم حلب (مثل الشيخ زاده العجمى المشار إليه) وظل بها إلى أن استدعاه الظاهر من حلب وقرره فى التدريس بمدرسته ثم ولاه مشيخة الشيخونية بعد وفاة عز الدين الرازى»[٥٧٦].

ب - مدرسو المذاهب بالخانقاة:

اشتملت هذه الخانقاة على دروس للمذاهب الفقهية الأربعة (الشافعية والحنيفية والمالكية والحنابلة) وجعل لكل درس شيخا وطلبة اشترط عليهم - كما يقول على باشا مبارك - حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف[٥٧٧]، ففيما يتعلق بفقه الشافعية، أورد كل من ابن حجر والمقريزى

والسخاوى وابن ظهيرة وابن العماد بعض تراجمهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر ممن درسوا مذهب الشافعية بهذه الخانقاة بن سعد الله بن عثمان القرمى بن قاضى العزم العفيفى الشيخ ضياء الدين القزوينى الفقه الشافعى، قدم القاهرة وحظى عند الأشرف شعبان حتى ولاه مشيخة مدرسته والتدريس فيها قبل أن تكمل وسماه شيخ الشيوخ وأمر بإسقاط هذا الإسم عن شيخ سرياقوس(٥٧٨)، ولم يذكر المقريزى فى هذا الصدد أكثر من أن منشئها كان قد قرر فى تدريس شافعيتها الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى(٥٧٩).

أما السخاوى فقد ذكر من مدرسى الشافعية بهذه الخانقاة: أحمد بن محمد بن على بن موسى الشهاب الإبشيهى المحلى الشافعى، ولد بالمحلة فحفظ وكتب وأخذ، ثم قدم القاهرة فقرأ على النظام الحنفى فى العربية وبرع وناب فى القضاء، وأكثر من التردد للأمير تمراز حتى قرره فى تدريس الشافعية بالشيخونية، مات فى تاسع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين (وثمانمائة)(٥٨٠).

وعبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على بن القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى سادس رجب سنة سبع عشرة (وثمانمائة) فحفظ وقرأ وعرض ثم استقر فى تدريس الفقه بالشيخونية شركة بينه وبين ابن الجمال ابراهيم، ثم فى مشيخة الفقه بالشيخونية عقب السراج الورورى، مات فى ثالث شعبان سنة إحدى وسبعين (وثمانمائة)(٥٨١)، وهذا يدل على أن فقه الشيخونية الشافعى كان يدرس أحيانا شركة أو مناصفة بين شخصين.

كذلك فقد أشار السخاوى إلى عبد الرحمن بن محمد أحمد بن البدرى الأبيارى الأصل القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الامانة ولد فى خامس صفر سنة ثلاثة وعشرين (وثمانمائة) بخزانة البنود من القاهرة فحفظ ودرس حتى ولى تدريس الفقه الشافعى بالزنكلونية نيابة وبالشيخونة استقلالا بعد الشهاب الإبشيهى، وكان متين العقل كثير التودد حسن العشرة(٥٨٢).

وعلى بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على القطبى القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ ودرس وأخذ، وبعناية الدوادار الكبير تغرى بردى المؤذى استقر فى تدريس الفقه بالشيخونية(٥٨٣).

ولم يذكر ابن ظهيرة من مدرسى فقه الشافعية بهذه الخانقاة غير شيخه محمد بن على بن يعقوب العلامة شمس الدين القاياتى قاضى القضاة الشافعى النحوى (٧٨٥ – ٨٥٠هـ) الذى برع – كما قال – فى الفقه والعربية ودرس الشافعى بالشيخونية(٥٨٤).

أما أبن العماد فقد ذكر من تراجم هؤلاء صدر الدين أبو المعالى بن ابراهيم بن اسحق السلمى المناوى ثم القاهرى الشافعى الذى نشأ فى حجر السعادة فحفظ ودرس حتى قام بالتدريس فى المدرسة الشيخونية(٥٨٥)، شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى (نسبة إلى بلدة قايات قرب الفيوم) ثم القاهرى الشافعى قاضى القضاة، تولى التدريس فى المدرسة الشيخونية وولى قضاء الشافعية بمصر(٥٨٦)، وقد أضاف على باشا مبارك إلى كل هؤلاء الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى(٥٨٧).

ومن هذه التراجم يتضح لنا أن فقه الشافعية بالشيخونية كان أحد الدروس التى حظيت بمجموعة هائلة من شيوخ المذهب منهم ضياء الدين القرمى الذى سمى بشيخ الشيوخ وبهاء الدين بن على السبكى وأخيه أحمد، وأحمد الإبشيهى المحلى وعبد الرحمن بن القطب القلقشندى وأخيه على وابن الأمانة وشمس الدين القاياتى وصدر الدين المناوى.

ومع كثرة عدد من وقفنا على تراجمهم ممن تولوا تدريس الشافعية بهذه الخانقاة فإننا لم نعثر فيما يتعلق بمدرسيها من الحنيفة إلا على ما ذكره على باشا مبارك حين قال أن صاحبها «أقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود (البابرتى) فى مشيخة الخانقاة وفى تدريس الحنفية بها(٥٨٨).

أما فيما يتعلق بمدرسى المالكية، فقد ترك لنا كل من ابن حجر والمقريزى والسخاوى وابن العماد تراجم بعضهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر : أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد الاسكندرانى، ولى الدين المالكى الذى استغل وهو صغير وتقرر فى بعض وظائف والده بعد موته كالشيخونية، ثم أدركه الموت بعد يسير فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين (وسبعمائة)(٥٨٩).

وخليل بن اسحاق بن موسى المالكى المعروف بالجندى وكان يسمى محمدا ويلقب ضياء الدين، شرع فى الاشتغال بعد شيخه وتخرج به جماعة ثم درس بالشيخونية، وأفتى وأفاد وكان حييا عفيفا نزها، مات فى ربيع الأول سنة سبع وستين (وسبعمائة)(٥٩٠).

ولم يذكر المقريزى – كما فعل فى فقه الشافعية إلا واحدا من مدرسى الفقه المالكى بهذه الخانقاة حين قال «وقرر (المنشئ) فى تدريس المالكية الشيخ خليل وهو متجند الشكل وله اقطاع فى الحلقة»(٥٩١)، وهى نفس الترجمة التى ذكرها على باشا مبارك وزاد عليها أنه صاحب المختصر(٥٩٢).

كذلك فقد ترك لنا السخاوى ترجمتان من تراجم مدرسى المالكية بالشيخونية هما أحمد بن محمد بن على الشهاب بن التقى الدميرى القاهرى المالكى الذى عرف بابن تقى وبابن أخت بهرام، ولد بفوة سنة خمس وثمانين (وثمانمائة) وانتقل إلى القاهرة مع والده فحفظ وأخذ حتى ولى تدريس الشيخونية برغبة البساطى عقب موت الجمال الاقفهسى، مات فى شوال سنة ثلاث وأربين (وثمانمائة)(٥٩٣).

وعبادة بن على بن صالح بن عمرو الزين الأنصارى الخرزمى الزرازارى القاهرى المالكى، ولد فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين (وثمانمائة) بزرزار من قرى مصر، ثم انتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع حتى درس للمالكية بالشيخونية بعد ابن تقى، مات فى سابع شوال سنة ست وأربعين (وثمانمائة) وصلى عليه بالأزهر ولم يخلف بعده فى المالكية(٥٩٤).

كذلك لم يذكر ابن العماد من مدرسى المالكية بالشيخونية إلا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غنام البساطى المالكى الذى ولد ببساط ثم انتقل إلى مصر (القاهرة) واشتغل بها كثيرا فى عدة فنون إلى أن ولى تدريس المالكية بالشيخونية(٥٩٥).

أما فيما يتعلق بمدرسى فقه الحنابلة فلم نعثر منهم إلا على من ذكرهم ابن الصيرفى والمقريزى والسخاوى وعلى باشا مبارك، فكان ممن ذكرهم ابن الصيرفى فى ذكره لحوادث رمضان

سنة (٨٧٦هـ) القاضى بدر الدين السعدى الذى قرأ على الشيخ تقى الدين الشمنى وشهاب الدين الآمدى وعبد السلام البغدادى الحنفى وشيخ مشايخ الإسلام ابن حجر والشرف المناوى ولازم العز الحنبلى إلى أن رقاه وصيره كبير النواب، وأخذ تدريس الشيخونية عن شيخه عز الدين (الحنبلى) قاضى القضاة بعد وفاته(٥٩٦).

وكان ممن ذكرهم المقريزى قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى (ولم يزد)(٥٩٧) وقد نقل ذلك عنه على باشا مبارك دون زيادة(٥٩٨).

أما من ذكرهم السخاوى من مدرسى الحنابلة بالشيخونية فمنهم عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن الشمس الذى عرف بالزركشى صنعه أبيه، ولد فى السابع عشر من رجب سنة ثمان وخمسين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ ودرس إلى أن استقر فى تدريس الحنابلة بالشيخونية مع الإسماع بها، مات فى ثامن عشر صفر سنة ست وأربعين (وثمانمائة)(٥٩٩).

وأحمد بن نصر الله بن أحمد المحب بن السراج أبى حفص التسترى الأصل البغدادى المولد والدار نزيل القاهرة الحنبلى، ولد فى سابع عشر رجب سنة خمس وستين وسبعمائة ببغداد، ولما استقر بالقاهرة امتدح الظاهر برقوق بقصيدة فقرره فى تدريس الحديث بمدرسته ثم فى تدريس الفقه بها سنة خمس وتسعين، ثم ولى تدريس الشيخونية بعد العلاء بن المغلى، مات فى النصف من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين (وثمانمائة)(٦٠٠)، وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن تعيين المدرسين فى علوم الدين كان يتم بقصيدة مدح وكفى بذلك شاهدا.

مدرسو غير المذاهب بالخانقاة:

ينحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم غير مدرسى المذاهب فى هذه الخانقاة ممن سبقت الإشارة إليهم فى مدرس الحديث والتفسير والقراءات والإسماع بالإضافة إلى إمام الخانقاة وخطيبها.

١ – مدرسو الحديث :

ترك لنا كل من ابن حجر والسيوطى والسخاوى بعض تراجم من تولوا تدرس الحديث بالشيخونية، فكان ممن ذكرهم ابن حجر «خليل بن عثمان الشيخ جمال الدين الروم الحنفى خطيب جامع شيخون وشيخ الحديث بخانكاهه ذكره المقريزى فيمن مات سنة اثنتين وستين (وسبعمائة) من الأعيان»(٦٠١).

وعبد الله الزولى الحنف الذى سمع على الدمياطى وابن الصواف وغيرهما، ونسخ بخطه الصحيحين وقدمهما لشيخو، فقرره فى تدريس الحديث بالشيخونية فكان أول من وليها، وقرره أيضا فى خطابة الجامع فباشرهما إلى أن مات، فاستقر فى تدريس الحديث (بعده) صدر الدين عبد الكريم القونوى، فسعى عليه كمال الدين محمد بن عبد الباقى السبكى بجاه قريبه الشيخ بهاء الدين بسبب أنه أحد الطلبة بالدرس وأن الواقف شرط أن لا يقدم أحد من الغرباء عليهم فاستقر بها ولم يحضر القونوى أصلا(٦٠٢).

ومحمد بن عبد الرحيم بن يحيى أبو البركات السبكى كمال الدين تفقه قليلا وعنى بالحديث وقرر مدرسا له بالشيخونية بعناية ابن عمته بهاء الدين السبكى، مات فى شوال سنة ست وسبعين (وسبعمائة)(٦٠٣).

وكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الشمس الشطنوفى الأصل القاهرى الشافعى ولد سنة سبع وتسعين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ وكتب واشتغل إلى أن ولى تدريس الحديث بالشيخونية، مات فى صفر سنة خمس وخمسين (وثمانمائة) واستقر بعده (فى الشيخونية) الفخر عثمان المقسى نيابة واستقلالا(٦٠٤).

وعبد الرحمن بن أبى بكر بن ناصر الدين السيوطى الأصل الطولون الشافع الذى عرف بابن الأسيوطى، ولد فى رجب سنة تسع وأربعين (وثمانمائة) مطعونا مبطونا غريبا، وقدم السخاوى للصلاة عليه ودفن بحوش البيبرسية(٦٠٥).

وعثمان بن عبد الله بن موسى الحسينى (نسبة إلى منية أبى الحسين من الشرقية) القاهرى

المقسى الشافعى الذى عرف بالمقسى، ولد فى ذى القعدة سنة ثمان عشرة وثمانمائة واستنيب عن والده أخى زوجة ابن شيخه المناوى فى تدريس الحديث بالشيخونية، مات فى رجب سنة سبع وسبعين وثمانمائة ولم يخلف بعده فى حسن تقدير الفقه مثله(٦٠٦).

٢ – مدرسو التفسير:

لم نعثر من تراجم مدرسى التفسير بالشيخونية – فيما أمكن الاطلاع عليه من مصادر – إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة شيخه إمام الإئمة الشهاب ابو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حجر، ولد فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما فى كنف أحد أوصيائه فاشتغل وحفظ حتى درس فى أماكن عدة كالتفسير بالشيخونية إلى أن توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة(٦٠٧).

٣ – شيخ الإقراء ومدرسيه:

لم نعثر فى هذا الصدد أيضا إلا على ترجمتين ذكر إحداهما السخاوى لشيخ إقراء الخانقاة حبيب بن يوسف بن عبد الرحمن الزينى الرومى القجمى الحنفى الذى قرأ واشتغل وسمع وأن بالأشرفية ثم «استقر فى مشيخة القراء بالشيخونية وبالمؤيدية سنة اثنتين وأربعين (وثمانمائة)»(٦٠٨).

وذكر ثانيتهما ابن حجر وتخص محمد بن على بن عبد الله اليمنى شمس الدين أبو القاسم، أقام بمصر مدة ملازما للقاضى عز الدين بن جماعة «ثم ولى درس القراءات بالشيخونية إلى أن وقع الخلاف بينه وبين الشيخ أكمل الدين البابرتى فخرج إلى الشام واستوطنها حتى مات فى المحرم سنة تسع وسبعين وسبعمائة(٦٠٩).

٤ – شيوخ الإسماع بالخانقاة:

ذكر السخاوى ترجمتين لشيخين من شيوخ الإسماع بالشيخونية أولاهما هى ترجمة رضوان بن محمد بن يوسف بن شيخه (شيخ السخاوى) العقبى، ولد فى رجب سنة تسع وستين وسبعمائة بمنية عقبة بالجيزة ونشأ بخانقاة شيخو فحفظ ودرس إلى أن «ولى مشيخة الإسماع

بالشيخونية بعد الزين الزركشى، مات فى رجب سنة اثنتين وخمسين بسكنه بتربة قجماس ودفن بها»(٦١٠).

والثانية هى ترجمة ابن رضوان العقبى المشار إليه المسمى عبد الرحمن الذ ولد سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بتربة قجماس أيضا، ونشأ بها فى كنف أبيه فحفظ وعرض إلى أن مات ابوه فأضيفت إليه جهاته كالإسماع فى الشيخونية، مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة(٦١١).

٥ – إمام الخانقاة وخطيبها :

أشار السخاوى إلى ترجمتين فى هذا الصد أيضا تتعلق أولاهما بإمام الخانقاة أحمد بن محمد بن موسى بن الشمس القاهرى الصوفى الحنفى إمام الشيخونية وابن إمامها الذى عرف بابن إمام الشيخونية، مات فى جمادى الثانية سنة إحد وتسعين (وثمانمائة) بعد أبيه بقليل»(٦١٢).

وتتعلق الثانية بخطيبها محمد بن أحمد بن ابراهيم بن حزم الأذرعى الأصل القاهرى ولد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بدمشق فحضر وسمع وأخذ إلى أن ولى مشيخة الجامع الجديد بمصر وخطابة الشيخونية حتى مات فى ذى القعدة سنة خمس وثمانمائه(٦١٣).

ثانيا : الوظائف الخدمية :

انحصر ما عثر عليه من تراجم أصحاب الوظائف الخدمية بهذه الخانقاة فى ناظر الوقف وأحد عدول الباب والخادم والسقاء.

١ – ناظر الوقف :

أشار على باشا مبارك فى خططه إلى ناظر وقف هذه الخانقاة حين قال «وأقام (أى المنشئ) الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود (البابرتى) فى مشيخة الخانقاة وتدريس الحنيفة وجعل إليه النظر فى أوقافها»(٦١٤).

٢ – أحد عدول الباب :

ذكره السخاوى فى ضوئه حين قال «حسن بن على بن محمد البدر البهوتى القاهرى المالكى نزيل مدرسة السلطان حسن بالرملية وأحد العدول على باب خانقاة شيخو، ولد سنة خمس وسبعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها يتيما فاشتغل وسمع وحدث ومات فى عيد النحر سنة خمس وأربعين وثمانمائة رحمه الله»(٦١٥).

٣ – خادم الخانقاة :

أشار السخاوى إلى أحد خدم هذه الخانقاة فى ضوئه حين قال «أحمد بن اينال شهاب الدين الحنفى خادم الشيخونية، مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين (وثمانمائة) واستقر عوضه فى الخدمة أبو الطيب السيوطى ولم يلتفت لولده»(٦١٦).

٤ – سقاء الخانقاة :

ذكره السخاوى بقوله «ريحان الزنجى الحلبى ذكر بالخير والدين وأنه كان يتعاطى حلق رؤوس الأكابر من الأمراء وغيرهم (يعنى حلاق) ويسقى الماء بطاسة بين العشاءين بخانقاة شيخو سنين إلى أن استقر به الأشرف قايتباى بالسبيل الذى أنشأه بزيادة جامع ابن طولون، مات فى ذى الحجة سنة عشر بمكة ودفن بالمعلاة»(٦١٧).

٤ – صوفية الخانقاة ونزلائها :

كان لهؤلاء كما يقول على باشا مبارك وغيره من الباحثين المحدثين «مساكن أرضية فوقها مساكن علوية يسكنها جميعا جماعة من صوفية الأتراك ولهم مرتبات كافية وشيخ يقرأ لهم الدروس باللغتين التركية والعربية»(٦١٨) وقد ترك لنا كل من السخاوى وابن حجر وعلى باشا مبارك بعض تراجم صوفية هذه الخانقاة ودارسيها، فكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن المحب الطوخى الأصل القاهرى الشافعى سبط النور الفوى خطب جامع الفاكهى، ولد تقريبا سنة ثمان وثمانمائة فحفظ ودرس وعرض واقتصر على ما باسمه من مرتبات ووظائف كالتصوف بالشيخونية حتى مات فى جمادى الأولى سنة تسعين (وثمانمائة)(٦١٩).

وعبد الرازق بن أحمد بن أبى بكر البقلى (لسكناه بزاوية على البقلى) القاهرى الحنفى أحد صوفية الشيخونية ولد سنة خمس وأربعين (وثمانمائة) فحفظ وجود حتى قدم عل غيره فى تدريس القراءات بالبرقوقية بعد أبى الفضل بن أسد(٦٢٠).

وعمر بن عبد الرحمن بن يوسف السراج الأنصارى الشافعى البسطامى كان رأس صوفية الشافعية بخانقاة شيخو متقدما فى الغرائض والحساب إلى أن مات فى سنة تسع وعشرين (وثمانمائة)(٦٢١)، ويعنينا من هذه الترجمة ما ذكره السخاوى بقوله كان رأس صوفية الشافعية بخانقاة شيخو «لأن فى هذا ما يعنى أن صوفية الخانقاة كان لهم رأس أو متقدم، ربما كان عمله ذا شقين يختص أولهما بالعلاقات بين الصوفية بعضهم وبعض وحل ما قد ينشأ بينهم من مشكلات، ويختص ثانيهما بالعلاقة بين الصوفية وبين أولى الأمر فى الخانقاة فيكون رأس الصوفية بذلك هو حلقة الوصل بين الإثنين فى كل ما يعن للطرفين من أمور تجاه الآخر.

أما عن الدارسين بهذه الخانقاة فقد ترك لنا ابن حجر والسخاوى وعلى باشا مبارك بعض تراجمهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر حرمى بن هاشم بن يوسف الفاقوسى العامرى الفقيه الشافعى وكيل بيت المال، قرأ على الباجى والسيف البغدادى ومهر فى الفقه، كان طويلا رقيقا لازم الاشتغال مع الشيخونية حتى مات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين (وسبعمائة)(٦٢٢).

وممن ذكرهم السخاوى عبد الباسط بن خليل بن ابرهيم القاهرى، ولد سنة أربع وثمانين وسبعمائة بدمشق ونشأ فى خدمة كاتب سرها البدر بن موسى ثم قدم إلى مصر بعد مقتل الناصر فرج، فلما تسلطن المؤيد شخ أعطاه نظر الخزانة والكتابة بها فلازم النجم القرمى فى العربية والمعانى والبيان، كما لازم الشرف يونس الرومى نزيل الشيخونية فى المنطق والحكمة والكلام، وبرع فى المباشرات بالشيخونية والأشرفية والمؤيدية والصلاحية وأثنى على مباشراته وشدة ضبطه ونزاهة قلمه حتى مات فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين (وثمانمائة)(٦٢٣)، ويعنينا فى هذه الترجمة ما تشير إليه من أن الخانقاة كانت تشمل على دروس فى المنطق والحكمة والكلام إل جانب دروس الفقه والتصوف ونحوها، وهو ما يشير إلى سعة دائرة البحث والدراسة فى هذه الخانقاوات بما يثبت أنها كانت مدارس علم لمختلف أنواع العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية ونحوها.

وممن ذكرهم السخاوى أيضا من دارسى هذه الخانقاة عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن هاشم الزين أبو هريرة التفهنى ثم القاهرى الحنفى، ولد سنة أربع وستين وسبعمائة بتفهنا بالقرب من دمياط، ثم قدم إلى القاهرة فتنزل بعناية أخيه فى مكتب الأيتام بالصرغتمشية ثم ترقى إلى عرافتهم وحفظ ولازم حتى صار من أفاضل طلبة الشيخونية حين كان الكمال شيخها يجلس ثانى من يجلس عن يمينه فى الدرس والتصوف إلى أن قرر فى مشيخة الشيخونية بعد السراج قارئ الهداية وانفصل عنها بالصدر بن العجمى واستمر قاضيا إلى أن مرض وطال مرضه ولم يلبث أن مات ى شوال سنة خمس وثلاثين (وثمانمائة)^(٦٢٤).

وقد رتب المنشئ لهؤلاء الدارسين – كما يقول على باشا مبارك – فى اليوم اللحم والطعام والخبز، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون^(٦٢٥).

أما فيما يتعلق بنزلاء الخانقاة فإن ما أمكن الوقوف عليه من تراجمهم ينحصر فيمن ذكرهم السخاوى وابن تغرى بردى والجبرتى، فكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله اليمانى الأصل الرومى الزاهد نزيل الشيخونية الذ عرف بابن عرب، أصله من اليمن ثم انتقل أبوه منها إلى بلاد الروم فسكنها، وولد له صاحب الترجمة، فنشأ بمدينة برصا ثم قدم وهو شاب إلى القاهرة، وتنزل فى القاعة التى استجدها أكمل الدين البابرتى صوفيا بالشيخونية وكان الناس يبيتون بالخانقاة رجاء رؤيته، وأقام على هذه الطريقة أكثر من ثلاثين سنة، وكراماته كثيرة، مات فى ربيع الأول سنة ثلاثين (وثمانمائة) وتقدم العينى للصلاة عليه فى الرميلة وأعيد إلى الخانقاة فدفن بها بجوار شيخها الأكبر أكمل الدين المشار إليه^(٦٢٦).

ومنهم أحمد بن ابى بكر بن اسماعيل بن سليم بن قايماز الكتانى البوصيرى القاهرى الشافعى، ولد فى المحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة بأبى صير من الغربية وتنزل فى صوفية الشيخونية ثم المؤيدية، مات فى المحرم عام أربعين (وثمانمائة) بالحسينية ودفن بتربة طشتمر الدوادار^(٦٢٧).

وأحمد بن عبد الله بن محمد الشهاب القلع المصرى الحنبلى نزيل مكة الذى عرف بشيخ المنبر، تردد على القاهرة مرارا وتنزل فى الشيخونية حتى مات بها فى رمضان سنة اثنتين وثمانين

(وثمانمائة) ودفن من غده(٦٢٨).

وأحمد بن محمد بن صالح الشهاب الحلبى ثم القاهرى الحنفى نزيل الشيخونية الذى عرف بابن العطار، انتمى للزين التفهنى وأخذ عنه الفقه وغيره وتنزل بالصرغتمشية والشيخونية واستمر مقيما بالقاهرة يدرس ويحدث إلى أم مات رحمه الله(٦٢٩).

وأحمد بن محمد بن على بن عبد الدايم بن رشد الدين الشهاب السلمى المنصورى الشافعى ثم الحنبلى الذى عرف بالمنصورى، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بالمنصورة، ثم انتقل إلى القاهرة وتنزل فى حنابلة الصوفية بالشيخونية إلى أن مات فى جمادى الثانية سنة سبع وثمانين (وثمانمائة(٦٣٠).

وأحمد بن محمد بن يوسف بن سلامة بن ناصر الدين الشافعى الذى عرف بالعقبى، ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة بمنية عقبة ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل وقرأ وحضر وتنزل فى صوفية الشيخونية حتى مات فى ذى الحجة سنة إحدى وستين (وثمانمائة)(٦٣١).

وحسين بن زيادة بن محمد البدر الفيومى الأزهرى الحنفى نزيل خانقاة شيخو، ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة بالفيوم ثم انتقل أبوه إلى القاهرة فقرأ واشتغل وسمع جزءا من آخر السيرة لابن هشام على النور الفوى بخانقاة شيخو(٦٣٢).

وممن ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن ابراهيم بن محمد اليمنى الأصل، البرصاوى المولد والمنشأ (نسبة إلى برصا أو بروسة فى آسيا الصغرى)، المصرى الدار والوفاة الحنفى الشهير بابن عرب، أحد أفراد الدنيا فى الزهد والورع والعبادة، نزيل الخانقاة الشيخونية وأحد الصوفية بها توفى فى ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة وحضر الملك الأشرف برسباى للصلاة عليه ثم أعيد إلى الخانقاة الشيخونية بالصلبية فدفن بها(٦٣٣).

أما الجبرتى فقد أشار فى حوادث شهر صفر سنة (١٢١٨هـ) فى معرض حديثه عن مقتل طاهر باشا الوالى إلى أنه لو طال عمره لأهلك الحرث والنسل .. كان فيه هوس وانسلاب وميل للمجاذيب والدراويش حتى أنه عمل له خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيراً ويصعد مع الشيخ

عبد الله الكردى إلى السطح فى الليل ويذكر معه ثم سكن هناك بحرية(٦٣٤).

٦ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٤)

تقع هذه الخانقاة – كما قلنا – فى شارع الصليبة بحى الخليفة فى جزء من قطائع ابن طولون وتبلغ من السعة حالياً ما يقرب من (٧١) متر طولاً، (٦٥) متر عرضاً وتشتمل على مدخل ضخم خلفه صحن مربع مكشوف ورواق عرضى كبير فى الشرق وبقايا مساكن كانت لصوفيتها، بالإضافة إلى حمام مدخله من دهليزها، ومعالم حظيرة لدابة شيخها على امتداد الجدار الخلفى للرواق الشرقى وفيما يلى وصف تفصيلى لمكوناتها المعمارية:

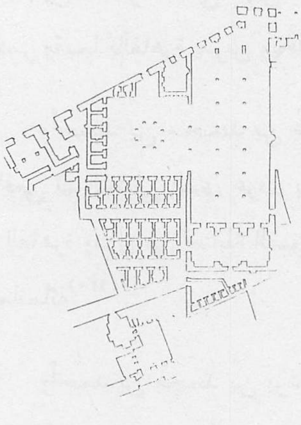

لوحة ١٤ : الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢
(٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) – مسقط أفقى

أ – الواجهة الرئيسية والمدخل :

تقع هذه الواجهة فى الضلع الشمالى للخانقاة ويبلغ طولها (٨١,٥٠) متر وتتكون من جزئين أولهما طوله (٧١,٥٠) متر وثانيهما طوله (١٠) متر ويبرز ثانيهما عن أولهما بمقدار (٣,٥٠) متر ويضم القسم الأول من الواجهة حنية المدخل الرئيسى وثمان دخلات رأسية مستطيلة ضحلة ترتفع كل منها إلى أعلا جدار الواجهة حيث تنتهى بثلاثة صفوف من المقرنصات وتحتوى هذه التجاويف عل صفين من الشبابيك يرتفع السفلى منها عن الطريق بمقدار (٥٠,) متر ويشتمل على فتحات ذات أعتاب مزررة وعقود عاتقة، أما العلوية فهى عبارة عن شبابيك قندلية ترتكز على أعمدة من الرخام غطيت من الخارج بمصبعات خشبية، أما القسم الثانى من الواجهة فيضم ثلاثاً من هذه الدخلات الرأسية المتشابهة لدخلات القسم الأول. وتبدأ هذه الدخلات من الجانب الغربى للواجهة بدخلة عمقها (٢٣,) متر تنتهى من أعلا قرب الحافة العليا بحطتين من المقرنصات، ووجد بها من أسفل شباك مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية، ويعلو الشباك عتب حجرى مزرر فوقه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة، ثم يعلو هذا الشباك المستطل نافذة

مربعة الشكل تقريباً ذات إطار خشبى بها أرماح ومخرزات حديدية. تعلوها قندلية تتكون من نافذتين مستطيلتين كل منهما ذات عقد نصف دائرى يحمله عمودان رخاميان دائريان، ويعلو العمود الأوسط قمرية دائرية، ويزين كل من النافذتين والقمرية زخارف جصية لوحدات زخرفية هندسية(٦٣٥).

ويلى الدخلة الأولى من الناحية الشرقية دخلة ثانية بها مدخل رئيسى عمقها (١٠ر٢) متر ذات عقد ثلاثى الفصوص ملئت طاقيته بمقرنصات بدعة تكتنفه مكسلتان حجريتان طول كل منهما (١٥ر٢) متر وعرضها (٦٠ر) متر وارتفاعها (١٠ر١) متر كان يزين كلا منهما أفاريز رخامية بارزة خالية من أية زخارف، وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص تزنه زخارف لمقرنصات غائرة ذات دلايات.

أما المدخل نفسه فعرضه (١٠ر٢) متر به باب خشبى ذو مصراعين عليه شريطان من النحاس أحدهما فى أعلا الباب والآخر فى أسفله خاليان من الزخارف فيما عدا إطارى كل منهما العلوى والسفلى الذى يتزين بوحدة زخرفية مكررة لورقة ثلاثية الفصوص.

ويعلو هذا المدخل عتب حجرى من البازلت الأسود به بعض الكتابات المصرية القديمة (الهيروغليفية) فوقه لوحة تأسيسية من الرخام الأبيض طولها (١٠ر٢) متر وعرضها (٧٠ر) متر ذات كتابات نسخية بارزة من ستة أسطر نصها :

سطر١ : بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله(٦٣٦) أمر بإنشاء هذا المكان

سطر٢ : المبارك والموطن الذى ساهم العمل فيه النية وشارك العبد الفقير إلى ربه جلا وعلا وتبارك المغترف من بحر نواله المعترف من أفضاله بكل لطف تدارك الأمير شيخون.

سطر٣ : العمرى الناصرى عمره الله ببقائه ونصره وضاعف أسباب ثوابه وأجره وعوضه بقصور الجنان بعد امتداد عمره وتقبل أعماله الصالحة فى سر القول وجهره وجعله

سطر ٤ : خالصاً لوجهه جائزا به على الصراط المستقيم يوم معاده وحشره تقرب به إلى ربه احتساباً وإيماناً وابتغى به عند ربه فوزاً وغفراناً وآوى به كل أشعث أغبر لو أقسم

سطر ٥ : على الله لأبره فأولاه إحساناً وجمع به قوما كفاهم همّ المؤونة فكفاه الله شر يوم الفزع الأكبر ولقاه أمانا يواصلون العمل بالعلم ويقطعون الليل تسبيحاً وقرآنا (Sic)

سطر٦ : تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وكان ابتداء الشروع فيه فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ منه ومما حواه فى شهر شوال من السنة المذكورة(٦٣٧).

وعلى يمين ويسار هذه اللوحة صنجات مزررة يعلوها نافذة مستطيلة الشكل ذات إطار خشبى به أرماح ومخرزات نحاسية يحيط بها عمودان دائريان يقوم كل منهما على كابولى حجرى يحملان كورنيشا مكونا من حطتين من المقرنصات.

هذا وعلى جانبى المدخل يوجد إفريز غائر نقشت فيه بخط النسخ البارز كتابات نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى جنات وعيون، ادخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم، صدق الله العظيم»(٦٣٨).

وإلى الشرق من دخلة المدخل توجد دخلة ثالثة تشبه تماماً الدخلة الأولى من حيث التكوين المعمارى وما بها من نوافذ وشبابيك وزخارف، يجاورها فى الشرق نافذتان صغيرتان مربعتا الشكل لكل منهما إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية.

ويلى هذه الدخلة الثالثة دخلة رابعة تشبه الدخلتين الأولى والثالثة إلا أن العمود الأوسط من أعمدة القندلية ذو شكل حلزونى مضلع، وفيما بين الدخلتين الثالثة والرابعة من الناحية الغربية توجد نافذتان مربعتا الشكل لكل منهما إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية، إلى الشرق منهما يوجد شباكان مستطيلان يعلو كل منهما نافذتان مربعتان، وبكل من الشباكين والنافذتين أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة، كما يعلو النافذتين ثلاث نوافذ أخرى بالعلويتين أرماح ومخرزات

حديدية، أما السفلية فقد استعيض فيها عن الأرماح والمخرزات بألواح خشبية.

وإلى الشرق من الدخلة الرابعة توجد دخلة خامسة تشبه الدخلات السابقة إلا أنه يوجد بين هاتين الدخلتين الأخيرتين مدخل عرضه (١ر٠٥) متر يعلوه عقد فارسى مدبب فوق زاويته توجد نافذة مربعة ذات إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية، ويلى هذه الدخلة الأخيرة أربع دخلات أخرى تتشابه مع باقى الدخلات السابق الإشارة إليها فى هذه الواجهة.

وتنكسر الواجهة بعد الدخلة الأخيرة ناحية الشمال إلى مسافة (٦ر٥٠) متر حيث توجد بها دخلة أخرى تتشابه أيضاً مع كل الدخلات المشار إليها، ثم تعود الواجهة فتتجه ناحية الشرق حيث توجد دخلتان تتشابهان تماماً مع ما سبق ذكره من دخلات، ويمتد على طول هذه الواجهة أسفل مقرنصات الدخلات شريط من كتابات نسخية بارزة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده () حفظهما وهو العلى العظيم، لا إكراه فى الدين قد تبن الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد (استمسك) بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٦٣٩) لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين(٦٤٠) الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل

شئ عليم، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة[٦٤١]، وتنتهى الحافة العليا لهذه الواجهة بوحدة مكررة لشريط من شرافات مسننة.

ب – دركاة المدخل والممر:

يؤدى مدخل الخانقاة المشار إليها إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤ر٧٠)متر وعرضها (٣ر٩٥) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى فى صدرها مصطبة طولها (٣ر٣٠) متر وارتفاعها (ر٦٥) متر وعمقها (عرضها) (١ر٦٠) متر، ويغطى هذه الدركاة سقف من أقبية متقاطعة، وفى جدارها الشرقى مدخل عرضه (١ر٧٥) متر ذو عقد مدبب يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويفضى هذا المدخل إلى ممر منكسر ذو اتجاهين يتجه أولهما ناحية الشرق بطول (٣ر٤٥) متر ويتجه ثانيهما ناحية الجنوب بطول (١٢ر٢٠) متر، وعلى يسار الإتجاه الأول من هذا الممر توجد قاعة مستطيلة الشكل ذات سقف خشبى مجدد فى جدارها الشمالى شباك سبق ذكره فى الدخلة الثالثة من الواجهة.

أما الاتجاه الثانى لهذا الممر المنكسر ففيه بالجدار الغربى ثلاثة أبواب متشابهة كل منها عبارة عن فتحة عرضها (١ر٢٠) متر يعلوها عقد فارسى مدبب يؤدى المدخل الأول منها إلى ممر مستطيل مغطى بقبو طولى مبنى بالطوب الأحمر، ويبدأ هذا الممر مما يلى الباب برحبة سماوية وينتهى ببابين أحدهما فى نهاية الجدار الشمالى عرضه (١ر٢٥) متر يؤدى إلى إيوان مستطيل الشكل طوله (٧ر٢٥) متر وعرضه (٤ر٦٥) متر يتقدمه من الناحية الجنوبية عمودان رخاميان دائريان يقوم كل منهما على قاعدة مختلفة تاج الشرقى منهما على شكل ورقة الأكنش وتاج الغربى على شكل زهرة اللوتس.

أما فى الجدار الشرقى فيوجد شباك مستطيل عمقه (١ر١٠) متر تعلوه نافذة سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن الدخلة الأولى من الواجهة، ويغطى هذا الإيوان سقف من كتل خشبية كان مزخرفاً بطريقة المربوعات إلا أنه بحالة سيئة ولم يبق من زخارفه شئ، ويتقدم هذا الإيوان استطراق سماوى فى منتصفه تغطيه من الجانبين الشرقى والغربى كتل خشبية على هيئة مربوعات،

هذا وفى الناحية الجنوبية من الجدار الغربى توجد فتحة باب عمقها (٨٠ر) متر مسدودة بسدة حديثة.

ويؤدى الباب الثانى من أبواب الممر إلى سلم يتجه فى انكساره الأول ناحية الغرب ثم ينكسر فى اتجاهه الثانى ناحية الجنوب ثم ناحية الشرق ثم ناحية الشمال حيث توجد نافذة مربعة الشكل تقابل الممر المؤدى إلى داخل الخانقاة، ثم اتجاهين ناحية الغرب والجنوب حيث يوجد فى الأخير شباكان مستطيلان أحدهما مسدود والآخر مرمم، ثم اتجاهين ناحية الشرق والغرب حيث يؤدى الأخير إلى رحبة مستطيلة الشكل فى جدارها الغربى نافذة مربعة بها مصبعات خشبية، وفى جدارها الشرقى من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (٨٥ر) متر يؤدى إلى ممر مستطيل يغطيه سقف حديث به فى الجدار الجنوبى نافذة صغيرة مستطيلة يليها دورتا مياه صغيرتان، ثم مدخل ثان فى الناحية الشمالية عرضه (٥٠ر١) متر يصعد منه بست درجات إلى بسطة مستطيلة فى جدارها الشرقى نافذة مستطيلة الشكل وفى جدارها الشمالى مدخل عرضه (١٠ر١) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى حجرة مستطيلة فى جدارها الشرقى شباك مقسم إلى قسمين بالسفلى منهما أرماح ومخرزات حديدية وبالعلوى مصبغات خشبية متقاطعة.

وفى الجانب الشرقى من جدارها الجنوبى نافذة مستطيلة بها مصبغات خشبية متقاطعة، ويغطى هذه الحجرة سقف خشبى مجدد، أما جدارها الشمالى فبه فتحة عرضها (٧٠ر٢) متر تؤدى إلى دخلة ذات قبو اسطوانى يزينها إفريزان حجريان فى كل من الجانبين الشرقى والغربى، وفى جدار هذه الرحبة الشمالى توجد فتحة عرضها (٥٠ر١) متر تؤدى إلى رحبة ثانية مربعة الشكل فى جدارها الغربى شباك مستطيل به مصبغات خشبية عريضة، وعلى جانبى هذا الشباك فى الشمال والجنوب توجد دخلتان متشابهتان عمق كل منهما (٥٠ر) متر وعرضها (٧٠ر) متر.

وفى الجدار الشمالى لهذه الرحبة يوجد مدخل آخر عرضه (٦٠ر١) متر يؤدى إلى حجرة مستطيلة ذات سقف عبارة عن كتل خشبية كان يزين وجوهها الثلاثة المرئية ويزين ما بينهما من مربوعات زخارف ملونة نباتية وهندسية، هذا ويحيط بأعلا جدران هذه القاعة أسفل السقف إفريز خشبى كانت تزينه زخارف تشبه زخارف السقف، أما فى جانب هذا السقف الشرقى فيوجد منور للتهوية والإنارة، وفى جدار هذه القاعة الشمالى توجد القندلية التى تعلو الشباك السابق وصفه

بالدخلة الأولى من الواجهة.

وفى النهاية الغربية لجدارها الجنوبى يوجد مدخل عرضه (١٫٥٠) متر يعلوه شباك من مصبعات خشبية يؤدى إلى قاعة ثانية مستطيلة الشكل أصغر حجماً من هذه القاعة، فى جدارها الشرقى يوجد شباك يشبه تماماً الشباك الذى سبق وصفه بالجدار الغربى للرحبة الثانية.

وينتهى السلم باتجاهين أحدهما شرقى والآخر غربى يؤديان إلى رحبة مستطيلة فى جدارها الشرقى مدخل صغير عرضه (١) متر يؤدى إلى حجرة صغيرة فى جدارها الغربى شباك مستطيل الشكل، ثم يصعد من الجانب الشمالى لهذه الرحبة إلى امتداد السلم حيث اتجاهين يؤدى الأخير منهما إلى السطح حيث المئذنة.

جـ – المئذنة : (أنظر شكل : ٢٥)

تقوم هذه المئذنة على قاعدة مستطيلة طولها (٤٫٣٠) متر وعرضها (٣٫٦٠) متر فوقها منطقة انتقال حولت المستطيل إلى مثمن بنى عليه بدن المئذنة التى تتكون من ثلاث دورات، الأولى مثمنة الأضلاع يزين كل ضلع منها وحدة زخرفية مكررة عبارة عن منطقة غائرة مربعة الشكل من أسفل تعلوها منطقة مستطيلة بنفس الغور ذات عقد فارسى مدبب، ويزين كلا من المنطقتين وحدات زخرفية نباتية لأوراق مكررة ثلاثية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، هذا وفى ضلع هذه الدورة الشمالى توجد فوق المدخل شرفة بارزة تتكون زخارفها من ثلاث حطات من المقرنصات، ويعلو هذه الدورة أسفل أفاريزها الحجرية الثلاثة التى استعيض عنها بالمقرنصات شريط لكتابات نسخية نصها فى أضلاع الدورة الثمانية كما يلى:

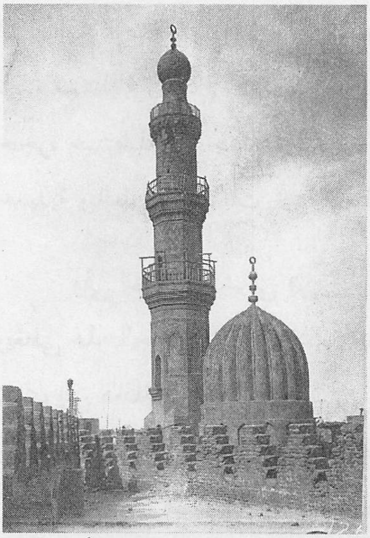

شكل رقم ٢٥ : الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢
(٧٥٧هـ / ١٣٥٥م) القبة و المئذنة

ضلع ١ – بسم الله الرحمن الرحيم.

ضلع ٢ - وأذن فى الناس بالحج يأتوك

ضلع ٣ - رجالا وعلى كل ضامر

ضلع ٤ - يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا

ضلع ٥ - منافع لهم ويذكروا اسم

ضلع ٦ - اسم () الله فى أيام معلومات على ما رزقهم

ضلع ٧ - من بهيمة الأنعام فكلوا منها

ضلع ٨ - وأطعموا البائس الفقير(٦٤٢).

أما الدورة الثانية للمئذنة فهى ذات بدن مثمن الأضلاع أيضاً إلا أنها خالية من الزخارف فيما عدا حطتين من خطوط رأسية متجاورة ومتوازية، ويعلو هذه الدورة الثانية جوسق سداسى البدن تعلوه حطة من المقرنصات كل واحدة منها أشبه بعقد ثلاثى الفصوص، ويلى الجوسق رقبة المئذنة وهى ذات بدن اسطوانى تقوم فوقه قلة بصلية الشكل كان يعلوها هلال نحاسى، والحققة أن هذه المئذنة مبنية كلها بالحجر خلافا لما عرف من مآذن المماليك البحرية.

وينتهى الممر المذكور المفضى إليه من الدركاة فى الناحية الجنوبية بجزء متخرب إلا أن فى جداره الشرقى مدخلان أولهما عرضه (١٫٦٥) متر يفضى إلى الباب المؤدى إلى صحن الخانقاة، ويغطيه سقف نصف اسطوانى، وثانيهما عرضه (١٫٢٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى يؤدى إلى سلم يفضى بعد خمسة انكسارات إلى مدخل عرضه (١٫١٠) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى ممر مستطيل عرضه (١٫٢٠) متر على جانبيه توجد مجموعة الخلوات.

د – خلوات الصوفية : (أنظر شكل : ٢٦)

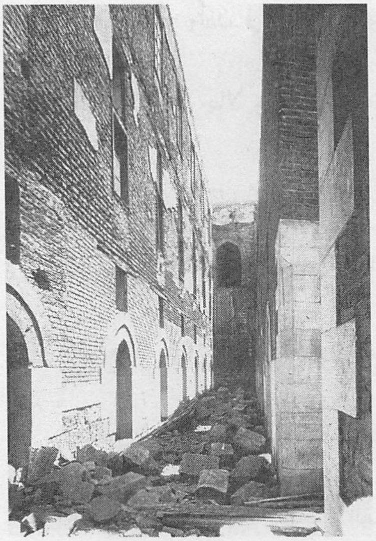

شكل رقم ٢٦ : الخانقاة الشيخونية خلوات الصوفية

تتكون خلوات الصوفية التى تقع بالجهة الجنوبية الخلفية للخانقاة فى ثلاثة طوابق من ثلاث وحدات سكنية تقع أولاها فى أقصى الجنوب من ثلاث خلوات فردية كل منها ذات شكل منحرف، وتتكون ثانيتها من خمس خلوات حبيس مزدوجة كل منها ذا شكل مستطيل، وتتكون ثالثتها من ثلاثة أدوار فى الأرضى منها عشر خلوات حبيس مزدوجة فى قسمين، وفى كل من الدورين الثانى والثالث عشر خلوات متقابلة بينها ممر مسقوف، بالإضافة إلى ست خلوات تطل على الصحن منها اثنتان فى الجهة الشمالية وأربع خلوات فى الجهة الغربية. وتفصيلاً لهذا الوصف يمكن القول أنه على محور المدخل المشار إليه (المدخل الثالث بالممر) يوجد مدخل آخر عرضه (٨٠ر) متر يفضى إلى دورتى مياه وحمام، وعلى جانبى هذا الممر توجد خمس عشرة خلوة متشابهة، كل منها عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٢ر٦٠) متر وعرضها (٢ر٤٠) متر ذات سقف من عروق خشبية بكل منها شباك مستطيل الشكل عرضه (٨٠ر) متر به من أسفل أرماح ومخرزات حديدية ومن أعلى أرماح ومخرزات نحاسية، ثم دخلة ثانية عمقها (٣٠ر) متر وعرضها (٧٥ر) متر كانت تستخدم كتبية لحفظ متعلقات الصوفى القاطن فيها.

ومعنى ذلك أنه يوجد على كل جانب من جوانب هذا الممر سبع خلوات إلا أن الخلوة الشرقية فى جانبه الشمالى تتداخل مع خلوة أخرى تقع إلى الشرق منها وهى الخلوة الخامسة عشر.

وفى الجانب الغربى من هذا الممر يوجد ممر آخر فى بدايته من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (٧٠ر) متر يؤدى إلى حجرة صغيرة يغلب على الظن أنها كانت دورة مياه فى جدارها الغربى نافذة مستطيلة الشكل، أما الجانب الشرقى من هذا الممر فبه مدخل ثالث عرضه (١ر١٠) متر يؤدى إلى خلوة تطل على الصحن ذات شكل مستطل تشبه الخلوات السابق وصفها فى الممر

الأول، تليها من الناحية الشمالية خلوة تشبه الخلوة الأولى فى الركن الغربى من جدارها الشمالى مدخل عرضه (٩٠ر) متر يؤدى إلى خلوة ثالثة.

ويؤدى هذا الممر إلى سلم من أربع درجات يصعد منها إلى استمرار لهذا الممر جانبه الغربى عبارة عن مصبعات خشبية تطل على الفتحة الثانية التى تعلو مدخل الدركاة، وعلى يمين هذا الممر توجد خلوة رابعة ينزل إليها بأربع درجات من سلم فى مواجهته مدخل يؤدى إلى خلوة خامسة عرضه (٩٠ر) متر وخلوة سادسة أكبر حجماً من الخلوات السابقة يطل شباكها فى الجدار الشمالى على الشارع ويطل شباكها فى الجدار الجنوبى على المنور المشار إليه.

ويجاور الخلوة الرابعة من الشمال خلوة سابعة تشبهها تماماً تليها خلوة ثامنة بها شباكان يطل الكبير منهما على الصحن ويطل الصغير على الشارع، ويهبط من الركن الشمالى الشرقى لهذه الخلوة بثلاث درجات تؤدى إلى مدخل عرضه (٨٠ر) متر يفضى إلى خلوة تاسعة بها أربعة شبابيك تطل على الشارع اثنان سفليان كبيران يعلوهما اثنان علويان صغيران وفى جدارها الجنوبى شباك خامس يطل على الصحن.

ويستمر السلم حتى يؤدى بعد خمسة انكسارات عبر مدخل عرضه (١٠ر١) متر إلى خلوات الدور الثانى، وتنقسم هذه الخلوات إلى قسمين يعلو الأول منهما الخلوات الخمسة عشر المشار إليها بالدور الأول، ويضم أربع عشرة خلوة بنفس النظام المعمارى، أما القسم الثانى فيقع فى الناحية الغربية فوق القسم الثانى من خلوات الدور الأول ويتكون من حمام فى ناحيته الجنوبية وخلوة صغيرة فى الجانب الجنوبى من جداره الغربى تعلو الحجرة الصغيرة التى أشير إليها بالدور الأول على أنها ربما كانت دورة مياه، وفى الجدار الشرقى لممر هذا القسم توجد خمس خلوات متشابهة تتشابه أيضاً مع الخلوات التى توجد تحتها فى الدور الأول.

وفى النهاية الشمالية لهذا الممر توجد خلوة سابعة أصغر حجماً من الخلوات السابقة وتشبه الخلوة التى تحتها فى الدور الأول، وينكسر هذا الممر ناحية الشرق حيث نجد فى جداره الشرقى شباك يطل على الصحن به أرماح ومخروزات حديدية من أسفل ومصبعات خشبية من أعلاء، وينتهى هذا الإنكسار بمدخل عرضه (١) متر يؤدى إلى رحبة مستطيلة الشكل بها ثلاث نوافذ تطل على الشارع ونافذة رابعة تطل على الصحن.

وفى جدار هذه الرحبة الشرقى توجد فتحة مدخل عرضها (١٥ر١) متر تؤدى إلى خلوة كبيرة ذات سقف مجدد فى جدارها الجنوبى شباكان كبيران بهما مصبعات خشبية على جانبيها نافذتان مستطيلتان بهما مصبعات خشبية أيضاً، وتطل هذه الشبابيك على الصحن، وفى جدارها الشمالى دخلة عمقها (٧٠ر) متر ذات عقد نصف دائرى بداخلها شباك قندلية من الشبابيك المطلة على الشارع، وفى جدارها الشرقى شباكان مستطيلان كبيران مخربان ثم باب عرضه (٩٥ر) متر يؤدى إلى خلوة كبيرة فى جدارها الشرقى شباكان كبيران كل منهما ذو عقد نصف دائرى بداخله خشب من الخرط الدقيق قرأ على الشباك الجنوبى كلمتى « بسم الله» وعلى

الشباك الشمالى «ما شاء الله» ويطل هذان الشباكان على إيوان القبلة.

وفى جدارها الشمالى يوجد شباك آخر ذو عقد نصف دائرى به خشب من الخرط الدقيق يطل على الشارع، وفى جدارها الجنوبى شباك آخر مستطيل الشكل ذو عتب مستو به مصبعات خشبية متقاطعة يطل على الصحن، وسقف هذه الخلوة متهدم وغير موجود.

ويؤدى المدخل الأول فى الإنكسار الثانى من الممر إلى ممر صغير مغطى بقبو نصف دائرى ينتهى بباب عرضه (١,٤٥) متر يفضى إلى صحن مربع الشكل طول ضلعه (٢٠) متر فى جداره الجنوبى توجد سبعة حواصل متشابهة كل منها عبارة عن حجرة مستطيلة مغطاة بقبو نصف دائرى يؤدى إليها فتحة باب عرضها (٠,٩٠) متر ذات عقد مدبب يحيط به إفريز حجرى مائل نقشت فوق زاويته بالحفر ورقة ثلاثية الفصوص تعلوها فتحة مستطيلة الشكل للتهوية والإنارة أشبه بالمزاغل طولها (٣) متر وعرضها (٢,٨٠) متر.

وفى الجدار الغربى توجد خمسة حواصل أخرى تشبه تماماً حواصل الجدار الجنوبى إلا أن عقودها نصف دائرية ممتدة، وفى الجدار الشمالى يوجد حاصلان متشابهان مع حواصل الضلع الجنوبى.

هـ – السبيل :

يلى الحاصل الشرقى بالجدار المشار إليه سبيل عبارة عن إيوان عمقه (٤,٢٠) متر وعرضه (٥,٩٠) متر واجهته المطلة على الصحن عبارة عن عقد على هيئة حدوة الفرس فى جداره الشمالى يوجد شباك عبارة عن دخلة عرضها (٢,٠٥) متر وعمقها (١,١٠) متر ذات عقد نصف دائرى، وفى جداره الغربى لوحة خشبية عليها كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعان على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقاهم ربهم شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا»[٦٤٣] ويغطى هذا السبيل سقف عبارة عن كتل خشبية قسمت الأجزاء فيما بينها إلى مربعات زينت بالإضافة إلى

الكتل بزخارف ملونة ذات أشكال هندسية بسيطة ومركبة وأشكال نباتية مختلفة، وكان يحيط بجدران هذا السبيل الثلاثة شريط زخرفى ملون، وفى مقدمة السبيل يوجد بئر له فتحة دائرية قطرها (٧٠ر) متر تغطيها خرزة من الرخام.

و- الصحن والفسقية : (أنظر شكل : ٢٧)

يقع هذا الصحن فى وسط الخانقاة وهو مربع الشكل تقريباً طوله (١٥ر٢٠) متر وعرضه (١٩ر٦٥) متر وتتوسطه فسقية مثمنة الأضلاع تحمل أعمدتها الدائرية الثمانية عقودا خشبية نصف دائرية، ويغطى هذه الفسقية سقف خشبى مستو تزينه دوائر ملونة فى الوسط كان أصله – كما يقول ابن اياس – عبارة عن قبة خشبية من عمل نوروز الحافظى (٦٤٤).

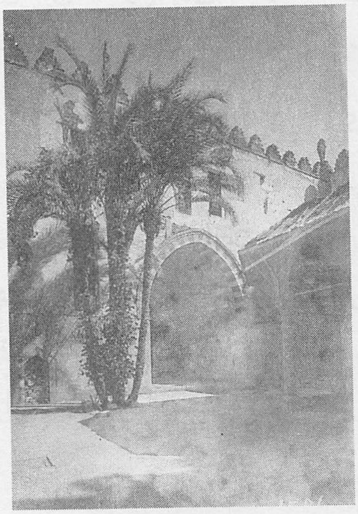

شكل ٢٧ : الخانقاة الشيخونية
الصحن والسدلة الشمالية

ز- إيوان القبلة :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الشرقية من الصحن وتطل واجهته على هذا الصحن بثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة يحملها عمودان رخاميان ودعامتان بالجانبين الشمالى والجنوبى كل منهما مثمن الأضلاع يقوم على قاعدة بصلية وينتهى بشكل رمانى، ويرتفع هذا الإيوان عن أرضية الصحن بمقدار (٣٠ر) متر، وينقسم إلى ثلاث بلاطات وبه صفان من الأعمدة بكل منهما ستة أعمدة ذات أبدان مثمنة ودائرية تقوم على قواعد مختلفة الشكل وتعلوها تيجان مختلفة الشكل أيضاً، وتحمل هذه الأعمدة عقوداً نصف دائرية ممتدة يعلوها أسفل السقف ثلاثة أزر كل منها أسفل سقف بلاطة من البلاطات الثلاث التى يتألف منها الإيوان، وكلها كتابات بالبوية الزرقاء على أرضية من زخارف نباتية ملونة وتشتمل كلها على أبيات شعرية مختلفة لحكم ومواعظ.

حـ – المحراب :

يتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٫٦٠) متر وعمقها (١٫١٥) متر يكتنفها عمودان رخاميان متشابهان كل منهما ذو بدن مثمن الأضلاع، ويزين هذه الحنية وحدات زخرفية مكررة تتكون من ورقة ثلاثية وورقة ذات فص واحد تنبثق كل منهما من تفريعات نباتية متماوجة، ويعلو كلا منهما تاج ذو زخارف ورقية بارزة، وتنتهى هذه الحنية من أعلا بطاقية المحراب وهى ذات عقد نصف دائرى متراجع تزينها زخارف مشعة باللونين البنى والأصفر، وكان يزين جانبى واجهة هذا العقد (كوشتية) زخارف نباتية ضاعت معظم معالمها ولم يبق منها إلا أنصاف مراوح نخيلية مكررة.

ويعلو عقد هذا المحراب قمرية دائرية تزينها زخارف جصية مجددة يكتنفها من الجانبين ست قمريات أخرى مستطيلة ذات عقود مدببة ملئت بزخارف زجاجية ملونة، ويغطى المنطقة أمام المحراب قبة خشبية تقوم فى أركانها الأربعة مقرنصات غائرة ذات دلايات، وبرقبتها ذات الأضلاع الإثنى عشر إثنا عشر شباكا كل منها ذو عقد نصف دائرى كان به خشب من الخرط الدقيق.

ط – المنبر :

على يمين المحراب يوجد المنبر ويقوم على قاعدة خشبية طولها (٤٫٣٠) متر وارتفاعها (٢٥ر) متر، تقوم فوقها مجنبتان متشابهتان (ريشتان) تتكون زخارف كل منهما من مثلث فى أسفل به مجموعة من الأطباق النجمية وأنصافها يعلوه تسع حشوات من الخرط منها أربع حشوات رأسية مستطيلة تحيط بثلاث حشوات عرضية مستطيلة أيضاً، وفى الجانبين يوجد مثلثان بهما مصبعات خشبية، وفى مؤخرة المنبر يوجد بابا الروضة وعرض كل منهما (٦٠ر) متر تحيط بهما من أعلا وحدات زخرفية أشبه بأوراق نباتية، أما باب المنبر فيتكون من ستة أضلاع تزينها زخارف بأنواع الخرط المختلفة.

ويعلو هذه الأضلاع زخارف عبارة عن حطتين من المقرنصات يعلوها شريط من شرافات

على شكل ورقة نباتية مكررة، وفوقه قبة خشبية يعلوها شكلان رمانيان يتوجهما هلال ويصعد من قدمته السداسية عبر سلم صاعد إلى جلسة الخطيب، وهى ذات جوانب ثلاثة مفتوحة يعلو كل جانب منها زخارف أشبه بالزخارف التى تعلو بابى الروضة، وتعلوها مقرنصات ملونة باللونين الأزرق والذهبى تتألف من حطتين يتوجهما شريط من شرافات عبارة عن ورقة ثلاثية مكررة، وهذه الجلسة ذات سقف خشبى مستو تقوم فوقه قبة خشبية أشبه بالقبة التى تقوم فوق مدخل المنبر.

هذا وفى جدار القبلة ستة شبابيك مستطلة ذات عقود نصف دائرية يزين كل منها زخارف جصية مخرمة ذات أشكال نباتية وهندسية يتخللها زجاج ملون.

ويتوسط الجدار القبلى للصحن باب عرضه (١,٧٠) متر وعمقه (١,٢٠) متر تحيط به من الجانبين شباكان مستطيلان بكل منهما أرماح ومخرزات نحاسية متقاطعة، ولهذا الباب عتب خشبى مستو وهو يؤدى إلى حوش مستطيل الشكل تغطيه شخشيخة خشبية مجددة.

ى - الإيوان الشمالى :

قع هذا الإيوان فى الناحية الشمالية من الصحن وهو يطل عليه بعقد واحد نصف دائرى كبير، ويغطى هذا الإيوان سقف عبارة عن كتل خشبية كان يزينها ويزين المربوعات التى بها زخارف نباتية وهندسية ملونة، وأسفل هذا السقف يوجد إزار خشبى مثبت على الجدار الغربى لهذاذ الإيوان قوام زخارفه كتابات نسخية فى أربعة أسطر نصها :

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم إن ابرار (Sic) يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله

سطر ٢ - يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه

سطر ٣ - مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد جزاءا ولا شكورا إنا نخاف

سطر ٤ - من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقيهم (Sic) الله ذلك اليوم ولقيهم (Sic) نضرة وسرورا. صدق الله العظيم(٦٤٥).

ويعلو الفتحات الثلاثة السفلية بجدار إيوان القبلة الجنوبى ثلاثة شبابيك تشبه الشبابيك الموجودة فى جدار القبلة مع بعض اختلاف فى التفاصيل الزخرفية النباتية والهندسية، أما الجزء الجنوبى من الجدار الغربى والذى يعتبر الجدار الشرقى لحواصل الجانب الجنوبى فبه شباكان مستطيلان الشمالى منهما أصلى وتزينه زخارف جصية مخرمة بأشكال نباتية وهندسية وكتابية.

والجانب الشمالى من هذا الجدار الغربى لإيوان القبلة فيه شباكان من خشب الخرط سبقت الإشارة إليهما عند وصف الخلوة الأخيرة من الدور الثالث، أما الجدار الشمالى فبه من أسفل أربعة شبابيك كل منها عبارة عن دخلة عمقها (١) متر وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائر، ويعلو هذه الشبابيك أربع نوافذ أخرى مجددة زينت بالجص المخرم والزجاج الملون.

ك - الضريح :

فى النهاية الشمالية الشرقية للإيوان الشمالى توجد حجرة مستطيلة الشكل ترتفع عن أرضية الإيوان بمقدار (٥٠ر) متر يحدها من الجانبين الغربى والجنوبى حجاب خشبى عبارة عن قوائم يعلوها شريط من ورقة نباتية ثلاثية مكررة.

وفى كل من جداريها الشرقى والشمالى شباكان أشبه بالشبابيك السابقة يعلو كلا منهما شباكان آخران كان يزين كلا منهما زخارف جصية وزجاجية ملونة، ويزين الجدار الشرقى لهذه الحجرة طبقة جصية نقش عليها رسم مكرر لشكل الكعبة، أما باقى الجدار (وكذا الحال فى الجدار الشمالى ابتداء من محاذاة عقود الشبابيك إلى أسفل السقف) فقد نقشت فيه وحدة زخرفية مكررة كل منها عبارة عن شكل مربع بداخله زهرة أو وردة متعددة الفصوص.

ويغطى هذه الحجرة قبة خشبية تشبه القبة التى تعلو المنطقة أمام المحراب برقبتها اثنى عشر شباكا كانت تزينها زخارف نباتية وهندسية بالألوان، أما الأرضية فكان فيها بعض التراكيب لم يبق منها إلا بقايا تركيبتين لضريحين أحدهما للأمير شيخو والآخر لبعض مشايخ الخانقاة ولا سيما

الشيخ أكمل الدين البابرتى أول شيوخها المشهورين.

وفى الجدار الشمالى لهذا الضريح توجد لوحة رخامية غير كاملة نقشت عليها كتابات نسخية فى سبعة أسطر نص الباقى منها كما يلى :

سطر ١ – بسم الله الرحمن الرحيم

سطر ٢ – .. .. شيخ أكمل

سطر ٣ – .. .. شارح الحديث

سطر ٤ – .. .. بالرحمة والرضوان فى شهر

سطر ٥ – .. .. وثمانين من الهجرة النبوية

سطر ٦ – .. .. العقد بلال أغا دار السعادة الناظر

سطر ٧ – سنة ١٠٩٥.

ويتقدم القبة التى تعلو المنطقة أمام المحراب فى البلاطة الوسطى على محور العقد الأوسط من عقود هذا الإيوان التى تفتح على الصحن شخشيخة خشبية مثمنة الأضلاع كان يوجد أسفلها زخارف لأشكال مقرنصات ملونة عليها زخارف نباتية.

أما السقف فهو عبارة عن كتل خشبية يزين وجوهها المرئية ويزين مناطق المربعات فيما بنها زخارف ملونة لوحدات زخرفية نباتية وهندسية مختلفة، كما أنه يحيط بأعلى العقود وأسفل السقف فى كل بلاطة من البلاطات الثلاثة إزار خشبى نقشت عليه كتابات نسخية باللونين الأزرق والأسود لبعض آيات من القرآن الكريم، هذا وأمام العقد الشمالى من عقود هذا الإيوان المطل على الصحن توجد دكة المبلغ وتقوم على أربعة أعمدة رخامية دائرية بغير قواعد ولا تيجان يعلوها سقف الدكة وهو عبارة عن عروق خشبية خالية من الزخارف، يعلوه من الجهات الأربع دروة خشبية عبارة عن حشوات من خشب الخرط.

وقد عثر فى جامع الكتابات العربة على نص منقول من مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٣٦ر) متر محفوظة فى متحف الفن الإسلامى يقول :

« (مما عمل) برسم المقر الأشرف العالى المولوى المخدومى السيفى شيخو الناصرى»(٦٤٦) وواضح من النص أن هذه المشكاة كانت قد نقلت إلى المتحف المشار إليه من إحدى الشيخونيتين (المسجد أو الخانقاة).

٦ – ترميمات الخانقاة :

أولت لجنة حفظ الآثار العربية منذ نشأتها فى سنة (١٨٨٢م) وحتى سنة (١٩٠٩م) هذه الخانقاة بقدر لا بأس به من عنايتها ورعايتها.

فبين سنتى (٢٨٨٢ – ١٨٨٤م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغاً قدره (٨٢٨ر٢١٦)جنيه،(٦٤٧) وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٨ر٧٠٨)جنيه على أعمال ترميمية تتعلق بفك بعض ألواح السماق التالف بالصحن وعمل بدلها ألواح وترابيع من رخام عادى(٦٤٨).

وفى سنة (١٨٩٦م) حدث أن حولت حجرة كانت توصل إلىى داخل الخانقاة من خلال باب تم سده كان لها شباك على الشارع للتهوية والإنارة تحوى مصبعات حديدية، وقد خلعت هذه المصبعات وهدمت جلسة الشباك حتى مستوى أرضية الحجرة وعمل المكان دكانا، وقامت لجنة حفظ الآثار بمعاينة الموقع وطلبت إعادة الأثر إلى ما كان عليه(٦٤٩)، وفى سنة (١٨٩٩م) قررت اللجنة أن ؤخذ من بند الاحتياطى الوارد فى توزيع العشرين ألف جنيه المخصصة لأعمال الترميم عن هذه السنة مبلغا قدره (–ر٩٥)جنيه للأعمال الترميمية المطلوبة لسبيل الخانقاة(٦٥٠).

وفى سنة (١٩٠٠م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٨٠٠ر٦)جنيه على ترميم برطوم من براطيم السقف غربى القبة، وعلى حاجز بالبناء فوق سطح الخانقاة حتى يمنع السكان المجاورين لها من استخدامه منشرا لهم وملعبا لأبنائهم كما ورد فى تقرير اللجنة(٦٥١)، وفى سنة (١٩٠٢م) حدث أن شخصاً يدعى محمد أبو عسكر قد أقام عشا على سبيل الخانقاة، ورأت اللجنة أن هذا

يضر بالسبيل لاسيما وأنه بالواجهة، وبعد مباحثات بين المالك والأوقاف قرر المالك أنه يمكن التنازل عن هذه العشش نظير مبلغ قدره خمسون جنيها بصفة التعويض فوافقت اللجنة على تقسيم دفع هذا المبلغ بواقع خمسة وثلاثين جنيها من الأوقاف وخمسة عشر جنيها من اللجنة وقد تمت هذه العملية بدفع المبلغ المذكوروتحرير عقد التنازل وعمل رسم عنه أودع بمحكمة مصر المختلطة وسلم السطح للجنة فعلمت فيه حائطاً للفصل بين الأثر وبين ممتلكات الورثة(٦٥٢).

وفى نفس السنة المشار إليها صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٢٢٨)جنيه على ترميم السبيل بالخانقاة ولو أن تفاصيل هذا الترميم لم تحدد بالتقرير الذى أشار إليها(٦٥٣).

وفى سنة (١٩٠٩م) أجرت الأوقاف بعض الأعمال بصحن الخانقاة تنحصر فى إصلاح دورة المياه وتحويل الميضأة إلى حوض بحنفيات، فقام هرتس بك بمعاينة الموقع على الفور وقدم تقريرا للجنة يقضى بالاستعاضة عن تركيب الحنفيات فى الطرقة المسدودة الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشمالية الغربية للصحن وبين الباب العمومى على أن يفتح فى جدار إحدى الخلوات الملاصقة له بابا يتوصل منه إلى الصحن، على أن يكون الوصول إلى هذا المكان الذى سيعد للوضوء عن طريق الدهاليز الواقعة بين مساكن الصوفية فوافقت اللجنة على ذلك وقررت تنفيذه(٦٥٤) وأخيرا قامت مصلحة الآثار سنة (١٩٥٧م) بصرف مبلغ قدره (–ر٥٩٥)جنيه على ترميم قبة الخانقاة.

وبذلك يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها قد قامتا بصرف مبلغ قدره (٣٣٦ر١٢٠٠)جنيه ألفا ومائتى جنيه وثلاثمائة وستة وثلاثن مليما) على ترميمات هذه الخانقاة حتى وصلت إلينا مبانيها بحالتها الراهنة التى لازالت فى حاجة إلى استكمال الترميمات اللازمة لها لتعود الخانقاة إلى سابق عهدها الزاهر الذى كانت عليه.

١١ – الخانقاة النظامية

٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ مـ

أثر رقم : ١٤٠

تقوم هذه الخانقاة على المرتفع المستوى خلف القلعة من الناحية الشمالية الذى نهايته الشرقية حتى برج الصحراء وحدوده الغربية خلف قصور الحريم (المتحف الحربى حاليا) وحدوده الشمالية شارع قرافة باب الوزير وجزء من ميدان الجامع اليوسفى وشارع باب الوداع، وحدوده الجانبية سور القلعة الشمالى من جهة مسجد سليمان باشا (سارية الجبل) ويتوصل إليها من طريقين أحدهما من شارع باب الوداع التتفرع من شارع الباب الجديد والآخر من طريق صلاح سالم.

ومن المعالم المحيطة بالخانقاة النظامية بقايا سور القاهرة الشرقى المتصل من خلفها، وهو سور من الدبش يختلف فى الشكل عن السور الشمالى، ويتصل من ناحية الجنوب ببقايا أسوارجامع السبع سلاطين وهو مسجد أثرى متخرب لم يبق منه إلا بعض أسوار بها محراب حجرى سليم وبعض قبوات فى الأرض كانت فى غالب الظن قبور من أهمها قبر االشيخ الترابى الذى كان مدفونا فى الجامع قبل تخربه، كذلك يحيط بالخانقاة من المعالم الأثرية تجاه جامع السبع سلاطين من جهة القلعة بقايا سور القاهرة الشرقى يلاصقه بناء كان على ما يبدو ساقية تابعة لمسجد سارية الجبل.

والذى أنشأ هذه الخانقاة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) على عهد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون هو شيخ الشيوخ نظام الدين الأصبهانى الحنفى، وطبقا لما لدينا من مادة علمية قليلة فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر فى أربع نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ - وصف الخانقاة.

٤ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

لم نعثر - فيما أمكن الأطلاع عليه من المصادر العربية - على معلومات شافية عن هذه الخانقاة، على الرغم من أن المادة العلمية القليلة التى وقفنا عليها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت خانقاة فعلية أنشأها - كما قلنا - شيخ الشيوخ إسحق بن عاصم الأصفهانى الحنفى سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) خلال عهد السلطان الناصر حسن.

يدل على ذلك أولا ما ذكره ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/١٥م) حين قال فى ترجمته لابن عاصم المشار إليه «ومما يدل على اتساع ماله عمارته لخانقاته بالقرب من قلعة الجبل تجاه بب الوزير على بعد على شرف الجبل وما وقف عليه من الأوقاف، كل ذلك فى سنة ثلاثة وخمسين وسبعمائة» (٦٥٥) ويدل عليه ثانيا ما ذكره صاحب كتاب «جامع الكتابات العربية» علاوة على اقتباسه لقول ابن تغرى بردى المشار إليه حين قال «وفى ربيع الأول توفى الشيخ نظام الدين إسحاق بن عاصم الأصفهانى الحنفى وهو صاحب الخانقاة النظامية التى تحت القلعة». (٦٥٦)

كما يدل عليه ويؤكده ذلك النص الإنشائى الذى ورد فى المرجع المشار إليه ويقول «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه الخانقاة المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكبير العالى المولوى نظام الملك والدين اسحق القرشى الأصفهانى نفع الله تعالى ببركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الإسلامية من ولد الظهر والبطن سنة سبعة وخمسين وسبعمائة» (٦٥٧) ويدل هذا النص على أن التاريخ الذى ذكره ابن تغرى بردى لم يكن صحيحا وإنما جانبه التوفيق حين سبقه بأربع سنوات.

ويدل عليه أخيرا ما أشار إليه الجبرتى عند ذكره لأحدث سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠١م) مما ارتكبه الفرنسيون من أعمال الهدم والتخريب من أبنية رأس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة وعلى رأسها المدارس القديمة والقباب المرتفعة التى شيدت فى هذه المنطقة وفيها المدرسة

(الخانقاة) النظامية حيث قال « وهدموا أعلى المدرسة النظامية ومنارتها وكانت غاية فى الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فواجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها إلى الخارج فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج» . (٦٥٨)

والواقع أن شكل بناء هذه الخانقاة الذى كان – على ما يبدو – على هيئة القلاع لأن جدرانها كانت سميكة صماء من أسفل وبها مزاغل من أعلا، علاوة على وقوفها على مرتفع يشرف على القاهرة من الشرق، كل ذلك ساعد الفرنسين عندما جاءوا إلى مصر سنة (١٧٩٨م) وأرادوا أن يحيطو القاهرة بعدد من القلاع لمحاصرتها وإخماد أية فتن تنشأ فيها ولم يجدوا لديهم الوقت الكافى لبناء مثل هذه القلاع، على لقيام بتخريب الأبنية الأثرية الواقعة فى أماكن ملائمة فى أطراف المدينة، وجعلوها أشبه بالقلاع المطلوبه عن طريق إحداث تغيرات وتبديلات معمارية فيها» وكان من أمثلة الأبنية الأثرية التى حولها إلى قلاع بهذه الصفات الخانقاة النظامية وتربة تنكزبغا ومسجد أذدمر وسبيل الوسية وقبة تمر باى الحسينى وغيرها.

ولم يقف الأمر بالنسبة لهذه الخانقاة على أعمال التخريب التى أحدثها الفرنسيون بها، بل لقد ظلت عرضه للكثير من أعمال العبث خلال السنوات التالية، فزالت أسقفها الخشبية كلية واختفت فوهة الصهريج بداخل الخانقاة بعد أن ردم وتهدمت غالبية أجزئها ولم يعد باقيا منها حتى الآن إلا المدخل وبعض حوائط االخلوات التى كانت تجاوره، بالإضافة الى ضريح المنشئ.

أما فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة فيدل عليها أولا ما ذكره ابن بردى فيما سبقت الإشارة إليه عن اتساع مال منشئها وعمارته لها الأوقاف عليها (٦٥٩)، ويدل عليه ثانيا ما ورد فى بعض الدراسات الوثائقية الحديثة التى نشرت فى ملحق الحوليات الإسلامية التى تصدر عن المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية باالقاهرة من نشر لحجة من الحجج المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة باسم ابو زكريا يحى بن جمال الدين عبد الله بن شرف الدين موسى رئيس المجبرين والجراحين بالخدمة الشريفة والبيمارستان المنصورى (نسبة الى المنصور قلاوون)وهى حجة أوقف صاحبها وحبس وسبل جميع البناء القائم على الأرض المحتكرة ملكه بجهة القاهرة على الخانقاة النظامية وشرط على الواقف بعده أن يتولى عمارة العين الموقوف عليها ومرمتها وما فيه البقاء لعينها والدوام

لمنفعتها، ولو أنفق فى ذلك جميع غلتها ومتحصلاتها.(٦٦٠)

٢ – منشئ الخانقاة :

لم نعثر – فيما أمكن الاطلاع عليه من المصادر العربية – على كثير من المعلومات المتعلقة بترجمة منشئ هذه الخانقاة، وكل ما وصل إلينا عنه ورد ذكره فى مصدر واحد ومرجع واحد فقط، أما المصدر فهو المنهل الصافى وقد ورد فيه أن أسحق بن عاصم بن محمد العلامة شيخ الشيوخ نظام الدين بن الشيخ مجير الدين بن سعد الدين الأصبهانى الحنفى، قدم إلى القاهرة بعد أن برع فى عدة علوم وصار معدودا من الفضلاء، فولى مشيخة خانقاة سرياقوس ووصف بشيخ مشايخ الإسلام، ثم توجه فى الرسلية إلى بلاد الهند وعاد وقد كثر ماله حتى أنه أهدى الذهب فى الأطباق إلى عظماء الدولة.(٦٦١)

أما المرجع الذى أشار إلى منشئ هذه الخانقاة فهو كتاب «جامع الكتابات العربية» وقد ورد فيه أن شيخ الشيوخ نظام الدن إسحق بن الشيخ مجير الدين عاصم بن الشيخ سعد الدين محمد الأصفهانى الحنفى توفى فى ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) وتولى بعده ولده جلال الدين مشيخة خانقاة سرياقوس وتلقب بشيخ الشيوخ مثل والده.(٦٦٢)

ومن هذا يتضح أن منشئ النظامية هو الشيخ نظام الدين اسحق بن الشيخ مجير الدين عاصم بن الشيخ سعد الدين محمد الأصفهانى الحنفى المتوفى فى ثالث عشر من ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م).

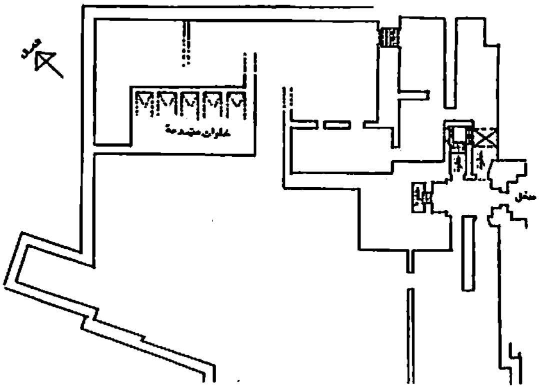

لوحة ١٥ : بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠
(٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) – مسقط افقى

٣ – وصف الخانقاة :

(أنظر لوحة : ١٥ وشكلى ٢٨، ٢٩)

تقع هذه الخانقاة – كما قلنا –

على قمة تل تجاه القلعة رافة باب الوداع من ناحية الشمال، ويشرف على جبل المقطم من ناحية الشرق وعلى الدحديرة من ناحية الغرب، ويتوصل إليها حاليا عن طريقين، أحدهما من شارع باب الوداع المتفرع من شارع الباب الجديد، والآخر عن طريق صلاح سالم.

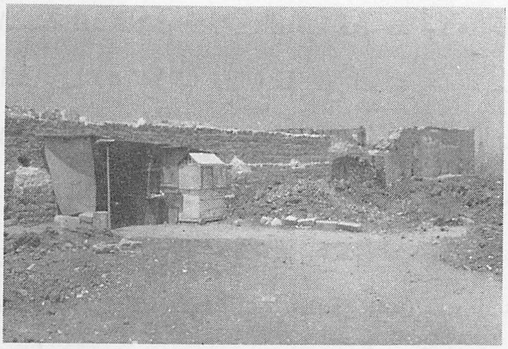

شكل ٢٨ : بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)
جزء من سور القاهرة القديم ومعه بقايا الخانقاة

وكان لما أحدثه الفرنسيون بها – فيما سبقت الإشارة إليه – وما أقيم على جزء من أطلالها من مدرسة حديثة فى الخمسينيات أسوأ الأثر فى تخريب هذه الخانقاة وتدميرها، ونتيجة لهذا وذاك لم يبق منها إلا أطلال وأنقاض تستدعى القيام بعمل ترميمى كبير يعيدها إلى ما كانت عليه.

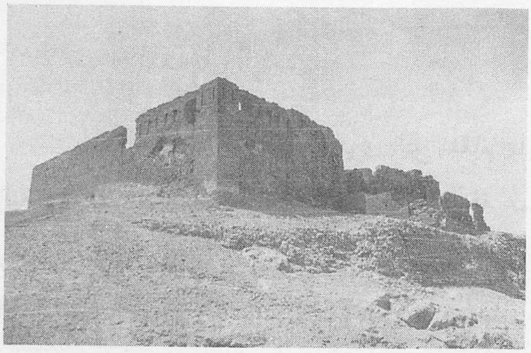

شكل ٢٩ : بقايا الخانقاة النظامية – منظر من الخارج

والواقع أن هذه الخانقاة – كغيرها من الخانقاوات المصرية – كانت تشتمل على العديد من المكونات المعمارية التى عرفت عن هذه الخانقاوات، ولكن الدمار الذى أصابها لم يبق منها إلا ما يلى:

أ – الواجهة الرئيسية :

تقع هذه الواجهة فى الناحية الشمالية الغربية وتشرف – كم قلنا – على مقابر باب الوداع من الشمال وتمتد بطول (٢٧٫١٠) متر وهى مقسمة إلى أربع دخلات رأسية احتوت لوسطى منها على المدخل الرئيسى، وترتفع هذه الواجهة حسب ما بقى منها الآن بمقدار (٩٫٨٠) متر، أما

بالنسبة للدخلات الثلاث الباقية فتوجد أولاها على يمين المدخل من الناحية الشمالية الغربية واتساعها (٦٥ر١١) متر وتقل فى العمق عن سمت الواجهة بمقدار (٩١ر) متر، أما لدخلتان الأخريان على يسار المدخل من الناحية الشمالية الشرقية، فإحداهما تجاور دخلة المدخل وتقع على يساره اتساعها (٣٥ر٤) متر والأخرى فى الزاوية الشمالية الشرقية واتساعها (٦٥ر٦) متر وهما يرتدان عن سمت الواجهة إلى عمق (٨٨ر) متر، ويفصل بين هاتين الدخلتين سمت الجدار بمسافة (٤٥ر٢) متر، كم يوجد فى أعلا هذه الدخلات الثلاث ثلاث فتحات شبابيك مستطيلة ذات أعتاب حجرية بواقع فتحة شباك أعلى كل دخلة، ولكنها سدتحديثا، ويرى فى أعلى الواجهة صف من الكوابيل الحجرية العارية من الزخارف كانت تحمل الطابق الثانى الذى لم يبق منه سوى بعض الجدران أعلى الواجهة الرئيسية.

ب – المدخل الرئيسى :

يرتفع هذا المدخل عن مستوى التل المقام عليه الخانقاة بحوالى (٤٥ر٢) متر وكان يؤدى إليه سلم غير موجود حاليا، وهو يقع داخل دخلة عمقها (١) متر وارتفاعها (٥٠ر٤) متر غير أن ربع القبة وبقية المدخل من أعلا غير موجود الآن ولم يبق منه سوى حطتين ونصف من المقرنصات الحاملة لها بارتفاع (٩٧ر) متر، ويكتنف هذا المدخل مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٥ر) متر وارتفاعها (٧٥ر) متر وطولها (٧٦ر) متر، أما فتحة المدخل فعمقها (٣٠ر) متر واتساعها (٤٥ر١) متر وارتفاعها (٦٣ر٢) متر يغطيها عتب من الحجر لوردى على شكل هرمى فى قمته دائرة رنك ممحو، وفى أعلاه فتحة شباك مستطيلة كانت تقع أسفل الطاقية التى أزيلت، كما يوجد على جانبى هذا المدخل بارتفاع (٣٤ر١) متر من المكسلتين شريط كتابى فى إزار عرضه (٢٩ر) متر نص الباقى من كتابى :

«أمر بإنشاء هذه الخانقاة المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكريم العلى المولوى نظام الملك (٦٦٣) والدين اسحق القرشى الأصفهانى نفع الله تعالى ببركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الاسلامية من ولد الظهر والبطن سنة سبع وخمسين وسبعمئة».

جـ – دركاة المدخل وأبوابها :

يؤدى المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة إلى دركاة عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٤٫١٠) متر وعرضها (٣٫٥٦) متر وترتفع عن مستوى الأنقاض حتى أعلى جزء فيها حاليا بمقدار (٤٫٧٥) متر وتشتمل هذه الدركاة على أربع مداخل (اثنان منها على اليمين فى الجدار الغربى واثنان على اليسار فى الجدار الشرقى) وكانت تفضى إلى الملحقات المختلفة للخانقاة، وفيما يلى وصف لكل منها :

المدخل الأول :

يقع هذا المدخل فى الجدار الغربى للدركاة على يمين الداخل إليها واتساعه (١٫٢٠) متر وعمقه (٣٠ر) متر وسقفه عبارة عن عقد من صحنجات معشقة قمته مدببة وأحجاره مشهرة أعلاه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩ر) متر وطولها (٩٠ر) متر، ويوصلنا هذا المدخل إلى دهليز طوله (٤٫٣٥) متر وعرضه (٢٫٦٠) متر سقفه مكون من مستويين أولهما علوى يلى فتحة المدخل مباشرة وهو عبارة عن جذوع أشجار مستحدثة وثانيهما سفلى عبارة عن قبو مدبب عرضه (١٫٧٩) متر يشرف على قاعة مستطيلة طوالها (٨٫٣٠) وعوضها (٤٫٢٥) متر فى صدرها دخلة أخرى عرضها (٢٫٨٥) متر وعمقها (١٫٤٧) متر ويوجد بهذه القاعة ثلاث فتحات مستطيلة مسدودة من الخلف ربما كانت خزائن حائطية طول الواحدة منها (٢١٫٩٠) متر وعرضها (٨٩ر) متر سقوفها غير موجودة حاليا وقاعها مليء لاالأنقاض إلى منتصفها، وعلى يسار الخزانة الموجودة فى الجدار الشرقى فتحة باب مستطيلة عمقها (٥٠ر) متر وعرضها (١٫٢٥) متر سقف بجذوع من الأشجار وسدت لاالأنقاض لأعلى من منتصفها، وتوصلنا هذه الفتحة إلى منطقة مستطيلة تملؤها الأنقاض إلى أعلى جزء باق منها، وعلى يمين الخارج من الباب المشار إليه نجد فى الجدار الغربى مدخل مستطيل عرضه (٨٥ر) متر وعمقه (١٫١٠) متر يوصلنا إلى قاعة أخرى مستطيلة موازية للقاعة السالفة الذكر طولها (٧٫١٠) متر وعرضها (٤٫٢٦) متر، فى أرضيتها مستطيل محاط بجدراان من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية غير جدران القاعة وينخفض هذا المستطيل عن مستوى أرضية القاعة بحوالى (١٫٣٥) متر، كما يوجد بهذه القاعة شباك بنفس الجدار الشرقى الموجود به المدخل اتساعه (٦٣ر) متر وارتفاعه (١) متر وعمقه (٧٣ر) متر، وفى

الجدار االجنوبى لهذه القاعة يوجد مدخل آخر به درجات سلم ربما كانت توصيل إلى طباق الصوفية، وهذ المدخل ارتفاعه (٢٫٤١) متر وعمقه (٨٧ر) متر وسقفه عبارة عن عتب مسطح، وما تجب الإشارة إليه أن سقف هذه لقاعة غير موجود حاليا وصدرها هو نفسه السور الخارجى للخانقاة من الناحية الشمالية الغربية، والناظر لهذا الجدار من داخل القاعة يجد انه كانت به فتحة مستطيلة أسفلها لوح من الرخام فى وضع أفقى يبرز عن سمت الجدار بحوالى (٣٥ر) متر سمكه (١٥ر) متر ومن المرجح أن هذه القاعة كانت سبيلا ملحقا بالخانقاة.

المدخل الثانى :

يقع هذا المدخل فى نفس الجدار الغربى للدركاة على يمين الداخل إليها وهو يلى لمدخل السابق وعمقه (٣٠ر) متر واتساعه (١٫١٩) متر يعلوه عتب مكون من صنجات معشقة ذات أحجار مشهرة، ويوصلنا هذ المدخل إلى دهليز طوله (٢٫٧٥) متر واتساعه (٥٠ر)، تتصدره ٥ درجات سلم تنكسر إلى اليمين اتساعها (١٫٢٣) متر كانت توصل إلى الطبق الثانى من طباق الصوفية المندثرة حاليا يبق منهاا سوى أربع صفوف من المداميك الحجرية المشكلة لجدار الواجهة الرئيسية.

وإلى يسار القادم من دهليز نجد فتحة شباك اتساعها (٨٧ر) متر وعمقها (٦٢ر) متر سقفها غير موجود أيضاً.

المدخل الثالث :

هو أول المدخلين الموجودين بالجدار الشرقى للدركاة اتساعه (١٫١٩) متر وعمقه (٣٠ر) متر يتشابه مع المدخل المقابل له فى الجدار الغربى للدكارة فى طريقة التسقيف حيث أن سقفه عبارة عن عقد مدبب من أحجار مشهرة ولكن فى قمته صنجة مفتاحية للعقد، وأعلاه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩ر) متر وطولها (١٣٫٩٢) متر وعرضها تشتمل على ثلاثة مستويات أولها

طوله (٧١ر٥) متر، وعرضه (٦٨ر٢) متر وثانيها يرتد إلى الخلف قليلا بعرض (١٢ر٣) متر وطول (٦٠ر٢) متر، وثالثها يرتد إلى الخلف أيضاً بعرض (٧٤ر٤) متر وطول (٤١ر٥) متر، ونجد من خلال الأنقاض التى تملأ هذه القاعة الطويلة بقايا جدران كانت تقسمها إلى هذه المستويات الثلاث السابقة ولكننا لا نستطيع أن نتبين الوسيلة التى كان يتوصل بها من المستوى السفلى إلى المستوى العلوى للقاعة كما أننا لا نستطيع القول بأنها كانت تفتح على ملحقات أخرى أم لا.

المدخل الرابع :

يتشابه هذا المدخل مع المدخل المقابل له فى الجدار لغربى للدركاة من حيث الاتساع (١٩ر١) متر والعمق (٣٠ر) متر ومن حيث التسقيف الذى يتكون من عتب مؤلف من صنجات معشقة ذات أحجار مشهرة، وتعلوه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩ر) متو وطوله (٩٠ر) متر ويوصلنا هذا المدخل إلى دهليز طوله (١٣ر٥) متر وعرضه (٤١ر١) متر، قبل نهايته من جهة اليمين فى الجدار الجنوبى نجد فتحة مدخل اتساعها (٢٠ر١) متر وعمقها (٣٠ر) متر سقفها غير موجود، غير أن البلاط الذى كان يكسو جدار هذا الدهليز مازال موجوداً، وينكسر الدهليز عند نهايته بزاوية قائمة إلى الناحية الجنوبية ليوصلنا إلى دهليز آخر طوله (٧٤ر٤) متر وعرضه (٤٠ر١) متر، والواقع أننا لا نستطيع تحديد اتصالات هذه الدهاليز لأن الأنقاض تغمرها عن آخرها ولا سيما الدهليز الثانى، إلا أنه من المعتقد أن هذا الدهليز المنكسر هو الذى كان يتوصل منه إلى (صحن) لخانقاة المملوء خاليا بالأنقاض (أنظر شكل : ٣١).

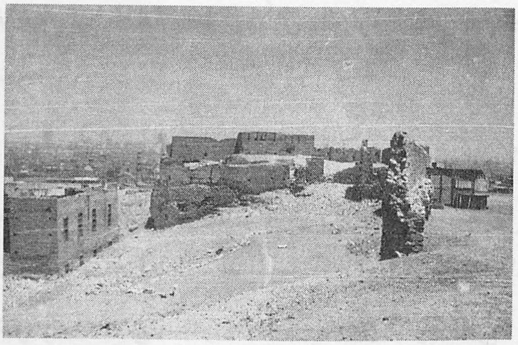

شكل ٣١ : بقايا الخانقاة النظامية – منظر داخلى

وفى صدور دركاة المدخل نجد دخلة مستطيلة اتساعها (٦٠ر٢) متر وعمقها (٦٣ر١) متر فى صدرها فتحة طولها (٤٧ر١) متر وعرضها (٧١ر) متر بها درجات سلم كانت توصل إلى طباق الصوفية بالدور الثانى غير أن الأنقاض تملأ هذه الدركاة وتصل إلى مستوى هذه الفتحة التى تعلو مستوى أرضية الدخلة.

د – خلوات الصوفية الثانى :
(أنظر شكلى ٣٢، ٣٣)

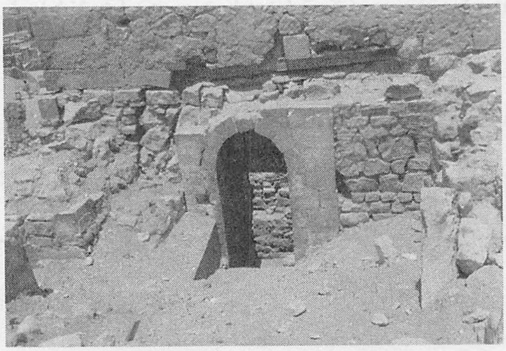

شكل ٣٢ : بقايا الخانقاة النظامية – مدخل خلوات الصوفية

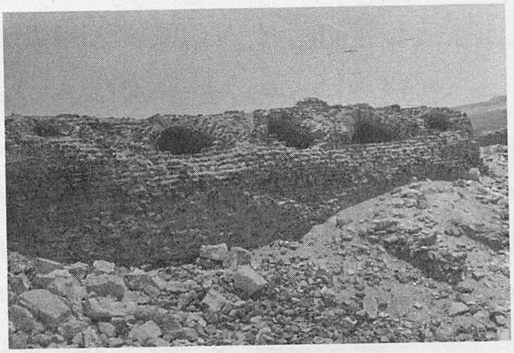

شكل ٣٣ : بقايا الخانقاة النظامية – بقايا خلوات الصوفية

لم يبق من خاوات الصوفية هذا الطابق سوى أجزاء من السور الخارجى للواجهة الرئيسية (الشمالية الغربية) بارتفاع (٥٠ر٢) متر بها دخلة مستطيلة عمقها (٢٧ر١) واتساعها (٢٩ر١) متر فى أركانها وصدرها ثلاث مزاغل لمراقبة الجهات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية، كما توجد مزاغلة أخرى فى الركن الشمالى الشرقى، أما الجدار لشمالى الغربى للخانقاة فلا تزال فيه ست مزاغل مستطيلة طول الواحدة منها (١٩ر١) متر واتساعها (٤٢ر) متر وعمقها (٧٩ر) متر، ويفصل بين جدار الطبق الأول والجزء الباقى من جدار الطابق الثانى فلوق من جذوع النخل المستحدثة.

ومن بينالمكونات العلوية التى قاومت عوامل الدمار والخراب الذى أصاب هذه الخانقاة ومازالت موجودة فى الطابق الثانى قاعة مستطيلة تلى الدهليز الذى يتوصل إليه من فتحة السلم القائم فى مواجهة الدخلة الموجودة فى صدر اللدركاة، وتطل هذه القاعة على الدهليز عن طريق جدار ارتفاعه من مستوى سقف الطابق الأول حتى أعلى جزء باق فيه (٣٥ر٤) متر، ويضم هذا السور قاعة مستطيلة تمتد ناحية الصحن فى الاتجاه الجنوبى بعد دركاةالمدخل طولها (٦٨ر١٢) متر وعرضها (٣٨ر٤) متر، وسمك هذا الجدار (٦٨ر) متر والجدار الغربى لهذه القاعة مزود بثلاث فتحات من المزاغل وهو يرتد عن السور الشمالى الغربى للخانقاة بما يدل على أن الواجهة

الشمالية الغربية لم تكن على ارتفاع واحد من مستوى الأرض المقامةعليها الخانقاة.

هـ – قاعة الشيخ :

فى الجدار الشمالى الشرقى للقاعة المستطيلة المشار إليها يصعد إلى سلم سقطت درجاته يؤدى إلى فتحة عرضها (٨٤ر) متر وعمقها (٥٣ر) متر وارتفاعها (١ر٨٣) متر ذات سقف خشبى توصلنا إلى غرفة مستطيلة طولها (٤ر٣٢) متر وعرضها (٥ر٨٨) متر غطيت جدرانها بملاط حديث وترتفع أرضيتها عن أرضيتها عن أرضية القاعة المستطيلة بحوالى (١ر٦٧) متر، وكنت هذه الأرضية مفروشة ببلاط حجازى فى أحد أركانها لوح حجرى مسجل عليه تاريخ «أربع وستين وسبعمائة» يغلب على البطن أنه يعبر عن ستكمالت تمت بهذه الخانقاة بعد بنائها بسبع سنين، وفى وسط هذه الأرضية فتحة مستحدثة عبارة عن ثقب أطوله (٣٧ت٤٥ر) متر مفتوح فى قبو كان يغطى قاعة أخرى أسفل القاعة التى بين أيدينا.

و– الخلوات الخلفية :

تقع هذه الخلوات فى جهة الخلفية من الخانقاة ورغم أنها مليئة بالأنقاض إلا أنه يمكن القول أن أبعاد كل منها كانت (٢ر٣٩) متر طولا، (١ر٥٦) متر عرضا بالجدار الشرقى لكل منها مدخل عرضه (٨٥ر) متر وكان مرسوما على الجدار الجنوبى الشرقى لكل منها محراب بسيط يؤكد أنها كانت فعلا تمثل الخلوات التى استحدثت سنة (٧٦٤هـ) للصوفية الذين قررهم المنشىء فيها.

٤ – ترميمات الخانقاة :

لم تكن ترميمات الخانقاة أحسن حالا من مادتهاالتاريخية والأثرية، فلم نعثر فيما يتعلق بهذه الترميمات فى كراسات لجنة حفظ الآثارر العربية (على كثرتها بدءا من الكراسة الأولى سنة (١٨٨٢م) وانتهاء بالكراسة الحادية والأربعين سنة (١٩٥٦م) على شىء يشير إلى أن هذه اللجنة كانت قد أولت تلك الخانقاة رعاية فى أعمال الترميم الكثيرة التى قامت بها فى العديد من الأبنية الأثرية الأخرى، وربما كان السبب فى ذلك أنه كان على رأس هذه اللجنة وفى عضويتها

شخصيات فرنسية لم يكن يعينها فى هذ الوقت أن تنازع جيش وطنها الذى كان قد استولى عليها وحوليها – كما قلنا – إلى قلعة عسكرية تشرف على القاهرة من ناحية الشرق، يدل على ذلك أنه لم يرد فى كراسات هذه للجنة إلا ذكر لطلب «للبناء بداخل جامع نظام الدين الكائن بالحطابة» (٦٦٤) وربما كانت ترميمات الدبش البلدى ذو المداميك الكائنة فى أعلاها وتجاه واجهتها، ربما كانت بعض هذه الترميمات من أعمال الحملة الفرنسية ولا سيما مبانى الدبش الكائنة أعلى جدران الخانقاة ذات المزاغل الرفيعة البارزة، وربما كان بعضها الآخر لحماية مدخل الخانقاة إبقاء عليه من الضياع والإندثار.

وصفوة القول أن هذه الخانقاة لا زالت فى حاجة ماسة إلى مشروع متكامل تزال فيه أول طبقات الأتربة والأنقاض التى لا زالت تغطى كثيرا من أجزائها ويكشف ثانيا عن كافة أطلالها المندثرة، ويعاد فيه ثالثا بناء كافة الأجزاء المتهدمة منها ليعود للخامقاة سابق عهدها الذى كانت عليه عند بنائها.

حواشي وتعليقات فصول

خانقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية

حواشي وتعليقات فصول

خانقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية

١- المقريزى : الخطط جـ٢ ص٤١٤ وراجع أيضا : ابن ظهيرة: الفضائل اباهرة ص ١٨٨ ح٤، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : جـ٤ ص ٢١١.

٢- المقرزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ وانظر أيضا : فتحى الحديدى: حي الجمالية ص ١٣٠.

٣- ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ١٧٩ ج٧، السيد الباز العربنى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص٢١٧.

٤- السيرطى : حسن المحاضرة: جـ٢ ص ٢٥٦.

٥- نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٥٧.

٦- نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٠.

٧- المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص٤١٤، ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٧٩ ح٧، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة : ص١٨٨ ح٤، على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص٥٠.

٨- على باشا مبارك : نفس المصدر : جـ٤ ص ٢١١ - ٢١٢، جـ٥ ص٥٠، جـ٦ ص٥٠.

٩- كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص٣٣.

١٠- صالح لمعى مصطفى: التراث المعمارى الإسلامى فى مصر: ص ص٢٤ - ٢٥.

١١- ابن حجز : الدرر الكامنة فى أعلام المائة الثامنة : جـ٤ ص ٦٧.

١٢- القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : جـ ١٢ ص ١٠٥.

١٣ – القاضى مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : جـ٢ ص ص ٤١،٤٧.

١٤ – عبد الجليل عبد المهدى : المدارس فى بيت المقدس: جـ١ ص ٤٠٣.

١٥ – الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٩٦.

١٦ – القلقشندى : المصدر السابق : جـ١٢ ص ١٠٥.

١٧ – عبد الجليل عبد لمهدى : المرجع السابق : جـ١ صص ٤٠٥ – ٤٠٦.

١٨ – ابن الجيعان : لتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : ص١٣٩.

١٩ – نفس المصدر : ص ١٣٩.

٢٠ – نفس المصدر : ص ١٥٢.

٢١ – نفس المصدر : ص ١٥٩.

٢٢ – نفس المصدر : ص ١٦٦.

٢٣ – نفس المصدر : ص ١٧٣.

٢٤ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٤ – ٤١٥.

٢٥ – ابن دقماق : الإنتصار لواسطة عقد الأمصار : جـ٢ ص٨.

٢٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٢٨.

٢٧ – راجع : وقفية أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن موسى رئيس المجبرين والجرائحيين رقم (١٥٤ / ٢٤) تاريخها ٢٢ ذو الحجة سنة (٨٧١ هـ) بدار الوثائق القومية وانظر عنها أيضاً ك محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة : ص ٧٣،

Doris Behrens Abouseif : Fath'Allah and Abu Zakariyya, phhysicians under Mamluks, I.F.A.O.Le caire1987,PP.45-52

٢٨ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٦ ص ٢١.

٢٩ – متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم سجل ٣٠ صالة ٥ وراجع عنه ايضاً :

Van Berchem (M.):corp. Inscrip. Arab. tome, xix, Fascv, P.645.

٣٠ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٠٥.

٣١ – ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : جـ٥ ص ١٣٩.

٣٢ – ابن تغرى بردى : النجوم الزهراءة فى ملوك مصر والقاهرة : جـ٦ ص ص ٣-٦.

٣٣ – ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور : جـ١ ص ص ٦٩ – ٧٣،

– ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٤٢،

– زامبور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى : ص ٥٠.

٣٤ – الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : جـ١ ص ص ١٤ – ١٥.

٣٥ – ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول : ص ٢٢٣.

٣٦ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤.

٣٧ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٩٧ ترجمة رقم ٢٤٨٠ وراجع أيضا:

– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ٨٠.

٣٨ – ابن حجر : المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٢٥٦ – ٢٥٧ ترجمة رقم ٧٠٩.

٣٩ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٨٦ ترجمة رقم ٧٥٦.

٤٠ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٩٨ ترجمة رقم ٤٧٨.

٤١ – نفس المصدر : جـ٣ ص ترجمة رقم ٥٤.

٤٢ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٠ – ٢١ ترجمة رقم ١٥٢٥.

٤٣ – ابن تغرى: المنهل الصافى : جـ١ ص ص ١٧٨ – ١٧٩.

٤٤ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٤٦.

٤٥ – ابن الصيرفى : إنباء الهصر بأبناء العصر: ص ص ١٠٣ – ١٠٤.

٤٦ – السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ٢ ص ٨٣ ترجمة رقم ٢٤٧.

٤٧ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ترجمة رقم ٧٤١.

٤٨ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ٧٠ – ٧١ ترجمة رقم ٦٥٦.

٤٩ – نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١١٥ – ١١٧ ترجمة رقم ٣٠٩.

٥٠ – نفس المصدر : جـ٦ ص ص ٨١ – ٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨.

٥١ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٨١ ترجمة رقم ٧٠٤.

٥٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٤٦ – ٤٨ ترجمة رقم ٢٤٨.

٥٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٤.

٥٤ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٢.

٥٥ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٥٧ – ٢٦١.

٥٦ – السخاوى : المصدر السابق: جـ١ ص ٤٠.

٥٧ – نفس المصدر: جـ١ ص ص ١٧٥ – ١٧٨.

٥٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٣٦ – ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤.

٥٩ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٦٠ – ٦١ ترجمة رقم ١٨٠.

٦٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٨٥ ترجمة رقم ٥١٠.

٦١ – نفس المصدر : جـ٥ ص ص ١٦١ – ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧.

٦٢ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٧ – ٨.

٦٣ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٢٢.

٦٤ – نفس المصدر: جـ٢ ص ١٥٥ ترجمة رقم ١٤٤٣.

٦٥ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٤ – ٤١٥.

٦٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤١٥.

٦٧ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٧.

٦٨ – السخاوى : المصدر: جـ٣ ص ص ١٩٢ – ١٩٣ ترجمة رقم ٧٣٥.

٦٩ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ وأنظر أيضا:

– السيد الباز العرينى: مصر فى عصر الأيوبيين : ص ٢١٧.

٧٠ – المقريزى : المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٥،

– على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٤ ص ٢١١،

– السيد الباز العرينى: المرجع السابق : ص ٢١٧.

٧١ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤.

٧٢ – على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٤ ص ٢١١.

٧٣ – ابن ظهيرة : المصدر السابق: ص ص ١٨٨ – ١٨٩.

٧٤ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ١١٦ ترجمة رقم ٣٢٣.

٧٥ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٣٨٥ ترجمة رقم ١٠١٧ .

٧٦ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ٣٨٧ – ٣٨٨ ترجمة رقم ١٠٢٥ .

٧٧ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٥ ترجمة رقم ١٣ .

٧٨ – نفس المصدر : جـ ٢ ص ١٦ ترجمة رقم ٤٨ .

٧٩ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٧ ترجمة رقم ٧٤.

٨٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١١٧ – ١١٨ ترجمة رقم ٣٤٧.

٨١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٣ ترجمة رقم ٧٨٩.

٨٢ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٢٩ رقم ٨٥٨.

٨٣ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٤٣ ترجمة رقم ١٣٩ .

٨٤ – نفس المصدر: جـ٤ ص ١٤٢ ترجمة رقم ٣٧٣.

٨٥ – ابن حجر : المصدر السابق: جـ٤ ص ١٢٥ ترجمة رقم ٣٢٥.

٨٦ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى: جـ٢ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٠٨.

٨٧ – ابن حجر : المصدر: جـ١ ص ٢٤٣ ترجمة رقم ٦٢٩ .

٨٨ – السخاوى : المصدر السابق: جـ١ ص ١٧ .

٨٩ – نفس المصدر: جـ١ ص ٤١ .

٩٠ – نفس المصدر : جـ١ ص ٨٨.

٩١ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٢٥ .

٩٢ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٥٠ .

٩٣ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٩٩ ترجمة رقم ٢٩٩.

٩٤ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٢٦ – ١٢٨ ترجمة رقم ٣٧٩.

٩٥ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٢٨٨ – ٢٨٩ ترجمة رقم ٩٠١.

٩٦ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٥٢ ترجمة رقم ٢٠٣.

٩٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٩٣ ترجمة رقم ٣٧٦.

٩٨ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٠٦ ترجمة رقم ٤٢٢.

٩٩ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٢٢١ ترجمة رقم ٧٤٩.

١٠٠ – الجبرتى : المصدر السابق: جـ٢ ص ٨٧.

١٠١ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ٢٠٦.

١٠٢ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٧ ترجمة رقم ٢٠٣.

١٠٣ – نفس المصدر : جـ ٣ ص ص ٦٧ – ٦٩ ترجمة رقم ٢٧٨.

١٠٤ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٣٢١ ترجمة رقم ١٠٦٤.

١٠٥ – نفس المصدر : جـ٥ ص ص ٢٧٧ – ٢٧٨ ترجمة رقم ٩٤٤.

١٠٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٨٦ ترجمة رقم ٥١٥.

١٠٧ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٩٣ ترجمة رقم ٤٨٨.

١٠٨ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١١٥ ترجمة رقم ٣١٤.

١٠٩ – نفس المصدر : جـ٦ ص ٤٤ رقم ١٢٤.

١١٠ – دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر : ص ٣٢٥.

١١١ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٥.

١١٢ – على باشا مبارك: المصدر السابق:جـ٤ ص ص ١٠٢ –١٠٣، ٣١١ – ٣١٣.

١١٣ – دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

١١٤ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٩.

١١٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٥.

١١٦ – نفس المصدر : جـ٦ ص ص ٤٩ – ٥٠.

١١٧ – لين بول : سرة القاهرة : ص ٢٥٥.

١١٨ – صالح لمعى مصطفى : المرجع السابق : ص ٣١.

١١٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٩ – ٤٢٠.

١٢٠ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٧ ص ١٠٧.

١٢١ – المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك : جـ١ ص ٥٣٣.

١٢٢ – أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتيين : ص ٥٥.

١٢٣ – المقريزى: الخطط : جـ٢ ص ٣٩٤، السلوك جـ١ ص ٤٠٢.

١٢٤ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٧ ص ٣٦٧.

١٢٥– عل باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٥.

١٢٦– سرد شرح هذه الألقاب عند الحديث عن وصف الخانقاة كل فى موضعه من هذا الوصف.

١٢٧– راجع: Lamm : Mittelaterlische Glaser, P. 427

وأنظر أيضاً سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : جـ٣ ص ٥٩.

١٢٨ – السخاو : المصدر السابق : جـ٥ ص ١٦٥ ترجمة رقم ٥٦٢.

١٢٩ – ابن الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : جـ٣ ص ٦.

١٣٠ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٧٦.

١٣١ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٢٤١١ – ٢٤٢.

١٣٢ – سورة البقرة : آية ٢٥٥.

١٣٣– الجناب لغة هو الفناء أو ما يقرب من محلة القوم ويجمع على أجنبة وجنبات، وهو من اللقاب الأصول التى كانت تعبر عن الرجل بفنائه أو م يقرب من محلته من باب التعظيم، وأقدم من تلقب بهذا اللقب هو السلطان سنجر لسلجوقى لذى لقب «بالجناب العالى الشاهنشاه الأعظمى» وانتقل استعمال هذا اللقب إلى الأيوبيين إلا أنه لم يستعمل للسلاطين وإنما استعمل للوزراء حيث تلقب به القاضى الفاضل، وتدرج لقب الجناب فى عصر المماليك البحرية إلى عدة مراتب منها «الجناب الكريم العلى» ودونه «الجناب لعالى» ثم «مجلس العلى» إلى أن زاد الككتاب درجاته فكانت «الجناب الشريف العالى» و«الجناب الكريم العالى» و «الجناب العالى» وأورد القلقشندى أنه كان أرفع الألقاب بالنسبة لطبقة العلماء والقضاة، ولم يختلف المصطلح كثيراً فى عصر المماليك البرجبة عنه فى عصر المماليك البحرية باستثنء ما استجد من الوظائف لجديدة التى استدعت استحداث ألقاب جديدة قللت من قيمة هذا اللقب.

– راجع : القلقشندى : صبح الأعشى : جـ٥ ص ٤٩٩، جـ٧ ص ٨٥،

– ابن منظور : لسان العرب : جـ١ ص ٢٦٧ وأنظر أيضا،

– حسن الباشا : الألقاب الإسلامية : ص ص ٢٤١ – ٢٤٧،

– محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة : ص ٢٣٦.

١٣٤–كان لقب العالى فى عصر المماليك من الألقاب الفروع التى وصفت كل الألقاب الأصول تقريباً، وكانت رتبه أعلى درجة من السامى وربما سبق بلقب تابع مثل الأشراف

والكريم فقيل «المقر الأشراف العالى» و«المقر الكريم العالى» وربما اقتصر التلقيب عليه وحده فقيل «المقام العالى» و«المقر العالى» و«الجانب العالى» و«المجلس العالى»، وجرى هذا اللقب فى عصر المماليك البحرية مجرى التشريف لغير الإنسان فأطلق على متعلقات النائب الكافل، على حين أطلق الشريف على متعلقات السلطان، أما فى عصر المماليك البرجية فقد استقر الحال على استعمال اللقبين (العالى والشريف) لكل من السلطان ونوابه فقيل فى حالة توقيع النائب «رسم بالأمر الشريف العالى» وفى حالة توقيع السلطان «امتثل الأمر العالى» كذلك كان يرد هذا اللقب على صيغة التفضيل «الأعلى» ضمن ألقاب ملوك المغرب.

- راجع:القلقشندى:المصدر السابق: جـ٦ ص ص ١١٥-١١٦، ١٨٨ وأنظر أيضاً.
- حسن الباشا : المرجع السبق : ص ص ٣٩٠ - ٣٩٢.

١٣٥- الأجل هو أفعل التفضيل من الجليل «العظيم»، وهو لقب شاع استعماله فى العالم الإسلامى كله، إلا أنه لم يكن يطلق فى عصوره الأولى إلا على أصحاب لنفوذ من رجال الدولة الذين كانوا يتمتعون بسلطان واسع فى الحكم المدنى مثل الأمير سيف لدولة الحمدانى صاحب حلب والأمير بدر بن حسنويه صاحب كرديسان، وكان يلحق أيضاً بالقاب الوزراء الذين فوضت إليهم سلطات الأشراف على سياسة الدولة وتدبير أمورها مثلما حدث مع الوزير يعقوب بن كلس على عهد العزيز الفاطمى الذى لقبه «بالوزير الأجل» وحتم مخاطبنه بهذا اللقب، فلما تعطلت الوزراة بعد موت ابن كلس اختفى هذا اللقب ولم يعد إلا بظهورها من جديد سنة (٤١٨هـ) حين أسندها الظاهر إلى وزيره الجرجرائى فلقبه «بالوزير الأجل» ثم أصبح هذا اللقب بعد منحه لبدر االجمالى فى عهد المتنصر لقب عاما لكل من جاء بعده من أمراء لجيوش حتى نهاية العصر الفاطمى، وحين انتهى لقب الأجل، إلى الدولة الأيوبية كان قد عم استعماله فى طبقات مختلفة شملت من السلاطين إلى التجار حتى أنه اصبح يتفرع على ألقاب كثيرة لكل هؤلاء، أما فى عصر المماليك فقد تعرض هذا اللقب لكثير من التصنيف والتبويب كما حدث للكثير من الألقاب المستعملة فى هذا العصر، واستمر يطلق على السلاطين منذ البداية كما حدث بالنسبة لبيبرس والأشرف خليل وحتى النهاية كما حدث بلنسبة لبرسباى وقايتباى، إلا أنه لم يطلق فقط

على السلاطين وإنما أطلق على أمراء الجند كما حدث بالنسبة للأمير شمس الدين سنقر السعدى فى نص إنشاء بضريحه (١٧٥ هـ)، والأمير يشبك فى نقش بحوش بردق تاريخه (٨٨٠هـ)، ورغم أن هذا اللقب كان قد استخدم لكثير من الطبقات الدنيا إلا أنه ظل يطلق على السلاطين مما يشير إلى احتفاظه بمدلوله القديم.

– راجع : ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة : ص ٢١، ٣٥،

– المقريزى : الخطط : جـ٢ ص ٦،

– القلقشندى : المصدر السابق: جـ١٠ ص ١٤٥، ١٦٠ وانظر أيضاً،

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ١٢٦ – ١٣٤.

١٣٦– المولى لغة هو لقب يطلق على السيد وعلى المملوك وعلى العتيق وعلى المنتسب إلى قبيلة، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحيانا وبمعنى الإنماء أحيانا أخرى، وكان فى كلتا الحالتين مشتقا من المعنى الأصلى للكلمة على سبيل الكتابة، أما فى عصر المماليك فقد صار لقب المولوى فضلا عن استعماله للسلاطين يرد ضمن ألقاب رجال الدولة من الأمراء والمدنيين، ولو أنه لم يكن يخاطب به أحد منهم عن السلطان، وقد اصطلح كتاب هذا العصر على وضع لقب «المولوى» فى سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة كالأمير والقاضى فقيل «المقر الشريف العلى المولوى الأمير» وكان هذا اللقب أيضا يدخل فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «مولولى العرب والعجم» و «مولولى ملوك الترك والعرب والعجم» ونحوها.

– راجع القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ص ٣١، ١١١ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٥١٦ – ٥١٩.

١٣٧– المالك خلاف المملوك وهو من الألقاب الملكية فى العصر الإسلامى وقد شاع استعماله فى عصر المماليك فورد مثلا ضمن ألقاب الأشراف شعبان والأشراف قايتبى وقانصوة الغورى وغيرهم، كما استعمل مضافا إلى ياء النسب «المالكى» فى نفس العصر المشار إليه وورد ضمن ألقاب أكابر العسكريين لأنه لم يكن يكتب بهذه الصيغة عن السلطان لأحد، مثال ذلك ما ورد فى ألقاب الأمير سيف الدين صرغتمش رأس نوبة الملك الناصر فى نص

على ممشكاة صنعت لمدرسته سنة (٧٥٦هـ)، كما أضيفت إليه بعض كلمات لتكوين لقب مركب منه «مالك البحرين» و «مالك بلاد الله».

– راجع القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ٢٥ وانظر أيضا،

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٤٤ – ٤٤٦.

١٣٨– الكبير لغة خلاف الصغير ويقصد به رفيع الرتبة والقدر، وغلبا ما سبق هذا اللقب بلقب الأمير حتى اعتبر بعض الكتاب اللقبين وحدة لقبية فخرية واحدة، وقد استعمل لقب «الكبير» مضافا إلى ياء النسب فقيل «الكبيرى» وكان حكمها حكم اللقب المجرد، وقد وضعه كتاب هذ لعصر بعد لقب التمييز الدال على الوظيفة فقيل «المقر العالى الأمير الكبير» أو «الجناب العالى القاضوى الكبير» أو «المجلس العالى الشيخى الكبير»، كذلك فقد استعملت الصفة المؤنثة من هذا اللقب «الكبيرة» ضمن ألقاب النساء كما حدث مثلاً لأم الرشيد بن المعتمد على الله فى نص إنشاء تاريخه سنة ٤٧٨هـ بأشبيلية،

– راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ١١٧،

Sauvaget,Combe et Wiet, Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, vii No2750,

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٣٦ – ٤٣٧.

١٣٩– نحتت كلمة استفهلار من مقطعين أحدهما فارسى هو «أسفه» ومعناه المقدم والآخر تركى هو «سلار» ومعناه العسكر، وبذلك تكون الكلمة دالة على «مقدم العسكر» أو قائد الجيش وهذا اللقب هو أحد الألقاب التى استعملت فى عصر الدولة الفارسية ثم انتقل إلى عصر لدولة العبسية فى بغداد بعد كثرة الاعتماد على العنصر الفارسى، ثم انتقل إلى الدولة الفاطمية وكان يلى فى الرتبة «صاحب الباب» ثم انتقل عن طريق الدولتين الفاطمية والنورية إلى العصر لأيوبى فكان قراقوش يلقب به، أما فى عصر المماليك فقد ورد أن هذا اللقب كان يختص بأمراء الطلبخانة، ثم ترك استعمله لهم فى أوائل القرن (٩هـ/ ١٥م) حين صار لقبا عاما للعسكرين، واستعمل اللقب مضافا إلى ياء النسبة «سفهلارى» كغيره

من الألقاب التى استعملت فى هذ العصر، وربما كان أقدم مثال له م ورد على مبخرة من النحاس من مصر ترجع إلى سنة (٦٧٥هـ) باسم الأميرى بيسرى الظاهرى محفوظة فى التحف البريطانية بلندن.

- راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٣ ص ٤٨٣،

- وانظر أيضاً :،Saubaget, Combe et Wiet: OP. cit. x1 No4725

- حسن الباشا : المرجع لسابق : ص ١٥٧.

١٤٠- العضد لغة اسم للساعد الذى يقوم بالمساعدة مقام العضد الحقيقى للإنسان، ومنه قوله تعالى لموسى عليه لسلام «سنشد عضدك بأخيك» وقد استعمل اللقب مضافا إليه ياء النسبة فقيل «العضدى» كما استعمل مضافا إليه كلمات أخرى لتوين لقب مركب فقيل «عضد الدولة»، «عضد أمير المؤمنين» ونحوهما.

- أنظر : حسن باشا : المرجع السابق : ص ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

١٤١- كان النصيرى فى عصر المماليك لقبا من ألقاب العسكريين من درجة المجلس الساهى، وكانت تضاف إليه أحياناً بعض الألفاظ الأخرى لتكوين ألقاب مركبة مثل «نصر لدين»، «نصير الحق بالبراهين» ونحوهما.

- أنظر : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٣٣٤.

١٤٢- سورة الرحمن : آية ٢٧.

١٤٣- سورة الفتح : آية ١ - ٢.

١٤٤- سورة الأعراف : آية ٤٣.

١٤٥- المقر لغة هو موضع لاستقرار ، وقد استخدم فى المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيما له عن التفوه باسمه، وقد كان فى عصر المماليك أحد الألقاب الأصول ويلى فى المرتبة لقب «المقام»، ومع أنه كان ضمن ألقاب المنصور قلاوون فى عهد السلطنة الذى

صيغ له سنة (٦٧٨هـ) بمعرفة القاضى محى الدين عبد الظاهر إلا أنه لم يحتفظ طويلا بمكانته السلطانية بل أطلق على كبار الأمراء من العسكريين طوال القرن الثامن وحتى منصف القرن التاسع مثلما حدث بالنسبة للأمير سيف الدين قوصون ولأمير إينال العلائى وغيرهما، ليس هذا فقط بل إنه فى ربيع الأول سنة (٨٦٠هـ) أطلق على أحد رجال الدولة من المدنيين كم حدث بالنسبة للقاضى جمال الدين يوسف الذى لقب «بالمقر الأشراف» ولو أن استخدامه لأكابر الأمراء من العسكريين ظل قاءماً حتى عصر المماليك.

- راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ١١٦ – ١١٧

Van Berchem (M.), Corpus Inscriptiunm,Tome,I,Nos. a121,272,278.

- وانظر أيضا:

- حسن لباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٨٩ – ٤٩٤،

- محمد أمين: المرجع السابق: ص ٣٥٦.

١٤٦– الأشراف هو أفعل التفضيل من «شريف» وهو لقب من الألقاب التوابع التى كانت تتفرغ على الألقاب الأصول مثل المقام والمقر اللذان كانا يستعملان للسلاطين والملوك، ولقب الأشراف هو أعلى الألقاب التوابع رتبة، ودونه «الشريف» ثم «الكريم» ثم «العالى» ثم «السامى»، واستعمل هذا اللقب لكثير من الملوك منهم موسى بن العادل، محمد بن صلاح الدين وخليل بن قلاوون وغيرهم، ويشير إقبال السلاطين والملوك فى عصر المماليك على التقلب به إلى أنه كان لقبا رفيع القدر،

- راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ٩٨،

: ابو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين: جـ١ ص صبض ٢٧٦ – ٢٧٧،

: ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور: جـ١ ص ١١٩ وانظر ايضاً،

: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص: ٦٢٠ – ١٦١.

١٤٧ – الصلح صفة من صفات أهل الصلاح من رجال العلم والدين وغيرهم، ولعل إطلاقه

على ذى النون ابراهيم بن المصرى فى نص جنائزى تاريخه سنة (٢٥هـ) من الفسطاط هوخير شاهد على ذلك وقد عرف هذا اللقب كنعت خاص لبعض الملوك والأمراء، وكان أول من تلقب به هو الملك الصالح طلائع بن رزيك فى عصر الفائز، كما تلقب به الصالح إسماعيل بن نور الدين، ثم الصالح أيوب ثم المنصور حاجى بن الأشرف شعبان وغيرهم، وقد أضيف اللقب إلى ياء النسبة فقيل «الصالحى»

- راجع: Sauvaget, Combe et Wiet:: Op.cit: Tom. II,No440.

- المقريزى: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٥٧، جـ٢ ص ٢٩ وانظر أيضا:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٧٧.

١٤٨ - الأمير لغة هو صاحب الأمر والتسلط وهو لقب من ألقاب الوظائف ويرجع استخدامه إلى عصر الرسول (ص) حين كان يقصد به الولاية على الحكم أو رئاسة الجيش أو نحو ذلك، وتشير أقدم النصوص المعروفة إلى أنه أطلق على عبد العزيز بن مروان فى نقش تاريخه سنة (٦٩هـ) على إحدى القناطر بالفسطاط ورد فيه «عبد العزيز بن مروان الأمير» كما استعمل هذا اللقب أيضا بمعنى لوالى خلال حكم الدولة الفاطمية فأطلق على أنوشتكين الدزبرى حين كان وليا على الشام، وقد عم إطلاق هذا القب على عهد الدولة المشار إليها على أبناء الخلفاء مثلما حدث بالنسبة لحسن بن الحافظ وأبى الفتوح بن العاضد، كما أطلق أيضا على بعض رجال الدولة المقربين مثلما حدث بالنسبة للأمير المختار المسبحى والأمير أبى الحسين عمار بن محمد، كذلك فقد أطلق هذا اللقب على أفراد الأسرة الأيوبية كما حدث بالنسبة للأمير شمس الدولة توران شاه أخو السلطان صلاح الدين، وقد أشاع استخدام هذا اللقب مضافا إلى ياء النسبة فى عصر المماليك البحرية كما حدث بالنسبة للنائب الكافل من العسكريين ولنقيب الأشراف من المدنيين، أما فى عصر المماليك البرجية فقد عمم القلقشندى استعماله للعسكرين فقط.

- راجع: Sauvaget,Combe et Wiet : Op.cit. Tome. I,No8.

- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق : ص ٧١،

- المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٧ ،

- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان: جـ١ ص ٦٥٣ ،

- ابن الصيرفى: المصدر السابق ص ٣٣ ،

- ابن العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف: ص ٦٦ ،

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ١١ ص ص ١٦٢ - ١٦٣ وانظر أيضا،

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ١٧٩ - ٢١٤ .

١٤٩ - المخدوم لقب من الألقاب الدالة على أن الملقب به كان فى درجة تؤهله لأن يكون مخدوما لعلو رتبته وسمو محله، ونظر لإشارته إلى أن الكاتب له هو خادم للمكاتب إليه فإنه لم يستخدم فى المكاتبات التى كانت تصدر عن السلطان واختص من ثم بالمكاتبات التى كانت تصدر عن الأمراء، ومن هنا كان هذا اللقب غالب الظهور فى مكاتبات الأمراء، واستخدم فى هذه الحالة مضافا إليه ياء النسبة فقيل «المخدومى».

- راجع : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٦٤ ،

- محمد أمين : المرجع السبق : ص ٣٥٦.

١٥٠- الملك لغة هو الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية فى الدولة، وهو لقب عرفته اللغات السامية وورد ذكره فى النقوش العربية القديمة ولا سيما نقش صرواح الذى تركه «ركرب آل وتر» ملك سبأ، أما فى العصر الإسلامى فإن لقب الملك لم يعرف صدر الإسلام ولا حتى فى عهد الدولة الأموية حيث اقتصر تلقيب الولى الأعلى حينذاك بالخليفة أحياناً وبأمير المؤمنين أحياناً أخرى، بينما تلقب الولاة الفرعيين لالعمال والأمراء، ولكن عندما أخذ بعض الولاة يستقلون عن مركز الخلافة فى العصر العباسى، وعندما استبد بعضهم بالسلطة السياسية دون الخليفة ظهر لقب الملك الذى حمل فى طياته معنى السيادة العليا، يدل على ذلك أنه أطلق على أمراء بنى سامان وبنى بوية والسلاجفة، وتلقب به فى العصر الفاطمى رضوان

بن ولخشى عندما وزر للحافظ سنة (٥٣٠هـ) وقيل له «السيد الأجل الملك الأفضل» واحتفظت الدولة الأيوبية عندما جاءت بنفس اللقب كما حدث بالنسبة لصلاح الدين أول الأمر، ثم أطلق هذا اللقب بعد ذلك على ولاة هذه الدولة من الأمراء وانفرد رب الأسرة الأكبر بلقب السلطان مثلما حدث بالنسبة للسلاجقة، أما فى عصر المماليك فقد استمر إطلاق هذا اللقب بمدلولاته المختلفة التى عرفت عنه فى الأيوبيين فصار يطلق إلى جانب لقب «السلطان» كنعت خاص لرئيس الدولة مثلما حدث بالنسبة لأيبك وقطز وبيبرس وغيرهم وقد استعمل اللقب ولا سيما بالنسبة للأمراء مضافا إلى ياء النسب فقيل «الملكى».

١٥١- المنصور لغة هو لقب يشير إلى أن صاحبه مؤيد من الله سبحانه وتعالى لأن النصر هو من عند الله وقد وردت فى ذلك آيات كثيرة منها «ولينصرن الله من ينصره»، و«لقد نصركم الله وأنتم أذلة»، «وإن تنصروا الله» وقد استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك كإحدى لصفات الجارية مجرى التفؤل فقيل « لجيوش المنصورة» و «العسكر المنصورة» و «القلع المنصورة» و«البريد المنصور» ونحو ذلك تيما بأشرف متعلقات هذه الأشياء وهو النصر على الأعداء، وكان أول من تلقب بهذا اللقب هو الخليفة أبى جعفر (المنصور) ثانى خلفاء بنى لعباس، ثم نعت ذلك كثيرون مثلما حدث بالنسبة لعضد الدولة أبى شجاع فناخسرو والخليفة عبد الله بن هشام وغيرهما، واستمر استعمال هذا للقب فى عصر المماليك، كما استعمل مضافاً إلى ياء لنسب ولا سيما بالنسبة للأمراء فقيل المنصورى.

- راجع القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ص ١٨٣ - ١٨٤،

Sauvget, Combe et Wiet,Op. cit. Tome, V, No.20991

- وانظر أيضا:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٥١٢ - ٥١٣.

١٥٢ - سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

١٥٣ – آل عمران: آية ١٨٥ .

١٥٤– أطلق لقب «العبد الفقير» أصلا كنوع من التواضع والتذلل لله تعالى واستوى فى ذلك السلاطين والأمراء وكان بهذا المدلول غالب الورود فى النصوص الجنائزية، إذا لم يعثر على أنه كان قد ورد بهذه الصفة ضمن ألقاب سلطان أو أمير قائم، ومن ذلك وروده فى نقش على مشكاة زجاجية كانت قد عملت برسم تربة نائب السلطنة الأمير سيف الدين سلار، ومع ذلك فقد ورد هذا اللقب أيضاً بصيغة «الفقير إلى رحمة ربه» كترجمة عن صلاح الدين عندما بعث إلى صاحب المغرب، أما فى عصر المماليك فإنه لم يستعمل – كما قلنا – ضمن ألقاب سلطان أو أمير قائم.

- راجع: Van Berchem (M.); OP. cit, I, Nos. 465,336,

– أبو شامة: المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٧١ – ١٧٤ وأنظر أيضاً:

– محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٧.

١٥٥ – ورد لقب «علاء الدين» فى عصر المماليك ضمن القاب العسكرين سواء كانوا من الترك أو من المولدين، وكان يختص فى حالة الجماعة الأولى ببعض الأسماء ولا سيما طبيغا والطبغا وقرابغا كما ورد بالنسبة للأمير طبيغا الطويل فى نقوش ضريحه، بينما اختص فى حالة الجماعة الثانية بالإسم «على» كما ورد بالنسبة للأمير أيدكين البندقدار.

–راجع : Van Berchem (M.), OP, cit, Tome, I, P.175

– القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٨٨.

١٥٦ – مجموعة ١٨ عن سنة ١٩٠١ ص ١١١.

١٥٧ – المجاهد لغة هو اسم الفاعل من الجهاد الذى ورد ذكره كثيرا فى القرآن الكريم ومنه قوله تعالى «فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما»، وقد أطلق هذا اللقب على

سلاطين المماليك كما حدث بالنسبة للناصر محمد بن قلاوون كما أطلق على صغار الأمراء ممن كانوا يخاطبون «بالمجلس السامى» من غير ياء النسب، أما فى حالة استخدامه مضافا إلى ياء النسبة فإنه كان يعنى أكابر العسكريين كنواب السلطنة ونحوهم، واللقب فى أى من هذه الحالات هو اختصار «للمجاهد فى سبيل الله» أو «المجاهد فى الله» وما إلى ذلك،

- راجع: سورة النساء: الآيتان : ٩٥ - ٩٦،

- القلقشندى : المصدر السابق: جـ٦ ص ٢٦ وأنظر أيضا،

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٥١.

١٥٨ - محمود أحمد : دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة : ص ص ٥ - ٦.

١٥٩ - مجموعة ١٨ عن سنة (١٩٠١) ت. ق. هـ. رقم (٢٩٢) محضر جلسة رقم ١٠٩.

١٦٠ - مجموعة ٢٦ سنة (١٩٠٩) ص ٥٠.

١٦١ - المقريزى : الخطط : جـ٢ ص ٤٢٠.

١٦٢ - على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.

١٦٣ - عبد الرحمن زكى : القاهرة (تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ: ص ١٣.

١٦٤ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٨ ص ٢٧٧، جـ٩ ص ٣٢٥.

١٦٥ - الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٨.

١٦٦ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٧.

١٦٧ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٨،

- القلقشندى : المصدر السابق : جـ٣ ص ٤٣٢، جـ ١٣ ص ١٨١.

١٦٨ – السخاوى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ص ٨ – ١٠.

– المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٤٢،

– الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٧٤.

١٦٩ – عبد الجليل المهدى : المرجع السابق : جـ٢ ص ٢١.

١٧٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤، ١٥٥، ١٥٦.

١٧١– Van Berchem (M.) Op. cit Tome: xix Fasc. III PP. 518-519, Text.344.

١٧٢ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٧٩ – ١٨٢، ٢٧٧ – ٢٧٨،

– محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ح١.

١٧٣ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق : جـ٨ ص ص : ٢٢٠ – ٢٢٢.

١٧٤ – ابن دقماق : المصدر السابق : ق١ ص ٧١.

١٧٥ – الجبرتى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٨.

١٧٦ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٥، ١٥٧ – ١٥٨.

١٧٧ – محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر: ص ٣٨.

١٧٨ – حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية: جـ٢ ص ١٢٥ وانظر أيضا:

– ترجمة أخرى مطولة للأمير سلار فى،

– سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ٣ ص ص ١٤٠ – ١٤٢.

١٧٩ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ٢ ص ١٢٥.

١٨٠ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٦.

١٨١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٧٠ – ١٧٢ .

١٨٢ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٧ .

١٨٣ – ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ٨ ص ص ١٩٧ – ١٩٨ .

١٨٤ – الحنبلى المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٣٨، ٢٧١ – ٢٧٢ ،

– ولمعلومات أخرى أكثر تفصيلا عن صاحب هذه الترجمة ينظر:

– الأسنوى : طبقات الشافعية الكبرى : جـ ١٠ ص ١ ،

– المقريزى : السلوك : جـ٢ ق ٣ ص ١٧٤ ،

– السيوطى : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٩٥ ،

– ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : جـ٦ ص ١٤٤ ،

– المقريزى : خطط : جـ٢ ص ٣٩٨ .

١٨٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤ – ٧٥ ص ص ١٥٦ – ١٥٧ .

١٨٦ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ص ١٢٤ – ١٣٠ ،

– عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٢٣٠ ،

– وزارة الأوقاف : مساجد مصر : جـ١ ص ص ٤٩ – ٥٢ ،

– سنية قراعة : مساجد ودول : ص ١٨٧ ،

– عبد المهدى : المرجع السابق : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢١ .

- سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ٣ ص ص ١٤٣ - ١٤٤ .

١٨٧ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ص ٢٤٠ - ٢٤١ ترجمة رقم ٦١٤ .

١٨٨ - نفس المصدر : جـ١ ص ٥٣٢ ترجمة رقم ١٤٣٥ .

١٨٩ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤.

١٩٠ نفس المصدر : جـ١ ص ٣٨٠.

١٩١ - نفس المصدر : جـ٥ ص ١٦٩ - ١٧١ ترجمة رقم ٥٨٩ .

١٩٢ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤ .

١٩٣ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤.

١٩٤ - نفس المصدر : جـ٥ ص ٧٦ ترجمة رقم - ٢٨١ .

١٩٥ - المقريزى : خطط : جـ٢ ص ٤٢١،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٥،

- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤١ .

١٩٦ - كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٥،

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٤٥ .

١٩٧ - سورة التوبة : آية : ١٨ .

١٩٨ - Van Berch em (M.) Op. cit. Tome, II, P. P. 156-7, Text, 105,

- على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٥٥،

– محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١٠٩،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق جـ١ ص ١٢٧،

– دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٥١،

– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ت : ١٣٠ ص ص ٤١ – ٤٣.

١٩٩ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ص ١١٣ – ١١٤.

٢٠٠ – سورة الرحمن : الآيتان : ٢٦ – ٢٧.

٢٠١ – كان سيف الدين هو أشهر الألقاب التى أضيفت إلى «الدين» وقد نعت به كثير من رجال الدولة كما حدث بالنسبة لغازى بن عماد الدين زنكى صاحب الموصل والعادل أبى بكر بن أيوب الذى ورد اسمه مقرونا بهذا اللقب فى نقش تاريخه سنة (٦١٥هـ) على تحفة من النحاس فى متحف بناكى فى أثينا، وقد ذكر القلقشندى لمناسبته لحالهم من حيث رغبتهم فى الانتساب إلى القوة والشدة، وقد ورد ذلك فى عصر المماليك البحرية مع كثير من أسماء العسكريين الأتراك ولا سيما يلبغا ومنكلى بغا وتغرى بردى وتغرى برمش وغيرهم، كما ورد مع كثير من أسماء العسكريين المولدين ولا سيما من تسمى منهم بأبى بكر واقتصر هذا اللقب فى عصر المماليك البرجية على رجال الطوائف العسكرية، يدل على ذلك أن عشرة من سلاطين هذه الدولة السبعة عشر (وجميعهم كانوا من العسكريين) كانوا يلقبون بسيف الدين

– راجع : أبو شامه : المصدر السابق : جـ١ ص ٦٥،

Sauvaget, Combe et Wiet. Op. cit, Tome, x, No 3815,

– القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٤٨٨ وأنظر أيضا:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٣٤٣ – ٣٤٥.

٢٠٢ – المعظم لقب من ألقاب السلاطين والملوك وقد أطلق على السلطان ألب أرسلان فى نقش تاريخه سنة (٤٥٩هـ) على صينية فضية من إيران واستعمله ديوان الإنشاء فى عصر المماليك كلقب لمن كاتبهم سلاطين هذا العصر من ملوك الدول غير الإسلامية، أما صيغة المؤنث منه «المعظمة» فكانت لقبا من ألقاب نائب السلطنة المملوكية الذى قيل عنه نائب السلطنة «المعظمة الملكى الناصرى»

– راجع : Sauvaget, Combe et Wiet. Op. cit, Tome, VII, No 2661

– القلقشندى : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر : ص ٣٦٠ وانظر أيضاً:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٨٧ – ٤٨٨.

٢٠٣ – الناصر لغة هو اسم الفاعل من «نصر» وكان يقصد به «الناصر لدين الله» واتخذه بعض الولاة بهذه الصفة نعتا خاصا تيمنا بالانتصار للحق الذى جاء به دين الله الإسلام، وقد ورد هذا اللقب ضمن الألقاب التى أضفاها الخليفة العاضد على الناصر صلاح الدين حين عهد إليه بالوزارة، كما ورد ضمن ألقاب بعض سلاطين المماليك ولا سما الناصر محمد بن قلاوون، وقد دخل لفظ «الناصر» فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «ناصر الاسلام» و«ناصر الإمام» و«ناصر أمير المؤمنين» ونحو ذلك، كما استعمل اللقب مضافا إلى ياء النسب ولا سيما بالنسبة للأمراء فقيل الناصرى.

– راجع : القلقشندى : صبح الأعشى : جـ٥ ص ٤٨٨،

– وانظر أيضا : Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, I, P-317

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٢٥.

٢٠٤ – Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, II, P-157, text, 106,

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤، ١٥٥،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨،

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٤٨.

٢٠٥ - سورة الحج : آية ٤١.

٢٠٦ - سورة الأعراف : آية ٥٤.

٢٠٧ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨.

٢٠٨ - سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٢٠٩ - سورة آل عمران : الآيات : ١٩٠ - ١٩٥ وانظر أيضا:

- على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٥٦.

٢١٠ - سورة القصص : آية ٧٧.

٢١١ - سورة الرحمن : آية ٢٧.

٢١٢ - الأصل فى الأستاذ أنه لقب من الألقاب العامة التى استعملت منذ العصر العباسى حيث كان يطلق على الخصيان من الغلمان الذين سموا فى عصر المماليك بالطواشية، واستمر استخدام هذا اللقب خلال عصر الدولة الفاطمية وكان أبرز من تلقب به هو «الاستاذ برجوان» الذى كان وصيا على الحاكم، أما فى عصر المماليك فقد استعمل هذا اللقب للإشارة إلى رب النعمة من الجلاب أو المربين أو المحررين، كما استعمل أضا للإشارة إلى معلم الصنعة، وقد ورد بهذه الصفة فى نقش تاريخه سنة (٧٩٨هـ) على كرسى من النحاس المكفت كان فى بيمارستان المنصور قلاوون من صناعة «الأستاذ محمد بن سنقر الأستاذين» وقد لقب به «غبن» قائد القواد فى العصر الفاطمى، ومنه «أستاذ الدار» وهو لقب من أسندت إليه أمور البيوت السلطانية كلها من المصالح والنفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك وهو من أمراء المئين.

- راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٤٨٩،

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ٩ ص ٢٥٠،

- ابن خلكان : المصدر السابق : جـ١ ص ص ١١، ١١٠،

- ابن الصيرفى : المصدر السابق : ص ١٣٥،

- المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٩٧،

- السيوطى: حسن المحاضرة فى ملوك مصر والقاهرة : جـ٢ ص ص ١٣٠ - ١٣٢،

- وانظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية: ص ٤٦٣،

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ١٣٩ - ١٤٠.

٢١٣ - Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, II, P-157, text, 107,

- على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤، د ١١٥،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨.

٢١٤ - سورة الدخان : الآيات : ٥١ - ٥٨.

٢١٥ - سورة البقرة : الآيات : ٢٨٤ - ٢٨٦.

٢١٦ - كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠.

٢١٧ - وزارة الأوقاف : المرجع السابق جـ١ ص ص ٤٩ - ٥٢،

- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٢.

٢١٨ - سورة الحج : آية ٧٧.

٢١٩ - سورة آل عمران : آية ١٥٨.

٢٢٠ - دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٢٣٥، ٢٣٩.

٢٢١ – سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٤٨ ،

– دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٥٥ – ٥٦.

٢٢٢ – سورة النور : الآيات : ٣٦ – ٣٨.

٢٢٣ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٣ ،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٥١.

٢٢٤ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٧ ،

– محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٠ ،

– وزارة الأوقاف : المرجع السابق : جـ١ ص ٥٠ ،

– دللى : العمارة العربية : ص ١٦٤.

٢٢٥ – عبد العزيز سالم : المآذن المصرية ص ٢٦ ،

– كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠.

٢٢٦ – عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ٢٦ ،

– مارتن برجز : تراث الإسلام (مقال عن الهندسة المعمارية) ص ص ٢٢٧ – ٢٥٨.

٢٢٧ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٧.

٢٢٨ – سورة الأنبياء : الآيات : ١٠١ – ١٠٣.

٢٢٩ – سورة آل عمران : الآيتان : ١٣٥ – ١٣٦ وانظر أيضا:

– دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٥٩ ،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٥٠.

٢٣٠ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ،

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧، ١٥٦ ،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨ ،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق : جـ١ ص ٤٩ .

٢٣١ – محمود احمد : المرجع السابق : ص ص ٥ – ٦.

٢٣٢ – كمال سامح : المرجع السابق : ص ١٠٦ ،

– إرنست كونل : الفن الإسلامى : ص ١٧١ .

٢٣٣ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ص ١٢٦ – ١٢٧ .

٢٣٤ – سورة آل عمران : آية : ١٨٥ .

٢٣٥ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٩ .

٢٣٦ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٢ .

٢٣٧ – سورة الشعراء : الآيات : ٦١ – ٧٠.

٢٣٨ – سورة الأحزاب : آة ٥٦ .

٢٣٩ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٠ ،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٠ ،

– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤١ .

٢٤٠ – لجنة جفظ الآثار العربية : نفس المجموعة: ص ٤٣ .

٢٤١ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٠ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٧ بند اولا .

٢٤٢ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١١ عن سنة (١٨٩٤م) ص ٧٥.

٢٤٣ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٢ عن سنة (١٨٩٥م) ص ص ٢٤ – ٢٥.

٢٤٤ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٤ عن سنة (١٨٩٧م) ص ٢٣.

٢٤٥ – Van Berchem (M.): op.cit. tome XIX, Fasc,iv,p.653 Tex.465

٢٤٦– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة٨ عن سنة (١٨٩١م) ص ٤٥.

٢٤٧– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة١١ عن سنة (١٨٩٤م) ص١١٧.

٢٤٨– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة١٢ عن سنة (١٨٩٥م) ص٧٧.

٢٤٩ – لجنة حفظ الآثار العربية: مجموعة ١٤ عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٦٠.

٢٥٠ – لجنة حفظ الآثار العربية: مجموعة ١٦ عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ٢٨ – ٢٩.

٢٥١ – لجنة حفظ الآثار العربية: مجموعة ٤١عن سنة (١٩٥٤– ١٩٦١م) ص ٧٢.

٢٥٢ – المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٤١٥ وانظر ايضا:

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣١.

٢٥٣ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٥.

٢٥٤ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٣.

٢٥٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٨.

٢٥٦ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٥ – ٤١٦.

٢٥٧ – نفس المصدو : جـ٢ ص ٤١٦ وراجع أيضا :

– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢٠.

٢٥٨ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٥ ، ٢٦٥.

٢٥٩ – على باشا مبارك : الصدر السابق : جـ٢ ص ٦٨، جـ٦ ص ٥٠.

٢٦٠ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٤٣.

٢٦١ – راجع فى ذلك : حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٢،

- عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى : جـ١ ص ١٠٨ ،

- فتحى الحديدى : المرجع السابق : ص ١٢٦ ،

- صالح لمعى : المرجع السابق : ص ٢٥.

٢٦٢ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٦ ترجمة رقم ٧٢٦.

٢٦٣ - عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ١٦٨.

٢٦٤ - لهذه الخانقاة وثيقتان تكمل إحداهما الأخرى بدار الوثائق القومية بالقلعة، أولاهما برقم (٤/٢٢) تاريخها ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ) والأخرى برقم (٤/٢٣) وبنفس التاريخ وهى حجة ممزقة طولها (١٩) مترا، فاقد جزء من أولها وأطرافها وتشتمل على وصف للخانقاة والرباط والقبة، مع ذكر أوقافها التى نصت الوثيقة على أنها كانت وقفا شرعيا على الصوفة والمتصوفة الشيوخ والكهول والشبان العرب منهم والعجم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم الملتزمين بآدابهم وطرائقهم المقيم منهم بهذا المكان المذكور، وإلى أن يكون هذا المكان خانقاة للصوفية المشار إليهم ومسكناً لمن يختار سكنا به، ثم أوردت الوثيقة أوجه الصرف بالخانقاة ولاسيما شروط الأكل ورواتب وجرايات الصوفية وخادمهم ومشرف المطبخ والطباخ والكحال والمغسل والمبلغ وإمام الرباط وشيخه وفراشه وعامل الوقود بالحمام والبواب والرشاش والوازن، وغيرهم مما سيرد ذكره عند الحديث عن وظائف الخانقاة، أنظر عن هذه الوثيقة أيضاً :

- ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ص ١٩ - ٢٠ حاشية ٩ ،

- محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص ص: ٨ - ٩ مسلسل (٢٥ - ٢٦ - ٢٧).

٢٦٥ - ابن الجيعان : المصدر السابق : ص ٦٢.

٢٦٦ - نفس المصدر : ص ١٤٥.

٢٦٧ - المقريزى : خطط : جـ٢ ص ٤٩٦ ،

– ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ١ ص ٥٠٧.

٢٦٨ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٦٨، ١٤٢ – ١٤٤٣.

٢٦٩ – كلمة جاشنكير كانت تعنى الأمين على تذوق لأطعمة قبل تقديمها إلى السلطان للتحقق من سلامتها.

أنظر: حسن عبد االوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٦ ولنفس المؤلف:

– مجلة العمارة سنة ١٩٤٢ عدد (٢٢١) ص٥٩.

٢٧٠ – كانت وظيفة الأستادار تعنى الإشراف على الشئون المالية لخاصة بالسلطان أو الملك، فكان الأستادار فى الدولة المملوكية من ثم هو ناظر الخاصة أو وكيل الخراج والمؤونة، وهى بصفة عامة وظيفة من وظائف أرباب السيوف، وموضعها التحدث فى أمر البيوت السلطانية، ولصاحبها حديث مطلق وتصرف تام فى استدعاء كل ما يحتاجه كل من فى بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى للمماليك وغيرهم.

راجع:

– القلقشندى: المصدر السابق: جـ٤ ص ٢٠،

– حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية: جـ١ ص ١٣١،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢ حاشية ١.

٢٧١ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٥٠٢، جـ٢ص ٠،

سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢.

٢٧٢ – ابن إياس: المصدر السابق: جـ١ ص ١٥٠،

– الجبرتى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٨،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٩١-٩٢، جـ٤ ص ص ٦٨ - ٦٩، ١٤٣ - ١٤٤

- محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق: ص ٤٤،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢.

٢٧٣ - ابن إياس: المصدر السابق: جـ١ ١٥٠

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣١.

٢٧٤ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٥٠٢ - ٥٠٧ ترجمة رقم ١٣٧٣،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ٩٢،

- زامبور: المرجع السابق: جـ١ ص٥٣.

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ١ ص ٥٣.

٢٧٥ - المقريزى: خطط: جـ٢ ص ٤١٦،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ٩١،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣١.

٢٧٦ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص ٤١٦ - ٤١٧،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ص ١٣١ - ١٣٢ ولنفس المؤلف:

- مجلة العمارة: سنة (١٩٢م) عدد (٢٢١) ص ٥٩.

٢٧٧ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.

٢٧٨ - نفس المصدر: ج٢ ص ص ٤١٦ - ١٧،

- ابن تغرى بردى: النجوم الزهرة: جـ٨ ص ٢٤٣،
- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٩١ - ٩٢،
- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٣.

٢٧٩ - ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ٨ ص ص ٢٣٢ - ٢٣٣،

- ابن إياس: المصدر السابق: ج١ ص ص ١٤٩، ١٥٤،
- ابن ظهيرة: المصدر السابق: جـ١ ص ١٨.

٢٨٠ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ص ١٣١ - ١٣٥ ولنفس المؤلف :

- مجلة العمارة: سنة (١٩٤٢م) عدد (٢٢١) ص ٥٩،
- محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق: ص ٤٤،
- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٩٨،
- زامبور : المرجع السابق : ص ١٦٢،
- وزارة الأوقاف : المرجع السابق : جـ١ ص ص ١٧٢ - ١٨٩.

٢٨١- ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ٤٤١ ترجمة رقم ١١٦٨،

- الإسنوى : المصدر السابق : جـ١ ص ص ١٧ - ١٨.

٢٨٢- ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٢٠٩ - ٢١٠ ترجمة رقم ١٩٨٨.

٢٨٣ - نفس المصدر : جـ٢ ٤٤٠ ترجمة رقم ٢٥٨٠.

٢٨٤ – ابن تغرى بردى:المنهل الصافى : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢٠ ترجمة رقم ٢٢٣،

– السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٣٦ – ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤،

– فتحى الحديدى : المرجع السابق : ١٢٦.

٢٨٥ – ابن الصيرفى : إنباء الهصر ص ص ١٩٤ – ١٩٥.

٢٨٦ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٥٣ – ١٥٤ ترجمة رقم ٤٣٥.

٢٨٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٢٣ – ١٢٤ ترجمة رقم ٤٧٤.

٢٨٨ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ١٤٥ – ١٤٩ ترجمة رقم ٣٨٧.

٢٨٩ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٢١ – ١٢٢ ترجمة رقم ٤٧٢.

٢٩٠ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٢٢.

٢٩١ – ابن حجر المصدر السابق : جـ٣ ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٩٢٦.

٢٩٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٢٤ – ٢٥ ترجمة رقم ٦٨.

٢٩٣ – السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ص ٣٣٦ – ٣٣٧.

٢٩٤ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣٧ ترجمة رقم ٨٠٦،

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ١٠٣.

٢٩٥ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٣٧ – ٣٩ ترجمة رقم ١١٧.

٢٩٦ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ٤٧٠ ترجمة رقم ١٢٦٥.

٢٩٧ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٤٧ – ١٤٨ ترجمة رقم ٤١٦.

٢٩٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٠ ترجمة رقم ٩٧٠.

٢٩٩ – نفس المصدر : جـ١ ص ٥٢.

٣٠٠ – نفس المصدر : جـ١ ص ٨٤ – ٨٥.

٣٠١ – نفس المصدر : جـ١ ص ١٤.

٣٠٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٥٢ ترجمة رقم ١٥٨.

٣٠٣ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٨٣ ترجمة رقم ٣١٢.

٣٠٤ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ٥٣ ترجمة رقم ١٥٠.

٣٠٥ – السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٩٤.

٣٠٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٩٢ ترجمة رقم ٢٧٦.

٣٠٧ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٩٩ – ٣٠٠ ترجمة رقم ٩٢٣.

٣٠٨ – نفس المصدر : جـ٦ ص ٢٤٧ ترجمة رقم ٨٥٩.

٣٠٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٦.

٤١٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٦٨، ١٤٢ – ١٤٣.

٣١١ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٧٠ – ٧١، ١٥١ – ١٥٢.

٣١٢ – نفس المصدر: جـ١ ص ١٥١.

٣١٣ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٦٥– ٦٧ ترجمة رقم ٢٠٢.

٣١٤ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ترجمة رقم ٥٣٩.

٣١٥ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٠ ترجمة رقم ٩٧٢.

٣١٦ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١١٧ ترجمة رقم ٤٥٠.

٣١٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ض ٢١٥ – ٢١٦ ترجمة رقم ٨٠٦.

٣١٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٢٠ – ١٢١ ترجمة رقم ٣٦٠.

٣١٩ – فتحى الحديدى : المرجع السابق : ص ١٢٦.

٣٢٠ – السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٣٠.

٣٢١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٧٣ – ٧٤ ترجمة رقم ٢١٩.

٣٢٢ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٢٨ ترجمة رقم ٤٤٥٨.

٣٢٣ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٥٣.

٣٢٤ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

٣٢٥ – نفس المصدر : جـ٦ ص٢ ترجمة رقم ١.

٣٢٦ – أنظر أيضا عن هذا النص :

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٦٧،
- سعد زغلول عبد لحميد – العمارة والفنون فى دولة الإسلام:ص ص٤٧٨– ٤٨٠،
- كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤١،
- حسن باشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية : ص ١٧٦.

٣٢٧ – سورة النور : الآيات : ٣٦ – ٣٧.

٣٢٨ – سورة الحجر : الآيات ٦ – ٨.

٣٢٩ – سورة النور : الآيات : ٣٦ – ٣٨.

٣٣٠ – كان أول استعمال للقب «ركن الدين» خاص برجال الدين، وكان أول من أطلق عليه

هو أبو إسحاق الأسفراييني الذى توفى سنة (٤١٨هـ) ثم أطلق على رشيد الدين عزيزى الزنجانى التاجر فى نقش تاريخه سنة (٥٥٩هـ) على سطل من البرونز المكفت من إيران، أما فى عصر المماليك فقد أطلق على الظاهر بيبرس، وكانت العادة قد جرت حينئذ على ألا يطلق هذا اللقب على السلطان متوفى أو على حاكم غير شرعى، وقد اختص «ركن الدين» زمن القلقشندى فى حالة استعماله لطائفة العسكريين من المولدين بالإسم «عمر».

راجع : Sauvaget, Combe et Wiet: Op. cit. ix, No 3260, Van Berchem (M.): Op. cit. Tome, I, No 74,

- القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٤٨٨ وأنظر أيضا،

- حسن باشا : المرجع السابق : ص ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

٣٣١ - حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٣ وراجع أيضاً

Van Berchem (M.): Op. cit. II, P. 126 text. 108, XIX, Fasc. IV, P. 731. text, 108 bis,

- كراسة لجنة حفظ الآثار العربية رقم (١٢) لوحة ١٠،

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٦٦،

- حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٧٥.

٣٣٢ - سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ١٦٧- ١٦٨،

- كمال سامح: المرجع السابق: ص ١،

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ١ ص ص ٥٣ - ٥٤.

٣٣٣ – سورة الدخان: الآيات: ٥١ – ٥٩.

٣٣٤ – دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣١،

– صالح لمعى: المرجع السابق: ص٣١،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٢.

٣٣٥ – سورة البقرة: الآية: ٢٩ وأنظر أيضاً:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٧١.

٣٣٦ – حسن عبد الوهاب:المرجع السابق: جـ١ ص ١٣.

٣٣٧ – سورة الملك: الآيات: ١–١٣.

٣٣٨ – محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٧،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٣،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ١ ص ٥٤ وأنظر أيضاً:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ١٧١– ١٧٢،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ١٠٨ ـ ١١٠ حيث ورد فيهما وصف يختلف مع الحقيقة تماما.

٣٣٩ – المجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٣٦.

٤٣٠ – المجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٢٧.

٣٤١ – نفس المجموعة: ص ص ٧٢– ٧٤.

٣٤٢ – المجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م)ص ص ١٧، ٩١.

٣٤٣ - نفس المجموعة: ص ص ١١٧، ١٢٦.

٣٤٤ - المجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ١١٧.

٤٣٥ - المجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ٧٨.

٣٤٦ - المجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ١٧.

٣٤٧ - نفس المجموعة: ص ص ٢٨ - ٢٩.

٣٤٨ - المجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م)ص ص ١١ - ١٢، ٣٠، ١١٠- ١١١.

٣٤٩ - المجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ص ١٣٣- ١٣٤.

٣٥٠ - المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ص ٣٩٨، ٤١٧.

٣٥١ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٠١، جـ٦ ص ص ٥١,٤٤.

٣٥٢ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٨١.

٣٥٣ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٢٦.

٣٥٤ - نفس المصدر: جـ١ ص ص ١٥٩- ١٦١.

٣٥٥ - نفس المصدر: جـ٥ ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٧٦٥.

٣٥٦ - سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٣٥٧ - كان المهمندار لقبا من ألقاب الوظائف المملوكية التى أختص متوليها بتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وإنزالهم دار الضيافة والتحدث فى كافة الأمور المتعلقة بهم.

راجع: السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٣٠ حاشية٣.

٣٥٨ - سورة النور: الآيات: ٣٦ - ٣٨ وانظر أيضا:

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ٧٢ - ٧٣،

Van Berchem (M.): Op. cit. II,P.172, text, 116.

٣٥٩ - سورة التوبة: آية ١٨.

٦٣٠ - سورة البقرة: آية ٢٥٥.

٣٦١ - سورة آل عمران: آية ١٨٥.

٣٦٢ - سورة الفتح: الآيات ١-٣.

٣٦٣ - الكراسة الثانية عن سنة (١٨٨٤م) ص ١٣ بند ٤، ص ٤٢ بنود أ، ب، جـ.

٣٦٤ - الكراسة الرابعة عن سنة (١٨٨٦م) ص ١٣.

٣٦٥ - الكراسة الخامسة عن سنة (٨٧/ ١٨٨٨م) ص ص ٧، ٣٤.

٣٦٦ - نفس الكراسة: ص ٤١.

٣٦٧ - الكراسة السادسة عن سنة (١٨٨٩م) ص ٦٥.

٣٦٨ - الكراسة السابعة عن سنة (١٨٩٠م) ص ١١٢.

٣٦٩ - الكراسة التاسعة عن سنة (١٨٩٢م) ص ١٠.

٣٧٠ - نفس الكراسة: ص ١٠١.

٣٧١ - نفس المصدر: ص ص ٢٨، ٩٦.

٣٧٢ - الكراسة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ٥٠.

٣٧٣ - الكراسة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٧.

٣٧٤ - الكراسة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ٨٦.

٣٧٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.

٣٧٦ – أنظر: سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١٨٠،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: جـ٢ ص ٤١٧،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٣٠.

٣٧٧ – راجع المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧،

– على باشا: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.

٣٧٨ – أنظر: فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ١٣٠،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨.

٣٧٩ – أنظر لين بول: المرجع السابق: ص ٢٥٥.

٣٨٠ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.

٣٨١ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ٧٥.

٣٨٢ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٥٠.

٣٨٣ – فتحى الحديدى: المصدر السابق: ص ١٣٠.

٣٨٤ – أنظر: محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص ١٣.

٣٨٥ – أنظر أيضاً: سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك: ص ١٥١.

٣٨٦ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٩١.

٣٨٧ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ص ٤٠ – ٤١.

٣٨٨ – نفس المصدر: ص ٩١.

٣٨٩ – نفس المصدر: ص ١١٨.

٣٩٠ – نفس المصدر: ص ١٣٣.

٣٩١ – نفس المصدر: ص ١٥٣.

٣٩٢ – نفس المصدر: ص ١٩٠.

٣٩٣ – ابن دقماق: المصدر السابق: ق ٢ ص ٦.

٣٩٤ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١٠.

٣٩٥ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١١.

٣٩٦ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١٦.

٣٩٧ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١٧.

٣٩٨ – نفس المصدر: ق٢ ص ١٨.

٣٩٩ – نفس المصدر: ق ٢ ص ٩٤.

٤٠٠ – أنظر: عبد الله اللطيف ابراهيم: دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية ص ص ٢٧ – ٢٨،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨،

– فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ١٦٨،

٤٠١ – عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٩.

٤٠٢ – نفس المرجع: ص ١٦٩.

٤٠٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ وانظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ١٨٠ - ١٨١ .

٤٠٤ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ٥ ص ٢٥٧ترجمة رقم ٨٦١.

٤٠٥ - المقريزى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٧.

٤٠٦ - ابن الصيرفى : إنباء الهصر: ص ص ١٩٤ - ١٩٥ .

٤٠٧ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٨٨ - ٩٩ .

٤٠٨ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١١٥ - ١١٧ ترجمة رقم ٣٠٩.

٤٠٩ - نفس المصدر: جـ٦ ص ص ٨١ - ٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨ .

٤١٠ - نفس المصدر: جـ٥ ص ٢٥٧ترجمة رقم ٨٦١.

٤١١ - نفس المصدر: جـ٢ص ١١٠ ترجمة رقم ٣٣٢.

٤١٢ - نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤ .

٤١٣ - ابن الصيرفى: المصدر السابق: ص ٢٧٦.

٤١٤ - السخاوى: المصدر السابق: جـ٤ ص ٦٣ ترجمة رقم ٤٢٥ .

٤١٥ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٩١ .

٤١٦ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

٤١٧ - نفس المصدر: جـ١ ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤١٨ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .ترجمة رقم ٥١٤.

٤١٩ - نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ ترجمة رقم ٧٤٤.

٤٢٠ - نفس لامصدر : جـ٤ ص ص ٤٦ - ٤٨ ترجمة رقم ١٤٨ .

٤٢١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٣٣ – ٣٥ ترجمة رقم ١٠٢.

٤٢٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٥ – ٦ ترجمة رقم ١٢.

٤٢٣ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٧٩ – ١٨٠ ترجمة رقم ٦٩٨.

٤٢٤ – نفس المصدر : جـ١ ص ١٠.

٤٢٥ – نفس المصدر : جـ١ ص ١٣.

٤٢٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢١٦ ترجمة رقم ٥٩٦.

٤٢٧ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٧٦ – ١٨ ترجمة رقم ٥١.

٤٢٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٦٦ ترجمة رقم ٤٧٢.

٤٢٩ – سورة النور : الآيات ٣٦ – ٣٨.

٤٣٠ – الكريم لغة هو الخالص من اللؤم، وكان يطلق كلقب فخرى على العسكريين والمدنيين على السواء وجرى العرف فى عصر المماليك أن يكون هذا اللقب هو أحد التوابع المباشرة للألقاب الأصول ولا سيما «المقر» و «الجناب»، وعلى الرغم من استعماله فى وصف «القرآن الكريم» فقد اصطلح كتاب هذا العصر على أن يجعلوه أقل مرتبة من «الشريف» حين وصفوا متعلقات السلطان بالشريف ومتعلقات من هم دون السلطان رتبة بالكريم فقالوا «مرسوم كريم» و «توقيع كريم» و «مكاتبة كريمة» ونحو ذلك عملا – على ما يبدوا – بما ورد فى قولة تعلى على لسان بلقيس ملكة سبأ تعليقاً على رسالة سليمان عليه السلم «إنى ألقى إلى كتاب كريم».

– راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ص ٢٤٠٢٥ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٣٧ – ٤٣٨.

٤٣١ – المجير لغة هو المنقذ والمغيث، وقد أضيفت إليه بعض الكلمات لتكوين لقب مركب منه

فقيل «مجير الدين» و «مجير العباد» ونحو ذلك، كما استخدم اللقب فى عصر المماليك مضافا إلى ياء النسب بالنسبة للأمراء فقيلب «المجير».

- راجع : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٦٠.

٤٣٢ - العمدة لغة هو ما يعتمد عليه وقد استعمل فى عصر المماليك مضافا إلى بعض كلمات لتكوين لقب مركب فقيل «عمدة الأحكام» و «عمدة الإمام» و «عمدة الأنام» و «عمدة الملوك» و «عمدة الملوك والسلطين» وقد ورد لقب «عمدة الملوك» مثلا ضمن ألقاب الأمير طيبغا فى نقش فى ضريحه تاريخه سنة (٧٦٤ - ٧٦٨هـ).

- راجع : Van Berchem (M.): OP. cit. .Tome, I,No157

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

٤٣٣ - راجع : سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٨٢ حيث أوردت النص كاملاً من أوله إلى آخره رغم أن الآيات فى بداية النص بعد البسملة من قولة تعالى «فى بيوت أذن الله أن ترفع» إلى قوله تعالى «يخافون» غير موجود فى الأصل ورغم أن التاريخ فى نهاية النص غير موجود أيضاً.

٤٣٤ - يبدو أن هذه لخانقاة كانت تشتمل على بعض التفاصيل المعمارية الأخرى حتى وقت قريب، لأن الوصف الذى أوردته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر يشير إلى أن المدخل الرئيسى يفضى إلى دهليز يؤدى إلى صحن مربع طول ضلعه (١٤٫٥) متر يحتوى ضلعه الشمالى على مئذنة وحاصلين مساحة أحدهما (٢٫٦٠ X ٢٫٣٠) متر ومساحة الآخر (٢٫٧٠X٢) متر، وبالجهة الجنوبية بقايا مسكن شيخ الخانقاة وقد أصبح شبيها بحواصل ثلاثة سقوفها مقببة بلطوب تبلغ مساحة أحدهما (٢٫٢٥ X ٢) متر ومساحة الآخرين متساوية، كل منهما مربع طول ضلعه (٢٫٢٥) متر ثم تشير ألى إيوان القبللة فى الضلع الشرقى للصحن وإى بقايا مساكن الصوفية وغير ذلك من التفاصيل التى أكدتها وثيقة الخانقاة المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٦٦٦) باسم مغلطاى الجمالى، ومنها يتضح أن الخانقاة كانت تشتمل على قبة وفسقية لدفن الواقف وأولاده وإيوان كبير

للصلاة وقاعة الشيخ الصوفية وخزائن كتب لحفظ الكتب والمصاحف ومئذنة وميضأة ومطبخ ومكتب للأيتام. راجع : سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٨٢ – ١٨٣ وأنظر أيضا : – دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٧٧، ١١١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠.

٤٣٥ – سورة الحجر : الآيات :٤٦ – ٤٩.

٤٣٦ – سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٤٣٧ – راجع مجموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م) ص ٣٢.

٤٣٨ – مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٧١، ٧٤.

٤٣٩ – مجموعة (٩) عن سنة (٢٨٩٢م) ص٢٢.

٤٤٠ – مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٢٩، ٤٣، ٥٣.

٤٤١ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٣٤.

٤٤٢ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٣٤.

٤٤٣ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٤٤– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : جـ١ ص ٣٣٧ح ٧.

٤٤٥ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ وأنظر ايضا :

– عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : جـ١ ص ١٠٩.

٤٤٦ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٦ ص ٥١.

٤٤٧ – نفس المصدر: جـ٢ ص ١٠٣.

٤٤٨ – أنظر أيضاً : عبد العزيز سالم: المآذن المصرية: ص ٢٥.

٤٤٩ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٦.

٤٥٠ – نفس المصدر: ص ١٥٠.

٤٥١ – ابن دقماق: المصدر السابق: ق ٢ ص ١٣٦.

٤٥٢ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ١٥٢.

٤٥٣ – نفس المصدر: ص ١٥٧.

٤٥٤ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٣ ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ترجمة رقم ٦٦٣.

٤٥٥ – وهى قرية من قرى بخارى: راجع: ياقوت: معجم البلدان: جـ٢ ص ١٤٩.

٤٥٦ – المقريزى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٣٩.

٤٥٧ – حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٩.

٤٥٨ – ابن حجر: المصدر السابق:جـ٤ص ٣٢٧ – ٣٢٨ ترجمة رقم ٨٩١.

٤٥٩ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤ وراجع ايضا.

– السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٥ ,٢٦٦وأنظر:

– عبد اللطيف حمزة السابق: ج١ص ١٠٩.

٤٦٠– ابن تغرى بردى: المنهل الصافى: جـ١ ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

٤٦١ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

٤٦٢ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١ص ٢٣٧ح ٨.

٤٦٣ – السخاوى: المصدرالسابق: جـ٥ ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ترجمة رقم ٩٨٧.

٤٦٤ – نفس المصدر: جـ٥ ص ٦٥ ترجمة رقم ٢٣٦.

٤٦٥ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٠٤.

٤٦٦ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٠٤.

٤٦٧ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٦٨ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٥ ص ٦٥ ترجمة رقم ٢٣٦.

٤٦٩ – نفس المصدر جـ٤ ص ٩٢ ترجمة رقم ٢٧٢.

٤٧٠ – نفس المصدر: جـ٣ ص ١٠٧ – ١٠٨ ترجمة رقم ٤٢٧.

٤٧١ – نفس المصدر: جـ٣ ص ٢٠٠ ترجمة رقم ٧٥٨.

٤٧٢ – ابن الغزى: المصدر السابق: جـ١ ص ٢٢٦ – ٢٣١.

٤٧٣ –السخاوى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٥٢ – ١٥٣ ترجمة رقم ٣٩٤.

٤٧٤ – سورة البقرة: آية: ١٤٤.

٤٧٥ – سورة يس: الآيات: ١٣ – ١٥.

٤٧٦ – سورة الحج: آية: ٤١.

٤٧٧ – سورة الأحزاب: الآيات: ٤١ – ٤٤.

٤٧٨– سورة التوبة: آية: ١٨.

٤٧٩ – سورة الأحزاب: آية ٤٥.

٤٨٠ – مجموعة (٧)عن سنة (١٨٩٠م) ص ١٠٨.

٤٨١ – مجموعة (٩)عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥٦، ٦١، ٧٥.

٤٨٢ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢١.

٤٨٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٨٤ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤ وأنظر أيضاً:

– لين بول: المرجع السابق: ص ٣٥٧،

– صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥.

٤٨٦ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٧ – نفس المصدر: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٨ – نفس المصدر: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٩ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٤٩.

٤٩٠ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٤٩.

٤٩١ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٩٢ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٩٣ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ٤٩.

٤٩٤ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص٧٠.

٤٩٥ – نفس المصدر: ص ٧٦.

٤٩٦ – نفس المصدر: ص ٧٩.

٤٩٧ – نفس المصدر: ص ١٠٧.

٤٩٨ – نفس المصدر: ص ١٤٨.

٤٩٩ – نفس المصدر: ص١٦٣.

٥٠٠ – نفس المصدر: ص١٦٦.

٥٠١ – الخوند لفظة فارسية أصلها «خدا وند» ومعناها السيد أو الأمير، وقد خوطب بها الذكور والإناث على السواء، ثم انتشر هذا اللقب عند المسلمين بمعنى السيدة أو الأميرة، وأضيفت إليه فى هذه الحالة (تاء التأنيث) فقيل «خوندة»، أما فى عصر المماليك فقد تم استعمال لقب خوند كلقب من ألقاب النساء التى تتفرع عن الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا وأطلق كذلك على زوجة السلطان.

راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ٧٨،

المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٦،

خليل الظاهرى: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك: ص ٢٦ – ٢٧،

حسن الباشا: المرجع السابق: ص: ٢٨٠ – ٢٨١،

سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون: جـ٣ ص ٢٤٢.

٢٠٥ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢١ ترجمة رقم ٢٠٢٥.

٤٠٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٥ وأنظر أيضا:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

٥٠٤ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة: جـ١٠ ص ٢٣٨.

٥٠٥ – على باشا مبارك: المصدر السابق: حـ٦ ص ٤٩.

٥٠٦ – الجبرتى: المصدر السابق: حـ٤ ص ١٦٢.

٥٠٧ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٤٩.

٥٠٨ – الجبرتى: المصدر السابق: حـ٤ ص ١٦٢.

٥٠٩ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٤٩.

٥١٠ – الجبرتى: المصدر السابق: حـ٤ ص ١٦٢.

٥١١ – سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

٥١٢ – سورة الإخلاص: الآيات: ١ – ٤.

٥١٣ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٥ – ٦،

– سعاد ماهر : المرجع السابق جـ٣ ص ٢٤٦.

٥١٤ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٥١٥ – سورة الدخان : الآيات: ٥١ – ٥٣.

٥١٦ – أنظر أيضا: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٢٣.

٥١٧ – سورة يس: الآيات : ١ – ١٧.

٥١٨ – مجموعة(٥) عن سنة (٨٧/ ١٨٨٨م) ص ٥.

٥١٩ – مجموعة(١٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ١١ – ١٣.

٥٢٠ – المقريزى : المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٢١ – على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٤.

٥٢٢ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٤٥.

٥٢٣ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٥٢.

٥٢٤ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٤٩.

٥٢٥ – نفس المصدر: ص ١٣٠.

٥٢٦ – نفس المصدر: ١٣٠.

٥٢٧ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٢٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٢٩ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٣٠ – على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ٦ ص ٥١ – ٥٢.

٥٣١ – ابن حجر : المصدر السابق : ص ٣٢٨ – ٨٣٩.

٥٣٢ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ٥٤ – ٥٥ ترجمة رقم ١٦٩.

٥٣٣ – الشرف لغة هو علو المكانة وسمو الرتبة، وقد استخدم هذا اللفظ فى عصر المماليك مضافا إلى بعض الكلمات الأخرى لتكوين بعض الألقاب المركبة فقيل «شرف الملوك والسلاطين» وكان ذلك لقبا من الألقاب الملكية، كما قيل «شرف الدولة» لكبار رجالها و«شرف الرؤساء» لأكابر المواظفين المدنيين و «شرف العلماء» لقضاة القضاة ونحوهم و «شرف الأصفياء لكبار التجار». راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ٥٥-٥٦،

حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٥٥.

٥٣٤ – كان لاستعمال لقب «السيفى» وترتيبه مع الإسم الملقب به دلالة على معان اصطلاحية ثلاثة: فإذا جاء أول الإسم مثلا كأن يقال «السيفى يلبغا» كان معناه أن لقب هذا الأمير سيف الدين، وإذا جاء بين اسمين كأن يقال «أرغون السيفى دمرداش» كان معناه أن ارغون هذا من مماليك الدمرداش، وإذا جاء آخر الإسم كأن يقال «أيدمر السيفى» كان معناه أن صاحب هذا اللقب مات عنه سيده أو أستاذه ونقل إلى ديوان السلطان فصار ضمن المماليك السيفية. راجع : المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك : جـ١ ص ٧٣٦ حاشية٦،

محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٣٦.

٥٣٥ – تتكون كلمة أتابك من مقطعين تركيين أولهما «أطا» بمعنى أب وثانيهما «بك» بمعنى أمير، وبذلك يكون معناها هو «الأب الأمير» أو «القائد الأمير» وغالب الظن أن هذا اللقب كان أحد الموروثات التركمانية التى أحياها السلاجقة عندما ورد ضمن ألقاب نظام الملك فى نقش تاريخه سنة (٤٧٥هـ) بالجامع الأموى بدمشق، وكانت العادة أنه إذا منح هذ اللقب لأمير فانه يكتسب صفة الدوام حتى وإن انقطع صاحبه من الوظيفة التى كانت سببا فى منحه إياه، وكانت مهمة الأتابك فى نشأتها هى الوصاية على الأمير القاصر الذى أسند إليه السلطان السلجوقى حكم ولاية من ولايات الدولة وتعهد تربيته وتعليمه حتى يكون عينا للسلطان عليه يحول بينه وبين الاستقلال عنه، وكثيرا ما تزوج

هذا الأتابك بأم هذا الأمير لايجاد سند شرعى له فى الاستحواذ على سلطة هذه الولاية، وبذلك انقسمت الدولة السلجوقية إلى وحدات إقليمية خضعت لسيطرة هؤلاء الأوصياء، وانتقل لقب «الأتابكية» من السلاجقة إلى المماليك وأطلق على القائد العام للجيش فسمى «أتابك العسكر» ثم أضيفت إليه صلاحيات النائب الكافل منذ سنة (١٣٤١م) وبذلك أصبح أتابك العسكر هو الرجل الأول فى الدولة بعد السلطان وكثيرا ما كان وصيا على العرش وكثيرا ما أطاح بالسلطان الصغير وتسلطن مكانه.

راجع : القلقشندى: المصدر السابق : جـ٤ ص ١٨،

Sauvaget, Combe et wiet: OP. cit. tome, VII, P. 214,

حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٣٣ - ١٣٥.

خليل ضومط: الدولة المملوكية: ص ٦٩.

٥٣٦ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعالم الأثرية فى البلاد العربية جـ ٣ ص ٦٥.

٥٣٧ - المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠ وأنظر أيضا:

- سعاد ماهر: المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٥٩، ولم يخرج عن هذه المعلومات ذلك التعليق الذى أورده محقق المنهل الصافى لابن تغرى بردى عند ذكر المؤلف لهذه الخانقاة راجع:

- ابن تغرى بردى: المصدر االسابق : جـ١ ص ٢١٧ حشية: ٨.

٥٣٨ - السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٥ ويتضح من نص إنشاء هذه الخانقاة الذى يقول «وكان ابتداء الشروع فيه فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ منه ومما حواه فى شهر شوال من السنة المذكورة» أن الصواب كان قد جانب السيوطى فى قوله أن الفراغ منهما كان سنة (٧٥٧هـ).

٥٣٩ - السيوطى : المصدر السابق : ج٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

٥٤٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٤ – ٣٥.

٥٤١ – نفس المصدر : جـ٦ ص ٥٢.

٥٤٢ – أنظر : عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : جـ١ ص ١٠٩،

– لين بول : المرجع السابق : ص ٢٥٧،

– صالح لمعى : المرجع السابق : ص ٢٦.

٥٤٣ – محمد امين : المرجع السابق : ص ٤٨٦ حاشية ٣.

٥٤٤ – القاضى مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ٢ ص ٤١ – ٤٢.

٥٤٥ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٤٦ – ابن الجيعان : المصدر السابق : ص ٣٦.

٥٤٧ – نفس المصدر : ص ٦٨.

٥٤٨ – نفس المصدر : ص ٧٣.

٥٤٩ – نفس المصدر : ص ٧٥.

٥٥٠ – نفس المصدر : ص ١٣٧.

٥٥١ – نفس المصدر : ص ١٧٦.

٥٥٢ – نفس المصدر : ص ١٨٢.

٥٥٣ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥، ٨٦.

٥٥٤ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٨٦ ولهذه الخانقاة حجة لا تزال محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٢٧٩) باسم شيخو العمرى.

٥٥٥ – الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٩٦، ٢٩٣.

٥٥٦ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣١٢.

٥٥٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٣ وراجع أيضا:

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٢ ص١٨٤.

٥٥٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣١٣.

٥٦٠ – ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

٥٦١ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٥٦٢ – أنظر أيضا: حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٥٦،

– سعاد ماهر : القاهرة القديمة : ص ٤٩ – ٥٠.

٥٦٣ – سعاد حسين : أعمال الأمير شيخو، رسالة ما جيستير كلية الآداب، ج القاهرة ١٩٧٧م.

٥٦٤ – راجع: ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ٢٥٠ – ٢٥١ ترجمة رقم ٦٨٦؛

– المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠،

– السيوطى : المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ – ٢٦٧ وانظر أيضا،

– عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : جـ١ ص ١٠٩،

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٥٦٥ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ ترجمة رقم ٩١٧.

٥٦٦ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ٢١٢ ترجمة رقم ٣١١،

– السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ترجمة رقم ٦٢٣.

٥٦٧ – السيوطى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٧.

٥٦٨ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٢٣ ٢٢٤ ترجمة رقم ٦٢٣.

٥٦٩ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٩٦ – ٩٧ ترجمة رقم ٣٨٩.

٥٧٠ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣١ – ٢٣٢ ترجمة رقم ٨٨٢.

٥٧١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٣٣ – ٣٥ ترجمة رقم ١٠٢ وراجع أيضا:

– ابن الغزى : المصدر السابق جـ١ ص ٢١٩ – ٢٢١،

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٨ ص ٩٨.

٥٧٢ – محمد أمين : المرجع السابق : ص ٤٨٦ والوثيقة المشار إليه محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٢٧٩) راجع أيضا:

– السخاوى : المصدر السابق : جـ٩ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٧٥٥، ج ١٠ ص ٣ ترجمة رقم ٥،

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ١١٣، ٣٤٩.

٥٧٣ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٢٤ ترجمة رقم ٣٣٠.

٥٧٤ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٠٦ – ١٠٧ ترجمة رقم ٣٩٣.

٥٧٥ – نفس المصدر : جـ٦ ص ١٠٩ – ١١٠ ترجمة رقم ٣٤٤.

٥٧٦ – ابن العماد: المصدر السابق : جـ٧ ص ٨٨.

٥٧٧ – على باشا مبارك : المصدر لسابق : جـ٣ ص ٣٥ وأنظر أيضا:

– سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ٣ ص ٢٥٩.

٥٧٨ – ابن حجر المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٠٩ – ٢١٠ ترجمة رقم ١٩٨٨.

٥٧٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٨٠ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٢ – ١٤٣ ترجمة رقم ٤٠٨.

٥٨١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٤٦ – ٤٨ ترجمة رقم ١٤٨.

٥٨٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١١٩ – ١٢١ ترجمة رقم ٣٢٠.

٥٨٣ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٦١ – ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧.

٥٨٤ – ابن طهيرة : المصدر السابق : ص ١٨٨ ، حاشية ٣ بنفس الصفحة.

٥٨٥ – ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ٣٤.

٥٨٦ – نفس المصدر : جـ٧ ص ٢٦٨.

٥٨٧ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٥٨٨ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٣٥.

٥٨٩ – ابن حجر المصدر السابق : جـ١ ص ١٦٨ ترجمة رقم ٤٢٧.

٥٩٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٨٦ ترجمة رقم ١٦٥٣.

٥٩١ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٩٢ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥، ٨٣.

٥٩٣ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٧٨ – ٨٠ ترجمة رقم ٢٣٦.

٥٩٤ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٦ – ١٧ ترجمة رقم ٦٦.

٥٩٥ – ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ٢٤٥.

٥٩٦ – ابن الصيرفى : إنباء الهصر ص ٤١٥.

٥٩٧ - المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٩٨ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥، ٨٣.

٥٩٩ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٣٦ - ١٣٧ ترجمة رقم ٣٥٧.

٦٠٠ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٩ ترجمة رقم ٦٥٦.

٦٠١ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٨٩ - ٩٠ ترجمة رقم ١٦٦٢.

٦٠٢ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١١ - ٣١٢ ترجمة رقم ٢٢٥٣ وراجع أيضا:

- السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٧.

٦٠٣ - نفس المصدر : جـ٤ ص ١٥ ترجمة رقم ٣١.

٦٠٤ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٧ - ٦٨ ترجمة رقم ٢٠٥.

٦٠٥ - نفس المصدر : جـ٤ ص ٦٥ - ٧١ ترجمة رقم ٢٠٣.

٦٠٦ - نفس المصدر : جـ٥ ص ١٣١ - ١٣٢ ترجمة رقم ٤٦٤.

٦٠٧ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤.

٦٠٨ - نفس المصدر : جـ٣ ص ٨٨ - ٨٩ ترجمة رقم ١٠٤.

٦٠٩ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ٣ ص ٧٠ - ٧١ ترجمة رقم ٢٠٧.

٦١٠ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٩ ترجمة رقم ٨٥٥.

٦١١ - نفس المصدر : جـ٤ ص ٧٨ - ٧٩ ترجمة رقم ٢٢٧.

٦١٢ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٠٩ ترجمة رقم ٥٦٣.

٦١٣ - نفس المصدر : جـ٤ ص ٣٩ ترجمة رقم ٨١.

٦١٤ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٦١٥ – السخاوى: المصدر السابق : جـ٣ ص ١١٦ ترجمة رقم ٤٤٨.

٦١٦ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٤٧.

٦١٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣١ ترجمة رقم ٨٧٨.

٦١٨ – على باشا مبارك: المصدر السابق : جـ٥ ص ٨٦، جـ٦ ص ٥١ وأنظر أيضا:

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ٥٧،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٥٩.

٦١٩ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ترجمة رقم ٢٦٤.

٦٢٠ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٥٠.

٦٢١ – نفس المصدر : جـ٦ ص ١١١ ترجمة رقم ٤٨٧.

٦٢٢ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٨ ترجمة رقم ١٤٨٥.

٦٢٣ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ٢٤ – ٢٨ ترجمة رقم ٨١.

٦٢٤ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٩٨ – ١٠٠ ترجمة رقم ٢٨٥.

٦٢٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٦٢٦ – السخاوى : المصدر السابق : جـ ص ٢٠٠ – ٢٠١.

٦٢٧ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٥١ – ٢٥٢.

٦٢٨ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٧٧٠.

٦٢٩ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١١٥ ترجمة رقم ٣٤٤.

٦٣٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص١٥٠ – ١٥١ ترجمة رقم ٤٢٧.

٦٣١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢١٢ ترجمة رقم ٥٧٣.

٦٣٢ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٤٤ ترجمة رقم ٥٥٥.

٦٣٣ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ٢١٧ – ٢٠ ترجمة رقم ١١١.

٦٣٤ – الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : جـ٣ ص ٢٤٨.

٦٣٥ – أنظر أيضا: سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٦١ – ٢٦٢.

٦٣٦ – سورة النور : الآيتان : ٣٦ – ٣٧.

٦٣٧ – راجع قراءات هذه اللوحة أيضا فى:

– على باشا مبارك: المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٦ والتصحيح الذى عمله عليه بخطه فى هامش الصحيفة المرحوم يوسف أحمد بتاريخ ١٤ اكتوبر (١٩٠٠م) وانظر أيضا:

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٦٢ – ٢٦٣،

Van Berchem (M.): OP. cit. II, P 233,text, 158.

٦٣٨ – سورة الحجر : الآيات : ٤٥ – ٤٩.

٦٣٩ – سورة البقرة : الآيات : ٢٥٥ – ٢٥٧.

٦٤٠ – سورة البقرة الآيات : ٢٨٤ – ٢٨٦.

٦٤١ – سورة النور : الآيان : ٣٥ – ٣٧.

٦٤٢ – سورة الحج : الآيتان: ٢٧ – ٢٨.

٦٤٣ – سورة الانسان الآيات : ٥ – ١٢.

٦٤٤ – ابن اياس : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٢١.

٦٤٥ – سورة الإنسان : الآيات ٥ – ١٠، وقد ذكر على باشا مبارك أن هذا الإزار الخشبى كان فى باب من الخشب بداخل الخانقاة، وبذلك يكون هذا الإزار قد نقل من الباب الذى كان فيه إلى هذا المكان بالإيوان الشمالى فى عملية ترميمية لاحقة لعلها العملية التى أجراها التاجر بلال أغا دار السعادة سنة (١٠٩٥هـ)، أنظر أيضا على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٥ ص ٣٦.

٦٤٦ – Van Berchem (M.): OP. cit. XIX, Fasc. IV, P. 662.

٦٤٧ – مجموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م) ص ١٣.

٦٤٨ – مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٦، ٣١.

٦٤٩ – مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ١٠١.

٦٥٠ – مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ١٢٣.

٦٥١ – مجموعة (١٧) عن سنة (١٩٠٠م) ص ٨٦.

٦٥٢ – مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥١ – ٥٢، ١٣٥.

٦٥٣ – نفس المجموعة : ص ٥٦.

٦٥٤ – مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ١٠٨، ١٣٤.

٦٥٥ – ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٦٢.

٦٥٦ – Van Berchem (M.): OP. cit. II. P.245, interpr.2.

٦٥٧ – ibd: II, P. 252, text, 163.

٦٥٨ – الجبرتى : المصدر السابق : جـ٤ ص ٤٢٠١.

٦٥٩ – ابن تغرى بردى : المصدر : السابق جـ٢ ص ٣٦٢.

٦٦٠ – هذه الحجة محفوظة بدار الوثائق القومية تحت رقم (٢٠٠ / ٣٢) وهى باسم أبو زكريا يحيى بن جمال الدين عبد الله بن شرف الدين موسى رئيس المجبرين والجرائحيين فى البيمارستان المنصورى (قلاوون) ومؤرخة فى ٧ رمضان سنة (٨٩١هـ) راجع أيضا:

Fath Allah and Abu Zakariyya, physicians under Mamluks

By: Doris Behrens, Abouseif, I. F. A. O., Le caire, 1987,

Supp. aux Annales Islamologoques, cheir, No, 10, P. P. 45-57

٦٦١ – ابن تغردى بردى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٦٢ ترجمة رقم ٤٠٨ وانظر أيضا: ترجمة أسلم بن إسحاق بن عاصم الذى توفى سنة (٨٠٢هـ) فى :

– الدليل الشافى : جـ١ ص ١١٩.

٦٦٢ – Van Brchem (M.): OP. cit. II, P. 245, interpr 2.

٦٦٣ – النظام لغة هو الإجتماع والالتئام، وقد أضيفت إلى هذا اللفظ بعض الكلمات الأخرى لتكون ألقاب مركبة منه فقيل «نظام الدين» و «نظام الملك» و «نظام الدولة» ، كما استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك مضافا إلى ياء النسب فقيل «النظامى» كلقب للوزراء ومن فى معناهم.

راجع القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ٣٣،

حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٣٣.

٦٦٤ – مجموعة (٧) عن سنة (١٩٩٠م) ص ٨٨.

مصادر ومراجع الكتاب

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر العربية

أ - المصادر العربية المخطوطة :

- البكرى (محمد توفيق)

نشأة التصوف والصوفية

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٣٨ تاريخ

- الجاشنكير (السلطان بيبرس بن عبد الله)

- حجة رقم (٢٢ / ٤)، (٢٣ / ٤)

تاريخ كل منهما ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ)

دار الوثائق القومية.

- الجمالى (الأمير مغلطاى بن عبد الله)

- حجة رقم ١٦٦٦ تاريخها ٢٩ ربيع آخر سنة (٧٢٩هـ)

أرشيف وزارة الأوقاف

- العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر)

إنباء الغمر بأبناء العمر

مخطوط بدار لكتب المصرية فى جزأين تحت رقم ٢٤٧٦ تاريخ

ابن موسى (أبو زكريا يحيى بن عبد الله رئيس المجبرين بالمارستان المنصورى)

حجةرقم (١٥٤ / ٢٤)

تاريخها ٢٢ ذو الحجة سنة (٨٧١ هـ)

دار الوثائق القومية

(اللالا) (الأمير جوهر)

حجة رقم (١٠٢١) تاريخها: (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)

أرشيف وزارة الأوقاف.

ب - المصادر العربية المطبوعة:

ابن الأثير (عز الدين)

الكامل فى التاريخ. ط. بولاق (١٢٩٠هـ)

الإسنوى (الشيخ جلل الدين)

طبقات الشافعية

تحقيق عبد الله الجبورى

مطبعة الإرشاد – بغداد (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م)

الألبانى (محمد ناصر الدين)

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد

طبعة ثالثة – المكتب الإسلامى – دمشق وبيروت (بدون)

ابن إياس (محمد أحمد الحنفى)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

تحقيق د. محمد مصطفى

الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)

البخارى (الإمام أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة)

الصحيح

٩ أجزاء – طبعة بولاق (١٣١٢هـ)

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتى)

الرحلة – دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م)

البغدادى (الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب)

تاريخ بغداد أو مدينة السلام

طبعة القاهرة (١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١م)

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

تحقيق د. جمال الدين الشياك، فهيم

شلتوت طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة

(١٩٣٦م) الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة

١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - جزءان
تحقيق د. محمد أمين، د. سعيد عاشور
الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤ - ١٩٨٥م)

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب)
البيان والتبيين
طبعة القاهرة (١٣٣٢هـ)

الجبرتى (الشيخ عبد الحمن)
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار - ٤ أجزاء
طبعة الشعب (مصورة عن طبعة بولاق سنة (١٢٩٧هـ).

ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)
الرحلة
طبعة مكتبة مصر سنة (١٩٥٥م)

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن المقر)
التحفة السينة بأسماء البلاد المصرية
مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (١٩٧٤م)

ابن الحاج (أبو عبد الله محمد العبدرى)
المدخل

دار الحديث – بيروت (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

الحلاج : كتاب الطواسين

مطبعة باريس سنة (١٩١٣م)

الحنبلى (القاضى مجير الدين)

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل – جزاءان

دار الجليل – بيروت (١٩٧٣م)

ابن خلدون (الشيخ عبد الرحمن المغربى)

المقدمة

القاهرة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧م).

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد الشافعى)

فيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق د. إحسان عباس

(نسخة مصورة عن نسخة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٨٩٢)

دار الثقافة – بيروت (بدون)

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد العلائى)

الإنتصار لواسطة عقد الأمصار – القسمان الأول والثانى

(نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٠هـ/١٨٩٣م

(المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت (بدون)

الذهبى (الحافظ شمس الدين محمد)

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام

طبعة القاهرة سنة (١٣٦٨هـ)

الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر)

مختار الصحاح

طبعة دار الكتب العربية - بيروت (بدون)

السبكى (أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين)

طبقات الشافعية الكبرى

٦ أجزاء طبع المطبعة الحسنية بالقاهرة

(١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ أجزاء فى ٣ مجلدات

دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون)

- الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواه

تحقيق جودة هلال، محمد محمود صبح مراجعة على البجاوى

الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة (بدون)

– الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

(نسخة مصورة عن نسخة الخزانة التيمورية نشرها القدسى)

دار الكتاب العربى – بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

– التبر المسبوك فى ذيل السلوك ط. بولاق (١٨٩٦م)

السخاوى (أبو الحسن نور الدين على بن أحمد بن عمر)

تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم

والبقاع المباركات.

تحقيق محمود ربيع، حسن قاسم. القاهرة (١٩٣٧م)

السيوطى (الشيخ جلال الدين عبد الرحمن)

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

المطبعة الشرقية بالقاهرة (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م)

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن المقدسى)

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين جزءان

تحقيق د. محمد حلمى أحمد

القاهرة (١٩٥٦م)

الشربينى (يوسف بن محمد بن عبد الجواد)

هز القحوف فى قصيد أبى شادوف

طبعة بولاق (١٨٩٠م)

الشرانى (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على)

لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار المعروف

بالطبقات الكبرى - جزءان.

طبعة القاهرة (١٨٨١م)

الصيرفى (على بن داود الجوهرى)

إنباء الهصر بأبناء العصر

تحقيق حسن حبشى

دار الفكر العربى - القاهرة (١٩٧٠م)

ابن ظهيرة (أبو برهان الدين إبراهيم)

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة

تحقيق مصطفى الشقا، كامل المهندس

مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة (١٩٦٩م)

ابن عبد الهادى (يوسف)

ثمار المقاصد فى ذكر المساجد

نشر محمد أسعد أطلس الجزء الثالث من مجموعة النصوص الشرقية مطبوعات

المعهد العلمى الفرنسى - دمشق (١٩٤٣م)

ابن العبرى: غريغو ريوس الملطى)

تاريخ مختصر الدول

طبعة أولى (بدون مكان ولا تاريخ)

ابن العربى (الفتوحات المكية)

طبعة بولاق (١٢٥٩هـ)

العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر)

– الدار الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

طبعة دار الجيل – بيروت (بدون)

– فتح البارى بشرح صحيح البخارى (نسخة مصورة عن نسخة لمطبعة البهية المصرية بالأزهر طبعة ثانية (١٤٠٢هـ)

على (جواد)

تاريخ العرب قبل الإسلام .ط. بغداد (١٩٥٢م)

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)

شذارت الذهب فى أخبار من ذهب

دار أحياء التراث العربى – بيروت (بدون)

ابن العمرى (أحمد بن يحيى الكرمانى)

التعريف بالمصطلح الشريف

طبعة القاهرة (١٣١٢هـ)

الغزالى (الإمام أبو حامد)

إحياء علوم الدين

طبعة القاهرة (١٣١٢هـ)

الغزى (الشيخ نجم الدين)

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٣ أجزاء

تحقيق جبرائيل سليمان جبور

دار الأوقاف الجديدة - بيروت طبعة ثانية (١٩٧٩م)

القرآن الكريم

القشيرى (الرسالة)

مطبعة القاهرة (١٣٤٦هـ)

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة)

ذيل تاريخ دمشق

طبعة بيروت (١٩٠٨م)

القلقشندى (الشيخ أبو العباس أحمد)

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

المطبعة الأميرية بالقاهرة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)

الكتبى (محمد شاكر بن أحمد)

فوات الوفيات

تحقيق د. إحسان عباس

دار صادر - بيروت (١٩٧٣م)

الكلاباذى (محمد بن إبراهيم بن يعقوب)

التعرف لمذهب أهل التصوف

طبعة مصر (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)

الكندى (محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبى)

الولاة والقضاة

تحقيق د. حسين نصار

دار صادر بيروت (بدون)

الكنوى (أبو الحسنات محمد بن عبد الحى)

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية

تصحيح محمد بدر الدين الغسانى

مطبعة السعادة - القاهرة (١٣٢٤هـ)

مبارك (على باشا)

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة

طبعة مصورة عن طبعة بولاق (١٣٠٦هـ/ ١٩٦٩م)

الهيئة المصرية العامة للكتاب. لقاهرة (١٩٨٠م)

المقدسى (شمس الدين محمد بن أبى بكر البشارى)

أحسن التقاسيم فى معرفة الآقاليم

طبعة ليدن سنة (١٩٠٩م)

المقرى (أحمد بن محمد بن على)

المصباح المنير

طبعة خامسة المطبعة الأميرية - القاهرة (١٩٢٢م)

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

- المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار

نسخة دار التحرير للطبع والنشر فى ٣ أجزاء عن طبعة بولاق (١٢٧٠هـ)

أعدها للنشر د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة (١٩٦٧ - ١٩٦٨م)

- السلوك لمعرفة دولة الملوك

الجزأين ١، ٢ فى ٦ مجلدات تحقيق د. محمد مصطفى زيادة القاهرة (١٩٥٨)،

الجزأين ٣، ٤ فى ٦ مجلدات تحقيق.

د. سعيد عاشور القاهرة؟ (١٩٧٠م).

الملكى (أبو طالب)

قوت القلوب

طبعة مصر سنة (١٣١٠هـ).

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد المصرى)

لسان العرب

دار صادر بيروت – (بدون)

النبهانى (يوسف إسماعيل)

كتاب جامع كرامات الأولياء وبهامشه كتاب نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى

مطبعة دار الكتب العربية الكبرى (بدون)

ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادى)

الفهرست

دار المعرفة – بيروت (بدون)

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

نهاية الأرب فى فنون الأدب

مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)

ياقوت (أبو عبد الله الحموى الرومى البغدادى)

معجم لبلدان

دار إحياء التراث العربى – بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح)

تاريخ اليعقوبى – جزءان

دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)

ثانيا: المراجع العربية المنشورة:

إبراهيم (عبد اللطيف) – دكتور

دراسات فى الكتب والمكاتبات الإسلامية

وثيقة (١٨٦/ ٢٨ محكمة، ٢٧٨/ ٤٣ محكمة – القاهرة (١٩٦٢م).

أحمد (محمود)

دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة

القاهرة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)

إدارة حفظ الآثار العربية

– رسالتها فى رعاية الآثار الإسلامية فى القاهرة والأقاليم

دار المعارف بمصر (بدون)

– كراسات لجنة حفظ الآثار العربية

من الكراسة الأولى طبعة بولاق سنة ١٨٨٤م)

إلى الكراسة الحادية والأربعون طبعة بولاق سنة (١٩٦٣م)

الألفى (أبو صالح)

الفن الإسلامى (أصوله – فلسفته – مدارسه)

دار المعارف بمصر – طبعة ثانية – القاهرة (١٩٧٤م)

أمين (محمد محمد) – دكتور

فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك

(٢٣٩ – ٩٢٢هـ/ ٨٥٣ – ١٥١٦م)

مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى – القاهرة (١٩٨١م)

الأوقاف (وزارة)

مساجد مصر (من سنة ٢١ – ١٣٦٥هـ/ ٦٤١ – ١٩٤٦م)

جزءان طبع مصلحة المساحة المصرية (١٩٤٨م)

الباشا (حسن) – دكتور

– الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار

مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٧م)

– مدخل إلى الآثار الإسلامية

دار النهضة العربية (١٩٧٩م).

بليق (عز الدين)

منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين

دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت طبعة أولى
(١٣٩٨ هـ - ١٩٧م)

تيمور (أحمد باشا)
المهندسون فى العصر الإسلامى
دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة (١٩٧٩م)

الجر (خليل) - دكتور
المعجم العربى الحديث (لاروس)
مكتبة لاروس - باريس (١٩٧٣)

الحديدى (فتحى حافظ)
دراسات فى مدينة القاهرة - حى الجمالية
الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة (١٩٨٢م)

حسن (زكى محمد) دكتور
فنون الإسلام
دار الرائد العربى - بيروت (١٤٠١ هـ / ١٩٨١م)

حسين (سعاد) - دكتورة
أعمال الأمير شيخو
رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة (١٩٧٧م)

حمادة (محمد ماهر) دكتور

المكتبات فى الإسلام - نشأتها وتطورها ومصائرها

طبعة ثالثة - بيروت (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م).

حمزة (عبد اللطيف - دكتور

الحركة الفكرية فى مصر العصرين الأيوبى والمملوكى الأول

طبعة ثانية - دار الفكر العربى - القاهرة (١٩٦٨م)

دائرة المعارف الإسلامية

الطبعة الأوربية الأولى

(ماكتبة ماسينون عن الزهد والتصوف فى الجزء الرابع)

دراج (أحمد) - دكتور

المماليك والفرنج فى القرن التاسع لهجرى

دار الفكر العربى - القاهرة (١٩٦١م).

رزق (عاصم محمد) - دكتور

مسجد القاضى أبورو بكر مزهر بالقاهر

رسالة كاچستير - كلية الأداب - جامعة القاهرة (١٩٧١م)

رشدى (صبيحة رشيد)

الملابس العربية وتطورها فى العهود الإسلامية

طبعة أولى – بغداد (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م)

الرفاعى (أنور)

تاريخ الفن عن العرب والمسلمين

طبعة ثانية – دار الفكر – دمشق ١٣٩٧م / ١٩٧٧م)

زكى (عبد الرحمن) – دكتور

– القاهرة – تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى

المؤرخ)٩٦٩ – ١٨٢٥م)

الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة (١٩٦٦م).

– بنك القاهرة فى ألف عام

المكتبة الثقافية عدد (٢٢٠) – دار الكاتب العربى

القاهرة (بدون)

زيدانا (جورجى)

تاريخ التمدن الإسلامى

مطبعة الهلال (١٩٣١م)

سالم (السيد محمود عبد العزيز) دكتور

المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصلها وتطورها من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى.

مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية (بدون)

سامح (كمال الدين) - دكتور

العمارة الإسلامية فى مصر

مطبعة جامعة القاهرة (١٩٧٠م)

سرور (محمد جمال الدين) - دكتور

- دولة الظاهر بيبرس فى مصر.

دار الفكر العربى - القاهرة (١٩٦٠م)

- دولة بنى قلاوون فى مصر - الحالة السياسية والقتصادية

فى عهد بوجه خاص

دار الفكر العربى - القاهرة (بدون)

سزكين (فؤاد) - دكتور

تاريخ لترث العربى - المجلد الأول من الجزء الرابع

(العقائد والتصويف)

نقله إلى العربية د. محمود فهمى حجازى وآخرون

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامى بالرياض

(١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).

شافعى (فريد محمود) - دكتور

العمارة العربية الإسلامية - ماضيها - حاضرها - مستقبلها

طبعة أولى – جامعة الملك سعود الرياض (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م)

الشافعى (ليلى كامل)

مدرسة الأمير جوهر اللالا

رسالة ماجستير –كلية الآداب – جامعة القاهرة (١٩٧٧م)

شتا (إبراهيم الدسوقى) – دكتور

دور المتصوفة الإيرانيين فى ميدان التصوف الإسلامى

بحث فى كتاب :

دراسات فى الحضارة الإسلامية – البقاء الثقافتين العربية والفارسية (ص ٢٤٥ – ٢٧٠) دار الثقافة – القاهرة (١٩٧٩م).

الشعيبى (كامل مصطفى)

الصلة بين التصوف والتشيع

طبعة ثانية – القاهرة (بدون)

ضومط (أنطوان خليل) – دكتور

الدولة المملوكية – التاريخ السياسى والقتصادى والعسكرى (١٢٩٠ – ١٤٢٢م)

طبعة أولى – دار الحداثة – بيروت (١٩٨٠م)

الطويل (توفيق)

التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى

الاسكندرية (١٣٦٥ هـ ١٩٤٦م)

عاشور (سعيد عبد الفتاح) – دكتور

– المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك

طبعة أولى – دار النهضة العربية – القاهرة (١٩٦م)

– مصر فى عصر دولة المماليك البحرية

سلسلة الألف كتاب عدد (٢٢٧) مكتبة النهضة – القاهرة (بدون)

عبد الله (دولت عبد الكريم) – دكتورة

معاهد تركية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى

مطبعة حسان – القاهرة (١٩٨٠م)

عبد الحميد (سعد زغلول) – دكتور

العمارة والفنون فى دولة الإسلام

طبع منشأة المعارف بالإسكندرية (١٩٨٦م)

عبد المنعم (محمد نور الدين) – دكتور

الألفظ الفارسية فى العامية المصرية

بحث فى كتاب:

دراسات فى الحضارة الإسلامية – التقاء الثقافتين العربية
والفارسية (ص ٢٠٧ – ٢٤٣) دار الثقافة – القاهرة (١٩٧٩م)

عبد المهدى (عبدالجليل حسن) – دكتور
المدارس فى بيت المقدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى
جزءان، مكتبة الأقصى – عمان الأردن (١٩٨١م)

عبد الوهاب (حسن)
– تاريخ المساجد الأثرية جزاءن (نص وكتالوج)
مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٤٦م)
– جتمع السلطان حسن وما حوله
المكتبة الثقافية عدد (٥٦) – القاهرة (١٩٦٢م)

العرينى (السيد الباز) – دكتور
مصر فى عصر الأيوبيين
سلسلة الألف كتاب عدد (٢٦٩)
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآدب القاهرة – (بدون)

عكاشة (ثروت) – دكتور
القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية
دار المعارف بمصر (١٩٨١م).

علي (محمد كرد)

خطط الشام

مطبعة التركى – دمشق (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥م)

فكرى (أحمد) دكتور

مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الأيوبى)

دار المعارف بمصر (١٩٦٩).

قراعة (سنية)

مساجد ودول

مطابع أخبار اليوم

طبعة أولى – القاهر (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م)

لمعى (صالح مصطفى) دكتور

التراث المعمارى الإسلامى فى مصر

جامعة بيروت العربية – بيروت (١٩٧٥م)

ماهر (سعاد محمد) دكتور

– القاهرة القديمة وأحياؤها

الكتبة الثقافية عدد (٧٠) زكتوبر (١٩٦٢م)

– مساجد مصر وأولياؤها االصالحون

طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة (١٣٩١ هـ / ١٩٧١م)

مبارك (زكى)

التصرف الإسلامى فى الأدب والأخلاق

جزاءان - القاهرة (١٩٣٨م)

مجلة العمارة:

سنة (١٩٤٢م) عدد (٢٢١).

مرزوق (محمد عبد العزيز) دكتور

الناصر محمد بن قلاوون

سلسلة أعلام العرب رقم (٢٨)

مطبعة مصر - القاهرة (بدون)

مصطفى (محمد) - دكتور

دليل موجز متحف الفن الإسلامى

الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م)

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المعالم الأثرية فى البلاد العربية

جـ ٣ جمهورية مصر العربية القاهرة

(١٩٧٢م)

مؤنس (حسين) – دكتور

ابن بطوطة ورحلاته – تحقيق ودراسة وتحليل

دار المعارف بمصر (١٩٨٠م)

الموسوعة العربية الميسرة

طبعة الشعب – القاهرة (بدون)

النبراوى (فتحية) دكتورة

تاريخ النظم والحضارة الإسلامية

دار المعارف بمصر – طبعة ثانية (١٩٨١م)

وصفى (محمود) دكتور

دراسات فن الفنون والعمارة العربية الإسلامية

دار الصلاح للطباعة والنشر، لدمار بالسعودية

(١٩٧٧م).

ثالثا: المراجع الأجنبية المعربة :

آرنولد (توماس)

تراث الإسلام

تأليف جمهرة من المستشرقين.

تعريب جرجيس فتح الله المحامى

طبعة ثالثة – دار الطليعة – بيروت (١٩٧٨م).

برجز (مارتن)

بحث بعنوان «الهندسة المعمارية» فى كتاب: تراث الإسلام (ص ٢٢٧ – ٢٥٨)

الكتاب : تأليف جمهرة مستشرقين

تعريب: جرجيس فتح الله المحامى

دار الطليعة – بيروت – طبعة ثالثة (١٩٧٨م)

دللى (الفريد جوزيف)

العمارة العربية بمصر فى شرح المميزات الرئيسية للطراز

العربى فى القرن (١٤ – ١٥م)

تعريب محمود أحمد

القاهرة (١٩٢٣م)

زامبور

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى

إخراج د. زكى حسن وآخرون

دار الرائد العربى – بيروت (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م)

كونل (إرنست)

الفن الإسلامى

ترجمة د. أحمد موسى

دار صادر – بيروت (١٩٦٦م)

لين پول (ستانلى)

سيرة القاهرة

ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون

مكتبة النهضة المصرية القاهرة (١٩٥٠م)

ميتز (آدم)

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة

فى الإسلام. جزءان.

ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده

مكتبة الخانجى بالقاهرة طبعة رابعة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م)

(علوم الدين ص ٣٥١ – ٣٨٦).

رابعا: المراجع الأجنبية :

- Abd ar - Raziq (Ahmad): (PH, D)

La femme au temps des Mamlauksen Egypt 1. F. A. O. Tome. V

Le Caire (1973)

- Berchem (M. V)

Corpus Inscriptionum Arabicarum

Tome, I, II, Egypt

(Mamluks Bahrits) Paris (1900).

- Tome XIX Fascicule IV

P aris, (1903).

- Combe (Et.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.)

Repertoire Chronolgique d'Epigraphie

Arabe, I_ F_ A_ O.

Le Caire (1931 _ 1950).

- Hautcoeur (L.) et Wiet (G.):

Les Mosquees du Caire

Paris, (1932).

- Lamm (C.J)

Mittelalterlische Glaser und Steinschnittarbeiten aus dem

Nahen Osten, 2 Vol.

Berlin (1930)

- Riter (H.)

Studien Zur Geschichte der Islasmischen Frommigkiet,

Isilam (21, 1933) P. P _ (1 _ 83)

- Supplement, aux Annales Islamohogique, Cahier No, 10,

I. F. A. O.

Le Caire, (1987). P. P. (27 - 30).

فهرس الأشكال واللوحات

١ – فهرس الأشكال

شكل ١ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) – أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩ هـ/ ١٧٣٩م) – الواجهة والمدخل.

شكل ٢ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) – الإيوان الشرقى.

شكل ٣ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) – المحراب والمنبر.

شكل ٤ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) الإيوان الجنوبى.

شكل ٥ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) الإيوان الغربى.

شكل ٦ – الخانقاة البندقدارية أيديكن (زاوية الأبار) – اثر رقم ١٤٦ (٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م) المحراب.

شكل ٧ – الخانقاة البندقدارية أيديكن (زاوية الأبار) – القبة من الخارج.

شكل ٨ – الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) – أثر رقم ٢٢١ (٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣م) – واجهة بحرية.

شكل ٩ – الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) – طاقية المدخل الرئيسى.

شكل ١٠ – الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) – القبتان من الخارج.

شكل ١١ – الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) – المئذنة.

شكل ١٢ – الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) محراب وكتابة بالحائط الشرقى لحوش الخانقاة.

شكل ١٣ – الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) – أثر رقم ٣٢ (٧٠٦ – ٧٠٩هـ/ ١٣٠٦ – ١٣٠٩م) المدخل وجزء من الواجهة.

شكل ١٤ – الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) – أرضية القبة وتركيبة الضريح.

شكل ١٥ – الخانقاة الجاشنكيزية (بيبرس) – الممئذنة والقبة وجزء من الواجهة.

شكل ١٦ – لخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) – حواصل مطلة على الصحن.

شكل ١٧ – الخانقاة المهندارية (أحمد) أثر رقم ١١٥ (م٧٢هـ/ ١٣٢٤م) – الواجهة والمئذنة.

شكل ١٨ – الخانقاة الجمالية (مغلطاى) – أثر رقم ٢٦ (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) – جزء من الواجهة.

شكل ١٩ – الخانقاة الجمالية (مغلطاى) – مقرنص القبة.

شكل ٢٠ – الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) – أثر رقم ٢٩١ (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) القبتان من الخارج.

شكل ٢١ – الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك) أثر رقم ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) – القبة من الخارج ويظهر معها إيوان الخانقاة.

شكل ٢٢ – الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم انوك محراب القبة.

شكل ٢٣ – الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك) زخارف جصية وكتابات لقبة.

شكل ٢٤ – الخانقاة الدوادية (يونس) أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ/ ح ١٣٤٩م) – القبة من الخارج.

شكل ٢٥ – الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) – القبة والمئذنة.

شكل ٢٦ – الخانقاة الشيخونية – خلوات الصوفية.

شكل ٢٧ – الخانقاة الشيخونية : الصحن والسدلة الشمالية.

شكل ٢٨ – بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) – جزء من سور القاهرة القديم ومعه بقايا الخانقاة.

شكل ٢٩ – بقيا الخانقاقة النظامية – منظر من الخارج.

شكل ٣٠ – بقايا الخانقاة النظامية – الواجهة الرئيسية والمدخل.

شكل ٣١ – بقايا الخانقاة النظامية – منظر داخلى.

شكل ٣٢ – بقايا الخانقاة النظامية – مدخل خلوات الصوفية.

شكل ٣٣ – بقايا الخانقاة النظامية – بقايا خلوات الصوفية.

٢ - فهرس اللوحات

لوحة ١ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) مسقط أفقى.

لوحة ٢ - الخانقاة البندقدارية أيديكن (زاوية الأبار) - أثر رقم ١٤٦ (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) مسقط أفقى.

لوحة ٣ - الخانقاة لجاولية (سلاروسنجر) - أثر رقم ٢٢١ (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) مسقط أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٤ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - واجهة (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٥ - الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) - قطاع رأسى للواجهة (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٦ - الخانقاة الجاشنكيرية (سلاروسنجر) - قطاع أفقى للمدخل (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٧ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) أثر رقم ٣٢ (٧٠٦ - ٧٠٩هـ/ ١٣٠٦ - ١٣٠٩م) مسقط أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٨ - الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) - الباب العمومى (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

لوحة ٩ - الخانقاة المهندارية (أحمد) - أثر رقم ١١٥ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) - مسقط أفقى.

لوحة ١٠ - الخانقاة الجمالية (مغلطاى) أثر رقم ٢٦ (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) - مسقط أفقى.

لوحة ١١ - الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) أثر رقم ٢٩١ (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) مسقط أفقى.

لوحة ١٢ - الخانقاة لناصرية (خوند مغطى - أم أنوك) أثر رقم ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسقط أفقى.

لوحة ١٣ – بقايا الخانقاة الدوادارية (يونس) – أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ/ ح ١٣٤٩م) مسقط أفقى.

لوحة ١٤ – الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) مسقط أفقى.

لوحة ١٥ – بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) – مسقط أفقى.

٣١ صفحات من تاريخ مصر

خانقاوات الصوفية في مصر

في

عصر دولة المماليك البرجية

(٧٨٧ ـ ٩٢٠ هـ / ١٣٨٥ - ١٥١٦م)

الجزء الثاني

تأليف: الدكتور عاصم محمد رزق

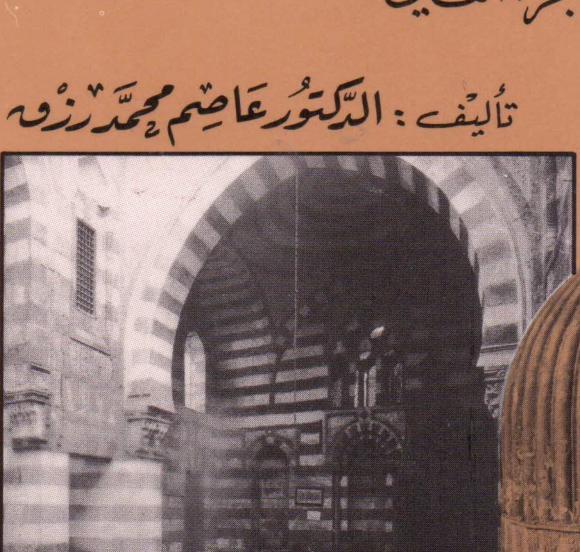

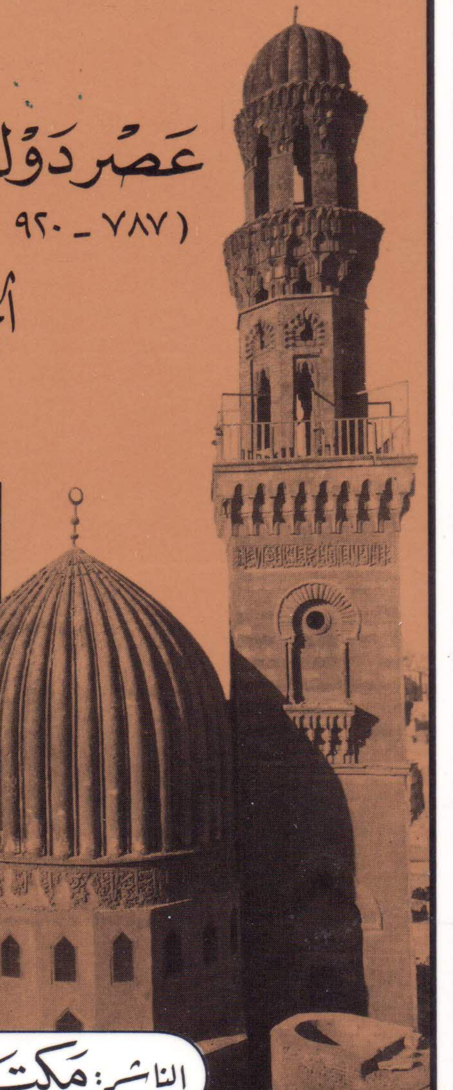

الناشر: مكتبة مدبولي ـ القاهرة

هذه السلسلة تضم :

١ ـ فتح العرب لمصر
٢ ـ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
٣ ـ الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
٤ ـ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
٥ ـ تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
٦ ـ تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
٧ ـ ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
٨ ـ تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد أول)
٩ ـ تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد ثاني)
١٠ ـ فتوح مصر وأخبارها
١١ ـ تاريخ مصر الحديث مع فزلكة في تاريخ مصر القديم
١٢ ـ قوانين الدواوين
١٣ ـ تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث
١٤ ـ الحكم المصري في الشام
١٥ ـ تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق
١٦ ـ آثار الزعيم سعد زغلول
١٧ ـ مذكراتي
١٨ ـ الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم
١٩ ـ وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر البطاركة
٢٠ ـ الجمعية الأثرية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية
٢١ ـ الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع ال
الأبيض (النيل الأبيض)
٢٢ ـ السلطان قلاوون (تاريخه ـ أحوال م
في عهده ـ منشآته المعمارية
٢٣ ـ صفوة العصر
٢٤ ـ المماليك في مصر
٢٥ ـ تاريخ دولة المماليك في مصر
٢٦ ـ سلاطين بني عثمان
٢٧ ـ **محمود فهمي النقراشي**
٢٨ ـ **دور القصر في الحياة السياسية في مصر**
٢٩ ـ **مذكرات اللورد كيللرن**
٣٠ ـ **عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم**
٣١ ـ خانقاوات الصوفية في مصر
٣٢ ـ فاروق وسقوط الملكية في مصر
٣٣ ـ تحفة الناظرين

مكتبة مدبولي
MADBOULI BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت : ٥٧٥٦٤٢١
6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421

خانقاوات الصوفية في مصر
في
عصر دولة المماليك البرجية

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مدبولي

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الناشر
مكتبة مدبولى
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٥٧٥٦٤٢١

صفحات من تاريخ مصر

(٣١)

خانقاوات الصُّوفيَّة في مصر

في

عصر دولة المماليك البرجيَّة

(٧٨٧ ـ ٩٢٠ هـ / ١٣٨٥ - ١٥١٦م)

تأليف

الدكتور عاصم محمد رزق

الجزء الثاني

مكتبة مدبولي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم،
دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين"

صدق الله العظيم

يونس: ٩ – ١٠

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تمهيد

الفصل الأول : خانقاوات أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري (١٤ – ١٥)

١ – الخانقاة الظاهرية (برقوق) ٤٨٣
٢ – الخانقاة السعدية (إبن غراب) ٥٢٧
٣ – الخانقاة الناصرية (فرج) ٥٣٨

الفصل الثانى : خانقاوات النصف الأول من القرن التاسع الهجري (١٥م)

٤ – الخانقاة الجوهرية (اللالا) ٥٨٣
٥ – الخانقاة الأشرفية (برسباي) بالقرافة ٦٠٢
٦ – الخانقاة الزينية (يحيي) ٦٣٦

الفصل الثالث : خانقاوات النصف الثانى من القرن التاسع الهجري (١٥م)

٧ – الخانقاة الأشرفية (إينال) ٦٥٧
٨ – الخانقاة الاشرفية (قايتباى) بالقرافة ٦٨١

الفصل الرابع : خانقاوات النصف الأول من القرن العاشر الهجري (١٦م)

٩ - الخانقاة الرماحية (قايتباى) بالقلعة ٧١٧

١٠ - الخانقاة الغورية (قانصوة) بالغورية ٧٤٢

١١ - الخانقاة القرقماسية (أمير كبير) بالقرافة ٧٦٦

الحواشى والتعليقات ٧٩٠

مصادر ومراجع الكتاب ٨٦٥

تمهيد

تناولنا فى كتاب سابق موضوع (خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى البحرى) عرضنا فيه تمهيدا بالأسباب العلمية والعملية التى دعت إلى الكتابة فى هذا الموضوع الهام من موضوعات العمارة الإسلامية فى مصر، ثم عالجنا فى فصوله الثلاث الأولى كثيرا من النقاط الهامة المتعلقة بالموضوع اختص الفصل الأول منها بدراسة تاريخية شملت معنى الخانقاة ووظائفها، تاريخ الخانقاة وأوقافها، الدراسة والمكتبة فى الخانقاة، تصوف فى غير خانقاوات، واختص الفصل الثانى بدراسة صوفية شملت: علم التصوف ونشأته، أصل كلمة صوفى، خرقة الصوفية وأزيائهم وعوائدهم، صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم، أعلام الصوفية ومجاذيبهم، واختص الفصل الثالث بدراسة أثرية معمارية شملت: عمارة الخانقاة وخصائصها، المنشآت التابعة للخانقاة، الخانقاوات الدارسة، الرباط والزاوية والتكية.

أما فى فصوله الثلاثة التالية فقد تناولنا -فى دراسة أثرية معمارية وصفية وظائفية وقفية إقتصادية ترميمية- خانقاوات العصرين الأيوبى والمملوكى البحرى اختص الفصل الرابع منها بخانقاوات القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م) مثل الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) والخانقاة البندقدارية (أيدكين)، والخانقاة الجاولية (سلار وسنجر)، واختص الفصل الخامس بخانقاوات النصف الأول من القرن (٨هـ/١٤م) مثل الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) والخانقاة المهمندارية (أحمد) والخانقاة الجمالية (مغلطاى) والخانقاة القوصونية (قوصون) والخانقاة الناصرية (خوند طغاى أم أنوك) واختص الفصل السادس بخانقاوات النصف الثانى من القرن (٨هـ/١٤م) مثل الخانقاة الدوادارية (يونس) والخانقاة الشيخونية (شيخو) والخانقاة النظامية (نظام الدين).

وإتماما للفائدة العلمية المرجوة من معالجة هذا الموضوع كان لزاما علينا أن نستكمله بهذا الكتاب الذى يعالج (خانقاوات الصوفية فى مصر فى عصر دولة المماليك البرجية) فى أربعة فصول اختص الأول منها بخانقاوات أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى (١٤-١٥م) مثل الخانقاة الظاهرية (برقوق) والخانقاة السعدية (إبن غراب) والخانقاة الناصرية (فرج) واختص الفصل الثانى بخانقاوات النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (١٥م) مثل الخانقاة الجوهرية (اللالا) والخانقاة الأشرفية (برسباى) بالقرافة والخانقاة الزينية (يحيى) واختص الفصل الثالث

بخانقاوات النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) مثل الخانقاة الأشرفية إينال والخانقاة الأشرفية قايتباى بالقرافة، واختص الفصل الرابع بخانقاوات النصف الأول من القرن العاشر الهجرى (١٦م) مثل الخانقاة الرماحية (قايتباى) بالقلعة والخانقاة الغورية (قانصوه) والخانقاة القرقماسية (أمير كبير)، وذيل الكتاب -بعد حواشيه وتعليقاته بمجموعة من الأشكال واللوحات الموضحة لبعض مما جاء بنصوصه.

وإنى اذ اشكر كل من ساهم معى فى إنجاز هذا الكتاب أرجو أن أكون قد وفقت فيه لما هدفت إليه، فإن كنت قد اصبت ففضلا من الله ونعمة وإن كنت قد أخطأت فما أردت إلا الصواب ما استطعت وما التوفيق إلا من عند الله العزيز الحكيم

المؤلف

الفصل الأول

خانقاوات أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري ، أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادى

١ – الخانقاة الظاهرية برقوق

٧٨٦–٧٨٨هـ/١٣٨٤–١٣٨٦م

أثر رقم ١٨٧

أنشأ هذه الخانقاة العظيمة بشارع بين القصرين بالنحاسين الملك الظاهر أبو سعيد برقوق أول ملوك الشراكسة بمصر، وتقع بين مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ومدرسة الحديث الكاملية، وقد بنيت على أرض الخان الذى كان مملوكا لورثة الناصر محمد بن قلاوون بعد أن اشتراه الظاهر برقوق منهم سنة (٧٨٦هـ/١٣٨٤م).

وطبقا للمادة التاريخية التى أمكن الوقوف عليها فيما يتعلق بهذه الخانقاة فإن حديثنا عنها سينقسم إلى ست نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – أوقاف الخانقاة.

٣ – منشئ الخانقاة.

٤ – موظفو الخانقاة.

٥ – وصف الخانقاة.

٦ – ترميمات الخانقاة.

١– تاريخ الخانقاة:

ترك لنا بعض المؤرخين ولاسيما المقريزى والسيوطى وعلى باشا مبارك وغيرهم بعض المعلومات الهامة عن تاريخ هذه الخانقاة، فذكر المقريزى أنها بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية والذى أنشأها هو الملك الظاهر برقوق فى سنة ست وثمانين

وسبعمائة،(١) وجعلها خاصة لصوفية المذاهب الأربعة.(٢)

وكان السيوطى أكثر تحديدا من المقريزى فى حديثه عن تاريخ هذه الخانقاة حين قال أن الشروع فى عمارتها كان فى رجب سنة ست وثمانين (وسبعمائة) وانتهت فى (الثانى عشر) من رجب سنة ثمان وثمانين (وسبعمائة) وكان القائم على عمارتها الأمير جركس (الخليجى) أمير آخور.(٣)

وقد أشار (السيوطى) أيضا إلى بعض مما نظمه الشعراء فى هذه الخانقاة ومنه قول ابن العطار:

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة   فاقت على إرم مع سرعة العمل
يكفى الخليلى أن جاءت لخدمته   شم الجبال لها تأتى على عجل

وقول أخر لم يذكره:

الظاهر الملك السلطان همته   كادت لرفعته تسمو على زحل
وبعض خدامه طوعا لخدمته   يدعو الجبال فتأتيه على عجل(٤)

وواضح من الشعر تأكيد الرواية التاريخية التى تقول أن أحجار بناء هذه الخانقاة كانت تنقل من المحاجر بواسطة عجلات تجرها العجول ولذلك سميت (بالحجر العجالى) وأطلقت التسمية بعد ذلك على كل حجر كبير مشابه لهذه الأحجار.

اما على باشا مبارك فرغم أنه ذكر تاريخا يختلف مع ما اتفق عليه كل من المقريزى والسيوطى حين قال نقلا عن نزهة الناظرين أنه ابتدئ فى عمارتها سنة ثلاثة وثمانين (وسبعمائة) وفرغ منها سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، إلا أنه أضاف إلى ذلك قوله (وهى الآن عامرة مقامة الشعائر من جمعة وجماعة ولها منارة عظيمة... وليس بها اليوم (أى عهدة فى القرن ١٣هـ/١٩م) شئ من دروس العلم وتعرف بجامع برقوق وبمدرسة برقوق.)(٥)

ولم يقتصر الحديث عن كلام هذه الخانقاة على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تحدث عن هذا التاريخ أيضا كثير من الباحثين المحدثين، وقد أفاض علينا المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب ببعض المعلومات الهامة فى هذا الصدد حين قال أنها كانت أول منشأة معمارية فى دولة المماليك الجراكسة وكان بموضعها قبل إنشائها فندقا يعرف (بخان الزكاة) كان مملوكا لورثة الناصر محمد بن قلاوون، فاشتراه الظاهر برقوق من ورثته فى الثانى عشر من رجب سنة ست وثمانين وسبعمائة، وعهد إلى الأمير جركس الخليلى أمير آخور بالإشراف على العمارة فابتدئ بهدم الخان فى يوم الأحد الرابع والعشرين من رجب المشار إليه ووضع أساس المدرسة الخانقاة فى يوم الخميس أول شوال من نفس السنة، واستحضر لبنائها أحجار ضخمة أعد لها العجول لسحبها على عجل خصص لنقلها من الجبل، ومن ذلك الحين أطلق المعماريون على مثل هذه الحجارة الكبيرة اسم (الحجر العجالى).(٦٠)

ثم أضاف إلى ذلك أنه فى (١٤) جمادى الأولى سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م) نقل برقوق رفاة والده أنس وابن له من تربة الأمير يونس الدوادار إلى قبة هذه المدرسة، وفى يوم الخميس ١٢ رجب سنة (٧٨٨هـ) فرشت المدرسة الخانقاة بالحصر العبدانى (التى كان سمارها يؤخذ من جهة الفرما ويصنع بالاسكندرية) والأبسطة، واجتمع القضاه والعلماء والأمراء وأعدت لهم الأطعمة وملئت الفسقية بالسكر، وحضر الظاهر برقوق فعاينها وأنعم على الأمير جركس الخليلى وعلى معلم المعلمين شهاب الدين أحمد بن الطولونى مهندس البناء وعلى مماليك الخليلى الخمسة عشر الذين عاونوه فى مباشرة هذه العمارة، وأقيمت أول جمعة فيها فى العاشر من رمضان سنة (٧٨٨هـ) وحضر قاضى القضاة الحنفى وحكم بصحتها طبقا للتقاليد وقررت فيها دروس للمذاهب الأربعة علاوة على دروس التفسير والحديث والقراءات.(٧)

ورغم افتتاح الظاهر برقوق لهذه المدرسة الخانقاة فى الثانى عشر من رجب سنة (٧٨٨هـ) ونقله لرفاة والده وولده إلى قبتها – كما ذكرنا – إلا أن بقية مرافق الخانقاة كانت – على ما يبدو – لم تكتمل بعد فأكملها ابنه الناصر فرج سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م).(٨)

وقد اتفقت غالبية المراجع العربية على أن بناء هذه المدرسة الخانقاة كان قد أسند إلى أحمد بن محمد بن على بن عبد الله الطولونى كبير المهندسين بمصر على عهد الظاهر برقوق، وقد

عرف بالمعلم كأبيه وابنه محمد، وكان لهذه الأسرة الطولونية تقدمة الحجارين والبنائين بمصر، ونال ابن الطولونى هذا شهرة واسعة فى هذا المجال ولاسيما بعد أن صاهره السلطان الظاهر على ابنته سنة (٧٩٤هـ/١٣٩١م) فنال حظوة كبرى عنده ورقاه إلى رتبة الخاصكية ثم منحه لقب أمير عشرة، وانتدبه لعمارة المسجد الحرام التى تمت فى عهده فظل يتردد إلى مكه لمباشرة هذه العمارة إلى أن مات بعد الفراغ منها فى صفر سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م).⁽⁹⁾

ومما لا شك فيه أن هذه المدرسة الخانقاة كانت زاخرة بالعديد من الكتب والمراجع اللازمة لهذا العدد الهائل من الشيوخ والمدرسين والمعيدين والطلاب، ولاسيما فى مجالات العلوم التى كانت تدرس فيها وخاصة فقه المذاهب الأربعة وعلوم التصوف والقراءات والتفسير والحديث ونحوها، وقد أشارت الى ذلك فعلا بعض المراجع العربية.⁽١٠⁾

٢– أوقاف الخانقاة :

أفادنا ابن الجيعان فى القرنين (٨–٩هـ/١٤–١٥م) ببعض المعلومات الهامة عن أوقاف منشئ هذه الخانقاة، ومنها:

١– شنتنا عياش :

مساحتها (٥٩٦) فدانا كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للظاهر برقوق ومن يشركه⁽١١⁾

٢– بدسا :

مساحتها (٢٠٢٠) فدانا كانت للديوان السلطانى ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.⁽١٢⁾

٣– بهبيت :

مساحتها (١٧٠٩) فدان كانت للديوان السلطانى ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.⁽١٣⁾

٤– طهما :

مساحتها (١٥٥٠) فدانا كانت للديوان السلطانى ثم صارت وقفا للملك الظاهر

برقوق.(١٤)

٥ – أرض السرير:

مساحتها (١٩٤) فدانا عبرتها (١٠٠) دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(١٥)

٦ – الربيات :

عبرتها (١٩٨٠٠) دينار للأوقاف الظاهرية برقوق.(١٦)

٧ – بيديف :

مساحتها (٨٨٠) فدانا وعبرتها (٩٠٠) دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(١٧)

٨ – (بياض) من كفور سيلة :

مساحتها (٢٥٠) فدانا عبرتها (٦٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير طقتمر الأشرفى ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(١٨)

٩– دموه الداثر:

مساحتها (٧٣٠) فدانا وعبرتها (١٢٠٠) دينار كانت باسم محمد بن محمد بن تنكزبغا ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(١٩)

١٠ – سيلة وكفورها :

مساحتها (٣٦٠٩) فدانا وعبرتها كانت (٨٨٠٠) دينار ثم استقرت (٩٠٠) دينار، كانت باسم المقطعين ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(٢٠)

١١– شابة :

مساحتها (٥٤٤٣) فدانا عبرتها كانت (٢١,٠٠٠) دينار واستقرت (١٤٠٠) كانت للديوان السلطانى ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(٢١)

١٢- مقطول والربيات :

لم تمسحا وعبرتهما (٩٠٠٠) دينار كانت للديوان السلطانى ثم صارت وقفا للظاهرية برقوق.(٢٢)

١٣ - القطيعة :

مساحتها (١١٨١) فدانا وعبرتها (٦٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير آقتمر عبد المغنى ثم صارت وقفا للظاهر برقوق.(٢٣)

١٤- طهنهور وشقلقيل وجروفها :

مساحتها (٧٥٨٧) فدانا وعبرتها (٨٠٠٠) دينار كانت باسم ديوان الخاص الشريف ثم صارت للأوقاف الظاهرية برقوق.(٢٤)

ومن هذا يتضح أن جملة أوقاف الظاهر برقوق التى ذكرها ابن الجيعان فقط كانت تشتمل على سبعة وعشرون الفا وتسعمائة وتسعة وأربعون فدانا كانت عبرتها السنوية تبلغ ستون ألفا وسبعمائة دينار بيانها كما يلى:

مسلسل	جهـــة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصـــدر
١	شنتنا عياش	٠٥٩٦	–	التحفة السنية
٢	بدسـا	١٠٢٠	–	« «
٣	بهبيت	١٧٠٩	–	« «
٤	طهما	١٥٥٠	–	« «
٥	أرض السرير	٠١٩٤	١٠٠	« «
٦	الربيات	–	١٩٨٠٠	« «
٧	بيديف	٠٨٨٠	٠٠٩٠٠	« «
٨	(بياض) من كفور سيلة	٢٤٥٠	٠٦٠٠٠	« «
٩	دموه الدائر	٠٧٣٠	٠١٢٠٠	« «
١٠	سلة وكفورها	٣٦٠٩	٨٨٠٠	« «
١١	شابة	٥٤٤٣	٢١٠٠٠	« «
١٢	مقطول والربيات	–	٠٩٠٠٠	« «
١٣	القطيمة	١١٨١	٠٦٠٠٠	« «
١٤	طهنهور وشقلقيل	٧٥٨٧	٨٠٠٠	« «
	المجمـــوع	٢٧,٩٤٩	٦٠,٧٠٠	

٣ – منشئ الخانقاة :

تناول كثير من المؤرخين العرب ولاسيما المقريزى وابن اياس والسخاوى والحنبلى وابن ظهيرة والجبرتى وعلى باشا مبارك ترجمة السلطان الظاهر برقوق بالحديث، فأشار المقريزى إلى أن السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنس هو أول سلاطين دولة المماليك الجراكسة بمصر، أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القلزم فجلبه الخواجا فخر الدين عثمان بين مسافر إلى القاهرة فاشتراه الأمير الكبير يلبغا الخاصكى الناصرى حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الأجلاب وعرف من ثم ببرقوق العثمانى.

ولما ولى الملك الأشرف شعبان أخرج المماليك الأجلاب ومنهم برقوق من مصر إلى الكرك، فأقام مسجونا بها مع رفقائه عدة سنين إلى أن أفرج عنهم فمضوا إلى دمشق وخدموا عند الأمير منجك نائب الشام ثم عاد الأشرف وطلب وطلب هؤلاء اليلبغاوية فقدموا إلى مصر واستقروا – ومن بينهم برقوق أيضا – فى خدمة ولديه على وحاجى، إلى أن خرج السلطان إلى الحج فثاروا عليه بعد سفره وسلطنوا ابنه عليا، وقام على تدبير أمور الدولة منهم الأمير قرطاى الشهابى حتى أخرجه اينبك البدرى وقام هو بتدبير هذه الأمور.

وظل الأمر على ذلك الاضطراب حتى ركب برقوق وهو إذ ذاك أتابك عسكر الصالح حاجى فى ثالث عشرى ربيع الآخر سنة (٧٨٤هـ) فى طائفة من خشداشيته وهجم على باب السلسلة وقبض على الأمير يلبغا الناصرى وملك الاصطبل ومازال به حتى خلع الصالح حاجى وتسلطن بدلا منه فى يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان من السنة المشار إليها فغير العوائد وأفنى كثيرا من رجال الدولة واستكثر من جلب الجراكسة إلى أن ثار عليه الأمير يلبغا الناصرى (الذى كان يومئذ نائب حلب) ففر برقوق من القلعة فى خامس جمادى الأولى سنة (٧٩١هـ) وتملك الناصرى زمام الأمور فأعاد الصالح حاجى ولقبه بالملك المنصور وقبض على برقوق وبعثه إلى سجن الكرك.

وبقى برقوق بسجن الكرك للمرة الثانية حتى ثار الأمير منطاش أمير ملطية على الناصر وقبض عليه وسجنه بالأسكندرية، فخرج برقوق من سجنه وسار إلى دمشق فى عسكر كان قد

جمعه وحارب منطاش الذى توجه لملاقاته بظاهر دمشق فهزمه واستولى على ما معه من الخزائن وأخذ الخليفة والسلطان حاجى والقظاة وصار إلى مصر فوصلها فى رابع عشر صفر سنة (٧٩٢هـ) واستبد بالسلطنة حتى مات للنصف من شوال سنة (٨٠١هـ) فكانت مدته أتابكا وسلطانا إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما، خلع فيها ثمانية أشهر وتسعة أيام.(٢٥)

اما ابن إياس فقد ذكر أن برقوق هذا هو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية والثانى من ملوك الجراكسة إن كان المظفر بيبرس جركسيا ثم عاد وأخذ بالرأى القائل أنه أول ملوك الجراكسة لأن بيبرس المشار إليه كان تركى الجنس واتفق مع ما ذكره المقريزى –فيما سبقت الإشارة إليه – من انه تسلطن لأول مرة فى التاسع من رمضان سنة (٧٨٤هـ) وأضاف أن ذلك تم بعد أن اجتمع الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد والقضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وخطب الخليفة المتوكل خطبة بليغة ثم بايعه على السلطنة وقلده أمور المملكة ثم بايعه بعد الخليفة القضاة والأمراء.

ثم أشار نقلا عن السراج البلقينى أن يكون لقبه «الملك الظاهر» لأن الوقت كان وقت ظهيرة، ولأن الأمر كان قد ظهر بعد أن كان خافيا، فتلقب بهذا اللقب وركب فرس الدوبة من الحراقة من المقعد بالإسطبل السلطانى من باب السلسلة وعلى رأسه القبة والطير، وطلع من باب السر إلى القصر الأبلق وأمطرت السماء عند ركوبه فتفاءل الناس بيمين سلطنته ومشيت الأمراء والأعيان بين يديه إلى أن نزل ودخل القصر المشار إليه وجلس على تخت الملك، وكان على طالعه برج الحوت فدقت البشائر بقلعة الجبل عند ركوبه وزينت القاهرة ومصر ونودى فيهما بالدعاء له.(٢٦)

كذلك فقد فصل ابن إياس فى شرح أحداث ولايته الثانية حين قال أنه – بعد أن خرج من سجنه وجمع عساكره – أقام نهاره على بركة الصالحية فى العاشر من صفر سنة (٧٩٢هـ) وأعيان الدولة تأتيه فوجا بعد فوج ثم رحل من غده صحبة الخليفة والملك المنصور حاجى والقضاة متوجها إلى مصر فنزل بالريدانية خارج القاهرة فى الرابع عشر من صفر المشار إليه فخرج الأعيان من العلماء والأمراء إلى لقائه ومعهم الأشرف وطوائف الفقراء وأذكارها ومشايخ الخوانق بصوفيتها وظل الموكب حتى عاد الملك الظاهر حيث نزل من القلعة واستدعى الخليفة وقضاة القضاة والشيخ

سراج الدين عمر البلقينى والأمراء وأعيان الدولة فجددوا عقد السلطنة والتفويض الخليفى له، فركب من الإسطبل السلطانى بباب السلسلة وعليه شعار الملك وطلع إلى القلعة ونزل إلى القصر وجلس على التخت فزفت البشائر وعملت التهانى والأفراح بالقلعة وفى دور الأمراء وأهل الدولة، فكان هذا اليوم من الأيام التى لا يقع مثلها إلا نادرا.(٢٧)

ورغم تكرار السخاوى لبعض المعلومات التى ذكرها كل من المقريزى وابن إياس فيما يتعلق بترجمة الظاهر برقوق، إلا أنه أضاف إلى هذه المعلومات أبعادا جديدة حين قال أن اسمه عندما اشتراه يلبغا الكبير من الخواجا عثمان كان «الطنبغا» ثم سماه هو برقوقا لنتؤ فى عينيه وأنه مات على فراشه ليلة النصف من شوال سنة (٨٠١هـ) بعد أن عهد بالسلطنة لولده فرج وله يومئذ تسع سنين.(٢٨)

كذلك فقد تكلم القاضى مجير الدين الحنبلى فى القرن (١٠هـ/١٦م) عن ترجمة الملك الظاهر برقوق، فأشار فى جزء منها إلى ما ذكره المؤرخون المشار إليهم ولاسيما فيما يتعلق بأحداث ولايته الأولى والثانية، وأضاف إلى ذلك أنه فى أيامه عمرت دكة المؤذنين التى بالصخرة الشريفة تجاه المحراب إلى جانب المغارة بمباشرة ناظر الحرمين ونائب القدس الشريف الناصرى محمد بن السيفى بهادر الظاهرى، وكان ذلك فى مستهل شوال سنة (٧٨٩هـ) كما عمرت بالبركة التى بظاهر القدس من جهة الغرب وهى المعروفة ببركان السلطان، وكانت عمارتها سنة وفاته فى (٨٠١هـ/١٣٩٨م).(٢٩)

ولم يضف ابن ظهيرة فى حديثه عن ترجمة الظاهر برقوق شيئا على ما ذكرته المصادر المشار إليها، فكان مجمل ما أشار إليه أن ولايته الأولى كانت فى ١٩ رمضان سنة (٧٨٤هـ) ثم خلع فى ١٦ جمادى الآخرة سنة (٧٩١هـ) واستمر معزولا ثمانية أشهر وتسعة أيام، ثم أعيد سلطانا للمرة الثانية واستمر تسع سنين وتسعة أشهر.(٣٠)

اما الجبرتى فقد أشار إلى أن الظاهر برقوق كان غاية فى المكر والدهاء ظل يدبر لنفسه حتى عزل ابن الأشرف وأخذ السلطنة، فانتهت به سنة (٧٨٤هـ) دولة القلاوونية وظهرت على يديه دولة الجراكسة التى استمرت منذ هذا التاريخ إلى عهد الأشرف قانصوة الغورى سنة

(٩٢٣هـ/١٥١٧م) فكانت مدة هذه الدولة (١٣٩) سنة(٣١) وأخيرا لم يخرج على باشا مبارك فى ذكره للظاهر برقوق عن إطار المعلومات المشار إليها.(٣٢)

ولم يقتصر الحديث فى ترجمة الظاهر برقوق على ما امتلأت به بطون المصادر العربية فيما سبقت الإشارة إلى بعض منه، وإنما تكلم عن هذه الترجمة أيضا كثير من الباحثين المحدثين، وكان صفوة ما ذكروه باستثناء ما سبقت الإشارة إليه من أحداث وأخبار، أنه كان قد ترقى فى كثير من الوظائف من الجندية إلى الطلبخانة إلى أمير مائة ومقدم ألف ثم أمير آخور،(٣٣) وأنه صار أتابكا للعسكر فى دولة المنصور على، ووصفه بعض المؤرخين بالشجاعة والميل للفروسية وإجادة اللعب(٣٤) بالرمح، وأن ملكه كان قد اتسع حتى خطب باسمه فى ماردين والموصل وسنجار وغيرها، وأنه لما مات دفن بالصحراء مع مجموعة من العلماء والصالحين منهم الشيخ علاء الدين السيرامى وأنه أوصى ببناء تربة عليهم يلحق بها مسجد وخانقاة، فنفذ ابنه الناصر فرج هذه الوصية، وأنه كان محبا للعمارة فأجرى إصلاحات كثيرة فى الحرمين المكى والمدنى، وجدد خزائن السلاح بالاسكندرية، وسور دمنهور، وعمر زاوية البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس وأصلح قناطر المياه بمصر، وأنشأ قبة الشيخ رجب الشيرازى بالمحجر سنة (٧٨١هـ/١٣٧٩م) ثم المدرسة الخانقاة التى بين أيدينا.(٣٥)

يضاف إلى ذلك ما ذكرته بعض المراجع الأخرى من أن برقوق هذا كان قد جاء بعد فترة تحكم لبعض الأمراء الأقوياء من خلفاء الناصر محمد ولاسيما قوصون وشيخو وصرغتمش، فانهى بذلك تحكم الأمراء فى السلطنة بعد أن استولى عليها لنفسه سنة (١٣٨٢م).(٣٦)

وآخر ما يمكن ذكره فى هذا الصدد مما أشارت إليه المراجع العربية الحديثة أن خطة الظاهر برقوق للاستيلاء على السلطنة كانت قد اعتمدت على أمرين بالغى الأهمية بالنسبة لرجال الدين وعامة الشعب، ومنها ضمان الملح الذى كان مقررا على عينتاب، وضمان المغانى الذى كان مقررا على الكرك والشوبك وحماه، وضمان قمح المؤونة الذى كان مقررا على دمياط وفارسكور، بالإضافة إلى ما كان مقررا على أهل البرلس، وثانيهما أنه تصدى لسياسة بركة الاقتصادية والاجتماعية تجاه العامة وكان قد توعدهم بركة بالقتل فنادى فيهم برقوق أن من سخركم اقبضوا عليه وأحضروه إلى فاطمأنوا إليه وزاد تعصبهم له، وهكذا قضى برقوق على بركة تدريجيا بعد أن

قرب الجراكسة إليه وجمع شملهم وبوأهم كثيرا من المراكز الهامة وأقطعهم الإقطاعات الكبيرة.(٣٧)

ورغم كل ما بذله برقوق من مال وإنعامات وإقطاعات إلا أن دولته الأولى كانت قد تعثرت بسبب الكثير من المشاكل حتى لم يبق معه إلا حوالى خمسمائة من مماليكه،(٣٨) فلم يجد بدا -كما يقول ابن تغرى بردى- من إرسال النجاة إلى يلبغا الناصرى سنة (١٣٨٨هـ) وطلب منه الأمان فأجيب إليه بشرط أن يختفى عن الأنظار بضعة أيام حتى تهدأ الفتنة،(٣٩) ثم ما لبثت الأمور العسكرية أن عادت لصالح برقوق فتوالت ثورات الظاهرية لإعادته، ثم عمت هذه الثورات القاهرة وبلاد الشام والوجهين البحرى والقبلى، فقرر العودة إلى السلطنة بعد أن خلع المظفر حاجى نفسه منها وأشهد عليه الخليفة والقضاة.(٤٠)

وقد استفاد برقوق فى ولايته الثانية كثيرا من أخطائه السابقة فاعتمد فى هذه الولاية على سياسة جديدة قامت على جركسة الدولة كلية فعين سودون الشيخونى نائبا للسلطنة وإينال اليوسفى أتابكا للعسكر، كما قامت على ضرورة الاستفادة من العلاقة السيئة التى كانت بين الأشرفية واليلبغاوية، وأخيرا على تقريب بعض الأمراء والأتراك حتى لا يتهم بالعنصرية فولى الطنبغا الجوبانى التركى رأس نوبة ويلبغا الناصرى التركى أمير سلاح.(٤١)

٤ – موظفو الخانقاة:

الواقع أن ما أمكن الوقوف عليه من معلومات ذكرها كل من السخاوى وابن حجر والسيوطى وابن الصيرفى وابن العماد وابن ظهيرة وغيرهم، خاصا بتراجم بعض موظفى هذه الخانقاة، يجعل حديثنا عن هؤلاء الموظفين منحصرا فى ثلاثة أقسام يختص أولها بأئمة الخانقاة وشيوخها ومدرسيها لغير المذاهب، ويختص ثانيها بمدرسي المذاهب فيها من الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، ويختص ثالثها بصوفية الخانقاة.

أ – أئمة الخانقاة وشيوخها لغير المذاهب :

مما لا شك فيه أنه كان للمادة التاريخية التى وردت فى بطون المصادر العربية مما أمكن الوقوف عليه أكبر الفضل فى التعرف على بعض أئمة الخانقاة وشيوخها لغير المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، وطبقا لهذة المادة فإنه يمكن القول إن هؤلاء ينحصرون فى :

١– أئمة الخانقاة.

٢– شيوخ الصوفية.

٣– مدرسو القراءات.

٤– مدرسو التفسير.

٥– مدرسو الحديث.

وفى هذا الصدد يقول السخاوى أن من آثار الظاهر برقوق المدرسة الفائقة بين القصرين لم يتقدم بناء قبلها فى القاهرة، وسلك (الظاهر) فى ترتيب من قرره بها مسلك شيخون فى مدرسته، فقرر فيها أربعة من المذاهب وشيخ تفسير وشيخ إقراء وشيخ حديقث وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة،(٤٢) وقد أمكن الوقوف على بعض تراجم تمثل هذه الطوائف كلها باستثناء شيوخ الميعاد التى لم نعثر منها على ترجمة واحدة تثبت صحة ما ذكره السخاوى وإن كنا مع ذلك لا نميل إلى تكذيبه أو عدم التصديق بما أشار إليه.

١ – أئمة الخانقاة :

لم نعثر من أئمة هذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها ابن حجر فى القرن (٨هـ/١٤م) وترجمة على بن محمد بن الحسن الخلاطى الحنفى الملقب بالقادوس لطول تكوير عمامته، والمعروف بالركابى لأنه كان يزعم أن عنده ركاب رسول الله (ص)، وتفقه واشتغل وتقدم «ودرس بالظاهرية وولى إمامتها وهو أول من أم بها ..مات فى النصف من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعمائة.»(٤٣)

٢- شيوخ الصوفية بالخانقاة :

حفظت لنا مؤلفات كل من ابن حجر وابن الصيرفى والسخاوى والسيوطى بعض تراجم شيوخ الصوفية بهذه الخانقاة، فذكر منهم ابن حجر أحمد بن محمد علاء الدين السيرامى الحنفى الذى اشتغل وتفقه حتى برع فى الفقه والأصول والمعانى والبيان، وتنقل بين ماردين وحلب إلى أن أنشأ الظاهر برقوق مدرسته التى بين القصرين ، واستدعاه لها فقدم القاهرة سنة (٧٨٨هـ) واستقر به شيخ الصوفية ومدرس الحنفية بالخانقاة فى ثانى عشر رجب من السنة المشار إليها، وكان موصوفا بالديانة والخير والانجماع والتواضع، مات فى ثالث جمادى الأولى سنة (٧٩٠هـ).(٤٤)

وأشار ابن الصيرفى فى ثنايا كلامه عن حوادث شهر جمادى الآخرة سنة (٨٧٥هـ) إلى أن القاضى عز الدين البلقينى الشافعى الشهير بشفتر «ضرب من الأمير جانبك الفقيه المشهور بتاجره ططخ الظاهرى الأمير أخور الكبير علقه على مقاعده » وسببها أنه كان باسمه تصوفا بالظاهرية برقوق والصوفية لهم مدة لم يصرف لهم معلوما والمباشرون بالوقف يصرفون لمن يختارون من الصوفية ويمنعون من يختارون..وهذه الحادثة من أقبح ما يكون فى حق الفقهاء فلاقوه إلا بالله.»(٤٥)

كذلك فقد أورد السخاوى من تراجم شيوخ الصوفية بالبرقوقية ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن عثمان السيوطى الأصل الطولونى الشافعى المعروف بابن الأسيوطى، ولد يتيما فى مستهل رجب سنة (٨٤٩هـ) وأمه تركية فلزم إينال الأشقر «حتى قرره فى تدريس الحديث بالشيخونية وفى مشيخة التصوف بتربة برقوق، مات فى رمضان سنة (٨٧٣هـ) مطعونا مبطونا غريبا ودفن بحوش صوفية البيبرسية».(٤٦)

٣ – مدرسو القراءات :

لم نعثر من تراجم مدرسى القراءات بهذه الخانقاة إلا على ترجمتين ذكر أولاهما السخاوى فقال أن «عبد الرازق بن أحمد بن ابى بكر الزينى البقلى (لسكناه بزاوية على البقلى) القاهرى الحنفى ولد سنة (٨٤٥هـ) فحفظ وجود إلى أن قدم على غيره فى تدريس القراءات بالبرقوقية بعد ابن أبى الفضل بن أسد»(٤٧) وذكر ثانيتهما ابن العماد الحنبلى فقال أن «فخر الدين عثمان بن

إبراهيم بن احمد الشيخ الإمام البرماوى الشافعى شيخ قراء مدرسة الظاهر برقوق كان إماما بارعا فى معرفة القراءات عالما باللغة والحديث وتصدر للقراء عدة سنين»(٤٨) ثم اضاف السيوطى إلى هاتين الترجمتين أن فخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر كان قد استقر به مدرسا للقراءات بالبرقوقية.(٤٩)

٤ – مدرسو التفسير:

وقفنا من هؤلاء على ترجمتين ذكر أولاهما السخاوى فقال «أحمد بن عباس بن أحمد ابن عمر المناوى (نسبة لمنية مسود بالمنوفية) الأزهرى الشافعى، لازم ابن الصيرفى وقرأ عليه فى البرقوقية حين استقر (ابن الصيرفى) فى التفسير بها»(٥٠) وفى هذا دلالة واضحة على أن ابن الصيرفى الشهير صاحب «إنباء الهصر» وغيره كان ممن درسوا التفسير بالخانقاة التى بين أيدينا، وقد أشارت بعض المراجع العربية إلى أن سراج الدين البلقينى كان قد عين مدرسا للتفسير بهذه المدرسة وكفاها به وبابن الصيرفى فخرا.(٥١)

٥ – مدرسو الحديث:

أشار كل من السيوطى وابن ظهيره وابن العماد إلى واحد ممن تولوا تدريس الحديث بهذه الخانقاة، فذكر السيوطى أن احمد زاده العجمى كان قد استقر مدرسا للحديث بالبرقوقية (٥٢) وفى تعليق على إشارة ابن ظهيرة للعلامة شمس الدين القاياتى قال المحقق«هو محمد بن على بن يعقوب قاضى القضاة الشافعى النحوى (٧٨٥–٨٥٠هـ) برع فى الفقه والعربية ودرس الحديث بالبرقوقية»(٥٣) ثم أورد ابن العماد أن الظاهر كان قد رتب فخر الدين الدمياطى لتدريس الحديث فى الإيوان الشرقى من الخانقاة.(٥٤)

شيوخ الميعاد:

لم نعثر من تراجم شيوخ الميعاد فى هذه الخانقاة إلا على ما ذكره السيوطى بقوله «وقرر فيها الشيخ سراج الدين البلقينى مدرس التفسير وشيخ الميعاد»(٥٥) ومما سبق يتضح أن مذاهب أهل هذه الطائفة من أئمة الخانقاة وشيوخها ومدرسيها لم تخرج عن الحنفية والشافعية، وهو ما يشير

إلى غالبية هذين المذهبين على مذهبى المالكية والحنابلة اللذين كانا قد قرر تدريسهما فى هذه الخانقاة إلى جانب الحنفية والشافعية.

ب – مدرسو المذاهب :

حفلت المصادر العربية بكثير من تراجم مدرسى المذاهب بهذه الخانقاة من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وفيما يلى بعض تراجم من أمكن الوقوف عليهم فى هذا الصدد:

١– شيوخ الشافعية :

ترك لنا كل من ابن الصيرفى والسيوطى ترجمة واحد من شيوخ الشافعية بالبرقوقية، فذكر ابن الصيرفى فى معرض كلامه عن وفيات شهر ربيع الأول سنة (٨٧٧هـ) ان «شيخ الإسلام سراج الدين بن عمر الشافعى شيخ الشافعية مطلقا بالديار المصرية فى الفقه ..كان مولده فى أو القرن (التاسع الهجرى) وقرأ على العراقى والقمنى وغيرهما وأفتى ودرس وهو ابن ثلاثين سنة، أخذ مشيخة سعيد السعداء فى دولة الظاهر خشقدم، ثم أخذ تدريس الفقه بالظاهرية برقوق،»(٥٦) أما السيوطى فقد أشار إلى أن أوحد الدين الرومى كان قد استقر مدرسا للشافعية بالخانقاة الظاهرية برقوق.(٥٧)

٢– مدرسو الحنفية :

ذكر السيوطى من مدرسى الحنفية بهذه الخانقاة الشيخ علاء الدين السيرامى حين قال «واستقر علاء الدين السيرامى مدرس الحنفية بها وشيخ الصوفية وبالغ السلطان فى تعظيمه حتى فرش سجادته بيده»(٥٨)

٣ – مدرسو المالكية :

أفادنا كل من السيوطى والسخاوى بترجمة واحدة من تراجم مدرسى المالكية بهذه الخانقاة ، فقال السيوطى أن شمس الدين بن مكين كان قد استقر مدرس المالكية بالبرقوقية(٥٩) (وكان ذلك على عهد الظاهر نفسه عند افتتاحها)، ثم أشار السخاوى إلى أن عبادة بن على بن صالح بن

عبد المنعم بن سراج الأنصارى الخزرجى الزرزارى القاهرى المالكى الذى ولد فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين بزرزار من قرى مصر وقرأ بها ثم انتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع إلى أن «درس للمالكية فى البرقوقية بعد ابن عمار حتى مات فى السادس من شوال سنة ست وأربعين (وثمانمائة)».(٦٠)

٤ – مدرسو الحنابلة :

ترك لنا كل من السيوطى وابن العماد ترجمة واحد من مدرسى الحنابلة بالبرقوقية فقال السيوطى أن صلاح الدين ابن الأعمى كان قد استقر مدرس الحنابلة بالخانقاة بأمر من الظاهر برقوق عند افتتاحها،(٦١) وذكر ابن العماد أن جلال الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد بن عمر التسترى الأصل ثم البغدادى الحنبلى نزيل القاهرة ولد سنة (٧٣٠هـ) وتربى على يد الشيخ الصالح أحمد السقا وتعلم على يد كمال الدين الأنبارى ثم قدم القاهرة وقرر فى تدريس الحنابلة بمدرسة الظاهر برقوق.(٦٢)

جـ – صوفية الخانقاة :

لم نعثر من تراجم صوفية الخانقاة إلا على من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ/١٦م) حين قال أن خليل بن عبد الله خير الدين البابرتى العينتابى الحنفى نزيل القاهرة قدم من البلاد الشامية فتنزل بالصرغتمشية واشتغل كثيرا ثم بالبرقوقية فى أيام العلاء(يقصد العلاء السيرامى شيخ الصوفية ومدرس الحنفية بالخانقاة).(٦٣)

وأن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزيل بن أحمد الشهاب أبو العباس الأنصارى السعدى المكى الأصل ثم القاهرى نزيل البرقوقية عرف بابن عباس الحجازى، ولد بالحجاز سنة (٧٥٠هـ) ثم انتقل منها إلى القاهرة مع الزكى الخروبى فأقام بها حتى مات بالبيمارستان المنصورى بالطاعون سنة إحدى وأربعين (وثمانمائة).(٦٤)

وأن حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن كامل البدر القطى ثم القاهرى عرف بالفقيه، ولد بعد القرن بيسير بمنية القط من الشرقية وقدم القاهرة فانتمى لبعض صوفية الشيخونة

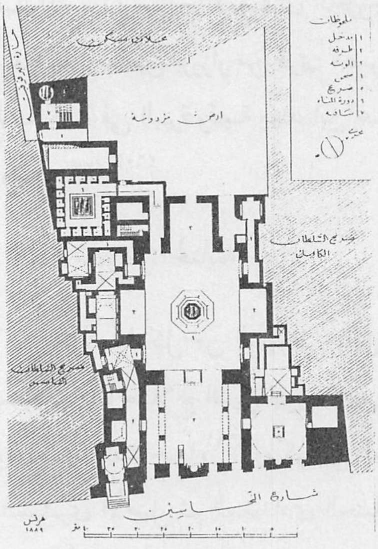
ملحوظات
١ مدخل
٢ طرقة
٣ الوينه
٤ صحن
٥ ضريح
٦ دورة المياه
٧ ساقيه
عمارات سكن
ارض مزروعة
ضريح السلطان الكامل
ضريح السلطان الناصر
شارع النحاسين
مرقس
١٨٨٩

لوحة ١٦ : الخانقاة الظاهرية (برقوق) أثر رقم ١٨٧ (٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ – ١٣٨٦م) مسقط افقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

فعلمه الخط وتزوج بعمة السخاوى فساعده فى التنزل بصوفية البرقوقية إلى أن مات فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين (وثمانمائة) ودفن بالمرجوشية.(٦٥)

٥ – وصف الخانقاة: (انظر: لوحة: ١٦)

تقع هذه المدرسة الخانقاة بمنطقة النحاسين بشارع المعز لدين الله الفاطمى بحى الجمالية من القاهرة ويجاورها من الناحية الشمالية الشرقية مدرسة الحديث الكاملية ومن الناحية الجنوبية الغربية مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، أما الناحية الشمالية الغربية فكانت موقعا لطباق الصوفية التى ألحقت بهذه الخانقاة، وقد بنيت هذه المدرسة الخانقاة على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد الذى يتكون من صحن فى الوسط تحيط به أربعة إيونات أكبرها إيوان القبلة علاوة على الضريح وقاعات الشيوخ وخلوات الصوفية وخزانة الكتب وأبنية المرافق العامة مثل المطبخ والحمام وحظيرة الدواب والساقية ونحو ذلك.

والحقيقة أن مسقط الخانقاة بشكل عام لم يختلف عن مسقط المدرسة فى شئ إلا أنه فى بعض الأحيان كانت خلوات الصوفية تعمل فى جناح منفصل وذلك فى حالة اجتماع المدرسة والخانقاة فى مبنى واحد مثلما حدث فى المدرسة التى بين أيدينا حيث عملت الخلوات منفصلة فى أربع وحدات سكنية خلف المدرسة بالجهة الغربية(٦٦) وفيما يلى وصف معمارى زخرفى لهذه الخانقاة:

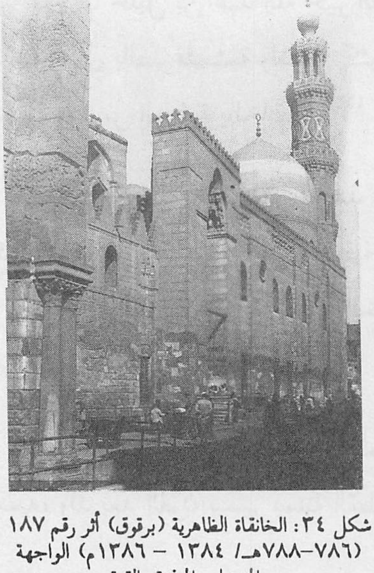

شكل ٣٤: الخانقاة الظاهرية (برقوق) أثر رقم ١٨٧ (٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ – ١٣٨٦م) الواجهة والمدخل والمئذنة والقبة

الواجهة الرئيسية : (أنظر: شكل : ٣٤)

تطل هذه الواجهة على شارع المعز لدين الله، وقد اهتم بها المعمار اهتماما كبيرا فجعل بها قاعدة المئذنة وواجهة القبة والإيوان الشرقى والمدخل الرئيسى، وتمتد هذه الواجهة بطول (١٧,١٠م) وارتفاع (١٧,٩٠م) من مستوى أرضية الطريق، وتشتمل على أربع دخلات (تجويفات) عرض كل منها (٦,٧٠م)، وزعت زيادة فى التأنق بواقع دخلتين كبيرتين ثم دخلتين صغيرتين.

ويتصدر كل دخلة من هذه الدخلات شباكان معقودان لكل منهما عتب مستو من صنجات رخامية معشقة ذات لونين أسود وأبيض على شكل ورقة نباتية ثلاثية، وتنحصر هذه الشبابيك بين كتفين يكتنف كل منهما عمودان لكل منهما تاج كورنثى الشكل، وقد عملت هذه الشبابيك بواقع أربعة تطل على إيوان القبلة واثنين يطلان على الضريح.

أما الجزء العلوى من هذه الدخلات فيشتمل فى الدخلتين الأولى والثانية على شباكين آخرين لكل منهما عقد مدبب تزينه عناصر زخرفية من فروع وأوراق نباتية تعلوه قمرية دائرية، أما بالنسبة للدخلتين اللتين يكتنف كلا منهما شباكان فقد خوصتا بصفين من المقرنصات الحجرية بشكل أكبر من مثيلتيهما الصغيرتين ومعنى ذلك أن المعمار جعل فى كل دخلة صفين من النوافذ، العلوى منها عبارة عن شبابيك صنعت من الخشب بدلا من الجص المفرغ كما فى جامع ألماس ومدرسة بيدمر البدرى وهما من الأمثلة النادرة فى عمارة المماليك.(٦٧)

ويعلو هذه الشبابيك أعلا الواجهة شريط من الكتابات النسخية المملوكية يمتد بطول الواجهة يشتمل على نص إنشاء المدرسة الخانقاة نقرأ فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٦٨) أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاة مولانا (٦٩) السلطان (٧٠) الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق سلطان الإسلام والمسلمين نصرة الغزاة والمجاهدين حامى حوزة الدين (٧١) ذخر الأيتام والمساكين كنز الطالبين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية (٧٢) عز نصره وذلك فى مباشرة

العبد الفقير إلى الله تعالى المقر السيفى جركس الخليلى أمير آخور الملك الظاهر أبوسعيد برقوق أدام الله أيامه بمحمد وآله يارب العالمين وكان الفراغ مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة.(٧٣)

وتنتهى الواجهة بصف من الشرفات الحجرية المسننة على شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص طول الواحدة منها (١,١٤)متر وعرضها (٥٢،)متر.

القبة من الخارج:

تكون هذه القبة جزءا من الواجهة التى نتحدث عنها، وهى قبة بسيطة الشكل إذا ما قورنت بباقى القباب التى بنيت فى هذا العصر، وقد عملت من الآجر وكسيت بطبقة من الجص، واشتملت على كورنيش من مقرنصات ذات شكل مجوف فى الصف العلوى وشكل مصمت فى الصف السفلى فتحت أسفله قمريات لإضاءة الضريح وتهويته، ولا تبعد هذه القبة عن المئذنة إلا بمسافة (٣٢،) متر حتى أنه ليخيل لمن يسلك الطريق ناظرا لها أنها ملتصقة بالمئذنة مباشرة.

المئذنة : (راجع شكل ٣٤)

تقع هذه المئذنة الضخمة فى أقصى الطرف الجنوبى من واجهة المدرسة، وتتكون من ثلاثة دورات تقوم على قاعدة مثمنة يعلوها فى الدورة الأولى بدن مثمن الشكل أيضا فتحت فى جوانبه دخلات معقودة أقيمت كل منها على ثلاثة أعمدة، ويوجد بين كل دخلتين شرفة صغيرة بنيت على مجموعة من الكوابيل الحجرية وقد زخرف المعمار المساحة المحصورة بين كل شرفتين بوريدة صغيرة تشبه تلك الوريدات الموجودة بواجهة الجامع الأقمر.

ويلى هذا البدن فى الدورة الأولى مباشرة شرفة مستديرة أقيمت على كورنيش من المقرنصات الحجرية زخرفها المعمار بأشكال حجرية مفرغة تتألف من عناصر نباتية دقيقة عرفت باسم زخارف الدانتيلا، ويعلو هذه الشرفة من أعلى مجموعة من الرؤس المستديرة التى عرفت بالبابات ، وبمعنى آخر فإن هذه الشرفة تشتمل على مجموعة من الشقق الحجرية ذات الزخارف النباتية الدقيقة يقوم فوق كل شقة منها ويحددها رأسان رمانيان مما اصطلح على تسميتها باسم

البابات.

وفوق الدورة الأولى عملت الدورة الثانية وهى ذات بدن دائرى يقوم على كورنيش آخر من مقرنصات ذات ثلاث حطات تشبه تماما مقرنصات الدورة الأولى، وأهم ما يميز هذه الدورة أن بدنها لبس بقطع رخامية متماثلة الشكل تعد الأولى من نوعها فى هذا الصدد وتلتها مئذنة القاضى يحيى زين الدين (٨٤٨هـ/١٤٤١م) بشارع بين النهدين بالأزهر.(٧٤)

أما الجوسق فهو عبارة عن مجموعة من أعمدة مندمجة تحمل شرفة حجرية صغيرة تعلوها قلة تمثل حلقة الانتقال من المبخرة الأيوبية إلى القلة المملوكية، هذا ويصعد إلى هذه المئذنة عن طريق سلم حجرى حلزونى فى جانبها الغربى يلتف صاعدا حول عمود داخلى حتى يصل إلى الشرفة الثالثة، ومع أن هذه المئذنة تمثل طراز المآذن المملوكية فإنها أقل رشاقة من مآذن قايتباى وأجمل من مآذن السلطان حسن.(٧٥)

المدخل الرئيسي: (راجع شكل ٣٤)

يبرز هذا المدخل عن سمت الواجهة ويؤدى إليه سلم ذو مطلعين تتصدره دروة تتكون من شقق حجرية ذات بابات من الرخام الجيد، أما المدخل نفسه فعرضه (٢,٥٠) متر يعلوه عتب مستو من صنجات رخامية معشقة بلقاء ذات لونين أبيض وأسود، وفوق هذا العتب المستوى عقد عاتق تعلوه قمرية زخرفت على شكل الطبق النجمى لتهوية وإنارة الدركاة عند غلق الباب، ويغطى هذا المدخل من أعلى عقد ثلاثى الفصوص خوص داخله –فيما عدا فصه العلوى– بست حطات من مقرنصات حجرية ذات دلايات هذا وتنتهى الواجهة أعلا المدخل بشرفات حجرية مسننة ارتفاع كل منها (١,١٤)متر وعرضها (٥٢،)متر.(٧٦)

كذلك يكتنف المدخل مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٢,٠٢) متر وعرضها (٨٠،)متر وارتفاعها (٨٩،)متر يعلوهما شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية من الزخارف النباتية الدقيقة نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة

وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين». (٧٧)

هذا ويحيط بكتلة المدخل جفت لاعب ذو ميمات دائرية يمتد حول المدخل حتى رجلى عقده، أما الباب نفسه فعرضه (١,٢٥)متر ويتكون من مصراعين من الخشب المصفح برقائق النحاس المزخرف بأطباق نجمية أهمها طبق نجمى فى الوسط يكتمل شكله عند غلق المصراعين، وقد ثبتت هذه الرقائق بمسامير حديدية ذات رؤوس نجمية ونقش فى صرة الطبق النجمى الأوسط كتابة نسخية تقول «عز لمولانا السلطان الملك الظاهر برقوق» وهذا الباب أقرب المصاريع شبهها بمصراعى مدرسة السلطان حسن القائمتان حاليا بجامع المؤيد وكلاهما من أنفس المصاريع النحاسية فى مصر. (٧٨)

دركاة المدخل :

يؤدى المدخل المشار إليه إلى رحبة مستطيلة طولها (٤,٨٠)متر وعرضها (٣,٥٤)متر يغطيها عقد مدائنى ثلاثى الفصوص خوص داخله بثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات ويتصدر هذه الرحبة مصطبة طولها (٨,١٠) متر وعرضها (١,٥٣)متر وارتفاعها (٠,٧٨)متر فتح فى جدارها الشرقى كتبية خشبية، ويتصدرها شباك مستطيل به أرماح ومخززات معدنية يطل على الدور الأول من طباق الصوفية.

وإلى الغرب من فتحة المدخل توجد مصطبة ثانية طولها (٢,١٠)متر وعرضها (٠,٦٩)متر وارتفاعها (٠,٨٠) يعلوها عقد مدبب ولا توجد بها أية نوافذ علوية.

وفى الجدار الشمالى لهذه الدركاة يوجد المدخل المؤدى إلى الصحن عن طريق الدهليز يعلوه عقد مدبب فوقه شباك مستطيل به أرماح ومخززات حديدية تعلوه قمرية دائرية، هذا ويغطى هذه الدركاة قبة حجرية أقيمت على مثلثات كروية مقلوبة فى أربع حطات من المقرنصات الحجرية، وقد فتح فى رقبة هذه القبة ثمانية شبابيك مستطيلة تنتهى بعقد نصف دائرى زخرفها المعمار بدوائر من الجص.

الدهليز المؤدى إلى الصحن:

يؤدى إلى هذا الدهليز –كما قلنا– باب معقود بعقد فارسى فى الجدار الشمالى للدركاة عرضه (٢,١٥)متر تشتمل على مصراع خشبى ضخم من درفة واحدة زينت بأشكال هندسية مختلفة من الأطباق النجمية والمستطيلات والمربعات، وأسفل هذا المصراع يوجد شريط كتابى نصه «عز لمولانا السلطان المالك الملك الظاهر برقوق أعز الله نصره».

ويفضى الباب المشار إليه إلى ممر منكسر يتألف من انكسارين أولهما سمارى طوله (٢٠,٠٨)متر وعرضه (٢,٧٥)متر وارتفاعه (٧,٣٥)متر وثانيهما مغطى بسقف نصف برميلى.

المزملة:

تقع هذه المزملة فى بداية الانكسار الأول من الدهليز المشار إليه ويبلغ عرضها (٣,٧٢) متر وعمقها (٣,٠٥)متر يعلوها عقد نصف دائرى، وكان من المفروض أن يتصدرها سياج من خشب الخرط على غرار المزامل المرجوة فى باقى الأبنية المملوكية إلا أنه غير موجود الآن، وقد عملت هذه المزملة فى هذا الموضع بالذات لأنه المكان الذى يدور فيه الهواء دورة تبريد بسبب الملقف المعمول فيه من ناحية ولأنه المكان القريب من أرباب الوظائف الدينية من الشيوخ والدراسين من ناحية أخرى.

ويواجه هذه المزملة فتحه شباك معقودة بالجدار الغربى تطل على الإيوان الرئيسى، كما توجد بنفس الجدار فتحة باب أخرى ذات عقد نصف دائرى بها درج يؤدى إلى الطابق الثانى من طباق الصوفية، وقد فرشت أرضية الدهليز بالرخام الأبيض والأسود والأحمر.

الرحبة التى تتقدم الصحن:

يؤدى المدخل المكنسر المشار إليه إلى رحبة مستطيلة ثانية طولها (٥,٧٢)متر وعرضها (٤,٢٧)متر يغطيها قبو مروحى من نوع القباب المروحية التى عرفت فى التحصينات الحربية منذ العصر الفاطمى، وفى الجدار الغربى لهذه الرحبة فتحة باب عرضها (١,٣٠)متر وارتفاعها (٢)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (١,٣٥)متر وعرضها (٧٥،)متر، وتفضى هذه الفتحة

إلى إحدى المدارس الفرعية بالخانقاة ويعلوها شباك مستطيل به أرماح ومخرزات معدنية.

وفى الجدار الشرقى لهذه الرحبة يوجد باب آخر يفضى إلى الصحن عرضه (١,٦٣)متر يغلق عليه مصراعا باب كفتا بالنحاس والفضة على شكل بخارية فى الوسط وأرباع بخاريات فى الأركان فضلا عن شريط كتابى أسفل المصراعين يشتمل على بعض أدعية للسلطان منها المثاغر(٧٩) المرابط (٨٠) نصير الفقراء والمساكين، وباقى الكتابة متآكل وغير واضح.

ويعلو هذا الباب شباك مستطيل تغطية شبكة نحاسية عملت على هيئة فروع نباتية وأوراق دقيقة تتوسطها سرة عليها رنك كتابى للسلطان فى ثلاثة أسطر أعلاها «عز لمولانا» وأوسطها «السلطان» وأسفلها «برقوق».

وقد فرشت أرضية هذه الرحبة بفصوص من الرخام الملون بالأبيض والأسود والأحمر على هيئة مداور ومربعات تحيط بها أشرطة عريضة من الكرندازات.

الصحن:

يفضى إلى هذا الصحن عن طريق الباب الواقع فى نهاية الممر المنكسر المشار إليه، وهو صحن مكشوف ذو شكل مستطيل طوله (٢٢,٠٥)متر وعرضه (١٨)متر تنخفض أرضيته عن أرضية الإيونات بمقدار (٠,٤٠)متر وقد فرشت هذه الأرضية بالرخام الملون من الأبيض والأسود والأحمر بأسلوب الترخيم المعروف بالمداور والمربعات كما عملت فيها مصافى مستديرة لتصريف مياه الأمطار أو مياه التنظيف.

ويتوسط هذا الصحن فسيقة تركية عملت سنة (١٣١٠هـ/١٨٩٢م) على هيئة حوض رخامى مثمن الأضلاع تعلوه قبة ضخمة ذات رفرف محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام على رقبتها نص كتابى يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم . يآيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنبا فاطهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا

طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون»(٨١)

ويحيط بأعلا جدران الصحن من جهاته الأربع شريط من الكتابات القرآنية بخط النسخ المملوكى تتخلله فواصل نباتية نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذة سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم، لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم،(٨٢) آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير صدق الله العظيم» وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة».(٨٣)

ويعلو ذلك الشريط الكتابى مجموعة من الشرافات الحجرية المسننة التى عملت على هيئة الورقة النباتية الثلاثية الفصوص.

ويفتح على هذا الصحن ستة أبواب بواقع بابين فى كل جهة من جهاته الجنوبية والشمالية والغربية، وأول هذه الأبواب هو باب الدخول إلى الصحن وموقعه بالزاوية الجنوبية وهو يصل من دركاة المدخل الثانية ويكتنفه على الجانبين مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٨٤،)متر وعرضها (٦٢،)متر وارتفاعها (١,٢٥)متر يعلوهما شريط كتابى بخط النسخ المملوكى على ارتفاع (١,٢٥)متر نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين» ،(٨٤) ويعلو فتحة هذا المدخل ثلاثة شبابيك مستطيلة أسفلها مغطى بشبكة من النحاس المزخرف بعناصر نباتية من التفريعات والأوراق، وأوسطها اكبر حجما من سابقه وبه ارماح ومخرزات حديدية، وأعلاها أكبر من ثانيها، وتطل هذه الشبابيك الثلاثة على الطابق الثانى من

خلوات الصوفية.

هذا ويتصدر الشباك الأول الذى يعلو المدخل دائرة عليها رنك السلطان الظاهر برقوق نقش فيها فى ثلاثة أسطر «عز لمولانا السلطان» الملك الظاهر، برقوق «ويعلو هذا الباب وثلاثة أبواب أخرى من أبواب الصحن على غير العادة فى مثل هذه الحالات من العمائر المملوكية عقد قوطى الطراز، ولعل هذه الشبابيك هى النموذج الثالث لشبابيك النحاس المصبوب فى عمارة مصر الإسلامية إذ الأول فى قبة الصالح نجم الدين والثانى فى المدرسة الطيبرسية بالأزهر.(٨٥)

أما الباب الثانى من أبواب هذا الصحن فهو يقابل الباب الأول من الجهة الشرقية، ويؤدى إلى الدهليز الذى يتقدم الرحبة التى تفضى إلى قبة الضريح وعرض هذا الباب (١,٨٠)متر تكتنفه مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٤,٨٠)متر وعرضها (٥,٥٠)متر وارتفاعها (١,٢٥)متر ويعلوه عقد من صنجات رخامية مزررة باللونين الأبيض والأسود،فوقه ثلاثية شبابيك مستطيلة -مثل الشبابيك الثلاثة المشار إليها – تطل على الطابق الثانى من خلوات الصوفية، ويتوج هذا الباب أيضا عقد قوطى مثل عقد الباب الأول.

ويوجد الباب الثالث بأقصى الزاوية الشمالية للصحن ويفضى إلى رحبة مستطيلة بها فى الجنوب سلم يؤدى إلى طباق الصوفية، وهذا الباب عبارة عن فتحة عرضها (١,٨٠)متر تكتنفها من الجانبين مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٨٠،) وعرضها (٦٠،)متر وارتفاعها (٧٥،)متر، اما الباب نفسه فهو عبارة عن مصراعين من الخشب المغشى برقائق النحاس فى أشكال زخرفية على هيئة بخارية فى الوسط وثلاثة أرباع البخارية فى الأركان، وفى أعلا مصراعى هذا الباب وفى أسفلهما شريطان من النحاس عليهما كتابات نسخية غائرة نصها فى الشريط العلوى «عز لمولانا السلطان المالك الملك الظاهر العالم(٨٦)العادل(٨٧) العامل» وفى الشريط السفلى: «المجاهد المرابط المؤيد(٨٨) المنصور سيف الدنيا والدين أبوسعيد برقوق عز نصره»

ويعلو فتحته عتب حجرى من صنجات مزرة فوقه ثلاثة شبابيك مثل الشبابيك المشار إليها فى البابين السابقين، تطل هى الأخرى على الطابق الثانى من خلوات الصوفية، ويتوجه عقد قوطى يشبه العقدين السابقين فى البابين الأول والثانى.

ويوجد الباب الرابع فى أقصى الزاوية الغربية للصحن وعرضه (١,٩٠)متر وتكتنفه من الجانبين مكسلتان حجريتان طول كل منهما (،٨٠)متر وعرضها (،٦٠)متر وارتفاعها (،٧٥)متر ويعلوهما شريط كتابى من كتابات نسخية باللون الأبيض على أرضية زرقاء نصها فى الجانب الأيمن: أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إ، وفى الجانب الأيسر: خوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين صدق الله.(٨٩) وفوق هذا الباب -كما فى الأبواب السابقة – ثلاثة شبابيك تطل على الطابق الثانى من خلوات الصوفية، أما الباب نفسه فهو عبارة عن مصراعين من الخشب المغطى برقائق النحاس المعمولة على هيئة بخارية وسطى تحيط بها ثلاثة أرباع البخارية فى الأركان، كذلك ففى أسفل وأعلا الباب شريطان كتابيان بهما كتابات كوفية تشتمل على ألقاب الملك الظاهر برقوق نصها فى الشريط العلوى «عز لمولانا السلطان المالك الملك الظاهر العالم العادل العامل المجاهد المرابط» وفى الشريط السفلى: «المؤيد المنصور سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق عز نصره» كما يوجد خلف الباب شريطان آخران عليهما رنك المنشئ ونصه «عز لمولانا السلطان المالك الظاهر برقوق أعز الله نصره».

ويؤدى هذا الباب أيضا إلى خلوات الصوفية، ويعلوه -كما فى الأبواب السابقة- عقد قوطى.

ويوجد الباب الخامس فى الزاوية الشمالية للايوان الشمالى وهو عبارة عن فتحة عرضها (١,٨٢)متر يعلوها عتب مستو من صنجات حجرية مزررة فوقها عقد عاتق يعلوه شباك مربع الشكل به أرماح ومخرزات حديدية فوقه نافذة صغيرة، ويؤدى هذا الباب إلى حجرة مستطيلة طولها (٩,٤٥)متر وعرضها (١,٨٠)متر يغطيها قبو نصف برميلى ويتصدرها شباكان حديثان يغلب على الظن أنهما كانا عبارة عن أبواب تفضى إلى خلوات الصوفية الواقعة فى هذا الجانب من الصحن والتى لم تعد قائمة الآن وأصبح موقعها عبارة عن ساحة خالية خربة.

وأخيرا يوجد الباب السادس فى الركن الغربى من نفس الإيوان الشمالى وهو عبارة عن فتحة عرضها (١,٨٣)متر يغلق عليها مصراعان من الخشب المغشى برقائق النحاس ويؤدى هذا الباب إلى رحبة مستطيلة مغطاة بقبو نصف برميلى فى جدارها الغربى فتحتان يعلوهما شباكان، تؤدى الفتحة الأولى إلى درج خشبى يوصل إلى الطابق العلوى من خلوات الصوفية، وتفضى

الفتحة الثانية إلى رحبة مغطاة بقبو نصف برميلى أيضا بها فتحة باب سدت حديثا يغلب على الظن أنها كانت توصل إلى بعض خلوات الصوفية. وقد عممت هذه الطريقة الزخرفية التى وجدت فى أبواب هذه الخانقاة فى الشبابيك العلوية للمدارس المشرفة على الصحن، ولها مثل ثان فى شبابيك الواجهة البحرية للمدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر.(٩٠)

إيوان القبلة :

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها (١٠)متر ترتفع أرضيتها عن أرضية الصحن بمقدار (٠،٤٠)متر وتفتح على الصحن بعقد فارسى ضخم، ويبلغ اتساع هذا الإيوان (١٧,٧٥)متر وعمقه (١٨,٣٠)متر، وينقسم إلى ثلاثة بلاطات (أوسعها أوسطها) بواسطة زوجين من أعمدة جرانيتية ضخمة تحمل ستة عقود (ثلاثة فى كل جانب) تسير عمودية على كل من جدار القبلة وواجهة الإيوان المطلة على الصحن.

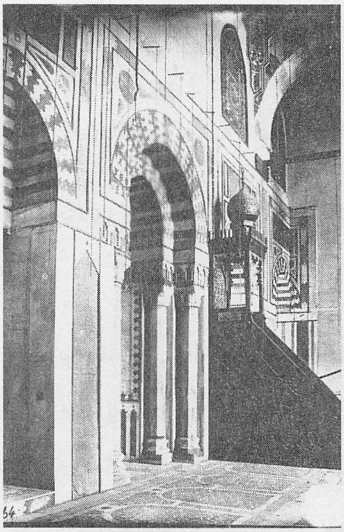

شكل ٣٥ : الخانقاة الظاهرية (برقوق)
المحراب والمنبر

المحراب (انظر شكل ٣٥) :

يتصدر المحراب جدار القبلة وهو عبارة عن حنية نصف دائرية عمقها (١,١٠)متر وعرضها (٠،٨٠)متر وارتفاعها (١,٥٨)متر يكتنفها من الجانبين زوجان من الأعمدة ويعلوها طاقية زينها المعمار مع الجزء العلوى من الحنية بزخارف جميلة من الرخام الخردة المكون بتقسيمات هندسية بديعة، أما المنطقة السفلية من هذا المحراب فقد زخرفت على هيئة محاريب صغيرة تنتهى بعقود ثلاثية ذات زخارف مشعة ملبسة بالرخام المتعدد الألوان، وقد استطاع الفنان أن يضفى على هذه المحاريب جمالا زخرفيا زائدا بحيث جعلها تشبه المحاريب الحقيقية فضلا عن تراصفها فى صفوف رأسية متوازية استخدمت فيها ألوان جميلة متناسقة كما زينت المنطقة الوسطى بتعشيقات بديعة من قطع الرخام الخردة فى أشكال هندسية ونباتية مختلفة.

ويكتنف هذا المحراب فى جدار القبلة زوجان من الشبابيك التى عقدت فى دخلات (تجويفات) ذات أعماق مختلفة تبدو فى بعضها أقل سمكا من البعض الآخر، وقد استطاع المعمار بهذه الطريقة أن يخرج المحراب على سمته الصحيح من ناحية وأن يبقي على خط تنظيم الشارع القديم من ناحية أخرى، وهى ظاهرة معمارية وجدت فى أبنية اثرية أخرى ذات وضع أشبه بالظاهرية برقوق ولاسيما مدرسة وخانقاة القاضى أبو بكر مزهر بحارة برجوان وغيرها، وتعلو المحراب قمرية جصية ذات زجاج معشق بألوان مختلفة فى دوائر متداخلة تشبه القمريات الموجودة على واجهة الجامع الأقمر.

وفى الجدار الشمالى لإيوان القبلة شباكان متسعان عمق الأول (٢,٩٠)متر وارتفاعه (٣,٧٠)متر وعرضه (١,٧٥)متر به أرماح ومخرزات نحاسية، وهو ذو عقد متراجع من صنجات حجرية مزررة ذات ألوان أحمر وأسود، ويغلق عليه مصراعان من الخشب يشتملان على شريطين نحاسين أحدهما علوى والآخر سفلى نقش عليهما رنك المنشئ ونصه «عز لمولانا السلطان الظاهر برقوق».

وقد فرشت أرضية هذا الشباك بفصوص من الفسيفساء الرخامية الملونة المعمولة على هيئة مداور تحيط بها كرندازات، أما الشباك الثانى (بنفس الجدار الشمالى) فهو عبارة عن فتحة مستطيلة يبلغ ارتفاعها (٣,٧٠)متر وعرضها (٢,١٠)متر بها أرماح ومخرزات حديدية ويعلوها عتب مستو من صنجات مزررة ذات لونين أبيض وأسود.

وفى الجدار الجنوبى لإيوان القبلة شباكان آخران فى دخلتين مختلفتين عمق الأولى (١,٧٧)متر وعرضها (١,٨٣)متر وارتفاعها (١,٧٠)متر يغلق عليها مصراعان من الخشب زينا من أعلا ومن أسفل بشريطين نحاسيين نقش عليهما رنك المنشئ، ويتوج هذه الدخلة عقد متراجع من صنجات معشقة ذات لونين أبيض وأحمر، وعمق الثانية (١,٢٣)متر وعرضها (١,٨٠)متر وارتفاعها (١,٧٠)متر يغلق عليها ايضا مصراعان من الخشب يؤزرهما من أعلا ومن أسفل شريطان كتابيان عليهما رنك المنشئ الذى سبقت الإشارة إليه.

ويعلو هذه الشبابيك الأربعة فى الجدارين الشمالى والجنوبى لإيوان القبلة أربع نوافذ جصية

ذات عقود مدبية زخرفت من الداخل بأشكال نباتية من الأوراق الثلاثية وفروع الشجر، وغطيت من الخارج بشبكة نحاسية دقيقة لحماية الزخارف الجصية الداخلية.

ويتكون سقف ايوان القبلة فوق البلاطة الوسطى من سقف مذهب نقى فساقى تتوسطة وريدة تتكرر أربع مرات فى الأركان الأربعة، أسفله شريط كتابى بخط الثلث المملوكى يشتمل على أدعية للسلطان الظاهر برقوق، وفوق البلاطين الجانبيتين من سقف اصطلح على تسميته بالجقاق والقطع الخشبية، وقد ظهر أول مثل لهذا السقف فى المدخل المؤدى إلى المدرسة الصالحية، وقد زخرف الفنان قطعه الخشبية من الداخل بالوان مذهبة ذات عناصر نباتية وهندسية مختلفة، والجدير بالذكر أن سقف هذا الإيوان يتكون من مستويين أسفلهما هو السقف المنقوش من داخل المدرسة الخانقاة وقد عمل على هيئة محاريب مقتبسة من مثيلتها فى سقف خانقاة بيبرس الجاشنكير وكلاهما مقتبس من فكرة الحصر الفاطمية ذات المحاريب التى انتشرت بعد ذلك فى السجاد، ويعد هذا السقف من أنفس السقوف فى العمائر المملوكية وقد حاكاه الأشرف برسباى فيما بعد فى سقف الإيوان الغربى من مدرسته بالأشرفيه[٩١] ويمكن الوصول إلى أعلا هذا السقف المنقوش عن طريق فتحة تشبه النافذة فى جداره الجنوبى الشرقى، وفوق هذا السقف يوجد السقف الجمالونى (الثانى) المغطى بالآجر والملاط.

هذا ويؤزر جدران إيوان القبلة بارتفاع (١,٤٥)متر وزرات رخامية باللونين الأحمر والأبيض ذات رؤوس مدبية تحيط بها كرندازات رخامية ذات لون إسود، وقد نقل متحف الفن الإسلامى من هذه المدرسة الخانقاة حشوتان من الخشب عليهما رنك الظاهر برقوق ومشكاة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٣٩)متر عليها نفس الرنك.[٩٢]

المنبر: (راجع شكل ٢٥) :

يقوم هذا المنبر إلى يمين المحراب وهو غير المنبر الأصلى الذى صنع فى عهد المنشئ وإنما يرجع تاريخه إلى منتصف القرن (٩هـ/١٥م) فى عصر الظاهر جقمق كما هو ثابت فى نص يعلو فتحه بابه يقول «أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الظاهر أبوسعيد جقمق».[٩٣]

ويتكون من قاعدة وريشتين جانبيتين زخرفتا بأشكال من الأطباق النجمية، ويؤدى سلمه

إلى جلسة الخطيب وتعلوها خوذة تشبه رؤوس المآذن المملوكية زخرفت بعناصر نباتية ذات أوراق مذهبة فضلا عن شريط كتابى بخط الثلث المملوكى المذهب على أرضية بنية اللون نصه:

﴿ياايها الذين آمنو إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض.﴾(٩٤)

كرسي المصحف :

يقوم هذا الكرسى أمام المنبر وهو مستطيل ارتفاعه (١,٩٥)متر وعرضه (١,٢٣)متر، وقد صنع من الخشب وزخرف من جوانبه بالأطباق النجمية المصدفة.

دكة المبلغ :

تتوسط هذه الدكة حافة إيوان القبلة وهى عبارة عن دكة رخامية طولها (٣,١٢)متر وعرضها (١,٧٦)متر وارتفاعها (٣,٩٥)متر تقوم على ثمانية أعمدة رخامية وقد فتح فى جانبها الغربى سلم حديدى يوصل إليها وأقيمت فى أركانها الأربعة أربع بابات رخامية.

الإيوان الغربى :

يتوسط هذا الإيوان الضلع الشمالى الغربى من الصحن ويقوم على مساحات مستطيلة اتساعها (٧,٨٨)متر وعمقا (٩,٢٣)متر ويفتح على الصحن بعقد فارسى ضخم ويغطيه قبو مدبب من أحجار مشهرة باللونين الأبيض والأحمر على شكل دالات به صنجات حجرية معشقة، وفى صدر هذا الإيوان فتحة باب مسدودة يغلب على الظن أنها كانت تؤدى إلى الصوفية التى كانت موجودة خلف هذا الإيوان.(٩٥)

السدلة الجنوبية :

تتوسط هذه السدلة الضلع الجنوبى الغربى للصحن وتطل عليه بعقد فارسى واحد اتساعه (٧,٨٣)متر وعمقه (٥)متر ويغطيها قبو مدبب من الحجر.

السدلة الشمالية :

تتوسط هذه السدلة الضلع الشمالى الشرقى للصحن وتطل عليه بعقد فارسى واحد اتساعه (٧,٨٣)متر وعمقه (٤,٨٠)متر ويغطيها أيضا قبـو مدبب من الحجر، والجدير بالذكر أن بعض أبواب هذه الخانقاة قد حليت بزخارف بارزة على هيئة السرر والزوايا النحاسية، والظاهر أن معلم نجاريها كان قد اهتدى إلى هذا الابتكار فى الخشب من لوح رخامى على يمين ويسارمحراب مسجد صرغتمش الناصرى.(٩٦)

القبة :

تقع هذه القبة فى الركن الشرقى للمدرسة الخانقاة ويتوصل إليها عن طريق فتحة باب موجودة فى الركن الشرقى من الصحن تؤدى إلى رحبة مستطيلة الشكل يتصدرها باب خشبى من درفة واحدة يفضى إلى سلم يوصل إلى الطابق العلوى لخلوات الصوفية، وفى الطرف الغربى من هذه الرحبة يوجد باب خشبى آخر من درفة واحدة أيضا نقشت فى الوسط بشكل دائرى ملئ بالزخارف النباتية الدقيقة التى تشبه باقى الزخارف المحفورة على بقية أبواب المنشأة، وغشيت من أعلا ومن أسفل بشريطين نحاسيين عليهما «عز لمولانا السلطان الملك الظاهر برقوق».

ويوصل هذا الباب إلى رحبة ثانية مكشوفة يتصدرها إيوان يرتفع عن مستوى سطح الأرض بمقدار (٥٥،)م عمقه (٤,٠٥)متر واتساعه (٤,٤٠)متر يغطيه قبو مدبب، وبه شباك مستطيل به أرماح ومخرزات حديدية يعلوه شباك ثان أصغر حجما، وكلاهما يطل على الطابق العلوى لخلوات الصوفية، وفى هذه الرحبة ثلاث كتبيات استخدمت كمخازن لمتعلقات المدرسة الخانقاة، ويوجد بالضلعين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى من هذه الرحبة سدلتان صغيرتان فرشت أرضية كل منهما بدوائر ومربعات من الرخام الأحمر والأبيض، ويعلو جدرانها مجموعة من الشرفات التى عملت على هيئة الورقة النباتية الثلاثية، ويغلب على الظن أن هذه الرحبة كانت تستخدم كاستراحة لزوار التربة عند الزيارة وكمكان لتلاوة القرآن الكريم وفقا للشروط التى قررها الواقف.

التربة :

تقع هذه التربة فى الناحية الحنوبية الشرقية من القبة، وترتفع عن أرضية الرحبة التى

تتقدمها بدرج رخامى واحد ارتفاعه (٥٠،) متر ويتصدرها حجاب من خشب الخرط على هيئة أشكال هندسية تتألف من أطباق نجمية واشكال دوائر وقد فتح فى هذا الحجاب باب يؤدى إلى داخل التربة نقشت فى أعلاه كتابة نسخية بالحفر البارز نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبوسعيد برقوق عز الله نصره وذلك بتاريخ مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة.(٩٧)

وهذه التربة عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١٠,٦٠) متر بها فى وسط الجدار الشرقي محراب عبارة عن حنية نصف دائرية يكتنفها زوج من الأعمدة الرخامية على جانبيها شباكان يطلان على شارع المعز لدين الله بكل منهما أرماح ومخرزات نحاسية، يعلوهما شباكان آخران من الجص المعشق بزجاج ملون.

أما الجدار الجنوبى الغربى لهذه التربة وهو الضلع المشترك بين القبة وإيوان القبلة ففيه شباك ارتفاعه (٣,٧٠) متر وعرضه (٢,١٠) متر به أرماح ومخرزات نحاسية أيضا يقابله فى الجدار الشمالى الشرقى خزانة يغلق عليها مصراعان من الخشب ذو الحشوات المجمعة، كانت على ما يبدو مخزنا لأهم متعلقات الخانقاة، وقد عثر فيها على بعض المشكاوات الزجاجية الخاصة بهذه المنشأة وقد نقلت إلى متحف الفن الإسلامى كما سبق القول.

ويؤزر الجدارين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى من هذه القبة وزرة رخامية ذات رؤوس مدببة ارتفاعها (١,٤٠) متر تحيط بها كرندازات من الرخام الأسود، وقد عملت منطقة انتقال هذه القبة على هيئة مثلث معكوس (قاعدته لأعلى وقمته لأسفل) وتتألف من ست حطات من المقرنصات الخشبية المذهبة والملونة، تقوم فوقها رقبة القبة وقد فتحت فيها مجموعة من القمريات والمضاهيات.

ويحيط بالمربع العلوى للقبة النتقال شريط من الكتابة بخط الثلث المملوكى نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا،(٩٨) أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والمدفن المبارك والمدرسة المباركة

والخانقاة مولانا السلطان المالك الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبوسعيد برقوق العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد الغازى(٩٩) الحاكم بأمر الله والتالى لكتاب الله سلطان الإسلام والمسلمين نصرة الغزاة والمجاهدين حامى حوزة الدين ذخر الأيتام والمساكين صاحب الصدقات والمعروف المغيث(١٠٠) لكل مظلوم وملهوف أدام الله أيامه وأعز أحكامه وختم بالصالحات أعماله يارب العالمين وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة.(١٠١)

أما أرضية القبة فبها تركيبة رخامية ضخمة تقوم فوقها فى الأركان الأربعة رؤوس رخامية مما عرف باسم البابات، وقد دفن فى هذه القبة وفقا لما هو مكتوب أسفل التركيبة والد السلطان برقوق المسمى أنس وزوجته خوند شيرين وابنه محمد وابنته فاطمة.(١٠٢)

والواقع أنه بناء على طريقة الجمع بين المدفن والمدرسة الخانقاة، فقد شغل المدفن المكان الرئيسى من المنشأة بحيث جعله المعمار مطلا على الشارع بجوار إيوان القبلة وقد أدت بعض العادات التى انحصرت فى زيارة القبور فى المناسبات المختلفة ولاسيما العيدين إلى إلحاق مسكن بالمدفن خصص لإقامة أهل الضريح واستراحتهم كما فى الخانقاة التى بين إيدينا، حيث خصص الدور العلوى من هذا المسكن للسلطان وعائلته، أما الغرف والقاعات بالطابق الأرضى فقد خصصت للخدم والمشرفين على نظافة المدفن وصيانته.(١٠٣)

المدارس الفرعية :

تؤدى فتحة الباب الموجودة فى الجدار الجنوبى الغربى للصحن إلى رحبة مستطيلة ذات قبو نصف برميلى تتصدرها مصطبة صغيرة، وتشتمل على بابين يفضى كل منهما إلى ممر منكسر ذو انكسارين يؤدى الأول منهما إلى صحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه (٣,٦٠) متر ويؤدى الثانى إلى إيوان صغير يغطيه قبو متقاطع فى صدره وفى جداره الشرقى كتبيتان متشابهتان طول كل منهما (٢,٣٠) متر وعرضها (١,١٠) ويغلق على كل منهما مصراع خشبى خال من الزخارف، وفى طرف الممر الغربى فتحة باب معقودة تؤدى إلى ممر منكسر ثان يفضى إلى باب مسدود يغلب على الظن أنه كان يؤدى إلى بعض خلوات الصوفية وقد فرشت أرضية هذا الصحن بقطع من الرخام ذات اشكال هندسية من المثلثات والمعينات استخدم فيها المرخم الرخام الأبيض

والأسود والأحمر الحلبى على هيئة مراتب ومداور.

اما الباب المقابل للباب المشار إليه فيؤدى إلى ممر منكسر آخر يتكون من انكسارين ويفضى مباشرة إلى صحن صغير طوله (٣,٧٢) متر وعرضه (٣,١٠) متر يتصدره إيوان صغير على جانبيه سدلتان صغيرتان، وقد غطى هذا الصحن بقبو حجرى متقاطع وعمل فى ركنه الجنوبى الغربى باب معقود يفضى إلى ممر منكسر ثالث يؤدى إلى باب مسدود كالسابق كان يفضى إلى بعض خلوات الصوفية.

خلوات الصوفية :

تقع هذه الخلوات بالساحة الخلفية الخربة، وتتكون من أربع وحدات سكنية تتميز وحدتها الأولى عن بقية الوحدات بأنها خلوات فردية بمعنى أنها تتكون من جناح واحد فى أربعة طوابق يربطها بالجزء الرئيسى طرف رباط بالدور الأرضى منها عشر خلوات حبيس متجاورة ومبنية من الحجر لكل منها سقف مقبى، وبكل طابق من الطوابق الثلاثة العلوية لهذه الوحدة الفردية إحدى عشرة خلوة مبنية من الطوب وذات سقوف مقبية أيضا زودت كل منها بفتحات عملت فيها أسياخ حديدية، وتطل خلوات هذه الوحدة على الاصطبل المنسوب إلى البيسرى، وجملة هذه الخلوات فى الطوابق الأربعة يبلغ ثلاث وأربعون خلوة.

أما الوحدة الثالثة إلى الجنوب من الوحدتين السابقتين وتتألف من خلوات حبيس مزدوجة فى أربعة طوابق أيضا مثل مجموعة خلوات الوحدة الثانية، إلا أنها تتألف هنا من ست وثلاثين خلوة، بالطابق الأرضى منها خمسة حواصل كبيرة مبنية بالحجر ذات سقوف من أقبية حجرية ذات قطاع مدبب يتوسط سقف كل منها كمرة حجرية من صنجات متجاورة على هيئة عقد مدبب ذكرت فى الوثيقة باسم «الصولجان» ويعلو هذه الحواصل الخمسة الواسعة ثلاثة طوابق بكل طابق منها اثنتا عشرة خلوة متراجعة فى صفين متقابلين، بمعنى أن خلوات هذه الوحدة فى الطوابق الأربعة تشتمل على إحدى وأربعين خلوة.

أما الوحدة الرابعة فتقع جنوب الوحدات الثلاث المشار إليها وتتألف من خلوات حبيس مزدوجة فى أربعة طوابق أيضا بكل طابق منها ست خلوات فى صفين متقابلين بواقع ثلاثة فى

كل صف، وقد بنيت خلوات هذه الوحدة فى الدور الأرضى المطمور بالحجر بينما بنيت فى الأدوار الثلاثة الباقية بالطوب، وعملت لها سقوف مقببة، كذلك يكتنف الإيوان الشمالى الغربى للخانقاة مساكن علوية من أربعة طوابق تطل معظمها عن الساحة الخربة فى الصحن.(١٠٤)

ويؤدى إلى هذه الخلوات باب فى الجدار الجنوبى الغربى لدهليز المدخل الرئيسى ذو مصراع خشبى ضخم يفضى إلى درج حلزونى له درابزين من الخشب يوصل إلى أربعة أبواب اولها عبارة عن فتحة مستطيلة طولها (٢,٣٥)متر وعرضها (٦٥ ،)متر يغلق عليها مصراع خشبى يؤدى إلى ممر صغير منكسر فى جداره الشرقى شباك صغير أشبه بالمزغلة الكبيرة، وهو نظام الشبابيك الذى اتبع فى معظم خلوات الصوفية بالخانقاوات ربما ليتيح لهم الهدؤ والانعزال عن ضوضاء الشارع وحياة الناس اليومية، ويؤدى هذا المدخل إلى باب ضيق ارتفاعه (١,٧٠)متر وعرضه (٨٥ ،)متر يفضى إلى رحبة مغطاة بقبو نصف برميلى فتح فى جدارها الجنوبى شباك آخر يطل على دركاة المدخل فوق المصطبة المشار إليها، ويؤدى الباب الثانى إلى ممر مستطيل طوله (٦,٧٠)متر مغطى بقبو نصف برميلى فتح فى جانبه الشرقيى فتحتى شباكين مستطيلتين متشابهتين طول كل منهما (٨٠ر) متر وعرضه (٦٤ر) متر.

كذلك ففى الجدار الشرقى من الدهليز باب يؤدى إلى حجرة متسعة طولها (٧,٢٦)متر وعرضها (٤,١٠)متر بها مصطبة حجرية ترتفع عن أرضية الحجرة بمقدار (٢٧ ،)متر وقد فتح فى جدران هذه الحجرة عدة شبابيك ونوافذ نجد منها فى الجدارين الشمالى والجنوبى شباك سفلى طوله (١,٨٥)متر وعرضه (١,٠٥)متر يغلق عليه مصراعان من الخشب مزخرفين بالحفر الغائر فى أشكال لطبق نجمى فى الوسط تحيط به أجزاء من أطباق فى الأركان، ويعلو هذا الشباك بنفس الجدار نافذة ذات أرماح ومخرزات حديدية، ويغطى هذه الحجرة سقف خشبى بسيط من الأفلاق النخيلية.

ويتصدر السلم عند الطابق الثانى باب ارتفاعه (١,٨٥)متر وعرضه (١,٠٢)متر لا تغلق عليه أية مصاريع يؤدى إلى ممر منكسر يتصدره رحبه ضيقة غير مسقوفة فى جدارها الشرقى فتحة باب ثانية تؤدى إلى دهليز مربع الشكل طول ضلعه (٢)متر يغطيه قبو نصف برميلى يفتح على مصطبة مرتفعة عن أرضية الخلوة التى تتقدمها الرحبة والدهليز بمقدار (١٥ ،)متر، وهذه الحجرة

مستطيلة الشكل طولها (٥,١٠)متر وعرضها (٢)متر مغطاة بقبو متقاطع فى جدارها الشمالى شباكان طول السفلى (١,٢٠)متر وعرضه (١,٠٥) متر أما العلوى فعبارة عن مزغلة كبيرة بها بقايا أرماح ومخرزات معدنية.

ويؤدى الدهليز ذو القبو نصف البرميلى المشار إليه إلى بابين ضيقين يؤدى كل منهما إلى خلوة مستطيلة ضيقة، ويلاحظ أن فى جدار الحجرة الأولى منهما فتحة باب مسدودة ترجح أن الحجرتين كانتا متصلتان بيعضهما قبل أن يسد الباب الموصل بينهما، وفى نهاية الدهليز نجد رحبة مربعة الشكل طول ضلعها (٢,٢٠)متر يتصدر جدارها الغربى باب ارتفاعه (١,٨٥)متر وعرضه (٨٠،)متر يفضى إلى خلوة مربعة ذات قبو متقاطع، فتح فى جدارها الجنوبى شباك ارتفاعه (١,٦٠)متر وعرضه (١,٠٨)متر به أرماح ومخرزات معدنية يشرف على الرحبة التى تطل على الدهليز.

كذلك يتصدر الدرج عند الطابق الثالث فتحة باب ليس لها أية مصاريع تؤدى إلى ساحة خربة غير مسقوفة لم يبق منها إلا بعض الأطلال المعمارية التى تؤكد أنها كانت مستخدمة لخلوات الصوفية، وفى الطرف الشمالى الغربى من هذا الطابق يوجد بقايا سلم يؤدى إلى ساحة خربة مستطيلة الشكل غير مسقوفة لم يبق فيها إلا فتحة شباك تطل على ملقف الهواء الموجود فى نهاية دهليز المدخل بها أرماح ومخرزات معدنية.

ويتوسط الجدار الشمالى من هذه الساحة فتحة باب يغلب على الظن أنها فتحت حديثا وتؤدى إلى حجرة مستطيلة ذات قبو نصف برميلى فى جدارها الجنوبى نافذة تشبه المزاغل، وفى وسط جدارها الشمالى سلم صغير من الطوب الأحمر يتكون من أربع درجات توصل إلى درج آخر يفضى إلى ساحة خربة ثالثة تنقسم إلى مربعات يبدو من تخطيطها أنها كانت تشتمل على خلوات للصوفية، ويحد الجدار الشرقى منها منور يطل على المدرسة الفرعية الموجودة فى نهاية دهليز المدخل، ويعلوها من الجهات الأربع صف من الشرفات المعمولة على هيئة ورقة نباتية ثلاثية الفصوص.

كذلك يؤدى الدرج الحلزونى المشار إليه ذو الباب القائم فى الدهليز الرئيسى إلى ساحة خربة رابعة تشرف على سطح المدرسة فى جدارها الشرقى سلم يتكون من ثلاث درجات من الطوب الأحمر يؤدى إلى ساحة أخرى يتوسطها شكل جمالونى وهو السقف الذى يعلو الإيوان الجنوبى الشرقى.

الخلوات الموجودة غرب الايوان الشمالي :

من فتحة باب فى أقصى الغرب من الإيوان الشمالى الغربى يفضى إلى ممر مستطيل فى جداره الغربى باب ذو مصراع خشبى واحد يؤدى إلى سلم له سور من الخشب، ويؤدى هذا السلم إلى ممر مستطيل مغطى بقبو نصف برميلى فى جداره الشرقى ثلاثة أبواب يفضى كل منها إلى خلوة ذات قبو نصف برميلى يغلق عليها باب ذو مصراع خشبى واحد، ويتصدرها شباكان وفى أرضيتها مصطبة صغيرة من الحجر.

أما الجدار الجنوبى للدهليز فقد فتح فيه بابان أولهما فى أقصى اليمين ويؤدى إلى خلوة بنفس التخطيط المشار إليه، بمعنى أنها خلوة مستطيلة ذات قبو نصف برميلى فى أرضيتها مصطبة حجرية صغيرة وفى جدارها نافذة ذات أرماح ومخرزات معدنية، أما الباب الثانى فيؤدى إلى خزانة كانت على ما يبدو مخزنا لبعض متعلقات الصوفية فى هذا الطابق.

وفى نهاية الدهليز يوجد ممر منكسر يفضى مباشرة إلى خلوة كبيرة نسبيا طولها (٣,٣٠)متر وعرضها (٢,٤٠)متر يغطيها سقف خشبى من أفلاق النخيل فتح فى كل من جداريها الغربى والجنوبى نافذتان، فى حين وجدت فى جدارها الشمالى سدلة بسيطة، ويتقدم هذه الخلوة رحبة مستطيلة فى جدارها الجنوبى مزغلة كبيرة نسبيا ويغلب على الظن أن هذه الخلوة كانت سكنا لكبير الصوفية أو نحو ذلك.

هذا وهناك مجموعتان أخريان من الخلوات المشابهة أولهما بجوار الضريح وثانيتهما بجوار الإيوان الشمالى الشرقى، ولا تختلف أى منهما من حيث التكوين المعمارى عما سبق وصفه من خلوات.

مرافق الخانقاة :

كانت مرافق هذه الخانقاة تشتمل بالإضافة إلى خلوات الصوفية على المطبخ وحظيرة الدواب والساقية ومجلس السلطان وقاعة اعتكاف الشيخ ومسكنه، والواقع أن مطبخ هذه الخانقاة الذى يتوسط حظائر الدواب ودورة المياه والمبنى من الحجر الضخم هم المطبخ الوحيد الذى تبقى من مطابخ الخانقاوات بمصر وهو عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٣,٥٠)متر وعرضها (١,٢٠)متر ذات سقف حجرى مقبى يتوسطه منور للتهوية والإنارة، وكان به حوض ماء ومصطبة لجلوس المشرف على الطعام، أما حظاهر الدواب التى انطمرت فقد أعدت واحدة منها لدابة شيخ الخانقاة ولجمال السقايين، وأعدت الأخرى لبقية الساقية أو ثيرانها، أما الساقية فكانت إلى الغرب من الميضأة وكان لها باب فى الجهة الجنوبية يوصل إلى حارة مسدودة عرفت بحارة البرقوقية وقد بقيت هذه الساقية حتى سنة (١٨٨٩م) حيث وصفها تقرير لجنة حفظ الآثار العربية الوارد فى كراسة محاضرها عن هذه السنة.(١٠٥)

وقد خص المنشئ نفسه بمجلس يقيم فيه عند نزوله للخانقاة لقضاء مهماتها وهو تقليد وجدت أمثلته فى خانقاوات المماليك البرجية وسمى هذا المجلس بالرواق أو القاعة كما فى حالة الخانقاة التى بين أيدينا حيث نجد له فتحات يطل بعضها على الصحن وبعضها الآخر على الضريح وبعضها الثالث على قاعة الخدم، وقد ألحقت به حجرة حبيس لحفظ متاع المنشئ عند نزوله.

أما قاعة اعتكاف الشيخ فهى عبارة عن إيوان ذو سقف مقبى بالحجر ومزود بمكتبة خشبية ذات تقسيمات هندسية وذات قاعة مكشوفة تنخفض أرضيتها عن أرضية الإيوان، وقد فرشت هذه القاعة بأجود أنواع الرخام، وهى تتوسط صحن الخانقاة ومسكن الشيخ وكانت لها مرافق خاصة بها، أما مسكن شيخ الخانقاة فكان مدخله من الجدار الجنوبى للدهليز ويتكون من طابقين لهما فتحات يطل بعضها على صحن الخانقاة وبعضها الآخر على المدخل الرئيسى والدهليز، وهو مثل فريد من نوعه فى عمارة مصر الإسلامية يستوجب المحافظة والإبقاء.(١٠٦)

ترميمات الخانقاة :

مما لا شك فيه أن هذه الخانقاة كانت قد نالت من رعاية لجنة حفظ الآثر العربية ما لم

يناله أثر آخر، فقد حظيت منذ بواكير عهد هذه اللجنة بالكثير من الإصلاح والترميم، يدل على ذلك تلك المادة الوافرة التى وردت عنها فى محاضر جلسات هذه اللجنة مما لم نقف على مثله فى أية خانقاة سابقة، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن الحالة الجيدة التى وصلتنا عليها كانت نتيجة منطقية لما بذل فيها من أعمال.

ففى الفترة من سنة (١٨٨٧م) إلى سنة (١٨٨٩م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (–٫١٤٠٠) (ألف وأربعمائة جنيه) على أعمال ترميمية بهذه الخانقاة شملت ما يلى:

هدم الحوائط القديمة المبنية بالأسطح من جميع أجزاء الأثر ونقل الأنقاض إلى المقالب.

تجديد مبانى الحجر النحت بالإيوان الشرقى والحوش الصغير غرب المدفن وترميم حوائط الصحن والمدخل.

مبانى بالدبش لزوم الحشو خلف الحجر النحت.

مبانى بالطوب لترميم الحوائط والمساكن بالسطح.

تجديد سقوف المدفن وكافة المحلات اللازم لها ذلك بعروق عادة

مليم	جنيه
– ۰	٥٠٫
–	٢٠٠٫
–	٠٢٠٫
–	٠١٠٫
–	٠٨٠٫
–	٠٤٠٫
–	٠٢٠٫

– ٠٢٠ر لوقاية الأثر.

تجديد البياض التالف.

– ٤٥٠ر

تجديد بعض درج سلم بسطة باب الدخول وترميم درج السلم الداخلى وتجديد درابزين عادة من خشب لسلم واحد وإصلاح شعاع

– ٠٦٠ر الشباك البرونز المركب بطرقة المدخل وإبطال الدرج الموضوع أمام هذا الشباك كلية.

تقوية ترخيم المدفن بسقية بالجبس أو بمادة أخرى مناسبة ثم ترميم

– ٠٠٥ر ترخيم المصلى وإعادة ما انفصل من الحائط.

– ٠٤٠ر

ترخيم الأرضية ويقتضى ذلك تغيير ربع هذا الترخيم بالصحن وفك ورد نصف الترخيم القديم من هذا الصحن وإعادة ترميم ترخيم باقى الأثر.

– ٠١٥ر ترميم نجارة أبواب المدفن وأبواب الصحن الستة وباب دخول الأثر

– ٣٩٠ر وأبواب أخرى بالقاعات بقرب المدفن وكذا تنظيف وتصليح المنبر وكرسى السورة.

– ١٤٠٠ر

ترميم زجاج شبابيك قاعة الصلاة (إيوان القبلة).

تنظيف واجهات الحجر النحت بالصحن والإيونات لرفع بياض

مليم جنيه الألوان التى تغطيها.

تصليح نجارة سقف الصحن الشمالى من قاعة الصلاة ودهانه بالبوية.

– ٢٠٠ر

أعمال دهانات جديدة للصحن المتوسط طبقا للرسم والدهان القديم.

– ٢٩٣٠ر

جملة المصاريف(١٠٧)

ر٥٠٠ –

وفى سنة (١٨٩٠م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٤٤١٤ر٩٠٨)جنيه ر٥٣٠ –

على أعمال ترميمية بهذه الخانقاة شملت ما يلى: ر٢٠٠ –

لاصلاح الصحن والباب العمومى من ميزانية اللجنة. ر٠٠٣٥ –

لعمارة الخانقاة خص اللجنة منها مبلغا قدره (–ر٥٣٠) وخص ٠٠١٩ر٩٠٨

الأوقاف مبلغا قدره (–ر٢٤٠٠)جنيه. ٤٤١٤ر٩٠٨

مقاولة المعلم حسين خليفة عن أعمال التقوية اللازمة للخانقاة.

مقاولة الخواجه واروتى عن الترميمات المعمارية.

مليم جنيه

مقاولة الخواجه ياكوفللى عن الترميمات الدقيقة ولاسيما الأبواب.

مقاولة الخواجه فاروجه عن إصلاح باب من أبواب الصحن. ر٢٨٦٠ –

أعمال كانت غير منظورة بمقاولة المعلم جسين خليفة.

جملة التكاليف، ومنها يتضح أنها صرفت على عمارة الخانقاة وأسقفها وإصلاح أبوابها ونجارتها.(١٠٨) ر٠٠١٥ –

ر٠٤٠٠ –

وفى سنة (١٨٩١م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (– ر٣٣١٠) على

أعمال ترميمية بهذه الخانقاة كان بيانها كما يلى: ر٠٠٣٥ –

ر٣٣١٠ –

لتجديد القبة بأعلى الضريح والحنفية بالصحن وترميم وزرة الرخام فى الضريح وترميم الزخارف الخشبية المحفورة وخص اللجنة منها مبلغا قدره (–ر٤٠٠)جنيه وخص الأوقاف مبلغا قدره (– ر٢٤٦٠)جنيه ر١٠٠٠ –

تطعيم الباب العمومى بالفضة.

لإتمام كافة ترميمات الضريح. ٠٠٩٥ر٢٩٧

إصلاح باب. ر٠٢٠٠ –

جملة التكاليف(١٠٩) ١٢٩٥ر٢٩٧

وفى سنة (١٨٩٢م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (١٢٩٥ر٢٩٧)جنيه على أعمال ترميمية كان بيانها كالآتى:

مقاولة الخواجه واروتى عن أعمال الترميم المعمارى اللازم للخانقاة ولاسيما حوائط القبة وتركيب أوتار حديدية لها.

أعمال زائدة كانت غير منظورة فى مقاولة الخواجه واروتى.

أعمال تكميلية لتجديد القبة.

جملة التكاليف.(١١٠)

وفى سنة (١٨٩٣م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٥٥٧ر٢٠٠)جنيه على أعمال زائدة بالقبة انحصرت فى هدم وبناء بالطوب، وفى عمل أربعة شبابيك جبس لأربع فتوحات بالقبة لم تكن واردة بالمقايسة.(١١١)

وفى سنة (١٨٩م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (١١٠٠ر –)جنيه على أعمال تكميلية للترميمات المشار إليها بهذه الخانقاة خص الأوقاف منها مبلغا قدره (٨٢٠ر –)جنيه وخص اللجنة باقى المبلغ وقدره (٢٨٠ر –)جنيه.(١١٢)

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة عن أعمال تكميلية بترميمات هذه الخانقاة مبلغا قدره (٥٣٦ر١٢٥)جنيه خص اللجنة منها مبلغا قدره (٤٣٦ر١٢٥)جنيه وخص الأوقاف مبلغا قدره (١٠٠ر–)جنيه صرف على إكمال الوزرة المكتوبة بالقبة.(١١٣)

وفى سنة (١٨٩٨م) صرفت اللجنة على اعمال الترميم التكميلية وغير التكميلية بهذه الخانقاة مبلغا قدره (٤٦٢ر٥٢)جنيه خص اللجنة منها مبلغا قدره (٣٦٢ر٥٢٤)جنيه صرفت فى غالب الظن على الترميمات المعمارية، وخص الأوقاف مبلغا قدره (١٠٠ر –)جنيه صرفت على دهانات الخانقاة.(١١٤)

وفى سنة (١٩٠٣م) قررت اللجنة مشال الأثرية من الأرض المجاورة للخانقاة من الجهة الغربية طبقا لما جاء فى التقرير رقم (٣١٩) وتحسب تكاليف هذه العملية من مبلغ فروق مناقصات العمارات الجارى العمل فيها وقدره (٧٣٨ر٦٩٩)جنيه.(١١٥)

وفى سنة (١٩٠٥) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٢٥٠ر–)جنيه على إعادة أسفال الواجهة إلى ما كانت عليه فى السابق وعلى ترميم رخام الصحن وتجديد الشبابيك المفككة وعمل الزجاج الملون لها، وقد خص اللجنة من تكاليف هذه الأعمال المشار إليها مبلغا قدره (١٠٠ر –)جنيه وخص الأوقاف ما تبقى وقدره (١٥٠ر –)جنيه(١١٦)

وفى سنة (١٩٠٦م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٢٢٠ر –)جنيه أفرد منها مبلغا قدره (٧٠ر–)جنيه لأتمام الأعمال الجارية ومبلغا قدره (١٥٠ر–)جنيه لإصلاح أكتاف البوابة والوزرات بالإيوان الشرقى.(١١٧)

وفى سنة (١٩٠٧م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (١٥٠ر–)جنيه على ترميمات أخرى بهذه الخانقاة عهد بها إلى الخواجه مخالى صوترياديس، يغلب على الظن أنها كانت أعمالا تكميلية لأشياء لم تكن منظورة بالمقايسات التى أجرتها،(١١٨) وأخيرا صرفت اللجنة سنة (١٩٠٩م) مبلغا قدره (١٢ر–) جنيه على ترميم أسطح هذه الخانقاة.(١١٩)

وبهذا يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومعها وزارة الأوقاف قد صرفتا على الأعمال الترميمية الشاملة بهذه الخانقاة مبلغا قدره (١٤٢٥٨ر٧٥٣)جنيه ولنا أن نقدر القيمة الفعلية لهذا المبلغ الهائل فى ذلك الزمن الذى انفق فيه على ترميمات هذه المدرسة الخانقاة التى شملت الواجهة العمومية بشبابيكها وبناء القبة وإصلاح المئذنة وتكملتها، وأعمال النجارة والرخام سواء كان فى الأرضيات أو الوزرات أو المحراب.(١٢٠)

٢ – الخانقاة السعدية ابن غراب

٨٠١–٨٠٨ هـ/١٣٩٩–١٤٠٦م

اثر رقم ٣١٢

لم تكن هذه الخانقاة الواقعة بدرب الجماميز من الأبنية الأثرية التى حظيت كغيرها بكثير من كتابات المؤرخين القدامى أو كتابات الباحثين المحدثين، ومن ثم فإن ما ورد بشأنها من معلومات لا يمكن قياسه بما ورد عن غيرها من الخانقاوات التى أشير إليها ربما لأنها لم تكن فى حالة استقطبت هؤلاء وأؤلئك بعظمة بنائها وجمال منظرها.

وعلى ذلك فإن حديثا عن هذه الخانقاة سينحصر –طبقا لما أمكن الوقوف عليه من معلومات – فى خمس نقاط رئيسية هى:

١– تاريخ الخانقاة.

٢– منشئ الخانقاة.

٣– بعض موظفى الخانقاة.

٤– وصف الخانقاة.

٥– ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة:

يشير المقريزى إلى أن هذه الخانقاة كانت خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرقى بجوار جامع بشتاك من غربية والذى أنشأها هو القاضى سعد الدين ابن غراب الاسكندرانى أستادار السلطان الظاهر برقوق وكاتب سره،(١٢١) أما على باشا مبارك فقد قال عند حديثه عن (زاوية سعد الدين الغرابى) أنها كانت فى الأصل خانقاة ابن غراب التى أنشأها خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرقى القاضى سعد الدين بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندرانى المتوفى سنة

(٨٠٨هـ) واليوم (أى على عهده فى القرن ١٣هـ/١٩م) جعل بعضها مساكن ولم يبق منها إلا إيوان واحد فى شعائره بعض تعطيل وبها سبيل مهجور.(١٢٢)

وأهم ما يلفت النظر فى هذا الصدد أن ما ورد بشأن هذه الخانقاة عند كل من المقريزى وعلى باشا مبارك لا يشير إلى تاريخ بنائها وإنما يشير إلى تاريخ وفاة منشئها سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، وزاد من صعوبة هذا الموقف ان ما جاء عنها فى المراجع العربية لم يتفق على تاريخ واحد لها حيث وردت فى بعض هذه المراجع بتاريخ يرجع إلى ما بين سنتى (٨٠٣–٨٠٨هـ/١٤٠١–١٤٠٦م)،(١٢٣) وفى بعضها الآخر بتاريخ يرجع إلى سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م)،(١٢٤) وجاء فى لوحة الترميم الذى أجرته لجنة حفظ الآثار العربية بها سنة (١٣٢٩هـ/١٩١١م) أنها أنشئت بعد سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٧م)،(١٢٥) ونظرا إلى أننا لا نملك دليلا بشأن تاريخ بنائها اكثر مما أشير إليه فإننا نميل إلى القول بإرجاع هذا التاريخ إلى ما بين سنتى (٨٠١–٨٠٨هـ/١٣٩٨–١٤٠٥م).

٢– منشئ الخانقاة :

ترك لنا كل من المقريزى وابن تغرى بردى والسخاوى كثيرا من أخبار منشئ هذه الخانقاة، ولعل المقريزى هو أكثر الثلاثة تفصيلا فى ذلك إذ يقول عنه أنه القاضى الأمير سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندرانى ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الألوف الأكابر، أسلم جده غراب وباشر بالاسكندرية حتى ولى نظر الثغر وولد له حينذاك عبد الرزاق وماجد وابراهيم،(١٢٦) ويضيف على ذلك السخاوى بقوله «المصرى القبطى....أصله من أبناء الكتبة الأقباط بالاسكندرية».(١٢٧)

وفى أيام الأمير جمال الدين محمود بن على على عهد الملك الظاهر برقوق نال ابراهيم ابن غراب حظوة وعناية عندما استكتبه جمال الدين فى خاص أمواله، ثم بدر منه بعد ذلك ما ألب عليه أميره فتركه وترامى على منافسه الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى الذى أوصله بالسلطان فأوغر صدره ضد جمال الدين حتى نكبه فى أمواله وولى ابن غراب نظر الديوان المفرد فى حادى عشر صفر سنة (٨٩٨هـ/١٣٩٥م) وعمره عشرون سنة أو نحوها.

فاختص ابن غراب بابن الطبلاوى ولازمه وملأ عينه -كما يقول المقريزى - بكثرة المال فتحدث له في وظيفة نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى فوليها فى تاسع عشر ذى القعدة من السنة المشار إليها.

إلا أن من تنكر لولى نعمته الأول بهذه الصورة كان لابد أن ينقلب على ولى نعمته الثانى، فسعى ضد ابن الطبلاوى عند السلطان حتى غيره عليه وولاه أمره فقبض ابن غراب عليه وعلى سائر أملاكه فى شعبان سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) فأضيف إليه نظر الجيوش عوضا عن شرف الدين محمد الدمامينى فى تاسع ذى القعدة من السنة المذكورة فأظهر من العفة والحشمة والمكارم ما جعل السلطان يعده من جملة أوصيائه عندما مات فى شوال سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م).

فسعى ابن غراب للمرة الثالثة مع الأمير يشبك الخازندار للإطاحة بالأمير كبير أيتمش القائم بدولة الناصر فرج، وقامت على يديه -الفتنة بين أيتمش ويشبك فى ربيع الأول سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) فانهزم أيتمش وعدة من الأمراء معه، وتحكم يشبك فى أمور الدولة فاستدعى ابن غراب أخاه ماجدا من الأسكندرية (وهو يلى نظرها) إلى القلعة وفوض إليه وزارة الناصر فرج.

فلما ولى الأستادارية الأمير يلبغا السالمى سعى عليه ابن غراب للمرة الرابعة عند الأمير يشبك حتى قبض عليه وتقلد هو وظيفته عوضا عنه فى رابع عشر رجب سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) وهنا صدر له ديوان كدواوين الأمراء ودقت الطبول على بابه وخاطبه الناس وكاتبوه بالأمير وسار فى ذلك سيرة الملوك بكثرة العطايا وزيادة الأسمطة والاستكثار من الخيول والمواشى حتى لم يكن يضاهيه أحد.

وظل على ذلك حتى تنكر رجال الدولة وعلى رأسهم الأمير يشبك على الملك الناصر وحدثت الحرب بينهم فانهزم يشبك وفر بعسكره ومن معه ومن جملتهم ابن غراب إلى الشام سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) وهنا أخذ ابن غراب يمد فى حبائله من جديد إلى أن ملأ عينى الأمير إينال باى بن قجماس بالمال فتوسط له عند الناصر حتى أمنه فعاد إلى داره وعاد الناس إلى بابه، ثم تقلد نظارة الجيوش واختص بالسلطان من جديد ومازال به حتى استرضاه على الأمير يشبك ومن معه من الأمراء فخلع عليهم السلطان وأمرهم.

وعندما تمكن ابن غراب من أمره مع السلطان سعى للمرة الخامسة ضد فتح الدين فتح الله كاتب سر الدولة وصاحب الوقف المعروف على قبة زوجته بالخانقاة النظامية فقبض عليه الناصر وولى ابن غراب مكانه فخلا له الجو ليعيث فيه كيف يشاء، فألب الناس على الناصر وحسن له الفرار فانقاد له وسار ناحية طرابلس مع اثنين من مماليكه وقت الظهر، ثم عاد ليلا إلى بيت ابن غراب فأخفاه عن الأعين وولى أخوه الملك عبد العزيز ولقبه بالمنصور فصار هو مدبر الدولة بغير منازع، ودام الحال على ذلك سبعين يوما ولا أحد يدرى من أمر الناصر شيئا.

فلما تغير عليه الأمراء، وتربصوا به أخرج الناصر ليلا وجمع له عسكرا وركب معه إلى القلعة فلم يلبث أصحاب المنصور أن انهزموا ودخل الناصر إلى القلعة واستولى على السلطنة من جديد فسلم لابن غراب مقاليد الدولة، وبذلك أصبح ابن غراب ولى نعمة كل من السلطان والأمراء، وزادهم على ذلك أن مدهم بماله وقت حاجتهم وصار يفخر بأنه أزال دولة وأقام دولة وأنه لو شاء أخذ الملك لنفسه.

ولبس بعد ذلك الكلوتة والقباء على هيئة الأمراء وشد السيف فى وسطه وتحول من داره التى كانت على بركة الفيل إلى دار بعض الأمراء بحدرة البقر فغاضبه القضاة، وهنا نزل به مرض الموت فكان الأمير يشبك يتردد عليه هو وبقية الأمراء إلى أن مات يوم الخميس تاسع عشر رمضان سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) لم يبلغ الثلاثين عاما، فكانت جنازته حدثا لم يسبق فى حينه بحيث استأجر الناس -كما يقول المقريزى- السقائف والحوانيت لمشاهدتها ونزل السلطان للصلاة عليه ثم دفن خارج باب المحروق.(١٢٨)

ومن ذلك يتضح أن ابن غراب لم يكن أحد صلحاء عصره، بل كان على العكس من ذلك تماما، فسعى ضد كثيرين بالمكائد والرشوة، ونهب أموال آخرين بغير حق وأوقع فى حبائله من أوقع لحاجات فى نفسه، بل أكثر من ذلك أنه كان كما يقول المقريزى «أحد من قام بتخريب البلاد لأنه مازال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار مائتين وخمسين درهما بعد ما كان بنحو خمسة وعشرين، ففسدت بذلك معاملة الإقليم وقلت أمواله وغلت أسعاره وساءت أحوال الناس إلى أن زالت البهجة وانطوى بساط الرقة وكاد الإقليم يدمر»(١٢٩) وهكذا كانت سيرته داهية ماكرة سيئة بغير حد، فكان أمر خانقاته إلى ما آل إليه من ضياع وتخريب ولا جزاء إلا من جنس العمل.

٣ – بعض موظفى الخانقاة :

لم نعثر من تراجم موظفى هذه الخانقاة فيما أمكن الوقوف عليه من كتب التراجم –إلا على ترجمة واحدة لأحد الذين تصدروا للإقراء فيها، ذكرها السخاوى فقال «محمد بن خليل الشمس أبو عبد الله العراقى (نسبة لقرية من قرى مصر البحرية) ثم القاهرى الشافعى، قدم القاهرة فسمع من العز بن جماعة والموفق الحنبلى..وتصدر للإقراء بأماكن كمدرسة سعد الدين بن غراب بالقرب من جامع يشبك..مات فى خامس شعبان سنة ست عشرة (وثمانمائة) بالقاهرة».(١٣٠)

٤ – وصف الخانقاة : (انظر لوحة : ١٧)

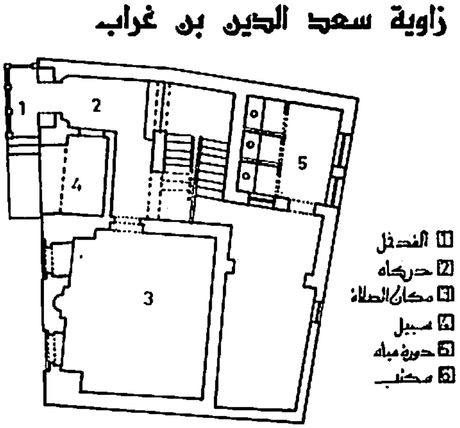

لوحة ١٧ : بقايا الخانقاة السعدية (ابن غراب) – أثر رقم ٣١٢ (٨٠١ – ٨٠٨هـ / ١٣٩٩ – ١٤٠٦م) مسقط افقى

تقع هذه الخانقاة على ناصية شارعى بورسعيد ودرب الجماميز بالسيدة زينب فى مواجهة جامع بشتاك بالقرب من قنطرة سنقر، وتقوم على مساحة مستطيلة غير منتظمة طولها (٣١,٥٥)متر وعرضها (١٠)متر كان يتوسطها صحن صغير مكشوف تحيط به أربعة إيونات أكبرها إيوان القبلة يليه الإيوان الغربى، أما السدلتان الشمالية والجنوبية فكانتا صغيرتين، وكانت خلاوى الصوفية تكتنف هاتين السدلتين وتشغل الطابقين الثانى والثالث، وقد اقتطعت أجزاء كثيرة من هذه الخانقاة بعد ردم الخليج الكبير وعمل الشارع الواقع إلى الشرق منها، وبذلك لم يبق من هذه الخانقاة حاليا إلا جزء صغير يشغله تفتيش من تفاتيش قطاع الآثار الإسلامية والقبطية بهيئة الآثار.(١٣١)

وتطل واجهتها على الناحية الشرقية (انظر شكل ٣٦) وبها فى الجانب الشمالى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١,٥٠)متر وعمقها (٢٠ر)متر تبدأ من أسفل بشباك مستطيل كان

به أرماح ومخرزات نحاسية متقاطعة يعلوه عتب حجرى فوقه عقد عاتق به صنجات حجرية مزررة، وبين العتب والعقد العاتق طبلة عقد غير مزخرفة كما هو الحال فى الأعتاب.

ويعلو هذا الشباك المستطيل دخلة مستطيلة أيضا ذات عقدين كل منهما على شكل حدوة الفرس يحملها كتفان من الجانبين وعمود رخامى دائرى البدن فى الوسط له قاعدة وتاج كل منهما ذو شكلب رمانى مثمن الأضلاع، وفوق هذا العمود توجد قمرية دائرية مغطاة بشبكة من السلك من الخارج، وتنتهى هذه الدخلة من أعلا بمقرنصات مضلعة ذات زوايا تتكون من ثلاقث حطات، أما الدخلة الثانية فتشبه الدخلة الأولى إلا أن عتب شباكها السفلى عبارة عن لوحة من كتابات نسخية تتألف من أربعة أسطر نصها :

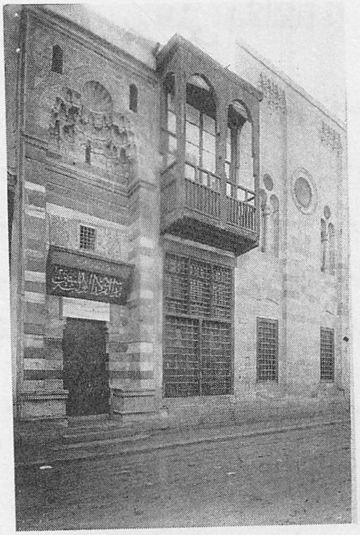

شكل ٣٦ : بقايا الخانقاة السعدية (ابن غراب) – أثر رقم ٣١٢ (٨٠١ – ٨٠٨هـ / ١٣٩٩ – ١٤٠٦م) الواجهة الشرقية والمدخل والسبيل والكتاب

سطر ١ : هذه الخانقاة المباركة من إنشاء القاضى^(١٣٢) الأمير سعد الدين^(١٣٣) بن ابراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الأسكندرانى ناظر الجيوش المنصورة^(١٣٤)

سطر ٢ : والخواص الشريفة وكاتب السر على أيام السلطان الظاهر برقوق وولده أنشأها بعد سنة ثمنمائة من الهجرة وكانت واجهتها خارجة

سطر ٣ : فى الطريق ومردوم أسفلها فهدمتها لجنة حفظ الآثار العربية وأعادت بناها على سمته فى عصر خديوى مصر الأعظم ومليكها

سطر ٤ : الافخم الحاج عباس حلمى باشا الثانى أدام الله أيامه وذلك فى سنة ١٣٢٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأذكى التحية.

ويلى هذه الدخلة الثانية من الناحية الجنوبية شباك كبير مستطيل الشكل ينقسم إلى

قسمين السفلى وبه أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة والعلوى عبارة عن ثلاثة أجزاء رأسية متشابهة بكل منها مصبعات خشبية تشبه الأرماح والخرزات، وكان هذا الشباك هو شباك سبيل الخانقاة (راجع شكل ٣٦)، ويعلوه عتب خشبى خال من الزخارف فوقه شرفة خشبية هى واجهة الكتاب محمولة على عرقين خشبيين بارزين (استخدما بدلا من الكوابيل) يحملان أرضية الشرفة.

وتطل هذه الواجهة على الشارع بواسطة عقدين نصفى دائريين يحملهما ثلاثة عروق خشبية، ولهذه الشرفة دروة من قوائم خشبية وهى خالية تماما من الزخارف.

وفى نهاية هذه الواجهة من الناحية الجنوبية يقع المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة وعو عبارة عن دخلة عرضها (٢,٢٥)متر وعمقها (ر٧٥)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (ر٧٠)متر وعرضها (ر٥٠)متر وارتفاعها (ر٨٠)متر تزينها جفوت لاعبة ذات ميمات دائرية.

أما المدخل فعرضه (١ر٢٠)متر به باب من درفتين خشبيتين خاليتين من الزخارف ويعلوه عتب حجرى ذو واجهة رخامية بيضاء ذات إطار عبارة عن شريط من الرخام الأسود، ويلى هذا العتب عقد عاتق من صنجات رخامية مزررة ذات لونين أسود وأبيض، وبين العتب المستوى والعقد العاتق توجد طبلة عقد يزينها فرع نباتى به أوراق ثنائية الفصوص، وفوق هذه الصنجات المزررة توجد نافذة مربعة ذات إطار خشبى بها أرماح ومخرزات على جانبيها وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما عبارة عن مستطيل تتكون زخارفه من طبق نجمى من الفصوص الرخامية الملونة بالأزرق والأحمر والأبيض والأسود.

ويعلو تلك النافذة وما حولها من وحدتين زخرفيتين شريط من كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين(١٣٦) وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».

ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زين باطن الفصين السفليين منه بمقرنصات مقعرة ذات دلايات، وعلى جانبى الفص العلوى توجد نافذتان صغيرتان مستطيلتان أشبه بالمزاغل يغطى كل منهما شبكة خارجية من السلك، وعلى جانبى الباب يوجد إزاز كتابى غير كامل

النص (لضياع جزء منه) باقيه على يمين المدخل نصه ـ عفوة ابراهيم بن غراب أستادار العالية» وعلى يساره نصه: « وناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة وما مع ذلك تقبل الله منه ولطف به فى الدارين بمحمد وآله سنة.» وباقى النص غير موجود.

وعلى جانب المدخل توجد أشرطه رخامية ملونة تتبادل اللونين الأسود والأبيض بدءا من فوق المكسلتين حتى أعلى شريط الكتابة العلوية، كما كان يحدد هذا المدخل جفت حجرى خال من الميمات.

أما واجهتى هذه الخانقاة الشمالية والجنوبية فهما مصمطتان ليس فيهما شئ بعكس الواجهة الغربية التى تتكون من ثلاثة أدوار بالأرضى منها ثلاثة شبابيك مستطيلة ذات أرماح ومخرزات حديدية حول اوسطها الآن إلى باب يدخل منه إلى تفتيش الآثار، أما الدور الثانى فيه ثلاثة شبابيك متشابهة كل منها عبارة عن مستطيل به مصبعات خشبية خلقت فيها وسط الشباك من أسفل فتحة مستطيلة (خوخة) عملت لها درفة خشبية من الخرط، وتشبه شبابيك الدور الثالث شبابيك الدور الثانى تماما من حيث العدد إلا أنها أكبر منها طولا.

ويؤدى المدخل الرئيسى المشار إليه إلى رحبة صغيرة طولها (١٠ر٢)متر وعرضها (٧٠ر١)متر يغطيها سقف حديث على يمينها مدخل السبيل وهو عبارة عن فتحة عرضها (١)متر ذات عتب مستو، ومن هذه الرحبة يصعد بثلاث درجات تؤدى إلى استطراق مستطيل يتجه ناحية الشمال ذو سقف حديث أيضا طوله (٣٠ر٣)متر وعرضه (٥٠ر١)متر فى صدرها من الشمال فتحة باب يشبه باب السبيل عرضها(١٠ر١)متر تفضى إلى الزاوية.

وهذه الزاوية عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٨٠ر٥)متر وعرضها (٦٠ر٤)متر يغطيها سقف مجدد فى جدارها الغربى شباكان مستطيلان لكل منهما عقد نصف دائرى وأرضيتها منحدرة إلى أسفل.

أما جدارها الشرقى فيتوسطه المحراب وهو عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٠ر١)متر وعمقها (٦٠ر)متر يعلوها عقد نصف دائرى محمول على عمودين رخاميين متشابهين كل منهما مثمن الأضلاع له قاعدة وتاج على شكل رمانى مثمن، ويمكن تقسيم زخارف هذا

المحراب إلى ثلاث مناطق: السفلية وكانت عبارة عن وزرة من أشرطة رخامية ملونة لم يبق منها إلا أجزاء قليلة، والوسطى تزينها أطباق نجمية من الصدف تحيط بها من الجانبين أشرطة رخامية رأسية ومن أعلى شريط من صدف زخارف عبارة عن أشكال هندسية يعلوها شريط ذو زخارف حجرية تتألف عناصره من تفريعات نباتية ذات أوراق مختلفة وأنصاف مراوح نخيلية، وفوق هذا الشريط توجد تسعة أشكال لمحاريب ذات عقود نصف دائرية رصع داخلها بالصدف ووسط بنجمة سداسية جعل بداخلها فص من اللازورد الأزرق، أما المنطقة العليا فهى عبارة عن طاقية المحراب وتزينها أشرطة رخامية باللونين الأسود والأحمر فى ثلاثة أشكال مشعة.

أما الواجهة الخارجية لهذا المحراب فهى ذات عقد متراجع تزينه مزررات رخامية باللونين الأحمر والأسود على شكل أوراق نباتية ثلاثية البتلات كان بداخل معظمها فصوص من اللازورد الأزرق ضاعت غالبيته، وعلى جانبى هذا العقد المتراجع توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما عبارة عن مثلث قوام زخارفه أوراق نباتية ثلاثية وثنائية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، ووحدتان أخريان متشابهتان كل منهما عبارة عن مستطيل نقش فيه بأشرطة رخامية سوداء على أرضية بيضاء كتابة كوفية مربعة نصها «محمد» مكررة.

ويحيط بكل هذه الوحدات الزخرفية شريط من كتابات نسخية نصها من أسفل: «بسم الله الرحمن الرحيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا»(١٣٧) وتحت الوحدة الزخرفية الكوفية اليمنى نجد شريطا حجريا به ثلاث بخاريات بالجانبيتين كتابات نسخية نصها «قوله الحق»، «له الملك» وبالوسطى رنك المنشئ، هذا وتمتد أشكال المحاريب المرصعة التى تعلو المنطقة الزخرفية الثانية من المحراب على جانبيه لتشمل باقى جدار القبلة كما فى مدرسة القاضى أبو بكر مزهر بالجمالية وغيرها.

وعلى يمين ويسار المحراب توجد دخلتان عرض اليمنى (١٫١٠)متر وعمقها (١٫٥٠)متر يغطيها سقف حجرى مستو، وعرض اليسرى (١٫١٠)متر وعمقها (٠٫٦٥)متر ذات سقف حجرى أيضا، وهاتان الدخلتان ذواتا سدتين حديثيتين، أما أرضيتهما فكانتا مزخرفتين بفسيفساء رخامية ذات أشكال مختلفة لم يبق منها إلا دائرتان بنيتان.

ويؤدى استطراق المدخل الرئيسى إلى سلم هابط ذو اتجاهين يفضى الاتجاه الثانى منه إلى مدخل عرضه (١٫٨٠) متر ذو عقد نصف دائرى يؤدى الى دورة مياه مجددة حديثا، وبين الممر المؤدى إلى الزاوية وسلم دورة المياه يوجد السلم الذى يصعد منه إلى الدورين الثانى والثالث وبهما من الحجرات ما يلى :

الدور الأول :

وهو عبارة عن حجرة واحدة مستطيلة فى جدارها الغربى الشبابيك الثلاثة التى سبق ذكرها عند وصف الواجهة الغربية.

الدور الثانى :

وبه على اليمين حجرة مستطيلة جدارها الشرقى مفتوح وبه الشرفة التى تطل على درب الجماميز التى سبق وصفها عند الحديث عن الواجهة الرئيسية، وفى مواجهة السلم توجد حجرة كبيرة مستطيلة الشكل فى جدارها الشرقى القمريات الثلاث التى توجد بالواجهة الرئيسية، وفى جدارها الغربى ثلاثة شبابيك مستطيلة مجددة، وعلى اليسار توجد حجرة ثالثة تشبه الحجرة أسفلها بالدور الأول.

ومما تجب الإشارة إليه فى ختام هذا الوصف أن هذه الخانقاه كانت تشتمل على قبة ضريحية للمنشئ تقع على امتدادها من الناحية الجنوبية وكانت قبة صغيرة مبنية من الطوب الأحمر وذات بدن مضلع من الخارج عبارة عن مخدات رأسية لم تكن تشتمل على شئ من الزخارف أو الكتابات (انظر شكل ٣٧) وقد تهدمت هذه القبة منذ زمن ليس بالبعيد.

شكل ٣٧ : بقايا الخانقاة السعدية (ابن غراب) – قبة تهدمت

٥– ترميمات الخانقاة :

لم تحظ بقايا هذه الخانقاة من لجنة حفظ الآثار

العربية – ربما لتدنى الأهمية الفنية لما بقى منها – بالرعاية التى حظيتها بقية الآثار الأخرى، يدل على ذلك أننا لم نجد فى كراسة هذه اللجنة فيما يتعلق بهذه الخانقاة غير إشارات عابرة أربع ورد فى أولاها أن هذا الأثر الذى كان يقع إزاء نظارة المعارف العمومية على حافة الخليج حدثت فيه عدة تغييرات وتهدمات من الداخل والخارج وأن أحد الأهالى كان قد طلب ترميمة لكى تستمر شعائره ورأت اللجنة الموافقة على ذلك شريطة ألايحصل للأثر أدنى تغيير فى هيئة الزخارف التى لم تزل باقية فيه، مع وضع الواجهة على حالتها الأصلية، أما صلب الزخارف وتنظيفها فيتم بمعرفة اللجنة وعلى حسابها إذا لم يقم بها متطوع الترميم.(١٣٨)

وورد فى الإشارة الثانية بعض الشروح التاريخية عنه ولاسيما فيما يتعلق بماهية الأثر وترجمة منشئه وخلاصته «أن هذا المحل الصغير كان مسمى باسم خانقة بمعنى مجموع مدرسة ومسجد وتكية وتأسس بمعرفة إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الذى كان مملوكا للسلطان برقوق فى أواخر القرن (٨هـ/١٤) مسيحى»،(١٣٩)وفى هذا إشارة واضحة إلى أن الخانقاة فى مفهوم العصر كانت تعنى مدرسة للتعليم ومسجدا للشعائر وتكية للمعيشة.

وورد فى الإشارة الثالثة أن اللجنة كانت قد صرفت (٩٩٠ر–)جنيه على تجديد لحام بعض ألواح من واجهة باب زاوية سعد الدين بن غراب بدرب الجماميز وتنظيف الباب.(١٤٠)

أما فى الإشارة الرابعة فقد ورد أن إدارة التنظيم كانت قد كتبت للجنة ثلاث مرات تطلب تدارك الخلل الموجود بهذه الزاوية الصادر بشأنها قرار هدم من التنظيم وصلبت مبانيها مؤقتا بمعرفة اللجنة إلى ان تفك الواجهة وتبنى على خط التنظيم الجديد، وقد عملت لذلك مقايسة بمبلغ (–ر٢٧)جنيه لأجل هدم النصف العلوى من هذه الواجهة إرضاء للتنظيم المشار إليه فوافق القسم الفنى على هذا العمل.(١٤١)

٣ – الخانقاة الناصرية فرج

(٨٠١–٨١٣هـ/١٣٩٨–١٤٦٠م)

اثر رقم ١٤٩

تقع هذه الخانقاة فى الجزء الشمالى من قرافة المماليك بجوار قبة أنس الدوادار، وقد بدأ السلطان الناصر فرج بن برقوق فى إنشائها سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م) وفرغ منها سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) ومعنى ذلك أن العمل كان قد استمر فيها مدة اثنى عشر عاما وهى مدة رغم ما يبدو من طولها زمنيا بالقياس إلى المدد التى استغرقها بناء كثير غيرها من المنشآت المملوكية، فإنها فى الحقيقة لم تكن بطويلة على بناء مثل هذه المجموعة المعمارية التى لم يبن مثلها فى عصر سلاطين المماليك جميعا، فهى أضخم خانقاة فى مصر وأكبرها مساحة وأكثرها نفقة، لأنها بنيت كمسجد فسيح الأرجاء لإقامة الصلوات فى تلك البقعة النائية من القاهرة وكمدرسة لتدريس العلوم الشرعية وخانقاة للصوفية وتربة للعائلة الظاهرية (برقوق) وأسبلة لسقاية الناس فى الصحراء وكتاتيب لتعليم الأيتام من أبناء المسلمين، بل لقد أراد المنشئ أن يجعل منها نواة مدينة عامرة بأسواقها وخاناتها وحماماتها.

وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من مادة تاريخية تتعلق بهذه ا لخانقاة فإن حديثنا عنها يمكن أن ينقسم إلى خمس نقاط رئيسية هى :

١ – تاريخ الخانقاة ومكتبتها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١- تاريخ الخانقاة ومكتبتها:

اتفقت المراجع العربية التى أمكن الاطلاع عليها على أن السلطان الظاهر برقوق كان قد أوصى قبل موته ألا يدفن فى مدرسته وخانقاته التى أنشأها بشارع المعز لدين الله الفاطمى بحى الجمالية، بل تحت أقدام المتصوفة والفقراء بالصحراء، وعلى ذلك فقد أوصى ابنه الناصر فرج أن ينى لهم تربة فى هذا الموقع الصحراوى الساكن، وكان على الأبن أن ينفذ وصية والده فشرع سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) فى بناء مجموعة معمارية هائلة لم تشتمل فقط على مسجد ومدرسة خانقاة وتربة وسبيلين وكتابين، بل عمل على أن تكون -كما قلنا - مدينة عامرة بأسواقها وخاناتها وحماماتها، فتم له سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) بناء المسجد والمدرسة الخانقاة والتربة والسبيلين والكتابين، ولم يمهله أجله من إتمام كل ما كان قد خطط له ورمى إليه، فأكمل أخوه الملك المنصور عبد العزيز بعضا مما لم يكن قد تم من كماليات المنشأة، ولم يتمكن هو الآخر من إتمام كل نواقصها لأنه لم يبق فى السلطنة سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، سوى شهرين، ولعظمة هذه الخانقاة أمر السلطان قايتباى سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) بعمل منبر حجرى لها كان ولايزال بغير نظير له فى دقة نقوشه وجمال هيئته،(١٤٢)ولعظمتها أيضا بهرت كثيرا من الفنانين العالميين ولاسيما المهندس المعمارى الفرنسى «باسكال كوست» الذى رسمها سنة (١٨٣٧م) والفنان الإنجليزى دافيد روبرتس الذى رسمها سنة (١٨٤٨م) والفنان الفرنسى (بريس دافن)الذى رسمها سنة (١٨٦٩م) ثم جعلت سنة (١٩٤٥)رمزا للعملة المصرية فطبعت صورتها على الجنيه المصرى.(١٤٣)

أما بالنسبة لمكتبة هذه الخانقاة(١٤٤)فقد أشار كل من المقريزى والسخاوى فى القرنين (٨-٩هـ/ ١٤-١٥م)إلى انها كانت تشتمل على خزانة كتب قيمة تحتوى العديد من المؤلفات والمصاحف، فقال المقريزى أنه كان بالخانقاة البرقوقية التى أنشأها السلطان فرج بن برقوق بخارج باب النصر خزانة كتب كبيرة »،(١٤٥)وأشار السخاوى فى معرض حديثه عن ترجمة سرور الحبشى الشقراوى (نسبة إلى خوند شقراء إبنة الناصر فرج جهة (زوجة) جرباش أنه «كان فى خدمتها ثم ترقى إلى أن استقر به الأشرف قايتباى شاد الحوش واستنابه فى أوقاف الناصر فرج فضيق على مستحقى التربة الناصرية....وجدد بالخانقاة كتبا عمل لها خزانة غير خزانة كتب الواقف ..

..»(١٤٦) وزادتنا بعض المراجع العربية الحديثة على ما ذكره كل من المقريزى والسخاوى أن خازن مكتبة السلطان فرج بن برقوق كان يتقاضى راتبا شهريا قدره عشرون درهما.(١٤٧)

٢ – منشىء الخانقاة:

أمدنا كثير من المؤرخين العرب ولاسيما ابن تغرى بردى والسخاوى وابن إياس والحنبلى وابن ظهيرة وابن العماد وغيرهم بفيض هائل من المعلومات الهامة والمتعلقة بترجمة السلطان الناصر فرج بن برقوق (منشئ هذه الخانقاة)، فذكر ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/١٥م) أنه هو السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق بن الأمير أنس الجركسى الأصل المصرى المولد والمنشأ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية، وهو السلطان السادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية والثانى من سلاطين الجراكسة، كان مولده سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) من أم رومية تسمى شيرين، فتربى فى كنف أبيه حتى بلغ من السن عشر سنين، عندما مات أبوه فى يوم الجمعة للنصف من شوال سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) فاجتمع الأمراء بالقلعة واستدعى الخليفة المتوكل وقضاة القضاة وشيخ الإسلام البلقينى، فلما تكاملوا بالاسطبل السلطانى أحضر فرج فبايعه الخليفة بالسلطنة وأفاض عليه بخلعة سوداء ونعت بالملك الناصر فركب إلى القلعة بشعار السلطنة وأخذ الأمراء فى تجهيز أبيه ليشيع إلى مثواه الأخير.(١٤٨)

وقد اتفق كل من ابن تغرى بردى والسخاوى وابن العماد على أن تولية الناصر فرج كانت بعهد من أبيه إليه قبل ان يموت،(١٤٩) ومع أن تاريخ مولده وتاريخ توليته الأولى يثبتان بما لا يدع مجال للشك أن عمره عندما تسلطن كان حول العاشرة، إلا أن القاضى مجير الدين الحنبلى يقول أنه «استقر فى السلطنة وعمره اثنتا عشرة سنة فى صبيحة يوم الجمعة للنصف من شوال سنة إحدى وثمانمائة،(١٥٠) وأيا كان الأمر فقد ظل الناصر فى سلطنتهاالأولى منذ ذلك التاريخ المتفق عليه حتى خلع فى سادس عشر ربيع الأول سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) بأخيه الملك المنصور عبد العزيز الذى لم تدم له السلطنة سوى شهرين وتسعة أيام هى جملة أيام اختفاء أخيه، لأن الناصر ما لبث أن ظهر فى الخامس من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة فامسك أخاه وحبسه ثم قتله واستولى على قلعة الجبل وقبض على بيبرس أتابك العسكر ثم طلب الخليفة والقضاة فحضروا إليه

وجددوا له البيعة فعاد إلى السلطنة للمرة الثانية، ومَا لبث أن جهز نفسه لحرب الأميرين نوروزو الحافظى وشيخ المحمودى، إلا أنه انكسر أمامها وفر –كما يقول السخاوى – على الهجن إلى دمشق فدخل قلعتها واعتقل فى صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، واستفتوا العلماء فى أمره فأفتوا بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم فقتل فى ليلة السبت سابع عشر صفر من السنة المشار إليها ودفن بمقابر دمشق فى مرج الزجراج بالقرب من الطريق[١٥١] ولم يختلف مع هذه الرواية القائلة بدفنه فى دمشق إلا ابن العماد الذى أشار إلى أنه «قتل بمصر سلطانا ليلة السبت سادس عشر صفر».[١٥٢]

وقد أشار السخاوى إلى أنه كان يجمع بين كثير من الصفات المتضادة حين قال «كان سلطانا مهيبا فارسا كريما ظالما جبارا منهمكا على الخمر واللذات»،[١٥٣] وأيده فى بعض من ذلك ابن تغرى بردى حين قال فى سبب تركه للسلطنة واختفائه أنه «جلس فى يوم النوروز مع أصحابه من الأمراء والخاصكية من مماليك ابيه وشرب معهم حتى سكر ثم القى بنفسه فى فسقية هناك فألقى الأمراء أنفسهم معه وغالب السكر على السلطان وصار يسبح معهم فى الماء وترك الوقار..»[١٥٤] أما المقريزى فيعطى لذلك سببا أكثر عقلا ومنطقا حين قال أنه لكثرة ما قاسى من الثوار فى بلاد الشام فقد ذبح منهم فى ليلة واحدة أربعة وعشرين أميرا، وخنق أربعة أمراء مائة بما فيهم تنم وأيتمش ونائب طرابلس.[١٥٥] ومعنى ذلك أنه كان قد ضاق بالسلطنة لكثرة ما قاساه من الأمراء وتحكمهم فيه لصغر سنه، يدل على ذلك ما أورده ابن تغرى بردى فى النجوم من أنه ما أن مات برقوق حتى سارع الأمراء بتنفيذ الشق المتعلق بسلطنة ابنه فرج من وصيته وولوه السلطنة وتقاعسوا عن تنفيذ شقها الثانى المتعلق بمساعدته على إقرار الأمن فى الدولة، وكان لذلك أكبر الأثر فى سؤ الأحوال واضطراب الأمور مما دفع الناصر إلى الاختفاء عن الساحة،[١٥٦] وقد أشار على باشا مبارك إلى ذلك أيضا حين قال أنه لما دخلت سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) كانت عساكر تيمورلنك قد هاجمت كل مدن الشام بعد أن انهزمت عساكر السلطان، وقيل أنهم قتلوا فى مدينة حلب وحدها نحوا من عشرين ألف نفس، كل ذلك والسلطان فرج فى لهوه وشربه وحظوظه مع الملاح والندماء، فسخط الأمراء عليه وثارت الفتن ضده فى كل جهة إلى أن قام عليه بيبرس سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) محاولا قتله فهرب،[١٥٧] أما القاضى مجير الدين الحنبلى فقد أشار إلى أنه دخل بيت المقدس ونزل بالمدرسة التنكزية وفرق مالا كثيرا على الناس، ومن جملة ما

رسم به بالقدس الشريف أن نائب القدس لا يكون ناظر الحرمين الشريفين ولا يتكلم عن النظر بالجملة الكافية ونقش لذلك بلاطة ألصقت بحائط باب السلسلة عن يمنة الداخل من الباب وعلق الستائر الحريرية على الأضرحة الشريفة بمسجد الخليل عليه السلام.(١٥٨)

ولم تقتصر معلوماتنا عن السلطان فرج على ما أوردته المصادر العربية فيما أشير إليه، بل لقد أوردت لنا المراجع المنشورة كثيرا من أخباره أيضا، وخلاصة ما أوردته هذه المراجع يتفق فى غالبه مع ما ذكرته المصادر المشار إليها، ويفسر فى بعضه بعضا مما لم تفسره هذه المصادر، فيذكر صاحب كتاب الدولة المملوكية ان الناصر فرج لم يجد بعد تضافر العوامل ضده بدا من التخلى عن الحكم عملا بنصيحة ابن غراب الذى وعى أبعاد الحالة السياسية فى الدولة فنصحه بالاختفاء حتى تزول الفتنة ويتقاسم الأمراء النفوذ دون السلطان، وبالتالى فإن أحدا منهم لم يجرؤ على اعتلاء العرش لشدة الصراع بينهم فينصب عليه عبد العزيز الابن الثانى لبرقوق وتزول الخلافات القديمة بين فرج والأمراء وعند ذلك يعود فرج للظهور مجددا بعدما يكون بيبرس قد استبد بالحكم دون سائر الأمراء وبعدما يكون المقر السيفى بيبرس ويشبك الدوادار قد أصبحا يتمنيان عودة الناصر من جديد.(١٥٩)

٣ – موظفو الخانقاة :

الواقع أن ما أمكن الوقوف عليه من معلومات تتعلق بموظفى هذه الخانقاة ينحصر فقط فيما أشار إليه السخاوى فى الضؤ اللامع، ومنه يمكن القول أن هؤلاء الموظفين كانو ينحصرون فى ثمان مجموعات رئيسية هى :

أ – شيوخ الخانقاة.

ب – شيرخ التربة.

جـ – أئمة الخانقاة ونوابهم.

د – مدرسو الحديث.

هـ – مدرسو القراءات.

و – مدرسو المذاهب.

ز – المكتبون.

ح – الدارسون والنزلاء (الصوفية).

أ– شيوخ الخانقاة:

ترك لنا السخاوى فى القرنين (٩–١٠هـ/١٥–١١م) ترجمتين اثنتين من شيوخ هذه الخانقاة أولاهما هى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أوحد الدين بن السيرجى الذى قال أنه حفظ القرآن وعرض على جماعة واشتغل ولازم واستقر فى جهات أبيه بعده ومنها المباشرة فى البرقوقية «وقد تنافر مع شيخها الأخميمى بحيث سلط من سعى عليه فغالبه بالبذل وهو منطو على مكر مع سكون وجمود وصاهر الحموى الواعظ»(١٦٠) والواقع أن قوله «فغالبه بالبذل وهو منطو على مكر مع سكون» يعنى أن ابن السيرجى كان قد نال مشيخة البرقوقية عن طريق الرشوة ولا ندرى كيف تؤخذ مشيخة تصوف بالبذل لخلع من فيها ويقولون زهد وانقطاع وتعبد.

وثانيتهما هى ترجمة عبد الرحمن بن يحى بن يوسف بن عيسى الصيرامى الأصل القاهرى الحنفى، ولد فى ثامن شوال سنة (٨١٣هـ) بالقاهرة فحفظ القرآن والكنز والمنار..واستقر فى مشيخة البرقوقية بعد والده إلى أن مات فى يوم الجمعة منتصف ربيع الثانى سنة (٨٨٠هـ) فجأة بعد أن صلى الجمعة ثم رجع فأكل سمكا فاشتبكت منه شوكة بحلقه فقضى فى الحال.(١٦١)

ب – شيوخ التربة أو شيوخ الصوفية:

ذكر لنا السخاوى أيضا أربعة أسماء ممن تولوا مشيخة التربة البرقوقية أو مشيخة صوفيتها أولهم والد إبراهيم بن حاجى صارم الدين حيث قال عنه «ابن شيخ تربة برقوق.. لم أعلم متى مات»،(١٦٢) وثانيهم أحمد بن محمد بن عز الدين محمد بن الجلال الجوهرى الحنفى خادم (سجادة) البرقوقية وشيخ صوفيتها، ولد ونشأ فى خدمة العضد الصيرامى وناب فى القضاء وباشر النقابة عند ابن الشحنة، واستقر شيخ الصوفية بالجامع الأزبكى وحج معه سنة ثمان وسبعين.(١٦٣)

ومن هذا النص الواضح للسخاوى يمكن القول أنه كانت هناك صوفية بالخانقاوات وصوفية بالترب وصوفية بالجوامع وصوفية بالمدارس ونحوها، مما يدل على أن هذه الوظيفة كانت قد استشرت فى المجتمع خلال هذه الفترة التاريخية التى شهدت كثيرا من البدع التى لم يعرفها رجال الصدر الأول رضوان الله عليهم، ولم لا تستشرى هذه البدعة وقد أصبحت وظيفة لها أجر نقدى معلوم وجرايات عينية شهرية حتى الحلوى، ولأصحابها من المنقطعين الحمامات والمطابخ والأفران وخزائن الكتب والحلاقين والمدلكين والأطباء والخدم، كل يتقاضى أجره من أوقافها،(١٦٤) وقد أدى ذلك كله إلى أن تكالب على هذه الخانقاوات الناس من كل لون حتى أن الوظيفة الواحدة كان يتم تقاسمها أو تربيعها، وكثيرا ما أطاح بعضهم ببعض عن طريق الدس وعن طريق البذل وغيرهما من الأخلاقيات السيئة التى كانت الغاية فيها تبرر الوسيلة أيا كانت.

وثالث شيوخ هذه التربة ممن ذكرهم السخاوى هو عبد الغنى بن محمد بن احمد بن الشمس البساطى الأصل القاهرى المالكى ولد تقريبا سنة (٨٠٦هـ) بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن والرسالة..ثم استقر بعد أبيه فى مشيخة الصوفية بالتربة الناصرية فرج وغيرها من جهاته كالربع من تدريس القمحية، مات فى طاعون سنة سبع وتسعين وثمانمائة.(١٦٥)

أما الرابع فهو «عثمان بن حسن بن منصور الفخر العقبى ثم القاهرى الصحراوى ولد تقريبا بعد الثمانين وكان خادم السجادة بالتربة البرقوقية أجاز لى ومات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين» (وثمانمائة)(١٦٦) وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن عثمان هذا كان ممن أخذ عنهم السخاوى، ويكفيه ويكفى خانقاته بذلك فخرا.

جـ- أئمة الخانقاة ونوابهم:

لم نعثر من أئمة هذه الخانقاة ونوابهم إلا على ترجمتين ذكرهما السخاوى أيضا أولاهما هى ترجمة إمامها وخطيبها أحمد بن محمد بن على بن الشمس الجلالى الحنفى المعروف بابن الجلالى، استقر بعد أبيه فى خزن كتب المحمودية وفى تدريس الألجيهية وخطابة البرقوقية، مات فى عاشر شعبان سنة إحدى وسبعين ولم يبلغ الثلاثين،(١٦٧) وثانيتهما هى ترجمة نائبها حسن بن قلقيلة بدر الدين الحسينى سكنا الحنفى» أخذ عن البد العينى واستقر به إمام مدرسته وأم بالبرقوقية

نيابة وتكسب بالشهادة مات قرب الستين تقريبا.(١٦٨)

د – مدرسو الحديث بالخانقاة :

نشير من هؤلاء إلى ثلاثة ذكرهم السخاوى أولهم أحمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله الكرمانى الأصل القاهرى الحنفى المحدث الذى عرف بالكلوتاتى، ولد فى أواخر ذى الحجة سنة اثنتين وستين وسبعمائة .. .. » كان باسمه إسماع الحديث بتربة الظاهر برقوق خارج باب النصر، استقر فيها سنة سبع عشرة (وثمانمائة) ..مات فى يوم الإثنين رابع عشرى جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين بالقاهرة،،.(١٦٩)

وثانيهم أحمد بلى بن يعقوب بن الشمسى القاياتى الأصل القاهرى الشافعى ولد تقريبا سنة ست وعشرينانمائة بالقاهرة فحفظ وعرض، ولما مات أبوه اشترك مع أخيه فى وظائفه فدرس الحديث بالبرقوقية وغيرها، مات فى حادى عشر صفر سنة تسع وسبعين ودفن من يومه بحوش سعيد السعداء.(١٧٠)

وثالثهم عمر بن على بن السراج أبو حفص الكتانى القاهرى الحسينى الحنفى الذى عرف بقارئ الهداية تمييزا له بذلك عن سراج آخر كان يرافقة فى القراءة على العلاء السيرامى شيخ البرقوقية، ولد بالحسينية..ودرس للمحدثين بالبرقوقية وللفقهاء بعدة مدارس كالناصرية والأشرفية القديمة والظاهرية القديمة.(١٧١)

هـ – مدرسو القراءات بالخانقاة :

لم نقف من هؤلاء إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة الشافعى أحمد بن أسد بن عبد الواحد الأميوطى الأصل السكندرى المولد القاهرى الشافعى المقرى الذى عرف بابن أسد، ولد سنة ثمانى وثمانمائة بالاسكندرية، وانتقل منها صحبة والده إلى القاهرة فقطنها وحفظ ودرس حتى تقدم فى الفنون مع توقفه فهما وحافظة وولى تدريس القراءات بالبرقوقية برغبة شيخه العفصى، مات فى يوم الأثنين العشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين بين الحرمين وهم سائرون فى وادى الصفراء ودفن بالجديدة.(١٧٢)

وإلى جانب مدرس القراءات الشافعى المشار إليه اشار السخاوى إلى أن على ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب الخزرجى الأخميمى الأصل القاهرى الحنفى أحد أئمة السلطان الذى عرف بابن الأخميمى كان قد اشتغل عند المحب بن الشحنة والبرهان الكركى «ورام أخوه إعطاءه مشيخة القراءات فى البرقوقية بعد أبى الفضل بن أسد فعورض».(١٧٣)

و – مدرسو المذاهب بالخانقاة :

ترك لنا السخاوى ضمن من ترجم لهم من الفقهاء فى ضوئه اللامع أربع تراجم لمدرسى المذاهب بهذه الخانقاة، منهم ثلاثة للشافعية أولهم عمر بن رسلان بن عبد الحق السراج أبو حفص الكنانى البلقينى ثم القاهرى الشافعى، ولد فى الثانى عشر من شعبان سنة (٧٢٤هـ) بيلقينة من الغربية فحفظ القرآن واشتغل بالتحصيل إلى أن درس بالبديرية والحجازية والخروبية وبجامع طولون وبالبرقوقية، وولى إفتاء دار العدل رفيقا للبهاء السبكى مات فى حادى عشر ذى القعدة سنة (٨٠٥هـ)،(١٧٤) وثانيهم أحمد بن حسن بن على بن الإمام الأذرعى الأصل القاهرى، ولد سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة تقريبا، فحفظ القرآن وتنزل فى صوفية الباسطية وغيرها وابتنى له بجوارها بيتا وفيه يقول السخاوى «وحضر عندى فى دروس البرقوقية وغيرها ونعم الرجل»،(١٧٥) ومعنى ذلك أن السخاوى العلامة الشافعى المشهور كان أحد مدرسى الخانقاة الناصرية فرج وتتلمذ عليه أحمد الأذرعى المشار إليه وكفاها به وبالعلم البلقينى فخرا.

وثالث مدرسى االشافعية بهذه الخانقاة هو عمر بن حسين بن احمد بن البدر العبادى الطنتدائى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى، ولد تقريبا سنة أربع وثمانمائة بمنية عباد غربية ثم تحول منها إلى طنتدا فأكمل وحفظ، وولى تدريس الفقه (الشافعى) بالبرقوقية بعد المحلى، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثمانمائة.(١٧٦)

أما المدرس المالكى فهو «عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر الزينى بن الشيخ الشمسى التنائى المالكى نزيل البرقوقية ممن سمع على شيخنا»،(١٧٧) وهذا يعنى أن شيخ السخاوى وهو العلامة الغنى عن التعريف ابن حجر العسقلانى صاحب المصنفات الشهيرة كان من بين مدرسى البرقوقية، وكفاها بذلك رفعة وعلوا أن يكون من بين مدرسيها ابن حجر العسقلانى والعلم البلقينى

والسخاوى والشمس المحلى وغيرهم ممن لم نستطع الوقوف عليه.

ز – مُكَتِّبَ الخانقاة :

لم نظفر من مُكَتّبِى هذه الخانقاة إلا بواحد ذكره السخاوى هو عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الشمس الأنصارى الحجازى الأصل القاهرى نزيل درب القطبية الذى عرف بابن الحجازى، ولد فى العشر الأخير من ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فحفظ القرآن والعمدة واستقر فى تكتيب البرقوقية، مات بدمشق بخلوته من زاوية الشيخ خليل القلعى فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين (وثمانمائة)، (١٧٨) ومعنى ذلك أن ابن الحجازى المشار إليه كان يكتب الاطفال بأحد كتابى الخانقاة.

ح – دارسو الخانقاة ونزلاؤها (الصوفية) :

لقد وقفنا من هؤلاء وأولئك فيما كتبه السخاوى فى ضوئه اللامع على ترجمتى اثنين من الدراسين أحدهما شافعى والآخر لم يحدد مذهبه، وعلى تراجم ثلاثة من النزلاء أولهم مالكى وثانيهم شافعى وثالثهم لم يحدد مذهبه، وأول هؤلاء الدراسين هو احمد بن محمد بن عثمان بن الشهاب بن المحيوى القاهرى الشافعى، لازم العز بن عبد السلام البغدادى والعضد الصيرامى شيخ البرقوقية فى المعانى والبيان والصرف ومات فى رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمائة، (١٧٩) ومعنى ذلك أن دروس الخانقاوات لم تقتصر حينذاك على علوم الدين فقط وإنما كانت تشتمل على دروس أخرى فى اللغة ولاسيما المعانى والبيان والصرف ونحو ذلك، وهو ما يحسب لهذ الخانقاوات إلى جانب ما كان يحسب لها.

وثانيهم أحمد بن محمد بن على الشهاب القاهرى الذى عرف بابن شهيبة وبابن بيضون ثم هجرا وصار يعرف بالكتبى، ولد سنة ثلاثين وثمانمائة تقريبا فحفظ واشتغل وحضر دروس العبادى بالبرقوقية وغيرها وتنزل فى الجهات إلى أن أم بسعيد السعداء، مات فى جمادى الأولى سنة خمس وتسعين ودفن بحوش الصوفية السعيدية. (١٨٠)

أما النزلاء فأولهم عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن الشمس التتائى المالكى نزيل

البرقوقية ممن سمع بها على ابن حجر العسقلانى شيخ السخاوى،(١٨١) وثانيهم أحمد بن محمد بن صالح بن النجم المحيوى الأسليمى ثم الحسينى القاهرى الشافعى، نزيل البرقوقية عرف بابن صالح، ولى تدريس الفقه بالأشرفية القديمة ومات فى يوم الإثنين عاشر شعبان سنة ثلاث وستين وثمانمائة بقبة البرقوقية ودفن بباب النصر،(١٨٢) وثالثهم عبد القادر بن عمر الماردينى الدمشقى الاصل القاهرى الجوهرى نزيل البرقوقية وأحد صوفيتها مات قريب الثمانين ظنا.(١٨٣)

٤ – وصف الخانقاة: (أنظر لوحات ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، شكل ٣٨):

تقع هذه الخانقاة بشارع قايتباى بقرافة المماليك وتتكون –كما قلنا– من جامع ومدرسة خانقاة وتربة وسبيلين وكتابين، وتعد من أجمل ما انشئ فى عصر المماليك على الإطلاق لأنها قد جمعت بين طراز المدارس ذات التخطيط المتعامد الذى يتكون من أربعة إيونات يتعامد على صحن أوسط، وبين طراز المساجد التى تتكون من بوائك تحصر بينها أروقة، وهى خاصية سبق وجودها فى مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين إلا أن فرقا بين الإثنين لا يجب إغفاله وهو انحصار البوائك والأروقة بالقلوونية فى إيوان القبلة فقط وشيوع هذه البوائك والأروقة بالنسبة للناصرية فرج فى كل إيوناتها.

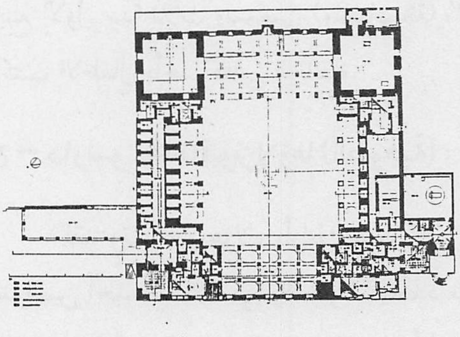

لوحة ١٨ : الخانقاة الناصرية (فرج) – أثر رقم ٣١٢ (٨٠١ – ٨٠٨هـ / ١٣٩٩ – ١٤٠٦م) مسقط افقى للدور الارضى (عن صالح لمعى: التراث المعمارى)

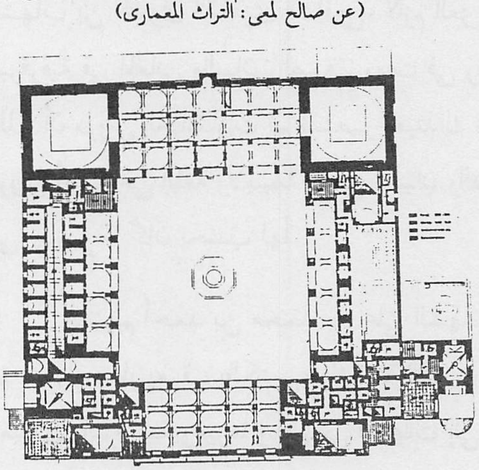

لوحة ١٩ : الخانقاة الناصرية (فرج) – مسقط افقى للدور الاول (عن صالح لمعى: التراث المعمارى)

كذلك فقد تميزت هذه الخانقاة باشتمالها على خلوات الصوفية من داخلها، إذ نجد فى كل من الإيوانين الشمالى والجنوبى ثمان خلوات، وإذا كانت الخانقاة الجاشنكيرية بيبرس قد سبقت الناصرية فرج فى احتوائها على مثل هذه

الخلوات الداخلية، فإن خلوات الجاشنكيرية كانت تحيط بالصحن فقط وليس من داخل الإيوانات كما فى الناصرية، ومن هنا كانت هذه الخانقاة واحدة من أبرز العمائر الإسلامية المملوكية التى جمعت بين تخطيط الجامع والمدرسة والخانقاة.(١٨٤)

يضاف إلى ذلك كله تميز الخانقاة الناصرية فرج باستخدام أسلوب القباب الضحلة التى بنيت بالآجر وحملت على عقود مدببة أطرافها متكئة على أكتاف من الحجر ذات أبدان مثمنة وقواعد وتيجان مربعة فى تغطية الإيوانات لتشبه فى ذلك قباب الأروقة بالجامع الأقمر التى بنيت من الآجر، وفيما يلى وصف لأجزاء هذه الخانقاة المعمارية.(١٨٥)

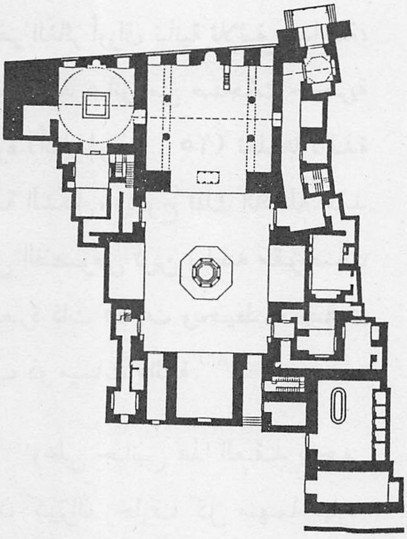

لوحة ٢٠ : الخانقاة الناصرية (فرج) – مسقط افقى
(عن صالح لمعى: التراث المعمارى)

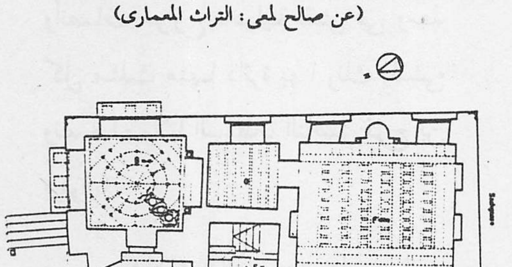

لوحة ٢١ : الخانقاة الناصرية (فرج) – مسقط اصلى
(عن صالح لمعى: التراث المعمارى)

أ–الواجهة (الغربية) والمدخل:

تقع الواجهة الرئيسية لهذه الخانقاة فى الناحية الغربية منها وتمتد بطول (٨٥ر)متر، ويقع المدخل فى نهايتها الجنوبية داخل دخلة عرضها (٣ر٩٥)متر وعمقها (٥ر٥٠)متر تكتنفها من أسفل مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٦٥ر)متر وطولها (١ر٥٥)متر وارتفاعها (٩٠ر)متر يحيط بها جفت لاعب يزينه من الناحيتين ورقة نباتية ثلاثية الفصوص من الحجر.

ويتوسط المدخل هذه الدخلة بعرض (٢ر١٥)متر حيث يعلوه عتب حجرى نقشت فيه

بالحفر الغائر أوراق نباتية ثلاثية متداخلة، فوقه عقد عاتق من صنجات حجرية مزررة (أنظر لوحة ٢٥) تعلوها نافذة مربعة الشكل، ويتوج تلك الدخلة عقد ثلاثى الفصوص تزين بواطنه مقرنصات مقعرة ذات دلايات ويحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية.(١٨٦)

وعلى جانبى هذا العقد يوجد مثلثان كبيران زخارف كل منهما عبارة عن تفريعات نباتية وأوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية نقش فى وسط كل مثلث منها دائرة بها رنك المنشئ ونصه (مولانا السلطان الناصر فرج بن برقوق).

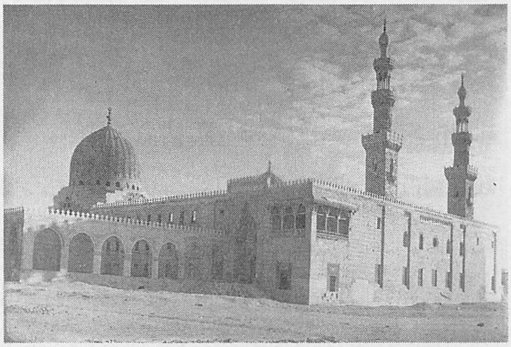

شكل ٣٨ : الخانقاة الناصرية (فرج) – أثر رقم ١٤٩
(٨٠١ – ٨١٣هـ/ ١٣٩٩ – ١٤١٠م) منظر عام

كذلك فإنه يوجد على جانبى هذا المدخل إزار غائر نقشت فيه بالخط البارز كتابات نسخية نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذه الخانقاة الشريفة السلطان الأعظم مالك رقاب العرب والعجم مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبو السعادات فرج بن برقوق أدام الله أيامه».(١٨٨)

ويتوج الحافة العليا من واجهة هذا المدخل إطار من شرافات على شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص أسفلها وأسفل مقرنصات الدخلات بطول الواجهة نص إنشائى يقول «أمر بإنشاء هذه التربة الشريفة مولانا وسيدنا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الناصر ناصر الدنيا والدين سلطان

الإسلام والمسلمين(١٨٩) قاتل الكفرة والمشركين محى العدل فى العالمين(١٩٠) كهف الفقراء والمساكين(١٩١) السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد (١٩٢) برقوق صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأعمال القدسية والثغور السواحلية السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم(١٩٣) أبو المعالى والهمم أدام الله أيامه ونشر فى الخافقين أعلامه بمحمد وآله يارب العالمين»(١٩٤)

ويصعد إلى هذا المدخل بسلم نصف دائرى الشكل تتقدمه رحبة مستطيلة فى جانبيها الغربى والجنوبى شقق حجرية يتوسط كل منها نجمة متعددة الفصوص ويقوم فى ركنى كل منها شكلان رمانيان يقال لكل منهما بابه.

ب – السبيل الشمالى والكتاب عاليه :

إلى الشمال من هذا المدخل المشار إليه تقع كتلة السبيل والكتاب وطولها (٨٫٥٠) متر وعرضها (٤٫٨٠) متر يقوم السبيل بالدور الأرضى منها حيث نجد فى جداره الجنوبى شباك مستطيل الشكل عرضه (١٫٢٠) متر، به أرماح ومخرزات حديدية ويعلوه عتب حجرى من قطعة واحدة فوقه عقد عاتق، أما جداره الغربى فبه شباك كبير مستطيل الشكل عرضه (٢٫٩٠) متر واجهته عبارة عن مصبعات خشبية دقيقة الصنع يتوسطها شباك عرضه (١٫٦٠) متر به أرماح ومخرزات حديدية ويعلو هذا الشباك عتب حجرى فوقه عقد عاتق، وما تجب الإشارة إليه فى هذا الصدد أن مهندس الخانقاة كان قد استطاع أن يظهر هذا السبيل الذى يبدو أنه أضيف إلى الخانقاة بعد إنشائها بمظهر يختلف كثيرا عن عن الأسبلة التى عملت قبله عن طريق معالجة حوائطه بأسلوب يخالف حوائط باقى المبنى فكساها بالرخام الملون باللونين الأبيض والأسود(١٩٥) وهو الأمر الذى لم يعد له وجود الآن (انظر لوحة ٢٣).

وفوق هذا السبيل يوجد الكتاب بواجهتيه الجنوبية والغربية المفتوحتان حيث تفتح الواجهة الغربية على الشارع بواسطة ثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة يحملها بالإضافة إلى الكتفين الشمالى والجنوبى عمودان رخاميان دائريان، ولهذه الواجهة من أسفل دروة خشبية عبارة عن حشوات متشابهة من خشب الخرط المتقاطع والمصبعات الرأسية يعلوها شريط من الخوردنقات.

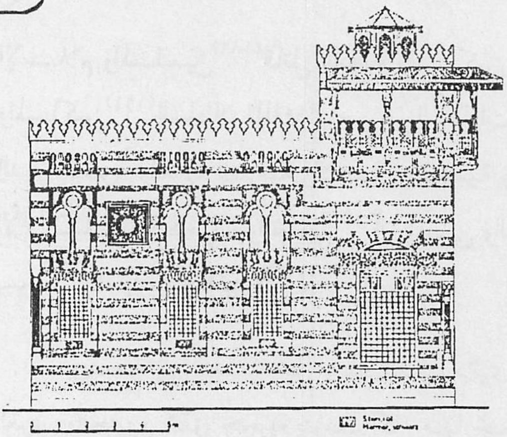

لوحة ٢٣ : الخانقاة الناصرية (فرج) – الواجهة الاصلية – للسبيل والكتاب الشرقى
(عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

أما الواجهة الجنوبية لهذا السبيل فتطل على المدخل بعقد واحد نصف دائرى ممتد به من اسفل نفس الدروة الخشبية المشار إليها بواجهته الغربية، ويعلو هاتين الواجهتين من أعلى دروة خشبية محمولة على كوابيل خشبية أيضا فى وسط كل منها ورقة نباتية ثلاثية الفصوص.

وإلى الشمال من واجهة السبيل الغربية يوجد بروز مربع طول ضلعه (٥ر١٠)متر فى كل من ناحيتيه الجنوبية والغربية دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٢ر٢٠)متر وعمقها (ر٢٥)متر قاعدتها منحدرة إلى أسفل فوقها شباك مستطيل الشكل عرضه (١ر٢٠)متر به أرماح ومخرزات حديدية أسفله صنجات حجرية متداخلة وأعلاه عتب مستو فوقه عقد عاتق، وقرب نهاية الدخلة من أعلا توجد نافذة مربعة الشكل ويتوج الدخلة مقرنصات مقعرة ذات دلايات.

وإلى الشمال من هذا البروز يوجد بروز آخر عرضه (١ر٨٠)متر وطوله يمتد حتى نهاية هذه الواجهة فى الناحية الشمالية بمسافة (٦٠ر٩٠)مار، وفى هذا الاتجاه توجد خمس دخلات منها دخلة وسطى رئيسية طولها (١٣ر٢٠)متر وعمقها (ر٢٥)متر قاعدتها مسلوبة إلى أسفل بها ثلاثة شبابيك مستطيلة الشكل تشبة بعضها بعضا بكل منها أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة عرض كل منها (١ر٨٠)متر أسفله صنجات حجرية متداخلة وأعلاه عتب حجرى مزرر فوقه عقد عاتق تعلوه نافذة مستطيلة الشكل ذات عقد نصف دائرى، إلا أنه يعلو الشباك الأوسط منها قمرية دائرية الشكل، ويتوج تلك الدخلة شريط من مقرنصات مضلعة، وعلى جانبها أربع دخلات متشابهة عرض كل منها (٢ر٥٠)متر وعمقها (ر٢٥)متر بها نفس الشبابيك المستطيلة من السفل والنوافذ الموجودة أعلاها والمقرنصات القائمة فى نهايتها، ويمتد أسفل مقرنصات هذه الدخلات بطول

الواجهة إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة ضاعت معظم معالمها وكانت عبارة عن نص إنشائى يحمل ألقاب المنشئ وتاريخ الإنشاء.

جـ– السبيل الجنوبى والكتاب عاليه :

فى نهاية هذه الواجهة من الناحية الشمالية يوجد سبيل آخر فوقه كتاب ثان يشبهان تماما السبيل والكتاب على يسار المدخل، إلا أن بكل من واجهتى هذا السبيل الشمالية والغربية شباكان كبيران واجهة كل منهما من المصبعات الخشبية يتوسطها شباك آخر به أرماح ومخرزات حديدية، كما أن واجهتى الكتاب اللتان تعلوان واجهتى السبيل المشار إليهما تتكون كل منهما من ثلاثة عقود نصف دائرية تشبه الواجهة الغربية للكتاب السابق بكل ما فيها من دروة خشبية فى أسفل ودروة خشبية فى أعلى.

د – الواجهة الشمالية للخانقاة : (انظر لوحة ٢٤)

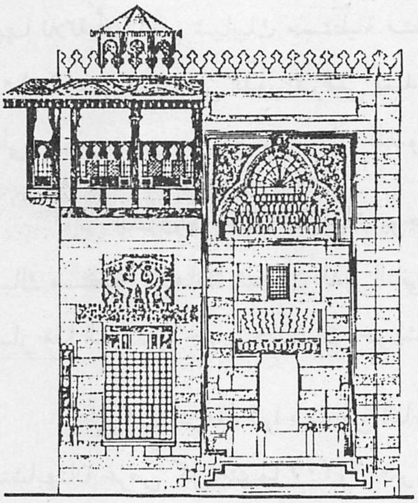

لوحة ٢٤ : الخانقاة الناصرية (فرج) قطاع رأسى للواجهة الشمالية
(عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

تمتد هذه الواجهة بطول (٨١,٨٠) متر، ويقع فيها إلى الشرق من شباك السبيل الشمالى مدخل للتربة داخل دخلة عرضها (٤,٦٥) متر وعمقها (٢,٤٥) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان تشبهان مكسلتى المدخل الرئيسى فى الناحية الغربية، ويتوسط هذه الدخلة المدخل وعرضه (٢,٤٠) متر يعلوه عتب مستو فوقه عقد عاتق من صنجات مزررة تعلوه نافذة مربعة الشكل، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زينت بواطنه بمقرنصات مقعرة ذات دلايات.

وعلى جانبى هذا العقد فى الواجهة توجد زخارف تشبه زخارف واجهة عقد المدخل السابق

بما فيها من الدائرتين اللتين نقش فيهما رنك المنشئ، ويحدد هذا العقد جفت لاعب ينتهى من أعلا بميمة دائرية، وعلى جانبى المدخل نقش فى إزار غائر كتابات نسخية بارزة نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام آمنين أمر بإنشاء هذه التربة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته يارب العالمين. وكان الفراغ من هذا المكان المبارك فى سلخ شهر سنة ثلاث عشرة وثمانمائة».

كذلك توجد لوحة نسخية على يسار المدخل من سطرين نصهما :

«عمرت هذه الخانقاة المباركة بمباشرة الجناب العالى لاجين الطرنطائى غفر الله له»

وإلى الشمال من مدخل التربة المشار إليه تمتد الواجهة حتى نهاية الجدار الشمالى للقبة وبها ثلاثة أدوار من شبابيك مستطيلة متشابهة بكل دور منها تسعة شبابيك عرض كل منها (١٠ر١)متر سدت فى الدور الأرضى بسدات حديثة، ومعنى ذلك أن هذا الجانب كان يشتمل على ما يقرب من سبع وعشرين خلوة للصوفية.

وإلى الشرق من هذه الشبابيك يوجد مدخل عرضه (٤٥ر١)متر يعلوه عتب مستو فوقه شباك مستطيل بمحاذاة شبابيك الدور الثانى يعلوه شباك آخر بمحاذاة شبابيك الدور الثالث، وعلى يسار هذا الشباك الأخير يوجد شباك آخر يشبه باقى الشبابيك.

وعلى امتداد هذه الواجهة من الناحية الشرقية تقع واجهة القبة الشمالية وبها دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٢٠ر٢)متر وعمقها (٢٥ر)متر كان بها من أسفل شباك مستطيل أسفله صنجات حجرية مزررة وأعلاه عتب مستو فوقه عقد عاتق تعلوه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى، ويتوج هذه الدخلة حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

هـ–الواجهة الشرقية للخانقاة : (انظر لوحة ٢٥)

تمتد هذه الواجهة بطول (٧١٫٥٠)متر فى جانبها الشمالى على يسار المحراب خمس دخلات متشابهة تماما مع دخلتى الواجهة الشمالية للقبة، وفى جانبها الجنوبى خمس دخلات أخرى متشابهة إثنتان منها فى واجهة القبة القبلية المطلة على الشرق وثالثة على يمين المحراب، وفى المنطقة بين هذين الجانبين أعلا المحراب توجد قمرية دائرية الشكل تعلوها قبة مضلعة من الخارج.

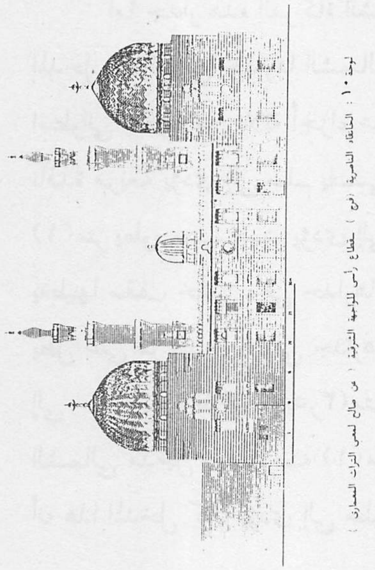
لوحة ١٠ : الخانقاة الناصرية (فرج) قطاع رأسى للواجهة الشرقية (عن صالح لمعى التراث المعمارى)

لوحة ٢٥ : الخانقاة الناصرية (فرج) قطاع رأسى للواجهة الشرقية (عن صالح لمعى التراث المعمارى)

و– الواجهة الجنوبية للخانقاة :

تمتد هذه الواجهة ناحية الغرب إلى مسافة (٦٣٫٣٠)متر وبها فى الجانب الشرقى دخلتان للقبة القبلية تشبهان باقى الدخلات، يليهما فى الناحية الغربية مدخل عرضه (١٫٣٥)متر تعلوه نافذة أخرى متشابهة، وتنتهى هذه الواجهة من الناحية الغربية بدخلة أخرى تشبه باقى الدخلات.

ز– دركاة المدخل الرئيسى :

يؤدى المدخل الرئيسى إلى دركاة مستطيلة طولها (٧٫٣٠)متر وعرضها (٤٠٫٥٠)متر يغطيها سقف عبارة عن قبو مروحى تتوسطه فتحة مثمنة الأضلاع صرتها عبارة عن وردة متعددة الفصوص، وفى جدار هذه الدركاة القبلى يوجد شباك مستطيل الشكل عرضه (١٫٨٠)متر تعلوه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى، ويقابل هذا الشباك فى الجدار الشمالى مدخل عرضه (١٫٧٥)متر يعلوه عقد فارسى مدبب يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية وفوقه نافذة مربعة تعلوه قرب الحافة العليا نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى، وكان هذا الباب يؤدى إلى سقف المدرسة.

أما جدار هذه الدركاة الشرقى فيه مدخل آخر عرضه (١)متر يؤدى إلى دورة مياه، أما المدخل القائم فى جدارها الشمالى فيؤدى إلى ممر مستطيل يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى يتكون من ثلاثة أجزاء على يمينه مدخل ثان عرضه (ر٩٠)متر يعلوه عتب مستو فوقه نافذة مربعة يؤدى إلى سلم يفضى بعد ثمانية انكسارات إلى مدخل ثالث على اليمين عرضه (١)متر يعلوه عتب مستو يؤدى إلى حجرة مستطيلة طولها (٣ر٥٠)متر وعرضها (٢ر٦٥)متر كان يغطيها سقف خشبى، فى جدارها الشرقى نافذة مستطيلة يقابلها فى الجدار الغربى شباك مستطيل يطل على ممر المدخل، وفى جدارها الشمالى مدخل آخر عرضه (ر٩٥)متر ذو عتب مستو يفضى إلى حجرة ثانية طولها (٣ر٥٠)متر وعرضها (٢ر٩٥)متر ذات سقف نصف اسطوانى فى جدارها الشمالى مدخل آخر عرضه (١)متر يؤدى إلى السلم المقابل للسلم المشار إليه، ويغلب على الظن أن هذا المدخل كان يؤدى إلى مطبخ الخانقاة.(١٩٦)

وفى مواجهة السلم الأول يوجد باب عرضه (ر٩٥)متر ذو عتب مستو يؤدى إلى حجرة مستطيلة طولها (٣ر٣٠)متر وعرضها (٢ر٨٠)متر كان يغطيها سقف خشبى فى جدارها الشمالى شباك مستطيل يطل على الممر، وفى جدارها الجنوبى شباك مستطيل آخر ذو عقد نصف دائرى يطل على الدركاة، وفى جدارها الغربى مدخل عرضه (ر٩٥)متر يؤدى إلى داخل الكتاب يغلب على الظن أنها كانت قاعة لأحد شيوخ الخانقاة (انظر لوحة ٢٦).

وفى جدار هذه القاعة الغربى مدخل عرضه (ر٩٥)متر يؤدى إلى داخل الكتاب وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٧ر١٠)متر وعرضها (٦ر٢٥)متر يغطيها سقف من براطيم خشبية كان يزينها ويزين المساحات فيما بينها زخارف نباتية وهندسية مختلفة، ويحيط بأعلا الجدران أسفل السقف إزار خشبى تقوم فى أركانه كرادى خشبية تنتهى بورقة ثلاثية، وفى الجدار الشمالى لهذا الكتاب نافذتان مربعتان طول ضلع كل منهما (ر٦٠)متر يطلان على حاصلين خلفهما، وفى جدارها الشرقى شباك مستطيل عرضه (١)متر يطل على الممر.

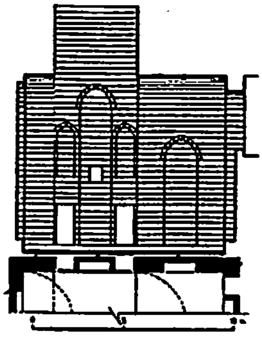

لوحة ٢٦ : الخانقاة الناصرية (فرج)
قاعة أحد الشيوخ (عن صالح لمعى
التراث المعمارى)

وإلى الشمال من المدخل المشار إليه توجد دخلة عرضها (٣٫٤٥)متر وعمقها (٢٫٨٠)متر يغطيها قبو نصف اسطوانى فوقه شباكان مستطيلان كان كل منهما لدور من الدورين العلويين، ويقابل هذه الدخلة فى الناحية الغربية مدخل عرضه (١٫٢٥)متر ذو عقد مدبب يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية يؤدى إلى حجرة السبيل المربعة الشكل التى يتوسطها بئر ذو خرزة دائرية.

ح – الحواصل والخلوات :

إلى الشمال من مدخل السبيل توجد فتحة عرضها (٢٫٢٠)متر ذات عقد مشمور كانت تؤدى إلى حاصل فى مقابلة بابه من الناحية الشرقية يوجد مدخل آخر يشبه المدخل القائم على يمين الدخلة المشار إليها يؤدى إلى سلم يقابل السلم السابق يفضى بعد سبع انكسارات إلى مدخل عرضه (١٫١٠)متر ذو عتب مستو يفضى إلى ممر مستطيل كان يغطيه سقف خشبى فى جداره الشمالى شباك عرضه (١٫١٠)متر يطل على الممر، الى الغرب منه مدخل عرضه (٫٩٥)متر يفضى إلى خلوة مستطيلة طولها (٢٫١٥)متر وعرضها (١٫٧٠)متر يغطيها قبو نصف اسطوانى، فى جدارها الغربى نافذة مستطيلة.

وفى الجدار الجنوبى لهذا الممر توجد خلوتان متشابهتان بكل منهما مدخل عرضه (٫٩٥)متر ذو عتب مستو يؤدى إلى خلوة طولها (٤٫٢٠)متر وعرضها (٢٫٩٠)متر يغطيها قبو نصف اسطوانى يقابل مدخلها فى الجدار الجنوبى شباك مستطيل عرضه (٫٩٥)متر يطل على الممر، إلا أنه بدلا من الشباك القائم فى الخلوة الثانية توجد هنا نافذة مربعة أعلى الجدار الجنوبى.

ويتجه هذا الممر ناحية الغرب حيث ينتهى بفتحة عرضها (١٫١٥)متر تفضى إلى ممر مستعرض فى ناحيته الجنوبية فتحة أخرى عرضها (٫٩٠)متر تؤدى إلى خلوة رابعة على نفس محور الخلرتين السابقتين وتشبه الخلوة الثانية منهما تماما، وفى الناحية الشمالية فتحة أخرى عرضها (٫٨٥)متر تؤدى إلى استمرار هذا الممر المستعرض الذى كان يغطيه سقف خشبى.

وفى مقابلة هذا الجزء من الممر توجد خلوة خامسة مستطيلة الشكل طولها (٤٫٠٨)متر وعرضها (٤٫٤٠)متر يغطيها سقف خشبى أسفله إزار فى جدارها الشمالى شباك كبير عرضه (١٫٨٠)متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد يطل على قاعة سفلية.

أما الدور الثالث فيؤدى إليه نفس السلم بعد انكسارات ثلاثة حيث نجد على يساره مدخل عرضه (٧٥ر)متر يؤدى إلى خلوة تشبه الخلوات السابقة يغطيها قبو نصف اسطوانى فى جدارها الجنوبى مدخل آخر عرضه (١)متر كان يربط بين هذه الخلوة وبين خلوة ثانية تتداخل معها من الناحية القبلية فى كل من جدرانها الشرقى والغربى والجنوبى شباك مستطيل مسدود بسدة حديثة، أما فى مواجهة هذا السلم فيوجد استطراق مستطيل كان يغطيه قبو نصف اسطوانى.

ويقع فى الجانب الجنوبى من هذا الاستطراق ثلاث خلوات تشبه تماما الخلوة القائمة على يسار السلم، أما فى ناحيته الشمالية فتوجد خلوة سابعة فى جدارها الشرقى شباك يطل على الممر وكان يوجد على نفس امتدادها من الناحية الشمالية خلوتان ثانيتان إلا أنهما متهدمتان تماما ومعنى ذلك أن هناك ثمان خلوات فى كل طابق.

وفى الناحية الشمالية من الجدار الغربى للممر يوجد مدخل عرضه (١٠ر١)متر ذو عتب مستو يؤدى إلى حاصل صغير مستطيل الشكل طوله (١٥ر٢)متر وعرضه (٨٠ر١)متر يغطيه سقف نصف اسطوانى.

وقرب نهاية الجدار الشرقى لهذا الممر من الناحية الشمالية يوجد مدخل عرضه (٧٠ر١)متر يؤدى إلى سلم هابط فى جداره الشمالى من الناحية الغربية ثلاث حواصل متشابهة طول كل منها (١٠ر٢)متر وعرضها (٨٠ر١)متر يغطيها سقف يشبه العقد المشمور ويؤدى إليها مدخل عرضه (٩٥ر)متر.

أما الجدار القبلى لهذا الممر ففيه فتحة عرضها (٣٥ر١)متر ذات عقد نصف دائرى ممتد تؤدى إلى مساحة مستطيلة، متخربة فى جدارها الغربى مدخل عرضه (١)متر ذو عتب مستو تعلوه نافذة مستطيلة تؤدى إلى حاصل مستطيل طوله (٩٠ر٢)متر وعرضه (١٠ر٢)متر يغطيه سقف نصف اسطوانى، وفى منتصف هذا الممر كانت توجد فتحة عرضها (٣٠ر١)متر تؤدى إلى منطقة مستطيلة ثانية فى ناحيتها الشمالية كانت توجد أربع دورات مياه متشابهة طول كل منها (٥٠ر١)متر وعرضها (١٠ر١)متر يغطيها سقف حجرى مستو و يؤدى إليها مدخل عرضه (٦٥ر)متر، وفى ناحيتها القبلية كانت توجد فى جانبيها الشرقى والغربى دورات مياه أخرى متهدمة الآن، وكان يتوسط دورات المياه هذه حوض مستطيل الشكل متهدم الفسقية.

وفى نهاية ممر المدخل الرئيسى من الناحية الشمالية مدخل عرضه (١ر٠)متر يعلوه عتب مستو يفضى إلى الصحن تقع واجهته المطلة على هذا الصحن داخل دخلة عرضها (٢ر٦٥)متر وعمقها (ر٥٠)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (ر٥٥)متر وعرضها (ر٦٠)متر وارتفاعها (ر٩٥)متر يحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية أما المدخل فعرضه (١ر٤٠)متر يعلوه عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق تعلوه نافذة مربعة، وتنتهى الدخلة من أعلا بعقد نصف دائرى ممتد يزين واجهته إطار من خطوط متكسرة ويعلو زاويته صره دائرية وعلى جانبى هذا المدخل يوجد إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة نصها : «اللهم أدم العز.. والنصر والفتح المبين لملانا السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق ادام الله أيامه وأنفذ أحكامه بمحمد وآله».

ط– صحن الخانقاة : (انظر شكل ٣٩ر٤٠)

هذا الصحن عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٤٠ر٢٠)متر وعرضها (٣٦ر٩٠) متر، كانت تتوسطه فسقية ضاعت معالمها، ويفتح عليه الإيوان الشرقى بسبعة عقود نصف دائرية يحملها بالإضافة إلى كتفين بالناحيتين الشمالية والجنوبية ستة أعمدة حجرية أشبه بأعمدة الخانقاة الصلاحية، كما يفتح عليه الإيوان الغربى بخمسة عقود تشبه عقود الإيوان الشرقى، إلا أنه فى بداية الناحية الغربية من هذا الصحن، فى الامتداد الجنوبى للإيوان الغربى يوجد مدخل عرضه (١ر٤٠)متر يعلوه عتب مستو فوقه عقد عاتق تعلوه نافذة مربعة أعلاها إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة

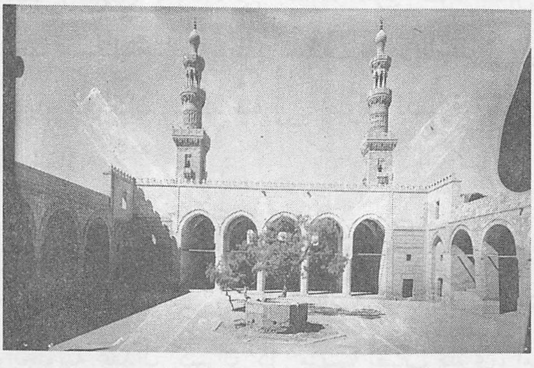

شكل ٣٩ : الخانقاة الناصرية (فرج) الواجهة الشرقية للصحن وتظهر معها المئذنتان

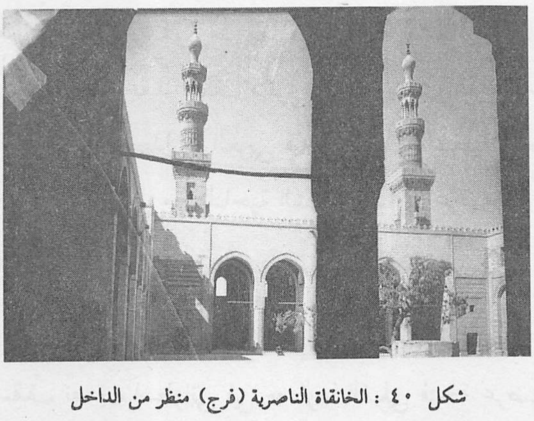

شكل ٤٠ : الخانقاة الناصرية (فرج) منظر من الداخل

تمثل رنك المنشئ نصها «السلطان المالك الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق عز نصره»

ويحدد هذا المدخل وما فوقه جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما بابه فيؤدى إلى رحبة سماوية مستطيلة طولها (٤) متر وعرضها (٣٫٧٠) متر فى جدارها الجنوبى مدخل عرضه (١٫١٠) متر يعلوه عتب مستو فوقه نافذة مستطيلة يعلوها شباك مستطيل من شبابيك ممرات الحواصل العلوية. ويؤدى هذا المدخل إلى دركاة مستطيلة طولها (٢٫٩٠) متر وعرضها (٢٫٣٠) متر يغطيها سقف نصف اسطوانى بصدرها مصطبة عرضها (٦٥ر) متر ارتفاعها (٤٥ر) متر، وفى جدارها الشرقى مدخل آخر عرضه (١٫١٠) متر يؤدى إلى استطراق يتجه ناحية الجنوب يغطيه سقف نصف اسطوانى فى جداره الشمالى شباك مستطيل يطل على رحبة المدخل، وفى جداره الغربى فتحة عرضها (١٫١٥) تؤدى إلى رحبة مستطيلة يغطيها سقف نصف اسطوانى وسطه مفتوح للتهوية والإنارة فى جدارها الغربى فتحة تقابل الفتحة المؤدية إليها وتشبهها تماما تؤدى إلى رحبة مستطيلة ثانية يغطيها سقف نصف اسطوانى فى جدارها الغربى نافذة مربعة، وبهذه الرحبة بقايا سلم كان يصعد منه إلى خلوات للصوفية فى الدورين الثانى والثالث من الناحية الشمالية للخانقاة.

وفى جدار هذه الرحبة الثانية الغربى مدخل عرضه (١) متر يؤدى إلى قاعة مستطيلة الشكل طولها (١٫٩٥) متر وعرضها (٤٫٧٥) متر كان يغطيها سقف خشبى فى ناحيتها الشمالية والجنوبية عقدان كبيران كل منهما نصف دائرى، أما جدارها الشرقى قبة مدخل عرضه (١) متر يعلوه شباك مستطيل ذو عقد مدبب على جانبيه دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٫٧٥) متر وعمقها (٤٥ر) متر بها فى الناحية الشمالية نافذة مربعة الشكل تطل على رحبة السلم، ويعلو كلا منهما عقد نصف دائرى ممتد، ويؤدى هذا المدخل إلى حجرة صغيرة يغطيها سقف نصف اسطوانى، أما جدارها الغربى فبه الشبابيك السفلية والعلوية التى سبق وصفها بالواجهة الغربية، وفى جدارها الجنوبى من الناحية الشرقية مدخل عرضه (١) متر أيضا يؤدى إلى حجرة مستطيلة يغطيها سقف نصف اسطوانى.

أما جدار الاستطراق الجنوبى فبه فتحة عرضها (١٫٢٠) متر تؤدى إلى رحبة مستطيلة ذات سقف نصف اسطوانى فى جدارها القبلى فتحة عرضها (١٫١٠) متر تؤدى إلى حاصل مستطيل

ذو سقف نصف اسطوانى كذلك فى جداره الشرقى شباك مستطيل يطل على الممر.

وفى الناحية الغربية من هذه الرحبة يوجد مدخل آخر عرضه (٨٥ر) متر يؤدى إلى رحبة ثانية مستطيلة ذات قبو نصف اسطوانى على يمينها منور مربع للتهوية والإنارة، وفى صدرها من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (١) متر يؤدى إلى رحبة مستطيلة ثالثة بها منور فى صدرها من الناحية الجنوبية مفتوح على منطقة مستطيلة يغطيها سقف نصف اسطوانى فى جداريها الشرقى والجنوبى شباكان يطل الجنوبى منهما على حجرة السبيل أما الشرقى فمسدود وتقابله دخلة للتماثل فى الجدار الغربى.

ويفتح على هذا الصحن كل من الإيوانين الشمالى والجنوبى بخمسة عقود نصف دائرية ممتدة يحيط بكل منها جفت لاعب ينتهى فوق زاوية العقد بميمة دائرية، إلا أنه على جانبى الإيوان الشمالى من الناحيتين الشرقية والغربية توجد دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٢ر٦٥) متر وعمقها (٤٥ر) متر يكتنف كلا منهما مكسلتان حجريتان ويتوسط كلا منهما باب عرضه (١ر٤٥) متر يعلوه عتب مستو فوقه عقد عاتق تعلوه نافذتان مستطيلتان فوق بعضهما، ويتوج الدخلة عقد نصف دائرى يزينه إطار من خطوط متكسرة.

وعلى جانب المدخل الشرقى فى الإيوان الشمالى إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية نصها «عز لمولانا السلطان المالك الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق أدام الله أيامه ونشر فى الخافقين أعلامه»

أما الكتابة على جانبى المدخل الغربى من هذه الناحية فنصفها مفقود من الجانب الأيمن، أما الجانب الأيسر فبه باقى النص ويقول : «أبو السعادات فرج بن برقوق أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله.»

ويؤدى هذا المدخل الغربى إلى ممر مستطيل ذو سقف نصف اسطوانى جداره الشرقى مصمط وجداره الغربى به مدخل عرضه (٩٠ر) متر يؤدى إلى حاصل صغير مستطيل الشكل يغطيه سقف نصف اسطوانى، وفوق هذا المدخل نافذتان مستطيلتان، وإلى الشمال منه يوجد مدخل آخر كبير يقع داخل دخلة عرضها (٢ر١٠) متر وعمقها (١ر٠٥) متر يعلوها عقد نصف

دائرى أسفله نافذة مستطيلة يؤدى إلى السبيل الواقع فى الركن الشمالى الغربى.

ويصدر هذا الممر فى مقابلة المدخل دخلة كبيرة ذات عقد نصف دائرى فى جدارها الشمالى شباك مستطيل كان يطل على الواجهة الشمالية إلا أنه مسدود بسدة حديثة، وفيما بين سقف هذه الدخلة وسقف الجزء القبلى من الممر توجد فتحة سماوية للتهوية والإنارة.

وفى الناحية الشمالية الشرقية من هذا الممر يوجد ممر ثان يتعامد على الممر الأول، وهذا الممر مستطيل الشكل غير مسقوف الآن ينزل منه بسلم هابط حيث يوجد فى كل من جانبيه الشمالى والجنوبى مجموعة من الحواصل المتشابهة تتكون من عشر حواصل فى الناحية الشمالية يقابلها مثلها فى الناحية الجنوبية، وهى حواصل متشابهة مستطيلة الشكل تغطيها أسقف ذات أقبية متداخلة (انظر لوحة ٢٧) ويؤدى إلى كل منها مدخل عرضه (١) متر.

وفوق حواصل الجانب الشمالى يقع الجزء العلوى من هذا الممر وبه تسع خلوات متشابهة كل منها ذات شكل مستطيل يؤدى إليها مدخل عرضه (٩٥ر) متر ويغطيها سقف نصف اسطوانى، وفى صدرها الشمالى شباك يطل على هذه الناحية، وقد سبق وصف شبابيكها عند الحديث عن الواجهة الشمالية.

أما فى بداية هذه الخلوات من الناحية الغربية فيوجد مدخل عرضه (١,٢٥) يؤدى إلى سلم يفضى إلى الدورين العلويين لمجموعة هذه الحواصل، وبكل دور منهما يوجد نفس العدد من حواصل الدور الأول بكل ما فيها من خصائص معمارية.

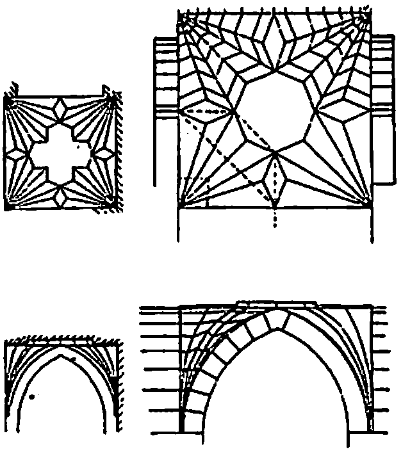

لوحة ٢٧: الخانقاة الناصرية (فرج) – قبوات متداخلة بالحواصل (عن صالح لمعى: التراث المعمارى)

أما المدخل الشرقى فى واجهة الصحن الشمالية فيؤدى إلى رحبة مستطيلة يغطيها سقف خشبى فى جدارها الشمالى فتحة باب عرضها (١) متر تفضى إلى منطقة مستطيلة ذات سقف

خشبى تتقدمها رحبة سماوية فى جدارها الجنوبى فتحة باب آخر عرضها (١،٠٥) متر تؤدى إلى دخلة ذات سقف خشبى، وفى جدارها الشرقى مدخل صغير عرضه (٧٥ر) متر ذو عقد مدبب تعلوه نافذة مستطيلة كان يؤدى إلى القبة الشمالية، أما فى الناحية الشمالية من هذه الرحبة فيوجد مدخلان الشرقى عرضه (١) متر ويؤدى إلى ممر مستطيل كان به سلم يصعد منه إلى الادوار العليا من خلوات هذه الناحية، وينتهى هذا الممر فى جداره الغربى من الناحية الشمالية بدخلتين متشابهتين.

أما المدخل الغربى فعرضه (٩٥ر) متر ويؤدى إلى استطراق مستطيل ذو قبو نصف اسطوانى جداره الشمالى يفتح على حجرة صغيرة مستطيلة الشكل ذات سقف خشبى تعلوها حجرة ثانية مشابهة، وفى الجانب الشمالى الغربى لهذه الحجرة السفلية توجد فتحة تقابل باب الممر المؤدى إلى الحواصل والخلوات، أما الجانب المقابل فى الإيوان الجنوبى فيؤدى إلى حجرتين متداخلتين.

ي- الايوان الشرقي:

يقوم هذا الإيوان على مساحة مستطيلة طولها (٣٤،٨٠) متر وعرضها (١٤،٢٠) متر ويتكون من ثلاث بلاطات وبه ثلاثة صفوف من أعمدة حجرية مثمنة تحمل عقودا نصف دائرية ممتدة، أما السقف فهو عبارة عن قباب ضحلة تتكون من سبع قباب فوق كل بلاطة، وهذه القباب مبنية بقوالب من الطوب الأحمر الصغير.

ويتوسط جدار القبلة محراب قديم عبارة عن حنية عرضها (١،٨٠) متر وعمقها (١،٢٠) يعلوها عقد نصف دائرى ممتد متراجع كان يحمل كل مستوى من مستوييه عمودان رخاميان دائريان غير موجودين الآن فيما عدا العمود الشمالى للمستوى الخارجى فبه نحت ظاهر لشكل محراب تتدلى منه مشكاة، وعلى جانبى عقده زخارف نباتية فوقها أربع دوائر بداخل كل منها ورقة ثلاثية الفصوص.

ويعلو هذا المحراب قمرية دائرية، ويغطى المنطقة أمامه فى مجاز الإيوان قبة تقوم على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، بين كل منطقتين منهما توجد ثلاث نوافذ مسدودة بالطوب الحديث، وفى رقبة هذه القبة ثمان نوافذ

مستطيلة ذات عقود مدببة.

ويكتنف هذا المحراب من الجانبين محرابان آخران متشابهان كل منهما عبارة عن حنية عرضها (١) متر وعمقها (٧٥ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى متراجع يحمل مستواه الخارجى عمودان رخاميان مثمنان وتعلوه شرافات على شكل ورقة نباتية ثلاثية يقوم فوقها عقد الحنية المشتملة على المحراب، وهو عقد نصف دائرى ممتد فوقه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى ايضا.

كذلك يوجد على جانبى كل محراب من هذين المحرابين شباكان مستطيلان فوقهما نافذتان مستطيلتان، وقد سبق وصف هذه الشبابيك والنوافذ عند وصف الواجهة الشرقية للخانقاة.

ك – المنبر الحجري :

على يمين المحراب الأوسط المشار إليه يوجد منبر حجرى يقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٤ر١٥) متر وعرضها (١ر٣٠) متر تقوم فوقها ريشتان متشابهتان زخارف كل منهما عبارة عن مثلث كبير فى أسفل يتوسطه طبق نجمى تحيط به أجزاء من أطباق بداخل وحداتها المختلفة زخارف نباتية (أنظر لوحة ٢٨)، وفوق هذا المثلث (الريشة) توجد حافة بها مجموعة وحدات زخرفية بين مربعات ومستطيلات بها زخارف هندسية لخطوط متداخلة وزخارف نباتية لأوراق وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسط هذه الوحدات الزخرفية بخارية فى الوسط.(١٩٧)

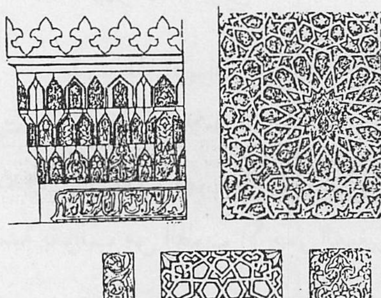

لوحة ٢٨ : الخانقاة الناصرية (فرج) – زخارف منبر قايتباى الحجرى بالخانقاة (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

وخلف هذا المنبر بابا الروضة وعرض كل منهما (٨٠ر) متر وكان لكل منهما إطار من زخارف نباتية وفوق كل منهما كتابات نسخية بارزة نصها فوق الباب الأيسر «أمر بإنشاء هذا المنبر

المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أعز الله أنصاره بتاريخ شهر ربيع الآخرة سنة ثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية المشرقة» ونصها فوق الباب الأمن:

«أمر بانشاء هذا المنبر المبارك سيدنا ومولانا المقام(١٩٨) الشريف(١٩٩) السلطان المالك الملك الاشرف أبو النصر قايتباى أعز الله أنصاره وختم بالصالحات أعماله والمسلمين يارب العالمين.»

أما مدخل هذا المنبر فعرضه (٧٥ر) متر يكتنفه عمودان دائريان مخلقان بكل منهما زخارف هندسية من خطوط متداخلة تحصر فيما بينها أشكالا نباتية، وفوق هذا المدخل عتب حجرى عليه كتابات نسخية نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها اللذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »(٢٠٠) ويعلو تلك الكتابات مقرنصات مضلعة من ثلاث حطات بداخلها زخارف نباتية تتوجها شرافات على شكل ورقة نباتية.

أما جلسة الخطيب فهى ذات واجهات ثلاث مفتوحة كل منها عبارة عن عقد على شكل ورقة ثلاثية يحمله عمودان مثمنان يزين كلا منهما زخارف من خطوط متكسرة، وعلى جانبى هذا العقد توجد تفريعات نباتية بها أنصاف مراوح نخيلية، أما ظهر الجلسة فهو عبارة عن مستطيل على شكل محراب على جانبيه ما يشبه شجرتى سرو يتدلى فى وسط كل منهما من أعلى مشكاة، ويزين هذا المحراب وجوانبه زخارف نباتية مختلفة وتعلوه قبة صغيرة فوقها رقبة مخروطية تتوجها خوذة بصلية تزينها زخارف نباتية بارزة أعلاها هلال من المعدن.

أما الجدار الجنوبى لهذا الإيوان فتتوسطه فتحة باب عرضها (٤٠ر٤) متر ذات عقد نصف دائرى لها واجهة من خشب الخرط على شكل أطباق نجمية يتوسطها باب عرضه (٦٠ر١) متر تزين أعلاه حلية بها زخارف نباتية وفوقه حشوة كتابية لكتابات نسخية من سطرين نصهما «أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه» وعلى جانبى هذه الحشوة الكتابية توجد حشوتان رأسيتان متشابهتان بكل منهما طبق نجمى.

ل– الضريح :

عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١٤٫٤٠) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال يتكون كل منها من ثمان حطات من مقرنصات مضلعة ذات زوايا تحصر كل منطقتان منهما فيما بينهما ثلاثة شبابيك مستطيلة ذات عقود نصف دائرية فى أسفل تعلوها ثلاث قمريات فى أعلا، أما رقبة القبة فبها أربعة عشر نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى يكتنف كلا منها من الجانبين حشوتان تشبه كل منهما شكل النافذة تزينها زخارف نباتية لأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية ملونة.

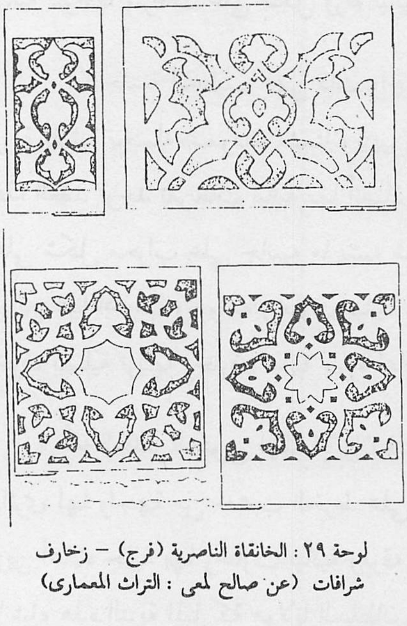

لوحة ٢٩ : الخانقاة الناصرية (فرج) – زخارف شرافات (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

أما زخارف القبة من الداخل فهى عبترة عن شريط عريض فوق الزقبة زخارفه أوراق ثلاثية وأشكال ورود متعددة الفصوص، ثم شريط رفيع زخارفه على شكل شرافات ذات وحدة مكررة عبارة عن ورقة ثلاثية (أنظر لوحة ٢٩)، ويلى هذا الشريط الثانى شريط ثالث به كتابات نسخية لآيات قرآنية نصه «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا،(٢٠١) إن الله وملائكته يصلون على النبى يآيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما،(٢٠٢) اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وارض اللهم عن أصحاب رسول الله أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين،» وفوق هذا الشريط الثالث شريط رابع يشبه الشريط الثانى، ثم يتوسط القبة من أعلا دائرة كبيرة بها زخارف نباتية لأوراق ثلاثية الفصوص.

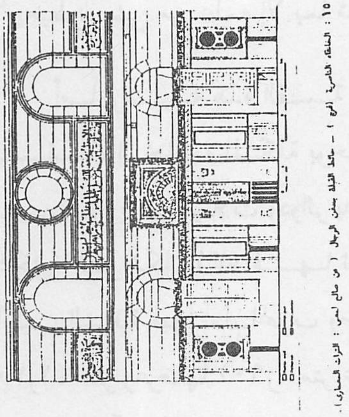
لوحة ١٥ : الخانقاه الناصرية (فرج) – حائط القبلة بمدفن الرجال (عن صالح لمعى : التراث المعمارى).

لوحة ٣٠ : الخانقاة الناصرية (فرج) – حائط القبلة بمدفن الرجال (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

أما عن جدران هذه القبة فنجد فى جدارها الشرقى محراب ذو حنية (انظر لوحة ٣٠) عرضها (٨٠ر) متر وعمقها (٧٥ر) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين الآن يعلوها عقد نصف دائرى متراجع، وتتألف زخارف هذا المحراب من وزرة رخامية من أسفل يعلوها أحد عشر شكلا لمحاريب زخرفية صغيرة على جانبى عقودها زخارف نباتية فوقها شريط من كتابات نسخية نصه «بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها»(٢٠٣) أما واجهتى العقد فتزينهما صنجات مزررة على جانبيها كان يوجد رنكان للمنشئ، ويكتنف هذا المحراب من الجانبين شباكان متشابهان عرض كل منهما (٤٠ر١) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد فوقه نافذة مستطيلة، وقد سبق وصف هذه الشبابيك والنوافذ عند وصف الواجهة الشرقية، وما بالجدار الغربى لهذه القبة من شبابيك ونوافذ وقمريات يشبه تماما ما فى الجدار الشرقى، وكذلك الحال فى الجدار الجنوبى إلا أنه خال من القمرية.

وكان يعلو جدران القبة شريط من كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم ان المتقين فى مقام أمين إلى قوله تعالى فارتقب إنا مرتقبون(٢٠٤) صدق الله العظيم ورسوله الكريم أمر بإنشاء هذه التربة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته يارب العالمين وكان الفراغ من هذا المكان المبارك فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة.»(٢٠٥)

كما أنه مثبت على الجدار الجنوبى لهذه القبة حشوتان كتابيتان السفلية وبها ثلاثة أسطر نسخية نصها : «بسم الله الرحمن الرحيم. كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام(٢٠٦) توفيت المرحومة خولد بنت عبد الله مستولدة الملك الظاهر برقوق يوم الجمعة مستهل شهر رمضان سنة أحد عشر وثمانمائة من الهجرة النبوية.»

أما الشريط العلوى فبه جزء من آية الكرسى يبدأ من قوله تعالى «بين أيديهم وما خلفهم

ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض»(٢٠٧)

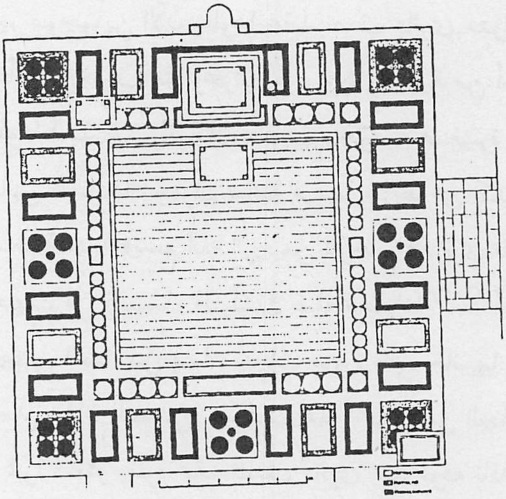

لوحة ٣١ : الخانقاة الناصرية (فرج) – رخام ارضية مدفن الرجال (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

أما أرضية هذه القبة ذات الفسيفساء الرخامية المشكلة بوحدات هندسية من مستطيلات ودوائر بديعة الشكل (انظر شكل ٣١) فبها ثلاث تراكيب الشرقية منها أمام المحراب وطولها (١٫٣٠) متر وعرضها (٠٫٩٠) متر عليها كتابات من آية الكرسى » نصها « بسم الله الرحمن الرحيم، الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»(٢٠٨)ثم كتابة تقول « .. .. المكى الناصرى .. .. بعد يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ست وثمان مائة»، وتقوم فوق أركان هذه التركيبة الشرقية أربع بابات، وإلى الغرب من التركيبة المشار إليها توجد تركيبة ثانية أكبر حجما طولها (١٫٥٠) متر وعرضها (١) متر يغلب على الظن أنها كانت قد أعدت لمنشئ هذه الخانقاة وهو السلطان الناصر فرج بن برقوق.

أما فى الركن الجنوبى الغربى من هذه القبة فتوجد تركيبة ثالثة طولها (١٫٤٠) متر وعرضها (٠٫٩٠) متر عليها لوحة نسخية من أربعة أسطر فى جانبها الشرقى تثبت أن هذه المقبرة لولدى المقرسودون (محمد واحمد) وتاريخها سنة (٨٣٧هـ) ونص هذه الكتابة كما يلى :

١- توفى إلى رحمة الله تعالى سيدى محمد سنة أحد

٢- عشر وثمانمائة . توفى إلى رحمة الله تعالى

٣– سيدى أحمد ولدى المقر المرحوم سودون

٤– من ثانى مستهل شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة.

أما أرضية هذه القبة من الجوانب الأربع وحدات هندسية مختلفة من الفسيفساء الرخامية الملونة.

القبة الثانية :

فى الجانب المقابل للقبة (الأولى) المشار إليها توجد قبة ثانية تشبهها تماما بفتحتها ذات الغقد النصف دائرى وبواجهتها الخشبية ذات الأطباق النجمية وبمدخلها الذى تعلوه الحليات ذات الزخارف النباتية وتختلف عنها فى أنه لا يعلو مدخلها أية كتابات وفى أرضيتها ذات الفسيفساء الرخامية الملونة شكلت على هئية عناصر هندسية من مستطيلات ومربعات ودوائر (انظر لوحة ٣٢) بالإضافة إلى الاختلافات البسيطة التى تتلخص بطبيعة الحال فى النصوص الكتابية التى تتكون فى هذه القبة من شريط أسفل عقود الشبابيك فى جدارها الشرقى على جانب محرابها يتضمن القاب المنشئ نصه :

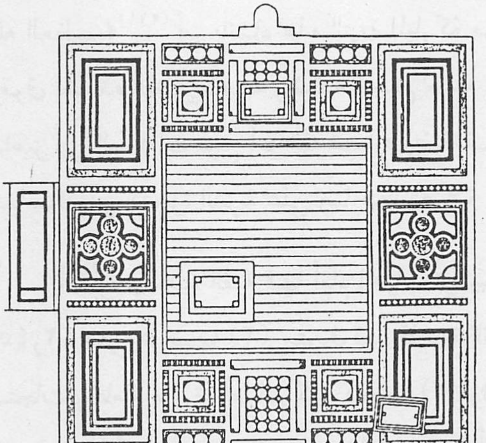

لوحة ٣٢ : الخانقاة الناصرية (فرج) – رخام ارضية مدفن السيدات (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

« بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإتمام هذه التربة المباركة السعيدة من فضل الله الكريم وجزيل عطائه العميم السلطان المالك الملك المنصور سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين من المظلومين من الظالمين أبو الفقراء والمساكين ذخر الأرامل والمنقطعين الملك المنصور عبد العزيز بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله بالرحمة والرضوان».(٢٠٩)

أما الشريط الثانى فنص كتاباته بعد البسملة بعض آيات القرآن الكريم ثم نص الإنشاء ويتضمن ألقاب المنشئ وتاريخ الإنشاء فى شهور سنة ثلاث وستين وثمانمائة.

أما الشريط الثالث أعلى رقبة القبة فيتضمن أيضا بعض آيات من القرآن الكريم تقول «بسم الله الرحمن الرحيم. الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان.(٢١٠) الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون. صدق الله العظيم»(٢١١) أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الشهيد الملك الظاهر أبى سعيد بن برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه فى أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبى السعادات فرج أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله وذلك فى شهور سنة ثلاث وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم.(٢١٢)

أما أرضية هذه القبة فبها أمام المحراب تركيبة رخامية كبيرة تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٢٫٤٥) متر وعرضها (٢) متر فوقها قاعدة ثانية أصغر حجما وتتكون جوانب كل منها من صنجات رخامية مزررة، أما التركيبة فطولها (١٫٧٥) متر وعرضها (١٫٣٠) متر ذات جوانب أربعة نقشت فيها كتابات نسخية لبعض آيات من القرآن الكريم ثم فى صدرها نص إنشائى يقول «هذا ما أمر بعمله مولانا السلطان الملك الناصر فرج لوالده الشهيد المرحوم الملك الظاهر برقوق تغمده الله برحمته وذلك فى المحرم سنة عشرة وثمانمائة».(٢١٣)

ويقوم فوق أركان هذه التركيبة الأربعة أربع بابات رخامية كما يتقدمها شاهدا اسطوانى الشكل عليه كتابات نسخية من اثنى عشر سطر تثبت أن هذه المقبرة هى مقبرة الظاهر أبو سعيد برقوق نصه :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – كل من عليها فان، ويبقى

٣ – وجه ربك ذو الجلال والإكرام(٢١٤)

٤ – هذا ضريح العبد الفقير إلى الله تعالى

٥ – السعيد الشهيد الملك الظاهر أبى سعيد

٦ – برقوق قدس الله روحه ونور ضريحة بمحمد وآله

٧ – أمر بوصية منه توفى إلى رحمة الله تعالى قبل أذان

٨ – الفجر صبيحة يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة أحد

٩ – وثمانمائة هجرية أحسن الله ختامها فى خير بمحمد وآله

١٠ – ودفن بعد صلاة الجمعة من يومه بحضور الجم الغفير من المسلمين وأئمتهم

١١ – وكان يوما مشهودا جعل الله قبره روضة من رياض الجنة بمحمد وآله آمين

١٢ – وصلى الله على سيدنا محمد وآله وذريته وتابعيه إلى يوم الدين وسلم آمين.(٢١٥)

التركيبة الثانية :

إلى الغرب من التركيبة المشار إليها توجد تركيبة ثانية طولها (١٥ر١) متر وعرضها (١٠ر١) متر ذات جوانب أربعة فى صدرها كتابات نسخية من ثلاثة أسطر تثبت أنها للسلطان الشهيد الملك المنصور عبد العزيز ولد السلطان الملك الظاهر برقوق الذى توفى فى ربيع الآخر سنة أربع وثمانمائة ونص كتاباتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم.(٢١٦) إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت(٢١٧) هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا

السلطان الشهيد الملك المنصور عبد العزيز ولد السلطان الملك الظاهر برقوق توفى ليلة الاثنين سادس ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة» .(٢١٨)

هذا وفى الجانبين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى من هذه القبة توجد تركيبتان صغيرتان عاديتان ليس عليهما أية نصوص، أما جوانب أرضية هذه القبة فكانت هى الأخرى من فسيفساء رخامية ملونة فى أشكال هندسية مختلفة، ويغلق على هذه الأضرحة حجاب خشبى بديع عمل بطريقة الحشوات المجمعة على هيئة اشكال هندسية منتظمة يغلب على الظن أن مهندس الخانقاة استمد تصميمها من الحجاب القائم على سبيل تربة أم السلطان شعبان فى مدرستها بالتبانة.(٢١٩)

ن- الايوان الشمالى :

يتكون هذا الإيوان من بلاطة واحدة ويشتمل سقفه على خمس قباب ضحلة تحملها عقود نصف دائرية ممتدة تقوم فى أركانها مناطق انتقال غير مزخرفة، وفى جدار هذا الإيوان الشمالى توجد ثمانية حواصل مستطيلة متشابهة طول كل منها (٥٠ر٣) متر وعرضها (٢٠ر٢) متر يؤدى إلى كل منها مدخل عرضه (٩٠ر) متر ويغطى كل منها سقف نصف اسطوانى وفوق كل مدخل من هذه المداخل توجد نافذة مربعة وكتابات نسخية نصها فوق الباب الغربى :

«اللهم أدم العز والتكريم والنصر والفتح المبين لمولانا السلطان الملك ا لناصر أبو السعادات فرج بن برقوق أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله » ونصها فوق الباب الآخر « عز لمولانا السلطان المالك الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق أدام الله أيامه ونشر فى الخافقين أعلامه اللهم ادم نعمتك ورضوانك.(٢٢٠)

س- الايوان الجنوبى :

يشبه هذا الإيوان تماما الإيوان الشمالى بكل ما فيه من تفاصيل معمارية وزخرفية.

ع- الايوان الغربى :

يقابل هذا الإيوان إيوان القبلة، ويتكون من ثلاث بلاطات وبه ثلاث صفوف من الأعمدة

تشبه اعمدة الإيوان الشرقى تحمل عقودا نصف دائرية ممتدة، ويغطيه سقف من قباب ضحلة تتكون من خمس عشرة قبة فى ثلاث صفوف، وفى جدار هذا الإيوان الغربى توجد خمسة شبابيك سبق وصفها عند الحديث عن الواجهة الغربية.

أما جداريه الشمالى والجنوبى فهما متشابهان تماما بكل منهما مدخلان متشابهان عرض كل منهما (١) متر يعلوه عتب مستو يؤدى إلى حاصل مستطيل طوله (٢٫٨٠) متر وعرضه (٢٫٠) متر يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هذين المدخلين شباك قندلية.

وعلى جانبى هذا الإيوان فى الشمال والجنوب يوجد مدخلان متشابهان يؤدى الشمالى منهما إلى رحبة سماوية مستطيلة فى جدارها الشمالى مدخل عرضه (١٫١٠)متر يؤدى إلى منطقة مستطيلة ذات سقف نصف اسطوانى فى جدارها الشرقى مدخل عرضه (١٫١٠) متر يفضى إلى حاصل مستطيل ذو سقف نصف اسطوانى كذلك.

وفى جدارها الشمالى مدخل آخر عرضه (١٫١٠) متر يؤدى إلي ممر مستطيل ذو سقف نصف اسطوانى على يمينه منور للتهوية والإنارة ينتهى فى الناحية الجنوبية بمدخل عرضه (١٫١٠) متر يفضى إلى قاعة مستطيلة تشبه القاعة السفلية فى الجانب المقابل.

أما صدر رحبة المدخل ففيه باب عرضه (١٫١٠) متر يؤدى إلى سلم يفضى بعد خمسة انكسارات إلى الدور الثانى، وعلى يساره مدخلا عرضه (٠٫٩٠) متر يؤدى إلى خلوة مستطيلة ذات قبو نصف اسطوانى فى جدارها الجنوبى شباك عرضه (١) متر يطل على الإيوان الغربى.

وبصدر هذا السلم فتحة ثانية عرضها (٠٫٩٠) متر تؤدى إلى خلوة ثانية تقع إلى الغرب من الخلوة الأولى وتشبهها تماما بقبوها نصف الاسطوانى وشباكها المطل على الإيوان الغربى.(٢٢١)

وعلى يمين هذا السلم يوجد ممر مستطيل ذو سقف من جدائل حجرية مستوية على يمينه حاصل مستطيل ذو قبو نصف اسطوانى، وفى نهاية هذا الممر من الناحية الشرقية توجد دخلة عرضها (١٫٤٠) متر وعمقها (٠٫٩٠) متر يغطيها قبو نصف اسطوانى.

ف – السبيل الثاني من الداخل :

بصدر هذا الممر فتحة باب عرضها (١) متر تفضى إلى السبيل الثانى وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٨٫٤٠) متر وعرضها (٧٫٧٠) متر يغطيها سقف يشبه سقف السبيل الأول، وقد سبق وصف واجهتيه الشمالية والغربية عند الحديث عن واجهات هذه الخانقاة.

وبعد أربعة انكسارات أخرى يؤدى السلم المشار اليه إلى الدور الثالث حيث نجد على اليمين مدخلا عرضه (٠٫٨٥) متر يؤدى إلى رحبة مستطيلة فى جدارها الجنوبى مدخل ثان عرضه (٠٫٩٠) متر يؤدى إلى خلوة مستطيلة يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الجنوبى شباك يطل على الإيوان الغربى، وفى جدارها الشرقى شباك يطل على رحبة مدخل هذا السلم.

ويقابل مدخل هذه الخلوة من الناحية الشمالية مدخل ثالث يؤدى إلى خلوتين مستطيلتين متداخلتين، يغطى كلا منهما سقف نصف اسطوانى، وبالجدار الغربى للخلوة الغربية شباك مستطيل يطل على الشارع وبالجدار الشرقى للخلوة الشرقية باب رابع كان يؤدى فى الناحية الشمالية إلى خلوة متهدمة يتقدمه ممر مستطيل، وفى الناحية الشرقية إلى خلوتين أخريين متداخلتين.

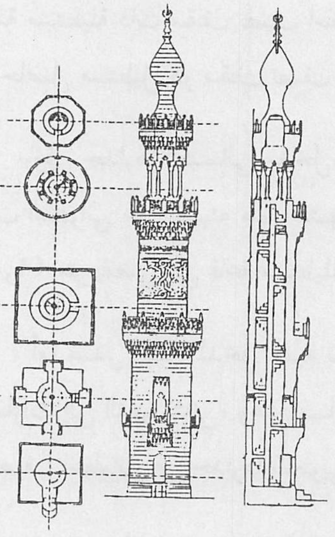

لوحة ٣٣ : الخانقاة الناصرية (فرج) – المئذنة : واجهة – قطاع – مسقط (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

المئذنتان : (أنظر لوحة ٣٣)

بعد أربعة انكسارات أخرى يفضى السلم السابق ذكره إلى السطح حيث تقوم فى منتصف الواجهة الغربية مئذنتان متشابهتان تقوم كل منهما على قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٫٩٠) متر وتتكون كل منهما من ثلاث دورات أولاها مربعة البدن فى جوانبها الأربعة أربع شرفات بارزة أسفل كل منها ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا وأعلاها دروة حجرية ذات جوانب ثلاث بكل منها شقة حجرية تزينها زخارف نباتية لأوراق

وأنصاف مراوح نخيلية، وتقوم على جانبى كل شقة من شققها الحجرية بابتان حجريتان أيضا ··يؤدى كل شرفة من هذه الشرفات الاربع فتحة مستطيلة ذات عقد على شكل ورقة ثلاثية توجد داخل دخلة تعلوها حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويتوج هذه الدروة مقرنصات مقعرة ذات دلايات فوقها دروة من شقق حجرية تزينها زخارف هندسية لخطوط متداخلة وزخارف نباتية لأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية.

أما الدروة الثانية فذات بدن اسطوانى تزينه خطوط بارزة متداخلة يعلوها إطار من كتابات نسخية بارزة فوقه مقرنصات مقعرة ذات دلايات تعلوها دروة من شقق حجرية تشبه شقق الدروة الأولى.

وتنتهى كل مئذنة من هاتين المئذنتين بجوسق يقوم على ثمانية أعمدة رخامية دائرية تحمل عمودا على شكل ورقة ثلاثية تتوجها مقرنصات مقعرة ذات دلايات فوقها دروة من شقق حجرية متشابهة، ويعلو هذا الجوسق رقبة مخروطية فوقها خوذة كمثرية يتوجها هلال من المعدن.(٢٢٢)

ويؤدى إلى كل من هاتين المنارتين مدخل يقع فى الناحية الشرقية عرضه (٧٥ر) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد يفضى إلى سلم المنارة الحلزونى، هذا ويحيط بأعلى الدروة الأولى للمئذنة الشمالية شريط من كتابات نسخية نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »(٢٢٣) بينما يحيط بأعلى الدروة الأولى فى المئذنة الجنوبية شريط من كتابات نسخية نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ».(٢٢٤)

أما القبتان فيزين بدنيهما من الخارج خطوط متكسرة متوازية على شكل دالات منقوشة فى الحجر(٢٢٥) نقش فى أسفلها حول الرقبة من أعلى شريط من كتابات نسخية نصها فى القبة

الشمالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموا ت والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم، لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» .(٢٢٦)

ونصها في القبة الجنوبية :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » .(٢٢٧)

هذا وقد ورد فى كتاب «جامع الكتابات العربية» أن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة نقلت إليه حشوة من الخشب من هذه الخانقاة طولها (٦٣ر١) متر عليها نص تاريخي يقول بعد البسملة وبعض الآيات القرآنية» أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبو السعادات فرج بن برقوق نصره الله تعالى »(٢٢٨)

والواقع أن استخدام الخط الثلث كان قد شاع على عمائر المماليك الشراكسة فى النصوص التاريخية ، يؤيد ذلك ما وجدناه فى الخانقاة التى بين أيدينا وما وجد بعد ذلك على جدران صحن مدرسة السلطان الغورى (٩٠٩–٩١٠هـ/١٥٠٤–١٥٠٥م) وغيرها، هذا بالإضافة إلى استعمال الألوان فى هذه الكتابات مثلما حدث فى كتابات مشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/١١٣٣م) .(٢٢٩)

٦– ترميمات الخانقاة :

مما لا شك فيه أن لجنة حفظ الآثار العربية كانت قد أولت هذه المجموعة المعمارية الهامة

جزء كبير من رعايتها واهتمامها منذ سنة (١٨٨٢م)، وظلت هذه الرعاية مستمرة حتى سنة (١٩٠٨م) ثم أعقبتها مصلحة الآثار المصرية فى هذا الاهتمام حتى كان المشروع الكبير الذى نفذته الهيئة وأعادت به هذه المجموعة إلى سابق عهدها من البهاء والرونق، وفيما يلى تتبع لما حدث من هذه الترميمات مرتبا بأسبقيته التاريخية :

ففى سنة (١٨٨٤م) ورد فى كشف عن الأعمال التى أجرتها لجنة حفظ الآثار العربية (بمسجد ومدرسة عائلة الملك الظاهر برقوق بالصحراء) أنها صرفت على عمليات صلب وتقوية هذا الأثر مبلغا قدره (٢٩١ر٦٤٦)جنيه(٢٣٠) ،وفى سنة (١٨٨٥م) ورد بيان عن المبالغ التى صرفتها اللجنة من ١٧ ابريل (١٨٨٤م) إلى آخر ديسمبر من نفس السنة وخص (جامع السلطان برقوق بالصحراء) مبلغا قدره (٥٥٠ر٦)جنيه.(٢٣١)

وفى تقرير معاينة لمئذنتى هذا الأثر سنة (١٨٨٦م) قرر القومسيون الثانى للجنة ضرورة هدم الدور الثالث من المنارة الجنوبية بعد عمل الرسومات التفصيلية لها وترقيم الأحجار لتدخل فى إعادة البناء مرة أخرى، وتركيب أربطة من الحديد على الدور الثانى منها لتقيها من السقوط، وكل بناء الدور الأول لها من الداخل والخارج، كما قرر تقوية قاعدة المنارة القبلية من أسفل سطح الجامع بترميم الواجهة الغربية بتمامها لأنها كانت متهدمة ومائلة، على أن يبدأ هذا الترميم من السبيل الواقع فى الزاوية الشمالية الغربية ويمتد إلى نهاية الواجهة حيث الباب الأصلى للجامع، وخصصت اللجنة لهذه الأعمال مبلغا وقدره (–ر٤٠٠)جنيه،(٢٣٢)وفى سنة (١٨٨٧–١٨٨٨م) صرفت اللجنة على إصلاحات (لم تحدد) بجامع برقوق بالصحراء مبلغا قدره (٦١ر١٤٢)جنيه.(٢٣٣)

وفى سنة (١٨٩٠م) قامت اللجنة أولا بإصلاح خمسة أبواب بجامع برقوق (مقاولة الخواجا ياكوفللى) وصرفت على ذلك مبلغا قدره (–ر٢٠٠)جنيه(٢٣٤)ثم قامت ثانيا بإصلاح سقف الصفة التى أمام المدخل وعهد بها إلى المقاول (احمد يوسف النحات) كما أعادت نقوش سقف الجامع فى حبل الطارات البحرى للمحراب وفى حبل الطارات الكبير طبقا للأصول الزخرفية واللونية التى كانت عليها، ونظفت رخام المحراب وحوائطه، ولم يرد فى ذلك بيان لما صرف على هذه الأعمال،(٢٣٥)وفى سنة (١٨٩١م) قامت اللجنة بإصلاح كرسى السورة والمنبر ولم يرد ذكر لبيان ما صرفته اللجنة على هذه العملية(٢٣٦)وإن كان فى غالب الظن هو مبلغ

(١٠٠٠ر–)جنيه التى وردت بعد ذلك فى نفس المجموعة غير محددة التفاصيل.(٢٣٧)

وفى سنة (١٨٩٢م) قامت اللجنة بإصلاح (أعمدة محراب جامع برقوق) وصرفت على ذلك مبلغا قدره (٢٠ر–)جنيه وفى نفس السنة(٢٣٨) أيضا ورد ان الأعمال (غير المحددة) التى كلف بها (المسيو واروتى المقاول) قد زادت عما كان مقررا له فى المقايسة التثمينية بمبلغ قدره(٩٥ر٢٩٧)جنيه فقررت اللجنة صرف هذا المبلغ له من فائض الميزانية،(٢٣٩) ويغلب على الظن أن هذه الأعمال التى كلف بها المسيو واروتى كانت تنحصر بالإضافة إلى ما تقدم فى هدم وبناء قبة الضريح لأنها كانت غير واردة بالمقايسة وتكلفت مبلغا قدره (١١٠ر–)جنيه وعمل حزامين من أوتار حديدية فى مبانى القبة تكلفت مبلغا قدره (٩٠ر–)جنيه وبذلك تصبح جملة المصروفات الزائدة (٢٠٠ر–) وجملة مصروفات الترميم عن هذه السنة (٣١٥ر٢٩٧)جنيه.(٢٤٠)

وفى سنة (١٨٩٤م) قامت اللجنة (فى غالب الظن) بإصلاح الشروخ التى كانت ظاهرة بداخل القبة وجددت ألواح الكسوة (الرخامية) فى داخلها وأكملت أحد أبوابها وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (١١٢٢ر٧٧)جنيه،(٢٤١) وفى سنة (١٨٩٥م) قامت اللجنة بتنظيف جوانب الضريح وصرفت على ذلك مبلغا قدره (٩ر٨٩٠)جنيه(٢٤٢) كذلك قامت اللجنة فى نفس السنة المشار إليها بإصلاح رخام الضريح وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (٤٠٠ر–)جنيه.(٢٤٣)

وفى نفس سنة (١٨٩٦م) قامت اللجنة بإصلاح رخام مدفن جامع برقوق (مقاولة المسيو كاميلو بيانو) وصرفت فى ذلك مبلغا قدره (١٠٠٠ر–)جنيه،(٢٤٤) وفى نفس السنة أيضا أصلحت الباب الثانى لهذا الجامع وصرفت عليه مبلغا قدره (١٢ر–)جنيه،(٢٤٥) وفى سنة (١٨٩٧م) قامت اللجنة بإصلاح كسوة خوذة منارة الجامع وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (٤٠ر–)جنيه،(٢٤٦) وفى نفس السنة أيضا قامت اللجنة بعمل دهان لبعض أجزاء القبة ولاسيما الإفريز الخشب الذى بداير وزرة القبة حسب العينة التى عملها هيرتس بك طبقا لدهانات بعض الأجزاء التى كانت لاتزال ظاهرة فيه، ولم يرد ذكر للمبالغ التى صرفت على هذه العملية، وبذلك تكون جملة مصروفات اللجنة على ترميمات هذه السنة هو مبلغ (١٠٥٢ر–)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٨م) قامت اللجنة (فى غالب الظن) بإصلاح الإيوان الشمالى للجامع التى تلفت من الرطوبة المستمرة الناتجة من مراحيض جامع الكامل، وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (٧٥ر–)جنيه،(٢٤٧) وفى نفس السنة أيضا قامت اللجنة بتعديل الأكتاف الخارجية للإيوان الشرقى

للجامع وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قده (٤٦٣ر٢٥)جنيه(٢٤٨) وبذلك تكون جملة مصروفات اللجنة على ترميمات هذه االسنة هو مبلغ (٤٦٣ر١٠٠)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٩م) قامت اللجنة بتنظيف الواجهة الغربية للجامع ورممت القباب وجددت المنارة، وبلغت جملة تكاليف هذه الأعمال مبلغا قدره (٠ر٦٧٠)جنيه تحملت اللجنة منها مبلغا قدره (–ر٢٧٠)جنيه وتحملت الأوقاف باقى المبلغ وقدره (–ر٤٠٠)جنيه،(٢٤٩) وفى نفس السنة أيضا صرفت اللجنة مبلغا قدره (٢٢٠ر١٥١)جنيه على أعمال (لم تحدد) لم تكن منظورة وأجريت بجامع برقوق زيادة على الأعمال المشار إليها،(٢٥٠) وفى نفس السنة أيضا صرفت اللجنة على إصلاح مبانى واسطح (جامع برقوق بالصحراء) مبلغا قدره (–ر٣٠٠)جنيه خص اللجنة منها مبلغا قدره (–ر١٠٠)جنيه وخص الأوقاف باقى المبلغ وقدره (–ر٣٠٠)جنيه،(٢٥١) وبذلك تكون جملة مصروفات الترميم عن هذه السنة هو مبلغ (٣٢٠ر١١٢١)جنيه.

وفى سنة (١٩٠٠م) قامت اللجنة بصرف مبلغ قدره (٤٠٠ر٢٧٠)جنيه قيمة أعمال لم تحدد تم الانتهاء منها فى (مسجد برقوق بالصحراء).(٢٥٢)

وفى سنة (١٩٠٢م) ورد بكشف بيان المنصرف من اعتماد مخصصات الترميم لهذه السنة أن اللجنة صرفت على أعمال (لم تحدد) بهذا الجامع مبلغا قدره (–ر١٠٠٠)جنيه،(٢٥٣) ويغلب على الظن أن هذا المبلغ كان قد صرف من اعتمادات اللجنة والأوقاف حيث ورد بعد ذلك أن جملة ما صرف على (مسجد برقوق بالصحراء) هو مبلغ (٢١٧ر٦٣)جنيه خص اللجنة مبلغا قدره(٠٠ر٢٦٩)جنيه وخص الأوقاف مبلغا قدره (٨١٧ر٣٧٣)جنيه.(٢٥٤)

وفى سنة (١٩٠٣م) قامت اللجنة بإزالة جزء من الأتربة المتراكمة فى الإيوان الغربى من الجامع وصرفت على ذلك مبلغا قدره (–ر٢٥٠)جنيه،(٢٥٥) وفى سنة (١٩٠٦م) قامت اللجنة بترميم الكتاب الذى يعلو السبيل وصرفت على ذلك مبلغا قدره (–ر٣٦)جنيه،(٢٥٦) وفى سنة (١٩٠٨م) قامت اللجنة بترميم التربة من حيث البناء والتبليط وعمل درف للشبابيك وبلغت تكاليف هذه الأعمال مبلغا قدره (–ر٢٥٠)جنيه.(٢٥٧)

وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على إصلاح وترميم هذا الأثر منذ سنة (١٨٨٢م) إلى سنة (١٩٠٨م) هو (٧٠٨ر٧٩٦٦)جنيه أى ما يقرب من ثمانية الآف جنية وهو مبلغ ليس بالقليل إذا ما قيس بقيمته النقدية فى هذا الزمن القديم.

الفصل الثانى

خانقاوات النصف الأول من القرن التاسع الهجرى

النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى

٤ – الخانقاة الجوهرية اللالا

٨٣٣هـ / ١٤٢٩م

اثر رقم ١٣٤

يقول على باشا مبارك أن « جامع جوهر اللالا هو بخط المصنع فى آخر درب اللبانة من شارع المحجر بقرب حمام اللالا » أنشأه الجناب العالى جوهر اللالا وأنشأ سبيلا ومكتبا ومدفنا،(٢٥٨) والواقع أن المعلومات التاريخية والأثرية التى أمكن الوقوف عليها بخصوص هذه المدرسة الخانقاة تجعل بإمكاننا ان نقسم الحديث عنها إلى خمس نقاط رئيسية هى :

١– تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢– منشئ الخانقاة.

٣– موظفو الخانقاة.

٤– وصف الخانقاة.

٥– ترميمات الخانقاة.

١– تاريخ الخانقاة واوقافها :

مما لا شك فيه أن ما لدينا من معلومات عن تاريخ الخانقاة لا يزيد على ما ذكره على باشا مبارك فيما سبقت الإشارة إليه، اللهم إلا ما ورد فى بعض المراجع العربية المنشورة وخلاصته أن هذا الاثر هو مدرسة ومسجد أنشأها الأمير جوهر اللالا (الذى كان فى خدمة الأشرف برسباى) سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) على ربوة عالية بحرى مسجد الرفاعى.(٢٥٩)

ويشير نص وثيقة الخانقاة إلى أن بناء المدرسة كائن بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى زويلة بخط المصنع تجاه سكن الواقف، وأنه يشتمل على واجهة مبنية بالحجر الفص النحيت .. .. ثم تورد الوثيقة بعد ذلك وصفا كاملا للمبنى بكل ما فيه من تفاصيل معمارية.

ويعنينا من هذا النص ما ورد فى السطور التالية للسطر(٧٩٨)وفيه يقول الواقف « ومنها أن يسامح الصوفية وقراء الشباك فى كل شهر ثلاثة أيام ولا يقطع لهم معلوم، ومنها أن الطلبة يبطلون حضور الدرس على ما جرت عادة الفقهاء بالديار المصرية من البطالة فى كل سنة أيام العيدين والتشريق والمطر المانع من الحضور، ويجرى عليهم معلومهم مدة البطالة، ومنها ألا يتنزل أحد من المستحقين فى الوقف المذكور عن وظيفته، فإن نزل أحد فلا يمضى له نزول .. .. إلى أن يقول فى السطر (٨٠٤) وما بعده » ومنها ألا يؤجر الأراضى الموصوفة المحددة بأعاليه ولا شئ منها أكثر من سنتين بأجر المثل فما فوقها، ولا شئ من المنشآت المحددة أكثر من سنة واحدة بأجر المثل فما فوق ذلك، ولا يدخل عقد على عقد حتى تنقضى مدة العقد الأول، ولا يتعجل عن ذلك أجره ولا يؤجر لمتجر ولا لأحد من أرباب الشوكة ولا لمن هو مشهور بسؤ المعاملة...»(٢٦٠)ويضيف على باشا مبارك أن لصاحب هذه المدرسة الخانقاة وثيقة أخرى «وقف منها أراضى فى مواضع وجعل من ريعها لعشرة من الصوفية يحضرون بالمدرسة بعد العصر– على عادة الخوانق يقرأون الربعة الفين من الدراهم النحاس، ولكاتب الغيبة مائة فوق مرتبه، ولشيخ الصوفية خمسمائة، وللقارئ فى المصحف بعد الظهر مائة وخمسين، ولقارئ القرآن عن ظهر قلب كذلك ».(٢٦١)

أما اوقاف الخانقاة فقد أشار إليها إجمالا على باشا مبارك – فيما سبق ذكره– حين قال «وفى حجته المؤرخة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة أنه وقف على ذلك أوقافا منها الحمام فى زقاق المصنع وأراضى بالجيزة وغيرها وأماكن بخط المصنع وبقرب باب النصر.(٢٦٢)

إلا أن ابن الجيعان قد بين لنا تفصيل النواحى التى كانت ضمن أوقاف صاحب هذه المنشأة ومنها :

١– المعيصرة :

من كفور صهرجت ومساحتها (٦٨٠) فدانا وعبرتها (٦٠٠) دينار كانت باسم المقطعين ثم صارت فى القرن (٩هـ / ١٥م) وقفا للأمير جوهر اللالا.(٢٦٣)

٢ – منى برهمتوش :

مساحتها (١٣٩٥) فدانا وعبرتها (٤٤٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير الطنبغا العثمانى ثم صارت وقفا للأمير جوهر اللالا.(٢٦٤)

٣ – شلا :

من الغربية مساحتها (٨٣٠) فدانا وعبرتها (٢١٠٠) دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأمير جوهر اللالا.(٢٦٥)

ومن ذلك يتضح أن جملة ما أمكن الوقوف عليه من أوقاف هذه الخانقاة طبقا لما ذكره ابن الجيعان كان قد بلغ الفان وتسعمائة وخمسة أفدنة كانت عبرتها عشرة آلاف وسبعمائة دينار سنويا بيانها كما يلى :

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	المعيصرة	٦٨٠	٤٦٠٠	التحفة السنية
٢	منى برهتموش	١٣٩٥	٤٠٠٠	» »
٣	شلا	٨٣٠	٢١٠٠	» »
	جملة الأوقاف	٢٩٠٥	١٠٧٠٠	

٢– منشئ الخانقاة :

ورد فى ترجمة منشئ هذه الخانقاة أنه حبشى الأصل اشتراه الأمير عمر بن بهادر من مكة المكرمة وقدم به إلى القاهرة فاهداه إلى اخته زوجة الأمير أحمد بن جلبان فظل جوهر فى خدمة ابن جلبان إلى أن توفى وتوفيت زوجته فاتصل بيرسباى قبل توليته السلطة وخدمه فترة طويلة إلى أن تولى برسباى نيابة طرابلس فسافر معه وقام على خدمته حتى إبان سجنه بقلعة المرقب.

ولما عاد برسباى إلى القاهرة وتولى السلطنة أعاد معه جوهر وعهد إليه ليكون مربيا (لالا) لابنه الأكبر محمد ثم لابنه العزيز يوسف⁽٢٦٦⁾ (وهى وظيفة كان لايتولاها إلا أجل طوائف الطواشية الخصيان) فعظم شأنه وصارت له الكلمة المسموعة فى الدولة الأشرفية حتى سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) حين عين السلطان برسباى زماما للدور السلطانية خلفا للأمير المتوفى خشقدم الظاهرى مضافا لوظيفته الأولى، فظل جوهر على هاتين الوظيفتين طوال حكم الاشرف برسباى، حتى تولى العزيز يوسف فزاد من تقريب مربيه حتى أنه كان يستشيره فى مهام الدولة فزادت وجاهته وفخم أمره وشمخت نفسه⁽٢٦٧⁾ مما جعل الناس يقصدونه لقضاء حوائجهم، ومع ذلك ظل جوهر نظيف اليد نقى الذيل حسن السيرة بارا خيرا يحسن كثيرا إلى أهل العلم والتقوى والصلاح، يدل على ذلك أنه أنشأ مكتبا لتعليم أيتام المسلمين واشترط فيهم ألا يكونوا قد بلغوا الحلم ومن يبلغه دون ختم القرآن يستبدل بغيره.

ومن الواضح أنه كان محبا للنظام وضبط الأمور، يدل على ذلك أيضا ما ورد فى وثيقة وقفة من الشروط الواجبة فى موظفيه، ومنها أن يكون مقيما بالقاهرة متفرغا له لا يجمع بين وظيفة وقفه وأى وظيفة أخرى، ومنها ألا يتنازل أحد من هؤلاء الموظفين عن وظيفته لآخر، ومنها ألا تؤجر أعيان وقفه لمن اشتهر بالمماطلة وسؤ المعاملة.

ولما تولى السلطان الظاهر جقمق فى ربيع الأول سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) ساءت حالة جوهر الالا، لاسيما بعدأان قبض عليه وسجنه ببرج القلعة فور تولية السلطة،⁽٢٦٨⁾ وبعد أن أمر بمصادرة أمواله عقب هروب العزيز يوسف من الدور السلطانية وألزمه بدفع مبلغ قدره ثلاثين ألف دينار، فنزل من سجنه لبيع ممتلكاته حتى يدفع ما ألزم به، وكانت حالته الصحية قد ساءت بالسجن بعد أن اصيب بمرض القولنج ثم زادها سوءا حالة الفزع التى اصيب بها فى أواخر أيامه إلى أن مات فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) عن نحو الستين سنة ودفن بمدرسته التى أنشأها بالمصنع.⁽٢٦٩⁾

٣– موظفو الخانقاة :

لم نجد فيما أتيح لنا الاطلاع عليه من المعلومات المتعلقة بموظفى هذه الخانقاة سوى ما

تركه لنا كل من السخاوى وعلى باشا مبارك، فأشار الأول ضمن تراجمه إلى ترجمة شيخ من شيوخ صوفيتها هو أحمد بن محمد بن أبى عبد الله التميمى الدارى القسطنطينى الأصل السكندرى المولد القاهرى المنشأ المالكى ثم الحنفى الذى عرف بالشمنى (نسبة لمزرعة أو قرية ببعض بلاد المغرب) ولد فى العشر الأخير من رمضان سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م) بالاسكندرية، ثم قدم القاهرة مع أبيه فحفظ واشتغل وتفقه حتى صار باسمه «مشيخة مدرسة جوهر اللالا وراتب يسير بالجوالى إلى أن التمس منه قايتباى الجركسى حين ابتنى تربته التى تحت قلعة الجبل الإقامة فيها ويكون خطيبها وشيخ الصوفية بها مع غير ذلك من الوظائف.. مات فى ليلة الأحد سابع عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين (وثمانمائة)»(٢٧٠) ومن ذلك يتضح أن السخاوى ذكر كثيرا من الخانقاوات التى لم ترد فى المقريزى وغيره، ومنها تربة قايتباى الجركسى وهذا يدل–فى غالب الظن– على أن الصوفية كوظيفة لم تكن تمارس فى الخانقاوات فقط وإنما مورست فى الترب أيضا.

ورغم أننا لم نعثر على تراجم أخرى تخص موظفى هذه الخانقاة، إلا أن وثيقة وقفها التى أشار إليها كل من على باشا مبارك وليلى الشافعى قد أمدتنا بكثير من المعلومات فى هذا الصدد، فهى تشير إلى أنه كان هناك إمام للجامع له فى الشهر ثلاثمائة درهم، ومؤذن له مأتى درهم، وبواب له ثلاثمائة وخمسين درهما (نظير البوابة والكنس وغسل القناديل وتعميرها)، وعشرة قراء يقرأون بالقبة لكل منهم خمسين درهما، وعشرة أيتام لكل منهم نصفا، ومؤدب له مأتى نصف وخادم ساقية له ستمائة درهم (نظير خدمة الساقية وعلف دوابها وصيانة آلاتها).(٢٧١)

ثم أشار على باشا مبارك أيضا إلى أن لجوهر اللالا حجة أخرى أوقف فيها أراض فى مواضع وجعل من ريعها لعشرة من الصوفية يحضرون بالمدرسة بعد العصر على عادة الخوانق يقرأون الربعة ألفين من الدراهم النحاس، ولكاتب الغيبة مائة فوق مرتبة، ولشيخ الصوفية خمسمائة، وللقارئ فى المصحف بعد الظهر مائة وخمسين، ولقارئ القرآن عن ظهر قلب كذلك،(٢٧٢) ومن هذا يتضح أن موظفى هذه الخانقاة كانوا يشتملون على :

١– شيخ الخانقاة.

٢– إمام الجامع.

٣– عشرة قراء بالقبة.

٤– كاتب غيبة.

٥– مؤذن.

٦– عشرة أيتام.

٧– مؤدب.

٨– بواب.

٩– خادم ساقية.

٤– وصف الخانقاة: (انظر لوحة ٣٤)

أقيمت هذه الخانقاة على ربوة بدرب اللبانة تجاه القلعة مطلة على جامع الرفاعى من الناحية الشمالية، وتتكون من مجموعة من العناصر المعمارية تشتمل على مدرسة ذات تخطيط متعامد يتكون من صحن تغطيه شخشيخة تحيط به أربعة إيونات، ومن سبيل يعلوه كتاب وضريح تعلوه قبة، بالإضافة إلى بعض الملحقات الأخرى التى تشتمل على بعض الخلوات والحواصل، وقد نجح المعمار كثيرا فى إخراج خانقاة ذات مبنى داخلى منتظم رغم أن المساحة التى أقيمت عليها وقدرها (١٨٧) متر سوى الميضأة غير منتظمة الأبعاد، وقد أدى ذلك الوضع إلى اختلاف سمك الجدران ولاسيما فى

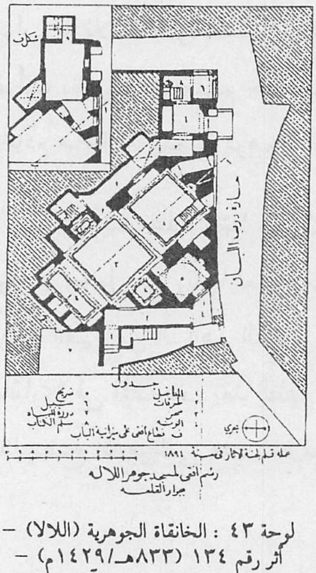
جدول
المداخل
صحن
ضريح
سبيل
دورة المياه
سلم الكتاب
قطاع افقى على ميزانية الباب
بحري
عمله قلم لجنة الآثار فى سنة ١٨٩٦
رسم افقى لمسجد جوهر اللالا
بجوار القلعة

لوحة ٤٣ : الخانقاة الجوهرية (اللالا) – أثر رقم ١٣٤ (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) – مسقط (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

إيوان القبلة، وقد تراوح هذا الاختلاف بين (٦٦ر) متر فى الشباك الذى على يمين المحراب، (٣ر٠٥) متر فى الشباك الذى على يساره، وهى ظاهرة نجد مثيلا لها فى مدارس وخانقاوات أخرى ومنها مثلا مدرسة وخانقاة القاضى أبو بكر مزهر بحارة برجوان بالجمالية (٨٨٤-٨٨٥هـ/١٤٧٩-١٤٨٠م).(٢٧٣)

ويعد هذا المسجد المدوسة الخانقاة تحفة أثرية جميلة أزرت جدرانها وفرشت أرضياتها بالرخام الملون الدقيق، ونقشت سقوفها بالزخارف البديعة، وزيد جمالها بمحراب رائع صغير ومنبر بديع يجاوره، ورغم كثرة النصوص المنقوشة فى هذا الأثر إلا أن تاريخ إنشائه لم يسجل بين هذه النصوص واعتمد فى ذلك من ثم على حجة الوقف التى تقول أنه أنشئ سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، وفيما يلى وصف تفصيلى له:

الواجهة الرئيسية: (انظر شكل ٤١)

تقع هذه الواجهة فى الناحية الجنوبية الشرقية للمدرسة وتشتمل على المدخل الرئيسى والقبة والمنارة ممتدة بطول (١٦ر٨٧) متر وارتفاع (٩ر٨٠) متر حيث يشغل طرفها الشمالى السبيل والكتاب، يلى ذلك كتلة المدخل الرئيسى وقد اهتم بها المعمار كثيرا فجعلها ترتفع عن باقى جدار الواجهة، وكأنه يريد أن يبرز جزئية واجهة المدخل عن بقية أجزاء الواجهة كنوع من الاهتمام وحسن الإخراج لهذه الجزئية، ويلى كتلة المدخل الرئيسى هذه دخلة رئيسية تشغل واجهة الإيوان الجنوبى الشرقى للمدرسة ثم جدار الضريح الخارجى وهو كتلة صماء من الاحجار المشهرة ثم تنكسر الواجهة فى طرفها الجنوبى مكونة الواجهة الجنوبية للضريح بطول (٢ر٦٠) متر وتشتمل على دخلة بعمق (٠ر٢٠) متر ترتفع عن مستوى أرض الشارع بحوالى (١ر٥٦) متر بها نافذة مستطيلة ذات مصبعات حديدية يغلق عليها مصراعان من الخشب يعلوها شباك آخر مشابه للشباك السفلى.(٢٧٤)

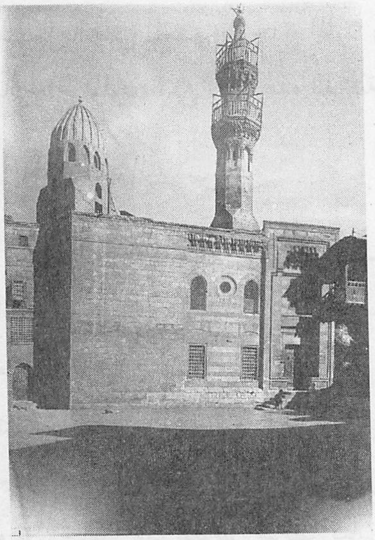

شكل ٤١: الخانقاة الجوهرية (اللالا) أثر رقم ١٣٤ (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الواجهة والمدخل والمئذنة والقبة

واجهة الإيوان الجنوبى الشرقى :

توجد على يسار كتلة المدخل من الناحية الجنوبية وتشتمل على دخلة رأسية طولها (٤٫٤٩) متر وعمقها (٫١٧) متر ترتفع عن مستوى أرض المدرسة بحوالى (١٫٠٣) متر بها فتحتى شباك ذات مصبعات نحاسية طول الواحدة منها (١٫٩٠) متر وعرضها (١٫٠٨) متر ويغلق على الشباك الموجود بجوار كتلة المدخل الرئيسى مصراعان من الخشب يزينهما من أعلى ومن أسفل شريطان من النحاس بعرض (٫١٠) متر أما الشباك الثانى فيغلق عليه مصراع خشبى واحد به نفس الشريط النحاسى المشار إليه، ويعلو كلا من هذين الشباكين عتب مزرر تتوسطه صنجة مفتاحية فوقه عقد عاتق من الأحجار المشهرة،يلى ذلك فتحتا شباكين آخرين معقودين ملئ كل منهما بالجص المعشق بالزجاج الملون وتتوسطهما قمرية مستديرة فوق المحراب ملئت بالجص المعشق بالزجاج الملون، وفى نهاية هذه الدخلة الرئيسية نجد ثلاثة صفوف من المقرنصات ذات الدلايات .

المدخل الرئيسى :

يقع هذا المدخل فى الطرف الشمالى للواجهة الرئيسية المشكلة لواجهة إيوان القبلة وبين السبيل، ويتقدمه سلم مكون من خمس درجات طول الواحدة منها (١٫٠٨) متر وعرضها (٫٣٠) متر وارتفاعها (٫١٥) متر وتؤدى هذه الدرجات إلى بسطة طولها (٢٫٢٣) متر وعرضها (١٫١٠ متر تتقدم المدخل الذى يقع داخل دخلة رئيسية اتساعها (٢٫٤٤) متر وعمقها (٫٧٠) متر وعلى جانبيها مكسلتان حجريتان ارتفاع كل منهما (٫٨١) متر وطولها (٫٧٥) متر وعرضها (٫٥٠) متر وعلى جانبى هذا المدخل شريط كتابى عرضه (٫٢٦) متر وعمقه (٫٠٢) متر وطوله (٣٫٥٩) متر نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين».(٢٧٥)

أما المدخل نفسه فعرضه (١٫٢٥) متر وعمقه (٫٢٨) متر ويرتفع عن مستوى البسطة بمقدار (٢٫٥٢) متر ويغلق عليه باب خشبى مكون من مصراعين طول كل مصراع فيه (٢٫٧٠) متر وعرضه (٫٦٥) متر وسمكه (٫٠٧) متر، ويتوسط هذا الباب الخشبى صرة نحاسية ذات

زخارف هندسية ونباتية قطرها (٧٥ر) متر، أما اركان الباب ففيها أجزاء من دلايات نحاسية فقد ما كان منها فى الركنين السفليين، ويعلو فتحة المدخل عتب مسطح عبارة عن لوح من الرخام فوقه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة تعلوها فتحة شباك مستطيلة ذات مصبعات نحاسية، وتنتهى كتلة المدخل من أعلى بصفوف من المقرنصات ذات الدلايات، وفى مستوى ارتفاع العقد العاتق الذى يعلو فتحة هذا المدخل يوجد برطوم خشبى كانت تتدلى منه ثلاث سلاسل لثلاث مشكاوات لإنارته.

دركاة المدخل :

تفضى فتحة المدخل المشار إليها إلى دركاة مستطيلة طولها (٢ر٤٠) متر وعرضها (٢ر٣٦)متر فرشت أرضيتها بالرخام الأبيض والأسود فى زخارف هندسية بسيطة، ويتصدر هذه الدركاة دخلة اتساعها (٢ر٠١) متر وعمقها (٧٣ر) متر تتصدرها مصطبة ارتفاعها (١ر٠٧) متر كسيت بوزرات رخامية بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، ويغطى هذه الدركاة سقف خشبى يتألف من براطيم تحصر بينها مناطق مربعة ومستطيلة مما يسمى فى مصطلح الصنعة بالبحور والتماسيح جلدت بالزخارف النباتية والهندسية بأفريز خشبى كتب عليه بخط النسخ آيات قرآنية نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم. ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون» ،(٢٧٦) ويفتح على هذه الدركاة بابان أحدهما على يمين الداخل فى الجدار الشرقى يؤدى إلى السبيل والثانى على يساره فى الجدار الغربى يؤدى إلى دهليز يوصل إلى صحن المدرسة وهما بابان متماثلان عرض كل منهما (١) متر وعمقه (١٧ر) متر وارتفاعه (٢ر٣٥) متر ومعقود من أعلى بعقد مدبب مقوس الأرجل تعلوه فتحة شباك مستطيلة ذات مصبعات حديدية.(٢٧٧)

السبيل :

يؤدى المدخل الموجود على يمين الداخل إلى الدركاة فى جدارها الشرقى إلى غرفة

مستطيلة ذات سقف من عروق خشبية طولها (٢) متر وعرضها (١٫٥٣) متر تتقدم السبيل بها فوهة صهريج قطرها (٠٫٤٥) متر وتفضى هذه الغرفة إلى السبيل عن طريق باب فى جدارها الجنوبى الشرقى طوله (١٫٩٠) متر واتساعه (٠٫٧٥) متر تعلوه فتحة شباك مستطيلة ذات مصبعات حديدية، أما السبيل ذاته فطوله (١٫٨٥) متر وعرضه (١٫٧٨) متر فى الركن الشرقى منه عمود من الرخام ذو تاج على هيئة ورقة الأكنش يحمل سقف السبيل وهو مجلد بألواح خشبية كانت عليه زخارف ولكنها ممحوة، ويغلق على هذا السبيل من الخارج فى الجدارين الشرقى والشمالى درابزين خشبى من خشب الخرط، ويعلو هذا السبيل كتاب واجهته عبارة عن شرفة خشبية محمولة على كوابيل خشبية عارية من الزخرف، وقد اقتبس نظام هذا السبيل فى غالب الظن من سبيل مسجد ألجاى اليوسفى بسوق السلاح وسبيل القاضى عبد الباسط بالخرنفش.(٢٧٨)

الممر المنكسر المؤدى إلى الصحن:

يفضى المدخل الثانى على يسار الداخل إلى الدركاة فى جدارها القبلى إلى ممر منكسر يبلغ طول انكساره الأول (٢٫٤١) متر وعرضه (١٫٦١) متر ويغطيه سقف خشبى عبارة عن براطيم خشبية تحصر بينها بحورا وتماسيح مجلدة بالزخارف النباتية يؤطره من أسفل شريط كتابى نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا»،(٢٧٩) وبالجدار الشرقى لهذا الممر كتبية اتساعها (٠٫٨٠) متر وارتفاعها (١٫٨٠) متر وعمقها (٠٫٨٨) متر يغلق عليها مصراعان خشبيان، أما بالنسبة للجزء الثانى من الممر فطوله (٧٫٣٣) متر وعرضه (١٫٣٠) متر أرضيته مفروشة بألواح حجرية وسقفه مكشوف فى بدايته ليعمل على تمرير الهواء إلى المزملة الموجودة بالدهليز من أسفل فيرطب ماءها، ومغطى ببراطيم خشبية فى بقيته تحصر بينها مناطق مستطيلة غائرة مليئة بالزخارف النباتية ذات الألوان المختلفة، ويؤطر السقف من أسفل شريط كتابى على أرضية خشبية عبارة عن آيات قرآنية نصها :

«إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما

وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا. صدق الله العظيم فى مستهل سنة..»[٢٨٠] ويشتمل الجدار الغربى لهذا الانكسار على مزملة لها واجهة من خشب الخرط يغلق عليها مصراعان من نفس الخشب على بابها نص تأسيس محفور فى الخشب من خمسة أسطر طول كل منها (٥ر) متر ضاعت بعض أجزائه وما بقى منه يقرأ كالآتى :

سطر١ : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا السبيل

سطر٢ : المبارك من فضل الله تعالى المقر..

سطر٣ : .. .. أعز الله أنصاره بمحمد وآله

سطر٤ : وكان الفراغ منه فى مستهل .. ..

سطر٥ : .. .. ..

ويبلغ اتساع المزملة (١,٧٤) متر وارتفاعها (٢,٥٠) متر وعمقها (٩٩ر) ويليها على بعد (٢,١٠) متر، مدخل معقود اتساعه (٧٠ر) متر وارتفاعه (١,٨٥) متر وعمقه (١٧ر) متر يغلق عليه باب خشبى يفضى إلى غرفة مسدودة يغلب على الظن أنها كانت خلوة من خلوات الصوفية.

أما الجدار الشرقى لهذا الممر ففيه فتحتان الأولى فى مواجهة المزملة وهى عبارة عن فتحة شباك ذات مصبعات نحاسية تطل على إيوان القبلة اتساعها (٨٦ر) متر وارتفاعها (١,٨٥) متر، والثانية فى نهاية هذا الجدار وهى عبارة عن مدخل اتساعه (١,٢٠) متر وارتفاعه (٢,٢٣) متر يغلق عليه مصراعان خشبيان طول كل منهما (٢,١٥) متر وعرضه (٥٨ر) متر وسمكه (٠٨ر) متر داخل دخلة عمقها (٧٥ر) متر، ويفضى هذا المدخل إلى صحن المدرسة، وفى صدر هذا الممر يوجد مدخل معقود آخر اتساعه (٩٠ر) متر وارتفاعه (١,٨٠) متر يؤدى إلى سلم يفضى إلى الطابق الثانى ويشتمل على بعض غرف يغلب على الظن أنها كانت سكن شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها.

الصحن :

هذا الصحن مربع الشكل تقريبا طوله (٥,٤٠) متر وعرضه (٥,٣٠) متر أرضيته منخفضة

عن أرضيات الإيوانات بمقدار (٢٧ر) متر، وقد فرشت بفسيفساء رخامية عبارة عن وحدات مربعة ومستطيلة تحصر بداخلها أشكالا هندسية، ويفتح على هذا الصحن فى جوانبه الأربعة، أربعة مداخل متشابهة اتساع كل منها (١,٣٠) متر وارتفاعه (٢) متر، فوق كل منها عتب مكون من صنجات معشقة يعلوه عقد عاتق فوقه فتحة شباك مستطيلة ذات مصبعات نحاسية، ويغلق على كل مدخل من هذه المداخل مصراعان خشبيان يزينهما من أعلى ومن أسفل شريط نحاسى خال من الزخارف والكتابات، ويفضى المدخل الموجود فى الركن الشرقى للصحن إلى الممر المنكسر المشار إليه، بينما يفضى المدخل الموجود فى الركن الشمالى إلى غرفة مستطيلة خالية، والمدخل الموجود بالركن الغربى إلى الميضأة الملحقة بالمدرسة والمدخل الموجود بالركن الجنوبى للصحن إلى الضريح، ويغطى هذا الصحن شخشيخة خشبية مثمنة الشكل محمولة على رقبة مثمنة مفتوح فى كل ضلع منها فتحة شباك ذات واجهة من خشب الخرط يعلوها صفان من المقرنصات الخشبية، وقد زخرفت هذه الشخشيخة من الباطن بوحدات زخرفية هندسية تحصر بينها أشكالا نباتية فى مركزها دائرة كتب عليها بخط نسخ «كل يعمل على شاكلته» مكررة.

إيوان القبلة :

يفتح هذا الإيوان على الصحن فى ضلعه الشرقى بعقد واحد على هيئة حدوة الفرس تنتهى أرجله على الجانبين بثلاثة صفوف من المقرنصات، وهو إيوان مستطيل الشكل طوله (٣,٣٥) متر وعرضه (٤,٧٢) متر أرضيته مفروشة بألواح حجرية، وقد كسيت جدرانه من اسفل بوزرات رخامية ارتفاعها (١,٥٠) متر بينما ارتفعت هذه الوزرات فى جدار القبلة إلى مسافة (٤) متر، ويتصدر جدار القبلة فى هذا الإيوان محراب مجوف ذو عقد مدبب عمقه (٨٠ر) متر واتساعه (١,٣٤) متر وارتفاعه (٣,١٠) متر يكتنفه من الجانبين عمودان من الرخام الوردى مربعين من أسفل ومثمنين من أعلى، ولكل منهما تاج شكل على هيئة ورقة الأكنش وقد زخرفت خواصر عقد هذا المحراب بنقوش نباتية ملونة ذات تكوينات هندسية، أما جوف المحراب فقد كسى ببلاطات رخامية من أسفل على شكل عقود محمولة على أعمدة يليها فى وسط المحراب منطقة مربعة تحتوى على زخارف هندسية تشتمل على شريط كتابى نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب صدق الله العظيم»،[٢٨١] ويلى هذا الشريط الكتابى من أعلى شريط هندسى عليه زخارف هندسية.

وعلى جانبى هذا المحراب دخلتان عميقتان تشتمل كل منهما على شباك يطل على الواجهة الرئيسية من الخارج، الأول على يمين المحراب فى الجهة القبلية اتساعه (١) متر وعمقه (٦٦ر) متر والثانى على يساره فى الجهة البحرية اتساعه (٩٩ر) متر وعمقه (٠٥ر٣) متر، وفوق كل منهما فتحة شباك أخرى معقودة ملئت بالجص المعشق بالزجاج الملون، ويحصر هذان الشباكان فوق المحراب قمرية دائرية من الجص المعشق بالزجاج الملون أيضا، وعلى جانبى هذا الإيوان دخلتان اتساع الجنوبية منهما (٧٩ر٢) متر وعمقها (٠٦ر١) متر يتصدرها كردى خشبى يعلوه عقد مدبب تشتمل على كتيبة يغلق عليها مصراعان خشبيان، أما الدخلة الشمالية فيبلغ اتساعها (٧٣ر٢) متر وعمقها (٧٠ر) متر وتشتمل على فتحة الشباك الذى يطل على الممر المنكسر الموصل من المدخل الرئيسى إلى الصحن، ويغطى هذا الإيوان سقف خشبى عبارة عن براطيم خشبية تحصر بينها تماسيح وبحور زخرفت بالنقوش الملونة والمذهبة بزخارف نباتية وهندسية، وأسفله إزار خشبى يشتمل على كتابات قرآنية نصها بدءا من جدار القبلة: «فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجاوة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب»،[٢٨٢] وينتهى هذا الإزار فى الأركان بمقرنصات خشبية تنتهى بوحدة زخرفية على هيئة ورقة نباتية ثلاثية، أما سقف الدخلتين فيقل فى الارتفاع عن سقف الإيوان وهو عبارة عن سقف خشبى مسطح كساه الفنان بتقسيمات بديعة من الزخارف النباتية داخل إطارات هندسية.

المنبر:

يوجد على يمين المحراب منبر خشبى يتكون من قاعدة مستطيلة فوقها ريشتان من خشب الخرط المجمع بطريقة التعشيق ويزين هاتين الريشتين أطباق نجمية فى الوسط وأجزاء من أطباق فى

الأركان، ويتقدم هاتين الريشتين صدر به باب أعلاه شريط كتابى محفور فى الخشب نصه «ادخل هذا المنبر المبارك فى عام خمسة عشر وثمانمائة وألف هجرية» ونجد فى أعلى المنبر قبة خشبية صغيرة محمولة على حطتين من المقرنصات الخشبية أسفلهما شريط كتابى نصه (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)⁽²⁸³⁾

الايوان الغربى :

يقابل هذا الإيوان إيوان القبلة ويفتح على الصحن بعقد مدبب اتساعة (٤٫٧٠) متر تنتهى أرجله من الجانبين بثلاثة حطات من المقرنصات الحجرية، ويبلغ عمق هذا الإيوان (٢٠٫٥٦) متر تكتنفه من الشمال والجنوب دخلتان ضحلتان الشمالية منهما بعمق (٤٢٫) متر واتساع (١٫٣٨) متر والجنوبية بعمق (٥٫٢٤) متر واتساع (١٫٣٧) متر ويتصدر هذا الإيوان دخلة يبلغ اتساعها (١٫٥٠) متر وعمقها (١٫٠٥) متر يعلوها دكة المبلغ من خشب الخرط تبرز عن جدار الإيوان الغربى من الداخل، ويكتنف هذه الدخلة كتبيتان اتساع كل منهما (١٫١٠) متر وعمقها (١) متر وارتفاعها (٢٫٢٥) متر يغلق عليها مصراعان خشبيان، ويغطى هذا الإيوان سقف خشبى مقسم إلى مستطيلين يفصل بينهما برطوم خشبى فى وسط كل منهما منطقة غائرة مثمنة بداخلها وردة ثمانية الفصوص، ويحيط بهذا السقف من أسفل إزار خشبى يشتمل على نص قرآنى بخط النسخ يقول «أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا صدق الله العظيم»،⁽²⁸⁴⁾ أما فى أركان هذا السقف فتوجد مقرنصات خشبية تنتهى بوحدة زخرفية على شكل ورقة ثلاثية الفصوص وأرضية هذا الإيوان مفروشة بالواح حجرية وجداره مكسية بوزرات رخامية ارتفاعها (١٫٤٥) متر يعلوها شريط زخرفى عرضه (٢١٫) متر نقشت فيه وحدة نباتية مكررة عبارة عن ورقة ثلاثية الفصوص.

السدلتان الشمالية والجنوبية :

يتعامد على الصحن فى الجهتين الشمالية والجنوبية سدلتان أولاهما شمالية عمقها (١٫١٦) متر واتساعها (١٫٦٥) متر وثانيتهما جنوبية عمقها (١٫٩١) متر واتساعها (١٫٦٥) متر

يتصدر كلا منهما كتبية يغلق عليها باب خشبى، ويكسو جدرانها من أسفل بارتفاع (٤٦ر١) متر وزرات رخامية يعلوها الشريط الزخرفى الرخامى ذو الوحدة النباتية المكررة على شكل الورقة الثلاثية الفصوص، وأرضية كل منهما مفروشة بالرخام الملون فى شكل دوائر (انظر شكل:٤٢)، ويشرف كل منهما على الصحن بعقد مدبب من الجر الأبلق، أما بالنسبة لسقفيهما فهو خشبى مسطح بوسطه شكل مثمن يحوى وردة ثمانية الفصوص وباقيه وحدات زخرفية هندسية تحصر بينها زخارف نباتية متنوعة ويحيط بهذا السقف من أسفل إزار خشبى عليه كتابات نسخية تعذر قراءتها.(٢٨٥)

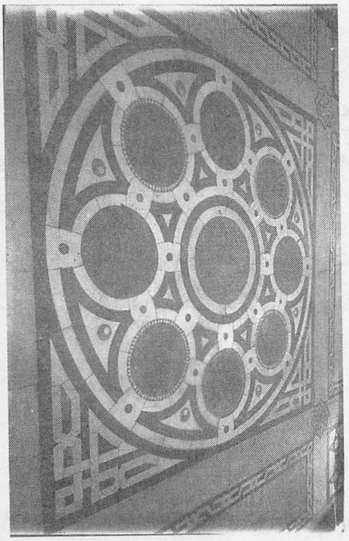

شكل٤٢ : الخانقاة الجوهرية (اللالا) فسيفساء رخامية ملونة بالارضيات

الضريح :

عبارة عن غرفة مستطيلة طولها (٩٥ر٢) متر وعرضها (٤٧ر٢) متر يفضى إليها من الباب الموجود فى الركن الجنوبى من الصحن، ويتصدر جدارها القبلى حنية محراب معقودة اتساعها (٤٣ر١) متر وعمقها (٧٨ر) متر عارية من الزخارف والكتابات يتقدمها من أسفل تركيبة رخامية للضريح طولها (٤١ر١) متر وعرضها (٠١ر١) متر وفى جدارها الجنوبى فتحة شباك معقودة تطل على الخارج اتساعها (١٩ر١) متر وعمقها (٤١ر) متر تعلوها فتحة شباك آخر.

ويغطى هذا الضريح قبة محمولة فى الأركان على حنايا ركنية، ولأن مساحة هذه القبة غير مربعة تماما من أسفل كما هو واضح من مقاساتها السابقة طولا وعرضا فقد قام المعمار بتقليل هذا الفارق من أعلى بين الطول والعرض لجعل المستطيل مربعا عن طريق وضع فلوق خشبية أقام عليها جدارا ليكتمل شكل المربع من أعلى ثم أقام منطقة الانتقال ليتحول بها المربع إلى مثمن عن طريق حنايا ركنية أقام عليها رقبة القبة وفتح بها ثمانى شبابيك صغيرة معقودة يليها القبة وهى عارية من الزخارف تماما كسيت جدرانها بطبقة من الملاط ويتدلى من مركزها سلسلة كانت

معدة لتعليق المشكاة التى تضئ الضريح.

المئذنة :

تقوم هذه المئذنة في الركن الجنوبى من الواجهة الرئيسية وتتكون من ثلاث طوابق ويبلغ ارتفاعها الكلى(١١) متر أولها مربع الشكل طول ضلعه (٠٩ر٢) متر وارتفاعه (٧٠ر١) متر فى نهايته شرفة تكتنف الطابق الثانى وهو مثمن الشكل طول ضلعه (٨٣ر) متر وارتفاعه (٥٠ر٤) متر فتحت فيه أابعة نوافذ مسدودة الآن بسدات حديثة، ويعلو هذه الاضلاع الثمانية دخلات معقودة، يلى ذلك الطابق الثالث وهو دائرى الشكل ارتفاعه (٢٥ر٢) متر أسفله شرفة محمولة على صفوف من المقرنصات ذات الدلايات واعلاه هلال من المعدن.(٢٨٦)

٥- ترميمات الخانقاة :

لم تنل ترميمات هذه الخانقاة عناية لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة (١٨٨٩م) حتى سنة (١٩٠٩م) فقط وإنما نالت عناية هيئة الآثار من بعدها أيضا، يدل على ذلك ما ورد فى تقرير لجنة المعاينة التى أجراها للأثر القومسيون الثانى للجنة سنة (١٨٨٩م) وفيه أن هذا الأثر يحتوى على رخام خردة مشغول بألطف ما يمكن من الصناعة وبه سقفان مذهبان فى غاية الحفظ ولأجل وقايتهما يلزم الإسراع فى إصلاح السطوح لمنع تزايد الإتلاف فيه.(٢٨٧)

وفى كراسة سنة (١٨٩٢م) نجد تقريرا مفصلا عن حالة الأثر المعمارية والزخرفية ومنه يتضح أن الجزء الشرقى للواجهة ليس فيه ما يستدعى النظر، وأن الكتاب الذى كان يعلو السبيل قد تلاشى ولم يبق منه سوى بعض أجزاء من براطيم خشبية بارزة بكوابيل، وأن المنارة والقبة قد جددتا فى جزأيهما العلويين أعلا سطح المسجد بشكل ردئ وبمونة عادية، وأن الجزء المتبقى من الواجهة عليه دهان بالفرشاة يجب إزالته لكشف أوجه الأحجار، وأن الرخام الخردة بباب الدخول عليه دهان آخر يجب إزالته، وأن الشبابيك والنوافذ العلوية ذات الزجاج الملون تحتاج إلى شباك من السلك لحمايتها، وأن بعض الحشوات البرونزية المخرمة التى كانت تغشى الباب قد ضاعت وعملت بدائل لها، وأنه لم يبق بداخل السبيل والكتاب شئ ذو أهمية وأن الكسوة الرخامية لطرقة المدخل كلها تالفة ويقضى الأمر ضرورة تجديدها، وأن أسقف هذه الطرقة فى حاجة إلى تنظيف تام، وأن غطاء الصحن مستجد ومصنوع من ألواح بسيطة بغير زخارف، وأن بعض الأرضية الرخامية للإيوان

الشرقى التى تشبه أرضية مدرسة أبى بكر مزهر تالفة ويلزم إكمالها وكذا بالنسبة لوزرة هذا الإيوان، وأن بعض أجزاء الأسقف المذهبة والمشغولة بالأويمة تالف من جراء نشع مياه الأمطار ويقتضى الأمر ضرورة حفظها، وأن المنبر المجمع من غير زخارف جيد الحفظ، وأن السدلة المستحدثة كبيرة الحجم بالنسبة لمساحات الجامع ويقتضى الأمر تصغيرها مع استخدام بعض أجزائها، وأن السلم الموصل إلى السطح متخرب ويحتاج إلى اصلاح، وأن باقى جدران المسجد الداخلية مرشوشة بدهان ردئ ذو لون أحمر وأبيض ويجب إزالته.

وقد قرر لإصلاح ذلك كله مبلغا قدره (–ر٥٠٠)جنيها خص الأوقاف منها مبلغا قدره ((–ر١٣٨)جنيها وخص اللجنة مبلغا قدره (–ر٣٦٢)جنيها (٢٨٨)حيث ورد فى الصفحة الأخيرة بيانا بهذه الترميمات جاء فيه :

جملة		على الأوقاف		على اللجنة		بيان الأشغال
مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	
٧١	١٤١	٢٩٠	١٠٧	٧٨١	٣٣	تنظيف وهدم وبناء وتجديد أسفل الواجهة والكتاب.
٦٣٣	٢٠٢	–	–	٦٣٣	٢٠٢	رخام ألواح وترابيع فى الداخل.
٩٤٥	٥٧	١٢٠	٦	٨٢٥	٥١	نجارة وأسقف عادية وتجديد بلاكون الكتاب وأبواب المسجد من الداخل.
٤٠٠	٢٣	–	–	٤٠٠	٢٣	تجديد الشبابيك الجبس والزجاج الملون وتقوية أجزاء السقف المذهب.
٩٥١	٧٤	٥٩٠	٢٤	٦١	٥٠	أعمال غير منظورة وملاحظة.
٠٠	٥٠٠	٠٠	١٣٨	٠٠	٣٦٢	الجملة = –ر٥٠٠

وقد زاد هذا المبلغ فى ختامى الأعمال المشار إليه بمبلغ آخر قدره (–ر٦٧) جنيها وبذلك يكون جملة المنصرف على هذه الترميمات هو مبلغ (–ر٥٦٧) جنيها(٢٨٩)

وفى سنة (١٨٩٥م) قرر لإصلاحات هذه الخانقاة مبلغا قدره (–ر٦٧٠) جنيها خص الأوقاف منها مبلغا قدره (–ر٣٠٠) جنيها وخص اللجنة مبلغا قدره (–ر٣٧٠) جنيها، (٢٩٠) ويغلب على الظن أن هذه الإصلاحات كانت مرتبطة بالإصلاحات السابقة، التى خصص لها مبلغ الخمسمائة جنيه مما يعنى أن اصلاحات الأثر فى هذه السنة كانت قد تكلفت مبلغا قدره (–ر١١٧٠) جنيها.

وفى سنة (١٨٩٦م) ورد أن مسجد جوهر اللالا كان قد خصص لترميم سقف صحنه وترميم دهانه وترميم مبانيه ورخامه مبلغا قدره (–ر٣٣٥) جنيها خص الأوقاف منها مبلغا قدره (–ر٢٠٥) وخص اللجنة مبلغا قدره (–ر١٣٠) جنيها، إلا أن هذا المبلغ لم يغط كل الإصلاحات المطلوبة وبقى بياض الجدران المستحدث انشاؤها بالكتاب لإعادته إلى ما كان عليه، وقرر أن تكاليف هذا البياض تبلغ (–ر٢٠) جنيها فوافق القومسيون على تغطيتها من المقرر للأعمال الصغيرة فى ميزانية هذا العام، (٢٩٢) وبذلك يصبح جملة ما صرف على إصلاحات الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (–ر٣٥٥) جنيها ويغلب على الظن أنها كانت أعمالا تنحصر فى إكمال إصلاح الوزرة الرخام والأسقف والدواليب والأبواب وشخشيخة الصحن، (٢٩٣) حيث ورد أن هذه التكميلات بتفصيلها المشار إليه كانت لازمة للخانقاة لإعادتها إلى الوضع الذى كانت عليه أصلا.

وفى سنة (١٨٩٨م) ورد أن عملية إصلاح سقف صحن مسجد جوهر اللالا لازالت فى حاجة إلى مبلغ قدره (–ر١٥٠) جنيها تحملتها الأوقاف دون اللجنة. (٢٩٤)

وفى سنة (١٨٩٩م) ورد أن اللجنة صرفت على إصلاحات (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغا قدره (٣٢ر٣٧١) جنيها، وفى نفس السنة أيضا ورد أنه خصص لجامع جوهر اللالا مبلغا آخر قدره (–ر١٨٠) جنيها تحملت الأوقاف منها مبلغا قدره (–ر١٠) جنيهات وتحملت اللجنة مبلغا قدره (–ر١٧٠) جنيها (ولم يرد تفصيل لأوجه الصرف التى خصص لها هذا المبلغ). (٢٩٦)

وفى سنة (١٩٠١) ورد بيان عن المصروفات التى خصت مسجد جوهر اللالا بدرب اللبانة (دون تحديد) ومنها يتضح أنه صرف على هذا المسجد فى تلك السنة مبلغا قدره (٩١٢ر٢٨٧) جنيها خص الأوقاف منها مبلغا قدره (٨٤٦ر١٤٧) جنيها وخص اللجنة مبلغا قدره

(١٤٠ر٦٦) جنيها.[٢٩٧]

ومن هذا يتضح أن أعمال الترميم والإصلاح التى قامت بها لجنة حفظ الآثار العربية فى هذه الخانقاة منذ سنة (١٨٩٢م) وحتى سنة (١٩٠١م) كانت قد انحصرت –كما جاء فى أحد محاضر اللجنة عن هذه السنة الاخيرة – فى ترميم الواجهة، تجديد السبيل والكتاب، تنظيف الجدران الداخلية، ترميم رخام الصحن والوزرة، إصلاح النجارة تصغير دكة المبلغ، تغطية الصحن بشكل يوافق رسم المسجد على غرار طراز سقوف جوامع دولة المماليك البرجية وبألوانها.[٢٩٨]

وفى سنة (١٩٠٨م) ورد ان إصلاح رخام الخانقاة وحفظ سطوحها كان قد تكلف مبلغا قدره (٣٥ر٢٣٥) جنيها.[٢٩٩]

وعلى ذلك فإنه يمكن القول أن جملة إصلاحات لجنة حفظ الآثار العربية بهذه الخانقاة التى أجرتها منذ سنة (١٨٩٢م) حتى سنة (١٩٠٩م) كانت قد بلغت مبلغا قدره (٢٦١٦ر١٧٩) جنيها.

وفى مشروع هيئة الآثار الخاص بترميم المجموعة المعمارية الكائنة بميدان القلعة والذى تم تنفيذه سنة (١٩٨٥م) نالت هذه المدرسة الخانقاة رعاية ترميمية جديدة من الناحيتين المعمارية والزخرفية، حيث اشتملت أعمال الترميم المعمارى على مبانى حجارى وطبانات ومقرنصات، وكذلك على أعمال صلب وهدم معتاد وبلاط حجارى ومعصرانى، وطبقات عازلة، ومبانى بالطوب الأحمر، وبياض تخشين وظهاره، وخرسانات عادية،كذلك فقد اشتملت على ترميمات رخام وأعمال جصية كانت بحالة سيئة لتهدم بعض أجزائها ووجود شروخ طولية وهبوط أسفل الناصية.

أما أعمال الترميم الدقيق فقد شملت زخارف دركاة المدخل حيث أكمل الفاقد منها وقويت ألوانها، وزخارف الصحن حيث تم تكميلها وتقويتها بعد تنظيفها، زخارف الشخشيخة حيث تم ترميمها وتقويتها، وزخارف الإيونات حيث تم إكمال الناقص منها وتقوية الباقى بعد التنظيف بما فى ذلك الكتابات، وقد تمكنت الهيئة بهذه الأعمال من إعادة المدرسة الخانقاة إلى سابق رونقها وبهائها باستثناء بعض الأخطاء الصغيرة ولاسيما الألوان الفاقعة وتغيير بعض معالم رقبة القبة من الخارج.

٥ – الخانقاة الأشرفية برسباى بالقرافة

(٨٣٥هـ – ١٤٣١م)

اثر رقم ١٢١

مما لا شك فيه أن الخانقاة الأشرفية التى أنشأها الأشرف برسباى بالقرافة الشرقية هى ثانية الخانقاوات المملوكية الهامة فى تلك المنطقة بعد الناصرية فرج. ومن ثم فقد تناولها كثير من الكتاب بالذكر وتركوا لنا كثيرا من المعلومات الهامة عنها، ومن هذه المعلومات التى أمكن الوقوف عليها فان حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على سبع نقاط رئيسية هى :

١– تاريخ الخانقاة ومكتبتها.

٢– وثيقة الخانقاة.

٣– أوقاف الخانقاة.

٤– منشئ الخانقاة.

٥– موظفو الخانقاة.

٦– وصف الخانقاة.

٧– ترميمات الخانقاة.

١– تاريخ الخانقاة ومكتبتها :

كان الأشرف برسباى مملوكا للسلطان الظاهر برقوق ثم تولى السلطنة سنة (٨٢٥هـ/١٤٢٢م) إلى ان توفى سنة (٨٤١هـ/١٤٣٨م) وفيما بين التاريخين أنشأ مجموعته المعمارية التى بين ايدينا فى شهر ذى الحجة سنة (٨٣٥هـ/١٤٣١م)، (٣٠٠) وكانت هذه المجموعة الواقعة على الطريق المؤدى من خانقاة برقوق إلى مدفن السلطان قايتباى تشتمل على خانقاة للصوفية ومصلى لإقامة شعائر الصلاة، ثم حوش كبير للدفن وثلاث قباب أولاها لصاحب المنشأة وثانيتها لأخيه الأمير يشبك وثالثتها لبعض الأقارب والعلماء.

والواقع أن هذه المجموعة المعمارية الهامة قد تخربت ولم يبق منها إلا الواجهة والمصلى وقبة المنشئ والحوش الشرقى، وقد ثبتت على هذه الواجهة ألواح رخامية تاريخها (٨٣٤هـ/١٤٣١م) نقش عليها بيان الأوقاف التى أوقفت على الترب واوجه الصرف الواجبة فيها، ويغلب على الظن أن كتابة الوقفية نقشا على المنشأة بهذه الصورة كان يهدف لمنع عبث العابثين بأوقاف الخانقاة.(٣٠١)

أما عن مكتبة هذه الخانقاة فقد وردت الإشارة إليها بالضؤ اللامع حين قال السخاوى فى معرض حديثه عن ترجمة على بن احمد بن اسماعيل بن القطب القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى الذى ولد بالقاهرة فى ذى الحجة سنة (٧٨٨هـ) أن الدوادار الكبير تغرى بردى المؤذى كان قد استقر به فى مشيخة مدرسته بالصليبة «وبعنايته استقر فى وظيفة خزانة الكتاب بالأشرفية برسباى عقب الشمس بن الجندى».(٣٠٢)

ويغلب على الظن أن هذه الخزانة –رغم أن السخاوى لم يحدد فى أشرفية كانت– كانت بالأشرفية برسباى بالحريريين، يؤيد ذلك ما أوردته بعض المراجع العربية من أنه كان بهذه المدرسة مكتبة زاخرة بالكتب القيمة فى مختلف العلوم الدينية وغير الدينية من تفسير وفقه وحديث ولغة وادب وتاريخ، إلى جانب المصاحف والربعات الشريفة.(٣٠٣)

٢– وثيقة الخانقاة:

يحتفظ أرشيف وزارة الأوقاف بوثيقة وقف السلطان الأشرف برسباى الخاصة بهذه الخانقاة،(٣٠٤) وتتحدث هذه الوثيقة فى وصف معمارى مفصل عن مسجد الأشرف برسباى برأس الحريرين بالقاهرة، وعن مدرسة الأشرف برسباى وتربته وقبابه خارج باب النصر بالصحراء (وهى المدرسة موضوع الحديث)، ويعنينا فى ذلك بصفة خاصة ما جاء بهذه الوثيقة عن الخانقاة وصوفيتها وموظفيها، حيث ورد فيما يتعلق بالجامع الكائن برأس الحريرين بالقاهرة أن يكون له شيخ للصوفية حنفى المذهب موصوفا بالدماثة عالما بالأصلين قادرا على الدرس، ومدرسا حنبليا ومدرسا مالكيا، ومدرسا شافعيا، لكل منهم طاقة على إشغال الطلبة بالعلم الشريف وتدريسهم، وأن يكون فيه من الصوفية خمسة وستون رجلا من ذوى المذاهب الأربعة موصوفين بالخير والدين والفقه، وأن يكون فيه كذلك خادم لشيخ الصوفية يجتمع مع مباشرته كلما اجتمعوا لمصلحة الوقف ومستحقيه، وخادم للسجادات، وخادم للربعات الشريفة وكاتب للغيبة، وخمسة عشرة رجلا لقراءة الشباك، وأربعة رجال لقراءة المصاحف، وقارئ لصحيح البخارى، وخازن للكتب، ومكتب،

وزمام للقبة، ومشرف، وثلاثين يتيما بالكتاب، ومؤدب، ومزملاتى، وشاهدى وقف، وخمسة فراشين، ووقادين، وبواب وسواق للساقية، وكناس أمام الجامع، وجاب، وناظر وقف، وفى كل حالة من حالات هؤلاء الموظفين تتكلم الوثيقة عن الشروط الواجب توافرها فى كل منهم وعن رواتبهم وجامكياتهم إلى غير ذلك مما رأى الواقف اشتراطه عليهم.

وفيما يتعلق بخانقاة الصحراء أن يكون لها شيخا اشترط فيه ان يكون من أهل الدين والخير والأمانة حنفى المذهب يصرف له فى كل شهر خمسة وسبعون درهما نصفها سبعة وثلاثون درهما ونصف درهم وزنا بصنج الفضة، وأربعة طلاب حنفية معه من المشتغلين بالعلم الشريف المشهورين بالخير والدين يصرف لكل منهم فى كل شهر عشرين درهما وثلاثة أرطال من الخبز البر القرصية وأن يكون لها إمام اشترط فيه ان يكون من أهل الخير والدين ومن حفاظ كتاب الله يصرف له خمسة وثلاثون درهما وزنا بصنج الفضة على أن يؤم المسلمين بالمسجد المذكور ويجلس مع الصوفية، وأن يكون لها قارئ بالمصحف الشريف يؤم كل جمعة يصرف له خمسون درهما نصفها خمسة وعشرون درهما زيادة على ما هم له، وأن ينزل فيها سبعة عشر صوفيا يصرف لكل منهم من الدراهم الموصوفة عشرون درهما، بالإضافة إلى مزملاتى بالصهريجين الملحقين بالخانقاة يصرف له خمسة وثلاثون درهما واربعة مؤذنين فراشون يصرف لهم ألف ومائتى درهم، وبواب يجمع بين ترقية الخطيب المنبر فى كل جمعة وتفريق الربعات الشريفة والبوابة يصرف له خمسون درهما وثلاثة أرطال من خبز القرصة، شيخ للزاوية والقبة يصرف له مائة وخمسة وتسعون درهما، ومباشر للأوقاف يصرف له فى كل يوم ثلاثة ارطال من خبز القرصة (ولم يحدد كتاب الوقف له راتبا).

واشترط الواقف فى كل ذلك ألا يجمع أحد من الصوفية أو شيخهم بين وظيفة الجامع الأشرفى الذى برأس الحريرين وبين التربة والمدرسة والقبة بالصحراء لا سكنا ولا وظيفة، وأن يكون موظفى هذه المنشآت من المقيمين القاطنين بالبيوت المعينة لهم، ومن سافر لحجة الفرض أجرى عليه معلومه إلى عوده، وإن كان حجه تطوعا وفر معلومه لجهة الوقف بعد ستة أشهر حتى يرجع، ومن سافر لزيارة أهله أو صلة رحم يفسح له لثلاثة أشهر لا غير ويوفر معلومه لجهة الوقف إلى حين عوده ومن غاب عن وظيفته شهرا بغير عذر استبدل الناظر فى وظيفته من هو أهل لها، ومنها ألا يتواجد أحد به عاهة من جذام أو برص فى الوظائف المذكورة، فإن حدث لأحد شئ من ذلك أجرى عليه معلومه حتى يبرأ أو يتوفى، ومن توفى من أرباب هذه الوظائف وله ولد يصلح لوظيفة والده أنزله الناظر مكانه وأجرى عليه المعلوم المقرر لها، فإن لم يكن أهلا لهذه الوظيفة ولكن يرجى

صلاحه استنيب عنه فى الوظيفة إلى حين صلاحه، ومنها أن الناظر على الأوقاف المذكورة لابد وأن يتحدث عنها بنفسه من غير أن يقيم نائبا عنه.

٣– أوقاف الخانقاة :

مما لا شك فيه أننا لم نقف على أوقاف منشئ سبق بمثل أوقاف هذا المنشئ وربما كان ذلك لأن الحجة قد فصلت فى ذلك كثيرا، كما فصل فيه كل من ابن الجيعان فى التحفة السنية وعلى باشا مبارك فى الخطط التوفيقية،(٣٠٥) وصفوة ما فى ذلك إجمالا أن هذه الأوقاف كانت قد شملت الكثير من العقارات برأس الحريرين والصنادقيين وخط باب الزهومة وتجاه المدرسة الصالحية بالقاهرة بالإضافة إلى الكثير من الأراضى الزراعية بنواحى الجيزية والقليوبية والسيوطية والفيومية والقوصية والغربية والمنوفية والشرقية والدقهلية والبحيرة وغيرها من الأراضى المصرية، علاوة على ما كان له من أوقاف بكل من دمشق وحلب، وقد وقفنا على تفاصيل بعض مساحات ومدخول هذه النواحى، ولم نقف على بعضها الآخر، وينحصر ما وقفنا عليه منها طبقا لما جاء فى التحفة السنية فيما يلى مذكورا بترتيب نص الوثيقة وليس بترتيب الأقاليم:

١ – أبو رجوان :

من الأعمال الجيزية ومساحته (٨٢٠) فدانا، كان باسم الديوان السلطانى ثم صار فى القرن (٨هـ/١٤م) ضمن الأوقاف الأشرفية برسباى وقد نصت الوثيقة على أن للمنشئ منها حصة شائعة لم تحدد.(٣٠٦)

٢ – الخيزرانية :

من الأعمال الجيزية ايضا، مساحتها (٦٥٤) فدانا وعبرتها (٢٠٠) دينار وكانت للمقطعين وأوقاف ورزق ثم صارت من الأوقاف الأشرفية برسباى، وقد نصت الوثيقة أيضا على أن للمنشئ منها حصة شائعة لم تحدد.(٣٠٧)

٣ – منية عباد :

من الأعمال الغربية، مساحتها (٥١٠) فدانا وعبرتها (٤٨٠٠) دينار، كانت للمقطعين ثم أصبحت وقفا على التربة الأشرفية (برسباى) والتربة السيفية جانى بك ولذلك نصت الوثيقة على أن ما خص وقف الأشرف برسباى منها هو حصة شائعة غير محددة.(٣٠٨)

٤ – نوي وكفورها :

من الأعمال القليوبية، مساحتها (١٥٢٥) فدانا وعبرتها (١٠ر٠٠٠) دينار كانت فى الأملاك الشريفة ثم صارت أملاك وأوقاف ويقصد بهذه الأوقاف طبقا لما أشارت إليه الوثيقة أنها آلت للأشرف برسباى ومن شركه.(٣٠٩)

٥ – ادرنكة وريفة :

من الأعمال السيوطية، مساحتهما (٩٨١٣)فدانا وعبرتهما (٢٨ر٠٠٠) دينار كانتا باسم المقطعين ثم صارتا أملاك وأوقاف ورزق، ويقصد بهذه الأوقاف طبقا لما أشارت إليه الوثيقةأنه كان به حصة شائعة باسم الأشرف برسباى.(٣١٠)

٦ – منية الأمراء :

وهي منية السيرج من الأعمال الغربية لم تعني لها مساحة، كانت عبرتها (١١٨٥٠) دينار ثم صارت (١٠٣٠٠) دينار، وكانت باسم أمير حاج بن الأشرف شعبان، ثم صارت أملاك وأوقاف ورزق، وهو ما يؤيد ما ذكرته الوثيقة من أنه كان بها للأشرف برسباي حصة شائعة .(٣١١)

٧ – منية خيار :

من الأعمال الغربية مساحتها (١٢٣٨) فدانا عبرتها (٤٠٠٠) دينار، كانت باسم خليل بن قرطاى ثم صارت وقفا للأشرف برسباى، وهو ما يتفق مع ما نصت عليه الحجة من أن جميع أراضيها كانت وقفا للأشرف برسباى على منشآته التى بين أيدينا.(٣١٢)

٨ – شرشابة :

من الأعمال الغربية، مساحتها (١٢٣٨) فدانا وعبرتها (٤٠٠٠) دينار، كانت باسم خليل بن قرطاي ثم صارت وقفا للأشرف برسباي وهو ما يتفق مع ما نصت عليه الحجة من أن جميع أراضيها كانت وقفا للأشرف برسباي علي منشآته التي بين أيدينا. (٣١٣)

٩ – الحمراء الغربية :

من الأعمال الغربية وكانت حمراوان مساحتهما (٥٧٨)فدانا وعبرتهما (٦٠٠) دينار،

كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأشرف برسباى، وقد نصت الوثيقة على أن منها للخانقاة جميع الفائض المنسوب لها.(٣١٤)

١٠ – منية أشنة :

من الأعمال الشرقية وقد وردت فى الحجة منية أشنية كانت مساحتها (٩١٢)فدانا وعبرتها (٥٥٠٠)دينار ثم أصبحت عبرتها (٢٥٤٠)دينار، كانت للمقطعين ثم صارت لهم وأملاك وأوقاف وهو يعنى ما كان منها للأشرف برسباى وغيره، وقد نصت الوثيقة على أنه كان له منها جميع الحصة التى مبلغها سهم ونصف وربع.(٣١٥)

١١ – منية فرموط :

من الأعمال الدقهلية مساحتها (٣٢١)فدانا وعبرتها (١٢٠٠)دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا خص الأشرف برسباى منها طبقا لما أشارت إليه الوثيقة حصة مقدارها اثنى عشر سهما.(٣١٦)

١٢ – فرجوط :

من الأعمال القوصية، مساحتها (٢٣٠٠٠)فدانا وعبرتها (١٩٫٧٠٠)دينارا نقصت إلى (١٥٫٠٠٠)دينار كانت باسم ولد المقام الشريف ثم صارت باسم الأمير يشبك الأشرفى الدوادار ومن معه، ويقصد بذلك الأشرف برسباى الذى كان قد اختص منها باثنى عشر سهم طبقا لما ذكرته وثيقته.(٣١٧)

١٣ – طما :

من الأعمال الفيومية مساحتها (٧٦١)فدانا وعبرتها (٢٠٠٠)دينار، كانت باسم متولى المنوفية ثم صارت وقفا للأشرف برسباى، ومعنى ذلك –كما يقول ابن الجيعان أنها صارت كلها وقفا للأشرف برسباى وفى هذا تعارض مع ما ورد فى الحجة التى تثبت أن له فيها ستة أسهم فقط.(٣١٨)

١٤ – دلنس :

من الأعمال الأشمونية مساحتها (١٣٢٠)فدانا وعبرتها (٣٤٠٠)دينار، كانت باسم محمد بن إينال الدوادارى ثم صارت وقفا على الأشرفية (برسباى).[٣١٩]

١٥ – سلاهية ومنيل أبو شعرة :

من الأعمال الغربية، مساحتها (١٩٠٩)فدانا وعبرتها (٣٢٠٠)دينارا نقصت إلى (٢١٣٣)دينارا، كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأشرف برسباى ومن معه.[٣٢٠]

١٦ – المهمس وهو البهمس :

من الأعمال الفيومية مساحته (٨٥٤)فدانا وعبرته (٢٠٠٠)دينار، كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأشرف برسباى.[٣٢١]

١٧ – هنتفة :

من الأعمال البهنساوية مساحتها (١٤٤٥)فدانا وعبرتها (٤٢٠٠)دينارا نقصت بحد النصف (٢١٠٠–دينار) كانت باسم المقطعين ثم صارت وقفا للأشرف برسباى.[٣٢٢]

١٨ – سنديون :

من الأعمال القليوبية، مساحتها (٢٩٠٠) فدانا وعبرتها كانت (١٨٫٠٠٠)دينار ثم صارت فى القرن (٨هـ/١٤م) (١٢٫٠٠٠)دينار، كانت باسم المماليك والحلقة ثم آلت إلى وقف الأشرف برسباى، وقد جاء ذكرها فيما أشار إليه ابن الجيعان خارجا عن الحصر المشار إليه بالوثيقة.[٣٢٣]

وعلى ذلك فانه يمكن القول أن جملة أوقاف الأشرف برسباى فى كل ما سبق ذكره كانت تنحصر فى ثمانية وعشرين ألف وأربعمائة وستة وستين فدانا كانت عبرتها ثلاثة وتسعون ألفا وتسعمائة وتسعون دينارا سنويا بيانها كان كما يلى :

مسلسل	ناحيــــة	مساحة بالفـدان	عبرة (مدخول) بالدينار	مصـــــدر
١	أبـو رجوان	٨٢٠	لم يحدد	الوثيقة والتحفة السنية
٢	الخيزرانية	٦٥٤	٢٠٠٠	» »
٣	منية عبـاد	٥١٠	٤٨٠٠	» »
٤	نوى وكفورها	١٥٢٥	١٠٬٠٠٠	» »
٥	ادرنكة وريفة	٩٨١٣	٢٨٬٠٠٠	» »
٦	منيـة الأمراء	لم تحدد	١١٬٨٥٠	» »
٧	منية خيـار	٦٠٦	لم يحدد	» »
٨	شـــرشـابة	١٢٣٨	٤٠٠٠	» »
٩	الحمراء الغربية	٥٧٨	٦٠٠	» »
١٠	منيــة أشـنة	٩١٢	٢٥٤٠	» »
١١	منيـة قـرموط	٣٢١	١٢٠٠	» »
١٢	فرجــــوط	٢٣٠٠	١٥٬٠٠٠	» »
١٣	طـــــما	٧٦١	٢٠٠٠	» »
١٤	دلـــــس	١٣٢٠	٣٤٠٠	» »
١٥	سملاهية ومنيل أبوشعرة	١٩٠٩	٣٢٠٠	» »
١٦	المهمس أو البهمس	٨٥٤	٢٠٠٠	» »
١٧	هـنتفة	١٤٤٥	٤٢٠٠	» »
١٨	سنــديـون	٢٩٠٠	١٢٬٠٠٠	التحفة السنية
	المجمـــــــوع	٢٨٬٤٦٦	٩٣٬٩٩٠	

ورغم أن هذه الأوقاف لم تكن كلها للأشرف برسباى فيما أوقفه على مجموعته المعمارية التى بين أيدينا، إلا أنه يبين لنا بوضوح مدى ما كانت تتمتع به هذه المنشأة من ريع زاخر ضمن لموظفيها وسدنتها عيشة طيبة ومدخولات وافرة.

منشىء الخانقاة :

منشىء هذه الخانقاة هو الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى الظاهرى، وهو الثانى والثلاثون من ملوك الترك بمصر والثانى من ملوك الجراكسة، جلبه فى الأصل بعض التجار إلى حلب فاشتراه الأمير دقماق المحمدى الذى كان كما ذكر كل من ابن تغرى بردى وابن إياس نائب ملطية،(٣٢٤) وكما ذكر السخاوى نائب حماة،(٣٢٥) وكما ذكر ابن العماد نائب فلسطين،(٣٢٦) ثم قدمه دقماق المحمدى إلى أستاذه الظاهر برقوق فأنزله بطبقة الزمامية (وهى إحدى مماليك الطباق) ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية ثم استقر خاصكيا بقية أيام الظاهر برقوق.

فلما تولى الناصر فرج بن الظاهر برقوق جعله ساقيا إلى أن حدثت الفتنة بين الناصر وبين الأميرين شيخ ونوروز فالتف برسباى معهما ضد الناصر إلى أن قتل وتسلطن المؤيد، فجعله أمير عشرة فأمير طلبخاناه فمقدم ألف، ثم ولاه نيابة طرابلس حتى تغير خاطره عليه وسجنه بحصن المرقب، ثم عاد وأطلقه وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فظل على مقدمة الألف إلى أن مات المؤيد وتولى ابنه احمد فجعله دوادارا كبيرا عوضا عن باى المؤيدى، فلما تولى الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر قطز وجرت الفتنة بينه وبين أمرائه حتى أنه نفى جماعة كبيرة منهم لاحت الفرصة لبرسباى فخلع الصالح وتسلطن عوضه فى يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وكان يومها نظام الملك لدولة الملك الصالح ولم يكن أتابك العسكر،(٣٢٧) وفى ذلك يقول ابن ظهيرة أنه لقب بالأشرف وكنى بابى السعادات وتولاها مخطوبا إليها من أعيان الدولة وغيرهم.(٣٢٨)

وحضر الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داوود والقضاة وجميع الأمراء مبايعته بالسلطنة ولبس الخلعة الخليفية السوداء وركب من طبقة الأشرفية بقلعة الجبل والأمراء مشاة بين يديه إلى أن نزل

عند باب القصر ودخل وجلس على تخت الملك ونودى باسمه وسلطنته بمصر والقاهرة من غير أن يأمر للمماليك السلطانية بنفقه كما هى عادة الملوك، وفى ذلك يقول ابن تغرى بردى «وكان هذا من أوائل سعدنا له فاننا لم نعلم أحدا من الملوك التركية تسلطن ولم ينفق إلا برسباى»، (٣٢٩) كذلك فقد ورد أنه منع الأمراء من تقبيل الأرض عند القدوم عليه، (٣٣٠) وإن صح ذلك يكون واحدا ممن أبطلوا واحدة من أسوأ عادات الإنسان فى الأرض.

ويبدو أنه ساس الملك بحكمة وكفاءة حيث أذعن له كما يقول السخاوى –كل الأمراء والنواب – وفتحت فى أيامه بلاد كثيرة من غير قتلى كان من بينها قبرص، وقد أسر ملكها فى رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة وأحضره إلى مصر أسيرا وعلق خوذته على باب مدرسته الأشرفية. (٣٣١)

واستمر به الحال كذلك إلى أن مرض فعهد بالسلطنة فى رابع ذى القعدة سنة إحدى وإربعين وثمانمائة لابنه يوسف ولقب بالعزيز وجعل أتابكيه جقمق نظام مملكته، وظل متوعكا إلى أن مات فى عصر يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة من السنة المشار إليها (٣٣٢) ودفن بتربته التى أنشأها بهذه الخانقاة، بعد سلطنة استمرت ستة عشر عاما ونصف ومن حسناته –كما يقول القاضى مجير الدين الحنبلى– المصحف الشريف الذى وضعه بالمسجد الأقصى تجاه المحراب بإزاء دكة المؤذنين ووقف عليه جهة للخادم والقارئ، وشرط النظر فيه لمن يكون شيخا للمدرسة الصلاحية بالقدس وقرر فى القراءة فيه الشيخ محمد بن قطلوبغا الرملى المقرئ. (٣٣٣)

وفى أيامه أمر كاتب ديوان جيشه فى شعبان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة بإحصاء قرى مصر كلها فى الوجهين القبلى والبحرى فأحصيت فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية، وهنا يعلق ابن ظهيرة على ذلك بقوله «قلت وقد نقصت بعد ذلك بخراب ما خرب منها من الظلم وخراب الأرض». (٣٣٤)

وفى أيامه حفر خليج الاسكندرية سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٣م) بعد أن كان –كما يقول ابن إياس – مطموما، (٣٣٥) وقد بنى كثيرا من الآثار بمصر أهمها الخانقاة والتربة بالصحراء والمسجد بخانقاة سرياقوس والمدرسة الأشرفية بشارع المعز لدين الله بحى الجمالية، وكلها منشآت على

جانب عظيم من الأهمية المعمارية والزخرفية.

وكانت له علاقة مع الفرنجة، فقد ورد أنه استقبل فى أوائل الشهر الثانى لسلطنته سفير البندقية ووافق بهذه السفارة على إقرار الامتيازات التجارية التى كانت لتجار البندقية على عهد المؤيد سنة (١٤١٥)،(٣٣٦) ومع ذلك فقد كانت له مع هؤلاء الفرنجة مواقف عديدة اتسمت بالجدية والصرامة عندما أغار القبارصة على ميناء الاسكندرية فى شعبان سنة (٨٢٥هـ/اغسطس ١٤٢٢م) وأسروا كثيرا من الأهالى فأسر هو حجاج الفرنجة ورهبانهم بما فى ذلك قنصل جنوة والبندقية بالقدس وأغلق كنيسة القيامة، ولم يقبل فى ذلك شفاعة سفير فلورنسة، ولم تحل المشكلة إلا بعد أن عادت الأمور إلى نصابها وأفرج القبارصة عمن كانوا قد وقعوا فى أسرهم.

٥ – موظفو الخانقاة :

لقد حفظت لنا المصادر الغربية التى صنفها كل من السخاوى وابن اياس والغزى وابن العماد والكنوى وابن ظهيرة تراجم كثير من موظفى هذه الخانقاة، ولا عجب فى ذلك بعد أن عرفنا أنها كانت واحدة من أغنى خانقاوات القاهرة، وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء فإنه يمكن تقسيمهم إلى قسمين رئيسين هما :

أولا : أصحاب الواظائف الدينية وهم :

١ – شيوخ الخانقاة.

٢ – خطباء الخانقاة وأئمتها.

٣ – مدرسو المذاهب (الشافعية – المالكية – الحنفية – الحنابلة).

٤ – مدرسو الحديث.

٥ – مدرسو الفقه.

٦ – الصوفية.

ثانيا : أصحاب الوظائف الإدارية والخدمية وهم :

١- المتكلم والمتولى.

٢- الجابى.

٣- خازن الكتب.

٤- البواب.

٥- الخادم.

وفيما يلى عرض لما أمكن الوقوف عليه من تراجم أصحاب الوظائف الدينية بالخانقاة :

١ – شيوخ الخانقاة :

ترك لنا كل من السخاوى وابن إياس وابن العماد بعض تراجم من تولوا مشيخة هذه الخانقاة اعتبارا من القرن (٩هـ/١٥م) حتى القرن (١١هـ/١٧م)، فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما هى ترجمة ابراهيم بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن المجد الكركى الذى ولد بالقاهرة فى تاسع رمضان سنة (٨٣٥هـ) من أم جركسية كانت مولاة ليشبك الأتابكى، فحفظ واشتغل حتى أذن له فولى تدريس ام السلطان والمحمودية والأبوبكرية والإينالية والفقه بالأشرفية العتيقة، ولما مات الأقصرائى استقر عوضه فى مشيخة الأشرفية برسباى.(٢٣٧)

وثانيتهما هى ترجمة إبراهيم بن موسى بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى نزيل المؤيدية من القاهرة، أخذ فى دمشق عن جماعة منهم الشرف بن عيد وقدم معه القاهرة حين طلب لقضائها فلازم الصلاح الطرابلسى ورغب له عن تصوفه بالمؤيدية لما أعطى مشيخة الأشرفية، وهو فاضل دين كان ممن حضروا سنة (٨٩٤هـ) بين يدى السلطان بالقبة الدوادارية ولما علم بحاله وفضله أنعم عليه وقرره فى الجوالى المصرية.(٢٣٨)

كذلك فقد ترك لنا ابن إياس ترجمتين من تراجم شيوخ هذه الخانقاة حين أشار أولا إلى أنه خلع فى ربيع الآخر سنة (٨٢٩هـ) على الشيخ كمال الدين بن الهمام الحنفى وقرر فى مشيخة المدرسة الأشرفية عوضا عن علاء الدين الرومى بحكم انفصاله عنها،(٢٣٩) وحين أورد ثانيا أنه فى شعبان سنة (٨٣٣)عزل الشيخ كمال الدين بن الهمام نفسه عن مشيخة المدرسة الاشرفية فقرر

لها السلطان الشيخ أمين الدين الأقصراوى عوضا عنه.(٣٤٠)

أما الشيخ نجم الدين الغزى فقد ترك لنا فى الكواكب السائرة ترجمة لواحدة من هؤلاء هو محمد التركمانى الحلبى الحنفى إمام السلطان الغورى وقال عنه ورد القاهرة غريبا فقيرا فانضم إلى الشيخ برهان الدين الطرابلسى شيخ القجماسية، ثم لازال يترقى حتى ولى مشيخة الأشرفية برسباى وغير ذلك، كان حسن الصورة معتدلا عارفا باللغة التركية، توفى فى ربيع الأول سنة (٩٢٢هـ).(٣٤١)

كذلك فعل ابن العماد فى الشذرات حيث ترك لنا ترجمة شيخ من شيوخ الصوفية بهذه الخانقاة هو «علاء الدين على بن مصلح الدين موسى بن ابراهيم الرومى الحنفى شيخ مشيخة الصوفية بمدرسة الأشرف برسباى وتدريسها».(٣٤٢)

ومن ذلك يتضح أن خمسا من شيوخ هذه الخانقاة السبع كانوا حنفى المذهب وهو أمر يوضح لنا أنها كانت قد أنشئت فى غالب الظن للصوفية الحنفية خاصة وأن الشيخين المترجم لهما بالزيادة عن هؤلاء الخمسة الحنفية لم يحدد لهما صاحب الترجمة مذهبا وربما كانا هما الآخرين من شيوخ الحنفية أيضا.

٢ - خطباء الخانقاة وأئمتها :

وقفنا من هؤلاء على تراجم أربعة خطباء ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ/١٦م) واشترك معه ابن العماد فى القرن (١١هـ/١٧م) فى واحد منهم، وأول هؤلاء ابراهيم بن محمود بن أبى بكر الحموى الأصل القاهرى الشافعى الواعظ، ولد فى ذى القعدة سنة (٨٢٥هـ) بحماه فحفظ القرآن والمنهاج، ثم تحول صحبة أبيه إلى القاهرة فى أول أيام الظاهر جقمق فسمع من ابن حجر وقرأ على السيد النسابة فى الفقه وعلى الحناوى فى العربية حتى خطب بالأشرفية برسباى ومات فى ذى الحجة سنة (٨٧٧هـ).(٣٤٣)

وثانيهم حبيب بن يوسف بن عبد الرحمن الزين الرومى العجمى الحنفى، الذى قرأ واشتغل وسمع حتى اذن له «فأقام بالأشرفية برسباى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة».(٣٤٤)

وثالثهم عبد الرحيم بن أبى بكر بن أبى الفتح الحموى ثم القاهرى الشافعى الواعظ الذى عرف بالأدمى، ولد فى سنة (٧٦٢هـ) بحماة ونشأ بها وقرأ المنهاج وتلا بالسبع ثم تحول إلى القاهرة وولى خطابة الأشرفية برسباى من واقفها، مات فى غرة ذى القعدة سنة (٨٤٨هـ).(٣٤٥)

ورابعهم علاء الدين على بن طيبغا بن حاجى بك العلاء التركمانى العنتابى الحنفى كان فاضلا وقورا مهر فى الفنون حتى قرره الأشرف برسباى مدرسا وخطيبا بتربته التى أنشأها بالصحراء، مات فى طريق الحجاز ودفن بالقرب من ينبع سنة (٨٣٨).(٣٤٦)

ومن هذا يتضح أن خطباء هذه الخانقاة الأربعة كانوا ينقسمون بين خطيبين من الشافعية وخطيبين من الحنفية.

٣ – مدرسو المذاهب بالخانقاة:

حفظت لنا المصادر العربية تراجم كثير من مدرسى المذاهب بهذه الخانقاة ولاسيما الحنفية والمالكية والحنابلة، وقد أمكن الوقوف من هؤلاء على ترجمتين لمدرسين حنفيين ذكرهما الكنوى وابن العماد وترجمتين لمدرسين مالكيين ذكرهما السخاوى وثلاث تراجم لثلاث مدرسين حنابلة ذكرهم السخاوى أيضا.

فذكر الكنوى من مدرسى الحنفية عمر بن محمود بن عبد القادر والد ابن السراج، أخذ العلم عن أبيه شهاب الدين محمود وغيره، وكان عالما فاضلا جامعا للعلوم درس بالأشرفية وتولى القضاء بمصر.(٣٤٧)

وذكر ابن العماد من هؤلاء المدرسين الحنفية أيضا جلال الدين عبد الله الأردبيلى الحنفى، كان من بلاد العراق ثم قدم القاهرة وتولى قضاء العسكر ودرس بالمدرسة الأشرفية بالتبانة.(٣٤٨)

وذكر السخاوى من مدرسى المالكية أحمد بن عبادة بن على بن الزين الانصارى الخزرجى الزرزارى الأصل القاهرى المالكى، «باشر تدريس الأشرفية بعد موت والده، ومات سنة إحدى وثمانين (وثمانمائة) ظنا وقد زاد عن الستين»،(٣٤٩) وأبو عبادة بن على بن صالح بن عبد المنعم الأنصارى الخزرجى الزرزارى الأصل القاهرى المالكى، ولد فى جمادى الأولى سنة (٨٧٧هـ) ثم

انتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع إلى أن «أذن له فدرس للمالكية بالأشرفية برسباى من واقفها أول ما فتحت بعد أن كان الواقف رام الاقتصار على الحنفية فقط، مات فى شوال سنة (٨٤٦هـ)».(٣٥٠)

وذكر السخاوى أيضا من مدرسى الحنابلة بهذه الخانقاة أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى الحنبلى ولد فى ذى القعدة سنة (٨٠٠هـ) بالمدرسة الصالحية فدرس وحفظ حتى «باشر الفقه بالأشرفية برسباى بعد موت الزين الزركشى وولى قضاء الحنابلة بعد البدر البغدادى مع التداريس المضافة للقضاء».(٣٥١)

واحمد بن على بن محمد بن القطب الشيشينى الأصل القاهرى الميدانى الحنبلى، ولد فى شوال سنة (٨٤٤هـ) بميدان القمح خارج باب القنطرة، ونشأ فى كنف أبويه فحفظ القرآن وألفيه النحو وعرض على جماعة وأجازوه جميعا فبرع فى الفضائل وناب فى القضاء عن العز ثم عن البدر، «واستقر بعد العز فى تدريس الأشرفية برسباى».(٣٥٢)

وعبد الرحمن بن عبد الله بن الشمس المصرى الحنبلى عرف بالزركشى صنعة أبيه، ولد فى رجب سنة (٧٥٨هـ) بالقاهرة ونشأ بها وحفظ القرآن والعمدة «واستقر فى تدريس الحنابلة بالأشرفية برسباى أول ما فتحت من واقفها، كان إماما متواضعا جيد الذهن حسن الفضيلة، مات فى صفر سنة (٨٤٦هـ)».(٣٥٣)

٤ – مدرسو الحديث وقرائه بالخانقاة :

ذكر السخاوى اثنين من مدرسى الحديث بهذه الخانقاة وواحد من قرائه أولهم أحمد بن اسماعيل بن العماد النابلسى الحسبانى الأصل الدمشقى الشافعى، ولد فى أواخر سنة (٧٤٩هـ) واشتغل فى حياة والده وبعده فى الفقه وأصول الفرائض والعربية والحديث» وولى تدريس الحديث بالأشرفية وغيرها، مات فى ربيع الآخر سنة (٨١٥هـ) بمنزلة الصالحية ودفن بها».(٣٥٤)

وثانيهم حسين بن عبد الله نجم الدين السامرى الأصل كاتب سر بدمشق، وصفه السخاوى بأنه «كان عريا عن العلوم مع أنه ولى التدريس بدار الحديث الأشرفية ومات فى جمادى

الآخرة سنة (٨٣١هـ)»(٣٥٥).

أما قارئ الحديث الذى ذكره السخاوى أيضا فهو خضر بن محمد بن داود الحلبى ثم القاهرى الشافعى، ولد بحلب سنة (٧٨٥هـ) فحفظ واشتغل وأخذ حتى «استقر بعد والده فى قراءة الحديث بالأشرفية»(٣٥٦).

ومن هذا يتضح أن تدريس الحديث بالأشرفية برسباى كان طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم من تولوه شافعى المذهب.

٥ - مدرسو الفقه بالخانقاة :

أمكن الوقوف من هؤلاء على تراجم أربعة مدرسين ذكر السخاوى ثلاثة منهم أولهم مالكى هو ابراهيم بن محمد بن عمر المغربى الأصل القهوقى اللقانى ثم القاهرى الأزهرى المالكى، ولد فى أوائل سنة (٨١٧هـ) بالقهوقية من أعمال لقانة ونشأ بها فقرأ القرآن وتفقه إلى أن «ولى تدريس الفقه بالأشرفية برسباى ومات فى المحرم سنة (٨٩٦هـ) ودفن بتربة سعيد السعداء»(٣٥٧).

وثانيهم شافعى هو أحمد بن عثمان بن الصلاح المحيوى القاهرى الشافعى «ولى تدريس الفقه بالأشرفية ومات فى شعبان سنة (٨٦٣هـ)»(٣٥٨).

وثالثهم حنفى هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الله بن الطرخانى الدمشقى الحنفى نزيل القاهرة عرف كأبيه بابن عربشاه، ولد فى شوال سنة (٨١٣هـ) بحاج طرخان من دشت قبجاق، ثم تحول منها إلى توقات ثم إلى حلب ثم إلى الشام إلى أن قدم القاهرة»، ولم يلبث أن شغل تدريس الفقه بالصرغتمشية بإعطاء مدرسها الصلاح الطرابلسى الأشرفية برسباى فقرر فيه»(٣٥٩).

ورابع هؤلاء المدرسين كان شافعى المذهب أيضا ذكره ابن ظهيره وهو شيخه العلامة شمس الدين القاياتى قاضى القضاة الشافعى النحوى الذى برع فى الفقه والعربية ودرس الفقه بالأشرفية ولد سنة (٧٨٥هـ) ومات سنة (٨٥٠هـ)(٣٦٠).

٦ – صوفية الخانقاة :

ذكر السخاوى تراجم أربعة من صوفية هذه الخانقاة أولهم حنبلى المذهب هو ابراهيم بن أبى بكر بن عبد الله الشنويهى ثم القاهرى أحد صوفية الأشرفية كان حيا على عهد السخاوى فى القرن التاسع الهجرى،[٣٦١] وثانيهم حنفى المذهب هو أحمد بن حسن شاه الشهاب أبو الفضل القاهرى اشتغل بعد بلوغه وحفظ وكتب وبرع فى فنون ثم «تنزل فى صوفية الأشرفية ومات فى حياة والده قبل أن يتكهل فى رجب سنة (٨٧٣هـ)».[٣٦٢]

وثالثهم لم يحدد مذهبه هو أحمد الشهاب العبادى أحد صوفية الأشرفية مات فى أواخر المحرم سنة (٨٩١هـ) وخلف – كما يقول السخاوى – تركة تبلغ ألف دينار فأكثر مع تقتيره،[٣٦٣] ولا ندرى كيف أن صوفيا يتنزل فى خانقاة ليتصوف ويأخذ جرايات ثم يخلف تركة مقدارها يزيد عن الألف دينار بقيمة وقتها النقدية.

ورابعهم شافعى المذهب هو على بن محمد بن العلاء الصفدى الذى عرف بابن حامد، ولد فى ذى القعدة سنة (٨٠٤هـ) بصفد وارتحل فى الطلب إلى دمشق ثم القاهرة مجدا فى الاشتغال وتنزل فى صوفية الأشرفية برسباى من واقفها بعد امتحان شيخ الشافعية بها القاياتى، مات سنة (٨٧٠هـ).[٣٦٤]

أما اصحاب الوظائف الإدارية والخدمية بالخانقاة فقد أمكن الوقوف منهم على بعض تراجم المباشرين والجباه وخزنة الكتب والبوابين والخدم وفيما يلى عرض لبعض تراجم هؤلاء وأؤلئك :

١ – المتكلم والمتولى :

ذكر لنا السخاوى ترجمتين فى هذا الصدد أولاهما هى ترجمة عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الزين الدمشقى ثم القاهرى، ولد سنة (٧٨٤هـ) بدمشق ونشأ فى خدمة كاتب سرها البدر بن موسى ثم قدم إلى الديار المصرية بعد مقتل الناصر فرج فلما تسلطن شيخ وتلقب بالمؤيد أعطاه نظر الخزانة والكتابة بها، وتكلم فى جهات كالأشرفية وغيرها، مات فى ذى القعدة سنة (٨٨٩هـ).[٣٦٥]

وثانيتهما هى ترجمة «عبد الرزاق بن عبد المؤمن بن فتح الدين محمد بن هارون القاهرى العطار الناسخ، أحد صوفية الأشرفية والبيبرسية وغيرهما، نزل فى الصالحية واشتغل يسيرا ولازم الأمشاطى وتولى أمر نفقة الأشرفية».(٣٦٦)

٢ – جابى الخانقاة :

لم نعثر من تراجم جباة هذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن محمد بن يوسف القصبى الذى قال عنه «جابى الأشرفية برسباى مات فى تاسع عشر شوال سنة ست وثمانين (وثمانمائة)».(٣٦٧)

٣ – بواب الخانقاة :

وقفنا من هؤلاء البوابين بالخانقاة على ترجمة واحدة أيضا ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن محمد بن حسن الماردينى الأصل الكركى ثم الخانكى الذى عرف بابن سميط، قال عنه السخاوى «كان بواب المدرسة الأشرفية...مات فى رمضان سنة (٨٨٢هـ)».(٣٦٨)

٤ – خازن كتب الخانقاة :

لم نعثر من خزنة كتب هذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى أيضا هى ترجمة على بن أحمد بن اسماعيل بن القطب القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى ذى الحجة سنة (٧٨٨هـ) فحفظ وكتب وأخذ إلى أن «استقر به الدوادار الكبير تغرى بردى المؤدى فى مشيخة مدرسته بالصليبية وبعنايته استقر فى وظيفة خزانة الكتب بالأشرفية برسباى عقب الشمس بن الجندى».(٣٦٩)

٥ – خادم الخانقاة :

كما كان الحال بالنسبة للجابى والبواب وخازن الكتب، لم نعثر من خدم الخانقاة إلا على ترجمة واحدة أشار إليها السخاوى هى ترجمة عبد الرحمن بن رضوان بن محمد بن يوسف بن شيخنا العقبى ولد سنة (٨٣٤هـ) بتربة قجماس بالصحراء ونشأ بها فى كنف أبيه إلى أن مات

والده فأضيفت إليه جهاته كالخدمة فى الأشرفية برسباى، مات فى جمادى الأول سنة (٨٨١هـ).[٣٧٠]

وقد تحدث على باشا مبارك وأسهب فى الحديث عما قرره الواقف لكل واحد من هؤلاء الموظفين طبقا لما ورد فى وقفيته فقال أنه تقرر لشيخ الخانقاة (١٠٠٠)درهم شهريا وثلاثة أرطال من الخبز يوميا، ولإمامها (٣٥)درهما شهريا وثلاثة أرطال من الخبز يوميا، ولخطيبها (٢٠٠)درهم، ولمدرسها الحنفى (٧٥)درهما ولمدرسها المالكى (٥٠)درهما و (٦)أرطال من خبز القرصة يوميا، ولمدرسها الحنبلى كذلك، ولمدرسها الشافعى (١٠٠)درهم شهريا، (٦) أرطال من خبز القرصة يوميا، ولسبعة عشر طالبا (صوفيا) (٢٠٠)درهم شهريا، (٥١)رطلا من الخبز يوميا، ولأربعة مؤذنين وفراشين بالمدرسة والتربة والقبة (١٢٠٠)درهم شهريا وستة أرطال من الخبز يوميا، ولخازن الكتب (٣٠٠)درهم شهريا، (٣)أرطال من الخبز يوميا.[٣٧١]

٦ – وصف الخانقاة : (انظر لوحة ٣٥)

تقع بقايا هذه الخانقاة بشارع قايتباى على مقربة من خانقاة الناصر فرج بن برقوق بقرافة المماليك وكان، الأشرف برسباى قد أنشأها للصوفية من المذاهب الأربعة، وهى تتكون من إيوانين متقابلين بينهما دور قاعة كان يمتد خلفها مسكن لشيخ الخانقاة، وبجوارها ضريح كبير للمنشئ، وبها حوشان كبيران خصص الشمالى منهما لدفن أقارب المنشئ وخصص الجنوبى لدفن العلماء من أهل التقوى، كما كان بها مقصورة لدفن سيدات القصر كان بجوارها من الجهة الجنوبية قاعة للاعتكاف بالإضافة إلى بقايا خلوات الصوفية وحظائر الجياد والمطبخ وبقايا سبيلين وصهاريج ومستحم وحوض ومرافق أخرى، وفيما يلى وصف أثرى لأجزاء الخانقاة المعمارية

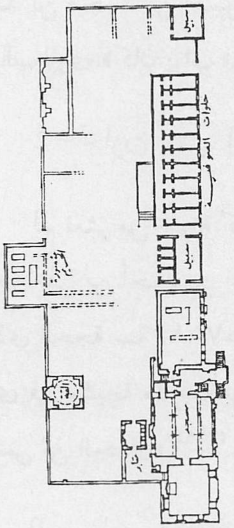

لوحة ٣٥ : الخانقاة الاشرفية (برسباى)
أثر رقم ١٢١ (٨٣٥هـ/١٤٣١م)
مسقط أفقى

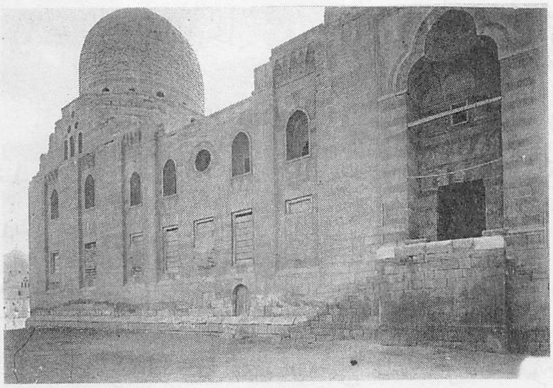

شكل ٤٣: الخانقاة الاشرفية (برسباى) أثر رقم ١٢١ (٨٣٥هـ/١٤٣١م) الواجهة والمدخل الرئيس والقبة

ا – الواجهة الرئيسية والمدخل: (انظر شكل ٤٣)

تقع واجهة هذه الخانقاة فى الناحية الغربية وتنقسم إلى قسمين يبدأ الشمالى منهما بالمدخل الرئيسى وتنتهى بالواجهة الغربية للقبة.. أما القسم الجنوبى فهو عبارة عن مساحة متخربة كانت بها خلوات الصوفية فى ثلاثة ادوار.(٣٧٢)

ويقع المدخل المشار إليه داخل دخلة عرضها (٢٫٩٠) متر وعمقها (١٫٥٠) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٦٠ر) متر وطولها (٩٥ر) متر يحدها جفت حجرى لاعب ذو ميمات دائرية، أما المدخل فعرضه (١٫٦٠) متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة فوقه عقد عاتق من صنجات مزررة أيضا بينهما طبلة عقد يزينها فرع نباتى، وفوق العقد العاتق يوجد شريط غائر به كتابات نسخية لبعض آيات قرآنية نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.(٣٧٣)

وفوق هذا الشريط الكتابى نافذة مربعة على جانبيها رنكان للمنشئ نص كل منهما «السلطان الملك الأشرف برسباى عز نصره» وتنتهى الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص زين فصه العلوى بمقرنصات مضلعة ذات زوايا، هذا وعلى جانبى المدخل يوجد أزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة تشتمل على النص الانشائى للخانقاة وتقرأ فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذه الخانقاة المقام الشريف مولانا السلطان الملك الأشرف سلطان الإسلام والمسلمين أبو النصر برسباى عز نصره وكان الفراغ من ذلك فى شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وثمانمائةش»(٣٧٤)

٢ – دركاة المدخل :

يؤدى المدخل الرئيسى إلى دركاة مستطيلة طولها (٥٫٧٠) متر وعرضها (٢٫٧٠) متر يغطيها سقف خشبى كانت تزينه زخارف نباتية وهندسية مختلفة بالألوان، وفى صدر هذه الدركاة مدخل عرضه (١٫١٥) متر ذو عتب مستو فوقه نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية يؤدى إلى مجموعة من الخلوات الواقعة إلى الجنوب الغربى من المدرسة.

أما فى الناحية الشمالية من هذه الدركاة فتوجد رحبة مستطيلة فى كل من جداريها الشرقى والغربى مدخلان متشابهان عرض كل منهما (٫٨٥) متر يعلوها عقد مدبب، يؤدى المدخل الشرقى إلى حاصل صغير مستطيل الشكل ذو سقف خشبى فى جداره الشرقى نافذة صغيرة ذات عقد نصف دائرى، ويؤدى المدخل الغربى إلى السطح والمئذنة، وفوق كل منهما توجد نافذة بها مصبعات خشبية، وبصدر هذه الرحبة مدخل عرضه (١٫٨٠) يقع داخل دخلة عمقها (٫٩٠) متر ذات عقد نصف دائرى ممتد تؤدى إلى صحن المدرسة، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٥) متر وعرضها (١٢٫٩٠) متر يطل عليها إيوانان فقط أحدهما شرقى والآخر غربى وهما إيوانان متشابهان بينهما مساحة مستطيلة عرضها (٥) متر.

الإيوان الشرقى :

عبارة عن مستطيل طوله (١٥) متر وعرضه (٤٫٧٠) متر يتكون من بلاطة واحدة، وبه عمودان رخاميان متشابهان كل منهما مثمن الأضلاع يعلوه تاج على شكل ورقة الأكانثس، ويحمل هذان العمودان بالإضافة إلى دعامتين فى الجدارين الشمالى والجنوبى ثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة، ويغطى هذا الإيوان سقف خشبى كانت تزينه زخارف بالطلاء لعناصر نباتية وهندسية مختلفة، ويحيط بهذا السقف أعلا الجدران إزار خشبى نقشت فيه فى ثمان عشرة جامة مستطيلة كتابات نسخية باللون الأبيض تشتمل على ألقاب المنشئ وبعض عبارات الدعاء له نصها :

١ – أمر بإنشاء هذه الخانقاة المباركة مولانا وسيدنا

٢ – ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف

٣ – أبو النصر برسباى سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة

٤ – والمشركين محيى العدل فى العالمين حامى حوزة الدين

٥ – مظهر الحق بالبراهين(٣٧٥)كنز الفقراء والمساكين ذخر الأرا

٦ – ملأابو النصر برسباى سلطان الأرض(٣٧٦)الحاكم طولها وا

٧ – لعرض القائم بالسنة والفرض الحاكم بأمر الله التالى

٨ – لكتاب الله التابع لسنة رسول الله صاحب السيف والقلم(٣٧٧)

٩ – والبند والعلم سيد ملوك العرب والعجم أبو المعالى والهمم

١٠ – أفضل من حكم فى عصره بالحكم صاحب المناقب العلوية (٣٧٨)والهمة الأصمعية

١١ – صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية والثغور السكندرية صاحب الصدقات

١٢ – والمعروف المغيث لكل مظلوم وملهوف المجاهد المرابط سلطان الإسلام

١٣ – والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين السلطان المالك

١٤ – الملك الأشرف أبو النصر برسباى ملك البرين والبحرين(٣٧٩)خادم

١٥ – الحرمين الشريفين (٣٨٠) .. .. ..

١٦ – السكندرية حامى حوزة الدين مبيد الطغاة والما

١٧ – رقين(٣٨١)قامع الخوارج والمتمردين(٣٨٢)السلطان المالك الملك

١٨ – الأشرف ابو النصر برسباياأدام الله أيامه وأنفذ أحكامه.(٣٨٣)

المحراب :

يتوسط المحراب الجدار الشرقى لإيوان القبلة وهو عبارة عن حنية عرضها (١٫١٥) متر وعمقها (٧٠ر) متر يكتنفها عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة على شكل كمثرى يحملان طاقية على شكل عقد نصف دائرى متراجع، وهو محراب خال من الزخارف تعلوه قمرية دائرية يحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية، وتملؤها زخارف زجاجية ملونة.

وعلى جانبى هذا المحراب توجد أربع شبابيك متشابهة عرض كل منها (١٫٤٠) وعمقها (٨٠ر) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد أرضيته من فصوص رخامية ملونة ذات أشكال هندسية مختلفة بكل منها أرماح ومخرزات حديدية وتعلوه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى تزينها زخارف من زجاج ملون بها كتابات نسخية نصها :

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» وقد كررت هذه الشهادة فى كل النوافذ.

أما الجدار الجنوبى من هذا الإيوان فبه مدخل عرضه (١٫١٠) متر ذو عتب مستو فوقه شباك مستطيل به مصبعات خشبية تؤدى إلى حاصل مستطيل الشكل ذو سقف خشبى كانت تزينه زخارف ملونة فى جداره الشرقى نافذة صغيرة مستطيلة مسدودة، أما الجدار الشمالى لهذا الإيوان فهو جدار مصمط ليست به فتحات.

المنبر :

على يمين المحراب المشار إليه يوجد منبر خشبى يقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٣٫٣٠) متر وعرضها (١) متر يزين جانبيها الشمالى والجنوبى أشكال هندسية سداسية الأضلاع بكل منها نجمة سداسية أيضا، وعلى هذه القاعدة تقوم مجنبتان متشابهتان (ريشتان) تتكون كل منهما من أسفل من مثلث كبير قوام زخارفه طبق نجمى فى الوسط تحيط به أجزاء من أطباق نجمية فى الأركان يزين وحداتها جميعا زخارف نباتية وهندسية مختلفة مطعمة بالسن والزرنشان.

وبكل من هاتين الريشتين حشوة مستطيلة فى الوسط يزينها طبق نجمى به نفس زخارف المثلث السفلى على جانبيها حشوتان ثانيتان متشابهتان مربعتان زخارف كل منهما عبارة عن

مصبعات خشبية دقيقة.

ويقوم فى مؤخرة المنبر بابا الروضة وهما متشابهان عرض كل منهما (٦٠ر) متر خلق فى جانبية عمودان دائريان يحملان عقدا على هيئة زخرفية، وفوق كل باب منهما توجد زخارف أخرى لأطباق نجمية يزين وحداتها نفس الزخارف التى تزين المثلث السفلى.

أما باب المنبر نفسه فعرضه (٨٥ر) متر وبه مصراعان متشابهان يزين كل منهما عناصر هندسية لأشكال مثلثات ومعينات وأشكال سداسية من خرط ميمونى دقيق بداخل كل منها عناصر نباتية مختلفة، ويحيط بأعلى هذا الباب حليات تشبه الحليات التى تحيط بأعلى بابى الروضة، إلا أنه فوق هذا الباب توجد كتابة قرآنية نصها :

«إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه»،[٣٨٤] ويتوج واجهة هذا المنبر شريط من شرافات على شكل ورقة نباتية ثلاثية مكررة، أما خلف اللوحة الكتابية فى واجهة هذا الباب فتوجد لوحة نباتية ذات كتابات نسخية نصها :

«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكـرون»،[٣٨٥] أما جلسة الخطيب فلها ثلاث واجهات مفتوحة زين ظهرها بدخلة على شكل محراب ذو عقد مدبب يحمله عمودان دائريان بداخله وحدات هندسية مختلفة تشبه الوحدات الهندسية التى تزين سقفها، إلا أن أعلى واجهاتها الثلاث توجد مقرنصات مضلعة ذات زوايا، وجدير بالذكر أن هذا المنبر كان قد نقل بعد إصلاحه إلى هذه الخانقاة من مسجد العمرى الذى أنشئ سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) بشارع امير الجيوش وهو مطعم بالسن والزرنشان والأويمة بزخارف ميزته كثيرا عن سائر منابر عصره، والذى صنعه هو التجار الماهر أحمد بن عيسى بن أحمد الدمياطى الذى صنع منبر مدرسة وخانقاة القاضى أبو بكر مزهر بحارة برجوان وامتاز أسلوبه بالخرط الدقيق والكتابة الكوفية فى باب المقدم وتقاسيم الجانبين بأسلوب فنى دقيق.[٣٨٦]

الإيوان الغربى :

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٥) متر وعرضها (٣٠ر٣) متر به بلاطة

واحدة وثلاثة عقود تقابل عقود الإيوان الشرقى يحملها بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية عمودان رخاميان دائريان لكل منهما تاج وقاعدة على شكل ورقة الاكانثس، جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى مصمطان، أما جداره الغربى فبه خمسة شبابيك متشابهة تشبه بما يعلوها من نوافذ شبابيك ونوافذ الايوان الشرقى مع بعض اختلاف فى عناصر الزخارف ذات الزجاج الملون، أما سقف هذا الإيوان فيشبه أيضا سقف الإيوان الشرقى بما فيه من زخارف وبما تحته من إزار خشبى، إلا أن الكتابات هنا تنحصر فى عشرين جامة نصها :

١ – أمر بإنشاء هذه الخانقاة المباركة سيدنا ومولانا

٢ – ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر

٣ – برسباى العالم الزاهد[٣٨٧] العادل المجاهد سلطان

٤ – الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين

٥ – منصف المظلومين من الظالمين ذخر الأرامل والمحتاجين كنز الفقراء

٦ – والمساكين حامى حوزة الدين مظهر الحق بالبراهين سلطان

٧ – الأرض الحاكم طولها والعرض العامل بالسنة وا

٨ – لفرض صاحب المناقب العلوية والمنابر الأخميمية والحملات

٩ – العنترية صاحب الديار المصرية والبلاد

١٠ – الشامية والقلاع السواحلية والثغور السكندرية

١١ – صاحب السيف والقلم والبند والعلم سيد ملوك العرب

١٢ – والعجم أفضل من حكم عصره بالحكم صاحب الصدقات

١٣ – والمعروف المغيث لكل مظلوم وملهوف الحاكم

١٤ – بأمر الله التالى لكتاب الله التابع لسنة رسول الله

١٥ – السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباى

١٦ – العالم العادل المجاهد المرابط سلطان الإ

١٧ – سلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين مبيد الطغاة

١٨ – والمارقين قامع الخوارج والمتمردين السلطان

١٩ – المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباى أدام

٢٠ – الله أيامه وأنفذ أحكامه بمحمد وآله.

الضريح :

يقابل الباب الجنوبى المؤدى إلى هذه المدرسة فى الناحية الشمالية مدخل آخر يشبهه تماما يعلوه عقد نصف دائرى واجهته عبارة عن أربع حشوات من خشب الخرط، وهو مدخل يرتفع عن أرضية هذه المنطقة المستطيلة بمقدار (٣٥ر) متر يفضى إلى الضريح وهو عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (٩٫٧٠) متر تقوم فوقها قبة على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من ثمانية حطات من مقرنصات على شكل حنايا ذات عقود نصف دائرية، تقوم فوقها رقبة القبة وبها ست عشرة نافذة مستطيلة ذات عقود نصف دائرية يزين كلا منها زخارف من زجاج ملون.

أما القبة من الداخل فغير مزخرفة، وفيما بين كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه توجد وحدة مكررة كل منها عبارة عن ثلاثة نوافذ مستطيلة ذات عقود نصف دائرية فى أسفل تعلوها ثلاث قمريات دارية تزينها ويزين النوافذ أسفلها زخارف من زجاج ملون ذات عناصر نباتية وهندسية مختلفة.

محراب القبة :

يتوسط الجدار الشرقى لهذه القبة محراب عبارة عن حنية عرضها (١٫٠٥) متر وعمقها

(٧٥ر) متر ذات عقد نصف دائرى متراجع يحمله عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة وتاج كمثريان مثمنان أيضا، ويزين هذا المحراب من اسفل وزرة من اشرطة رخامية ملونة تنتهى الأشرطة العريضة فيها من أعلا بشكل ورقة نباتية ثلاثية، وبين كل ورقتين منها زخارف محفورة لأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية، ويعلو هذه الوزرة وحدة زخرفية تتكون من خطوط متداخلة من فصوص رخامية بالألوان الأحمر والأبيض والأسود، ويحد هذه الوحدة الزخرفية إطار من كتابات نسخية بارزة لبعض آيات من القرآن الكريم نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب.(٣٨٨)

وفوق هذه الوحدة الزخرفية يوجد شريط يمتد على جانبى المحراب بداخله أسفل الطاقية وحدة مكررة لحنية ذات عقد نصف دائرى تزينها أشكال هندسية مختلفة، أما طاقية المحراب فهى ذات زخارف مشعة من خطوط متكسرة كتب بمركزها لفظ الجلالة «الله».

أما واجهة عقد هذا المحراب فتزينها زخارف ملونة من أوراق ثنائية وثلاثية متداخلة وعلى جانبيه دائرتان متشابهتان، ويكتنف هذا المحراب من الجانبين شباكان متشابهان عرض كل منهما (٤٥ر١) متر وعمقه (٨٠ر١) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد يزين أرضيته زخارف من أشرطة رخامية تتكون من خطوط متكسرة، ويعلو كل شباك منها نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى بها زخارف الزجاج الملون يقرأ فى كل منها «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

أما الجدار الغربى فبه شباكان سفليان يشبهان بزخارفهما وبما يعلوهما من النافذتين ذواتى الزجاج الملون ما فى الجدار الشرقى، أما الجدار الشمالى فبه من أسفل شباكان تعلوهما نافذتان، ويشبه هذان الشباكان وتلك النافذتين باقى الشبابيك والنوافذ فى الجدارين الشرقى والغربى.

هذا ويحيط بجدران القبة من أسفل وزرة من أشرطة رخامية ذات ألوان مختلفة يعلوها إزار به كتابات كوفية مزهرة على أرضية نباتية تتخللها فى نفس الشريط وحدات مكررة من زخارف نباتية

تفصل بين حشوات نصها بعد البسملة بعض آيات من القرآن الكريم غير واضحة المعالم تنتهى بالتصديق بكلام الله سبحانه وتعالى والتصديق بما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأمام المحراب توجد تركيبة رخامية طولها (٢٫٤٥) متر وعرضها (١٫٧٠) متر يزين جوانبها أشرطة رخامية ملونة تقوم فى أركانها أربعة أشكال رمانية (بابات)، هذا ولا يزين تلك التركيبة فيما عدا وزرتها السفلية أى من النقوش أو الكتابات، أما أرضية القبة فهى كذلك من فسيفساء رخامية ملونة ذات أشكال هندسية مختلفة لمربعات ومستطيلات ومعينات ومسدسات وأشكال دوائر.

أما المدخل الذى يوجد بصدر الدركاة فيؤدى إلى ممر ذو انكسارين يتجه الأول ناحية الشرق طوله (٣٫٩٠) متر وعرضه (١٫٣٠) متر يغطيه سقف خشبى، على اليمين منه توجد فتحة عرضها (٠٫٨٠) متر ذات عقد مدبب تؤدى إلى خلوة مستطيلة يغطيها سقف مقبى فى جدارها الجنوبى فتحة أخرى عرضها (١٫١٥) متر تؤدى إلى رحبة كانت تتقدم هذه الخلوة من الناحية الجنوبية.

وفى نهاية هذا الانكسار من الناحية الشرقية يوجد مدخل آخر عرضه (٠٫٩٠) متر ذو عقد مدبب يؤدى إلى حاصل مستطيل ذو سقف نصف اسطوانى (برميلى)، أما الانكسار الثانى لهذا الممر فيتجه ناحية الجنوب طوله (٥٫٦٠) متر فى جداره الشرقى نافذة مستطيلة على شكل مزغلة يعلوها شباك مستطيل مسدود بسدة حديثة، وسقف هذا الانكسار غير موجود إلا أنه كان ينتهى بمدخل متهدم عرضه (١٫١٥) متر كان يؤدى إلى مجموعة من الحواصل المتهدمة.

القبة الشرقية :

فى الناحية الشرقية من الخانقاة توجد قبة أخرى خالية من الزخارف يغلب على الظن أنها هى القبة التى بناها برسباى لأخيه الأمير يشبك وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل (٥٫٨٥) متر تعلوها قبة تقوم على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من أربع حطات من مقرنصات تشبه مقرنصات قبة ضريح المنشئ(٣٨٩) بين كل وحدتين منها توجد وحدة مكررة لنافذتين مستطيلتين بأسفل كل منها عقد نصف دائرى تتوسطها من أعلا قمرية دائرية، أما رقبة القبة فليس بها الآن إلا نافذة واحدة فى الركن الشمالى الشرقى، ويغلب على الظن أنه كان فيها

ثلاثة نوافذ أخرى تشبهها إلا أنها مسدودة الآن.

أما جدرانها ففى كل منها فتحة عرضها (٢٫٩٠) متر وعمقها (٠٫٩٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى يحده جفت حجرى لاعب ذو ميمات دائرية، إلا أن بفتحة الجدار الشرقى محراب بسيط عبارة عن حنية عرضها (١٫١٠) متر وعمقها (٠٫٨٠) متر ذات عقد نصف دائرى متراجع لا تكتنفه أعمدة، وكان بأرضية تلك القبة تركيبتان لم يبق منهما إلا لحدين مستطيلين بسيطين.

أما خلوات الصوفية فكانت فى الناحية الجنوبية للخانقاة وكانت تتكون من دورين بكل منهما ثلاث عشرة خلوة متشابهة، إلا أن هذه الخلوات جميعا فى حالة متخربة ولا توجد واحدة منها متكاملة، وما بقى منها فقط هى الواجهة الغربية ذات الشبابيك المستطيلة، وكان كل شباك من هذه الشبابيك لخلوة من الخلوات ، غير أنه كان يتوسط هذه الواجهة مدخل متهدم حاليا على يساره بقايا سبيل.

وتمتد بقايا هذه الخلوات ناحية الجنوب بطول (٨٥٫٥٠) متر حيث كانت تنتهى بقاعة مستطيلة متخربة، وأعلى شبابيك الدور الأول فى الناحية الغربية للمدافن وملحقاتها يوجد شريط كتابى يتكون من سبع وقفيات بكل منها كتابات نسخية فى سطرين تمثل تفاصيل الأعيان التى أوقفها المنشئ على هذه الخانقاة [٣٩٠] نصها فى الوقفية الأولى من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : بسم الله الرحمن الرحيم وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم وقف وحبس وشيد وتصدق من فائض نعم الله تعالى على عبده مولانا السلطان المالك الملك

سطر ٢ : الأشرف أبو النصر برسباى عز نصره على يد المرحوم يشبك الخازندار تغمده الله برحمته...... المقام بحوش بالصحراء ناحية كنيسة سردوس ونصها فى الوقفية الثانية من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : بالعزوفية (بالغربية) الناظر عليها الخازاندار ومن يتولى بعده خازاندارا إذا زال وجعل الثلثى من تحصيل الناحية المذكورة على خمسة يفرد لكل واحد منهم ثلاث مائة...

سطر ٢ : الخمسة بالفرس خمسمائة درهم ... فى كل شهر مائة درهم وللفرس فى كل شهر مائة درهم وللمزملاتى فى كل شهر مائة درهم وما عدت فى السبيل كل سنة ألف درهم.

ونصها فى الوقفية الثالثة من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : صحبة..... ألف درهم والثلث تصرف للمارستان المنصورى مما فاض بعد ذلك ويصرف سُبعه صدقة الجمعة لله ذلك ثوابا له

سطر ٢ : ومغفرة وأجرا .. اللهم تقبل عمله وامح زلله واختم بالصالحات عمله بتاريخ جمادى الأول سنة أربعة وثلاثين وثمان مائة.

ونصها فى الوقفية الرابعة من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : لمثل هذا فليعمل العاملون ما وقف وحبس وسبل وتصدق من فائض نعم الله تعالى على عبده مولانا السلطان المالك الأشرف أبو النصر برسباى عز نصره

سطر ٢ : على يد المرحوم أقطوه بانى المدافن والمقام الشريف تغمده الله برحمة منه أنشأ المقام الشريف والحوش بالصحراء بناحية ملاو الحصة والمنية بالغربية على أربعة قراء.

ونصها فى الوقفية الخامسة من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : يقرأون القرآن العظيم بالتربة المذكورة كل نفر منهم فى الشهر ثلثمائة والإمام فى الشهر ثلثمائة وزيت القناديل فى الشهر مائة وعشرون والبواب والفراش فى الشهر مائة وصحبة الملك (السيد) الشريف....

سطر ٢ : وتوسعة شهر رمضان فى السنة خمسمائة صدق لله تعالى وفى كل يوم جمعة مائة على المستحقين ولناظر المقام الشريف ومن بعده من يكون ناظرا على الأشرفية .

ونصها فى الوقفية السادسة من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : بسم الله الرحمن الرحيم وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم أوقف وحبس وتصدق من فائض نعم الله تعالى مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباى عز نصره.

سطر ٢ : على يد المرحوم المقام الشريف بالصحراء هو وجميع .. .. والنقل والحوانيت والوقف على يد عشرة نفر من القر .. .. فى الشهر أربعة آلاف .. ..

ونصها فى الوقفية السابعة من سطرين نقرأ فيهما :

سطر ١ : وتم على خير الله جميعه .. .. فى كل شهر ..

سطر ٢ : وللنجار خمسمائة وثمن زيت فى الشهر ثلاثمائة .. .. مائة وخمسين وثمن لحم فى شهر رمضان خمسـ .. ..

وجدير بالذكر أن المدخل الذى كان يتوسط هذه الواجهة فى ناحيته الشرقية يوجد محراب علوى عبارة عن حنية يعلوها عقد نصف دائرى كان يحمله عمودان، وخلف هذا المحراب من الشرق كان هناك بئر كبيرة فى تخوم الأرض تقوم فى أركانها الأربعة عقود حجرية نصف دائرية.

وكان يصعد إلى مدخل هذه الخانقاة بواسطة سلم حجرى ذو مطلعين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية، أما الجانب الشمالى من هذه الخانقاة فطوله (٣٢) متر وبه فى الجزء الخاص بالخانقاة دخلة وسطى كبيرة بها من أسفل الشبابيك الثلاثة التى سبقت الإشارة إليها عند وصف الإيوان الغربى.

وعلى جانبى هذه الدخلة الوسطى توجد دخلتان متشابهتان بكل منهما شباك من أسفل تعلوه نافذة ذات زجاج ملون، وقد سبق وصفها أيضا عند الحديث عن الإيوان الغربى لهذه الخانقاة، وتنتهى كل دخلة منها بمقرنصات مقعرة ذات دلايات .

وعلى امتداد هذا الجزء من الواجهة من الناحية الشمالية توجد الواجهة الغربية للقبة وبها دخلتان متشابهتان تشبهان باقى الدخلات، أما واجهة القبة الشمالية من الخارج فتشبه واجهتها

الغربية تماما، كما أن الواجهة الشرقية لهذه القبة تشبه واجهتيها الشمالية والغربية، ويزين القبة من الخارج زخارف هندسية من خطوط متداخلة على شكل دالات.

المئذنة :

تقوم هذه المئذنة على يسار المدخل وهى عبارة عن مئذنة حديثة بسيطة الشكل عملت لتحل محل المئذنة الأصلية التى تهدمت فى وقت سابق.(٣٩١)

٧ – ترميمات الخانقاة :

بدأت رعاية لجنة حفظ الآثار العربية لهذه الخانقاة منذ سنة (١٨٨٢م) وظلت هذه الرعاية مستمرة حتى سنة (١٩٠٩م) وطوال هذه السنوات أجريت فى الأثر إصلاحات وترميمات كثيرة نوجزها فيما يلى :

فى سنة (١٨٨٢) قرر لاصلاح هذه الخانقاة وتوابعها مبلغا قدره (–ر١٠٦)جنيه غير أن هذا المبلغ زاد عند التنفيذ بمقدار (–ر١٤٤) جنيه وبذلك يكون جملة ما أنفقته اللجنة على هذه الإصلاحات التى (لم تحدد) هو مبلغ (–ر٢٥٠)جنيه.(٣٩٢)

وفى سنة (١٨٨٥) صرفت اللجنة على إصلاح سبيل الأشرفية مبلغا قدره (–ر٣٤)جنيه.(٣٩٣)

وفى سنة (١٨٨٦م) خصصت اللجنة لبعض إصلاحات (لم تحدد) بجامع الأشرف برسباى بالصحراء مبلغا قدره (٦٦٠ر١٨٤)جنيه.(٣٩٤)

وفى سنة (١٨٨٨/٨٧م) قامت اللجنة ببعض ترميمات فى هذه الخانقاة انحصرت فى هدم الحوائط المخلة التى بالصحن لمنع زيادة الأضرار التى كان من الممكن أن تحدث من جرائها، بالاضافة إلى إجراء بعض تقويات فى أسفل أجزاء أخرى من هذه الحوائط لمنع أية تلفيات قد تحدث فيها وصرفت على ذلك مبلغا قدره (٥٦٠ر٤٦)جنيه،(٣٩٥) كذلك فقد قامت فى نفس السنة ببعض إصلاحات أخرى (لم تحدد) بالسبيل بلغت تكاليفها مبلغا قدره

(٧ر١٩٠)جنيه،(٣٩٦) وبذلك يكون جملة ما صرفته اللجنة على الخانقاة وسبيلها فى هذه السنة هو مبلغ قدره (٥٣ر٧٥٠)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٢) ورد فى محاضر اللجنة انها صرفت على هذه الخانقاة فى عمل لم تستطع تحديده مبلغا قدره (١ر٣٤٥)جنيه.(٣٩٧)

وفى سنة (١٨٩٥م) لم تكن هذه الخانقاة قد سجلت بعد فى عداد الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، ومع ذلك فقد قامت اللجنة فى هذه السنة بفك السقف الذى كان بأعلى صحن الخانقاة لأنه كان سقفا حادثا على الأثر وليس أصليا فيه، كذلك قامت بتجديد سطح الإيوان الغربى لوقاية سقفه القديم من خلال إصلاح بعض مربوعاته وكاناته التى كانت مكسورة وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (١٥ر–)جنيه.(٣٩٨)

وفى سنة (١٨٩٧م) ورد فى كراسة اللجنة عن هذه السنة أنه حررت لهذه الخانقاة مقايسة بترميمات لازمة (لم تحدد) بلغت تكاليفها مبلغا قدره.(٩٠٠ر–)جنيه يقتضى العمل بها عندما تسمح الإيرادات بذلك.(٣٩٩)

وفى سنة (١٨٩٨م) سرقت قطعة من سماق أخضر مقاسها (١٨X ٩سم) من الوزرة التى بداخل الضريح، وقد تمت هذه السرقة عن طريق شباك من شبابيك هذا الضريح كان مسدودا فى جزئه السفلى بالبناء وفى جزئه العلوى بحاجز من خشب وجد مخلوعا فقامت اللجنة بسد هذه الشبابيك التى كانت بالصف الأول من الضريح وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (٦ر٥٠٠)جنيه.(٤٠٠)

كذلك فقد ورد فى كشف بيان الاعتمادات التى قررت عن هذه السنة والمصروفات التى صرفت فيها أن إصلاحات هذه الخانقاة كانت قد صرفت مبلغا قدره (٣٤٥ر٣٧٣)جنيه بعد ما كان مقررا لها مبلغا قدره (٤١٠ر–)جنيه وقد خص اللجنة من هذا المبلغ مبلغا قدره (٥٣ر٧٨٩٠)جنيه وخص الأوقاف مبلغا قدره (٢٩١ر٥٨٢)جنيه.(٤٠١)

وفى هذه السنة أيضا قامت اللجنة بإصلاح مصراعى باب هذه الخانقاة القديم وقررت عقب الانتهاء من هذا الإصلاح أن ينقل الباب إلى دار الآثار العربية وعملت للخانقاة بابا جديدا بسيطا

بلغت تكاليفه مبلغا قدره (١٩ر–) جنيه.(٤٠٢)

وفى سنة (١٩٠٤) ورد بكراسة اللجنة انها قامت ببعض أعمال جزئية (لم تحدد) فى هذا الأثر خارج ما كان مقررا له بلغت تكاليفها مبلغا قدره (٧ر–) جنيه.(٤٠٣)

وفى سنة (١٩٠٦م) ورد بكراسة اللجنة أن إزالة الأبنية الحديثة التى أضيفت إلى واجهات هذه الخانقاة أظهرت أن هذه الواجهات شبيهة تماما بواجهات مسجدى القاضى يحيى وابو بكر مزهر، ولهذا وضعت مشروعا لإصلاحها وافق عليه القسم الهندسى.(٤٠٤)

وفى سنة (١٩٠٨م) قامت الجنة بإصلاح سقف الإيوان الشرقى لهذه الخانقاة وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (٢٠ر–) جنيه.(٤٠٥)

وأخيرا فى سنة (١٩٠٩م) قامت اللجنة بإصلاح منبر هذه الخانقاة وبلغت تكاليف ذلك مبلغا قدره (٣٠٠ر–) جنيه.(٤٠٦)

ومن ذلك يتضح أن جملة ما صرفته اللجنة على الأعمال الترميمية والإصلاحية التى أجرتها بهذه الخانقاة من سنة (١٨٨٢م) حتى سنة (١٩٠٩م) كانت قد بلغت مبلغا قدره (٦٢٨ر١٩٩٢) جنيه ولنا أن نقدر قيمة هذا المبلغ إذا ما قارناه بقيمته النقدية التى كانت للعملة المصرية آنذاك، ليتضح لنا مدى ما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية فى سبيل إصلاحه وترميمه.

٦ – الخانقاة الزينية يحيى

٨٤٨هـ / ١٤٤٤م

أثر رقم ١٨٢

هذه المدرسة الخانقاة هى إحدى أبنية ثلاثة أنشأها القاضى يحيى زين الدين بمدينة القاهرة، أولها وثانيها مسجدان أحدهما ببولاق والآخر بالحبانية أما ثالثتها فهى هذه المدرسة الخانقاة التى بين أيدينا، وهى المنشأة التى كان قد أقام لنفسه بجوارها قصرا كبيرا مع ملحقات كثيرة كانت -كما ورد في حجته وفي بعض المراجع العربية التي تكلمت عنها مجاورة لباب الخوخة الفاطمي من الناحية الجنوبية،(٤٠٧) وقد طمرت هذه الملحقات تحت الأرض وكان منها مساكن الصوفية والحمام وبعض الحواصل والسبيل والفسقية والمطهرات والحديقة والحظائر والساقية، ليس هذا فقط بل لقد أزيل في فترة زمنية سابقة مقعد الخانقاة الذى كان يقع إلى الشمال منها وكذا الأروقة السكنية العلوية، كما محيت نصوص الوقفية التى كانت منقوشة علي جدرانها الداخلية خلال بعض الترميمات الحديثة التي قام بها الأهالي.(٤٠٨)

والذى لا شك فيه أن المادة التاريخية والأثرية التى وقفنا عليها فيما يتعلق بهذه المدرسة الخانقاة ليست بالكم ولا بالقيمة التى سبق الوقوف عليها فى كثير من الخانقاوات السابقة، وعلى ذلك فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر طبقا لهذه المادة فى أربع نقاط رئيسية هى:

١- تاريخ الخانقاة .

٢- منشئ الخانقاة .

٣- وصف الخانقاة .

٤- ترميمات الخانقاة .

١ – تاريخ الخانقاة :

تقع هذه المدرسة الخانقاة بشارع الأزهر عند تلاقيه مع شارع الخليج المصرى، وهى من

المدارس التى تحفل بكثير من الصناعات الجميلة ولاسيما فى الواجهات والأعمال الرخامية ونحوها، وقد شيدت هذه المدرسة الخانقاة سنة (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد حيث تتكون من صحن تغطيه شخشيخة وتحيط به أربعة ايونات متقابلة نقشت أسقفها الخشبية بزخارف مذهبة جميلة، وقامت لجنة حفظ الآثار العربية بتجديد هذه المنشأة فى آخر القرن الماضى فأكملت منارتها وواجهتها وجددت نجارتها ونقوشها، وعندما فتح شارع الأزهر الجديد عند تلاقيه مع شارع الخليج، هدم الفاصل بين المدرسة وبين شارع الرملى والقنطرة الجديدة غرب الخرنفش.(٤٠٩)

٢ – منشئ الخانقاة :

منشئ هذه الخانقاة هو الأمير زين الدين يحيى بن عبد الرزاق القبطى الظاهرى الأستادار الذى عرف بالأشقر، ولد بمصر أوائل القرن (٩هـ/١٥م) وتعلم بها وأظهر من الفطنة والنبوغ رغم صغره ما جعل أمراء الدولة يتولونه بالرعاية، وما لبث أن عين فى دولة الظاهر جقمق ناظرا لديوان المفرد فناظرا لاسطبل السلطان ثم محتسباً للقاهرة.(٤١٠)

وقد نال الزينى يحيى قسطا وافرا من الحظوة والنفوذ فى عهد السلطان الظاهر جقمق ولكن دوام الحال من المحال، إذ سرعان ما تنكرت له الأيام بعد وفاة هذا السلطان، فعزل من مناصبه وعذب أكثر من مرة وصودرت معظم أمواله، وكان ذلك فى غالب الظن لسوء سلوكه عندما كان محتسبا للقاهرة، إذ يبدو أنه جمع لنفسه خلال هذه المدة ثروة طائلة من عسفه بالناس وظلمه لهم.

وانتهى به الأمر إلى أن أخرج من مصر إلى المدينة المنورة فظل بها عدة شهور عاد بعدها إلى القاهرة لازما بيته، إلى أن ولى قيتباى السلطنة فصادر ما بقى من أمواله وسجنه بالقلعة إلى أن توفى فى الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) وكان عمره قد جاوز الثمانين فدفن بالتربة التى كان قد أعدها لنفسه فى هذه الخانقاة.(٤١١)

وقد أنشأ الزينى يحيى كغيره من ملوك وأمراء الدولة المملوكية – بالإضافة إلى هذه المدرسة الخانقاة – مسجدين أحدهما بالحبانية والآخر ببولاق، كما جدد رباط أبى طالب وأدخله ضمن مرافق المنشأة التى بين أيدينا والتى كانت تشتمل قصرا ومقعدا وخلوات لصوفيتها العشرين وسبيلاً

وفسقية ومطهرات وحديقة وحظيرة دواب وساقية، وقد ضاعت مع الزمن هذه المعالم كلها ولم يبق منها إلا هذه المدرسة الخانقاة كما سبق القول.

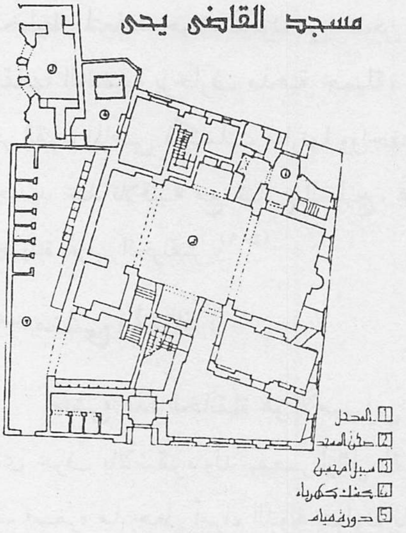

لوحة ٣٦ : الخانقاة الزينية (يحيى) أثر رقم ١٨٢ (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) – مسقط أفقى

٣ – وصف الخانقاة: (انظر لوحة ٣٦ وقارن لوحة ٣٧)

تقع هذه الخانقاة – كما قلنا – عند تقاطع شارعى الأزهر والخليج، وهى قائمة بمفردها فى هذا المكان لا تجاورها فيه أية أبنية أخرى ولذلك فهى تشتمل على أربع واجهات لصقت فى الغربية منها بعض الأكشاك الخشبية الحادثة، وتشغل الخانقاة مساحة شبه مربعة طولها (٢٥٫٠) متر وعرضها (٢٤٫٨٠) متر بها مدخل عظيم خلفه صحن تتعامد عليه أربعة إيونات بالإضافة إلى قاعة للخطابة ومدفناً ومكتبة.

ويتكون هذا المسجد الخانقاة من صحن مستطيل الشكل تقريباً طوله (٧٫٥٠) متر وعرضه (٧٫٣٠) متر يتعامد عليه من الشرق والغرب إيونان كبيران لكل منهما عقد فارسى كبير، ومن الشمال والجنوب سدلتان لكل منهما عقد نصف دائرى ممتد، يضاف إلى ذلك مئذنة فى الركن الشمالى الشرقى من الخانقاة وقاعة للخطابة ملاصقة لإيوان القبلة ومجموعة من خلوات الصوفية كانت تمتد فى المنطقة الواقعة بين السورين فيما عرف بالرباط كانت تتقدمها ميضأة بها فسقية للوضوء بجوارها حمام وفيما يلى وصف أثرى لهذه الخانقاة:

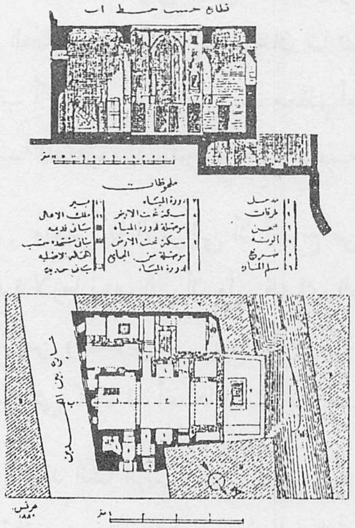

لوحة ٣٧ : الخانقاة الزينية (يحيى) – مسقط – قطاع –
(عن لجنة حفظ الآثار العربية)

أ – الواجهات :

لهذه الخانقاة أربع واجهات تمتد الرئيسية منها (الشمالية) بطول (٩٫٢٥) متر وارتفاع (١٢٫٣٥) متر (انظر شكل ٤٥) وتشتمل فى طرفها الشرقى على مدخل رئيسى يجاوره من الناحية الغربية مدخل صغير معقود مسدود كان يؤدى إلى دورة المياه الأصلية وإلى خلوات الصوفية التى كانت تسمى برباط أبى طالب وقد هدمت هذه الخلوات ولم يبق منها إلا أطلال،^(٤١٢) وتمتد الواجهة الشرقية بطول (٢٢٫٢٥)متر وارتفاع (١٢٫٠٥) متر وتشتمل على أربع دخلات رأسية اتساع كل منها (٢٫٠٥) متر وعمقها (٠٫٢٠) متر، منها اثنتان فى الطرف الشمالى لهذه الواجهة يمثلان واجهة إيوان القبلة من الخارج وتشتملان من أسفل على فتحتى شباكين مستطيلين متشابهين عرض كل منهما (١٫٤١) متر به أرماح ومخرزات حديدية ويعلو كل شباك من هذين الشباكين عتب من صنجات حجرية مزررة تزينه زخارف نباتية يعلوه عقد عاتق فوقه شباك قندلية ويحده جفت لاعب، وتنتهى كل دخلة من أعلا بمقرنصات ذات دلايات يسبقها بين الدخلتين قمرية مستديرة ذات واجهة جصية تعلو المحراب من الداخل، أما بالنسبة للدخلتين الأخريين الموجودتين فى الطرف القبلى لهذه الواجهة فهما تشتملان أيضا على فتحتى شباكين من أسفل عرض كل منهما (١٫٤٠) متر يرتفعان عن مستوى أرض الشارع بمقدار (٠٫٨٥) متر ولكل منهما عتب مستو من صنجات معشقة تعلوها ثلاثة صفوف من مقرنصات ذات دلايات فوقها شرفة خشبية ذات واجهة من الخرط بسقفها مظلة ترتكز على أربعة أعمدة خشبية ويتوج هذه الواجهة شريط من الشرافات الحجرية المعمولة على شكل ورقة نباتية ثلاثية.

أما الواجهة الجنوبية فتمتد موازية لشارع الأزهر بطول (١٥٫٨٥) متر وارتفاع (١٢٫٠٥) متر، وقد تم كشفها عند فتح شارع الأزهر وكانت مهدمة وغير منتظمة،^(٤١٣) وتشتمل هذه الواجهة على ثلاث دخلات رأسية عرض كل من الأولى والثالثة منها (٢٫٠٥) متر وعمقها (٠٫٢٠) متر ترتفع كل منهما عن أرضية الشارع بمقدار (٠٫٨٥) متر وبكل منهما من أسفل فتحة شباك عرضها (١٫٠) متر ذات أرماح ومخرزات حديدية فوق كل شباك منهما عتب من صنجات حجرية مزررة تزينه زخارف نباتية يعلوه عقد عاتق من صنجات معشقة فوقه منطقة مستطيلة غائرة ذات إطار زخرفى ربما كانت قد أعدت لبعض كتابات لم تكتمل، وفى الجزء العلوى من هاتين

الدخلتين يوجد شباك قندلية تتألف فى أسفل من شباكين مستطيلين معقودين محمولين فى الوسط على عمود صغير من الرخام بينهما فى أعلا قمرية دائرية، ويتوج كل دخلة من هاتين الدخلتين ثلاث صفوف من المقرنصات ذات الدلايات.

أما الدخلة المحصورة بين الدخلتين المشار إليهما فاتساعها (٣٫٩٢) متر وعمقها (٢٠ر) متر وتشتمل من أسفل على شباكين مستطيلين يرتفعان عن مستوى أرض الشارع بمقدار (٨٥ر) متر كلاهما ذو واجهة من أرماح ومخرزات حديدية يعلوه عتب مستو به زخارف نباتية محورة تنتهى من أعلا بثلاثة صفوف من المقرنصات ذات الدلايات، ويعلو هذه الدخلة شرفة بارزة ذات واجهة من الخرط محمولة على كوابيل خشبية وذات سقف خشبى محمول على خمسة أعمدة خشبية أيضاً، ويتوج هذه الواجهة من أعلا صف من الشرافات الحجرية المعمولة على هيئة ورقة نباتية ثلاثية.

وفى الطرف الغربى من هذه الواجهة يوجد مدخل يتصدر دخلة اتساعها (٢٫٥٠) متر وعمقها (١٫١٥) متر على جانبيها مكسلتان حجريتان ارتفاع كل منهما (٦٧ر) متر وطولها (١٫١٨) متر وعرضها (٥٦ر) متر ويحيط بالمدخل شريط كتابى يرتفع عن المكسلتين بمقدار (١٫٣٠) متر عرضه (٣٥ر) متر وطوله (٤٫٤٢) متر وهو محفور فى الحجر حفرا بارزاً نصه :

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صدق الله العظيم ».(٤١٤)

ويصدر هذه الدخلة فتحة مدخل اتساعها (١٫٣٢) متر وارتفاعها (٢٫٧٧) متر يغلق عليها مصراعان خشبيان تزخرفهما صرة نحاسية فى الوسط ذات زخارف نباتية، أما أعلا وأسفل الباب فيوجد شريطان نحاسيان يشملان على كتابة نسخية تقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً جدد هذا الباب فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف (هجرية)».

ويعلو فتحة هذا المدخل عتب مستو من الجرانيت فوقه عقد عاتق من صنجات معشقة يعلوه شريط حجرى حفرت عليه زخارف نباتية، يلى ذلك دخلة مستطيلة ذات صدر مقرنص نقش على

جانبيه رنك المنشئ وقد حمل هذا الصدر المقرنص على عمودين رخاميين فتحت فيما بينهما نافذة صغيرة مستطيلة ذات واجهة من أرماح ومخرزات حديدية يعلوها ربع قبة حملت على صفوف من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات، وقد أحيطت واجهة هذا المدخل بجفت لاعب ذو ميمات دائرية وبشريط كتابى حفر فى الحجر نصه « تجددت هذه الواجهة فى عهد الملك الصالح فاروق الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية ».

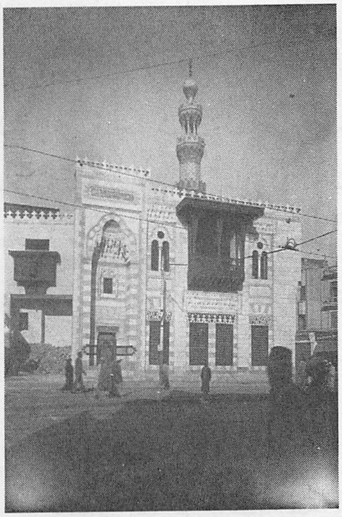

شكل ٤٥ : الخانقاة الزينية (يحيى) أثر رقم ١٨٢ (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) – الواجهة الرئيسية والمدخل والسبيل والكتاب

ب – المدخل الرئيسى (راجع شكل ٤٥)

يقع المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة فى الطرف الشرقى للواجهة الشمالية داخل دخلة عرضها (٢٫٦٥) متر وعمقها (١٫٢٥) متر يكتنفها من أسفل مكسلتان حجرتان طول كل منهما (١٫٢٥) متر وارتفاعها (٦٥ر) متر وعرضها (٥٠ر) متر ويمتد بعرض هذه الدخلة على جانبى المدخل شريط كتابى يرتفع عن المكسلتين بمقدار (٧٨ر) متر وعرضه (٣٥ر) متر وطوله (٨٦ر) متر ونصه :

« أنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين بتاريخ جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة »(٤١٦).

أما المدخل نفسه فعرضه (١٫٣٥) متر وعمقه (٣٠ر) متر وارتفاعه (٢٫٩٥) متر ويغلق عليه مصراعان خشبيان ارتفاع كل منهما (٢٫٩٠) متر وعرضه (٧٥ر) متر يتوسط كلا منهما صرة نحاسية ذات زخارف نباتية بالحفر الغائر تتوسطها وردة غائرة ثمانية الفصوص ويمتد بعرض الباب من أعلا ومن أسفل شريطان نحاسيان بهما كتابات بارزة على أرضية نباتية نصها :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع

ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»(٤١٧) تجدد هذا الباب فى عصر خديوى مصر عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه »، كما يتدلى من أركان هذا الباب أربع دلايات نحاسية زخرفية.

ويعلو فتحة هذا المدخل عتب مستو من الجرانيت فوقه عقد عاتق من صنجات معشقة على جانبيه حشوتان مستطيلتان فى وضع رأسى بكل منهما زخارف هندسية عبارة عن فصوص رخامية صغيرة بالألوان الأبيض والأسود والأحمر جمعت على هيئة أشكال هندسية، ويعلو العقد العاتق المشار إليه فتحة شباك مستطيل محمول على عمودين رخاميين صغيرين مثمنين داخل دخلة صغيرة تتصدرها من أعلى ثلاثة صفوف من المقرنصات المقعرة ذات الدلايات يحف بها من الجانبين مربعان يحوى كل منهما رنكاً للمنشئ، ويتوج هذه الدخلة الرئيسية ربع قبة محمولة على خمسة صفوف من المقرنصات المقعرة ذات الدلايات تتدرج حتى تصل إلى مستوى فتحة المدخل التى يحيط بها جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

جـ - دركاة المدخل :

يفضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٢ر٧٥) متر وعرضها (٢ر١٥) متر تتصدرها دخلة خارجية اتساعها (١ر٨٥) متر وعمقها (ر٨٠) متر تتصدرها دخلة داخلية عمقها (١ر٦٥) متر واتساعها (١ر٤٥) متر ذات عقد عاتق دائرى تشرف به على الدركاة، وفى صدر الدخلة الأولى شباك ذو مصراعين خشبيين خلفهما أرماح ومخرزات حديدية يطل على إيران القبلة أسفله مصطبة ترتفع عن أرضية الدركاة بمقدار (ر٨٨) متر، ويغطى هذه الدخلة سقف خشبى مسطح عليه تقسيمات من الزخارف الهندسية الملونة والمذهبة داخل إطار خشبى به زخارف زجزاجية مذهبة، أما سقف الدركاة فهو أعلى من سقف الدخلة التى بصدرها وهو عبارة عن سقف خشبى فى وسطه وردة غائرة ذات اثنى عشر فص نقشت من حولها زخارف نباتية مذهبة على أرضية داكنة ويحيط بهذا السقف أعلا الجدران إزار خشبى نقشت عليه كتابة نسخية نصها :

« وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا »،(٤١٨) وحليت أركانه بمقرنصات خشبية زخرفية وبالدركاة بابان معقودان متقابلان اتساع كل منهما (١ر٢٨) متر وعمقه(ر٢٣) متر وارتفاعه (٢ر٣٧) متر يغلق على كل منهما مصراع

خشبي كبير أعلاه فتحة شباك مستطيلة ذات أرماح ومخرزات حديدية، ويؤدى المدخل القائم بجدار الدركاة الشرقى إلى تركيبة ضريحية ذات جوانب من خشب الخرط تغطيها كسوة من القماش مكتوب عليها « هذا مقام القاضى يحيى» بجواره سلم حجرى يؤدى إلى سطح الخانقاة، أما المدخل القائم بجدار الدركاة الجنوبى فيؤدى إلى دهليز طوله (٣٫٨٥) متر وعرضه (١٫٣٥) متر تتصدره دخلة معقودة عمقها (٫١٠) متر واتساعها (١٫٥٣) متر كانت تشغلها مزيرة، وقد فرشت أرضية هذا الدهليز برخام ملون على هيئة أشكال زجزاجية فى نهايته مدخل يفض إلى الصحن اتساعه (١٫٢٤) متر وارتفاعه (٣٫٠٥) متر يغلق عليه مصراعان خشبيان عرض كل منهما(٫٦١) متر وارتفاعه (٢٫٦٥) متر يعلوه شباك مستطيل ذو أرماح ومخرزات حديدية يحدها إطار خشبى، ويغطى هذا الدهليز سقف خشبى يحوى تقسيمات مربعة ومستطيلة نفذت عليها زخارف نباتية وهندسية.

د – الصحن :

أقيم هذا الصحن فى وسط المسجد الخانقاة على مساحة مستطيلة الشكل تقريباً طولها (٧٫٥٠) متر وعرضها (٧٫٣٠) متر وتنخفض أرضيته عن باقى الإيونات المحيطة به بمقدار (٫٣٢) متر وقد فرشت هذه الأرضية ببلاطات حجرية، أما سقف هذا الصحن فهو عبارة عن شخشيخة خشبية مثمنة زخرفت بمربعات ومستطيلات وجلدت بالزخارف النباتية والأشكال الهندسية الملونة والمذهبة، وقد عملت هذه الشخشيخة على مربع أقيمت فى أركانه مقرنصات خشبية حولته إلى مثمن عمل فى كل جانب من جوانبه شباكين من خشب الخرط، ويتوسط سقف هذه الشخشيخة دائرة ذا ت كتابة نسخية تقول : «تجدد هذا السقف المبارك فى عهد الخديوى الأعظم عباس حلمى الثانى عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية» ويحيط بأعلا جدران الصحن والإيونات الأربعة المحيطة به إزار كتابى نقش بالحفر البارز فى الحجر نصه :

«أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى الأجلى المحامى(٤١٩)المخدومى السيدى السندى(٤٢٠)المالكى الذخرى(٤٢١) العضدى النظامى الهمامى(٤٢٢)المشيرى(٤٢٣)السفيرى(٤٢٤)الزينى(٤٢٥)أبو زكريا يحيى أمير أستادار العالية وكان الابتداء فى سنة (ست وأربعين) وثمانمائة والفراغ منه فى ثانى شعبان المكرم سنة

ثمان وأربعين وثمان مائة.(٤٢٦)

ويوجد بالصحن أربعة أبواب اثنان بالضلع الشمالى واثنان بالضلع الجنوبى اتساع كل منهما (١٫٢٤) متر وارتفاعه (٣٫٠٥) متر يغلق على كل منهما مصراعان خشبيان عرض كل منهما (٫٦١) متر وارتفاعه (٢٫٦٥) متر ويعلو كل باب من هذه الأبواب عتب من صنجات معشقة، فوقه دخلة يعلوها عقد زخرفى مدبب يتكون من ثلاثة فصوص من المقرنصات المحمولة على عمودين مندمجين تشتمل من أعلا ومن أسفل على فتحتى شباكين مستطيلين بكل منهما أرماح ومخرزات حديدية.

ويؤدى الباب الشمالى الشرقى إلى الدهليز الموصل إلى دركاة المدخل بينما يؤدى الباب الشمالى الغربى إلى خلاوى الصوفية التى هدمت الآن ولم يبق منها شئ، أما الباب الجنوبى الغربى فيؤدى إلى ميضأة حديثة بينما يؤدى الباب الجنوبى الشرقى إلى الضريح عبر دهليز طوله (٤٫٩٠) متر وعرضه (١٫٩٠) متر ترتفع أرضيته عن أرضية الصحن بحوالى (٫٣٠) متر ويغطيه سقف خشبى، فى جداره الغربى كتبية يغلق عليها مصراعان خشبيان وفى الجدار الشرقى غرفة مستطيلة فى صدرها شباك يطل على الشارع إلا أن بابها مسدود، ومن هذا الدهليز نصل إلى غرفة مستطيلة ثانية فى كل من جداريها الجنوبى والشرقى أربعة شبابيك ذات أرماح ومخرزات حديدية تفتح كلها على الشارع.

هـ – الإيوان الشرقى :

يشغل الضلع الشرقى للصحن إيوان القبلة وهو عبارة عن مستطيل عرضه (٦٫٤٢) متر وعمقه (٦٫٠٥) متر يفتح على الصحن بعقد على شكل حدوة الفرس ترتكز رجلاه فى الجانبين على صفين من المقرنصات ويتصدره محراب غير مزخرف فى دخلة اتساعها (٢٫٥) متر وعمقها (٫٢٥) متر محمولة من الجانبين على عمودين رخاميين مثمنين، أما المحراب ذاته فهو عبارة عن حنية نصف دائرية عمقها (٫٨٥) متر واتساعها (١٫٠٦) متر ذات عقد نصف دائرى يعلوها شريط كتابى فى مستوى تيجان الأعمدة نصه :

«قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام

وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم»،(٤٢٧) وعلى جانبى هذا المحراب شباكان يطلان على الشارع بكل منهما أرماح ومخرزات حديدية يغلق على كل منهما مصراعان خشبيان، وقد تساوى هذان الشباكان فى الإتساع الذى بلغ (٤٦ر١) متر بينما اختلفا فى العمق حتى يوازى المعمار بين خط تنظيم الشارع وبين اتساق المبنى من الداخل فجعل عمق الدخلة الشمالية (٤٠ر١) متر وعمق الدخلة الجنوبية (٦٥ر) متر ويعلو كل شباك من هذين الشباكين شباك آخر معقود ذو واجهة جصية عشق بها زجاج ملون فى تكوينات بديعة يحصران فيما بينهما قمرية تعلو المحراب من الجص المعشق بالزجاج الملون أيضاً، ويتدلى فوق المحراب حاصل خشبى كانت تعلق فيه المشكاة التى تضئ إيوان القبلة، وبالجدار الجنوبى لهذا الإيوان كتبية يغلق عليها باب خشبى اتساعه (٣٧ر١) متر وارتفاعه (٩٣ر٢) متر يقابلها فى الجدار الشمالى فتحة شباك تطل على دركاة المدخل، وقد فرشت أرضية هذا الإيوان ببلاطات حجرية بينما غطى سقفه ببراطيم خشبية تحصر فيما بينها بحورا وتماسيح رسمت عليها زخارف نباتية وهندسية ملونة ومذهبة، ويتصدر هذا السقف أعلا الجدران إزار خشبى عريض عليه كتابات قرآنية بخط الثلث المملوكى البارز على أرضية داكنة تقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم. يأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما، يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا. صدق الله العظيم»،(٤٢٨) وقد حمل هذا الإزار فى الأركان على مقرنصات خشبية زخرفية ذات دلايات تنتهى بوحدة زخرفية على شكل ورقة نباتية ثلاثية مقلوبة.(٤٢٩)

المنبر:

يوجد هذا المنبر على يمين المحراب وهو منبر خشبى قديم من عصر إنشاء الخانقاة ويتكون من قاعدة تعلوها ريشتان يتقدمهما صدر يغلق عليه باب خشبى من مصراعين زخرفا بأشكال هندسية مجمعة ومطعمة بالسن والعاج فى أعلاه مستطيل نقشت فيه بالحفر البارز كتابة قرآنية تقول :

«إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما»(٤٣٠) وعلى جانبى هذا النص مستطيلان رأسيان يشتمل كل منهما على رنك للمنشئ، أما أعلى الباب فنجد شرفة يتوجها صف من الشرافات الخشبية المعمولة على هيئة العرائس والمحمولة على حطة من المقرنصات الخشبية، وقد زخرفت ريشتى المنبر بطبق نجمى فى الوسط تحيط به أجزاء من أطباق فى الأركان جمعت أجزاؤها بواسطة التعشيق وطعمت وحداتها الزخرفية بالسن والعاج، وفى أعلى المنبر فوق جلسة الخطيب خوذة خشبية لا يتوجها هلال محمولة على بدن مثمن حولها دروة خشبية ذات شرافات محمولة على صفوف من المقرنصات، ويحتوى هذا المنبر على بعض الأجزاء التى جددتها لجنة حفظ الآثار العربية كالمصراعين والشرافات وبعض أجزاء من الجوانب، وقد سجلت اللجنة هذا التجديد على لوح خشبى نقشت فيه بخط النسخ البارز على باب المنبر من الداخل كتابة تقول : «تجدد هذا المنبر والجامع فى عصر الخديوى الأعظم عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه فى سنة اثنتى عشر وثلاثمائة وألف هجرية».

كرسى المصحف :

يوجد هذا الكرسى بجوار المنبر فى إيوان القبلة وهو مستطيل الشكل طوله (١،٤٦) متر وارتفاعه (١،٥٠) متر وبه مكان خصص لجلوس القارئ أمامه مكان آخر لوضع المصحف وقد زخرفت جوانبه العلوية بوحدات من خشب الخرط بينما زينت جوانبه السفلية بأطباق نجمية طعمت بالعاج والصدف وقد جدد هذا الكرسى أيضاً فى عهد عباس حلمى الثانى يدل على ذلك نص فى أحد جوانبه كتب فى مستطيل بالحفر البارز تقول كتاباته :

«تجدد هذا الكرسى فى عصر خديوى مصر عباس حلمى الثانى وذلك فى سنة اثنتى عشر وثلاثمائة وألف هجرية».

و – الايوان الغربى :

يقع هذا الإيوان فى الجانب المقابل لإيوان القبلة ويفتح على الصحن بعقد واحد على شكل حدوة الفرس ترتكز رجلاه على مقرنصات حجرية صغيرة اتساعه (٦،٥٢) متر وعمقه (٤،١٣) متر أرضيته مفروشة بألواح حجرية جيرية ويكتنفه من الجانبين بابان اتساع كل منهما (١،٢٥) متر وارتفاعه (٢،٩٠) متر يغلق على كل منهما مصراعان خشبيان أحدهما عبارة عن كتبية فى

ضلعه الشمالى والآخر عبارة عن مدخل فى ضلعه الجنوبى يؤدى إلى غرفة مستطيلة الشكل طولها (٣٫٥٤) متر وعرضها (٢٫٥٠) متر كانت عبارة عن مكتبة الخانقاة يتكون سقفها من عروق خشبية فوقها ألواح مجددة غير مزخرفة، وترتفع أرضيةِ هذه الغرفة عن مستوى أرضية الإيوان بحوالى (٫٧٦) متر، وقد فتح فى صدر هذا الإيوان ثلاثة شبابيك مجددة معقودة سددت بالجص المعشق بالزجاج الملون.

أما سقف هذا الإيوان فهو عبارة عن براطيم خشبية تحصر فيما بينها بحورا وتماسيح زخرفت جميعها بزخارف نباتية وأشكال هندسية ملونة ومذهبة، ويحيط بهذا السقف أعلا الجدران إزار خشبى عريض نقشت عليه كتابة نسخية فى سطرين متداخلين تشير إلى أعمال التجديد التى قامت بها لجنة حفظ الآثار العربية فى هذا الأثر على عهد الخديوى الأعظم عباس حلمى الثانى، وينتهى هذا الإزار فى أركان السقف بمقرنصات خشبية تتكون من تسع حطات تنتهى من أسفل بكردى على شكل ورقة نباتية ثلاثية، وقد لون كل من الإزار والمقرنصات بماء الذهب والألوان المختلفة.

ز - الإيوانان الشمالى والجنوبى : (السدلتان)

على جانبى الصحن من الناحية الشمالية والجنوبية إيوانان جانبيان صغيران (سدلتان) يفتح كل منهما على هذا الصحن بعقد واحد نصف دائرى ممتد ينتهى من أسفل بثلاثة صفوف من المقرنصات الحجرية اتساعه (٢٫٩٠) متر وعمقه (٢٫٢٥) متر يتصدر كلا منهما كتبية عرضها (١) متر وارتفاعها (٢٫٥٣) متر وعمقها (٫٢٢) متر يغلق عليها مصراع خشبى، وقد فرشت كل من أرضية هاتين السدلتين بألواح حجرية وغطى سقف كل منهما بمربعين يفصل بينهما برطوم خشبى، وقد نقش داخل هذين المربعين بزخارف نباتية وأشكال هندسية ملونة ومذهبة بينما نقشت إطاراتهما بزخارف من خطوط زجزاجية، والواقع أن جميع جدران الإيوان الشمالى مجددة يدل على ذلك أن الفتحات التى كانت تؤدى إلى مساكن الصوفية وإلى المقعد القمرى قد سدت

خلال هذه التجديدات، كما أن الطراز الكتابى الذى كان يشتمل على نصوص الوقفية قد انمحى.(٤٣١)

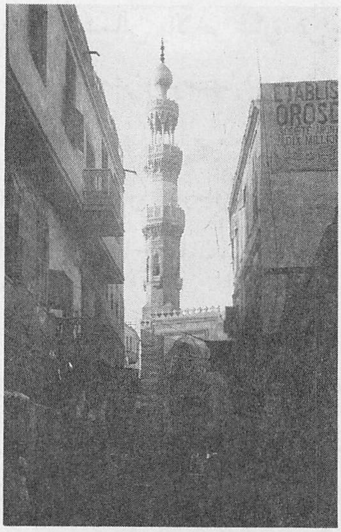

شكل ٤٦ : الخانقاة الزينية (يحيى) المئذنة

المئذنة : (انظر شكل ٤٦)

تقوم هذه المئذنة فى الركن الشمالى الشرقى لواجهة الخانقاة فوق المدخل الرئيسى وتتألف من قاعدة مربعة تعلوها دروتان مثمنتان فوقهما جوسق، وفى كل ضلع من أضلاع القاعدة المشار إليها توجد دخلة معقودة على جانبيها عمودان صغيران أسفل كل منها شرفة صغيرة محمولة على كابولى حجرى مخروطى الشكل وبكل منها فتحة على شكل مزغلة للتهوية والإنارة ويحيط ببدن هذه القاعدة من أعلا شريط كتابى يقول « بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار»،(٤٣٢) ويحيط ببدن هذه القاعدة دروة حجرية محمولة على ثلاثة صفوف من المقرنصات.

أما الدروة الأولى فهى ذات بدن مثمن الأضلاع يشتمل كل ضلع فيها على دخلة معقودة على جانبيها عمودان صغيران، فى أربعة أضلاع منها أربع شرافات صغيرة كل منها محمول على كابولى حجرى مخروطى الشكل وبكل منها فتحة على شكل مزغلة للتهوية والإنارة، ويحيط ببدن هذه الدروة من أعلا شريط كتابى نصه :

«جددت هذه الدورة وما بأعلاها فى عصر محيى رفات المكان من بعد الاندراس من رفع فى سلم المعالى على أساس متين المحفوف بالسبع المثانى عباس حلمى الثانى بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية مستهل سنة خمس عشر وثلاثمائة وألف هجرية كتبية أحمد.. » يلى ذلك الدورة الثانية وهى ذات بدن مثمن الشكل أيضاً ليست به أية فتحات إلا أنه كسى ببلاطات رخامية صغيرة على هيئة أسهم تنتشر فى أنحاء هذا البدن.

والواقع أن أسلوب تلبيس أبدان المآذن بالرخام كان قد بدأ فى عمارة المماليك لأول مرة فى

الدورة الوسطى لمئذنة مدرسة برقوق التى أنشئت سنة (٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م) وتلتها مئذنة القاضى يحيى التى بين أيدينا.(٤٣٣)

وفى نهاية هذه الدورة نجد شرفة ثانية محمولة على صفوف من المقرنصات ذات شقق حجرية زخرفت بعناصر نباتية وهندسية، أما الدورة الثالثة فهى عبارة عن جوسق يقوم على ثمانية أعمدة رخامية مثمنة الأبدان تحمل عقوداً زخرفية تقوم فوقها خوذة صغيرة يتوجها هلال من النحاس.

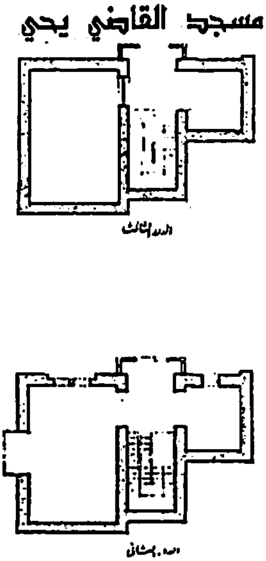

لوحة ٣٨ : الخانقاة الزينية (يحيى) – مسقط قاعة الخطابة بالدور الثانى

ط – قاعة الخطابة :

يؤدى إلى هذه القاعة بالدور الثانى فتحة باب بجلسة الشباك الأيمن بإيوان القبلة، كما يؤدى إليها أيضاً فتحة باب آخر فى الناحية الجنوبية الشرقية لجدار الدور قاعة، والواقع أن هذه القاعة هى أكبر القاعات المشابهة فى عمارة الجراكسة (انظر لوحة ٣٨)، وهى عبارة عن قاعة مستطيلة طولها (٧,٥) متر وعرضها (٣,٥) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وسقفها مستو وتغطيه ألواح خشبية يحفها إزار مقرنص يتدلى منه كردى.(٤٣٤)

ي – مساكن الصوفية : (انظر لوحة ٣٩)

كانت هذه المساكن تمتد فى المنطقة الواقعة بين السورين والتى تعرف بالرباط (رباط أبى طالب) وكان يتقدمها من جهة الشمال الغربى ساحة تضم ميضأة بها فسقية للوضوء ويحيط بها مطهرات ومستحم لايزالان قائمين حتى اليوم.(٤٣٥)

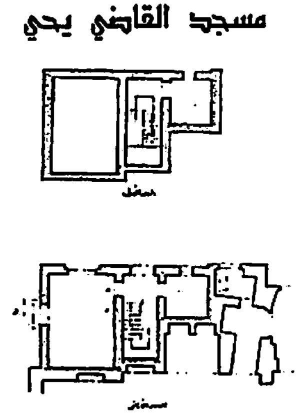

لوحة ٣٩ : الخانقاة الزينية (يحيى) – مساقط الدورين الارضى والاول

٤ – ترميمات الخانقاة :

الواقع أن هذه الخانقاة رغم صغرها وانحصار أهميتها

بالقياس إلى كثير من الخانقاوات السابقة، إلا أنها نالت كثيراً من عناية لجنة حفظ الآثار العربية، حيث بدأت هذه العناية منذ سنة (١٨٨٤م) وظلت مستمرة حتى سنة (١٩٦١م).

ففى سنة (١٨٨٤م) ورد تقرير هام عن حالة هذا الأثر عندما أدركته اللجنة ومنه يتضح أنه كان فى حالة خربة ولاسيما الواجهة الشمالية المشتملة على المدخل الرئيسى ومدخل الميضأة التى كان يوصل إليها قديما دهليز انخفضت أرضيته يومئذ عن الطريق وجعل مكانه حانوت، وصار الدخول إلى هذه الميضأة – التى كانت بين المدرسة والخليج – من الخانقاة نفسها وينزل إليها بعدة درجات.

أما المنارة فكان أعلاها متهدماً وأستعيض عن هذا الجزء المتهدم بقمة ليست من ذات طراز البناء، وكذلك كان السبيل والكتاب الذى يعلوه فى حاجة إلى ترميمات هامة، أما سقف المدرسة القديمة فكان كله متهدما فيما عدا بعض الأجزاء القديمة التى كان من الممكن إعادته طبقاً لها، وكان العقد الشرقى من المصلى ساقطاً وجدران الإيوان من جهة الخليج كانت متهدمة، وكان بابا التربة والسبيل مسدودان، وكانت الميضأة ودورات المياه فى حاجة ماسة إلى نقلهما من موضعهما.

ولذلك قررت اللجنة أن تقوم فى هذه الخانقاة بالأعمال التالية :

١– تقوية الواجهة الشمالية الشرقية.

٢– تجديد بناء العقد والإيوان الغربى.

٣– تجديد سقف المصلى.

٤– نقل الميضأة من محلها.

٥– فتح الأبواب القديمة المسدودة.

٦– تقوية حوائط التربة والسبيل والمدرسة.(٤٣٦)

وقد صرفت اللجنة على انجاز بعض هذه الترميمات مبلغاً قدره (٢٣٥,٢٥) جنيه.(٤٣٧)

وفى سنة (١٨٨٦م) ورد أن أعمال التقوية اللازم أجراؤها فى جامع القاضى يحيى زين الدين قد خصص لها مبلغا قدره (٤٩٣ر٥٩٠)جنيه.(٤٣٨)

وفى سنة (١٨٨٩م) ورد أن المقايسات التى تصدق عليها فيما يتعلق بهذه الخانقاة بلغت (٤٤٥ر–)جنيه، وقد خصص هذا المبلغ لأعمال التقوية والحفظ اللازمة لها.(٤٤٠)

وفى سنة (١٨٩٠) ورد فى كشف المبالغ المنصرفة خلال سنة (١٨٨٩م) أيضاً أن مسجد القاضى يحى زين الدين بالموسكى قد خصه مبلغا قدره (١٥٨ر٤٤٤)جنيه،(٤٤١) وفى نفس السنة ورد فى محضر آخر أن الأعمال الترميمية التى صرح بعملها فى هذا الأثر تكلفت مبلغا قدره (٢٠٠ر–)جنيه،(٤٤٢) وبذلك يكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات هذا الأثر خلال سنة(١٨٨٩م) علاوة على مبلغ الأربعمائة وخمسة وأربعون جنيها المشار إليها هو مبلغ(٣٥٨ر٤)جنيه.

وفى سنة (١٨٩١م) ورد أن تكملة أشغال هذه الخانقاة تكلفت إجماليا مبلغا قدره (١٥٦٣ر–)جنيه خص الأوقاف منها مبلغا قدره (٨٨٠ر–)جنيه وخص اللجنة مبلغا قدره (٦٨٣ر–)جنيه.(٤٤٣)

وفى سنة (١٨٩٢م) ورد أن مسجد القاضى يحيى زين الدين بالموسكى يحتاج لأعمال حفظية غير واردة بالميزانية تحتاج إلى مبلغ قدره (٩٢٠ر–)جنيه.(٤٤٤)

وفى سنة (١٨٩٣م) ورد أنه صرف (ولم يحدد) على جامع القاضى يحيى بالموسكى مبلغا قدره (٣ر١٦١)جنيه.(٤٤٥)

وفى سنة (١٨٩٤م) ورد أنه صرف على أشغال نجارة هذه الخانقاة مبلغا قدره (٦٩٩ر–)جنيه،(٤٤٦) وصرف على تجديد بلاكونا من خشب الخرط مبلغا قدره (٢٩ر–)جنيه،(٤٤٧) وبذلك يكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (٧٢٨ر–)جنيه.

كما ورد فى تقرير آخر من تقارير اللجنة عن هذه السنة أن المدخل القديم للكتاب لا

يمكن إعادته بسبب ارتفاع أرضية الشارع من الجهة الشرقية التى لم يعد متيسرا تسويتها إلى المنسوب الأصلى للبناء، وعليه فقد أعتمد الدخول لهذا الكتاب من المدخل البحرى الموصل للميضأة بحيث يعمل لهذا المدخل سلم يصير بناؤه على الشارع العمومى.(٤٤٨)

وفى سنة (١٨٩٥م) قرر القومسيون الثانى للجنة إزالة بياض الفرشاة المغطى لتذهيب هذه الخانقاة، وإكمال بقية الترميمات اللازمة لها وخصص لذلك على حساب اللجنة مبلغا قدره (٤٧٠ر–)جنيه وعلى حساب الأوقاف مبلغا قدره (٣٩٠ر–)جنيه وبذلك تكون جملة هذه الترميمات هى مبلغ (٨٦٠ر–)جنيه،(٤٤٩) يضاف لذلك أنه قرر لهدم وبناء المنزل الملاصق لدورة المياه مبلغا قدره (١٨٠ر–)جنيه على حساب الأوقاف فتكون جملة مصروفات أعمال الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (١٠٤٠ر–)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٦م) ورد أنه أعيد بناء الدور العلوى من منارة الخانقاة وكذا مداميك مقرنصات الدور السفلى مع استبدال بعض أجزاء من هذه المبانى وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (٣٧ر–) جنيه.(٤٥٠)

وفى سنة (١٨٩٧م) ورد أنه خصص لتنظيف وتكميل السلاسل النحاسية التى أعدت لقناديل الخانقاة مبلغا قدره (٤٠ر–)جنيه،(٤٥١) وورد فى هذه السنة أيضاً أن أعمال منارة الخانقاة، تكلفت مبلغا قدره (٣١٠ر–)جنيه علاوة على السبعة والثلاثون جنيها المشار إليها فى سنة (١٨٩٦م)،(٤٥٢) يضاف إلى ذلك مبلغا قدره (٢٥ر–)جنيه قيمة اجراء أشغال تكميلية (لم تحدد) بالخانقاة،(٤٥٣) وبذلك تكون جملة مصروفات اللجنة على ترميمات الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (٣٧٥ر–) جنيه.

وفى سنة (١٨٩٨م) ورد أن ترميمات هذه الخانقاة تكلفت مبلغا قدره (٧٩٦ر٥٥)جنيه خص اللجنة منها مبلغا قدره (٤٦٤ر٧٥)جنيه وخص الأوقاف مبلغا قدره (٣٣٢ر١٣٠)جنيه.(٤٥٤)

وفى سنة (١٩٠٤م) ورد أن أعمالا ترميمية تكميلية بهذه الخانقاة تكلفت مبلغا قدره (١٢ر٩٤٤)جنيه.(٤٥٥)

وفى سنة (١٩٥٩م) جرت عملية توسيع لشارع بورسعيد عن طريق هدم العقار رقم (٦٦) الذى كان يجاور هذه الخانقاة، وبهدمه انكشف جزء من الواجهة البحرية فقامت الإدارة الهندسية بمصلحة الآثار بإعداد المشروع الذى عمل لتجميل هذه الواجهة بطريقة مختلفة عن طراز المسجد حتى لا يتداخل الأصل مع التجديد.(٤٥٦)

ومن ذلك يتضح أن جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات هذه الخانقاة خلال السنوات المشار إليها هو مبلغ (٦٣٤ر٧٢٢٩) جنيه، وبهذا استطاعت اللجنة أن تحافظ على هذا الأثر وأن توصله إلينا بصورة لا تختلف كثيرا عما كان عليه عند إنشائه.

الفصل الثالث

خانقاوات النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى

النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى

٧–الخانقاة الأشرفية إينال

٨٦٠هـ/١٤٥٥م

اثر رقم ١٥٨

تعد هذه الخانقاة التى أنشأها الأشرف إينال بصحراء المماليك سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) واحدة من أهم عمائر المماليك الشراكسة بمصر، وهى تتكون من مدرسة وخانقاة وقبة وسبيل.

وطبقاً لما لدينا من مادة تاريخية أثرية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة ينحصر فى ست نقاط رئيسية :

١– تاريخ الخانقاة ومهندسها.

٢– أوقاف الخانقاة.

٣– منشئ الخانقاة.

٤– موظفو الخانقاة.

٥– وصف الخانقاة.

٦– ترميمات الخانقاة.

١– تاريخ الخانقاة ومهندسها :

كانت هذه الخانقاة –كما قلنا – واحدة من أهم المنشآت الأثرية بقرافة المماليك، وكانت تضم بالإضافة إلى الخانقاة مدرسة وقبة ضريحية وسبيلاً، وقد تهدمت أجزاء كثيرة منها ولكنها لازالت محتفظة فى أسفلها ببقايا خلوات مفتوحة على فضاء تحيط به بقايا أبنية المرافق التى كانت ملحقة بها.(٤٥٧)

أما مهندس هذه الخانقاة فهو حسن بن حسين الطولونى، ولد فى أسرة معمارية بالقاهرة

سنة (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) وتلقى العلم على السخاوى المؤرخ المصرى الشهير الذى أثنى عليه كثيرا، ونال هذا المهندس حظوة كبيرة عند السلطان إينال حتى عينه فى ربيع الأول سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) «معلم المعلمين» ومنحه خلعة التشريف السلطانى عندما زاره أثناء قيامه بالعمل فى هذه المنشأة، إلا أنه قد استبد له فى سنة (٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م) لسبب لم يذكره المؤرخون ببدر الدين بن حسن الطنامى.

ثم ما لبث أن استدعاه لوظيفته مرة ثانية ثم عزله بعدها بمحمد بن الكويز ثم رضى عليه وأسند إليه القيام بإصلاح مسجد القلعة وتوسيع صهريج مياه نافورتها وكان ذلك فى صفر سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، كذلك أسند إليه فى ربيع الثانى سنة (٨٩٦هـ/١٤٩١م) إصلاح جامع جزيرة الروضة وبناء طواحين المياة بالقاهرة، ومن المرجح أنه قام بإصلاح مقياس النيل بهذه الجزيرة، وإصلاح قنطرة أبى المنجا، وقد سافر للحج مرتين أولاهما سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٣م) وثانيتهما سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) ولم يلبث بعدها أن توفى فخلفه فى رئاسة المعلمين ابنه شهاب الدين أحمد الذى قيل أنه كان من الصناع الذين نقلهم إلى الآستانة السلطان سليم العثمانى سنة (١٥١٧م) بعد الفتح العثمانى لمصر.(٤٥٨)

٢ - أوقاف الخانقاة :

أفادنا بن الجيعان فى القرن (٨هـ/١٤م) عن بعض أوقاف منشئ هذه الخانقاة ومنها يتضح أن هذه الأوقاف كانت تشتمل على ما يلى:

١ - بقطارس والمشعلية :

لم يعين لها مساحة ولا مدخولا وإنما قال أنها وقفا للأشراف ثم صارت للأشرف إينال.(٤٥٩)

٢ - الصوالح :

مساحتها (١٤٨) فدانا عبرتها (٤٠٠) دينار كانت باسم والى قليوب ثم صارت رزقة على حوض سبيل إينال.(٤٦٠)

٣ – سفط كلداسة :

مساحتها (٦٦٩) فدانا وعبرتها (٦٠٠) دينار كانت باسم المقطعين ثم أصبحت وقفا على الأشرفية إينال.(٤٦١)

٤ – الجدية :

لم يعين لها مساحة عبرتها (١٠٠٠) دينار، كانت فى الأملاك الشريفة ثم أصبحت للمقطعين النصف والربع ووقف الأشرف إينال الربع.(٤٦٢)

أما ابن الصيرفى فقد أمدنا فى القرن (٩هـ/١٥م) فى معرض ذكره لحوادث المحرم سنة (٨٧٦هـ) بقوله «وفيه صعد شيخنا شيخ الاسلام محيى الدين الكافيجى الحنفى إلى السلطان فسأله (السلطان) عن الفتوى التى كتبها بسبب وقف الظاهر جقمق الذى وقفه على مدرسة إينال أستاذ، وجعل النظر فيه لمحمد ولد إينال وجعل له أن يخرج من شاء كلما بدا له ذلك وأفتى الشيخ أنه يجوز له الإخراج والإدخال»(٤٦٣) وهى إشارة واضحة تدل على أن السلطان الظاهر جقمق كان قد أوقف على هذه الخانقاة وقفا خاصا من خالص ماله أو عقاراته وجعل النظر فيه لمحمد بن الأشرف إينال.

وعلى ذلك فإنه يمكن القول أن ما أمكن التعرف عليه من أوقاف الأشرف إينال كان ينحصر فى ثمانمائة وسبعة عشر فداناً كانت عبرتها السنوية ألفاً ومأتين وخمسين دينارا بيانها

مسلسل	جهـــة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	بقطارس والمشعلية	–	–	التحفة السنية
٢	الموالح	١٤٨	٤٠٠	» »
٣	سفط كلداسة	٦٦٩	٦٠٠	» »
٤	الجدينة	–	٢٥٠	» بحق الربع
الجملة		٨١٧	١٢٥٠	

كالتالى :

وهذه الجملة كما نرى لا تتفق إطلاقا مع مكانة سلطان إذا ما قيست بأوقاف بعض الأمراء الذين شيدوا بعض الخانقاوات ممن سبقت الإشارة إليهم، وربما يفسر لنا فقر هذه الأوقاف السبب الذى دعا السلطان الظاهر جقمق إلى تخصيص وقف لهذه الخانقاة من ماله أو عقاراته –كما قلنا – وربما كان ذلك لأنه رأى أن أوقاف منشئها (وهو أستاذه) ليست كافية للقيام بمهامها فاضطر إلى تخصيص الوقف الذى أشار إليه ابن الصيرفى ليضمن بذلك استمرارها فى أداء وظيفتها التى أنشئت من أجلها وعدم توقفها عن هذه الرسالة.

منشىء الخانقاة :

منشىء هذه الخانقاة هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال ابن عبد الله العلائى الظاهرى الذى عرف بالأجرود (ربما لعدم وجود شعر فى لحيته) وهو السلطان الثانى عشر من ملوك الجراكسة بمصر، كان فى بداية أمره مملركا جلبه – مع أخ أكبر له يسمى طوخا – تاجر يدعى علاء الدين، فاشتراهما الظاهر برقوق من جالبهما وأعتق طوخا ونقل إينال لخدمة ولده الناصر فرج فأعتقه وصار فى أواخر دولته خاصكيا إلى أن تأمر عشرة فى دولة المظفر أحمد بن الناصر فرج على يد الأمير الكبير قطز فى أوائل سنة (٨٢٤هـ).[٢٦٤]

ثم صار أمير طلبخاناه فى أوائل دولة الأشرف برسباى سنة (٨٢٥هـ)، فرأس نوبة ثان بعد انتقال قانى بك الأبوبكرى إلى تقدمه الف، ثم نقل إلى نيابة غزة بعد عزل الأمير تمراز القرشى، وسافر مع الأشرف برسباى سنة (٨٣٦هـ) إلى آمد والرها وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف فظل على هذا الوضع حتى استبد له الأشرف من نيابة الرها بالأمير شاد بك الحاكمى، واستقدم إينال إلى القاهرة فظل بها على ما بيده من تقدمة ألف إلى أن خلع عليه الأشرف سنة (٨٤٠) نيابة صفد فاستمر إينال فى نيابتها حتى ولى الظاهر جقمق فطلبه سنة (٨٤٣هـ) إلى القاهرة وجعله من جملة أمراء الألوف ثم نقله إلى الدوادرية الكبرى بعد موت تغرى بردى المؤذى سنة (٨٦هـ) فباشرها حتى نقله الظاهر جقمق إلى اتابكية العساكر – كما يقول ابن تغرى بردى – دفعة واحدة بعد موت يشبك السودونى سنة (٨٤٩هـ).[٤٦٥]

وظل إينال أتابك العسكر إلى أن مات الظاهر جقمق وخلعه ابنه العزيز عثمان فوقعت الفتنة بينه وبين إينال عندما ثار الجند على الملك الجديد واتفقوا على تولية إينال السلطنة سنة (٨٥٧هـ/١٥٣م)، فبدا للمماليك الجقمقية ما دبره إينال لابن استاذهم (العزيز عثمان) وأرادوا محاربته فتجهز إينال لحربهم ونزل من القلعة إلى باب السلسلة وناوشهم بالسهام حتى تكاثرت المماليك السلطانية حوله فأجهز عليهم مرة واحدة حتى بدد شملهم، ولما انتهت الواقعة أمسك إينال جماعة من المماليك الظاهرية (جقمق) ونفى بعضهم فخلا له الأمر وملك الديار المصرية فى يوم الأحد سابع شهر ربيع الأول سنة (٨٥٧هـ)،(٤٦٦) وقد حضر توليته الخليفة وكان يومئذ هو القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة كما حضر القضاة الأربعة وسائر أمراء الدولة وبويع بالسلطنة فى بيت قوصون ولقب بالملك الأشرف ولبس الخلعة من الأسطبل السلطانى ومشى حتى ركب فرس النوبة بأبهة السلطنة وشعار الملك وسار حتى وصل إلى القصر فنزل عن فرسه ودخله وجلس بإيوانه على تخت الملك.(٤٦٧)

وانفق إينال بعد سلطنته كثيرا من النفقات والهبات على المماليك ووزع الوظائف ثم قبض على عدد من المماليك الظاهرية وحبسهم بالقلعة ثم خلع على ابن النجار القبطى واستقر به ناظر الدولة،(٤٦٨) وفى عهده نودى باسمه على الذهب بأن يكون سعر الدينار بثلاثمائة درهم نقرة وسعر الدرهم من الفضة الطيبة التى رسم السلطان بضربها بأربعة وعشرين درهم نقرة.(٤٦٩)

وظل إينال سلطانا للبلاد حتى مرض وطلع عليه أكابر الأمراء فألمح اليهم برغبته فى العهد بالسلطنة لولده أحمد وجميعهم سكوت بين يديه حتى انفض مجلسهم على ذلك فلم يجد هو بدا من خلع نفسه لابنه المذكور فى منتصف جمادى الأولى سنة (٨٦٥هـ) ثم فاضت روحه إلى بارئها بعد هذا الخلع بيوم واحد وعمره يقرب الثمانين فجهز من وقته وغسل وكفن وصلى عليه بباب القلعة ودفن من يومه بتربته التى أنشأها بالصحراء وهى الخانقاة التى بين أيدينا فكانت مدة ولايته ثمان سنين وشهرين وستة أيام.(٤٧٠)

ومن حسنات الأشرف إينال – كما يقول القاضى مجير الدين الحنبلى – إهداءه للمصحف الشريف الذى وضعه بالمسجد الأقصى بالقدس ورتب له قارئا ووقف عليه جهة وقف وكسى الأضرحة الشريفة بالستور المزركسة.(٤٧١)

٤ – موظفو الخانقاة :

أمدنا كل من ابن حجر العسقلانى والسخاوى ببعض تراجم موظفى هذه الخانقاة، ويمكن القول – من خلال ما أمكن الوقوف عليه من هذه التراجم– أن هؤلاء كان منهم :

١– شيخ الخانقاة :

٢– إمام الخانقاة :

٣– مدرسو الخانقاة:

٤– صوفية الخانقاة:

١ – شيخ الخانقاة :

لم نقف من شيوخ هذه الخانقاة إلا على ما ذكره السخاوى فى القرن (٩هـ/١٥م) حين ترجم لاثنين من هؤلاء الشيوخ أولهما هو إبراهيم بن على بن يزيد برهان الدين الطائى الأبناسى الأصل الختانى القاهرى الشافعى الذى عرف بالأبناسى ولد بأم ختان من المنوفية وقدم القاهرة فحفظ القرآن وحضر الدروس إلى أن ناب عن ناصر الدين بن أصيل فى التوقيع عن المؤيد أحمد فى أيام سلطنة أبيه الأشرف إينال واختص به إلى أن استقر فى مشيخة تربة والده حتى مات فى جمادى الثانية سنة ثلاث وسبعين وقد جاوز الخمسين.(٤٧٢)

وثانيهما هو أحمد بن أبراهيم بن محمد الشهاب الأبناسى الصحراوى الشافعى قال عنه السخاوى أنه كان خيرا ساكنا متكرما، قرأ عليه (أى على السخاوى) بعض البخارى وولى مشيخة الصوفية بتربة الأشرف إينال شركة لأخيه ولى الدين المشار إليه، مات فى تاسع صفر سنة تسع وثمانين عقب قدومه من الحج،(٤٧٣) ومن قوله «وولى مشيخة الصوفية بتربة الأشرف إينال شركة لأخيه ولى الدين» يتضح أن مشيخة الخوانق كانت تسند بالمناصفة أحيانا بين شيخين.

٢ – إمام الخانقاة :

ترك لنا السخاوى فى ضوئه اللامع ترجمة واحد من أئمة هذه الخانقاة حين قال أن أحمد بن سليمان بن عيسى البدماصى (نسبة إلى بدماص من الشرقية) ثم القاهرى الحنفى كان نزيل الإينالية وإمامها وكان شيخا معمرا من أهل القرآن،(٤٧٤) ومن قوله «كان نزيل الإينالية وإمامها» يتضح أن نزلاء الخانقاوات أو صوفيتها كانوا كثيرا ما يصلون إلى تقلد بعض الوظائف الدينية العليا.

٣ – مدرسوا الخانقاة :

لم نعثر فيما أمكن الوقوف عليه من تراجم مدرسى المذاهب بهذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى أيضا هى ترجمة ابراهيم بن عبد الرحمن ابن اسماعيل بن الزين المقرى بن هريرة ولد فى تاسع رمضان سنة (٨٣٥هـ) فدرس واشتغل حتى ولى تدريس الإينالية.(٤٧٥)

٤ – صوفية الخانقاة :

يتضح مما أشار إليه السخاوى فى ترجمة أحمد بن سليمان بن عيسى البدماصى القاهرى الحنفى المشار اليه فى أئمة الخانقاة أن هذا الإمام كان أول أمره نزيلا بالإينالية، يدل على ذلك قوله «نزيل الإينالية وإمامها» وكان –كما قال– شيخا معمرا من أهل القرآن مات وقد أضر».(٤٧٦)

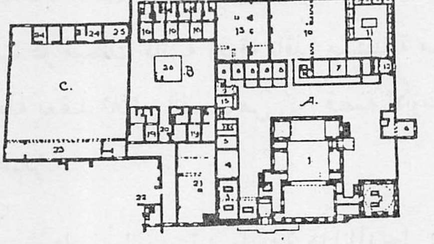

لوحة ٤٠ الخانقاة الاشرفية (اينال) – اثر رقم ١٥٨ (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) مسقط افقى

٥– وصف الخانقاة : (انظر لوحة ٤٠، شكل ٤٧)

تقع بقايا هذه الخانقاة ضمن مجموعة الأشرف إينال الكائنة بالشارع المعروف باسمه فى صحراء المماليك، وهى مقامة على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد بمعنى أنها

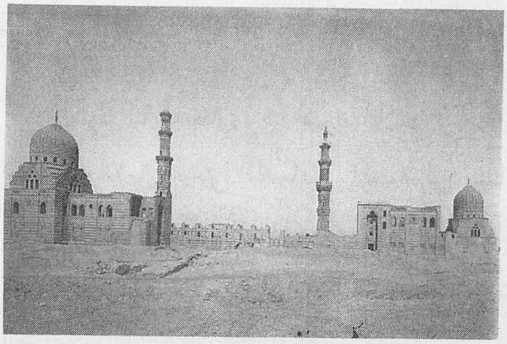

شكل ٤٧ : الخانقاة الاشرفية (اينال) – اثر رقم ١٥٨ (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) منظر عام

تتكون من أربعة إيونات متعامدة على صحن يفتح عليه كل من الإيوانين الشرقى والغربى بعقد واحد على هيئة حدوة الفرس بينما يفتح عليه كل من الإيوانين الشمالى والجنوبى بعقد واحد على هيئة نصف دائرية ممتدة، وتقوم هذه المدرسة الخانقاة على مجموعة سفلية من الحواصل تضيفها إلى عداد الآثار المعلقة بمصر كمسجد الصالح طلائع ومدرسة القاضى أبو بكر مزهر ومسجد الست مسكة وغيرها،[٤٧٧] وعلى ذلك فهى تتكون من مدرسة خانقاة لها مدخل خلفه دور قاعة تتعامد عليها أربعة إيونات مع قاعة للخطابة ومساكن للصوفية ومطبخ ودورة مياه وحظائر للدواب ومقصورة ومقعد وسبيل وضريح وفيما يلى وصف أثرى لما بقى منها :

أ – الواجهة الشمالية والمدخل الفرعى :

تقع هذه الواجهة فى الناحية الشمالية للخانقاة وتمتد إلى مسافة (٣٢ر٩٠) متر نصفها الغربى مجدد ونصفها الشرقى مصمط تعلوه شرافات على شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص، ويتوسط هذه الواجهة مدخل فرعى يقع داخل دخلة عرضها (٢ر٨٥) متر وعمقها (ر٨٥) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (ر٨٥) متر وعرضها (ر٧٠) متر، الشرقية منهما متهدمة، أما المدخل فعرضه (١ر٠) متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة يحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية وفوقه نافذة مستطيلة مسدودة حاليا يحدها نفس الجفت اللاعب، وتنتهى الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص زين فصه الأوسط بزخرفة حجرية مشعة لونت باللونين الأحمر والأصفر.

وعلى جانبى عقد واجهة هذا المدخل توجد تربيعتان كتابيتان تشتملان على نص إنشاء الخانقاة مكتوبا بخط النسخ البارز نقرأ فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة

وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)(٤٧٨)... المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله بتاريخ عام ستون وثمانمائة.»

٢- السبيل :

يقع هذا السبيل إلى الشرق من المدخل المشار إليه وله بروز على الشارع طوله (٥ر١٥) متر وعرضه (٥ر٣٠) متر بكل واجهة من واجهاته الثلاثة (الشرقية والغربية والشمالية) كانت توجد ثلاثة شبابيك متشابهة عرض كل منها (١ر٥٥) متر يعلوها عتب من قطعة حجرية واحدة عليه كتابات نسخية بارزة وفوقه عقد عاتق، وتبدأ الكتابات فى عتب الشباك الشرقى بالبسملة ثم قوله تعالى «إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا»(٤٧٩) وفى عتب الشباك الشمالى بقوله تعالى «وسقاهم ربهم شرابا طهورا صدق الله العظيم.»(٤٨٠)

٣- دركاة المدخل الفرعى :

يؤدى المدخل الفرعى المشار إليه إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤ر١٠) متر وعرضها (٣ر٦٠) متر كان يغطيها سقف ضاعت معالمه، فى صدرها مصطبة مستطيلة عرضها (١ر٦٥) متر وارتفاعا (ر٦٠) متر، وفى جدارها الغربى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (ر٨٥) متر وعمقها (ر٣٥) متر ومدخل يؤدى إلى دورة مياه متخربة، وفى جدارها الشرقى بالإضافة إلى الدخلتين المتشابهتين فتحتا بابين عرض كل منهما (١ر١٠) متر فوق كل منهما عقد نصف دائرى ممتد يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية يؤدى أحدهما إلى ممر مستطيل به فى الناحية الغربية باب يفضى إلى مساحة مستطيلة متهدمة طولها (١٤ر٨٠) متر وعرضها (٣ر٥٠) متر فى جدارها الجنوبى مدخل عرضه (ر٩٠) متر متهدم من أعلى يؤدى إلى حاصل صغير مستطيل طوله (١ر٥٥) متر وعرضه (١ر١٥) متر سقفه متهدم.

وفى جدارها الشمالى مدخل آخر يؤدى إلى حجرة مستطيلة كانت تقع خلف مصطبة الدركاة، ويتقدم هذه الحجرة من الناحية الشرقية ممر مستطيل ذو سقف نصف اسطوانى به أمام مدخلى الحجرة والمصطبة أقبية متقاطعة، وفى نهايته من الناحية الشمالية قبو مروحى، كذلك نجد فى بداية الجدار الشرقى لهذا الممر من الناحية الشمالية مدخل صغير كان يفضى إلى هذا الممر

الفرعي من الممر الرئيسى لمدخل الخانقاة.

٤ - خلوات الصوفية :

كان لهذه الخلوات مدخلان يفضى إلى أولهما من ممر مدخل الخانقاة المشار إليه ويفضى إلى الثانى من الركن الشرقى للجدار الشمالى للحوش الفاصل بين خانقاتى أمير كبير واينال، وكانت هذه الخلوات تتكون من ثلاثة أدوار تخربت فى الدورين الثانى والثالث تماما ولم يبق منها فى هذين الدورين إلا الأجزاء السفلية لجدران خمس خلوات، أما الدور الأول فيبدأ من الناحية الجنوبية بخلوة مستطيلة طولها (٣٫٦٠) متر وعرضها (٣) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو متقاطع فى جداريها الغربى والجنوبى نافذتان مستطيلتان أشبه بالمزاغل، وفى جدارها الشمالى دخلتان متشابهتان عرض كل منها (٠٫٦٠) متر وعمقها (٠٫٢٥) متر، وباب هذه الخلوة عرضه (٠٫٩٠) متر يعلوه عتب حجرى مستو وأمامه فى الناحية الشرقية مدخل آخر عرضه (٠٫٨٠) متر ذو عتب حجرى مستو أيضا يؤدى إلى دورة مياه متهدمة.

أما السلم الذى كان يؤدى إلى الدورين الثانى والثالث لخلوات هذه الخانقاة فكان يقع على يسار مدخل الخلوة المشار إليها إلا أنه مسدود الآن، وإلى الشمال من هذه الخلوة توجد خلوة ثانية مستطيلة الشكل يغطيها قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشمالى والجنوبى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٠٫٦٠) متر وعمقها (٠٫٢٥) متر، ويشبه مدخل هذه الخلوة مدخل الخلوة السابقة.

والى الشمال من الخلوة الثانية توجد ثلاث خلوات أخرى متشابهة تماما تقع على محور واحد كل منها عبارة عن مستطيل بنفس مقاسات الخلوات السابقة يغطيه قبو نصف اسطوانى، فى جدارها الغربى نافذة مستطيلة على شكل مزغلة، وفى جداريها الشمالى والجنوبى دخلتان تشبهان الدخلات فى الخلوتين السابقتين أيضا إلا أنه يتقدم كل من هذه الخلوات الثلاث من الناحية الشرقية رحبة مستطيلة الشكل طولها (٢٫٩٠) متر وعرضها (١٫٩٠) متر يغطيها قبو نصف اسطوانى غير كامل.

والى الشمال من الخلوة الخامسة يوجد مدخل عرضه (١٫١٠) متر يعلوه عقد نصف

دائرى يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويؤدى هذا المدخل إلى ممر مستطيل طوله (٦٫٨٥) متر وعرضه (١٫٤٥) فى جداره الغربى مدخل صغير عرضه (٫٩٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد، يفضى إلى المطبخ وإلى باب القاعة.

أما المدخل الجنوبى السابق الإشارة إليه فيؤدى إلى دركاة مستطيلة طولها (٣٫٤٥) متر وعرضها (٢٫٩٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو متقاطع فى صدرها مصطبة طولها (٢٫٧٠) متر وعمقها (١٫٤٥) متر وارتفاعها (٫٥٠) متر ذات عقد ثلاثى الفصوص تزينه من أعلى حطة واحدة من مقرنصات مضلعة ذات زوايا ومن أسفل مقرنصات مقعرة ذات دلايات.

وعلى جانبى هذه المصطبة توجد دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٫٨٥) متر وعمقها (٫٣٥) متر فى وسط جدارها الشمالى شباك مستطيل عرضه (١) متر فوقه عتب حجرى مستو، أما جدار هذه الدركاة الشرقى فبه دخلة مستطيلة عرضها (٫٥٥) متر وعمقها (٫٣٥) متر إلى الشمال منها مدخل عرضه (١٫٤٥) متر يغطيه عقد نصف دائرى ممتد يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويفضى هذا المدخل إلى رحبة ثانية مستطيلة الشكل أيضا طولها (٣٫٤٥) متر وعرضها (٫٨٠) متر يغطيها سقف من أقبية متقاطعة فى الركن الشرقى من جدارها الجنوبى مدخل عرضه (٫٩٠) متر ذو عتب مستو كان يؤدى إلى السلم الذى يصعد منه إلى الدورين الثانى والثالث لخلوات هذه الناحية.

وفى جدار هذه الدركاة الشرقى مدخل آخر عرضه (١٫١٠) متر ذو عقد مشمور يؤدى إلى ممر ذو انكسارين يتجه أولهما ناحية الجنوب ويغطيه قبو نصف اسطوانى فى جداره الشمالى نافذة مستطيلة على شكل مزغلة يقابلها فى الناحية الجنوبية نافذة أخرى مشابهة لها، أما الإنكسار الثانى فيتجه ناحية الشمال وكان يغطيه قبو نصف اسطوانى وينتهى هذا الإنكسار بدورة مياه صغيرة عرضها (٫٩٥) متر وعمقها (٢٫١٠) متر سقفها متهدم.

أما باب الدركاة الأولى المطل على الحوش فهو يؤدى إلى ثلاث خلوات تقع فى الناحية الشرقية من الحوش، وكلها خلوات متشابهة يؤدى إلى كل منها مدخل عرضه (٫٩٠) متر ذو عتب حجرى مستو يفضى إلى رحبة مستطيلة طولها (٣٫٦٠) متر وعرضها (٢٫٥٠) متر يغطيها

سقف نصف اسطوانى، كان فى بدايته من الناحية الجنوبية سلم يصعد منه إلى الخلوتين أعلاها فى الدورين الثانى والثالث إلا أن هذا السلم غير موجود الآن.

وفى جدار هذه الرحبة الشرقى مدخل عرضه (٩٥ر) متر ذو عتب خشبى يؤدى إلى خلوة مستطيلة الشكل طولها (٤ر٠) متر وعرضها (٢ر٩٠) متر يغطيها سقف نصف اسطوانى فى جدارها الشرقى نافذة مستطيلة على شكل مزغلة اسفلها دخلة طولها (٥٣ر) متر وعرضها (٢٧ر) متر، أما أرضيات هذه الخلوات كلها فكانت من بلاط معصرانى كبير، وجدير بالذكر أن سقف رحبتى الخلوتين الثانية والثالثة الواقعتين إلى الجنوب من الخلوة التى بين أيدينا متهدم وكذلك الحال بالنسبة للواجهة.

ب – الواجهة الرئيسية والمدخل : (انظر شكل ٤٨)

تقع الواجهة الرئيسية لهذه المدرسة الخانقاة فى الناحية الشرقية وطولها (٤٤ر٩٠) متر بها فى الجانب الشمالى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٤ر٢٥) متر وعمقها (٢٥ر) متر فى كل منهما من أسفل شباكان مستطيلان يعلو كل منهما عتب حجرى تزينه زخارف نباتية ثلاثية الفصوص فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة وأسفلهما صنجات حجرية مزررة، يعلوهما شباكان مستطيلان آخران، وتنتهى الدخلة بمقرنصات غائرة ذات دلايات، أما المنطقة فيما بين الدخلتين فبها قمرية دائرية يحدها مربع إطاره عبارة عن جفت لاعب ذو ميمات دائرية بداخله شكل بخارية.

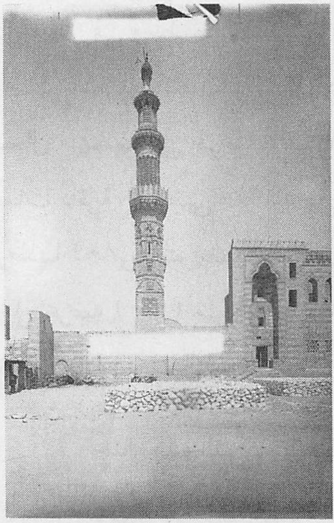

شكل ٤٨ الخانقاة الاشرفية (اينال) – الواجهة الشرقية والمدخل والمئذنة

ويلى الدخلة الثانية فى الواجهة المشار إليها من الناحية الجنوبية الشرقية دخلة ثالثة بها المدخل الرئيسى عرضها (٣ر٣٠) متر وعمقها (٢ر٤٠) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٧٠ر) متر وارتفاعها (١ر١٠) متر يحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما الباب

ذاته فعرضه (٤٥ر١) متر يعلوه عتب خشبى فوقه نافذة مستطيلة الشكل توجد داخل دخلة تعلوها مقرنصات من ثلاث حطات وعلى جانبى مقرنصات هذه الدخلة يوجد رنكان للمنشئ يعلوهما شريط من كتابات نسخية نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا. صدق الله العظيم».(٤٨١)

وفوق هذه النافذة نافذة ثانية مستطيلة تقع داخل دخلة ذات عقد نصف دائرى، وتنتهى دخلة هذا المدخل بعقد ثلاثى الفصوص فى فصيه السفليين بأربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

وعلى جانبى هذا المدخل يوجد إزاران كتابيان أحدهما سفلى خال من الكتابات تماما والآخر علوى نص كتاباته فى الجانب الأيمن :

«بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر (وباقى الكتابات مفقود تماما.(٤٨٢) أما نصها فى الجانب الأيسر فهو: «المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله بتاريخ عام ستون وثمانمائة».

دركاة المدخل :

يؤدى المدخل الرئيسى المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طول ضلعها (١٠ر٢) متر كان يغطيها سقف خشبى غير موجود، كانت تقوم فى أركانه الأربعة مقرنصات خشبية على شكل عقد ثلاثى الفصوص، وفى صدر هذه الدركاة مصطبة حجرية عرضها (٤٠ر٢) متر وعمقها (١٠ر١) متر كان يغطيها نفس السقف المشار إليه من غير مقرنصات فى أسفلها خزانة صغيرة تذكرنا بالخزانة الموجودة أسفل مصطبة دركاة الأشرفية برسباى بالتربيعة، وفى جداريها الشمالى والجنوبى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٠ر) متر وعمقها (١٠ر) متر يضاف إلى ذلك فى الجدار الشمالى أيضا مدخل عرضه (٦٠ر١) متر ذو عقد نصف دائرى يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية على أبعاد منتظمة تتبادل أحجاره المشهرة اللونين الأبيض والأسود.

ويؤدى هذا المدخل إلى ممر ذو انكسارين يتجه أولهما ناحية الغرب فى جداره الشرقى مدخل صغير عرضه (٨٠ر) متر يعلوه عقد مدبب يؤدى إلى حجرة صغيرة مستطيلة الشكل طولها (١٠ر٢) متر وعرضها (٥٠ر١) متر كان يغطيها سقف خشبى غير موجود، وفى جدارهاالجنوبى دخلة عرضها (٦٠ر) متر وعمقها (٦٠ر) متر يقابلها فى الجدار الشمالى مدخل آخر عرضه (١) متر يؤدى إلى صحن المدرسة.

وفى جدار هذا الممر الشمالى يوجد شباك عرضه (٤٥ر١) متر عمقه (١٠ر١) متر يعلوه من الخارج عتب حجرى مستو ومن الداخل (على الصحن) عقد نصف دائرى ممتد، وفى جداره الجنوبى ممر مستطيل طوله (٣٠ر٢) متر وعرضه (٠٨ر١) متر كان يفضى إليه من مدخل عرضه (٩٠ر) متر يعلوه عتب حجرى كان يربط بين المدرسة والخانقاة، والى الغرب من هذا الممر يوجد مدخل عرضه (٩٥ر١) متر ذو عتب حجرى مستو كان يؤدى إلى السلم الذى يصعد منه إلى سطح المدرسة.

وينتهى هذا الانكسار الجنوبى بالمزيرة وتقع داخل دخلة عرضها (٥٠ر٢) متر وعمقها (٨٠ر١) متر كان يتقدمها سياج من خشب الخرط وكان يغطيها سقف خشبى غير موجود ، أما الجدار الجنوبى لهذا الممر ففيه شباك مستطيل الشكل، ثم ينكسر الممر ناحية الشمال بطول (١٠ر٢) متر وينتهى بفتحة باب عرضها (٤٥ر١) متر تؤدى إلى صحن الخانقاة.

الصحن :

مستطيل الشكل طوله (٥٠ر٢٠) متر وعرضه (٥٠ر١٠) متر كانت أرضيته مفروشة بالرخام الملون، وكان يغطيه سقف خشبى غير موجود، وعلى جانبى عقدى الإيوانين الشمالى والجنوبى فى هذا الصحن نجد دخلتان متشابهتان كل منهما عبارة عن حنية ذات عقد مدبب يحمله عمودان دائريان لكل منهما قاعدة وتاج كمثرى الشكل، فى داخلها دخلة أخرى مستطيلة الشكل يعلوها عقد على شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص، أما زخارف عقد الدخلة فهى عبارة

عن زخرفة مشعة باللونين الأحمر والأبيض، هذا ويحيط بكل من العقود الأربعة للإيوانات فى واجهاتها المطلة على الصحن جفت لاعب ذو ميمات دائرية تنتهى من أعلى (فوق كل عقد) بصرة على شكل بخارية.

الإيوان الشرقى :

يشغل هذا الإيوان مساحة مستطيلة طولها (٢١,٣٥) متر وعرضها (٨,٣٠) متر كان يغطيها سقف خشبى غير موجود، يتوسط جداره الشرقى محراب عبارة عن حنية عرضها (١,٢٥) متر وعمقها (٠,٨٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى متراجع كان يكتنفها عمودان غير موجودين الآن.

أما زخارف هذا المحراب فهى من أسفل عبارة عن وزرة من أشرطة رخامية رأسية يعلوها شريط من سبع أشكال لمحاريب صغيرة ضاعت معظم معالمها، يلى ذلك شريط من كتابات نسخية نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره. صدق الله العظيم».(٤٨٣)

ويعلو هذا الشريط الكتابى زخارف لخطوط بارزة متداخلة تكون أشكالا هندسية مختلفة تعلوها طاقية العقد وهى ذات زخارف هندسية من خطوط متداخلة أيضاً.

وعلى جانبى هذا المحراب توجد أربع شبابيك متشابهة عرض كل منها (١,٤٥) يعلوها عقد نصف دائرى ممتد ضاعت معالمها وسدت بقوالب من الطوب الحديث، وكان يجاور المحراب منبر خشبى من عمل المنشئ بأعلاه قبة خشبية يتوجها هلال من النحاس.

أما الجدار الجنوبى لهذا الإيوان فبه من الناحية الشرقية المدخل الذى سبقت الإشارة اليه عند الحديث عن الإنكسار الأول لممر المدخل الرئيسى، يليه شباك سبقت الإشارة إليه أيضا، وفى نهاية هذا الجدار (الجنوبى) دخلة عرضها (٠,٩٥) متر وعمقها (٠,٨٠) متر ذات سقف حجرى مستو يغلب على الظن أنها كانت كتبية.

ويقابل هذه الفتحات الثلاث فى الجدار الشمالى ثلاث فتحات أخرى : الشرقية كتبية عرضها (١) متر وعمقها (٥٠ر) متر والوسطى عرضها (١) متر وتؤدى إلى ممر مستطيل يفضى إلى مدخل صغير يؤدى إلى القبة الضريحية، أما الفتحة الثالثة فعرضها (١) متر وتؤدى إلى حاصل صغير سقفه غير موجود، ويعلو كل فتحة من هذه الفتحات الثلاث فى جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى ست فتحات أخرى عبارة عن صفين من النوافذ المستطيلة.

ويعلو الشبابيك الأربعة الكائنة على جانبى المحراب فى جدار القبلة أربعة شبابيك أخرى كل منها مستطيل الشكل ذو عقد نصف دائرى ممتد بينهما فوق المحراب قمرية دائرية، هذا ويحيط بجدران هذا الإيوان الشرقى والشمالى والجنوبى شريط من الكتابات النسخية نصه :

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما، وينصرك الله نصرا عزيزا، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما، ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا، ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما»(٤٨٤) وفى وسط هذا الشريط الكتابى أعلى زاوية عقد المحراب نقش رنك المنشئ (الملك الأشرف. أبو النصر إينال. عز نصره)، وكان يحيط بجدران هذا الإيوان من أسفل وكذا باقى الإيوان وزرة رخامية ضاعت معالمها.

الإيوان الغربى :

هذا الإيوان مستطيل الشكل طوله (٧٥ر٨) متر وعرضه (٩٠ر٥) متر كان يغطيه سقف خشبى غير موجود الآن، فى جداريه الشمالى والجنوبى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٤) متر وعمقها (٩٠ر٣) متر كان يغطيها هى الأخرى سقف خشبى غير موجود، بكل منهما شباك مستطيل عرضه (٥٠ر١) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد فوقه شباك آخر مستطيل أيضاً ذو عقد نصف دائرى ممتد كذلك.

أما الجدار الغربى لهذا الإيوان ففيه إلى جانب الكتبية المشار إليها ثلاثة شبابيك متشابهة السفلى فى الدخلتين الشمالية والجنوبية، إلا أن الدخلة الشمالية كان يتدلى عند أسفل السقف منها كرديان خشبيان ينتهى كل منهما بورقة نباتية ثلاثية الفصوص، وجدير بالذكر أن أرجل عقود هذا الإيوان ترتكز على دعامات بالجدران زخرفت واجهاتها من داخل العقد بحطات مختلفة من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

الإيوانان الشمالى والجنوبى (السدلتان)

هذان الإيوانان متشابهان تماما عرض كل منهما (٤٫٧٥) متر وعمقه (٣٫٣٠) متر بكل منهما كتبيتان متشابهتان بالجدارين الشرقى والغربى، أما الشباك الموجود فى الجدار الجنوبى لكل منهما فيشبه باقى الشبابيك، كذلك فقد كان بالإيوان الشمالى مدخلان يفضى أحدهما إلى حاصل مستطيل طوله (٢٫٩٠) متر وعرضه (١٫٤٠) متر ويفضى الآخر إلى مجاز مستطيل طوله (١٫٤٠) متر وعرضه (١٫١٠) متر كان فى نهايته باب سر للخانقاة يذكرنا بباب سر مدرسة وخانقاة أبوبكر مزهر بحارة برجوان بحى الجمالية.

المدخل الفرعى :

يقع هذا المدخل الفرعى فى الناحية الشمالية وكان يفضى إليه من الممر الواقع إلى الشرق من الخلاوى وهو عبارة عن دخلة عمقها (١٫٥٠) متر وعرضها (٣٫١٠) متر يعلوها عقد ثلاثى الفصوص زين الفصين السفليين منها بمقرنصات مقعرة ذات دلايات ويكتنف هذه الدخلة مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٫٧٠) متر وطولها (١٫٥٠) وارتفاعها (١٫١٠) متر يحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

وعلى جانبى هذا المدخل مستطيلان زخرفيان قوام زخارف كل منهما أوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية، ويعلو عتب هذا الباب عقد عاتق من صنج حجرية مزررة تتوسطه ورقة نباتية ثلاثية داخل شكل بيضاوى مكررة وعلى جانبى هذا العقد العاتق توجد تربيعتان متشابهتان زخارف كل منهما عبارة عن طبق نجمى، ثم يعلو العقد العاتق نافذة مستطيلة الشكل تقع داخل دخلة تنتهى

بعقد مقرنص يحمله عمودان مثمنان نقشت أضلاعهما بخطوط محزوزة متكسرة، وعلى جانبى عقد هذه الحنية توجد تربيعتان ثانيتان زخارف كل منهما عبارة عن خطوط بارزة متداخلة.

أما على جانبى هذا المدخل فقد نقش إزار من كتابات نسخية بارزة نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير(٤٨٥) أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا الإمام الأعظم(٤٨٦) السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال سلطان الإسلام والمسلمين .. .. وكان ابتداء عمارة المدرسة السعيدة فى شهر ذى القعدة الحرام وآخرها فى شهر ربيع الأول المبارك عام ستين وثمانمائة».

ومن المدخل الذى سبقت الإشارة إليه بإيوان القبلة يفضى إلى ممر مستطيل فى جداره الشرقى مدخل عرضه (٩٥ر) متر يؤدى إلى حجرة مستطيلة كان يغطيها سقف خشبى فى جدارها الشرقى شباك مستطيل ذو عقد نصف دائرى ممتد يشبه باقى الشبابيك على يساره كتبية تشبه أيضا باقى الكتبيات.

وفى جداره الغربى مدخل عرضه (٨٠ر) متر ذو عقد فارسى مدبب يؤدى إلى سلم هابط كان يؤدى إلى المنطقة الواقعة أمام القبة من الناحية الغربية، وفى جداره الشمالى مدخل عرضه (٩٥ر) متر يؤدى إلى الضريح.

الضريح :

هذا الضريح عبارة عن حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٧٫٢٠) متر تقوم فوقها قبة بصلية على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من سبع حطات من المقرنصات، زخارف عقد كل منها عبارة عن وحدة مشعة، وبين كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه توجد ثلاث نوافذ مستطيلة تعلوها ثلاث قمريات دائرية تزينها زخارف من زجاج ملون، أما رقبة القبة فبها ست عشرة نافذة مستطيلة تزينها زخارف من زجاج ملون أيضا.

ويحيط برقبة القبة من أعلى شريط من كتابات نسخية نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد) لله رب العالمين وأن ليس للإنسان إلا ما سعى صدق الله العظيم»(٤٨٧) كما يزين القبة من أعلى صرة دائرية بها بقايا كتابات نسخية وخطوط هندسية متداخلة.

وفى جدار هذه القبة الشرقى يوجد المحراب (انظر شكل ٤٨) وهو عبارة عن حنية عرضها (٩٠ر) متر وعمقها (٦٠ر) متر تزينها أطباق نجمية من أسفل وشريطين من كتابات نسخية من أعلا نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا.(٤٨٨)»

كذلك يزين طاقية المحراب من الداخل زخارف من تفريعات نباتية تتكون من أوراق وأنصاف مراوح كما هو الحال فى واجهة عقد المحراب وفى المثلثين على الجانبين، وكان يكتنف هذا المحراب عمودان غير موجودين الآن، أما جانبى هذا المحراب ففيهما شباكان متشابهان عرض كل منهما (٢٥ر١) متر وعمقه (١٠ر١) متر يعلوه عقد نصف دائرى إلا أنهما مسدودان كما هو الحال فى الشبابيك الثلاثة الكائنة فى جدار القبة الشمالى وكما فى الشباكين الأوسط والجنوبى الكائنان فى جدارها الغربى.

وتتوسط أرضية القبة تركيبتان حجريتان مستطيلتان طول الشرقية منهما (١٠ر٢) متر وعرضها (٥٠ر١) متر يعلوها أربعة شراهد نقشت عليها كتابات نسخية نقرأ منها فى التركيبة الشرقية .. .. .. فى الأولين والآخرين .. العالمين .. .. أنشأ هذا القبر المبارك .. .. » كما يزين جوانبها زخارف نباتية مختلفة، ويحيط بأركان هذه الجوانب شريط من أشكال بخاريات متكررة بداخلها أوراق نباتية .

أما التركيبة الغربية فطولها (٩٠ر١) متر وعرضها (٣٠ر١) متر تزين جوانبها من أعلى نفس الزخارف السابقة ويعلوها أيضا شاهدان أحدهما أمامى والآخر خلفى بهما كتابات نسخية

نقرأ فيها « العلائى الأشرف صلاح الدنيا والدين .. .. الملك .. .. من عام سبع وخمسين وثمانمائة».

كذلك ففى الركن الشمالى لهذه القبة باب آخر عرضه (١,٠٥) متر يعلوه عتب حجرى من قطعة واحدة نقشت عليه كتابة نسخية بارزة نصها :

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد تزينها أنصاف مراوح نخيلية، وكان يصعد إلى هذا الباب من سلم يفضى إليه من ممر مدخل الخانقاة.

المئذنة : (راجع شكل ٤٨)

توجد هذه المئذنة فى الجانب الأيسر من الواجهة وتقوم على قاعدة مربعة زين جداريها الشرقى والغربى بتربيعتين من خطوط متداخلة وتتكون من ثلاث دورات أولاها مثمنة البدن يزين كل ضلع من أضلاعها الثمانية دخلة يكتنفها عمودان دائريان يحملان عقدا مدببا زخرف بزخارف مضلعة فى بعض العقود وبزخارف مشعة فى بعضها الآخر، وفى الأركان الأربعة لهذه الدورة توجد أربع مزاغل أسفل كل منها شرفة بارزة تقوم على حطتين من المقرنصات وتعلوها دروة حجرية تختلف زخارفها من شرفة لأخرى، ويعلو هذه الدورة مقرنصات مقعرة ذات دلايات فوقها دروة من شقق حجرية مستطيلة زين بعضها بزخارف نباتية وزين بعضها الآخر بزخارف هندسية.

أما الدورة الثانية فهى ذات بدن اسطوانى تزينه خطوط متكسرة وتعلوها مقرنصات مضلعة ذات زوايا وتنتهى المئذنة بالدورة الثالثة وهى ذات بدن اسطوانى به ثمان فتحات يعلو كلا منها عقد على شكل ورقة ثلاثية الفصوص تقوم فوقها خوذة كمثرية.

وعلى الامتداد الشمالى لهذه الواجهة توجد الواجهة الشرقية للضريح وبها دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١,٢٥) متر وعمقها (٦٥ر) متر يعلوها عتب مستو من قطعة حجرية واحدة فوقه عقد عاتق، وتنتهى الدخلة بثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا كان بكل منها شباك مستطيل يطل على الشارع.

أما الواجهة الشمالية لهذه القبة فتشبه تماما الواجهة الشرقية بدخلتيها وبما فيها من شبابيك مسدودة إلا أنه يوجد على امتدادها وعلى امتداد الواجهة الشرقية أيضا شريط من كتابات نسخية نصها اعلى الواجهة الشمالية :

«بسم الله الرحمن الرحيم وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونى يا أولى الألباب».(٤٨٩)

وكان لهذه المدرسة الخانقاة مجموعة من الحظائر بالطرف الجنوبى للحوش القبلى تتكون – فى غالب الظن – من تسع حظائر لجياد الصوفية كانت تغطيها سقوف تتألف من أقبية حجرية متقاطعة ترتكز على أكتاف ودعائم، بالإضافة إلى حظيرة لبقر الساقية كان يعلوها مسكن لسواقها وكان يجاورها من الجنوب الشرقى حوض للدواب يعلوه رفرف من شرافات مزينة ومذهبة تتقدمه زلاقة يذكرنا بالحوض المماثل الذى أنشأه الأشرف قايتباى فى مدرسته الكائنة بنفس الموقع.

ليس هذا فقط وانما كان يتوسط الحوش المشار إليه حديقة باسقة، كما كان للخانقاة مطبخ لطعام شيوخها ومدرسيها وطلابها والقائمين على أمورها وفقا لما جرت عليه عادة هذا العصر، وكان هذا المطبخ مغطى – فى غالب الظن– بسقف جمالونى كما كان الحال فى مطبخ الصرغتمشية.

المقعد :

يقع هذا المقعد فى الجانب الجنوبى للحوش الشمالى وهو مستطيل الشكل طوله (٧) متر وعرضه (٥ر٤٠) متر له واجهة بحرية كانت تتقدمها بائكة لم يبق منها إلا معالم أرجلها وقد تميز هذا المقعد عن غيره من المقاعد المعروفة بتلك البائكة الحجرية، وتعلو أرضيته عن مستوى أرضية الحوش بمقدار (١) متر، وقد زود بغرفة خلفية مستطيلة الشكل طولها (٤ر٧٠) متر وعرضها (٣ر٢٠) متر ذات سقف مقبى بالحجر ولها شباك يطل على الحوش الشمالى، كما زود بما عرف «بالمبيت» وهو المكان الذى كان يخصص لسيدات القصر عند زيارة الضريح.

كذلك كان لهذه الخانقاة حوشان اشتمل أحدهما على ضريح للشيخ المغربى وعلى مقصورة لدفن سيدات قصر السلطان واشتمل الآخر على مجموعة الحواصل والحظائر وحوض الدواب والحديقة، كل هذا بالإضافة إلى مغتسل للموتى كان قائما بالجهة الجنوبية الشرقية من الميضأة.(٤٩٠)

٦ – ترميمات الخانقاة :

لقد أولت لجنة حفظ الآثار العربية هذه الخانقاة كثيرا من رعايتها واهتماماتها منذ سنة (١٨٨٥) وحتى سنة (١٩٠٨م) وأجرت فيها العديد من الإصلاحات والترميمات التى يمكن إيجازها فيما يلى :

ففى سنة (١٨٨٥) ورد بمحاضر اللجنة أن هذه الخانقاة خصها من أعمال الترميم والصلب التى تمت خلال سنة (١٨٨٤م) مبلغا قدره (٨ر٤٢٠)جنيه.(٤٩١)

وفى سنة (٨٨٦م) ورد بكراسة اللجنة عن هذه السنة أن ترميم منارة السلطان إينال بالصحراء قد تكلفت من ميزانية سنة (٨٨٥م) مبلغا قدره (١٠١ر٥٢٠)جنيه.(٤٩٢)

وفى سنة (٨٧–١٨٨٨م) ورد أنه قد صرف على أعمال ترميمية (لم تحدد بخانقاة السلطان إينال بالصحراء من ميزانية سنة (١٨٨٦) مبلغا قدره (٣٣ر٨٠)جنيه.(٤٩٣)

وفى سنة (١٨٨٩م) ورد أنه صرف على (أعمال لم تحدد) بمسجد إينال بالصحراء مبلغا قدره (٥٣ر–)جنيه وذلك من ميزانية ديوان عموم الأوقاف عن سنوات (٧٦، ٧٨، ١٨٨٨).(٤٩٤)

وفى سنة (١٨٩٤م) جاء فى كراسة اللجنة أن أعمالا حفظية بضريح إينال بالصحراء قد تكلفت مبلغا قدره (٤٠ر–)جنيه.(٤٩٥)

وفى سنة (١٨٩٥م) رخصت اللجنة بعمل ما يلزم من سد فتحات الشبابيك لمنع دخول اللصوص إلى داخل هذه الخانقاة وحددت لذلك مبلغا قدره (١٠ر–)جنيه.(٤٩٦)

وفى سنة (١٨٩٦م) قامت اللجنة بتكليف قلمها الفنى بعمل مقايسة لتنظيف وإصلاح الرباط وقف إينال (يعنى الخانقاة) إصلاحا مناسبا وكذا نقل الأتربة الموجودة بداخله وأمام بابه العمومى وقطع أرضية الحارة المسدودة التى كانت توصل إلى عتبة بابه القديم ولم يرد فى ذلك قيمة ما حدد لهذه الأعمال من الأموال.(٤٩٧)

وفى سنة (١٨٩٧م) ورد ما يفيد أن الأعمال المشار إليها فى سنة (١٨٩٦م) كانت قد تكلفت على حساب الأوقاف مبلغا قدره (–ر٢٠) جنيه،(٤٩٨) كذلك فقد ورد فى كراسة اللجنة عن هذه السنة (١٨٩٧م) أن خللا كان فى الناحية القبلية لهذه المدرسة الخانقاة واتضح من فحصه أن هذه الناحية كانت تتكون فى الأصل من عامود لايزال موجودا فى محله، ولكن جرت تكسيته بالبناء الفارغ وتحقق من الدلائل المعمارية والأثرية أن المنطقة التى كانت بين العامود وجزء المسجد الذى حول آنذاك إلى دكان كان فى الأصل هو سبيل المدرسة، ولكى يمكن إعادته إلى أصله رأى القومسيون إزالة عبوة البناء المشار إليها وسد الفراغ الذى بين العامود والحوائط بحاجز من خشب، كما رأى القومسيون أيضا ضرورة تنظيف بوابة المدرسة وواجهتها كلها لأنها كانت قد رشت بالجير رشا رديئا أساء إلى وضعها الأثرى.(٤٩٩)

وفى سنة (١٨٩٨م) ورد بكراسة اللجنة أنه لم يتيسر الحصول على الأحجار التى كان مقررا استعمالها فى عملية ترميم مدفن السلطان إينال بالصحراء وذلك لقطع فى الطريق الموصل إلى محجر فقرر القسم الفنى الاستعاضة عن هذه الأحجار بأحجار أخرى من المقابر بقيمة (٢٠٠ر٢) جنيه لكل حجر.(٥٠٠)

وفى سنة (١٨٩٩م) ورد بكراسة اللجنة أن أعمالا ترميمية (لم تحدد) بضريح السلطان إينال بالصحراء كانت قد تكلفت على حساب الأوقاف مبلغا قدره (–ر١٤٧) جنيه،(٥٠١) كذلك فقد ورد فى نفس السنة أن رباط وقف إينال (الخانقاة) قرر لأعمال ترميمية فيه (لم تحدد) مبلغا قدره (–ر٢٤٠) جنيه،(٥٠٢) وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على هذا الأثر فى تلك السنة هو مبلغ (–ر٣٨٧) جنيه.

وفى سنة (١٩٠٣م) ورد بكراسة اللجنة أن تربة السلطان إينال كانت قد أصبحت فى حالة سيئة بسبب بقاء بابها مفتوحا بشكل جعل عملية العبث بهذا الأثر قائمة حتى تهدم الكثير منه، ورأت اللجنة ضرورة عزل ناظرة الوقف لعدم كفاءتها فى الحفاظ على هذا الأثر الهام الذى سدت اللجنة نوافذه أكثر من مرة لمنع اللصوص من العبث به وبمسجد وخانقاة الأمير كبير المجاور.(٥٠٣)

ثم جاء أخيرا فى محاضر اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية الكراسة (١٩٥٤م–١٩٦١م) أن قبة السلطان إينال كانت عندما أدركتها هذه اللجنة مفككة الأحجار متحللة المونة وقد قامت المصلحة بترميمها وبلغت تكاليف هذا الترميم مبلغا قدره (–ر٥٩٠)جنيه.(٥٠٤)

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته لجنة حفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها على ترميمات هذا الأثر منذ سنة (١٨٨٤م) وحتى سنة (١٩٦١م) كانت قد بلغت مبلغا قدره(٩٨٠ر١٤٦٥)جنيه، وهو مبلغ لا يقارن على أية حال بما صرفته على كثير من الآثار الأخرى، وربما كان عذر اللجنة فى ذلك أن ناظرة الوقف لم تكن أمينة عليه مما كان له أكبر الأثر فى عدم القيام بما كانت تحتاج إليه هذه المنشأة من ترميم وإصلاح، وربما كان ذلك أيضا هو عين السبب الذى أدى إلى وصول هذا الأثر الهام إلينا بصورته الحالية المتدهورة.

٨ – الخانقاة الأشرفية قايتباى بالقرافة

٨٧٧-٨٧٩هـ/١٤٧٣-١٤٧٥م

أثر رقم ٩٩

تقع هذه الخانقاة بصحراء المماليك حيث القرافة الكبرى، بجوار ترب الأشرف برسباى وعبد الله المنوفى والزينى ابن مزهر صاحب ديوان الإنشاء لدولة الأشرف قايتباى وكاتب سره، وهى تتكون من مسجد ومدفن وخانقاة ومقعد وسبيل وكتاب وحوض وساقية، وهى من أشهر الأماكن الأثرية التى قل ألا يزورها قاصد القرافة.

وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من المادة التاريخية الأثرية المتعلقة بهذه الخانقاة فإنه يمكن الحديث عنها من خلال ست نقاط رئيسية هى :

١- تاريخ الخانقاة.

٢- أوقاف الخانقاة.

٣- منشئ الخانقاة.

٤- موظفو الخانقاة.

٥- وصف الخانقاة.

٦- ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة :

كانت المنطقة الممتدة من قلعة الجبل إلى العباسية الحالية ميدانا فسيحا أطلق عليه ميدان القبق وميدان العيد، ثم أخذ ملوك وأمراء الدولة المملوكية يبنون فيها منذ النصف الأول من القرن (٨هـ/١٤م) مساجدهم وخوانقهم وتربهم فبطل من ثم استعمال هذا الميدان وزادت أعمال بناء الترب فيه حتى سميت المنطقة خطأ باسم «مقابر الخلفاء» وهى تسمية جانبها التوفيق لأن مقابرها

تختص بسلاطين المماليك وأمرائهم، أما الخلفاء فلم يدفن منهم فيها أحد بل دفنوا بقبة أعدت لهم خلف مسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها سميت باسمهم ولازالت باقية حتى اليوم.(٥٠٥)

وقد ذكر على باشا مبارك أن الجامع الذى أنشأه الأشرف قايتباى بالصحراء من المساجد المملوكية التى تشتمل على كثير من الرخام الملون والنقوش، ومع أنه كان على غاية من إقامة الشعائر كثير الوظائف والمرتبات التى بينها كتاب وقفيته إلا أن شعائره صارت على عهده (أى عهد على باشا مبارك) فى القرن (١٣هـ/١٩م) قليلة الإقامة.(٥٠٦)

ورغم اشتمال هذه الخانقاة على كافة الخصائص المعمارية والزخرفية لعمارة عصر الدولة المملوكية بصفة عامة إلا أنها انفردت بخاصيتين أخريين ميزاها عن غيرها من عمائر هذه الدولة هما تناسب أجزائها ولاسيما القبة والمئذنة والسبيل والكتاب تناسبا جميلا، وروعة نقوشها وزخارفها الداخلية والخارجية(٥٠٧) فقد تنوعت رسوم الأرضيات الرخامية ورسوم السقوف الخشبية، وامتازت مئذنتها وقبتها بالرشاقة ودقة الزخرفة حتى أصبحت محط أنظار كل زائر لآثار مصر الإسلامية.(٥٠٨)

وما يجب الإشارة إليه أن هذه المنشأة لم تبق على ما كانت عليه وإنما اقتطعت منها أجزاء كثيرة بفعل عاديات الزمن، إذ كان يتصل بجدار الواجهة الرئيسية لها سور حجرى يمتد شمالا حتى حوش الدواب وحظائر وساقية الخانقاة ووحداتها السكنية.(٥٠٩)

٢ – أوقاف الخانقاة :

يبين ما ذكره ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/١٤م) وعلى باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) أن منشئ هذه الخانقاة كان قد أوقف عليها كثيرا من العقارات المبنية والأراضى الزراعية، ومن هذه العقارات سبيلا وصهريجا بسفح المقطم بخط الحجارين، وسبيلا ومكتبا وحانوتا وما فوقه بخط تحت الربع تجاه مسجد الحسنات والفتح، ودارا كبيرا بخط الباطلية وغيرها.

أما الأراضى الزراعية فقد ذكر على باشا مبارك أنها كانت تشتمل على أراض بالشرقية فى نواحى منشية ابن عنبر والبرادعة ومنزل حاتم ومنية يزيد، وبالغربية طمبيح ومصطاى وقرمان ومسلمون العمار وطرنيا والجوهرية وبلمشت وقويسنا وسديمة وشبين الكوم وبرك الحجر والمدار،

وأراض بالمنوفية فى نواحى منا وهل والسنطور ومنيل موسى وبنى عِمر والساحل ومنية القرعان وتلا، وأراض بالقليوبية فى نواحى تل بنى تميم ومنية الرخا وشبرى الأبراج والعطارة، وأراض بالجيزية فى ناحية أبى النمرس، وأراض بالوجه القبلى فى نواحى أرموه ودروط أم نخلة من أعمال الأشمونين وحاجر بنى سليمان والقايات من أعمال البهنسا.(٥١٠)

أما ابن الجيعان فى التحفة السنية فقد أشار إلى بعض أوقاف قايتباى بتفصيل أكبر حين قال :

برمكين :

مساحتها (١٣٦٩) فدانا وعبرتها (٣٠٠٠)دينار كانت باسم الأمير علمدار المحمدى ثم صارت فى القرن (٨هـ/١٤م) وقفا للأمير قايتباى.(٥١١)

سنبارة :

مساحتها (١٣٨٤) فدانا كانت عبرتها (٢٠٠٠)دينار ثم أصبحت بحق النصف، كانت باسم المقطعين ثم صارت وقفا للملك الأشرف قايتباى.(٥١٢)

قافلة :

مساحتها (٣٧٨٤) فدانا كانت عبرتها (٦٠٠٠)دينار ثم أصبحت بحق النصف، كانت باسم المقطعين ثم صارت وقفا للأشرف قايتباى.(٥١٣)

جلف :

مساحتها (١٠٥٠)فدانا وعبرتها (٤٥٠٠)دينار، كانت باسم كزل الأرغونى ثم صارت وقفا للأشرفية قايتباى.(٥١٤)

حاجر بنى سليمان :

مساحتها (١١٧٠)فدانا وعبرتها (٤٨٠٠)دينار، كان للمقطعين ثم صارت وقفا للأشرفية قايتباى.(٥١٥)

سوهاى :

مساحتها (٦٠٥١)فدانا وعبرتها (١٣٥٤٣)دينارا، كانت باسم المقطعين ثم صارت وقفا للأشرفية قايتباى.(٥١٦)

ومن هذا يتضح أن أوقاف السلطان قايتباى التى حددها ابن الجيعان مساحة وعبرة كانت ثلاثة عشر ألفا وأربعمائة وتسعة وثلاثون فدانا وكانت عبرتها ستة وعشرون ألفا وثمانمائة وثلاثة وأربعون دينارا سنويا بيانها كالتالى:

ناحية	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
برمكين	١٣٨٤	كانت٢٠٠٠ ثم صارت ١٠٠٠	التحفة السنية
قافلة	٣٧٨٤	كانت ٦٠٠٠ ثم صارت ٣٠٠٠	» »
جلف	١٠٥٠	٤٥٠٠	» »
حاجر بنى يوسف	١١٧٠	٤٨٠٠	» »
سوهاى	٦٠٥١	١٣٥٤٣	» »
الجملة		١٣٬٤٣٩	٢٦٬٨٤٣

كل ذلك بخلاف ما ذكره على باشا مبارك من أراض وعقارات لم يحدد لها مساحات ولا مدخولات، وفى هذا ما يشير صراحة إلى ثروة أوقاف هذه الخانقاة الهائلة، وهى ثروة كانت ضرورية لتتناسب مع العدد الغفير من الموظفين الذين كانوا قد تقرروا لمباشرة المهام المتعددة التى قررها لها الواقف.

٣ – منشىء الخانقاة :

منشئ هذه الخانقاة هو الملك الأشرف أبو النصر قايتباى المحمودى (نسبة إلى جالية الخواجا محمود بن رستم) الظاهرى (نسبة إلى معتقة الظاهر جقمق) الجركسى الحادى والأربعون من ملوك الترك بمصر والسادس عشر من ملوك الجراكسة، ولد سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٣م) وقدم إلى القاهرة مع تاجره محمود بن رستم سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)فاشتراه الأشرف برسباى منه بخمسين دينارا،(٥١٧)وظل بطبقة الطازية إلى أن اشتراه الظاهر جقمق فظل من مماليكه حتى أعتقه وجعله خاصكيا ثم داودارا ثالثا، ثم حدثت له محن فى أول أيام الدولة الأشرفية إينال فتراجع أمره واستمر على دواداريته إلى أن رقى لإمرة عشرة.(٥١٨)

فلما كانت سلطنة الظاهر خشقدم رقى قايتباى إلى أمير طلبخاناة وأسند إليه معها شد الشربخاناه، ثم نقل للتقدمة حتى صار برعاية يلباى الظاهرى رأس نوبة عوضا عن خشداشه أزبك من ططخ، فلما ولى الظاهر تمربغا جعله أتابك عسكره فظل على ذلك محفوفا بالفضل محاطا بالنعمة حتى بويع بالسلطنة بعد خلع الظاهر تمربغا يوم الأثنين سادس شهر رجب سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) فأقام فى السلطنة تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما – إلى أن توفى يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة سنة (٩٠١هـ/١٤٩٥م) ودفن بالتربة الملحقة بالمدرسة الخانقاة التى بين أيدينا وله من العمر نحو من ست وثمانين سنة.(٥١٩)

وكان ملكا جليلا دائم الحركة للأسفار فزار سوريا والفرات ومكة والمدينة وبيت المقدس والخليل وثغور دمياط والاسكندرية ورشيد وإدكو،(٥٢٠)وازدهرت العمارة الإسلامية فى عهده أيما ازدهار، فأهتم بالأبنية الحربية وأنشأ قلعة بالاسكندرية عاى أساس منارتها القديمة برشيد، وأهتم بالأبنية المدنية والخيرية فأنشأ المنازل والوكالات والأسبلة والأحواض وأهتم بالأبنية الدينية فأنشأ كثيرا من المساجد والمدارس ولاسيما مسجده بالروضة ومسجده بقلعة الكبش ومسجده وقبته بالصحراء، واهتم بتجديد وترميم الكثير من أبنية أسلافه الملوك والسلاطين، ولذلك قيل أنه قل أن يخلو حى من أحياء القاهرة ولا إقليم من أقاليمها إلا وله فيه أثر بارز.(٥٢١)

وامتازت العمارة الإسلامية فى عصره بكثير من الخصائص الهامة التى ميزتها، ولاسيما

استخدام الحجارة المنحوته فى الجدران الداخلية، وعناية المهندسين ببناء الأضرحة التى جعلوها جزءا هاما من البناء بعد ما كانت تبنى على عهد المماليك البحرية فى ركن غير ظاهر من المسجد أو المدرسة، كذلك فقد امتازت عمارته بالنقوش والزخارف التى ملأت العمارة كلها من الداخل والخارج بعد ما كانت على عهد المماليك البحرية تنحصر من حيث الزخارف الخارجية فى الباب والمئذنة، ليس هذا فقط بل لقد عملت الزخرفة فى عصر قايتباى نقشا على الحجارة نفسها بدلا من عملها بالجص أو الملاط كما كان الحال فى عصر الفاطميين ومن تلاهم، ولعل خير الأمثلة الدالة على ذلك، ذلك المنبر الفخم الذى عمله قايتباى بالخانقاة الناصرية فرج سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م)، وعلى الجملة فإنه يمكن مضاهاة قايتباى من حيث البناء والتشييد بعصر الناصر محمد بن قلاوون.(٥٢٢)

٤ – موظفو الخانقاة:

الواقع أننا لم نعثر فيما أتيح لنا الاطلاع عليه من كتب التراجم على ما نستطيع به الوقوف على بعض موظفى هذه الخانقاة وما أمكن معرفته إنما جاء فيما ذكره على باشا مبارك عند حديثه عن وقفية الجامع حيث قال طبقا لما ذكرته الوثيقة(٥٢٣) أن المنشئ كان قد قرر أربعين صوفيا مع شيخهم يحضرون بالقبة للقراءة والدعاء يوميا، وجعل لكل منهم خمسمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، وزاد لتسعة منهم (وهم قراء الصفة الستة وخادم الشيخ وخادم الربعة وكاتب الغيبة) خمسون درهما.

كذلك فقد قرر خمسة يقرأون المصاحف بالقبة وجعل لكل منهم مأتى درهم شهريا ورغيفان من الخبز يوميا، ولخازن الكتب كذلك، كما جعل لقارئ الحديث ثلثمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ومثله موقع الأوقاف، وجعل لمفرق الربعات الشريفة مائة وخمسين درهما شهريا ورغيفان يوميا، وللمبخر يوم الجمعة (بما فى ذلك ثمن البخور) ثلثمائة درهم شهريا ورغيفان يوميا، وجعل للطواشى خادم القبة ستمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، وللمعمار مائتى درهم شهريا ومثله المرخم، وجعل للسباك مائة وخمسين درهما، ولملاحظ الخدم ثلثمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولبواب المدخل الرئيسى ثلاثمائة درهم شهريا ورغيفين يوميا، ولبواب المدخل الفرعى مائتى درهم شهريا ورغيفين يوميا، ولسواق الساقية ستمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا،

ولأربعة فراشين بالقبة والجامع لكل منهم مائتين وخمسين درهما شهريا ورغيفان يوميا، ولكناس تجاه القبة والجامع والحوض كذلك، ولأثنين وقادين لكل منهما مائتان وخمسون درهما شهريا وثلاثة أرغفة يوميا.

كذلك فقد قرر بالمكتب الملحق بالقبة والمسجد عشرين يتيما وجعل لكل منهم مائة درهم شهريا ورغيفين يوميا، ولمؤدبهم أربعمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة وميا، وللعريف معه مائة درهم شهريا ورغيفين يوميا، كما جعل للمزملاتى بالسبيل الكبير خمسمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولمثله بالسبيل الصغير ثلثمائة درهم شهريا ورغيفين يوميا، وقرر فوق هذا وذاك توسعة لشيخ الصوفية فى شهر رمضان من كل عام ألف درهم، ولكل واحد من الأربعين صوفيا ثلاثمائة وخمسون درهما، وتوسعة أخرى لأرباب الوظائف الأخرى فى نفس الشهر ألفى درهم، وثمن بقرتين تذبحان تجاه القبة والجامع فى العيد الكبير ثمانية آلاف درهم، بالإضافة إلى توسعة ثالثة يوم عاشوراء لخدم الجامع مقدارها ألفى درهم.(٥٢٤)

ومن ذلك يتضح أن موظفى هذه الخانقاة كانوا ينقسمون إلى ثلاث طوائف رئيسية أولاها طائفة الوظائف الدينية، وثانيتهما طائفة الوظائف الخدمية، وثالثتها طائفة الوظائف الحرفية.

وقد شملت طائفة الوظائف الدينية :

١ – شيخ الصوفية.

٢ – اربعون صوفيا.

٣ – ستة قراء صفة.

٤ – قارئ حديث.

٥ – ناظر وقف.

٦ – مؤدب وعريف بالمكتب.

٧ – عشرون يتيما بالمكتب.

وشملت طائفة الوظائف الخدمية :

١ – كاتب غيبة.

٢ – خازن كتب.

٣ – مزملاتيان للسبيلين.

٤ – وقادان للحمام.

٥ – سواق للساقية.

٦ – بوابان للبابين الرئيسى والفرعى.

٧ – أربعة فراشين وكناس.

٨ – مبخر.

٩ – ثلاثة خدم (للربعات والشيخ والقبة)

١٠ – ملاحظ خدم

وشملت طائفةالوظائف الحرفية :

١ – معمار (لعمارة المنشأة)

٢ – مرخم (لرخامها)

٣ – سباك (لمرافق مياها)

٥ – وصف الخانقاة : (انظر لوحة ٤١)

تقع هذه الخانقاة ضمن مجموعة بنائية متكاملة للسلطان الأشرف قايتباى فى منطقة لازالت تعرف باسمه حتى اليوم بجوار قبة الشيخ عبد الله المنوفى وتعتبر هذه المجموعة من أجمل المجموعات البنائية فى عمارة مصر الإسلامية لتناسب جزئيات عمارتها بعضها مع بعض بدرجة لم تسبقها إليه مجموعة معمارية أخرى.

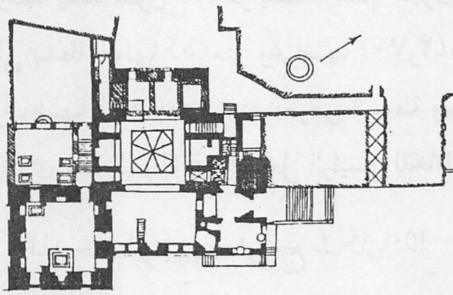

لوحة ٤١ : الخانقاة الاشرفية (قايتباى) – أثر رقم ٩٩ (٨٧٧ – ٨٧٩هـ/ ١٤٧٣ –١٤٧٥م) مسقط افقى (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

وقد لعبت دقة العمارة وجمال النسب مع تنوع زخارف الأرضيات الرخامية والأسقف الخشبية علاوة على مجموعة الشبابيك الجصية دورا هاما فى إبراز جمال هذا الأثر مما جعله واحدا من أهم عمائر المماليك فى مصر.

وتضم هذه المنشأة مدرسة خانقاة عملت على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد الذى يتكون من صحن أوسط تحيط به أربعة أيونات أكبرها إيوان القبلة، بالإضافة إلى قبة ضريحية للمنشئ وسبيل يعلوه كتاب، وللمدرسة بابان، أحدهما رئيسى فى الناحية الشرقية والآخر باب سر فى الناحية الشمالية الغربية، كما أن للمدرسة ثلاث واجهات ظاهرة وواجهة جنوبية غربية تلاصق أحد الأبنية الحديثة، وفيما يلى وصف أثرى كامل لعمارة هذه الخانقاة وزخارفها :

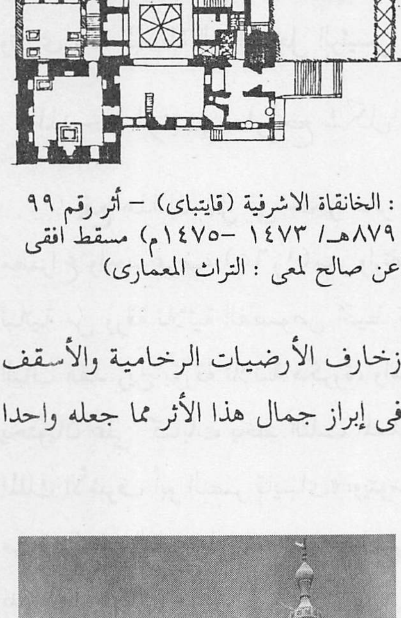

شكل ٥٠ : الخانقاة الاشرفية (قايتباى) – أثر رقم ٩٩ (٨٧٧–٨٧٩هـ/ ١٤٧٣–١٤٧٥م) الواجهة الشرقية والمدخل والقبة والمئذنة

١– الواجهة الشمالية الشرقية : (انظر شكل ٥٠)

تمثل هذه الواجهة الواجهة الرئيسية للمنشأة

وتمتد بطول (١٢ر٦٠)متر وتنقسم إلى ثلاثة أقسام تنحصر فى قسم أيمن به قاعدة المئذنة وقسم أوسط يمتد بطول (٥)متر يتقدمه سلم حجرى من مطلع واحد يتكون من اثنتى عشرة درجة يؤدى إلى بسطة طولها (٥)متر وعرضها (٢ر٧٠)متر على يسارها دروة رخامية ارتفاعها (ر٧٠)متر وعرضها (ر٩٠)متر تمتد بعرض البسطة وبها أربع شقق رخامية على جانبى كل منها بابتان وتؤدى هذه البسطة إلى المدخل الرئيسى للخانقاة، وقسم أيسر سيرد وصفه بعد قليل.

المدخل الرئيسى : (راجع شكل ٥٠)

يقع هذا المدخل فى حجر غائر عرضه (ر٨٠)متر وعمقه (ر٣٠)متر به باب خشبى من مصراع واحد عرضه (١ر٦٥)متر وارتفاعه (٣ر٥٠)متر تزينه جامة معدنية مخرمة ذات زخارف نباتية من ورقة ثلاثية الفصوص تحيط بها زوايا تنتهى بورقة ثلاثية الفصوص أيضا، أما إطار هذا الباب فقد زين بورقة ثلاثية مكررة، واشتمل الباب فى أعلاه وفى أسفله على شريطين نحاسيين يحتويان على كتابات بخط الثلث المملوكى تشتمل على رنك المنشئ نصها «عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى» ،ويتوسط الباب سماعة معدنية، أما واجهة الباب الداخلية فهى مزينة بالحفر البارز على الخشب بعناصر من أشكال هندسية تتكون من مربعات ومستطيلات تضم بداخلها أشكالا نجمية.(٥٢٥)

ويكتنف هذا الباب مكسلتان حجريتان متشابهتان طول كل منهما (١ر٨٠)متر وعرضها (ر٧٠)متر وارتفاعها (ر٩٥)متر يزينهما جفتان لاعبان بميمات دائرية، وفوق هاتين المكسلتين شريط كتابى بخط الثلث المملوكى البارز باللون الذهبى على أرضية زرقاء نصه فى الجانب الأيمن:

«بسم الله الرحمن الرحيم وما تفعلوا من خر فإن الله به عليم أمر بإنشاء هذه المدرسة مولانا الملك الأشرف قايتباى سيد ملوك العرب»

ونصه فى الجانب الأيسر :

«والعجم الملك الأشرف قايتباى خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله بتاريخ سنة

سبع وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية».

ويعلو فتحة المدخل عتب حجرى يعلوه عقد عاتق فوقه عقد من صنجات رخامية بلقاء يعلوها شباك مستطيل يطل على الدركاة به أرماح ومخرزات معدنية ويكتنفه عمودان من الرخام لهما تاجان بصليان وقاعدتان مستطيلتان، وينتهى هذا الشباك بصدر مقرنص ذو ثلاث حطات يكتنفه من أعلا رنك كتابى بخط النسخ البارز فى ثلاثة أسطر نصها :

سطر١ : أبو النصر قايتباى

سطر٢ : عز لمولانا السلطان الملك الأشرف

سطر٣ : عز نصره.

يلى ذلك جفت لاعب بميمات دائرية ثم شريط من زخارف نباتية تعلوه نافذة مربعة ذات أرماح ومخرزات معدنية تطل على الكتاب، ويتوج المدخل من أعلى عقد ثلاثى زينت طاقيته بأحجار مقرنصة على هيئة ورقة نباتية ثلاثية ذات لونين أبيض وأحمر، ويعد هذا المدخل واحدا من أهم مداخل العمارة الإسلامية بمصر فى ذلك العصر.(٥٢٦)

أما القسم الأيسر من هذه الواجهة فيمتد بطول (٣٫٦٠)متر ويشغله شباك السبيل وواجهة الكتاب، وكان به سلم يصعد من خلاله المارة للسقاية، إلا أنه غير موجود الآن، ويبلغ ارتفاع الشباك (٤٫٩٠)متر وعرضه (٢٫٤٠)متر وتغشيه أرماح ومخرزات نحاسية ويعلوه عتب من صنجات معشقة فوقه عقد عاتق من صنجات معشقة أيضا، ويحيط بهذه الأعتاب جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

وفوق هذا الشباك شرفة الكتاب التى تتكون من عقدين من نوع العقود ذات الأربعة مراكز يرتكزان على عامود رخامى فى الوسط له تاج كورنشى الطراز، ويربط بين رجلى العقد روابط خشبية، أما جوانب الشرفة فهى مكسية بخشب الخرط، ويعلو عقدى الشرفة كتابة بخط الثلث المملوكى المنقوش بالحفر البارز نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم، وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل

لى من لدنك سلطانا نصيرا»،⁽⁵²⁷⁾ أمر بإنشاء هذا الكتاب مولانا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العد فى العالمين مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه بمحمد وآله».

الواجهة الشمالية الغربية :

تطل هذه الواجهة على حوش كبير محاط بسياج حديث من المعدن لحماية الأثر، وتنقسم إلى قسمين يشتمل أولهما على شبابيك الإيوان الشمالى ويشتمل ثانيهما على باب سر المدرسة، ويبلغ طول القسم الذى يشتمل على شبابيك الإيوان الشمالى (١٢٫٧٥)متر وبه من أسفل بابان أولهما معقود عرضه (٢٫١٠)متر يغلق عليه مصراع خشبى يؤدى إلى سلم يصعد منه للقبة وثانيهما ذو عتب مستو عرضه (١٫٨٠)متر يغلق عليه مصراع خشبى أيضا يؤدى إلى حاصل أسفل الإيوان الشمالى.

أما المستوى العلوى من هذا القسم من الواجهة التى بين أيدينا فتتوسطه ثلاثة شبابيك مستطيلة ذات أرماح ومخرزات نحاسية يعلو كلا منها عقد من صنجات حجرية مزررة فوقه نفيس يعلوه عقد ثان من صنجات معشقة أيضا، ويعلو الشباك الأوسط قمرية دائرية تكتنفها نافذتان من الزجاج الملون، يلى ذلك أفريز غائر خال من الكتابات فوقه صدر مقرنص من مقرنصات حجرية فى ثلاث حطات.

أما القسم الثانى من هذه الواجهة فيمتد بطول (٧٫٢٥)متر وبه المدخل الفرعى للمدرسة، وهو عبارة عن حجر غائر مستطيل الشكل عرضه (٢٫٤٠)متر يغطيه عقد ثلاثى من الحجر المشهر، وقد ملئت أرجل العقد بمقرنصات مفرغة على شكل الورقة النباتية الثلاثية، ويغلق عليه مصراع واحد ويصعد إليه بأربع درجات وتكتنفه مكسلتان حجريتان متشابهتان تعلوهما كتابة بخط الثلث المملوكى البارز نصها :

«أمر بإنشاء هذه المدرسة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام ...... (وباقى الكتابة ضائع).

ويعلو هذا الباب عتب حجرى فوقه نفيس يليه عقد عاتق من صنجات حجرية معشقة ثم تنتهى الدخلة بعقد ثلاثى مقرنص، ويحيط بكتلة هذا المدخل جفت لاعب ذو ميمات دائرية

تنتهى فوقه قمة العقد بميمة على هيئة ورقة نباتية بارزة ذات فصوص ثلاثية، (٥٢٨) وعلى يسار هذا المدخل يوجد باب صغير معقود عرضه (١٫٤٠) متر يغلق عليه مصراع خشبى حديث.

الواجهة الجنوبية الشرقية :

تطل هذه الواجهة على شارع مسجد قايتباى وتنقسم إلى قسمين يشتمل أولهما على واجهة القبة ويشتمل الثانى على شبابيك الإيوان الجنوبى الشرقى والسبيل والكتاب، وتمتد الواجهة فى الجزء الذى يطل على إيوان القبلة والسبيل بطول (١٨٫٢٠) متر وبه ستة شبابيك مستطيلة بها أرماح ومخرزات أكبرها شباك السبيل الذى يبلغ (٤٫٩٠) متر طولا، (٣٫٦٠) متر عرضا، ويعلو هذا الشباك عتب مزرر فوقه نفيس يعلوه عقد من صنجات حجرية معشقة، ويحدد هذه الأعتاب والعقود جفت لاعب ذو ميمات دائرية، وتقول بعض الكتابات العربية أن هذا السبيل مفخرة من مفاخر العمارة الاسلامية حيث تحاكى هيئته المقاعد ذات العقود الموجودة بقصور فينيسيا و فيرونا حتى أن العمارة الاسلامية صارت من هذه الزاوية تشبه العمارة القوطية شبها كبيرا. (٥٢٩)

يلى ذلك شرفة الكتاب وتتكون من ثلاثة عقود ترتكز على عامودين من الرخام المنقوش بالحفر البارز فى زخارف نباتية، ويعلو هذه العقود شريط كتابى به بقية نص إنشاء السبيل والكتاب وقد سبقت الإشارة إليه، وفوق ذلك رفرف خشبى عبارة عن مظلة مائلة محمولة على كوابيل خشبية.

أما الشباك الثانى فمستطيل يعلوه عتب مزرر فوقه نفيس تعلوه نافذه تطل على حجرة ملحقة بالكتاب، وقد وضع الشباكين السفل والعلوى داخل تجويف رأسى ينتهى من أعلاه بصدر مقرنص فى ثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات.

يلى ذلك منطقة شبابيك إيوان القبلة وهى عبارة عن تجويفين رأسيين بداخل كل منهما أربعة شبابيك اثنان سفليان واثنان علويان معقودان على هيئة شمسيات ذات زجاج ملون، ويتوسط الشبابيك العلوية قمرية دائرية، ويتوج التجويفين الرأسيين صدر مقرنص من ثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات.

أما القسم الثانى من الواجهة الجنوبية الشرقية فهو خاص بالقبة ويبرز عن سمت الواجهة بحوالى (٥ر٤)متر ويمتد بطول (١٠)متر يتوسطه تجويفان رأسيان بكل تجويف منهما شباكان يعلو أحدهما الآخر، السفليان مستطيلان والعلويان معقودان تتوسطهما قمرية دائرية، ويتوج هذين التجويفين الرأسيين أيضا كما فى حالة شبابيك إيوان القبلة صدران مقرنصان بمقرنصات حجرية ذات دلايات.

أما المنطقة البارزة عن سمت الواجهة والخاصة بالقبة ففيها شباكان فوق بعضهما أولهما فى مستوى شبابيك الإيوان الجنوبى وبه أرماح ومخرزات نحاسية يعلوه عتب مزرر فوقه نفيس يعلوه عقد من صنجات حجرية معشقة، وثانيهما معقود يتوجه صدر مقرنص بمقرنصات حجرية ذات دلايات.

دركاة المدخل :

يؤدى المدخل الرئيسى لهذه المدرسة الخانقاة إلى دركاة مستطيلة طولها (٧٠ر٤)متر وعرضها (٣٠ر٢)متر تتصدرها مصطبة طولها (٨٠ر٢)متر وعرضها (٨٥ر١)متر وارتفاعها (٩٠ر)، وقد كسيت هذه المصطبة بأشرطة رخامية رأسية وأفقية بالألوان الأبيض والأسود والأصفر، وعملت على جانبيها كتبيتان يغلق على كل منهما مصراعان من الخشب المطعم بالصدف والعاج على هيئة أطباق نجمية عرض كل منها (١٥ر١)متر، ويعلو كل كتبية شريط كتابى بخط الثلث المملوكى فى حفر بارز يبدأ من الجانب الأيمن بنص يقول «اللهم انصر عبدك مولانا السلطان» ويستكمل النص فى الجانب الأيسر بقوله «الملك الأشرف قايتباى خلد الله ملكه».

وعلى جانبى المصطبة زخارف عبارة عن فروع نباتية متشابكة وأشكال هندسية محفورة كلها فى الرخام الأبيض، ويتصدر الصطبة شباك مستطيل طوله (٨٠ر٢)متر وعرضه (٤٠ر١)متر به أرماح ومخرزات نحاسية، ويطل هذا الشباك من الداخل على إيوان القبلة ويعلوه عقد من صنجات حجرية معشقة باللونين الأبيض والأحمر.

أما أرضية الدركاة فهى مفروشة بالرخام الملون فى مداور بالألوان الأبيض والأسود والرمادى والأحمر الداكن، ويغطى هذه الدركاة سقف مذهب وملون عبارة عن براطيم خشبية ركبت عليها

عوارض عمودية تحصر فيما بينها مناطق مربعة تسمى «طبالى» وأخرى مستطيلة تسمى «تماسيح» زخرفت كلها بأشكال هندسية عبارة عن مثلثات ومربعات وجامات وأشكال أخرى نباتية من تفريعات وأوراق ثلاثية وخماسية، طليت كلها بالألوان الأبيض والأصفر والأحمر والبنى والذهبى، ويفصل بين السقف والجدران إزار يتكون من ثلاث حطات من المقرنصات المذهبة.

ويكتنف دركاة المدخل بابان معقودان أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار فوق عقد كل منهما جامة مستديرة بارزة مكتوب فيها بخط الثلث المملوكى البارز «قل كل يعمل على شاكلته»(٥٣٠) وفوق كل منهما شباك مستطيل به أرماح ومخرزات نحاسية، ويغلق على كل باب من هذين البابين مصراع خشبى حلى من أعلاه ومن أسفله بشريط من المعدن عليه كتابات بخط الثلث المملوكى نصها :

«عز لمولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور سلطان الإسلام والمسلمين الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره»(٥٣١).

حجرة السبيل : (راجع شكل ٥١)

يفضى إلى هذه الحجرة من الباب الأيسر للدركاة، وهى مستطيلة الشكل طولها (٦٫٢٠) متر وعرضها (٣٫٦٠) متر، وهى من طراز الأسبلة ذات الشباكين، ويغلق عليها باب معقود به مصراع خشبى واحد عرضه (١٫٨٠) متر خال من الزخارف فيما عدا شريطين من المعدن أحدهما فى أعلاه والآخر فى أسفله بهما كتابات سبقت الإشارة إليها ، أما الباب من الداخل فقد زخرف بأسلوب الحفر البارز على الخشب بزخارف هندسية عبارة عن أشكال مربعات ومستطيلات.

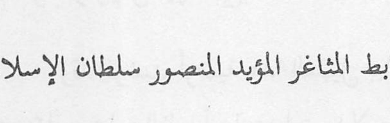

شكل٥١ : الخانقاة الاشرفية (قايتباى) – القبة وجزء من السبيل والكتاب

وبهذه الحجرة شباكان مستطيلان بكل منهما أرماح ومخرزات نحاسية أحدهما فى الجهة

الشرقية طوله (٫٩٠)متر وعرضه (٣٫٦٠)متر، والآخر فى الجهة الجنوبية ويشبه الشباك الأول من حيث الطول، أما من حيث العرض فهو أقل منه بعض الشئ إذ يبلغ عرضه (٢٫٤٠)متر، وقد عمل هذين الشباكين فى دخلة ذات عقد مدبب، وعمل أسفل كل منهما حاجز خشبى له فتحات علوية صغيرة كل منها على هيئة عقد مفصص.

وفى الجزء الجنوبى الغربى من حجرة السبيل توجد دخلتان أولهما بجوار فتحة باب السبيل عرضها (١٫٥٠)متر وعمقها (١٫١٠)متر لها سقف حجرى مستو وبها فوهة الصهريج، وهى مغطاة بخرزة رخامية مثبت فيها حلقة حديدية ركبت عليها بكرة لرفع المياه، ولازالت هذه الأجزاء بحالة جيدة حتى الآن، أما الدخلة الثانية فهى أصغر من الأولى عرضها (١٫٣٠) متر وعمقها (٫٦٥)متر وليس فيها شئ.

وقد فرشت أرضية هذا السبيل ببلاطات حديثة من الحجر الجيرى مقاساتها (٫٤٠ X ٫٣٠) متر يغلب على الظن أنها عملت بدلا من الرخام الملون الذى فرشت به كل أرضيات المنشأة، أما سقف السبيل فهو عبارة عن مربوعات تشتمل على زخارف هندسية بالألوان الذهبى والأصفر والأزرق، ويتوسط هذه الأشكال الهندسية قصع مشعة، كما يوجد بأركان السقف مقرنصات خشبية من خمس حطات تنتهى من أسفل بشكل ورقة نباتية ثلاثية.

ويلى السقف مباشرة شريط كتابى بخط الثلث المملوكى البارز نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا،(٥٣٢) أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك سيدنا ومولانا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى صاحب الصدقات والمعروف».

الدهليز المؤدى إلى الصحن:

يفضى الباب الأيمن لدركاة المدخل إلى الدهليز المؤدى إلى الصحن وهو عبارة عن فتحة عرضها (١٫٨٥)متر يغلق عليها مصراع خشبى واحد عرضه (١٫٦٥)متر يشبه تماما باب السبيل، ويتكون هذا الدهليز من النكسارين أرضيتهما من الرخام المداور باللونين الأبيض والأسود يمتد

الأول منهما بطول (٣)متر وعرض (٢)متر وهو عبارة عن ملقف للتهوية تتصدره فتحة باب عرضها (٩٥ر)متر تؤدى إلى الكتاب وملحقاته يجاورها مزملة عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١ر٨٠)متر وعرضها (١ر١٥)متر عليها حجاب من خشب الخرط يشتمل على فتحة باب ذات مصراعين من خشب الخرط أيضا يعلوهما شريط من كتابات نسخية بارزة بخط الثلث المملوكى نصها:

«يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون».(٥٣٣)

وفى الجزء العلوى من الحجاب الخشبى للمزملة ثلاث حشوات من الخشب المطعم بالعاج والصدف كتب على اثنتين منها بالخط الكوفى المربع «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أما الحشوة الوسطى فقد زخرفت بأجزاء من طبق نجمى به حشوات مجمعة من العاج، ويعلو المزملة والجزء الذى أمامها أقبية مروحية تتوسطها مصطبة حجرية فى أطرافها معينات من الحجر حفرت فيها زخارف نباتية ومراوح نخيلية دهنت باللونين الأصفر والأبيض.

ويمتد الدهليز فى انكساره الثانى بطول (٣ر٧٠)متر وعرض (١ر٦٠)متر، حيث ينتهى بفتحة باب تؤدى إلى الصحن.(٥٣٤)

الصحن :

يشغل هذا الصحن مساحة مربعة طول ضلعها (٨ر٥٠)متر وتنخفض أرضيته عن أرضية الإيونات الأربعة المحيطة به بمقدار (٣٠ر)متر، وهى أرضية مفروشة بالرخام فى أشكال هندسية عبارة عن مجموعة من الجامات المتعددة الألوان بالأبيض والأصفر الفاتح والأصفر الداكن والبنفسجى، وحليت أركان أرضية هذا الصحن بوحدات هندسية بسيطة من المربعات والمستطيلات والمثمنات.

ويفتح على هذا الصحن أربعة أبواب فى زواياه الأربعة، فوق كل منها حشوة خشبية ذات كتابات قرآنية بارزة بخط الثلث المملوكى يبدأ نصها من الحشوة الموجودة أعلى الباب المؤدى من الدهليز إلى الصحن بالبسملة ثم قوله تعالى:

«إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم،(٥٣٥) أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله ملكه».

ويؤدى الباب الثانى (المواجه للباب المشار إليه) إلى دهليز القبة بينما يؤدى الباب الثالث (القائم على يمين باب القبة) إلى دهليز ثالث مفروش أرضيته بالبلاط يفضى إلى باب مسدود، أما الباب الرابع (المواجه للباب الثالث) فيؤدى إلى سلم هابط يفضى إلى باب سر المدرسة، وهذه الأبواب متشابهة عرض كل منها (١,٦٠) متر وتعلوها أعتاب مزررة فوقها عقود عاتقة تعلوها عقود أخرى من صنجات حجرية مزررة ذات لونين أحمر وأصفر.

ويعلو كل باب من هذه الأبواب شباكان فوق بعضهما كل منهما مستطيل به أرماح ومخرزات نحاسية، ويكتنفه عمودان حجريان مندمجان لكل منهما قاعدة مستطيلة وتاج بصلى منقوش بالزخارف النباتية، ويتوج الشباك عقد مدبب به صدر مقرنص.

وفوق مستوى هذه الشبابيك يوجد شريط من الكتابة البارزة بخط الثلث المملوكى مذهبة وملونة باللون الأزرق اللازوردى، وتبدأ هذه الكتابة من أعلى عقد الإيوان الشمالى بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم،(٥٣٦) أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفقراء والمساكين ناصر الدنيا والدين سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره بتاريخ شهر رمضان المعظم قدره سنة سبع وسبعين وثمان مائة».

ويعلو هذا النص جفت لاعب ذو ميمات زخرفية، يلى ذلك شريط كتابى ثان بخط الثلث نقش بالحفر على الخشب المذهب على أرضية زرقاء فى إزار أسفل السقف الذى عمل بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية على هيئة شخشيخة خشبية مثمنة ونص هذا الشريط الكتابى يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، وننزل من القرآن ما هو شفاء للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا،(٥٣٧) وكان الفراغ من هذا السقف والشخشيخة المباركان من فضل الله تعالى بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية فى عصر خديوى مصر الأعظم ومليكها الأفخم المحفوظ بالسبع المثانى أفندينا عباس حلمى الثانى عام تسعة عشر وثلاثمائة من الهجرة النبوية».

وجدير بالذكر أن هذه الشخشيخة تشتمل فى رقبتها على أربعة وعشرون شباكا مستطيلا، وفى وسطها على شكل مثمن مزخرف بأشكال هندسية نجمية تتوسطها قصع وتعلوها قبة ضحلة كتب عليها بخط الثلث «قل كل يعمل على شاكلته» وزخرفت كلها بزخارف مذهبة على أرضية زرقاء.

الإيوان الجنوبى الشرقى :

يفتح هذا الإيوان على الصحن بعقد واحد كبير على هيئة حدوة فرس له رجلان مقرنصتان ملونتان بالذهب واللازورد، ويشبه هذا الإيوان فى ذلك إيوان القبلة بمدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين،(٥٣٨) وهو أكبر الإيوانات حجما ومساحته مستطيلة الشكل طولها (٨٠)متر وعرضها (٦٠ر١١)متر يتصدرها محراب حجرى على شكل حنية نصف دائرية عمقها (٥٠ر)متر يكتنفها عمودان من الرخام لكل منهما قاعدة مستطيلة وتاج مزخرف بورقة نباتية ثلاثية البتلات، وقد زينت طاقية هذا المحراب بتلابيس من الحجر الأحمر على شكل شرافات،(٥٣٩)وعلى جانبى هذا المحراب من اليمين والشمال أربعة شبابيك (بواقع شباكين فى كل جهة) لكل شباك منها عقد مدبب وجلسة رخامية ويغلق عليه درفتان خشبيتان خلف أرماح ومخرزات نحاسية.

ويشتمل هذا الإيوان على أربع دخلات أولاها عبارة عن كتبية بدرفتين خشبيتين وثانيتها عبارة عن شباك يطل على القبة بمصراعين خشبيين مثل الكتبية المشار إليها به أرماح ومخرزات نحاسية وله جلسة رخامية ملونة باللونين الأبيض والأسود ترتفع عن أرضية الإيوان بحوالى (٣٠ر)متر، وثالثتها عبارة عن شباك مستطيل آخر يطل على دركاة المدخل به أرماح ومخرزات

نحاسية تغلق عليه درفتان خشبيتان وله جلسة رخامية أيضا وسقف خشبى، أما الدخلة الرابعة فعليها باب يؤدى إلى حجرة ذات شكل غير منتظم لها شباك يطل على الجبهة الجنوبية الشرقية للمدرسة ولها سقف مقبى ربما كانت حجرة لإمام المدرسة وخطيبها.

ويعلو هذه الدخلات الأربعة أربعة حشوات خشبية كتب عليها نص قرآنى بارز بخط الثلث المملوكى على أرضية من الزخارف النباتية تقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم. كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب صدق الله العظيم».(٥٤٠)

كذلك يعلوجدران هذا الإيوان نص كتابى بخط الثلث المملوكى يقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما، وينصرك الله نصرا عزيزا، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما، صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم»(٥٤١) أمر بإنشاء هذا المكان المبارك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين وارث الملك (٥٤٢) سيد الملوك والسلاطين وكان الفراغ من ذلك فى شهر رجب الفرد الحرام عام سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة».

هذا ويعلو جدار القبلة أربع شمسيات من الجص المعشق بالزجاج الملون تتوسطها قمرية دائرية تتحلى بذات الجص والزجاج الملون، أما السقف فى هذا الإيوان فهو خشبى يتكون من براطيم تحصر بينها مربوعات مذهبة وملونة ذات عناصر زخرفية نباتية وهندسية، وتوجد بأركان هذا السقف مقرنصات خشبية تنتهى بذيل مقرنص على هيئة ورقة ثلاثية الفصوص.

وأسفل هذا السقف مباشرة يوجد إزار ينقسم إلى مناطق على هيئة بحور مستطيلة تحصر فيما بينها شريطان من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض

وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون»، (٥٤٣) جدد هذا السقف المبارك من فضل الله تعالى بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية فى عصر من هو محفوظ بالسبع المثانى أفندينا عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه وأعلى فى الخافقين أعلامه وذلك عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة».

وقد فرشت أرضية هذا الإيوان برخام ملون بالألوان الأبيض والأسود والبنى فى أشكال هندسية لمربعات ومستطيلات تحصر فيما بينها زخارف مثمنات ومداور وأشكال دالية كما أزرت جدرانه بوزرة رخامية ارتفاعها (٦٠ر١) متر ذات ألوان أبيض وأسود ورمادى.

المنبر:

يوجد هذا المنبر على يمين المحراب وهو يتكون من قاعدة مستطيلة تعلوها ريشتان يتقدمهما صدر به باب يفضى إلى سلم صاعد يؤدى إلى جلسة خطيب يعلوها تاج مقرنص عليه قبة خشبية صغيرة تقوم على رقبة خشبية مقرنصة، وقد زخرفت جوانبها الثلاثة بحشوات مجمعة تحتوى على أطباق نجمية مطعمة بالسن والعاج والصدف، ويفصل بين هذه الحشوات أجزاء من خشب الخرط كما زينت ريشتى المنبر بحشوات مستطيلة طعمت بالسن المدقوق أويمة. (٥٤٤)

ويشتمل هذا المنبر على خمس حشوات كتابية بخط الثلث المملوكى أولاها حشوة أعلى بابه من الخارج تقول كتابتها «بسم الله الرحمن الرحيم إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما»، (٥٤٥) وثانيتها حشوة أعلى بابه من الداخل تقول كتابتها «بسم الله الرحمن الرحيم إن الله يأمر بالعدل والإحسان»، (٥٤٦) وثالثتها حشوة فوق باب الروضة الأيمن تقول كتابتها «يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»، (٥٤٧) ورابعتها فوق باب الروضة الأيسر وتقول كتابتها «يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير»، (٥٤٨) وخامستها كتابة تلتف حول دائر قبة جلسة الخطيب تقول «بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا. (٥٤٩)

وقبل أن ننهى الحديث عن الإيوان الجنوبى الشرقى لابد من الإشارة إلى مساكن الصوفية، وتشير وثيقة المنشئ وما ورد فى بعض المراجع العربية إلى أنه كان قد أعد مساكن لصوفية الخانقاة

الأربعين وشيخهم، وأن معظم تلك المساكن كانت بالجبهة الجنوبية الشرقية للخانقاة ويفصلها عنها الطريق العام.(٥٥٠)

الإيوان الشمالى الغربى :

يشغل هذا الإيوان مساحة مستطيلة الشكل طولها (٧٫٥)متر وعرضها (٥٫٤٠)متر ترتفع أرضيته عن أرضية الصحن بمقدار (٣٠ر)، ويطل على هذا الصحن بعقد واحد كبير على هيئة حدوة فرس له رجلان مقرنصان ملونتان بالذهب واللازورد، وهو يتكون من صدر وسع بسدلتين وتتصدره ثلاثة شبابيك معقودة ذات أرماح ومخرزات نحاسية يغلق على كل منها درفتان خشبيتان، ويعلو كل شباك من هذه الشبابيك إزار كتابى بخط الثلث المملوكى تتوسطه وريدة محفورة حفرا بارزا على أرضية من الزخارف النباتية وتبدأ كتابة هذا الإزار من يمين صدر الإيوان بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.»(٥٥١)

ويعلو هذا الإزار الكتابى شمسيتان معقودتان ذواتى جص معضق بالزجاج الملون بينهما قمرية دائرية عملت داخل إطار مربع من الصنج المعشقة.

وفرشت أرضية هذا الإيوان بالرخام الأبيض والأسود على هيئة مناطق مربعة بينها دوائر ومثمنات وزخارف دالية، أما السقف فهو عبارة عن براطيم خشبية مجلدة ومحلاة بالذهب والألوان فى مناطق مستطيلة، وبأركان هذا السقف أربع مقرنصات خشبية زخرفية وأسفله إزار مكتوب بخط الثلث المملوكى يلتف حول جدران هذا الإيوان نقشت كتاباته بالذهب واللازورد ويبدأ نصها من يمين واجهة الإيوان بعد البسملة بقوله تعالى : «فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب صدق الله العظيم».(٥٥٢)

ويكتنف هذا الإيوان سدلتان أولاهما إلى الشمال وهى مربعة الشكل تقريبا طولها

(٣٫٦٠)متر وعرضها (٣٫٥٢)متر بها كتبيتان أولاهما تتصدرها والأخرى على يسارها وغطيت هذه السدلة بسقف خشبى جلد ونقش بزخارف مذهبة وملونة وعمل فى أسفله إزار نقشت فيه كتابات نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به وأعف عنا وأغفر لنا وارحمنا»،(٥٥٣)وقد فرشت أرضية هذه السدلة بالرخام الأبيض على شكل مثمنات رخامية محاطة بإطار أسود وزخرفت جوانبها بزخارف دالية باللونين الأبيض والأسود، وعلى يمين هذه السدلة باب يؤدى إلى حجرة مغلقة حاليا يغلب على الظن أنها كانت تستخدم كمكتبة للمدرسة.

أما السدلة الثانية التى تكتنف هذا الإيوان فتقع إلى اليمين وهى عبارة عن مساحة شبه مربعة طولها (٣٫٦٠)متر وعرضها (٣٫٠)متر ترتفع أرضيتها عن أرضية الإيوان بحوالى (٠٫٣٠)متر ويتصدرها شباك به أرماح ومخرزات نحاسية يعلوه شباك آخر على هيئة قمرية دائرية ذات زجاج ملون، وعلى يمينها خزانة كتب من طابقين تقابلها خزانة مشابهة فى الجانب الأيسر.

وقد غطيت هذه السدلة بسقف خشبى جلد وذهب ولون بألوان زرقاء وبيضاء وحليت أركانه بمقرنصات خشبية متعددة الحطات وأزر بإزار نقشت فيه كتابات بخط الثلث المملوكى تقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون»،(٥٥٤) وقد فرشت أرضيتها برخام أبيض يشبه تماما أرضية السدلة اليسرى.

الإيوان الشمالى الشرقى :

هذا الإيوان عبارة عن سدلة مستطيلة طولها (٣٫٦٠)متر وعرضها (٣٫١٠)متر تفتح على الصحن بعقد واحد من نوع العقود ذات الأربعة مراكز جددت جوانبه بجفت لاعب ذو ميمات دائرية وينتهى برجلين مقرنصين يحصران بينها شكلا زخرفيا على هيئة ورقة نباتية ثلاثية، وترتفع أرضية هذه السدلة عن أرضية الصحن بمقدار (٠٫٣٠)متر ويتصدرها باب خشبى غشى برقائق

معدنية يؤدى إلى حجرة صغيرة مقفلة حاليا، ويعلو هذا الباب حشوة خشبية فوقها نفيس يعلوه عتب مزرر من صنجات معشقة.

وفى أعلى الجدار الشمالى الشرقى لهذه السدلة يوجد شباكان مستطيلان بكل منهما أرماح ومخرزات نحاسية.

وقد فرشت أرضية هذه السدلة برخام ملون فى مستطيلات ومربعات بيضاء تحيط بها كرندازات من الرخام الأسود، أما سقفها فهو عبارة عن سقف خشبى جلد وذهب ولون بألوان زرقاء وبنية وحمراء وحليت أرمانه بمقرنصات خشبية زخرفية، وعمل فى أسفله إزار نقشت فيه كتابات بارزة داخل مناطق مستطيلة تفصل بينها مقرنصات ويقول نص هذه الكتابات ابتداء من صدر السدلة:

«بسم الله الرحمن الرحيم وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم بما صبرتم طبتم فادخلوها خالدين (صدق الله العظيم)».(٥٥٥)

الايوان الجنوبى الغربى :

هو عبارة عن سدلة مشابهة تماما للسدلة الشمالية الشرقية بسقفها وأرضيتها وجدرانها فيما عدا نص الكتابة المنقوشة على إزار سقفها وتقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. صدق الله العظيم.(٥٥٦)

القبة الضريحية : (انظر شكل ٥١)

هذه القبة الحجرية ذات قطاع مدبب ويدخل إليها عن طريق باب فى الصحن يقع فى

مواجهة الداخل إليه يؤدى إلى دهليز مستطيل طوله (٥٠ر) متر وعرضه (٢) متر أرضيته مفروشة بالرخام الأبيض والأسود وسقفه من ألواح خشبية مرتبة على عوارض مزخرفة بوريدات وأشكال هندسية، ويفضى هذا الدهليز يسارا إلى القبة ويمينا إلى سلم هابط يؤدى إلى حوش الدفن.

وأمام السلم الهابط المشار إليه يوجد ممر مستطيل جدرانه مؤزرة بوزرة رخامية ارتفاعها (٦٠ر١) متر وسقفه عبارة عن قبو مدبب، يؤدى هذا الممر مباشرة إلى القبة وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (٥٠ر٩) متر فرشت أرضيتها برخام ملون فى أشكال على هيئة جامات متعددة الألوان تشبه أرضية الصحن تماما، أما جوانب هذه الأرضية فمزخرفة بمناطق رخامية مربعة وأخرى مستطيلة، وأزرت جدرانها إلى ارتفاع (٦٠ر١) متر بوزرة رخامية فى أشرطة بالألوان الأبيض والأسود والأصفر الداكن والبنفسجى.(٥٥٧)

أما جدران القبة فقد قسمت إلى دخلات تنتهى فى أعلاها بعقد مدبب وفى أسفلها بجلسات رخامية، ويعلو الوزرة الرخامية التى تؤزر جدران هذه القبة شريط كتابى بخط الثلث المملوكى البارز تنحصر كتاباته داخل مناطق مستطيلة، وتبدأ هذه الكتابة من يمين الجدار الشمالى الغربى بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين، فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم،(٥٥٨) أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين الإمام الأعظم والملك المكرم (٥٥٩) السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سيد ملوك العرب والعجم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أعز الله أنصاره وختم بالصالحات أعمالنا وأعماله وثبت قواعد دولته وأيد أحكامه بمحمد وآله وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين آمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم(٥٦٠)

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يارب العالمين، اللهم أيد الإسلام وأعل كلمة الإيمان ببناء عبدك سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الزاهد العابد(٥٦١)العالم العادل فى أحكامه الورع المتورع العالم القائم بحدود الله التابع سنة رسول الله التالى لكتاب الله الحاج إلى بيت الله الحرام الزائر قبر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام المجاهد فى سبيل الله سيد الملوك والسلاطين أبو الفقراء والمساكين المجاهد المرابط المؤيد المنصور المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى صاحب الصدقات والمعروف خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يارب العالمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهر رجب الفرد الحرام سنة تسع وسبعين وثمان مائة» .

ويوجد بأرضية القبة تركيبتان من الرخام أولاهما أمام المحراب مباشرة وتعلوها أربع بابات من الرخام وتحيط بها مقصورة خشبية من خشب الخرط، أما الثانية فهى إلى جوار الشباك الشمالى الغربى وهى تركيبة من الرخام الأبيض.

ويتوسط الجدار الشرقى لهذه القبة محراب على هيئة حنية نصف دائرية يكتنفها عمودان لكل منهما قاعدة مستطيلة وتاج بصلى، ويتوجها طاقية نصف دائرية تتكون من صنجات حجرية مشهرة، أما أسفل المحراب فقد أزر بوزرة رخامية ملونة، كذلك فقد زينت طاقيته وكوشة عقده بأشكال نجمية، ويكتنف المحراب عن اليمين والشمال شباكان معقودان بعقد جصى مزخرف يحتوى على رنك للسلطان قايتباى نصه «عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره» وكل من هذين الشباكين ذو أرماح ومخرزا ت معدنية ويغلق عليه درفتان خشبيتان.

كذلك يوجد شباكان آخران معقودان أحدهما يطل على ظهر المحراب الرئيسى للمدرسة الخانقاة والآخر يطل على حوش الدفن.

ويحيط بجدران القبة دخلات معقودة مرتفعة عن الأرضية كما يحيط بهذه الجدران شريط من كتابات حجرية بارزة بخط الثلث المملوكى نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا عليه ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون، ولو جعلناه رجلا للبسنا عليهم ما يلبسون، ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين

سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون، قل سيروا فى الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين، قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون، وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم، قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين، قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم، من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شي قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون أن مع الله ألهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وأنى برئ مما تشركون صدق الله العظيم.(٥٦٣)

ويتوسط كل جدار من جدران القبة من أعلا قمرية دائرية من الجص المعشق بزجاج ملون، ويعلو هذه القمريات منطقة انتقال القبة وهى عبارة عن مقرنصات حجرية تتكون من تسع حطات مذهبة، وتحصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه بكل ضلع من أضلاع القبة شباك قندلية معقودة من الجص المعشق بزجاج ملون أيضا فوقها ثلاث قمريات دائرية أيضا من نفس الجص المعشق بالزجاج الملون.

وفوق مستوى شبابيك رقبة القبة من الداخل يوجد شريط باللون الأبيض أرضيته زرقاء تقول كتاباته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون، وهو الله فى السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون، وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون، ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين، ولو أنزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين».(٥٦٤)

وفى قمة هذه القبة من الداخل صرة رخامية تحيط بها حليات على شكل الشرافات الموجودة من الخارج، وقاعدتها الخارجية مربعة مشطوفة الأركان ومزخرفة برنوك مستديرة تحمل اسم السلطان نصها :

«عز لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره»

كذلك يعلو شبابيك رقبة القبة من الخارج شريط من كتابات بخط الثلث المملوكى البارز على الحجر يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم، تنزيل العزيز الرحيم، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون، إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون، وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشرة بمغفرة وأجر كريم، إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين، وأضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين».(٥٦٥)

وقد زخرفت القبة من الخارج بالحفر البارز على الحجر على هيئة ورقة نباتية تلتف وتتداخل فى شكل متناسق مع عناصر أخرى من الزخارف الهندسية ذات الأشكال النجمية والسداسية المتكررة، ويتصل بالخانقاة حوشان لدفن أقارب المنشئ وعتقائه كانا يتوسطان الخانقاة والمقعد إلا أنهما فصلا عنها حاليا بأبنية سكنية حديثة.(٥٦٦)

كرسى المصحف :

يوجد بالقبة الضريحية كرسى مصحف خشبى كبير زخرفت جوانبه بحشوات مدقوقة بالأويمة تشتمل على أطباق نجمية مطعمة بالصدف والعاج وحليت أركانه بزوايا نحاسية زخرفت بواسطة التخريم، وعلى هذا الكرسى كتابة بارزة بخط الثلث المملوكى تقول :

«أمر بإنشاء هذا الكرسى الملك الأشرف قايتباى بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثمان مائة». (٥٦٧)

وعلى يمين الحاجز الخشبى للتركيبة الرخامية القائمة على ضريح المنشئ يوجد مكعب حجرى كسيت جوانبه بوزرة رخامية ملونة باللونين الأبيض والأسود بداخله قطعة من حجر البازلت الأسود عليها أثر لقدمين، ويعلو هذا المكعب الحجرى قبة نحاسية صغيرة، كما يوجد مكعب ثان يجاور التركيبة الثانية بداخله قطعة من حجر الجرانيت الوردى عليها أثر لقدم واحدة ويتوجه قمة على هيئة القلم الرصاص مثل المآذن العثمانية، وقد قيل أن هذه الأقدام هى أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا فى الواقع غير صحيح لتعدد أمثال هذه الحجارة من ناحية وتفاوت أحجامها من ناحية أخرى. (٥٦٨)

الكتاب: (انظر لوحة ٤٢)

يدخل من الباب الذى يتصدر دهليز المدخل الرئيسى المؤدى إلى الصحن إلى ممر معقود يفضى إلى سلم ينتهى إلى كتاب، ويتقدمه دهليز مستطيل طوله (٦ر٢٠) متر وعرضه (٢ر١٠) مترغطى فى جزء منه بعوارض خشبية حديثة، وبهذا الجزء شباكان مستطيلان يطل الأول منهما على صحن المدرسة الخانقاة ويطل الثانى على دهليز المدخل.

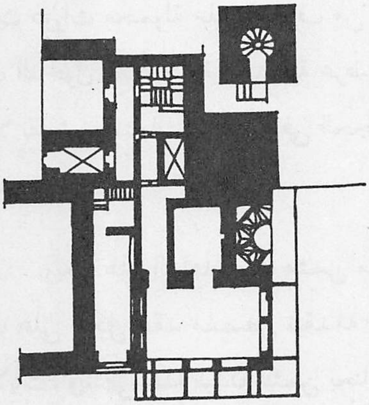

لوحة ٤٢ : الخانقاة الاشرفيه (قايتباى) – مسقط الكتاب (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

أما حجرة الكتاب فهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل لها واجهتان إحداهما فى الناحية الشرقية والأخرى فى الناحية الجنوبية، ولكل واجهة من هاتين الواجهتين شرفة على هيئة حجاب من خشب الخرط يعلوها عقدان حجريان مشهران يرتكزان على عمود من الرخام له تاج كورنيشى الشكل وبدن منقوش بزخارف نباتية بالحفر البارز، أما الشرفة الجنوبية فتعلوها ثلاثة عقود محمولة على عمود آخر من الرخام أيضا أما سقف الحجرة فهو عبارة عر براطيم خشبية مجلدة ومذهبة وملونة بنفس ألوان سقف السبيل، أما أرضيتها فهى من بلاطات حجرية.

ويؤدى امتداد السلم المشار إليه إلى سطح المدرسة وهو مرمم حديثا ومغطى بطبقة أسمنتية عازلة ومحاط بشرافات حجرية على هيئة ورقة نباتية ثلاثية الفصوص، ويتوسط هذا السطح الفانوس الخارجى للشخشيخة التى تغطى الصحن وكذا قاعدة المئذنة وظهر القبة ومجموعة من المناور المطلة على الدهليز الداخلى.

المئذنة : (راجع شكل ٥٠)

تقع هذه المئذنة فى الجزء الأيمن من الواجهة الشمالية الشرقية للخانقاة وهى تتكون من ثلاث دورات محمولة على صفوف من المقرنصات المتعددة الحطات، وتبدأ بقاعدة مربعة بها فتحة باب الدخول وهى فتحة مستطيلة عرضها (٠٥ر١)متر وارتفاعها (٨٥ر١)متر على جانبيها من أعلا نقوش وكتابات محفورة فى الحجر يقال أن الذى كتبها هو مؤذن المنارة فى عصر قايتباى نفسه.

ويعلو هذه القاعدة بدن مثمن مشطوف الأركان فى كل جانب من جوانبه الأربعة فتحة باب على شكل عقد مفصص تتقدمه شرفة صغيرة بارزة محمولة على كوابيل حجرية مقرنصة بدلايات، وينتهى هذا البدن المثمن بحنايا جملونية محددة بجفت حجرى بارز، وعملت فى زوايا هذا البدن المثمن ثلاثة أعمدة مندمجة ذات قواعد وتيجان إسلامية الطراز.

كذلك يوجد فوق الحنايا الجملونية شريط كتابى بخط الثلث المملوكى البارز على أرضية من زخارف نباتية نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون».(٥٦٩)

ويعلو هذا الشريط الكتابى المقرنصات التى تحمل شرفة الدورة الثانية ذات البدن الأسطوانى، وقد حليت جوانب هذه الشرفة بزخارف نباتية وهندسية مفرغة فى الحجر فى شقق رأسية يحد كلا منها بابتان رخاميتان، أما بدن المئذنة فى هذه الدور عقد زين بنقوش بارزة فى الحجر عبارة عن أشكال نجمية وهندسية متداخلة ومتشابكة تشبه الزخارف المحفورة على بدن القبة.

ويعلو هذا البدن الاسطوانى شريط دائرى نقشت فيه كتابات بارزة بخط الثلث المملوكى نصها :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾.(٥٧٠)

ويعلو هذا الشريط المقرنصات الحجرية الحاملة لشرفة الدورة الثالثة وقد زينت جوانب هذه الشرفة بشقق حجرية ذات زخارف نباتية وأشكال هندسية مفرغة فى الحجر، كما حليت جوانبها بمقرنصات حجرية أما بدن هذه الدورة فهو عبارة عن جوسق يتكون من ثمانية أعمدة تحمل مقرنصات الشرفة الأخيرة للمئذنة وينتهى عند هذه الدورة السلم الحجرى الذى يلتف حول بدن المئذنة من الداخل بدءا من القاعدة ليبدأ سلم معدنى يتوسط الأعمدة الحاملة للشرفة التى زينت جوانبها بأشكال نباتية وهندسية مفرغة فى الحجر داخل شقق حجرية، ويتوج المئذنة قمة على هيئة بيضية يعلوها هلال نحاسى.

والواقع أن هذه المئذنة هى من أحسن المآذن المصرية لتناسب أجزائها فى رشاقة واتقان كاملين.(٥٧١)

٦ – ترميمات الخانقاة :

قامت لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة (١٨٨٩م) وحتى سنة (١٩٠٨م) بإصلاحات كثيرة فى هذا الأثر فاهتمت بتدعيم مبانيه وإصلاح منارته ونجارته وسقوفه ورخام أرضياته وتجديد نقوشه وشبابيكه الجصية حتى أعادت إليه بهذه الإصلاحات بهاءه وجماله،(٥٧٢) وفيما يلى تفصيل لما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية فيه من أعمال ترميمية:

ففى سنة (١٨٨٩م) قامت اللجنة بوضع أرماح للشبابيك بلغت تكاليفها مبلغا قدره(١٠٠ر–)جنيه.(٥٧٣)

وفى سنة (١٨٩٠م) قامت اللجنة بعمل ترميمات بالضريح (لم تحدد) بلغت تكاليفها(٨ر٥٠٠)جنيه.(٥٧٤)

وفى سنة (١٨٩٢م) قامت اللجنة بصرف مبلغ (١ر٣٤٥)جنيه على أعمال بهذا الأثر (لم تحدد)(٥٧٥) كما قامت بصرف مبلغ (٢ر٦٨)جنيه على أعمال أخرى (لم تحدد أيضا) بالضريح، (٥٧٦) وبذلك تكون مصروفات اللجنة على أعمال ترميمية بالأثر خلال السنة المشار إليها هو مبلغ (٣ر٤١٣)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٣م) رفضت اللجنة التصريح لأحد الأهالى بإقامة عمارة تطل على الميدان الكائن بين هذا الأثر ودورة مياهه لإبقاء الميدان على ما هو عليه وعدم تشويهه بالعمائر الحديثة، (٥٧٧) وفى هذا ما يدل على مدى حرص اللجنة على إبقاء الآثار منزهة عن تشويهات الأبنية الحديثة.

وفى سنة (١٨٩٥م) قامت اللجنة بترميم ضريح قايتباى بالصحراء وبلغت تكاليف هذا الترميم مبلغا قدره (١٩٠٠ر–)جنيه خص اللجنة منها مبلغ قدره (١١٧٠ر–)جنيه وخص الأوقاف مبلغا قدره (٧٣٠ر–)جنيه. (٥٧٨)

وفى سنة ١٨٩٧م) قامت اللجنة بإصلاح رخام المسجد والقبة بمبلغ (١٨٣٥ر–)جنيه، وإصلاح النجارة الدقية بالمدفن بمبلغ قدره (٤٦٠ر–)جنيه وبذلك يصبح ما صرفته اللجنة على ترميم الأثر خلال السنة المشار إليها هو مبلغ (٢٢٩٥ر–)جنيه. (٥٧٩)

وفى سنة (١٨٩٨م) قامت اللجنة ببعض ترميمات فى هذا الأثر ممثلة فى تجديد المنبر وترميم الزاويتين المصنوعتين بالمقرنص أعلا الباب العمومى وتغطية الصحن بسقف خشبى يحمى أرضية الصحن المشغول شغلا دقيقا وبه لحامات عديدة لا تتحمل كثيرا تأثيرات العوامل الجوية، وبلغت تكاليف هذه الأعمال مبلغا وقدره (٣٣٠ر–)جنيه. (٥٨٠)

وفى سنة (١٨٩٩م) قامت اللجنة ببعض تريميمات فى هذا الأثر اشتملت على اصلاح مبانى وأسقف وأسطح ودهانات وبلغت وبلغت تكاليف ذلك (٣٥٠ر–)جنيه خص اللجنة منها (٢٠٠ر–)جنيه لدهانات الأسقف وخص الأوقاف (١٥٠ر–)جنيه للمبانى والأسقف والأسطح. (٥٨١)

وفى سنة (١٩٠٢م) قامت اللجنة باعتماد مبلغ (٢٤ر٨٩٥)جنيه لأعمال تكميلية لم

تكن منظورة فى الترميمات الأخيرة المشار إليها.(٥٨٢)

وفى سنة (١٩٠٤م) قامت اللجنة بإصلاحات أخرى فى الأثر تمثلت فى ترميم جدران وإصلاح رفرف وعزل لسطح الشخشيخة عن طريق تغطيته بصفائح من الرصاص بدلا من المشمع الذى سبقت الموافقة عليه وتكلفت هذه الأعمال مبلغا قدره (٥٠٠ر١٧٠٩)جنيه خص اللجنة منها (٥٠٠ر١٢٠٩)جنيه وخص الأوقاف (–ر٥٠٠)جنيه.(٥٨٣)

وفى سنة (١٩٠٥م) قامت اللجنة بتجديد رخام الصحن وبلغت تكاليف ذلك(–ر١٧٠٠)جنيه.(٥٨٤)

وفى سنة (١٩٠٧م) قامت اللجنة بأعمال ترميمية بالتربة (لم تحدد) وبلغت تكاليف ذلك (–ر٢٠٠)(٥٨٥)كما قامت اللجنة فى نفس السنة أيضا بإصلاح الكتاب على حساب الأوقاف وبلغت تكاليفه (–ر٣٠٠)جنيه وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات الأثر خلال السنة المشار إليها هو مبلغ (–ر٥٠٠)جنيه.

وفى سنة (١٩٠٨م) قامت اللجنة بتثبيت الوزرة الرخامية بالتربة، وباصلاح الدهليز وبسد الضريح الموجود بين بلاط الإيوانات وتكلفت هذه الأعمال مبلغا قدره (–ر٥٠)جنيه.(٥٨٦)

كذلك قامت اللجنة فى هذه السنة أيضا بأعمال ترميمية أخرى فى هذا الأثر شملت مبانى وإصلاح أسقف وتبليط ومصاريع للشبابيك العليا كما شملت تقوية وتحلية وعمل خندق وبلغت تكاليف هذه الأعمال (–ر٥٥٠)جنيه خص اللجنة منها (–ر٣٠٠)جنيه للمبانى والأسقف والتبليط والشبابيك وخص الأوقاف (–ر٢٢٠)جنيه للتقوية والتحلية والخندق.(٥٨٧)

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات هذا الأثر منذ سنة (١٨٨٩م) حتى سنة (١٩٠٨م) كانت قد بلغت (٣٠٨ر٩٥٢١)جنيه تسعة آلاف وخمسمائة وواحد وعشرين جنيها وثلاثمائة وثمانية مليمات وهو مبلغ ليس بالقليل، ويمكن من خلال تقدير قيمته القديمة حسن تقدير ما بذلته اللجنة عليه من جهد ومال حتى جعلته بالصورة التى وصل بها إلينا.

الفصل الرابع

خانقاوات النصف الأول من القرن العاشر الهجرى
النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى

٩ – الخانقاة الرماحية قانيباى

٩٠٨هـ/١٥٠٢م

أثر رقم ١٣٦

تقع هذه المدرسة الخانقاة بميدان القلعة شمال مسجد المحمودية وشرق جامع الرفاعى، وهى على شرف عالى عرف قديما باسم الصوة والذى أنشأها هو الأمير قانى باى الرماح أحد أمراء السلطان قايتباى وأمير آخور ابنه السلطان الناصر محمد،(٥٨٨) وقد جرى مهندسها فى زخرفة أجزائها الداخلية من عقود وأعتاب أبواب وشبابيك وصفف على نمط منشآت السلطان قايتباى بقلعة الكبش ومسجد أزبك اليوسفى بحارة أزبك وغيرها، ثم نقل عنه مهندس قبة الغورى شكل الوزرة الرخامية مع تحوير طفيف، ومهندس مسجد خاير بك بشارع باب الوزير.(٥٨٩)

والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وأثرية عن هذه المدرسة الخانقاة يجعل حديثنا عنها منحصرا فى أربع نقاط رئيسية هى:

١– تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢– منشئ الخانقاة.

٣– وصف الخانقاة.

٤– ترميمات الخانقاة.

١– تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول على باشا مبارك فى خططه أن جامع الرماح تحت القلعة بالجانب البحرى من ميدانها، وشعائره مقامة (أى على عهده فى القرن ١٣هـ/١٩م) وله مطهرة وبئر وبه ضريح للشيخ عبد الله أبى شعبان الرماح عليه مقصورة من الخشب، وله أوقاف تحت نظر ديوان عموم الأوقاف إيرادها شهريا مائتان وأربعون قرشا (٥٩٠) وقد جانبه التوفيق فى موضع آخر من هذا الكتاب حين

قال أن له باب كبير جهة الميدان وباب آخر داخل درب اللبانة وبه قبة مرتفعة على قبر يقال أنه قبر قانيباى الرماح وقبر آخر لولده محمد الرماح وأن عليه تاريخ سنة تسعمائة وثلاثين.(٥٩١)

والواقع أن هذه المنشأة تعد واحدة من أجمل بنايات أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى (١٥–١٦م) وقد أقيمت فى الميدان الذى عرف قديما بميدان الرملية وبسوق الخيل وبالمنشية ثم عرف بسوق العصر حيث كان يقوم فيه سوق عصر كل يوم إلى أن أطلق عليه ميدان صلاح الدين،(٥٩٢) وهى من الأبنية المعلقة لأن تحتها دور أرضى تشتمل على مجموعة من الحواصل يغلب على الظن انها كانت سكنا لبعض صوفيتها مثلما كان الحال بالنسبة لمدرسة وخانقاة القاضى أبو بكر مزهر بحارة برجوان.

أما عن أوقاف هذه المدرسة الخانقاة فإننا لم نقف منها إلا على ما ذكره على باشا مبارك فيما سبقت الإشارة إليه من أن لها أوقافا تحت نظر ديوان عموم الأوقاف إيرادها شهريا مائتان وأربعون قرشا،(٥٩٣) ويغلب على الظن أن هذه الأوقاف التى أشار إليها على باشا مبارك انما كانت عبارة عن بعض العقارات المؤجرة لأن هذا الإيراد الهزيل لا يتأتى إلا من مثل هذه العقارات التى كانت ضعيفة القدر من حيث الإيراد كثيرا.

أما ابن الجيعان فقد أشار فى التحفة السنية إلى واحدة من البلاد التى كانت موقوفة على هذه المدرسة الخانقاة حين قال أن «محلة خلف» من الأعمال الغربية مساحتها (٩٠٦) فدانا بها رزق (٣٠) فدان كانت عبرتها (٢٤٠٠) دينار ثم صارت على عهده فى القرن العاشر الهجرى (١٢٠٠) دينار، كانت باسم المقطعين ثم أصبحت وقفا لمدرسة الأمير قانى باى أمير أخور،(٥٩٤) وطبيعيا أن يكون هناك فرق كبير بين أوقاف هذه الخانقاة وأوقاف غيرها من الخانقاوات التى سبقت الإشارة إليها، وهو أمر يرتبط إلى حد كبير بقدرة المنشئ المالية وما كان عليه من فقر أو غنى.

٢ – منشئ الخانقاة:

منشئ هذه المدرسة الخانقاة –كما قلنا– هو الأمير قانيباى قرا الرماح من ولى الدين نسبة إلى ولى الدين التاجر الذى جلبه إلى مصر وباعه للسلطان الأشرف قايتباى، فتعهده قايتباى بالتربية

ضمن مماليكه حتى تعلم القرآن والخط وأحكام الدين وأداب الشريعة، كما تعلم فنون الحرب وأنواع الفروسية التى أبلى فيها بلاء حسنا حتى صار من المشهود لهم فى هذا المجال وصار يعرف بالرماح نظرا لبراعته فى اللعب بالرمح.

وقد أعتقه قايتباى وخلع عليه الخلع السلطانية من الملابس والخيل والأسلحة وعينه جمدارا، ثم رقاه إلى وظيفة سلاحدار حتى جعله فى صفر سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) أمير عشرة، ثم عينة نائبا لقلعة صهيون بالشام فأتابكا للعسكر بحلب، وظل على هذا المنصب حتى سنة (٩٠١هـ/١٤٩٦م)⁽⁵⁹⁵⁾

ولما مات السلطان قايتباى فى السنة المشار إليها (٩٠١هـ) وخلفه ابنه الناصر محمد أنعم على قانيباى وجعله مقدم ألف، ثم عينه سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) فى وظيفة أميرأخور فظل قانى باى فى هذه الوظيفة حتى توفى الناصر محمد بن قايتباى وخلفه قانصوة الغورى الأشرف سنة (٩٠٤هـ–٩٠٥هـ/١٤٩٨–١٤٩٩م) فبدأ نجم قانيباى فى الأفول حتى ولى السلطة الأشرف جان بلاط فأعاده إلى وظيفته الأخيرة.⁽⁵⁹⁶⁾

وفى عهد هذا السلطان كلف قانيباى ومعه الأمير طومان باى بالسفر إلى بلاد الشام لإخماد الفتنة التى أثارها نائبه قصرو، ولما عاد من الشام كان الأشرف جان بلاط قد أبعد عن السلطنة وقفز إلى مكانة الأمير طومانباى الذى لم يهنأ بالسلطنة بسبب اتفاق الأمراء على خلعه وتولية عمه قانصوة الغورى فسطع نجم قانيباى من جديد حيث كلفه السلطان الغورى بالسفر إلى الشرقية لتأديب العربان الذين أثاروا الفتنة ضد السلطان هناك.

وبنجاحه فى هذه المهمة اختاره السلطان الغورى للنظر فى المظالم التى يقدمها الناس تظلما من الضرائب الجديدة التى فرضت عليهم، إلا أنه لم يلبث أن كلف سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) بالسفر إلى بلاد الشام مرة ثانية للدفاع عن حدود الدولة المملوكية التى بدأ اسماعيل شاه الصفوى مهاجمتها، فوصل قانى باى بجيشه إلى ملطية فى الشمال الشرقى لحلب، وظل بها حتى بدأ اهتمام العثمانيين بالعالم العربى ضد الصفويين الشيعة فبعث السلطان سليم رسالة إلى الغورى يخبره بنواياه تجاه الصفويين، فما كان من الغورى إلا أن أمر قانيباى بالمرابطة بجيشه فى حلب

لمراقبة الأمر.

ولما وصلت الأخبار بانتصار السلطان سليم العثمانى على الصفويين عاد قانى باى بجيشه من حلب إلى القاهره فى ربيع الأول سنة (٩٢١هـ/مايو ١٥١٥م) فكافأهم السلطان الغورى على حسن بلائهم فى إخماد ثورة الجنود التى حدثت بحلب ولم يلبث قانيباى أن مرض بعد عودته بقليل، ولم يزد مرضه عن خمسة أيام توفى بعدها فى السادس والعشرين من ربيع الأول سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) عن عمر يناهز الستين عاما، فأمر الغورى بنقل جثمانه من باب السلسلة بالقلعة فى تابوت إلى بيته بحدرة البقر المطلة على بركة الفيل بدرب الجماميز ثم أخرجت جنازته من بيته فى موكب حافل حتى وصلت إلى ميدان القلعة فلحق بها السلطان وصلى عليه ودفن بتربته التى كان قد أعدها فى مدرسته التى بين أيدينا.(٥٩٧)

وقيل أن قانيبانى كان أميرا جليلا اتصف بالمروءة والشجاعة والنجدة وكثرة الصدقات ولاسيما على فقراء الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، وقد عرف عنه الترف والزينة ولاسيما عند خروجه فى حرسه، كما عرف عنه شغفه باقتناء الكتب وجمع المصاحف، وقد زود خزانتى مدرستيه بالقلعة والناصرية بالكثير من هذه الكتب لينتفع بها صوفيتها وطلبة العلم المترددين عليها.(٥٩٨)

كذلك فقد عرف عنه البطش والقسوة فيما كان يكلف به من تجريدات ولاسيما مع الفلاحين والعربان عندما كانوا يشقون عصا الطاعة على السلطان، وقيل أن أهل الشام وحلب لاقوا منه العنت والعسف أثناء تحصيل ما كان مفروضا عليهم من ضرائب للسلطان.(٥٩٩)

وقد تزوج قانيباى الرماح من أبنة الأمير يشبك من مهدى فأنجبت له ابنه الناصرى محمد الذى كان يحرص على حياته كثيرا حتى أنه أرسله عندما حدث الطاعون بمصر إلى جبل الطور حتى يكون بمنأى عن بؤرة هذا الطاعون، كذلك كانت له بنتا من إحدى جواريه تزوجت بعد وفاته بعام من الأمير ألماس الدوادار.

ومن مآثر قانيباى الرماح تشييد العديد من الأبنية بمصر والشام مثل الطباق السكنية والخانات والقاعات والوكالات والأسبلة والمدارس وكان أعظم هذه المنشآت قدرا مدرسته وخانقاته

بالقلعة.

٣ – وصف المدرسة الخانقاة : (أنظر لوحة ٤٣)

تقع هذه المدرسة الخانقاة –كما قلنا– على ربوة عالية بميدان القلعة خلف جامع المحمودية، ويحدها من الجهة الجنوبية الشرقية درب اللبانة ومن الجهة الشمالية الشرقية منزل على لبيب المعروف ببيت الفنانين ومن الجهة الشمالية الغربية مسجد الرفاعى ولها واجهة رئيسية تقع فى الناحية الجنوبية الغربية مطلة على طريق حجرى صاعد يبدأ من أمام مسجد الرفاعى إلى أول درب اللبانة.

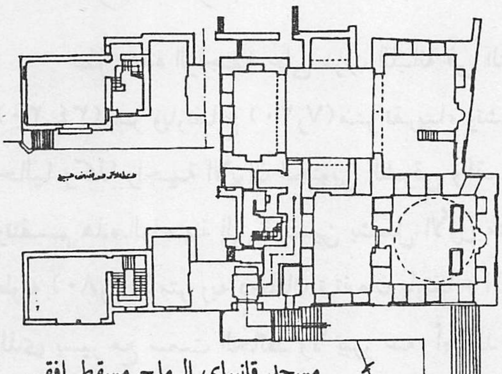

لوحة ٤٣ : الخانقاة الرماحية (قانيباى) اثر رقم ١٣٦(٩٠٨هـ/١٥٠٢م) – مسقط افقى

وتتكون المدرسة من إيوانين كبيرين فى الشرق والغرب وسدلتين صغيرتين فى الشمال والجنوب، وتشتمل على قبة ضريحية وسبيل وكتاب علاوة على أنها كانت مزودة بمساكن للصوفية ومسكن لشيخ الخانقاة ومقعد للمنشئ وجميع ما يلزم للإقامة فيها،(٦٠٠) وهى واحدة من العمائر الأثرية المعلقة لأنها –كما قلنا– مبنية على دور أرضى عبارة عن مجموعة من الحواصل والدهاليز المشابهة لمدرسة ابن مزهر ببرجوان، وجدير بالذكر أن سقوف إيوانات هذه المدرسة الخانقاة قد عملت بأشكال ثلاثة، حيث نرى الإيوان الغربى قد غطى بقبو مصلب مداميكه من الحجر الأحمر والأبيض على التوالى، بينما غطى الإيوانين الشمالى والجنوبى بقبو مدبب وغطى الإيوان الشرقى بقبو كرى يكتنفه من الجانبين قبوان دائريان، وقد أنفردت هذه المدرسة الخانقاة بهذا النظام عن غيرها من الأبنية المملوكية، فلم نجد فى هذه الأبنية غير نموذج سقفى واحد كما فى مسجد السلطان حسن الذى غطيت إيواناته الأربعة بقبوات مدببة أو نموذجين سقفيين كما فى مدرسة برقوق بالنحاسين التى غطى إيوانها الغربى بقبو مدبب بينما غطيت إيواناتها الثلاثة الأخرى بسقوف من الخشب.(٦٠١)

وسنورد فيما يلى وصفا أثريا تفصيليا لعمارة وزخارف هذه المدرسة الخانقاة:

١ - الواجهة الفرعية :

تطل هذه الواجهة على درب اللبانة فى الناحية الجنوبية الشرقية للخانقاة وتمتد بطول (٣٤٫٣٠)متر وبارتفاع (٧٫٢٠)متر تقريبا، وتشرف من الداخل على ملحقات المدرسة المندثرة حاليا وكذا واجهة الإيوان الجنوبى الشرقى والقبة التى تبرز عن سمتها بمقدار (١٫٥٥)متر، وتنقسم هذه الواجهة إلى قسمين يشمل الأول منهما فى الشمال الشرقى واجهة المدرسة ويبلغ طوله (١٠٫٨٠)متر وبه دخلتان ترتفعان بارتفاع المبنى وتحصران فيما بينهما ظاهر محراب المدرسة الذى يسير مع سمت الحائط ولا يبرز عنه، أما الدخلتان فعرض كل منهما (١٫٨٠)متر وعمقها (٠٫١٥)متر الجزء السفلى منها مصمت أما الجزء العلوى فقد فتح فيه المعمار قندلية من فتحتين مستطيلتين معقودتين تعلوهما مدورة، كما فتح فى الجزء العلوى بالمنطقة بين التجويفين قندلية ذات فتحات مستطيلة معقودة تعلوها ثلاثة مداور، وتطل هذه النافذة على المحراب من الداخل.

أما القسم الثانى من هذه الواجهة فيقع فى الناحية الجنوبية ويمثل واجهة القبة وطوله (١٠٫٨٠)متر ويبرز عن سمت القسم الأول بمقدار (١٫٥٥)متر ويشتمل على دخلة عمقها (٠٫١٥)متر ترتفع بارتفاع المبنى، ويشغل الجزء السفلى منها شباك يبلغ عرضه (١٫٢٥)متر وطوله (٢٫٤٠)متر به أرماح ومخرزات معدنية يعلوه عتب مستو من صنجات معشقة فوقه عقد عاتق، ويشتمل الجزء العلوى منها على قندلية تتكون من فتحتين مستطيلتين معقودتين تعلوهما مدورة، أما واجهة القبة المطلة على درب اللبانة فقد شطفت زواياها وخلق فى هذا الشطف عامود مندمج له تاج محلى بالمقرنصات، وتشتمل هذه الواجهة على دخلتين متشابهتين تحصران فيما بينهما ظاهر محراب القبة الضريحية عرض كل منهما (١٫٨٠)متر وعمقها (٠٫١٥)متر الجزء السفلى منها مصمت أما الجزء العلوى فقد فتح فيه المعمار قندلية من فتحتين مستطيلتين معقودتين تعلوهما مدورة تفتح من الداخل على هيئة نافذة، وبين القندلية والنافذة عتب مقبى، كذلك فقد فتح فى الجزء العلوى من المنطقة التى تبرز بين التجويفين قندلية ذات فتحات مستطيلة معقودة تعلوها ثلاثة مداور، ويتوج الواجهة كلها من أعلى صف من الشرافات التى تأخذ شكل ورقة نباتية

تكتنفها ورقتان أخريان كل منهما ذات فصين.

الواجهة الرئيسية : (أنظر شكل ٥٢)

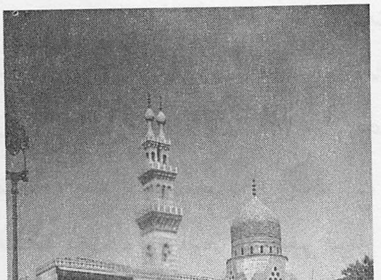

شكل ٥٢ : الخانقاة الرماحية (قانيباى) اثر رقم ١٣٦(٩٠٨هـ/١٥٠٢م) منظر عام يبين الواجهة والمئذنة والقبة والسبيل والكتاب

تقع هذه الواجهة فى الناحية الجنوبية الغربية مطلة على ميدان القلعة وقد أهتم بها المعمار حيث جعلها تشتمل على عدد كثير من العناصر المكونة للمنشأة وتمتد بطول (٣٨)متر وارتفاع (١٢)متر من مستوى أرضية الطريق حتى نهاية الشرافات، وتبدأ الزاوية الجنوبية لهذه الواجهة بواجهة القبة الضريحية تليها المنطقة التى تتقدم هذه القبة ثم كتلة المدخل وتبرز قليلا إلى الخارج بمسافة (٣٠ر)متر، شطفت زاويتها وخلق فيها عمود مندمج، يلى ذلك المدخل الرئيسى للمنشأة ثم قاعدة المئذنة فباب كبير يفضى إلى دهليز ثم باب الدخول إلى السبيل ثم كتلة السبيل والكتاب وتبرز عن الواجهة أيضا، وقد قسمت هذه الواجهة إلى تجاويف رأسية ذات صدور مقرنصة شغل الجزء السفلى منها بشبابيك مستطيلة وشغل الجزء العلوى بقندليات، وتوجت الواجهة من أعلى بشريط من الشرافات التى تأخذ شكل الورقة النباتية الثلاثية المكتنفة بورقتين كل منهما ذات فصين.

وتشتمل هذه الواجهة على ثلاثة أقسام:

أ – واجهة القبة.

ب ـ المدخل الرئيسى.

جـ – السبيل والكتاب.

أ – واجهة القبة : (راجع شكل ٥٢)

تشتمل هذه الواجهة على ثلاث دخلات، تقع الأولى فى أقصى اليمين وتكون الحائط الجنوبى للضريح ويبلغ طولها (٩ر٢٥)متر ويحتوى الجزء الأسفل منها على ثلاثة شبابيك مستطيلة متشابهة طول كل منها (٢ر٠)متر وعرضه (١ر٣٠)متر وتطل هذه الشبابيك من الداخل على الضريح، وقد شغلت بأرماح ومخرزات معدنية ويعلو كل شباك منها عتب مستو من صنجات معشقة ذات لونين أبيض وأحمر فوقه عقد عاتق لتوزيع الثقل على الأكتاف زخرف بصنجات معشقة أيضا، أما فى الجزء العلوى من هذه الدخلة فيعلو كل شباك من الشبابيك الثلاثة المشار إليها فى الجزء السفلى قندلية من فتحتين مستطيلتين معقودتين تعلوهما مدورة وضعت داخل إطار عبارة عن جفت لاعب ذو ميمات دائرية وخوص أعلاها بصدر من المقرنصات الحجرية فى صفين، أما الدخلتان اللتان تقعان إلى يسار الدخلة السابقة فتمتدان بطول (٧ر٦٠)متر وهما عبارة عن تجويفين صغيرين فى كل منهما شباك يبلغ طوله (٢ر٤٠)متر وعرضه (١ر٣٠)متر به أرماح ومخرزات معدنية يعلو كل شباك منهما عتب مستو من صنجات معشقة ذات لونين أسود وأحمر على شكل ورقة نباتية فوقه عقد عاتق زخرف أيضا بنفس الصنجات المعشقة، ويطل كل من هذين الشباكين من الداخل على حجرة تتقدم الضريح، وأسفل الشباك الأيمن منهما فتحة عبارة عن نافذة صغيرة تبلغ أبعادها (١ر٣٠X٠ر٩٥)متر تطل على الحواصل والدهاليز والجزء الأسفل من المدرسة، أما الفتحة اليسرى فهى صغيرة جدا وتبلغ أبعادها (ر٦٣ X ٣٣)متر تشبه المزغلة وتطل أيضا على الجزء الأسفل من المدرسة،(٦٠٢) أما فى الجزء العلوى من الدخلتين فيعلو كل تجويف منهما شباك مغطى بشبكة من السلك، وقد أخذ كل شباك منهما شكل العقد المدبب، وتنتهى كلدخلة من هاتين الدخلتين من أعلى بصدر حجرى مقرنص من صفين، ومن المعروف أن أول نموذج لزخرفة دخلات الواجهات بالمقرنصات كان قد وجد فى الواجهة الرئيسية للجامع الأقمر الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م).

ب – المدخل الرئيسى:

تبرز كتلة المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة عن واجهة القبة بمقدار (ر٣٥)متر وقد عمل فى زاوية هذا البروز شطف به عمود حجرى مخلق له قاعدة وتاج بصليا الشكل تعلوه ثلاثة شبابيك مستطيلة ذات أرماح ومخرزات معدنية، أما المدخل نفسه فيصعد إليه بسلم ذو مطلع واحد عرضه

(٦٠ر٢)متر يرتفع عن مستوى أرضية الطريق بمقدار (٧)متر ويؤدى هذا السلم من خلال أربع عشرة درجة إلى بسطة مستطيلة أبعادها (١٨رX٦٠ر٢)متر لها دروة رخامية فى شقق ذات سبعة بابات، أما فتحة الباب فعرضها (٦٠ر١)متر وارتفاعها (٣)متر يكتنفها مكسلتان حجريتان أبعادهما (٧٠رX٩٥ر)متر يعلو كلا منهما على ارتفاع (٣٥ر)متر شريط كتابى بخط الثلث المملوكى القائم على أرضية من الزخارف النباتية الدقيقة نصه فى الجانب الأيمن لباب المدخل «أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله المقر الأشرف الكريم (وفى الجانب الأيسر) العالى المولوى السيفى قانيباى أمير آخور كبير أعزه الله تعالى»،[٦٠٣] ويعلو فتحة هذا الباب عتب مستو زخرف بالصنجات الرخامية المعشقة باللونين الأبيض والأسود، يلى ذلك عقد عاتق زخرف أيضا بالصنجات المعشقة المغشاة بالزخارف المورقة بالرخام الأبيض والأسود فوقه نافذة مربعة ذات أرماح ومخرزات معدنية لا تطل على دركاة المدخل، وهذا مخالف لما نراه فى سائر المداخل الخاصة بالعمائر المملوكية، فالغرض من هذه النوافذ هو إنارة دركاة المدخل حين إغلاق المدرسة ولكنها هنا تختلف عن غيرها فتفتح بجوار قاعدة المئذنة من أعلى سطح المسجد، ويكتنف هذه النافذة عمودان مندمجان لهما تيجان وقواعد بصلية وأبدان مثمنة، وتنتهى الدخلة بصدر مقرنص بسيط فى ثلاث حطات أما الطاقية التى تعلو المدخل فهى عبارة عن عقد مدائنى ليس به أى مقرنصات ولكن المعمار تفنن فى زخرفة فصوصه فجعل الفص العلوى على هيئة ربع قبة بينما جعل الفصين الجانبين أشبه ما يكون بقبوين متقاطعين صغيرين، ويحيط بهذا المدخل جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

وعلى يسار هذا المدخل توجد قاعدة المئذنة يليها باب حديدى حديث عرضه (٣٠ر٣)متر يصعد اليه عن طريق مطلع موازى لمطلع المدرسة يبدأ من الجزء الشمالى الغربى أسفل شباك السبيل يبلغ عدد درجاته تسع درجات وينتهى الباب من أعلى بعقد نصف دائرى يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية ويعلوه شباك مربع ثم ثلاثة شبابيك يتكون كل منها من فتحة مستطيلة معقودة مغشاة بشبكة من السلك، ويفتح هذا الباب على مساحة سمارية تركها المعمار دون أي تغطية ويبدو أنها كانت تؤدى إلى ملحقات المنشأة وتربط بين المدرسة والسبيل والكتاب.

جـ – السبيل والكتاب: (راجع شكل ٥٢)

تقع كتلة السبيل والكتاب فى الجزء الثالث والأخير فى الواجهة المشار إليها ويبرز منها بمقدار (٩٥ر) متر ويتوصل إليه عن طريق سلم حجرى ذو مطلع واحد موازي لسلم المدرسة يبدأ من الجزء الشمالى الغربى وينتهى أسفل نافذة السبيل عدد درجاته تسع درجات، أما الباب المؤدى إلي السبيل فهو إلى اليسار من الباب الرئيسى للمنشأة وهو عبارة عن فتحة يبلغ عرضها (١,٥٥) متر يعلوها عتب مستو زخرف بصنجات معشقة، يليه عقد عاتق زخرف بالصنجات المعشقة الملونة ويحيط بهما جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويعلو هذا الباب شباك مربع شغلت واجهته بأرماح ومخرزات معدنية يفتح من الداخل لإضاءة دركاة المدخل، ويشتمل الدور الأول من هذه الوحدة المعمارية على السبيل وبه شباك عرضه (٢,٣٥) متر مغشى بأرماح ومخرزات معدنية يعلوها عتب مستو فوقه عقد عاتق ويحيط بهذا الشباك جفت لاعب ذو ميمات دائرية ويتقدمه لوح رخامى طوله (٢,٨٥) متر محمول على ثلاثة كوابيل حجرية لتوضع عليه أوانى الشرب، وتعلوه أربع نوافذ صغيرة مستطيلة.

أما الدور الثانى فيشتمل على كتاب لتعليم أيتام المسلمين يحتوى على شرفة معقودة بعقدين نصف دائريين تغشيهما مشربية من خشب الخرط تتكون من قوائم وعوارض تحصر فيما بينها برامق من الخرط الكبير والصغير تكون أشكالا هندسية، وينتهى الكتاب من أعلى برفرف خشبى محمول على كوابيل خشبية، كما يتوج الواجهة الجنوبية الغربية كلها صف من الشرافات التى تأخذ شكل الورقة النباتية الثلاثية المكتنفة بورقتين كل منهما ذات فصين، وجدير بالذكر أن هذه الكتلة المعمارية المشتملة على السبيل والكتاب قد أعيد بناؤها مع بقية المئذنة –بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٣٥٨م/١٩٣٩م) طبقا للأصل الذى كانا عليه.(٦٠٤)

٣ – القبة من الخارج: (راجع شكل ٥٢)

تقع هذه القبة فى أقصى اليمين من الواجهة الجنوبية الغربية وتظهر بها بين كل منطقتين من مناطق الانتقال قندليات ثلاثية كل منها ذات ثلاث فتحات مستطيلة معقودة تعلوها ثلاث مداور، يلى ذلك منطقة مثمنة تعلوها رقبة القبة وقد فتحت فيها ثمانية شبابيك معقودة ومثلها مضاهيات عملت بالتبادل نافذة مفتوحة وأخرى مقفولة (مضاهية).

ويعلو هذه الشبابيك خوذة القبة التى يدور حولها شريط كتابى بخط الثلث المملوكى نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم». (٦٠٥) أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقر الأشرف الكريم العالى السيفى قانى باى أمير آخور كبير الملكى الأشرفى».

أما الخوذة فتأخذ شكل قطاع عقد مدبب وهى مبنية من الحجر وقد زخرفها المعمار بزخارف مورقة عبارة عن وحدات متكررة يتكون كل منها من شكل معين مفصص يحتوى بداخله على أربع ورقات نباتية ثلاثية الفصوص، وتبدأ هذه الزخرفة فوق رقبة القبة بشريط يدور حول الرقبة عبارة عن جفت لاعب ذو ميمات دائرية تبدأ منه أنصاف المعينات، وتصغر هذه الوحدات تدريجيا حتى قطب القبة، وتتجلى براعة المعمار المملوكى فى تطويع الحجر لنقش مثل هذه الزخارف الهندسية الدقيقة.(٦٠٦)

٤ – المئذنة من الخارج (انظر شكل ٥٣ وراجع شكل ٥٢)

تقع قاعدة هذه المئذنة إلى اليسار من المدخل المؤدى إلى المدرسة ويبدأ جسمها من سطح المنشأة وهى تتكون بعد إكمالها هى والسبيل سنة (١٩٣٩م) بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية(٦٠٧) من ثلاثة طوابق أولها مربع فى كل ضلع من أضلاعه دخلة متوجة بعقد من نوع حدوة الفرس يرتكز على عمودين مندمجين فتح فى وسطها مزغلة لإضاءة الدرج الحلزونى الصاعد داخل المئذنة، وينتهى الطابق الأول بأربعة صفوف من المقرنصات الحجرية تحمل

شكل ٥٣ : الخانقاة الرماحية (قانيباى) المئذنة والقبتان

دروة الطابق الثانى الذى يتكون أيضا من مربع فى كل ضلع من أضلاعه ثلاث دخلات معقودة بعقد حدوة الفرس الجانبيتان منها مصمتتان أما الوسطى ففيها مزغلة لإضاءة السلم، وينتهى هذا الطابق بثلاثة صفوف من المقرنصات الحجرية تدور حول أضلاعه الأربعة وتحمل شرافات الطابق الثالث الذى يتكون من جوسق عبارة عن مربعين متجاورين مفتوحين فى كل الجهات بفتحات معقودة تنتهى فى أعلاها بشرافات صغيرة يحمل كل مربع منها فتحة على هيئة القلة، وبهذا يتضح أن هذه المئذنة هى من طراز المآذن ذات الرأس المزدوج، وهو طراز يختلف عما كان سائدا فى عمائر عصره.

وبهذا تكون هى أول ما بنى من نوعه فى عمارة القاهرة الإسلامية إذا ما استثنينا مئذنة مدرسة السلطان حسن التى سقطت سنة (٧٦٢هـ)، وإذا لم يكن مهندس هذه الخانقاة هو نفسه مهندس عمارة الغورى بالغورية –وهو ما يغلب على الظن– فإنه يكون قد مهد لمهندس الغورى سبيل بناء مئذنة أخرى ذات رأسين بالجامع الأزهر ثم مئذنة ثالثة ذات أربع رؤوس بمسجده بالغورية، أما خارج القاهرة فالراجح أن أول ظهور هذا الطراز ذو الرأسين كان بمئذنة مسجد الغمرى بميت غمر.(٦٠٨)

٥ – دركاة المدخل :

تؤدى فتحة المدخل الرئيسى المشار إليه إلى دركاة مستطيلة تبلغ أبعادها (٢,٧٢X٢,١٢)متر بصدرها دخلة ترتفع بارتفاع جدران الدركاة فى جزئها السفلى مصطبة حجرية ارتفاعها (٩٢,٠)متر كانت مخصصة كما جاء فى حجة الوقف لقراء الصفة المعينين بالخانقاة.(٦٠٩)

وفى الجزء الجنوبى الشرقى من هذه الدركاة فتحة باب معقودة بعقد مدبب اتساعها (١,٣٧)متر يغلق عليها باب خشبى حديث من مصراع واحد، وتؤدى هذه الفتحة إلى الممر المنكسر المفضى إلى الصحن، ويغطى هذه الدركاة سقف خشبى من نوع البراطيم المقسمة على هيئة مربوعات مزخرفة بأشكال مستطيلة، ونقش هذا السقف باللونين الأزرق اللازوردى والذهبى، ويحيط به إزار يتكون من ثلاثة صفوف من الدلايات، أما أرضيتها فقد فرشت ببلاطات من الحجر

الجيرى.(٦١٠)

٦ – الممر المنكسر المؤدى إلى الصحن :

من فتحة معقودة فى الجدار الجنوبى الشرقى للدركاة يبلغ عرضها (١٫٣٥)متر يفضى إلى ممر منكسر يتكون من ثلاثة انكسارات يبدأ أولها موازيا للدركاة ويمتد بطول (٢٫٧٥)متر وعرض (١٫٣٨)متر متجها ناحية الغرب حيث نجد فى نهايته إلى اليسار فتحة باب يغلق عليها مصراع خشبى حديث من درفة واحدة تؤدى إلى أعلى المدرسة عرضها (٩٨٫)متر، وقد غطى هذا الانكسار فى بدايته ونهايته بقبوين متقاطعين صغيرين، أما الانكسار الثانى فيتعامد على الأول ويمتد بطول (٣٫١٣)متر وعرض (١٫٥)متر وينتهى عند بداية جدران الحجرة التى تتقدم القبة، أما الانكسار الثالث فيتعامد أيضا على الانكسار الثانى ويمتد بطول (٨٫٩)متر وعرض (١٫٢٢)متر وقد غطى جزء منه يبلغ طوله (٢٫٦٢)متر بقبو حجرى طولى بينما ترك الجزء الباقى الذى ينتهى إلى الصحن المكشوف سماويا، وقد فتح فى الجدار الشرقى من هذا الدهليز شباكان عرض كل منهما (١٫٢٥)متر يطلان على الحجرة التى تتقدم الضريح بكل منهما أرماح ومخرزات معدنية ولكل منهما عتب مستو من صنجات رخامية مزررة كما فتح فى جداره الغربى فتحة باب مستطيلة عرضها (٠٫٩٠)متر يغلق عليها مصراع خشبى تؤدى إلى حجرة صغيرة مستطيلة مساحتها (٤٫٢X١٫٥)متر يسقفها الآن سقف خشبى حديث ويستخدمها خادم المسجد فى حفظ أوراقه الخاصة.

وفى نهاية الجزء الثانى من هذا الممر المنكسر توجد مزملة عبارة عن منطقة مربعة عميقة محاطة بسياج من الخشب فتح فى الجزء العلوى منها فتحة شباك تطل على الواجهة الرئيسية للجدار الجنوبى الغربى، وقد عمل سقف الدهليز فى نهاية هذا الإنكسار على هيئة منور أو ملقف هوائى لتلقى دورة الهواء البارد مع الملقف الذى عمله المعمار فى نهاية الدهليز ليرطب هذا الهواء

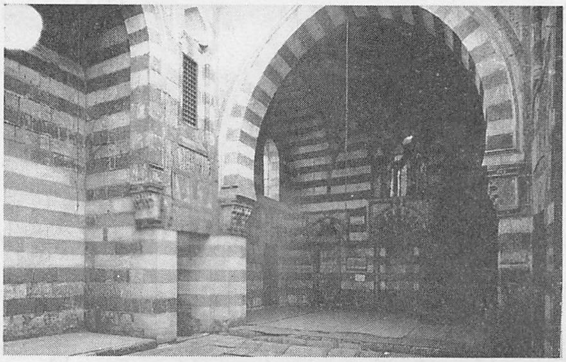

شكل ٥٤ : الخانقاة الرماحية (قانيباى) منظر داخلى وفيه المحراب والمنبر

البارد مياه الشرب الموجودة بالمزملة.(٦١١)

٧ – صحن الخانقاة : (أنظر شكل ٥٤)

من فتحة الباب المشار إليها بنهاية المدخل المنكسر يفضى إلى صحن سماوى ذو شكل مربع تقريبا أبعاده (٧٫٣٠X٧٫٥٤)متر وتنخفض أرضيته عن أرضية الإيوانات المحيطة به بمقدار (٫١٨)متر، وتذكر حجة الوقف أن الصحن وقت إنشائه كان مغطى بسقف خشبى تتوسطه فتحة مثمنة الشكل مما اصطلح على تسميته بالشخشيخة،(٦١٢) وتطل واجهات الإيوانات الأربعة على هذا الصحن ويفتح فى أضلاعه الأربعة أربعة أبواب فيؤدى الباب الموجود بالزاوية الغربية وعرضه (١٫٢٥)متر إلى الممر المنكسر وإلى مدخل المدرسة، ويؤدى الباب الموجود فى الزاوية الجنوبية وعرضه (١٫٢٥)متر إلى المنطقة التى تتقدم القبة الضريحية، أما الباب الموجود فى الزاوية الشمالية وعرضه (١٫٢٥)متر فيؤدى إلى ساحة خربة لم يتبق منها سوى جدران بعض الأساسات بأرتفاع متر، كما يؤدى هذا الباب أيضا إلى الطابق السفلى من المنشأة المشتمل على الحواصل والدهاليز بينما يؤدى الباب الرابع الموجود بالزاوية الشرقية وعرضه (١٫٢٥)متر إلى مبان مندثرة الآن، ويغلق على كل باب من هذه الأبواب الأربعة مصراعان خشبيان ويعلو كلا منها عتب مستو فوقه، عقد عاتق من صنجات معشقة يعلوه شريط كتابى بخط الثلث المملوكى القائم على أرضية من الزخارف النباتية الدقيقة يبدأ من أعلى باب الضلع الشمالى الشرقى وينتهى عند الباب المؤدى إلى الضريح ونصه:

«أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريم العالى السيفى قانى باى الرماح أمير آخور الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره».(٦١٣) ويعلو هذه الأشرطة فوق كل باب دخلة مستطيلة معقودة بعقد منكسر محمول على عمودين مندمجين بينهما فتحة شباك مربعة مغشاة بأرماح ومخرزات معدنية، وقد ملئت كل دخلة من هذه الدخلات بزخارف مشعة، أما أرضية هذا الصحن فقد فرشت ببلاطات حجرية.

٨ – إيوان القبلة : (راجع شكل ٥٤)

يعتبر إيوان القبلة هو الإيوان الرئيسى لهذه الخانقاة ويتكون من مستطيل يبلغ طوله (٩٫٨٠)متر وعرضه (٦٫١٤)متر يرتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠ر)متر واجهته معقودة بعقد مدبب سعته (٦٫١٤)متر وارتفاعه (٨٫١٠)متر ترتكز رجلاه على كتفى الحائط وليس على أعمدة أو دعامات وتنتهى بأربعة صفوف من المقرنصات وقد زخرفت كوشته بالزخارف النباتية المورقة المحفورة حفرا بارزا فى تفريعات حلزونية تنتهى بأوراق رمحية طليت بالدهانات الذهبية على أرضية زرقاء.

المحراب :

يتصدر الجدار الجنوبى الشرقى لهذا الإيوان محراب (راجع شكل ٥٤)عبارة عن حنية على هيئة قطاع نصف دائرة يبلغ عمقها (٧٠ر)متر واتساعها (١٫١٠)متر تعلوها طاقية معقودة بعقد مدبب محمولة على عمودين كل منهما مثمن الأضلاع له قاعدة وتاج بصليا الشكل، وقد زخرفت طاقية المحراب بأشكال معينات تحتد منها اشعاعات لتصل إلى عقد المحراب بينما زخرفت حنيته بأربعة أشرطة أفقية زين العلوى والسفلى منها بزخارف نباتية ونقش فيما بينها شريطان كتابيان بخط الثلث المملوكى نص العلوى منهما «بسم الله الرحمن الرحيم، يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا (ويكتمل النص فى الشريط السفلى بقوله تعالى) وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. صدق الله العظيم».(٦١٤) ويعلو المحراب قندلية ذات ثلاث فتحات مستطيلة معقودة فوقها ثلاث فتحات أخرى مستديرة يضمها جميعا إطار مستطيل، وعلى جانبى المحراب دخلتا كتبيتين يغلق على كل منهما مصراعان من الخشب الأول على يمين المحراب عمقها (٠٨ر)متر وطولها (١٢٫٨)متر وعرضها (١٫٠)متر والثانية على يساره عمقها (٧٥ر)متر وطولها (٢٫٣٠)متر وعرضها (١٫٤٥)متر ويعلو كلا منهما عقد مدبب مماثل لعقد طاقية المحراب، وفى الضلع الجنوبى الغربى لإيوان القبلة شباكان يطلان على الضريح المجاور له ارتفاع كل منهما (٢٫٦٠)متر وعرضه (١٫٢٥)متر بكل منهما أرماح ومخرزات معدنية ولكل منهما عتب مستو مكون من صنجات معشقة يعلوها عقد عاتق زخرف بصنجات رخامية معشقة أيضا، وفوق كل شباك منهما نافذة معقودة بعقد نصف دائرى تطل أيضا على القبة الضريحية، وفى الضلع الشمالى الشرقى من هذا

الإيوان شباكان آخران يطلان على الملحقات المندثرة الآن ارتفاع كل منهما (٢٫٦٠)متر وعرضه (١٫٢٥)متر بكل منهما أرماح ومخرزات معدنية،ولكل منهما عتب مستو مكون من صنجات معشقة يعلوها عقد عاتق، وفوق هذين الشباكين توجد فتحتان معقودتان بعقد نصف دائرى شغلت كل منهما بالزخارف الجصية وتطل على الملحقات المندثرة للمنشأة.

المنبر:

على يمين المحراب يوجد منبر يتكون من قاعدة وباب وريشتين وسلم وجلسة خطيب، وقد زخرفت ريشتيه وواجهته بما فيها بابه بالحفر المطعم بالعاج على شكل الأطباق النجمية، وفى نهاية المنبر توجد جلسة الخطيب وتعلوها خوذة تشبه رؤوس المآذن المملوكية التى على هيئة القلة، وقد زخرفت هذه الجلسة بالزخارف النباتية ذات الأوراق المذهبة، أما باب المنبر فتعلوه حشوة كتابية بالخط الثلث المملوكى داخل إطار مستطيل نصها : «إن الله وملائكته يصلون على النبى».(٦١٥)

ولكى يحول المعمار هذا الإيوان المستطيل إلى مربع يقيم عليه قبة أقام عقدين يبدأ كل منهما من بداية فتحة الإيوان وينتهى إلى حائط جدار القبلة، وبذلك حصل على مربعة طول ضلعها (٦٫١٥)متر يكتنفها مستطيلان مقبيان عرض كل منهما (١٫٧٥)متر وطوله (٦٫١٥)متر، وفى أركان المربع عند منطقة الانتقال توجد أربعة مثلثات كروية غشيت بالزخارف المورقة المحفورة، وتحمل هذه المثلثات قبة ضحلة بنيت بالحجر المشهر،(٦١٦) وحول صرة القبة يدور شريط كتابى بخط الثلث المملوكى على هيئة إشعاعية حيث تمتد ألفاته ولاماته لتلتقى عند الصنجة المفتاحية للقبة الضحلة نصه :

«قل كل يعمل على شاكلته»،(٦١٧) مكررة وفى دائرة القبة فوق المثلثات الكروية مباشرة يدور شريط كتابى آخر نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم – إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صدق الله العظيم»،(٦١٨) أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريم العالى المولوى السيدى السندى الذخرى العضدى الأميرى الكبيرى السيفى قانيباى أمير آخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره

بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.(٦١٩)

والواقع أن تغطية الإيوانات بالقباب هنا ولاسيما تغطية إيوان القبلة بقبة ضحلة محمولة على أربعة مثلثات كروية هى ظاهرة جديدة غير مسبوقة فى عمائر العصر المملوكى، وقد أشار البعض خطأ إلى أن هذا الأسلوب متأثر بالطراز العثمانى لأن الفارق الزمنى بين العصرين قائم وهو يسبق فى المثل الذى بين أيدينا أمثلة العصر العثمانى – ولا يعقل أن يكون المثل السابق هو المتأثر بالمثل اللاحق أو المتأخر لأن العكس فى ذلك هو الصحيح،(٦٢٠) وغالب الظن أن هذه التغطية كانت مجرد أسلوب غير متأثر بطرز خاصة واردة عليه مثلما وجد فى مئذنة نفس المنشأة التى تنتهى برأسين على غير عادة هذا العصر فاختلف بذلك عن الطراز السائد فى عصرها، وكأن الأمير قانيباى الرماح قد أراد أن تنفرد منشأته بعناصر جديدة فظهرت المئذنة ذات الرأسين وظهرت القبة الضحلة المشار إليها.

٩ – الإيوان الغربى :

يتكون هذا الإيوان من مساحة مستطيلة يبلغ طولها (٦ر٨٥)متر وعرضها (٦ر٦٥)متر يرتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠ر)متر ولا يفتح على هذا الصحن بكل اتساعه وإنما يطل عليه بعقد مدبب تبلغ سعته (٤ر٥٠)متر يشبه تماما عقد إيوان القبلة وتنتهى رجلاه بشكل مقوس يشبه رجلى عقد حدوة الفرس ويرتكز على رجلين بالحائط وينتهى بأربع صفوف من المقرنصات، وقد زخرفت كوشته بالزخارف النباتية المنفذة بالحفر البارز على الحجر وطليت بالدهانات الذهبية على أرضية زرقاء، ويغطى هذا الإيوان نصف قبو متقاطع ويتصدره فى الضلع الشمالى الغربى ثلاثة شبابيك مستطيلة عرض الواحد منها (١ر٢٥)متر وعمقه (٩٥ر)متر يغلق عليه مصراعان من الخشب، وقد غشيت هذه الشبابيك بأرماح ومخرزات معدنية يعلوها عتب مستو من صنجات رخامية معشقة باللونين الأبيض والأسود فوقها عقد عاتق، وفوق كل شباك من هذه الشبابيك الثلاثة نافذة صغيرة معقودة بعقد نصف دائرى، وتشرف هذه الشبابيك وتلك النوافذ على ساحة فضاء تتقدم الحواصل الموجودة أسفل المدرسة، أما الجزأين الشمالى والجنوبى من هذا الإيوان فبكل منهما دخلتان متماثلتان عرض كل منهما (١ر٣٥)متر وعمقها (٦٠ر)متر ويعلو كل منهما عتب مكون من صنجات معشقة يعلوه عقد عاتق فوقه نافذة مستطيلة.(٦٢١)

١٠ - الإيوان الشمالى (السدلة الشمالية)

تشغل هذه السدلة مساحة مستطيلة طولها (٣)متر وعرضها (٢)متر ترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠ر)متر وتطل واجهتها بكامل اتساعها على الصحن بقبو مدبب ينتهى عند رجليه بمقرنصات حجرية، وقد غطيت هذه السدلة بقبو مدبب وفرشت أرضيتها ببلاطات من الحجر الجيرى.(٦٢٢)

١٢- المنطقة التى تتقدم القبة :

يؤدى الباب الموجود فى الزاوية الجنوبية من الصحن إلى المساحة التى تتقدم القبة وهى عبارة عن منطقة مستطيلة أبعادها (٥X٦)متر تفنن المعمار فى معالجة شبابيكها وسقفها بطريقة تدل على تماثل كامل حيث جعل كل ضلعين من أضلاع المستطيل متشابهان تماما، وقد غطيت هذه المساحة بقبو مروحى مركب يتألف من قبو مروحى كامل فى الوسط ونصفى قبوين مروحيين على جانبيه، بينما يشتمل مركز تقاطع القبو على جامة مثمنة الشكل،(٦٢٣) ويفتح الباب القادم من الصحن فى الضلع الشمالى الشرقى على هذه المنطقة وتعلوه نافذة مستطيلة معقودة بعقد نصف دائرى على يساره دخلة مستطيلة تعلوها دخلة ثانية مستطيلة معقودة لا نجد لها وظيفة معمارية سوى المحافظة على روح التماثل مع الضلع المواجه لها.

أما الضلع الشمالى الغربى لهذه المنطقة فقد فتح فى الجزء السفلى منه ثلاثة شبابيك مستطيلة يطل اثنان منها على الممر المنكسر بينما يطل الثالث على المزملة الموجدوة فى نهاية الضلع الثانى من الممر المنكسر، أما الجزء العلوى من هذا الضلع فيشتمل فوق كل شباك من الشبابيك السفلية الثلاثة على نافذة مساطيلة معقودة مغشاة بمخرزات وأرماح معدنية.

ويتشابه الضلع الجنوبى الغربى لهذه المنطقة تماما مع الضلع المواجه له (الشمالى الشرقى) باستثناء شباكين يطلان على الطريق الصاعد أمام الواجهة الرئيسية للمدرسة تعلوهما فتحتان معقودتان.

أما الضلع الجنوبى الشرقى فتتوسطه دخلة تنتهى من أعلى بصدر مقرنص من أربعة صفوف من المقرنصات الحجرية فتح فى أسفلها باب يؤدى إلى الضريح تكتنفه مكسلتان حجريتان صغيرتان

يعلوهما شريط كتابى بخط الثلث المملوكى نصه «بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام آمنين»،(٦٢٤) ويعلو فتحة الباب هذه عتب مستو من صنجات معشقة باللونين الأبيض والأسود ثم نفيس مغشى بزخارف جصية على هيئة فروع نباتية يعلوه عقد عاتق فوقه شريط كتابى نصه «اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدارين»،(٦٢٥) ويعلو هذا الشريط مباشرة شباك مربع مغشى بمخرزات وأرماح معدنية يفتح على القبة الضريحية، وعلى جانبى باب الدخول لهذه القبة فتح فى الجزء الأسفل شباك مستطيل مغشى بمخرزات وأرماح معدنية تعلوه نافذة مستطيلة معقودة بعقد نصف دائرى ويفتح كل من الشباك والنافذة على القبة الضريحية.

١٣ – القبة من الداخل :

تقع قبة الضريح فى الركن الجنوبى الشرقى للمدرسة الخانقاة ونصل إليها عن طريق مساحة مستطيلة تتقدمها من خلال باب فى الضلع الشمالى الغربى لها، ويحد جدارها الشمالى الشرقى إيوان القبلة، أما جدارها الجنوبى الشرقى فيطل على درب اللبانة بينما يفتح جدارها الجنوبى الغربى على الواجهة الغربية (الرئيسية)، وقد كانت أول قبة ملحقة بمدرسة هى قبة الصالح نجم الدين أيوب التى أنشأتها زوجته شجرة الدر سنة (٦٧ – ٦٤٨هـ) ملاصقة للمدرسة الصالحية بشارع المعز لدين الله الفاطمى فاستندت بذلك سنة جديدة فى مصر سار على منهجها بعد ذلك سلاطين وأمراء المماليك.

وتتكون القبة من مساحة مربعة طول ضلعها (٧)متر فتح فى الجزء السفلى من ضلعها الشمالى الغربى الباب المؤدى إليها، وقد أدى سمك الجدار فى هذه المنطقة إلى أن جعله المعمار على هيئة ردهة صغيرة مغطاة بقبو مدبب، ويعلو هذا الباب شريط كتابى بخط الثلث المملوكى نصه « فلنولينك قبلة ترضاها فوق وجهك شطر المسجد الحرام»،(٦٢٦)ويعلو هذا الشريط الكتابى قمرية مزخرفة بالجص المفرغ الخالى من الزجاج الملون يحيط بها إطار مربع فى الحجر ينتهى بمربع صغير فى داخله دائرة عند منطقة تماس صنجات القمرية مع المربع، وعلى جانبى الباب توجد دخلتان فتح فى الجزء السفلى منهما شباك مستطيل بعتب مستقيم يطل على المنطقة التى تتقدم القبة،(٦٢٧) وقد زخرف المعمار أرضية أعتاب الشبابيك الموجودة بالضلعين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى بجلس رخامية لاتزال بقيتها قائمة فى أشكال مستطيلات بيضاء لها إطارات

قسمت إلى مثلثات بشكل طردى وعكسى على التوالى باللون الأحمر الغامق، وقد غشيت هذه الشبابيك بأرماح ومخرزات معدنية وعمل فوق كل منها نافذة معقودة مدبية تطل أيضا على المنطقة التى تتقدم الضريح.

أما الجدار الجنوبى الغربى من الضريح فقد فتح فى الجزء السفلى منه ثلاثة شبابيك معقودة مدبية تطل على الطريق الصاعد أمام الواجهة الرئيسية للمدرسة الخانقاة غشيت بأرماح ومخرزات معدنية وعمل فوق كل منها قندلية تتكون من فتحتين مستطيلتين معقودتين تعلوهما مدورة، وقد زخرفت أرضية أعتابها بجلس رخامية أيضا، أما الضلع الشمالى الشرقى من مربع القبة فقد فتح فى الجزء الأسفل منه ثلاثة شبابيك مستطيلة يطل اثنان منها على إيوان القبلة بالمدرسة، أما الشباك الثالث فى نهاية الضلع من الواجهة الشرقية فيفتح فى منطقة بروز القبة من واجهة المدرسة ويطل بذلك على درب اللبانة والواجهة الجنوبية الشرقية وقد غشيت هذه الشبابيك بأرماح ومخرزات معدنية.

أما الجدار الجنوبى الشرقى من القبة الضريحية فتتصدره حنية المحراب وتقع بواجهة الباب المؤدى للقبة وهى عبارة عن حنية مجوفة يبلغ عمقها (٨٠ر)متر وسعتها (١)متر تتوجها طاقية عبارة عن قبة يتقدمها عقد مدبب محمول على عمودين منفصلين عن الجدران لهما تيجان وقواعد بصلية الشكل وأبدان مثمنة من الرخام الأبيض، ويشبه هذا المحراب محراب المدرسة ولكنه لا يحتوى على أشرطة كتابية، وقد زخرفت بواطن عقده بدوائر تحتوى على زخارف هندسية، أما عقده فيعلوه شريط كتابى بخط الثلث المملوكى نصه «بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى» وبهذا يكتمل النص السابق ذكره فى الشريط الكتابى الذى يعلو باب القبة فى الضلع المواجه ونصه «السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر البيت الحرام»،[٦٢٨] ويعلو هذا الشريط مباشرة قمرية مزخرفة بالجص المفرغ لا يوجد بها الآن زجاج ملون، ويحيط بهذه القمرية إطار حجرى مربع به عند تماس صنجات القمرية مع المربع مربع صغير بداخله دائرة، وتتماثل هذه القمرية بذلك مع القمرية الموجودة بالضلع الشمالى الغربى المواجه لها وعلى جانب هذه القمرية نافذة تفتح من الداخل على هيئة فتحة مستطيلة معقودة بعقد مدبب وتفتح على الخارج بقندلية من فتحتين مستطيلتين معقودتين تعلوهما مدورة وبين القندلية والنافذة عتب مقبى.

كذلك توجد على جانبي المحراب دخلتان متماثلتان يغلق عليهما مصراعان من الخشب الأولى على يمين المحراب عمقها (٦٥ر)متر واتساعها (٠٥ر١)متر وارتفاعها (٠ر٣)متر، والثانية على يساره بنفس الشكل والمقاسات ويعلو كلا من هاتين الدخلتين نافذة سبق وصفها، هذا وقد كسيت جدران مربع القبة بارتفاع (١٨ر١)متر لوزرات رخامية باللونين الأبيض والأسود على هيئة مستطيلات متكررة ذات إطارات سوداء أندثر جزء كبير منها.

وتشتمل أرضية القبة الضريحية فى المنطقة التى تتقدم المحراب على تركيبتين رخاميتين مستطيلتين يبلغ عرض الأولى منهما (٨٠ر٢)متر وارتفاعها (٩٧ر)متر وعرض الثانية (٨٠ر٢)متر وارتفاعها (٩٧ر)متر، يعلو كل تركيبة منهما رؤوس حجرية وقد أعدهما المنشئ ليدفن هو فى إحداهما ويدفن منسوبيه في الأخرى،(٦٢٩) أما الجزء العلوى من جدران الضريح فيتوجه شريط كتابي عريض بخط الثلث المملوكى يدور حول الجدران الأربعة من أعلى نصه «بسم الله الرحمن الرحيم – وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين صدق الله العظيم»(٦٣٠) أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى السيدى السندى الذخرفى العضدى الملكى المخدومى السيفى قانى باى أمير آخوركبير الملكى الأشرفى بتاريخ مستهل شعبان من عام ثمان وتسعمائة «ويبدأ هذا النص عند الزاوية الجنوبية من زوايا مربع القبة الضريحية وينتهى عندها وهو النص الوحيد الذى يحمل تاريخ الإنشاء لهذه المدرسة الخانقاة.

وتبدأ منطقة انتقال القبة من نهاية الشريط الكتابى المشار إليه على هيئة حطات من المقرنصات تأخذ بعد تكوينها العام شكل المثلث قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل وتتكون من سبع حطات تتكون أولاها من أسفل من مقرنص واحد والثانية من مقرنصين والثالثة من ثلاث وهكذا بتوافق عدد الحطات التى تأخذكل منها شكل تجويف واجهته على هيئة العقد المدبب، وقد فتح فى الأضلاع الأربعة لمنطقة الانتقال هذه بين صفوف المقرنصات نوافذ قندلية كبيرة مركبة من ثلاث فتحات معقودة مستطيلة تعلوها ثلاث دوائر، بينما فتح فى رقبة القبة ستة عشر شباك كل منها عبارة عن فتحة مستطيلة معقودة لإضاءة القبة من الداخل أما صرة القبة فهى من الحجر وخالية تماما من أية زخارف ويتدلى من صنجتها المفتاحية سلسلة طويلة كانت معدة لحمل تنور أو مشكاةللإضاءة، وصفوة القول أن قبة هذه المدرسة الخانقاة هى واحدة من النماذج القيمة التى

تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية، إذ نراها بارزة عن سمت الواجهة الشرقية، وبنواصيها أعمدة حجرية منقوشة، كما نقش سطحها الحجرى بزخارف مورقة جميلة.(٦٣١)

١٤ – السبيل والكتاب (راجع شكل ٥٢:)

تقع كتلة السبيل والكتاب الملحقة بهذه المدرسة الخانقاة فى نهاية الواجهة الجنوبية الغربية وتبرز عن سمت هذه الواجهة بمقدار (٩٥ر)متر ويتوصل إليها عن طريق فتحة باب اتساعها (٥٠ر١)متر تؤدى إلى دركاة مستطيلة عرضها (٣)متر وطولها (٤)متر استغلها المعمار فى عمل (قلبات) السلم المؤدى إلى الكتاب، ويؤدى إلى حجرة السبيل فتحة باب اتساعها (١٠ر١)متر يصعد إليها بدرج، وهذه الحجرة عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها (٧ X ٥)متر ولا يوجد بها سوى شباك وثلاث دخلات عمق كل منها (١٩ر)متر وارتفاعها (٠٦ر٢)متر وترتفع كل منها عن أرضية الحجرة بمقدار (٥٠ر)متر.

أما ارتفاع الدخلات نفسها فيبلغ (٢)متر وعرضها (١٠ر١)متر منها اثنتان متجاورتان فى الضلع الشمالى الغربى من حجرة السبيل وواحدة فى الجدار الجنوبى الشرقى، أما السقف فهو يشبه السقف الموجود بدركاة المدخل ويتكون من براطيم خشبية فيما بينها أخاديد وتجاويف وتظهر به بقايا آثار التلوين القديم رغم أنه مدهون الآن بلون بنى حديث.

أما الكتاب فيصعد إليه بدرج مكمل للسلم المؤدى لحجرة السبيل وقد تعذر وصفه نظراً لأنه مشغول بسكن بعض الأهالى حالياً.

٤ – ترميمات الخانقاة:

نالت هذه المدرسة الخانقاة رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة (١٨٨٦م) حتى سنة (١٩٠٤م) حيث قامت هذه اللجنة بإزالة الدكاكين من الواجهة وأصلحتها، كما أزالت السقف الحادث الذى كان يغطى الصحن ورفعت بياضه الذى كان يحجب الزخارف الملونة والمذهبة فيه، وأعادت بناء الإيوان الغربى وأصلحت قاعدة المنارة، كما قامت بتقوية المبانى الحاملة للخانقاة بالدور الأرضى (الحواصل)، وفى عهد الملك فاروق أكملت بناء المئذنة والسبيل بجوارها مما كان له أحسن الأثر فى إحياء هذا المبنى وتجميل الميدان المطل عليه،(٦٣٢) وفيما يلى بيان بما قامت به لجنة الآثار العربية من ترميمات فى هذه الخانقاة:

ففى سنة (١٨٨٦م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٥٨٠ر٢٤٣)جنيه على أعمال التقوية اللازم إجراؤها بجامع قانى باى السيفى أمير أخور،[٦٣٣] كما صرفت فى نفس السنة أيضاً مبلغاً قدره (١٥٠ر٢٤)جنيه على أعمال ترميمية (لم تحدد) بسبيل وجامع الرماح بالقلعة،[٦٣٤] وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على هذا الأثر فى تلك السنة هو مبلغ (٧٣٠ر٢٦٧)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٢م) وافقت اللجنة على تنظيف الكتاب الملحق بهذه الخانقاة فوق السبيل وذلك باستعمال البوتاس دون التفريش لأن التفريش يضر بحوائط طرقته المبنية من الحجر الفص النحيت،[٦٣٥] كما وافقت على صرف مبلغ قدره (٤٥ر–)جنيه كان قد صرف على عملية فحص ميل الواجهة القبلية.[٦٣٦]

وفى سنة (١٨٩٣م) قرر القومسيون الثانى للجنة ضرورة إصلاح رخام أرضية الضريح والطرقة التى تتقدمه واعتمد لذلك مبلغاً قدره (–ر١٠٦)جنيه كان منها على حساب اللجنة مبلغاً قدره (–ر١٠٣)جنيه وعلى حساب الأوقاف مبلغاً قدره (–ر٣)جنيه.[٦٣٧]

وفى سنة (١٩٠٣م) قررت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٨٨)جنيه لتجديد سقف الكتاب الكائن فوق السبيل،[٦٣٨] كما قررت فى نفس السنة أيضاً صرف مبلغ (–ر٧٠)جنيه لتقوية جدران الدور الأرضى التى ظهر فيها – بعد رفع الأتربة والأنقاض التى كانت متراكمة عليها – كثير من الخلل اللازم إصلاحه،[٦٣٩] وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات هذا الأثر خلال تلك السنة هو مبلغ (–ر١٥٨)جنيه.

يضاف إلى ذلك أن اللجنة قامت خلال السنة المشار إليها بالعمل على أزالة الدكاكين التى كانت ملتصقة بواجهة الخانقاة وترجع إلى زمن عمارة مسجد الرفاعى حتى تظهر هذه الواجهة فى شكلها القديم،[٦٤٠] والعمل على إبطال المكتب نظراً لأن الدخول إليه كان يتم من نفس الخانقاة وليس من باب منفصل، وإن استخدام التلاميذ لذلك فى دخولهم المكتب وخروجهم منه يؤدى إلى الإضرار كثيراً بالأثر.[٦٤١]

وفى سنة (١٩٠٤م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٣٠)جنيه على أعمال ترميم جزئية (لم تحدد) بهذا الأثر.[٦٤٢]

وبذلك يكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات هذه المدرسة الخانقاة منذ سنة (٨٨٦م) حتى سنة (١٩٠٤م) هو مبلغ (٥٦١,٧٧٥)جنيه خمسمائة وواحد وستين جنيها وسبعمائة وخمسة وسبعين مليماً، وهو مبلغ متواضع كثيراً إذا ما قيس بما صرفته اللجنة على آثار أخرى غير هذا الأثر.

وأخيراً قامت هيئة الآثار المصرية من خلال مشروع الترميم الذى أجرته للآثار الواقعة بميدان القلعة بعمل الكثير فى هذا الأثر فى مجال الترميم المعمارى والدقيق على السواء فقامت فيما يتعلق بالترميم المعمارى بما يلى:

١ - قطع ومشال الأتربة المتراكمة فى الأجزاء الغربية والشمالية من الخانقاة وكشفت بذلك أسفل التربة.

٢ - قطع ومشال الأتربة المتراكمة بالدور الأرضى (الحواصل).

٣ - صب خرسانات للأرضيات السفلية والعلوية ثم تبليط هذه الأرضيات بالبلاط الحجارى فى الأرضيات السفلية والبلاط المعصرانى فى الأرضيات العلوية.

٤ - تبليط الصحن المكشوف ومدخل القبة بالبلاط الحجارى.

٥ - تفريغ وملء وكحل العراميس المفتحة بالدور الأرضى والصحن وملئها بمونة الأسمنت والرمل.

٦ - الكشف عن المبانى الأثرية بدورة المياه القديمة والجزء الواقع أسفلها وترميم وبياض هذه المبانى وتبليط الأرضيات بالبلاط الحجارى.

٧ - تبليط مدخل الدور العلوى والجزء المؤدى إلى المنارة بالبلاط المعصرانى وكذا تكملة الجزء المتهدم من السلم المؤدى للسطح.

٨ - تبليط السطح بالبلاط المعصرانى وكذلك حول القبة بسطح الإيوان الشرقى.

٩ - ترميم وتكملة حوائط السلم العلوى وتتميم وبناء الدراوى بالدبش القديم حول السطح.

١٠ – فك بلاط أرضية القبة وصبها بالخرسانة وإعادة تبليطها.

١١ – بياض المصلبات والعقود بالدور الأرضى (الحواصل).

١٢ – تركيب الطروفيات المتهدمة والمتآكلة بالصحن وإعادة تبليط جلس الشبابيك.

١٣ – فك وتركيب التلاييس الحجارى المتآكلة بأجزاء متفرقة بالإيوانات والصحن والدور الأرضى.

كما قامت فيما يتعلق بالترميم الدقيق بما يلى:

١ – تنظيف الإطارات الخشبية الحاملة لآيات القرآن الكريم وكذا تنظيف النصوص الإنشائية والزخارف النباتية.

٢ – رفع الآيات القرآنية والنصوص التأسيسية لدراستها واستكمال الناقص منها.

٣ – تنظيف العناصر الخشبية وتطهيرها.

٤ – إزالة طبقات الصدأ من العناصر المعدنية.

٥ – تنظيف الرخام والأحجار.

١٠ – الخانقاة الغورية قانصوه

٩٠٩ – ٩١٠هـ /١٥٠٣ –١٥٠٤م

أثر رقم ٦٧

كان عهد الغورى هو خاتمة عهد المماليك فى مصر والشام ومن ثم كانت أعماله المعمارية هى خاتمة أعمال هذا العصر، والذى لا شك فيه أن هذه الأعمال كانت قد نالت عناية مفرطة فى النقش والزخرفة أخرجتها فى رأى البعض من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات،(٦٤٣) وقد حرص مهندس الغورى على تماثل المسجد مع الخانقاة والقبة حتى أنه أنشأ فيما بينهما سقيفة خشبية ظلت باقية حتى هدمت سنة (١٨٨٢م) لتتيح للزائر فرصة التمتع بمنظر الأثرين معاً فتمتلئ نفسه منهما روعة وجلالاً.(٦٤٤)

وطبقاً لما أمكن الوقوف عليه من معلومات تتعلق بهذه الخانقاة فإن حديثنا عنها سينحصر فى ست نقاط رئيسية هى:

١– تاريخ الخانقاة ومكتبتها .

٢– أوقاف الخانقاة.

٣– منشئ الخانقاة.

٤– موظفو الخانقاة.

٥– وصف الخانقاة.

٦– ترميمات الخانقاة.

١– تاريخ الخانقاة ومكتبتها:

تقع هذه الخانقاة عند تقاطع شارع الغورية بشارع الأزهر فى موقع يقابل موقع المسجد

الذى قيل أن الطواشى مختص كان قد بدأ فى إنشاء مسجد له فيه، فقبض عليه الغورى وصادر أمواله فلم ير بدأ من التنازل له عن أرضه ليبنى الغورى عليها،(٦٤٥) وتتكون هذه المنشأة من خانقاة ومدفن وسبيل وكتاب ومقعد، ومع ذلك فإن صاحب المدفن لم يدفن فيه لأنه قتل فى معركة مرج دابق ولم يعثر لجثته على أثر، كما أن القبة التى كانت مقامة عليه هدمت سنة (١٩٠٨م) وحل محلها سقف مستو، وقيل إن هذه القبة كانت تشتمل على الآثار النبوية الشريفة قبل نقلها إلى مكانها الحالى بالمشهد الحسينى،(٦٤٦) والى عهد قريب كان يشغل التربة والخانقاة الخزانة الزكية التى وقفها المرحوم أحمد زكى باشا إلى أن تم نقلها إلى دار الكتب المصرية، وكان يغطى ما بين المسجد والقبة –كما قلنا– سقيفة خشبية ظلت باقية حتى هدمت سنة (١٨٨٢م)، وكان هذا النوع من السقايف يعم أسواق القاهرة وأخطاطها، أما قبة الضريح فلم يكتب لها الاستقرار منذ إنشائها فى ربيع الآخر سنة (٩٠٩هـ) حيث كانت مكسوة بقاشانى أزرق، ولكنها لم تلبث كثيرا حتى ظهر بها خلل جسيم فى شهر شوال سنة (٩١٧هـ/يناير ١٥١٢م) فأمر السلطان الغورى بهدمها وإعادة بنائها وكسوتها بالقاشانى.

ولم يمض على بنائها للمرة الثانية إلا عامين حتى ظهر فيها خلل آخر فى شهر صفر سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م) فأمر السلطان بهدمها وإعادة بنائها وتم ذلك فعلاً للمرة الثانية وكسيت أيضاً بالقاشانى، إلا أنها مع ذلك هدمت ونقل إلى متحف الفن الإسلامى منها طراز كبير من القاشانى يشتمل على كتابات قرآنية من آية الكرسى بحروف بيضاء على أرضية زرقاء كان يكسو –فى غالب الظن– رقبة هذه القبة، واستبدلت هذه القبة بعد هدمها بقبة خشبية عملت لها حوالى سنة (١٨٨١م) ثم هدمت هذه القبة الخشبية أيضاً وحل محلها السقف الحالى.(٦٤٧)

وفى سنة (١٩٣٤م) وافق القسم الفنى للجنة حفظ الآثار العربية على إعادة بناء القبة طبقاً لأصلها القديم وقد كان مكتوباً على واجهتها الغربية ما نصه :

«أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان العالم العامل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين قاتل الكفرة والمشركين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوة الغورى خلد الله تعالى ملكه بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين»،(٦٤٨)

وقد ورد فى بعض المراجع العربية أن هذه الخانقاة كانت تشتمل على خزانة كتب حوت الكثير من صنوف المصاحف والمصادر، ورتب لها أمينا ثقة على خدمتها، وقد وصل إلينا بعض نفائس هذه الكتب منها كتاب «نفائس المجالس السلطانية فى حقائق الأسرار القرآنية» وكتاب «الكوكب الدرى فى مسائل الغورى» وغيرهما.(٦٤٩)

٢ – أوقاف الخانقاة:

ترك لنا على باشا مبارك فى خططه معلومات على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة من العقارات والأراضى،(٦٥٠) ويتضح من هذه المعلومات فيما يتعلق بالعقارات أنها كانت تشتمل على أربعة وأربعين حانوتاً وقاعتين وربعاً بالسوق المستجد تجاه باب الجمالون، عشرين حانوتاً بظاهر الميضأة، خمسة حوانيت بأسفل الساقية، وجميع سوق الجمالون والتربيعة، ومائة وتسعة وعشرين حانوتاً بالناحية الشرقية من سوق الخشبية، وحاصلين ومقعداً بنفس السوق، وأربعة حوانيت ووكالة بسوق الوراقين، ووكالة بحقوقها بباب سر الجمالون كانت ملكاً لعلاء الدين الحموى، وحوانيت وطباق بخط المهامزيين، وثمانية حوانيت بخط الشرابشيين، وفندقاً وخاناً بخط الخوخات السبع على يمنة السالك من دار الضرب إلى الجامع الأزهر، ومطبخ السكر بحارة زويلة، وداراً قريباً من ملك خوند الخاصكية، وداربن بحارة الروم السفلى، وعمارة بسويقة العزى قريباً من بيت الأشرفى.

ليس هذا فقط بل لقد ورد أنه كان من هذه الأوقاف أيضاً طاحوناً بخط الكبش وحماماً مطلاً على بركة الرملى، وبناءين محكرين بدرب الطباخ، ومعصرة خلف باب القنطرة، «معصرتين أخريين ببولاق أولاهما بالقرب من جامع الواسطى والأخرى تجاه المدرسة الجيعانية، وحماماً بجزيرة أروى، ونصف حمام بالحلاويين، إلى غير ذلك من العقارات والأبنية والأماكن التى وردت بتفصيل زائد فى كتاب الوقف.

أما بالنسبة للأراضى والأطيان فقد ورد أنها كانت تشمل بستاناً بالقرب من بولاق على يمنة السالك إلى قنطرة فم الخور، وحديقة ببركة الرطلى، وأرضاً زراعية بالمطرية، وأرضاً بناحية منية الأمراء وأرضاً بناحية بهتيم، وبضعة قراريط بجزيرة الذهب، وجزيرة بناحية القطورى من الأعمال الجيزية، وجزيرة تعرف بالمليحية من الأعمال الأطفيحية، وأرضاً بتل بنى تميم من الأعمال

القليوبية وأرضاً بمنية حبيب من الشرقية، وأرضاً بالدقهلية والمرتاحية، وأرضاً بمحلة روح ومبرباى مساحتها ثلاثمائة وثلاثة عشر فداناً، وحصة عبرتها مائة وثلاثة وثلاثون دينار بناحية أخشا بأبيار من الأعمال الغربية وغيرها.

وأرضاً بناحية كوم أدريجة من الأعمال البهنساوية، وأرضاً أخرى بنواحى ونا وسفط بوجرجا ودهروط وشرونة وكفر أهريت بالبهنساوية أيضاً، وأرضاً بكوم الزير وبنى أحمد وابشادة وغيرها من الأعمال الأشمونية، وأرضاً بنواحى ربقة وأدرنكة وطما وغيرها من الأعمال الأسيوطية، كل ذلك بخلاف ما وقفه فى البلاد الشامية من الأطيان والعقارات.(٦٥١)

هذا كله بالإضافة إلى ما ورد فى وقفيات أخرى إحداها مؤرخة بسنة (٩١٩هـ) وفيها أن السلطان طومان باى وقف عليها أوقافاً جمة منها عقارات بالتبانة وبدار ابن البابا ودرب الخان عند بركة الفيل، وأطيان بنواحى الدقهلية أهمها (٧٥٩) فداناً بظهر بنى محمد، وأطيان أخرى بناحية الشرقية.(٦٥٢)

٣ – منشىء الخانقاة :

منشىء هذه الخانقاة هو السلطان الأشرف أبو النصر قانصوة الغورى الجركسى ولد سنة (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) تقريباً،(٦٥٣) وهو السلطان الرابع والعشرين من سلاطين الجراكسة بمصر، كان فى أصله مملوكاً للسلطان قايتباى ثم أعتقه وعينه فى جملة مماليكه الجمدارية،(٦٥٤) ثم أصبح خاصكياً،(٦٥٥) ثم أمير عشرة سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٠م) ثم كاشفاً للوجه القبلى سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) إلى أن عين نائباً لطرطوس، وفى سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) عين حاجباً للحجاب فى حلب، ثم نقل إلى نيابة ملطية، إلى أن عين فى عصر الناصر محمد بن قايتباى أمير مائة ومقدم ألف، وأصبح بذلك رأس نوبة النوب.(٦٥٦)

وفى عهد السلطان الأشرف جان بلاط عين الغورى دواداراً كبيراً له واستادارا لدولته،(٦٥٧) ثم كلفه بالسفر صحبة ابن أخيه الأمير طومان باى الدوادار إلى الشام لمحاربة نائبه المنشق قصروه، وهناك تآمر الغورى وطومان باى ومن معهما من الجند على السلطان الأشرف جان بلاط واتفقوا مع قصروة على ذلك، وهنا أعلن طومان باى نفسه سلطاناً على بلاد الشام ولقب بالعادل، وزحف

هو ومن معه على مصر فلم يستطع جان بلاط الوقوف فى وجههم وما لبث أن قبضوا عليه وقتلوه بالإسكندرية سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م)، وبذلك تم للسلطان العادل طومان باى حكم مصر فأسند أتابكية دولته إلى قصروه ودواداريتها الكبرى ووزارتها وأستاداريتها إلى عمه الغورى.(٦٥٨)

غير أن الأمراء المقدمين ما لبثوا أن اجتمعوا فى أول شوال سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) لإختيار سلطان آخر بدلا من العادل طومان باى، واستقر رأيهم على اختيار الغورى إلا أنه امتنع عن قبول السلطنة لأسباب كثيرة منها عدم استقرار الدولة وتربص الأعداء بها والتشاحن بين الجنود والأمراء وخلو خزانتها،(٦٥٩) ورغم ذلك أصر الأمراء على توليته وقالوا «ما نسلطن إلا هذا»،(٦٦٠) فقبل الغورى الأمر فى مستهل شوال سنة (٩٠٦هـ/ابريل ١٥٠٠م) وكان يوم عيد الفطر وشرط عليهم ألا يقتلوه، وإن رغبوا خلعه ترك السلطنة لهم فحرروا وثيقة بذلك أثبتوا فيها خلع العادل طومان باى وعقد البيعة للغورى فبايعة الخليفة العباسى (المستمسك بالله) كما بايعه القضاة والأمراء وكبار رجال الدولة ولقب بالملك الأشرف وكنى بأبى النصر وكان يبلغ من العمر يومئذ سستون عاماً، وقيل أنه كان لين العريكة سهل الإزالة لأنه كان أقل المماليك مالاً وأضعفهم حالاً وأوهنهم قوة،(٦٦١) وظل الغورى حاكماً لدولة الجراكسة حتى كانت موقعة مرج دابق(٦٦٢) بين المماليك والعثمانين فى ٢٥ رجب سنة (٩٢٢هـ) ٢٤ أغسطس سنة (١٥١٦م) وكانت موقعة فاصلة فى تاريخ مصر وضعت بقتل الغورى فيها نهاية حكم دولة المماليك فى مصر والشام وبداية حكم دولة العثمانين لهما بقيادة سليم الأول لعدة قرون تالية.

والذى لا شك فيه أن حالة البلاد السيئة على عهد الغورى كانت نذير سوء لطالعه، فقد كانت غارقة فى اللهو والترف، مليئة بالفتن والمؤامرات، نهباً لرغبة الأمراء فى تحقيق الأطماع غير المشروعة بعيداً عن مصلحتها العامة فزادت الأحوال الإقتصادية سوءا وعجزت خزانة الدولة عن سداد متطلبات المماليك فهددوا بالعصيان وزادوا فى أعمال النهب والسلب فاستشرى أذاهم وقست وطأتهم على الناس حتى تعطلت الأسواق عن البيع والشراء ولاسيما بعد أن ضرب الغورى –كما يقول ابن إياس– فلوساً جددا تخسر فى المعاملة الثلث،(٦٦٣) ولم يكن هم الغورى من ذلك سوى الإكثار من جمع المال لشراء المماليك وإقامة المنشآت، وقد أسهب على باشا مبارك فى ذكر هذه المساوئ كثيراً حين قال أنه «صار يثير الفتنة بين المماليك ويضربهم بعضهم ببعض ويدس لهم

السم فى الطعام حتى أفنى كثيراً منهم، ثم اتخذ مماليك لنفسه أطلق لهم العنان فى ظلم الناس بغير وازع حتى بطل الميراث فى زمانه واستغاث الناس فيه إلى الواحد القهار فكان ذلك سبباً إلى زوال ملكه بعد أن هوى تحت سنابك الخيل فى مرج دابق».(٦٦٤)

ورغم كل مساوئ الغورى المشار إليها إلا أنه كان مغرماً بالعمارة والفنون، ذواقاً للشعر والأدب والموسيقى، وقد خطب وده ملوك الشرق والغرب على السواء حتى أنه استقبل سنة (٩١٨هـ/١٥١٣م) سفراء أربع عشرة دولة لتقديم الهدايا إليه.(٦٦٥)

وليس أدل على حب الغورى للعمارة والفنون من إنشائه لهذه المجموعة المعمارية الكبيرة التى تتكون من مسجد ومدرسة وقبة ووكالة وحمام ومنزل ومقعد وسبيل وكتاب،(٦٦٦) بالإضافة إلى إنشائه لجامع المقياس بجزيرة الروضة وسبيل المؤمنى بميدان الرميلة وطواحين الهواء بمصر القديمة، ليس هذا فقط بل لقد تعدى اهتمام الغورى بالعمارة إلى ترميم وإصلاح وتجديد العديد من الأبنية الأثرية التى شيدها من سبقوه فأصلح قلعة الجبل وغير مآخذ الماء الموصل إليها فأنشأ السواقى على النيل وما يتصل بها من قناطر للمياه حتى تلاقت مع المجرى القديم، وجدد خان الخليلى وأنشأ فيه ثلاثة أبواب، وأصلح قبة الإمام الشافعى، ومسجد الإمام الليث بن سعد، وأنشأ مئذنة برأسين للجامع الأزهر،(٦٦٧) وأنشأ الميدان الذى تحت القلعة وجلب إليه الأشجار من الشام وأجرى إليه الماء من السواقى وأنشأ به المناظر والمقاعد، وأقام جامعاً خلف هذا الميدان وجدد قاعات الدهيشة والبيسرية وعمر قنطرة بنى وائل والقنطرة الجديدة وقنطرة الحاجب وقناطر السباع وقنطرة الخروبى التى علاها حتى صارت السفن تمر من تحتها، وأنشأ قلعة بالطينة على ساحل البحر الأبيض وزاد فى سور الاسكندرية أجزاءاً وأبراجاً،(٦٦٨) ليس هذا فقط بل لقد قيل أنه جدد سور جده ودائر الحجر الشريف وبعض أروقة المسجد الحرام وباب إبراهيم الخليل وجعل علوه قصرا شاهقاً وتحته ميضأة وبنى بركة وادى بدر وعدة خانات وآبار فى طريق الحج المصرى منها خان فى عقبة أيلة والأزلم.(٦٦٩)

٤ – موظفو الخانقاة:

لم نعثر فيما أتيح لنا الاطلاع عليه من كتب التراجم على ترجمة أحد من موظفى هذه الخانقاة، وعلى هذا فإننا لم نجد بداً من الإعتماد فى ذلك على ما ذكره على باشا مبارك فى

خططه حين قال أن صاحب هذه الخانقاة قرر فى وقفيته أن يصرف شهرياً لإمام الخانقاة (٦٠٠)درهم، وللمبلغ (٣٠٠)درهم، ولاثنين من أكابر العلماء بوصف مشيخة الصوفية يحضر أحدهما فى نوبة الصبح ويحضر الآخر فى نوبة العصر (٦٠٠٠)درهم، ولخدمة المصحف والربعة الشريفة (٠٠)درهم، ولخدمة السجادة (٦٠٠)درهم، ولثمانين صوفياً وستة عشر مادحاً لكل واحد منهم (٣٠٠)درهم، ولكاتب الغيبة (٦٠٠)درهم، ولطبيب لمرضى الصوفية وأرباب الوظائف الأخرى (٥٠٠)درهم، ولشيخ يقرأ فى صحيح البخارى ومسلم بالخانقاة فى شهور رجب وشعبان ورمضان (٣٠٠)درهم، ولأربعة فراشين بالقبة والخانقاة (١٧٠٠)درهم، ولخادم ميضأة الخانقاة بما يلزم له من آلات (٣٢٥)درهماً، وللوقاد بهما (٦٠٠)درهم، ولبوابين اثنين (١٢٠٠)درهم، ولمفرق الخبز على الصوفية وأرباب الوظائف (٣٠٠)درهم.

كذلك فقد قرر لأربعين يتيماً من أولاد الفقراء القاصرين يتعلمون القرآن والكتابة بالمكتب الملحق بالخانقاة (٤٠٠٠)درهم، ولمؤدبهم (٦٠٠)درهم، ولعريفهم (٢٠٠)درهم، ولخطاط يعلمهم حسن الكتابة (٣٠٠)درهم، ولمزملاتى السبيل أسفل المكتب بما يلزم له (١٠٠٠)درهم.

كما يصرف لناظر الوقف (٨٠)ديناراً منها (٣٠)ديناراً باسم السلطان الواقف لأنه اشترط أن يكون النظر فى هذا الوقف له طوال حياته ثم لمن بعده من سلاطين مصر كناظر أول وللناظر الثانى (٢٠)ديناراً، ولاثنين من خواص الواقف (٢٠) ديناراً وللنائب على الوقف (١٠)دنانير.

كما قرر أن يصرف لمهندسين اثنين وسباكين ومرخمين ونجاراً (١٣٥٠)درهماً، وللشادين والمباشرين والشهود والجابى والبرددار والصيرفى (٢١٤٠٠)درهم.(٦٧٠)

وبذلك يمكن القول أن موظفى هذه الخانقاة ورواتبهم كانت تبلغ طبقاً لما ذكره على باشا مبارك من واقع وقفية المنشئ واحدا وسبعين ألفاً ومائتين وستين درهماً شهرياً بيانها كما يلى :

مسمى الوظيفة	راتبها بالدرهم
إمام الخانقاة	٦٠٠
مبلغ الخانقاة	٣٠٠
اثنان لمشيخة الصوفية	٦٠٠٠
خدمة مصحف	٤٠٠
خدمة سجادة	٦٠٠
ثمانون صوفيا	٢٤ر٠٠٠
ستة عشر مادحا	٤٨٠٠
كاتب غيبة	٦٠٠
طبيب لمرضى الصوفية والموظفين	٥٠٠
شيخ يقرأ الصحيحين بالخانقاة	٣٠٠
أربعة فراشين بالقبة والخانقاة	١٧٠٠
خادم ميضأة الخانقاة ولوازمه	٣٢٥
وقاد	٦٠٠
بوابان	١٢٠٠
مفرق الخبز على الصوفية والموظفين	٣٠٠
أربعون يتيماً بالمكتب	٤٠٠٠
مؤدب المكتب	٦٠٠
عريف المكتب	٢٠٠
خطاط	٣٠٠
مزملاتى بالسبيل ولوازمه	١٠٠٠
مهندسان وسباكان ومرخمان ونجاراً	١٣٥٠
الشادون والمباشرون والشهود والجابى والبرددار والصيرفى	٢١ر٤٠٠
نظارة الوقف وخواصها ونائبها	١٨٥ (درهم قيمة (٨٠) دينار بواقع كل سبعة دنانير بعشرة دراهم)
الجملة	٧١ر٢٦٠

وهو الأمر الذى يمكن منه أن نقول أن وظائف هذه الخانقاة كانت تنحصر فيما يلى:

أولاً: مجموعة الوظائف الدينية :

١ – إمام الخانقاة.

٣ – قارئ الصحيحين.

٤ – ثمانون صوفياً.

٥ – ستة عشر مادحاً.

٦ – مؤدب.

٧ – عريف.

٨ – أربعون يتيماً بالمكتب.

ثانياً: مجموعة الوظائف الفنية :

١ – كاتب غيبة.

٢ – مبلغ.

٣ – طبيب.

٤ – وقاد.

٥ – خطاط.

٦ – مهندسان وسباكان ومرخمان ونجاراً.

٧ – شاد ومباشر وشاهد وجابى وبردار وصيرفى.

٨ – ناظر وقف.

ثالثاً : مجموعة الوظائف الخدمية :

١- خادم مصحف.

٢- خادم سجادة.

٣- خادم ميضأة.

٤- مزملاتى.

٥- مفرق خبز.

٦- بواب.

٧- فواش.

وهو عدد يتضح أنه يزيد على مائة وسبعون موظف كانت رواتبهم النقدية تبلغ –كما قلنا– ما يقرب من اثنين وسبعين ألف درهم شهرياً بخلاف جراياتهم العينية وهو مبلغ يوضح لنا أن أوقاف هذه الخانقاة كانت ولا شك كثيرة حتى يستطيع ريعها القيام بكل هذه الأعباء المالية الكبيرة.

٥ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة ٤٤)

مما لا شك فيه أن كتلة القبة والخانقاة والسبيل والكتاب والمقعد تشكل مع كتلة المسجد وملحقاته بانوراما معمارية تمتاز بخاصيتين هامتين تتمثل أولاهما فى ارتقاء شكل الشرافات التى عملت فيها، وتتمثل ثانيتهما فى عمل الكسوة الرخامية التى تعلو فتحات الشبابيك من حطتين

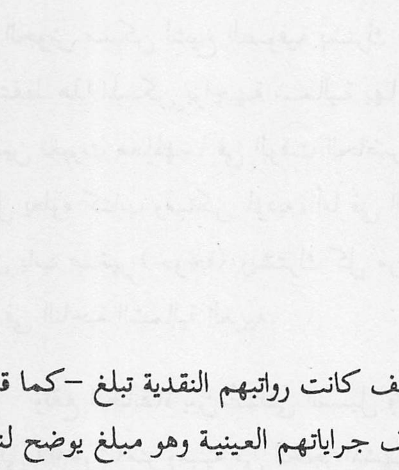

لوحة ٤٤ : الخانقاة الغورية (قانصوه) – اثر رقم ٦٧(٩٠٩ – ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ – ١٥٠٤م) – مسقط افقى (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

مزررتين تزريراً دقيقاً بدلاً من حطة واحدة كما فى غيرها، وتدل هذه الظاهرة على أن مهندس الغورى كان قد تأثر فى ذلك إلى حد كبير بواجهات جامع السلطان أبو العلا ببولاق.(٦٧١)

وتشغل هذه الخانقاة مساحة مستطيلة الشكل طولها (٨,٥٠)متر وعرضها (٤٤,٨٠)متر تتألف من مدخل جميل خلفه إيوان كبير بسدلتين يمثل الخانقاة، فى نهايته الجنوبية الشرقية باب سر يطل على حوش للدفن به أربعة قبور دفن فى أحدها السلطان العادل طومان باى،(٦٧٢) وخلف هذا الحوش مسكن لشيخ الصوفية يشترك مع الخانقاة فى واجهة بحرية تطل على شارع الأزهر، ويحتفظ هذا المسكن بواجهة شمالية بها فتحات مستطيلة مغطاة بخشب خرط، ويتكون من طابقين تغيرت معالمهما فى الوقت الحاضر، كما يكتنف الخانقاة من الناحية الشمالية الشرقية سبيل يعلوه كتاب ومسكن لمؤدبه، أما فى الجهة الجنوبية الغربية فيوجد ضريح يتصل بمقعد عن طريق باب صغير (خوخة) ويشترك كل من الخانقاة والضريح والسبيل فى واجهة رئيسية واحدة تقع فى الناحية الشمالية الغربية.

وتقع الخانقاة بين كتلتى السبيل والكتاب والقبة وهى ترتفع عن مستوى أرض الشارع بحوالى (٢,٥٥)متر ومبنية من الحجر المشهر بالأبيض والأحمر، وللقبة والسبيل والكتاب والخانقاة ثلاث واجهات أولاها شمالية غربية تطل على شارع المعز لدين الله وهى الواجهة الرئيسية، وثانيتها شمالية شرقية تطل على شارع الأزهر وهى الواجهة الفرعية، وثالثتها جنوبية غربية تطل على حارة البارودية وفيها مدخل يؤدى إلى كتلة المقعد الذى الحق بهذه الخانقاة، ولهذه الكتلة مدخلاً رئيسياً فى الجهة الشمالية الغربية المطلة على شارع الأزهر يؤدى إلى السبيل والكتاب.

وقد اكتملت عمارة القبة والخانقاة والسبيل والكتاب والمقعد فيما بين سنتى (٩٠٩–٩١٠هـ/١٥٠٣–١٥٠٤م) ثم هدمت القبة على يد منشئها لحدوث خلل بها وأعيد بناؤها سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م) ثم استبدلت هذه القبة المعادة سنة (١٨٩١م) بقبة خشبية زخرف باطنها بكثير من العناصر الزخرفية لم تلبث أن هدمت هى الأخرى وعمل فى محلها سقف خشبى مسطح.

الواجهتان الشمالية الغربية والشمالية الشرقية :

تتكون الواجهة الشمالية الغربية لهذه الخانقاة من جزأين أولهما طوله (٢٨٫٨٠)متر ويضم واجهتى القبة والمدخل الرئيسى، وثانيهما طوله (٥٫٣٠)متر ويبرز عن سمت الجزء الأول بمقدار (٥٫٤٠)متر، وترتفع هذه الواجهة عن أرض الشارع إلى ما قرب من أربعة عشر متراً.

ويشتمل الجزء الأول من هذه الواجهة الواقع إلى يمين المدخل الرئيسى مشتملاً على القبة على دخلة مربعة الشكل تقريباً طولها (٢٫٤٠)متر وعرضها (٢٫٣٧)متر وعمقها (٢٫٠)متر تتوجها حطتان من المقرنصات المقعرة ذات الدلايات، وبها صفان من النوافذ بأولهما ثلاث نوافذ مستطيلة ذات أرماح ومخرزات تعلوها صنجات رخامية معشقة باللونين الأبيض والأسود (الأبلق) وبثانيهما قندليتان معقودتان بعقد نصف دائرى ترتكز رجلاه على ثلاثة أعمدة رخامية.

ويمتد فى أعلا واجهة هذا الجزء شريط كتابى بخط الثلث المملوكى نصه :

«أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان العالم العامل العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر[٦٧٣] المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين قاتل الكفرة والمشركين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانسوة الغورى خلد الله تعالى ملكه بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين».

ويتوج واجهة هذا الجزء من أعلى شريط كتابى ثان منقوش بنفس الخط على الحجر يمتد من يسار المدخل الرئيسى حتى مبنى السبيل والكتاب نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين» ثم يلى ذلك شرافات مورقة بأوراق خماسية تماثل الشرافات التى تعلو المدرسة.

أما الجزء الثانى من هذه الواجهة (الواقع على يسار المدخل الرئيسى) ففيه حنية أخرى مستطيلة الشكل بها صفان من النوافذ يشتمل أولهما على نافذتين مستطيلتين ويشتمل ثانيهما على نافذتين قندليتين، ويضم الجزء البارز من هذه الواجهة (الشمالية الغربية) واجهة السبيل

والكتاب، حيث نجد أعلى واجهة السبيل شريط كتابى بخط الثلث المملوكى نصه:

«أمر بإنشاء هذا المعروف المبارك من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم السلطان العالم العادل المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوة الغورى خلد الله تعالى ملكه وأدام أيامه بجاه محمد وآله وصحبه وسلم، وكان الفراغ من ذلك فى شهر ذى الحجة الحرام سنة تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها صدق الله العظيم».(٦٧٤)

أما الواجهة الشمالية الشرقية فتطل على شارع الأهر ويتوسطها السبيل والكتاب والقبة، ويتوج هذه الواجهة شريط من الشرافات الحجرية المحلاة كما فى الواجهة الشمالية الغربية بزخارف مورقة مزينة الأوجه بعناصر زخرفية نباتية محفورة فى الحجر على هيئة ورقة نباتية خماسية.

المدخل الرئيسى :

يقع هذا المدخل – كما قلنا – فى الواجهة الشمالية الغربية المطلة على شارع المعز لدين الله متوسطاً القبة والخانقاة، ويؤدى إليه سلم خشبى حديث يصعد منه بتسع درجات إلى بسطة مستطيلة طولها (٥)متر وعرضها (٢)متر لها دروة رخامية تتكون من ثلاث شقق ذات ست بابات وقد عمل داخل دخلة عمقها (١٧ر١)متر وعرضها (٩٢ر٢)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (١٧ر١)متر وعرضها (٥٥ر)متر وارتفاعها (٨٧ر)متر، أما المدخل نفسه فعرضه (٦٧ر١)متر وارتفاعه (٧٨ر٢)متر ويشتمل على مصراعين خشبيين كانا مكسيين برقائق معدنية منقوشة ضاعت مع الزمن ثم عمل لهما فى الترميم الأخير الذى قامت به هيئة الآثار المصرية كسوة بديلة، ويعلو هذا المدخل عتب حجرى مستطيل فوقه عقد عاتق من صنجات رخامية معشقة ذات لون أبلق (أسود وأبيض) تعلوه حنية مستطيلة بها نافذة ذات أرماح ومخرزات حديدية.

دركاة المدخل :

يؤدى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل تقريباً طولها (٥٠ر)متر وعرضها

(٢٠ر٤)متر فرشت أرضيتها بالرخام الأسود والأبيض (الأبلق) وغطيت بسقف من ألواح خشبية خالية من الزخارف، ويتصدر هذه الدركاة حنية عرضها (٩٠ر٢)متر وعمقها (٤٠ر١)متر وارتفاعها (٧٣ر)متر تشتمل من أسفل على مصطبة فى مواجهة الداخل فرشت أرضيتها أيضاً بفصوص من الرخام الأبلق (مثل أرضية الدركاة) وتشتمل من أعلى على نافذة مستطيلة ذات أرماح ومخرزات عرضها (١)متر تطل على الخانقاة، ويدور حول حنية الدركاة هذه شريط من الكتابات المنقوشة بالخط الكوفى المزهر المحلى باللون الأسود على أرضية بيضاء نصها (فى جانبها الأيمن) بسم الله الرحمن الرحيم وقل رب أدخلنى (وفى صدرها) مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من (وفى جانبها الأيسر) لدنك سلطاناً نصيرا صدق الله».(٦٧٥)

وتشتمل هذه الدركاة على مدخلين يؤدى الأيمن منهما إلى القبة ويؤدى الأيسر إلى الخانقاة، وهما مدخلان متشابهان يقع كل منهما داخل حنية عرضها (٤٠ر٣)متر وعمقها (٥٠ر)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٥٠ر)متر وعرضها (٤٠)متر وارتفاعها (٦٠ر)متر ويعلو كلا منهما عتب من صنجات حجرية مزررة فوقه عقد عاتق من صنجات حجرية معشقة تعلوه نافذة مشابهة تماماً للنافذة التى تعلو باب الدخول للدركاة.

القبة :

بنيت هذه القبة أصلاً لكى يدفن فيها السلطان الغورى، ولكنه عندما قتل فى معركة مرج دابق لم يعثر له على أثر، وقد سقطت هذه القبة أكثر من مرة وأعيد بناؤها، ومازال المدفن بغير قبة حتى الآن واستعيض عنها بسقف عادى مستو، وبذلك لم يبق من هذه القبة سوى حوائط مربعها المليئة بالزخارف والكتابات المحفورة فى الحجر، وأركانها ذات المقرنصات المتعددة الحطات،(٦٧٦) وقد نقل الغورى إلى هذه القبة بعد فراغها سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م) الآثار النبوية الشريفة التى كانت مودعة برباط الآثار بناء على فتوى من العلماء وأودعها فى خزانة المحراب، كما نقل إليها المصحف العثمانى والربعة العظيمة المكتوبة بالذهب التى كانت محفوظة فى الخانقاة البكتمرية وأودعها فى خزانة ثانية على يسار المحراب.(٦٧٧)

ويدخل إلى هذه القبة عبر المدخل الأيمن بالدركاة وهى عبارة عن حجرة مربعة الشكل

طول ضلعها (١٢٫٦٠)متر فرشت أرضيتها بالرخام الأسود والأبيض على هيئة دوائر ومستطيلات، ويشتمل جدارها الشمالى بالإضافة إلى باب الدخول على بابين آخرين يؤديان للخانقاة، كما يشتمل جدار القبلة على شباك به خوخة توصل بين القبة والمقعد المجاور الذى بنى لإستراحة المنشئ وسيدات قصره عند زيارة المبنى لمشاهدة الآثار النبوية التى كانت بالقبة قبل نقلها إلى المشهد الحسينى.

وقد كسيت جدران القبة من أسفل بوزرة رخامية ارتفاعها (١٫٨٠)متر ذات ألوان مختلفة منها الأسود والأبيض والأخضر والبنى، ويتوسط جدارها الجنوبى الشرقى محراب ذو عقد مدبب متراجع اتساع عقده الخارجى (٢٫٣٠)متر والداخلى (١٫٢٠)متر ويقوم هذا العقد على عمودين رخامين مثمنين ارتفاع كل منهما (٣٫٦٠)متر.

ويعلو جدار القبة شريط كتابى نصه فى الجهة الجنوبية :

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ويزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شئ قدير، ما يفتح الله للناس من وفى الجهة الشرقية:

«رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون، وفى الجهة الشمالية:

«وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور، يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما وفى الجهة الغربية :

«يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم».(٦٧٨)

كذلك يشتمل جدار القبلة أيضاً على شريط كتابى آخر نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم.(٦٧٩) صدق الله العظيم وكان الفراغ منه فى سنةعشر وتسعمائة».

ويشتمل كل جدار من جدران القبة الأربعة من أعلا على فتحة مستطيلة ذات خشب معشق بالزجاج ومن أسفل على شباكين تعلوهما قندلية.

أما منطقة انتقال القبة فهى تتكون من ثلاث عشرة حطة من المقرنصات وتضم هذه المنطقة ثلاثة رنوك للمنشئ أولها فى الناحية اليمنى وثانيها فوق النافذة القندلية وثالثها فى الناحية اليسرى، ويشتمل كل رنك منها على ثلاثة أسطر أفقية ذات كتابات بخط الثلث المملوكى نصها فى الرنك الأيمن :

«أبو النصر قانصوة الغورى عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف عز نصره»

ونصها فى الرنك الأيسر :

« أبو النصر قانصوة الغورى عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف عز نصره»

كذلك فقد نقش فى الجهة الجنوبية الغربية لمناطق انتقال هذه القبة ثلاثة رنوك أخرى يشتمل كل منها على ثلاثة أسطر أفقية بخط الثلث المملوكى البارز نحتاً على الحجر يشتمل كل من الرنكين الأيمن والأيسر على نص يقول :

«أبو النصر قانصوة الغورى/ عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف/ عز نصره»

وفوق مناطق الانتقال المشار إليها يقوم سقف خشبى مستو غطى بطبقة من الملاط الحديث، وهو سقف عمل لتغطية الحجرة بعد هدم القبة لتصدعها.

السبيل (أنظر لوحة ٤٥ ، شكل ٥٥)

يقع السبيل الملحق بهذه الخانقاة فى الركن الشمالى الغربى للبناء وهو من طراز الأسبلة ذات الجوانب الثلاثة المفتوحة، ومن ثم فله ثلاث واجهات تطل على الطريق، ويتوصل إليه عن طريق فتحة مستطيلة فى الناحية الجنوبية الشرقية له ارتفاعها (٢) متر وعرضها (٨٥ر) متر مركب عليها باب خشبى من مصراع واحد.

ويقوم هذا السبيل فوق الصهريج الكبير المبنى أسفله فى تخوم الأرض وهو عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٦ر٥) متر وعرضها الأقصى (٤ر٠) متر، بها ثلاث حنيات ترتفع بارتفاع مستوى السقف، أما الجدار الجنوبى الشرقى له ففيه فتحة مستطيلة ارتفاعها حوالى (٢) متر وعرضها (٨٥ر) متر عليها باب خشبى من مصراع واحد يؤدى إلى غرفة صغيرة مربعة بها فتحة البئر.

أما الشاذروان فيقع فى الجدار الجنوبى الشرقى وهو عبارة عن دخلة يكتنفها عمودان رخاميان يعلوهما صدر مقرنص من تسع حطات لازالت بها آثار تذهيب وبجوار هذه الفتحة حوض حجرى للماء الذى كان يسبل للمارة على سلسبيل رخامى نقشت على حافته صور أسماك تعلوه لوحة رخامية كتب عليها :

أنظر جم إلى فإنى حين أرسله
يحكى سلاسل بلور على ذهب

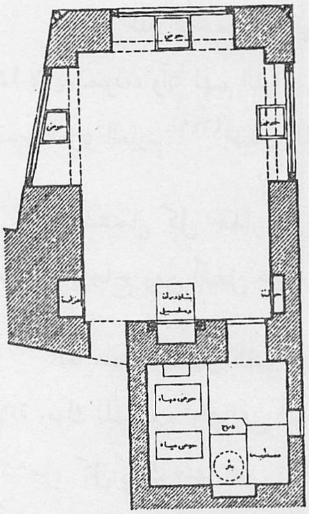

لوحة ٤٥ : الخانقاة الغورية (قانصوه) – مسقط السبيل (عن صالح لمعى : التراث المعمارى)

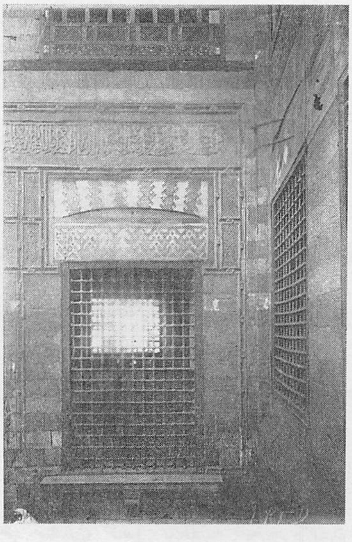

شكل ٥٥ : الخانقاة الغورية (قانصوه) أثر رقم ٦٧(٩٠٩-٩١٠هـ/١٥٠٣-١٥٠٤م)– واجهة السبيل

كما كتب فوق الأبواب بجانبه نص يقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان قانصوة الغورى عز نصره بتاريخ شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعمائة وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين». (٦٨٠)

وسقف هذا السبيل عبارة عن براطيم خشبية ذات زخارف مذهبة من أشكال ثمانية وسداسية وأشكال أخرى نجمية ودلايات مذهبة، أما أرضيته فقد عملت من فصوص رخامية ملونة ذات ألوان أسود وأبيض وبنى فى أشكال هندسية بسيطة.

الكتاب :

يعلو هذا الكتاب حجرة السبيل ويطل على شارعى الأزهر والغورية (المعز لدن الله) ويتألف من ساحة مستطيلة ذات واجهات ثلاث محمولة على عمود فى الوسط يغشيها سياج من خشب الخرط ويغطيها رفرف خشبى محمول على كوابيل خشبية أيضاً. (٦٨١)

ويتوصل إلى هذا الكتاب عن طريق فتحة مستطيلة ارتفاعها (٢٫٢٠) متر وعرضها (١٫١٠) عليها باب خشبى من مصراع واحد، ويؤدى هذا الباب إلى غرفة مستطيلة طولها (٦٫٩٠) متر وعرضها (٤٫٤٠) متر كل جدرانها فيما عدا الجدار الجنوبى الشرقى مفتوحة بعقدين مدببين كل منهما على هيئة حدوة فرس يحمله عمود رخامى، وقد سدت فتحة الجدار الجنوبى الشرقى بسدة حديثة.

وهناك فى الجهة الشمالية الشرقية مدخل آخر ذو مصراع خشبى يؤدى إلى السبيل والكتاب يقع داخل دخلة ذات عقد ثلاثى الفصوص، ومن سلم ذو خمس درجات يفضى هذا الباب إلى السبيل وسلم آخر ذو أربع وعشرين درجة إلى حجرة مستطيلة لها شباك مستطيل به أرماح ومخرزات معدنية.

الخانقاة :

تقع هذه الخانقاة فى مواجهة المدرسة وتطل على شارع المعز لدين الله بواجهتها الشمالية الغربية وعلى شارع الأزهر بواجهتها الشمالية الشرقية ويكتنفها من الجهة الجنوبية الغربية القبة ومن الجهة الشمالية الشرقية السبيل والكتاب، وتتكون من إيوان كبير مستطيل تكتنفه سدلتان ذات اليمين وذات الشمال طول اليمنى (٧٫٦٠) متر وعرضها (٤٫٧٥) متر وطول اليسرى (٧٫٦٠) متر وعرضها (٦) متر.

ويفضى إلى هذه الخانقاة مدخل رائع يتفرع من دركاة المدخل الرئيسى لهذه المجموعة المعمارية على يسار الداخل، ويقع داخل حنية عرضها (٣٫٤٠) متر وعمقها (٫٥٠) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان ارتفاع كل منهما (٫٩٠) متر وطولها (٫٨٠) متر وعرضها (٫٥٠)متر.

أما الباب نفسه فهو عبارة عن فتحة عرضها (١٫٥٠)متر وارتفاعها (٢)متر مركب عليها باب خشبى ذو مصراعين يرتفعان عن سطح المكسلة بمقدار (٫٩٣)متر، ويعلو هذا الباب عتب من صنجات حجرية معشقة فوقها عقد عاتق تعلوه نافذة مستطيلة ذات أرماح ومخرزات معدنية يكتنفها عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة ناقوسية وتاج ناقوسى أيضاً تعلوه أربع حطات من المقرنصات المجوفة ذات الطاقات.

وتتكون الخانقاة من إيوان مستطيل الشكل طوله (١٤٫٥٠)متر وعرضه (٧٫٣٠)متر تكتنفه –كما قلنا– سدلتان مستطيلتان طول اليمنى (٧٫٦٠)متر وعرضها (٤٫٧٠)متر وطول اليسرى (٧٫٦٠)متر وعرضها (٦)متر، وقد فرشت أرضية هذا الإيوان ببلاطات من الحجر الجيرى قسمت إلى تربيعات صغيرة عملت فوقها حالياً أرضية مسرح خشبى حديث.

ويتوسط الجدارالجنوبى الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (٨٥)متر وعمقها (٫٩٠)متر ذات طاقية معقودة بعقد مدبب قائم على عمودين رخاميين مثمنين لكل منهما قاعدة وتاج رمانيا الشكل ويزين الحنية زخارف هندسية مكونة من أشرطة رأسية رفيعة من الرخام الأبيض المتبادل مع الأسود (الأبلق) ، أما الحنية فتزينها أشرطة دالية وزخارف كتابية بالخط الكوفى المربع داخل حشوة نصها «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

كذلك يوجد فى جدار القبلة نافذتان مستطيلتان تطلان على صحن الخانقاة اتساع الشمالية منهما (١٥ر٢)متر والجنوبية (٨٥ر١)متر، بكل منهما أرماح ومخرزات معدنية، وبالجهة الشمالية الغربية للإيوان نافذتان أخريان تطلان على شارع المعز لدين الله بكل منهما أرماح ومخرزات معدنية أيضاً، ويعلو الشبابيك الموجودة بالجداربن الجنوبى الشرقى والشم إلى الغربى للإيوان قمريات معقودة مدبية أما سقف هذا الإيوان فهوعبارة عن سقف خشبى مستو تحته شريط من الكتابات بخط الثلث المملوكى نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزا»،(٦٨٢) ويعلو هذا السقف قبة خشبية مجددة بأركانها مقرنصات مذهبة.

وفى الحنية الجنوبية الشرقية لهذا الإيوان نافذة مستطيلة عرضها (٢)متر بها أرماح ومخرزات معدنية تطل على حوش الخانقاة وتعلوها قمرية معقودة بعقد مدبب، وبالجهة الشمالية الغربية للحنية نافذة مستطيلة ثانية عرضضها (١٠ر٢)متر وعمقها (٣٠ر)متر تطل على الدركاة، أما الجهة الجنوبية الغربية فبها نافذتان اتساع كل منهما (٢)متر بهما أرماح ومخرزات معدنية تطلان على القبة، أما سقف هذه الحنية فهو خشبى مستو تحته حول جدران الحنية شريط من كتابات قرآنية نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أؤلئك أن يكونوا من المهتدين».(٦٨٣)

وبالجهة الجنوبية الشرقية للحنية اليسرى فتحة مستطيلة معقودة بعقد مدبب اتساعها (٢)متر تؤدى إلى المدخل الفرعى للخانقاة، وهو عبارة عن باب سر لها، أما الجهة الشمالية الشرقية لهذه الحنية ففيها نافذتان مستطيلتان ارتفاع كل منهما (٢)متر بهما أرماح ومخرزات معدنية تطلان على شارع الأزهر، وسقف الحنية مستو تغطيه مربوعات خشبية وأسفله شريط كتابى لآيات قرآنية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون».(٦٨٤)

المقعد :

يقع هذا المقعد خلف القبة ويتوصل إليه عن طريق ثلاثة أبواب فى ساحة مكشوفة خلف الخانقاة أولها فى الجانب الجنوبى الغربى وثانيها هو باب الخوخة الموجودة فى شباك جدار القبلة الكائن بالقبة وثالثها فى حارة البارودية بالواجهة الجنوبية الغربية للقبة، وهور عبارة عن فتحة ذات عقد مدبب يغلق عليها باب خشبى من مصراع واحد حديث تعلوه فتحة مستطيلة سدت حالياً بشبكة من السلك وتطل من الداخل على المقعد.

وهذا المقعد عبارة عن مساحة مستطيلة (فوق مجموعة من الحواصل) طولها (١٢٫٨٠)متر وعرضها (٧٫٢٠)متر ذات إيوان صغير يقابل الشبابيك الحديدية الكائنة بالناحية المطلة على الحوش له سقف محمول على عقد متكئة على أعمدة سد الفراغ الذى بينها بالبناء تشبها بمقعد قايتباى بصحراء المماليك.(٦٨٥)

وما تجب الإشارة إليه فى هذا الصدد أن بعض الخوانق تحتفظ بما يعرف بالمقعد القبطى «الذى تتكون واجهته من مصاريع خشبية وزجاجية تفتح وتقفل حسب الحاجة لتقى نزلاءه حر الصيف وبرد الشتاء، واتسم هذا النوع من المقاعد بارتفاعه ووجود حواصل فى أسفله مع حليات خشبية تزين واجهته الرئيسية كما فى مقعد قايتباى وهذا المقعد الذى بين أيدينا (٦٨٦) وقد انفرد هذا المقعد باستقبال سيدات قصر السلطان عقب زيارتهن للآثار النبوية الشريفة (والمصحف العثمانى) التى كانت محفوظة فى خزانة خاصة بهذه القبة قبل نقلها إلى المشهد الحسينى.

٦ – ترميمات الخانقاة :

عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح هذه المجموعة المعمارية الرائعة منذ سنة (١٨٨١م)حتى سنة (١٩٠٩م) وفيما يلى عرض لأهم الأعمال الترميمية التى قامت بها فى كتلة الخانقاة والقبة والسبيل والكتاب والمقعد:

ففى سنة (١٨٨١م)عملت مقايسة بمبلغ (٦ر٤٠٠)جنيه لإعادة بناء الحائط الشم إلى بحوش الضريح، ومقايسة ثانية بمبلغ (٤١ر٤٠٠)جنيه لترميم الباب الغربى وجزء الحائط المتصل به، ومقايسة بمبلغ (٦٠ر٢٨١)جنيه لاستكمال ترميم الحائط المشار إليه (الحائط الشم إلى للضريح) تصرف من ميزانية وزارة الأوقاف، وبذلك تصبح جملة تكاليف أعمال الترميم التى تمت بالأثر فى هذه السنة (١٤٨ر٠٨١)جنيه كان منها على حساب اللجنة مبلغاً قدره (٨٧ر٨٠٠)جنيه وعلى حساب الأوقاف مبلغاً قدره (٦٠ر٢٨١)جنيه.(٦٨٧)

وفى سنة (١٨٨٥م)اعتمدت اللجنة مبلغاً قدره (٣٩٥ر٧٧٣)جنيه لأعمال ترميمية (لم تحدد)فى جامع وتربة الغورى.(٦٨٨)

وفى سنة (١٨٨٩م)صرفت اللجنة مبلغاً قدره (١٤٠ر–)جنيه فى أعمال ترميمية (لم تحدد) بقبة ومدفن الغورى وقد خصم هذا المبلغ من ميزانية ديوان عموم الأوقاف.(٦٨٩)

وفى سنة (١٨٩٠م)صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٤٦ر٤٠٠)جنيه فى هدم حوائط محدثة لإظهار الحوائط القديمة بالضريح، كما صرفت فى نفس السنة مبلغاً قدره (٥٩ر٨٨٩)جنيه على هدم وإعادة بناء الحائطين البحرى والشرقى لمصلى الضريح، ومبلغاً قدره (٣٠ر–)جنيه على إصلاح السطوح والشخشيخة الخاصة بالمدرسة، وبذلك بلغت تكاليف الترميمات التى أجرتها اللجنة فى هذا الأثر خلال السنة التى بين أيدينا مبلغاً قدره (١٣ر٢٨٩٩)جنيه.(٦٩٠)

وفى سنة (١٨٩١م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية بالضريح والمقعد مبلغاً قدره(٦٢٥ر–)جنيه كان تفصيلها كالت إلى :

أشغال مقتضى إجراؤها (يغلب على الظن انها كانت ترميمات مبانى)	(٤٨٠ر–)
تشغيل الأرفف ودواليب حفظ الأصناف	(١٠٠ر–)
تكاليف وتجهيز الأصناف المطلوبة	(٠٤٥ر–)
جملة التكاليف	(٦٢٥ر–)(٦٩١)

وفى سنة (١٨٩٢)صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٤٢ر٠١٣)جنيه على أعمال ترميمية لم تحدد بالمدفن، ومبلغاً قدره (٢٧ر٢٥٨) جنيه على أعمال ترميمية أخرى بنفس المدفن (لم تحدد)، ومبلغاً قدره (٤ر٨٢٥) على أعمال حفظية صغيرة بالقبة، ومبلغاً قدره (٧ر٥٢٥)جنيه على هدم بعض حوائط الضريح للكشف عن الحوائط القديمة، وبذلك تبلغ جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات الضريح خلال هذه السنة مبلغاً قدره (٨١ر٦٢١)جنيه.(٦٩٢)

كذلك قامت اللجنة فى السنة المشار إليها بمخاطبة محافظة مصر لتدارك عملية النظافة حول هذا الأثر حتى يظل المكان نظيفاً غير مهمل، كما قامت برفع شريحة الشخشيخة البسيطة التى عملت ودهنت باللون الأصفر فى الفتحة الكبيرة التى كانت موجودة بقاعة السكن القائمة فوق الباب الموصل للحوش خلف الضريح، وإعادة الشباك الخرط الذى كان فيها إلى محله.(٦٩٣)

وفى سنة (١٨٩٣م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٢٠٠ر–)جنيه على ترميم الرخام المؤزر لأسافل جدران القبة، ومبلغاً قدره (١٧ر–)جنيه على إصلاح البسطة التى أمام الباب العمومى للضريح ووضع درفة على استقامتها وتجديد بعض الألواح الزجاجية المكسورة بقاعة الضريح وإكمال درابزين سلمه، وبذلك تكون جملة مصروفات اللجنة على ترميمات الضريح وتوابعه خلال هذه السنة هو مبلغ (٢١٧ر–)جنيه.(٦٩٤)

وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٣ر١٧٠)جنيه على ترميم أرضية مدخل الضريح.(٦٩٥)

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة من حساب الأوقاف مبلغاً قدره (٧٠ر–)جنيه على تقوية جدران السبيل الملحق بهذه الخانقاة.(٦٩٦)

وفى سنة (١٨٩٨م) قامت اللجنة برفع الأتربة المتراكمة فى الحوش الكائن خلف قاعة الضريح تمهيداً لإصلاح القاعة التى تحد الحوش من الجهة القبلية ولم تذكر تكاليف هذه العملية.(٦٩٧)

وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (١٠٠ر–)جنيه على ترميمات مبانى السبيل الملحق بالخانقاة ودورة المياة كان منها على حساب اللجنة مبلغاً قدره (٥٠ر–)جنيه وعلى حساب

الأوقاف مبلغاً قدره (–ر٥٠)جنيه.(٦٩٨)

وفى سنة (١٩٠٢م)صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٦)جنيه على أعمال ترميمية (لم تحدد) بكتاب الغورى الذى يعلو السبيل الملحق بالقبة والخانقاة.(٦٩٩)

وفى سنة (١٩٠٤م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر١٧)جنيه على عملية إصلاح درف شبابيك الضريح.(٧٠٠)

وفى سنة (١٩٠٦م) رأت اللجنة أن تقوم بأعمال ترميمية عاجلة فى تربة الغورى تنحصر فى إصلاح العتب الرخام الموجود بأحد شبابيك السبيل، وتركيب مصبعات نحاسية بكل الشبابيك وتكميل الشرافات الناقصة بالواجهة، وإصلاح القبة المتهدمة، ولم تحدد لذلك مبلغاً معيناً.(٧٠١)

وفى نفس السنة أيضاً خاطبت اللجنة نظارة الأشغال العامة لتلافى تجمع المياه أمام باب صحن التربة نتيجة عدم مساواة أرضية حارة التبليطة بشارع الغورى حتى لا تضر هذه المياه بأساسات الخانقاة.(٧٠٢)

وفى سنة (١٩٠٧م)قررت اللجنة مبلغاً قدره (–ر١٧٠٠)جنيه لإقامة قبة من الأسمنت المسلح بدلاً من السقف الخشبى الموجود بالضريح بالإضافة إلى بياضها من الداخل والخارج،(٧٠٣) كما قررت مبلغاً آخر قدره (–ر٢٠٠)جنيه لإصلاح الأرضية الرخام الملون فى فتحات الشبابيك والسبيل، وإصلاح رخام الواجهات، وتنظيف جدران المدخل(٧٠٤) وبذلك تصبح جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات القبة والسبيل والواجهات خلال هذه السنة هو مبلغ (–ر١٩٠٠)جنيه.

وفى سنة (١٩٠٩م)صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٣٣٣٢)جنيه على أعمال ترميمية (لم تحدد) بجامع وتربة الغورى.(٧٠٥)

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات هذه الخانقاة منذ سنة (١٨٨٢م)حتى سنة (١٩٠٩م) كان قد بلغ (٦١٧١ر٩٣٤)جنيه ستة آلاف ومائة وواحد وسبعين جنيهاً وتسعمائة وأربعة وثلاثين مليماً.

١١ – الخانقاة القرقماسية أمير كبير
٩١١ – ٩١٣هـ /١٥٠٥ – ١٥٠٧م
أثر رقم ١٦٢، ١٧٠

تقع هذه الخانقاة التى هى خاتمة المطاف بالنسبة لهذا الموضوع الذى طال حديثنا فيه – بشارع الأمير كبير بقرافة المماليك، والذى أنشأها هو الأمير قرقماس من ولى الدين أتابك العسكر لدولة السلطان الغورى، وكان ذلك فى الفترة فيما بين سنتى (٩١١-٩١٣هـ/١٥٠٥-١٥٠٧م)، وهذه الخانقاة هى النموذج المعمارى المملوكى الذى جمع فيه بين المدرسة والتكية والضريح،(٧٠٦) وزود بطاحونة لإمداد مخبزها بما كان يحتاجه من دقيق لتجهيز الخبز اللازم لنزلائها كما كان الحال بالنسبة للخانقاة الأشرفية إينال.(٧٠٧)

والواقع أن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من مادة تاريخية وأثرية فى خمس نقاط رئيسية هى:

١ – منشئ الخانقاة.

٢ – أوقاف الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥– ترميمات الخانقاة.

١ – منشئ الخانقاة :

أفادنا كثير من المؤرخين ولاسيما ابن تغرى بردى والسخاوى وابن ظهيرة فى القرنين (٩-١٠هـ /١٥-١٦م) بكثير من المعلومات الهامة المتعلقة بترجمة منشئ هذه الخانقاة وهو الأمير سيف الدين قرقماس بن عبد الله الناصرى، كان أصله من كتابية الملك الظاهر فرقوق، ثم

أخذه إينه الملك الناصر فرج وأعتقه وجعله خاصكياً، إلى أن صار دواداراً ثانياً فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى، فأجلس النقباء على بابه وحكم بين الناس ولم يكن ذلك – كما ذكر ابن تغرى بردى – بعادة أن يحكم الدوادار الثانى بين الناس.(٧٠٨)

ثم أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة مائة وتقدمة ألف، وكلفه بالسفر إلى مكة المكرمة شريكاً لأميرها الشريف عنان الحسنى، فأقام بها مدة ثم عاد إلى القاهرة بنفس إمرته للمائة وتقدمته للألف، ودام على ذلك عدة سنين إلى أن استقر به صاحب الحجاب بعد الأمير جرباش الكريمى بحكم انتقاله إلى إمرة المجلس ثم نقله برسباى من الحجوبية إلى نيابة حلب ولكنه ما لبث أن عزل عنها وجاء به إلى القاهرة ثم أمره أمير سلاح بعد الأمير جقمق العلائى، فاستمر قرقماس فى هذه الوظيفة مدة سافر خلالها إلى البلاد الشامية مقدماً للعساكر إلى أن مات الأشرف برسباى فقدم قرقماس إلى القاهرة مع رفاقه من الجند.

وترشح جقمق (أتابك العسكر) للسلطنة بعد موت برسباى فسكن قرقماس باب السلسلة من الاسطبل السلطانى، وكان كما قال ابن تغرى بردى حريصاً على الرئاسة فلما رأى استفحال أمر جقمق وثب عليه بعد أربعة عشر يوماً من سلطنته وقاتله فانكسر أمامه وهرب، ثم ظهر وأمسك وحبس بالاسكندرية إلى أن ضربت عنقه بالشرع فى ثغرها فى يوم الأثنين ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وثمانمائة.(٧٠٩)

أما السخاوى فقد ذكره بقرقماس المدعو سيدى الكبير(٧١٠) تمييزاً له عن أخيه تغرى بردى الذى عرف بسيدى الصغير، وقال أنهما قدما مع أمهما بطلب من عمهما دمرداش المحمدى وهو إذ ذاك نائب حماة، فتزوج من أمهما وكفلهما حتى صارا من جملة الأمراى، وعرف قرقماس بالشجاعة والفروسية وحظى عند الناصر فرج حظوة لم ينلها غيره حتى قيل أنه كان يخرج عليه كثيراً ثم يرجع إليه وقد فعل ذلك غير مرة، وولى عدة وظائف كتابية صغيرة ونيابة حلب حتى تسلطن المؤيد شيخ فقربه وأعطاه نيابة الشام، وظل قرقماس على ذلك حتى قتل بثغر الأسكندرية فى سنة عشرة وثمانمائة وكان شاباً لطيف الذات شجاعاً كريماً،(٧١١) وهنا نجد اختلافاً بيناً فيما ذكره كل من ابن تغرى بردى والسخاوى بالنسبة لتاريخ وفاته فعلى حين ذكر ابن تغرى بردى أن هذا كان فى ثانى عشر جمادى الآخر سنة (٨٤٢هـ) نجد أن السخاوى يحدد ذلك بسنة (٨١٦هـ).

أما ابن ظهيرة فلم يذكر من سيرته شيئاً سوى أن الخليفة المستيقن بالله عندما تولى الخلافة بعد تمنع خلع على الأمير بكتمر نيابة الشام وعلى قرقماس سيدى الكبير نيابة حلب وعلى سودون الجلب نيابة طرابلس.(٧١٢)

٢ – أوقاف الخانقاة :

وقفنا مما ذكره كل من ابن الجيعان وعلى باشا مبارك ومما ذكرته حجة المنشأة على كثير من المعلومات الهامة المتعلقة بأوقاف هذه الخانقاة، ومما ذكره ابن الجيعان يتضح أن منشئها كان قد أوقف عليها البلاد التالية :

١– دبلة :

مساحتها (٣٢٧) فداناً كانت عبرتها (٣٠٠) دينار واستقرت بحق النصف (يعنى ١٥٠ دينار)، كانت باسم المقطعين ثم صارت وقف الأمير قرقماس الأشرفى أمير سلاح.(٧١٣)

٢ – منية الحلاجة :

مساحتها ٢٩٧ فداناً عبرتها (٩٠٠) دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفاً للأمير قرقماس الأشرفى.(٧١٤)

٣ – منية باديس :

مساحتها (٥١٩) فداناً عبرتها (١٠٨٣) دينار ثم استقرت بحق النصف (يعنى ٥٤١ر٥ دينار)، كانت للمقطعين ثم صارت وقف الأمير قرقماس الأشرفى.(٧١٥)

٤ – أشروبة :

مساحتها (٣٧٨٠) فدانا كانت عبرتها (١٠ر٠٠٠) دينارا ثم استقرت بحق النصف (يعنى ٧٥٠٠ دينار)، كانت باسم الأمير طاز ثم صارت باسم أربعة من الأمراء أصباى والسيفى قرقماس وشركته.(٧١٦)

ومن هذا يتضح أن الأوقاف التى ذكرها ابن الجيعان لهذه الخانقاة كانت مساحتها تبلغ أربعة آلاف وتسعمائة وثلاثة وعشرين فداناً بلغت عبرتها تسعون ألفاً وواحد وتسعين ديناراً ونصف سنوياً بيانها كالتالى:

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	دبلة	٣٢٧	١٥٠	التحفة السنية
٢	منية الحلاجة	٢٩٧	٩٠٠	» »
٣	منية باديس	٥١٩	٥٤١ر٥	» »
٤	أشروبة	٣٧٨٠	٧٥٠٠	» »
	الجملة	٤٩٢٣	٩٠٩١ر٥	

ليس هذا فقط بل لقد ورد بحجة الواقف المشار إليها علاوة على هذه الأراضى التى ذكرها ابن الجيعان – أنه كانت هناك ضمن أوقاف هذه الخانقاة أراض كثيرة بالوجهين البحرى والقبلى نوجزها فيما يلى :

١– الجيزية :

أ – عشرون فداناً بالقصبة الحاكمية.

ب – عشرة أفدنة بالقطائع.

٢ – الأشمونين :

أ – إثنا عشر سهما من أراضى الطينة.

٣ – المطرية :

أ – عشرون فداناً بأراضى المطرية من ضواحى القاهرة.

٤ – القليوبية :

أ – خمسة عشر قيراطا شائعاً فى أراضى ناحية برشون.

ب – أربعون فداناً بأراضى ناحية بيديف.

٥ – الغربية :

أ – نصف وربع عشر وربع حصة بأراضى منية العبسى.

ب – حصة وربع من أراضى دنوشر.

جـ – ربع قيراط من أربعة وعشرين قيراط بناحية دنجويه.

٦ – المنصورية :

أ – رزقة كاملة بيركة يحيى.

٧ – الدقهلية :

أ – حصة وثمن من عشر حصص بناحية نوسا.

ب – حصة قدرها نصف جزء من أجزاء منية مزاح.

٨ – دمياط :

أ – بستان كامل بالثغر.

أما ما ذكره على باشا مبارك خاصاً بأوقاف هذه الخانقاة من الأراضى الزراعية فيتضح منه أن منها ما كان فى الغربية بنواحى دنجويه وتبانة ومنية العبسى ومحلة أبى على ومنسى ومنية يزيد، وما كان فى الشرقية بنواحى منية سهيل ومنية العطار وبستاناً فى دمياط، وما كان فى المنوفية بناحية الفرعونية، وما كان فى القليوبية بنواحى برشو ورزاقة بقليوب مساحتها خمسة وسبعون فداناً، وما كان فى الجيزية بنواحى المنصورية وشبرى منت، وما كان فى الأشمونين بناحية الطيبة

بالإضافة إلى بهبيت وأخميم ودنوشر والمطرية وبنوسا ومنية مزاح.(٧١٧)

ليس هذا فقط بل لقد ذكر أيضاً بعضاً مما كان موقوفاً عليها من العقارات الثابتة منها بخط الهلالية ومكان بخط دار الضرب من القاهرة وبعض العقارات الأخرى بدمشق والشام والكرك وبعلبك والرملة ونحوها.(٧١٨)

كذلك فقد ورد فى وثيقة الخانقاة المشار إليها أن هذه الأوقاف كانت تشتمل من العقارات تفصيلاً على ما يلى:

١– عقار برأس سويقة العزى بظاهر القاهرة.

٢– ثلاثة وعشرون حانوتاً أسفل المدرسة الحسنية.

٣ – عقار خارج باب زويلة يشتمل على اسطبل وطشتخانة وركاب خانة ومقعد قبطى ومطبخ ودور قاعة.

٤ – أربعة حوانيت خارج باب زويلة.

٥ – ثلاثة حوانت يعلوها طباق بخط قوصون.

٦ – حمام خارج باب زويلة بخط قبو الكرمانى.

٧ – عقار كامل داخل باب الفتوح بجوار حبس المقشرة يشتمل على سبعة عشر حانوتاً ووكالة وطاحوناً.

أما خارج مصر فقد أشارت الوثيقة إلى أن أوقاف هذه الخانقاة كانت قد شملت:

١ – قرية كاملة بوادى القيم بدمشق.

٢ – بستاناً كاملاً بظاهر دمشق خارج باب شرقى.

٣ – إثنا عشر سهماً من أربعة وعشرين سهماً فى قيسارية بدمشق.

٤ – ثمن قرية الكسوة من السودان.

٥ – ثلاثة عشر قيراطاً وثلث من مزرعة بزمام بعلبك.

٦ – ثلث قيراط من دير البقاع.

وإذا ما قسنا هذا الكم الهائل من الأراضى والعقارات التى أشارت إليها الحجة والتى ذكرها على باشا مبارك ولم يذكر لها مساحة ولا عبرة وقارناه بما ذكره ابن الجيعان بالمساحة والإيراد لاستطعنا أن نتخيل مقدار ما كانت عليه أوقاف هذه الخانقاة بما يدعونا إلى الاعتقاد بأنها كانت واحدة من أغنى خانقاوات القاهرة بغير جدال.

٣ – موظفو الخانقاة:

لم نعثر فيما أتيح لنا الاطلاع عليه من كتب التراجم على أسماء بعض موظفى هذه الخانقاة، ولذلك كان اعتمادنا كلياً على ما جاء فى وقفية المنشئ وعلى ما ذكره على باشا مبارك فى خططه حين تكلم عن هذه الوقفية التى سبقت الإشارة إليها،(٧١٩) ومن هذين المصدرين يتضح أن المنشئ كان قد قرر فيها من الموظفين ما يلى:

مسلسل	عدد	وظيفة	راتب شهرى بالدرهم
١	٣	قراء للتربة	١٥٠٠
٢	١	خادم للتربة	١٢٠
٣	٤	خدمة وقف من ناظر ومباشر وشاهد وجاب	–
٤	١	إمام للمدرسة	٦٠٠
٥	١	خطيب للمدرسة	٦٠٠
٦	١	مؤقت للمدرسة	٦٠٠
٧	٦	مؤذنين	١٢٠٠
٨	١	مرقى	١٥٠
٩	١	شيخ للصوفية	٩٠٠
١٠	٢٢	صوفياً	٣٥٠٠
١١	١	قارئ بخارى	١٥٠
١٢	١	موقع كتاب الوقف	١٥٠
١٣	١	مبخر وثمن بخور	١٠٠
١٤	٢	فراشين	١٠٠٠
١٥	١	وقاد	٣٠٠
١٦	١	مزملاتى	١٧٠٠
١٧	١	سواق للساقية	١٠٠٠
١٨	٢	رشاش وسقاء مع ثمن حصر ونحوها	٥١٠٠
١٩	٧	أيتام بالمكتب	٤٢٠
٢٠	١	مؤدب	١٠٠
الجملة	٥٩		١٩ر١٩٠

ومن هذا يتضح أن موظفى هذه الخانقاة كانوا قد بلغو تسعة وخمسين موظفاً بلغت رواتبهم شهرياً (١٩ر١٩٠) تسعة عشر ألفاً ومائة وتسعون درهماً بخلاف التوسعات التى قررها المنشئ لهم فى المواسم والأعياد، وبخلاف خدمة الوقف الذين لم تحدد الوثيقة لهم راتباً وهو

مبلغ إن دل على شئ فإنما يدل على أن هذه الخانقاة كانت واحدة من الخانقاوات ذات الشأن ومنه يتضح أيضاً أن هؤلاء الموظفين كانوا ينقسمون إلى ثلاث فئات رئيسية أولها فئة الوظائف الدينية وقد اشتملت على :

١ – إمام.

٢ – خطيب.

٣ – شيخ الصوفية وقد بدأ المنشئ بالشيخ أبو زكريا يحيى البردينى الشافعى.

٤ – صوفية يحضرون كل يوم مع شيخهم بإيوان المدرسة القبلى لختم القرآن.

٥ – قارئ بخارى – يتولى قراءة الصحيح بالإيوان القبلى للمدرسة.

٦ – مؤدب للأيتام بالمكتب.

٧ – أيتام.

٨ – قراء تربة يقرأون مجتمعين ما يتيسر لهم من القرآن صبيحة كل يوم.

٩ – مؤذنين.

وثانيتها فئة الوظائف الإدارية وقد اشتملت على :

١ – ناظر وقف، وقد بدأ المنشئ بالسيفى ألماس والسيفى دولات باى.

٢ – مباشر وقف، يتولى تحرير متحصلاته وأوجه صرفها .

٣ – شاهد وقف يتولى الحضور مع المباشر عند النفقة على المستحقين والشهادة عليهم.

٤ – صراف وقف يتولى قبض ريع الوقف وصرفه على العادة فى أوجهه المحددة بالوثيقة.

٥ – مؤقت أو كاتب غيبة يتولى كتابة من يغيب من الصوفية فى كل يوم.

٦ – سواق للساقية يتولى ادارتها وادارة حوض السبيل.

وثالثها فئة الوظائف الخدمية وقد اشتملت على :

١ – خادم ربعات بالتربة من الصوفية يتولى تفريقها عليهم عند بدء القراءة وجمعها منهم عند نيهايتها.

٢ – مرقى.

٣ – مبخر للمدرسة من الصوفية يزاد له عن هذا التبخير شهرياً إثنان وسبعون درهماً.

٤ – فراش للمدرسة وفراش للميضأتين وبواب.

٥ – وقاد.

٦ – مزملاتى وقد قرر لذلك الحاج مفتاح عتيق الواقف مدة حياته ثم لأولاده من بعده.

٧ – رشاش.

٨ – سقاء.

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة ٤٦)

أنشئت هذه الخانقاة على نظام المدارس ذات التخطيط المتعامد الذى يتكون من صحن أوسط يفتح عليه كل من الإيوانين الشرقى والغربى بعقد واحد كبير، بينما يفتح عليه كل من الإيوانين الشمالى والجنوبى بعقد واحد صغير، يضاف إلى ذلك سبيل وصهريج ومزملة وكتاب وقبة ضريحية وحوش للدفن وستة عشر خلوة فى دورين للصوفية، بالإضافة إلى خلوتين إحداهما للخطيب وأخرى للزيت، علاوة على

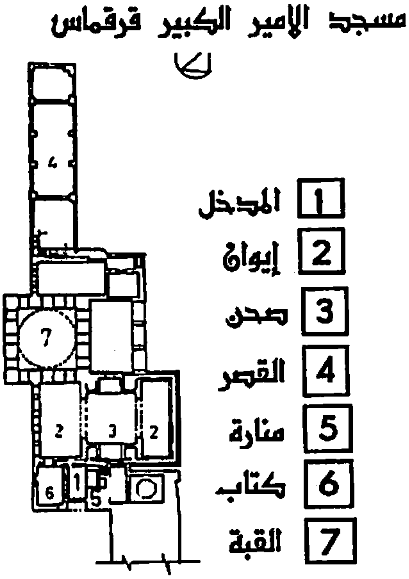

لوحة ٤٦ : الخانقاة القرقماسية (امير كبير) – مسقط افقى

مرافق الخانقاة التى لم يعد لها وجود ولاسيما المطبخ والاسطبل وحوض الدواب والميضأة وفيما يلى وصف أثرى معمارى زخرفى لما بقى منها :

أ – الواجهة الرئيسية والمدخل (أنظر شكل ٥٦)

تطل هذه الواجهة على الناحية الشمالية بطول (١٣ر٤٠)متر وتتوسطها دخلة عرضها (٣ر٤٠)متر وعمقها (١ر٤٥)متر يكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (ر٧٠)متر وارتفاعها (ر٩٥)متر يحدها من أعلى ومن أسفل جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

أما الباب فعرضه (١ر٧٠)متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة زين أسفله من الجانبين بحطتين من المقرنصات، وفوق هذا العتب عقد عاتق من صنجات حجرة مزررة أيضاً على جانبيه مستطيلان متشابهان زخارف كل منهما عبارة عن شكل وردة متعددة الفصوص فى الوسط يحيط بها فى الأركان الأربعة ورقة ثلاثية.

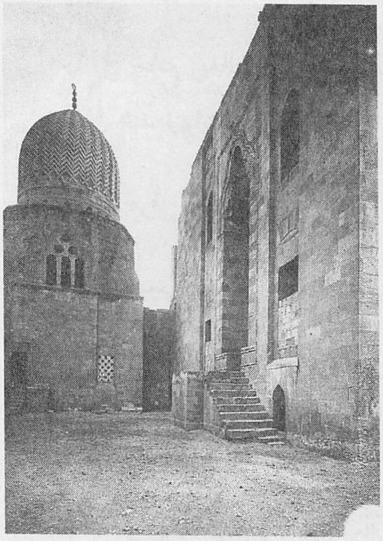

شكل ٥٦ : الخانقاة القرقماسية (امير كبير) – الواجهة والمدخل ومعها القبة

وفوق العقد توجد نافذة مربعة ذات عقد من صنجات مزررة تقع داخل دخلة يكتنفها عمودان مثمنان زين بدن كل منها بخطوط متكسرة وأعلى العمودين إزار من كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم صدق الله العظيم»، (٧٢٠) وفى مستطيل علوى إلى اليمين «لا إله الا الله» يقابله مستطيل علوى إلى اليسار فيه «محمد رسول الله» وفى مستطيل سفلى إلى اليمين «أرسله بالهدى ودين الحق» يقابله مستطيل سفلى إلى اليسار فيه «ليظهره على الدين كله»، (٧٣١) ويعلو هذه الكتابات فوق الدخلة حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، وعلى جانبى عمود الدخلة وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما عبارة عن مستطيل تزينه أوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية، وعلى جانبى

مقرنصات الحنية وحدتان أخران متشابهتان إلا أنهما أصغر حجماً من الوحدتين السفليتين.

وفوق المقرنصات توجد ثلاث نوافذ مربعة بينها مستطيلان متشابهان قوام زخارف كل منهما خطوط متداخلة، وتنتهى دخلة هذا المدخل بعقد ثلاثى الفصوص زينت بواطنه بمقرنصات مضلعة ذات زوايا وأحيطت دخلته بجفت لاعب ذو ميمات دائرية.

وعلى جانبى المدخل المشار إليه إزار من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صدق الله العظيم،(٧٢٢) بتاريخ شهر رجب الفرد الحرام سنة ثلاثة عشر وتسعمائة».

ب – المئذنة :

تقوم هذه المئذنة على يمين المدخل فوق قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٫٦٠) متر تشتمل فى الأركان على مثلثات مقلوبة حولتها إلى بدن مثمن، ويتكون بدنها من ثلاث دورات أولاها مثمنة الأضلاع تقوم على قاعدة مربعة يزين كل ضلع فيها وحدة مكررة على شكل دخلة يكتنفها عمودان دائريان يحملان عقداً فارسياً مدبباً تزينه زخارف مضلعة فى البعض ومشعة فى البعض الآخر، وفى الأركان الأربعة لهذه الدورة توجد أربع شرفات بارزة تقوم كل منها على صفين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا وتعلوها دروة ذات شقق حجرية بعضها ذات زخارف نباتية وبعضها ذات زخارف هندسية، وتقع كل شرفة من هذه الشرفات الأربع أسفل نافذة مستطيلة على شكل مزغلة عملت للتهوية والإنارة، ويعلو جوانب هذه الدورة شريط من كتابات نسخية بارزة فوقه مقرنصات مقعرة ذات دلايات نصها «بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما، يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا صدق الله العظيم».(٧٢٣)

أما الدورة الثانية فذات بدن أسطوانى تزينه زخارف هندسية من خطوط متداخلة تعلوها مقرنصات مقعرة ذات دلايات أيضاً.

أما الدورة الثالثة فهى عبارة عن جوسق يقوم على ثمانية أعمدة رخامية مثمنة الأضلاع تحمل عقوداً مدببة فوقه خوذة كمثرية الشكل أسفلها مقرنصات.

جـ – السبيل الواقع بالجانب الأيسر من الواجهة :

يشتمل الجانب الأيسر من الواجهة المشار إليها على سبيل مربع الشكل طول ضلعه (٤٫٢٠)متر، فى كل من واجهتيه الشمالية والشرقية شباكان كبيران متشابهان عرض كل منهما (٢٫٥٠)متر، أسفله ثلاثة كوابيل حجرية وأعلاه عتب من صنجات مزررة فوقه عقد عاتق من صنج معشقة على جانبيه تربيعتان متشابهتان قوام زخارف كل منهما خطوط متداخلة تكون أشكالا هندسية، إلا أن هذين الشباكين قد ضاعت معالمهما وسدا بقوالب من الطوب الأحمر.

وفى الركن الشمالى الشرقى لهذا السبيل عمود حجرى مخلق ذو شكل دائرى وأعلا واجهتيه إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الرحمن يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا، فوقاهم ربهم شر هذا اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا.»(٧٢٤)

د – واجهتا الكتاب :

يعلو السبيل المشار إليه كتاب له واجهتان إحداهما شمالية والأخرى شرقية، وتتكون كل واجهة منهما من عقدين نصف دائريين تحملهما دعامتان وعمود رخامى ذو بدن دائرى ويتدلى أعلى هاتين الواجهتين دروة خشبية.

وتستمر واجهة هذا السبيل ناحية الجنوب حيث توجد الواجهة الشرقية للقبة والمدرسة، فنجد للقبة بروزاً طوله (١٥ر١٥) متر وعرضه (٧٠ر) متر به أربع دخلات متشابهة، أثنتان فى كل من الناحيتين الشمالية والجنوبية، واثنتان فى الناحية الشرقية، فى كل منها من أسفل شباك مستطيل مسدود الآن بسدة حديثة يعلوه عتب من صنجات مزررة فوقه عقد عاتق، ويعلو هذا الشباك نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى ممتد وتنتهى الدخلة بحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

هـ – الواجهة الشرقية :

تمتد هذه الواجهة بطول (٦٠ر٧) متر وبها أربعة شبابيك مستطيلة الشكل، فوق كل منها عتب خشبى تعلوه نافذتان مستطيلتان ذواتى عقد نصف دائرى تزينهما زخارف جصية مخرمة على شكل ورقة ثلاثية، إلا أنه فى الركن الشمالى الشرقى من هذه الواجهة كان يوجد شباكان آخران يشبهان هذه الشبابيك الأربع إلا أنهما مسدودان الآن.

و – واجهة خلوات الصوفية :

تطل واجهة هذه الخلوات على الشرق بطول (٥٠ر٣٣) متر وتتكون من دورين فى أولهما ثمان مزاغل تقع كل واحدة منها فى الجدار الشرقى لخلوة من الخلوات الثمانية فى هذا الدور، أما الدور الثانى فكان يشتمل على ثمان خلوات أخرى متشابهة إلا أنها متهدمة الآن ولم يبق منها إلا واجهتها التى بين أيدينا، حيث نجد فيها ثلاثة شبابيك مستطيلة تعلوها ثلاث نوافذ مستطيلة أيضاً فى كل خلوة من هذه الخلوات الثمانية.

ز – دركاة المدخل :

يفضى مدخل الخانقاة المشار إليه إلى دركاة مستطيلة الشكل تقريباً طولها (٦٠ر٣) متر وعرضها (٤٠ر٣) متر يغطيها سقف من كتل خشبية كان يزينها ويزين المناطق المرئية فيما بينها زخارف ملونة، أسفله بقايا إزار خشبى كانت تزينه زخارف نباتية وهندسية وكتابية ضاعت معالمها.

وفى صدر هذه الدركاة توجد مصطبة عرضها (٩٥ر٢) متر وعمقها (٢٥ر١) متر وارتفاعها (٧٠ر) متر، فى جدارها الجنوبى شباك عرضه (٧٠ر١) متر يطل على الإيوان الشرقى.

ج – حجرة السبيل :

من فتحة باب فى جدار الدركاة الشرقى عرضها (١٫٥٠)متر ذات عقد نصف دائرى ممتد يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية يفضى إلى حجرة السبيل المستطيلة، ويغطيها سقف يشبه سقف الدركاة إلا أنه فى جدارها الجنوبى يوجد شباك يشبه الشباك الموجود بجدار الدركاة الجنوبى بعتبه المزرر وعقده العاتق تكتنفه عن يمين وشمال دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٠٫٧٥)متر وعمقها (٠٫٩٥)متر بالدخلة الغربية منهما خرزة البئر الذى يغطى الصهريج المبنى فى تخوم الأرض.

ويتدلى أسفل السقف فى الأركان الأربعة لحجرة هذا السبيل أربعة كرادى خشبية تنتهى بأوراق ثلاثية الفصوص، كما يحيط بالسقف فى أعلى الجدران إزار خشبى كان يحوى ألقاب المنشئ نقشت بالطلاء فى حروف نسخية ضاعت معالمها.

ويقابل باب هذا السبيل فى الناحية الغربية مدخل مشابه يؤدى إلى ممر مستطيل طوله (٧٫٤٠)متر وعرضه (١٫٤٥)متر يغطيه سقف من عروق خشبية يزين واجهتها المرئية ويزين المساحات فيما بينها زخارف نباتية وهندسية مختلفة.

ط – المزيرة :

فى الجدار الغربى لممر المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة كانت توجد فى الناحية الشمالية له مزيرة داخل دخلة عرضها (١٫٦٥)متر وعمقها (١٫٢٥)متر يعلوها عقد نصف دائرى فى جدارها الغربى نافذة مربعة ذات عقد نصف دائرى، إلا أن سياج هذه المزيرة الخشبى غير موجود الآن.

ى – خلوات الصوفية :

إلى الجنوب من المزيرة المشار إليها يوجد باب معقود عرضه (٠٫٩٠)متر يؤدى إلى السلم الموصل إلى الكتاب والمئذنة، ويفضى هذا السلم بعد سبعة انكسارات إلى مدخل فى الناحية الغربية عرضه (٠٫٧٠)متر يصعد منه بثلاث درجات إلى ممر مستطيل طوله (١١٫٤٥)متر فى ناحيته الجنوبية مدخل عرضه (٠٫٨٥)متر ذو عتب مستو يؤدى إلى خلوة مربعة الشكل طول ضلعها (٢)متر سقفها غير موجود الآن.

وفى جدارها الجنوبى شباك عرضه (٠٫٩٥)متر يطل على صحن المدرسة، وفى النهاية الغربية لجدار هذا الممر الشمالى شباك مستطيل آخر عرضه (١٫٥٠)متر يعلوه عقد نصف دائرى مسدود بسدة حديثة، ثم ينكسر هذا الممر ناحية الجنوب بطول (١٤٫٢٠)متر حيث نجد الجدار الغربى لهذا الإنكسار متهدماً، بينما نجد فى الجدار الشرقى ثلاثة شبابيك مستطيلة ذات عقود نصف دائرية

ثم يعود الممر فيتجه ناحية الشرق إلى مسافة (٥٫٩٠) متر وجدار هذا الإنكسار متهدم، أما جداره الشمالى فبه شباك آخر يطل من هذه الناحية على الإيوان الغربى، وينتهى هذا الانكسار الثالث بفتحة باب عرضها (٫٦٠) متر ذات عتب مستو تؤدى إلى خلوة ثانية مستطيلة طولها (٢٫٨٠) متر وعرضها (١٫٩٠) متر سقفها غير موجود الآن، وفى جدارها الشمالى شباك مستطيل يماثل الشباك الذى يوجد بالجدار الجنوب للخلوة السابقة فى الناحية الشمالية.

وبعد ثلاثة إنكسارات أخرى يفضى السلم إلى فتحة باب ثانية عرضها (٫٩٠) متر ذات عتب خشبى مستو تؤدى إلى ممر مستطيل يتجه ناحية الشرق إلى مسافة (٦٫٥٠) متر فى بداية جداره الجنوبى من الناحية الغربية يوجد مدخل عرضه (٫٩٠) متر يعلوه عتب خشبى يؤدى إلى خلوة ثالثة مربعة الشكل طول ضلعها (١٫٨٥) متر سقفها غير موجود الآن، فى جدارها الجنوبى نافذة مستطيلة طولها (١٫١٥) متر وعرضها (١) متر ذات عتب حجرى مستو على صحن المدرسة، وكان يتقدم هذه الخلوة رحبة مستطيلة الشكل طولها (٢) متر وعرضها (١٫٣٥) متر.

وإلى الشرق من هذه الخلوة يوجد شباك كبير ذو عقد نصف دائرى مسدود بقوالب من الطوب الحديث كان يطل على الإيوان الشرقى يقابله من الناحية الشمالية مدخل عرضه (٫٩٠) متر ذو عتب حجرى مستو يؤدى إلى خلوة رابعة عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٥٫٦٠) متر وعرضها (٣٫٣٠) متر سقفها غير موجود الآن، فى جدارها الشمالى ثلاثة نوافذ مستطيلة متشابهة عرض كل منها (٫٥٥) متر وارتفاعها (٫٩٥) متر ذات أعتاب حجرية مستوية، وفى جدارها الغربى فتحة عرضها (٢٫٨٥) متر ذات عتب من عروق خشبية تؤدى إلى دخلة مستطيلة الشكل طولها (٣٫٦٠) متر وعرضها (٢٫٤٥) متر يغطيها سقف من عروق خشبية، وأغلب الظن أن هذه القاعة كانت مخصصة للمؤدب ومساعديه.

ك – الكتاب :

فى الركن الشمالى الشرقى من الممر المشار إليه توجد فتحة باب عرضها (٫٩٠) متر ذات عتب حجرى مستو يؤدى إلى الكتاب، وهو عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٦٫٩٠) متر وعرضها (٤٫٥٠) متر، فى جدارها الغربى ثلاث دخلات مستطيلة متشابهة عرض كل منها

(١٫١٠) متر وعمقها (٫٥٠) متر يعلوها عتب حجرى مستو، وفى جدارها الجنوبى شباك كبير عرضه (١٫٨٠) متر وعمقه (١٫٣٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد مسدود بقوالب من الطوب الأحمر وكان هذا الشباك يطل على الإيوان الشرقى.

وعلى يسار هذا الشباك دخلة تشبه الدخلات الثلاثة الموجودة فى الجدار الغربى على يسارها فى الركن الجنوبى الشرقى من الجدار الشرقى دخلة مشابهة، أما باقى الواجهتين الشرقية والشمالية لهذا الكتاب فقد سبق وصفهما عند الحديث عن واجهة الكتاب.

وكان يغطى هذه الحجرة سقف خشبى تزينه وتزين المساحات المرئية منه كتلة زخارف ملونة لأشكال نباتية وهندسية، كما كان يحيط بهذا السقف أعلى الجدران إزار خشبى كانت به نقوش لكتابات نسخية ضاعت كلها تماما، كذلك كان يتدلى فى أركان الحجرة أربعة كرادى خشبية ينتهى كل منها من أسفل بورقة نباتية ثلاثية الفصوص.

ل – صحن المدرسة الخانقاة :

فى صدر الإنكسار الثانى للممر المشار إليه يوجد باب عرضه (١٫٤٥) متر يعلوه من داخل الممر عقد نصف دائرى ومن ناحية الصحن عتب حجرى من صنجات مزررة يؤدى إلى الصحن وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٨٫٦٠) متر وعرضها (٧٫٩٠) متر كان يغطيها سقف غير موجود الآن.

ويحيط بهذا الصحن أربعة إيوانات يفتح عليه كل من الإيوانين الشرقى والغربى بعقد واحد كبير على هيئة حدوة الفرس ترتكز رجلاه على دعامتين تنتهيان من أسفل بثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، بينما يفتح عليه كل من الإيوانين الشمالى والجنوبى بعقد واحد نصف دائرى ممتد ترتكز رجلاه أيضاً على دعامتين تنتهيان من أعلى بثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

إلا أنه على جانبى عقدى الإيوانين الشمالى والجنوبى يوجد شباكان مستطيلان يقع كل منهما داخل دخلة ذات عقد فارسى مدبب يحملها عمودان حجريان دائريان مخلقان، ويحيط بهذه العقود الأربعة ويحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

وفى الجدار الشمالى لهذا الصحن يوجد مدخل عرضه (٤٠ر١) متر له عتب من صنجات حجرية مزررة يؤدى إلى الممر المنكسر ويفضى إلى الخانقاة، يقابله فى الجدار الجنوب مدخل مشابه يؤدى إلى حوش الدفن الذى يتقدم القبة من الناحية الغربية.

وفى مقابلة باب الممر الرئيسى توجد دخلة للتماثل يعلوها عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق من صنجات مزررة أيضاً، أما أعلا جدران الصحن فيوجد إزار من كتابات نسخية بارزة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم قال الله سبحانه وتعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (الآية) صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على محمد».(٧٢٥)

م – الإيوان الشرقى :

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٨٠٠ر٢١) متر وعرضها (٢٥ر٧) متر يغطيه سقف خشبى مجدد، فى جداره الشرقى محراب حجرى عبارة عن حنية عرضها (١٠ر١) متر وعمقها (٨٠ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى متراجع يزينه من أسفل شريط من كتابات نسخية ونصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون صدق الله».(٧٢٦)

ويعلو هذا الشريط الكتابى زخارف لأطباق نجمية، أما طاقية المحراب فيزينها من أسفل شريط من زخارف لأوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية تتوسطها عبارة «الله ربى»

وعلى جانبى هذا المحراب توجد أربعة شبابيك متشابهة عرض كل منها (٧٥ر١) متر وعمقه (٩٠ر) متر يعلوه عقد نصف دائرى ممتد، فوق كل منها نافذتان مربعتان سبق وصفهما عند الحديث عن الواجهة الشرقية لهذه المدرسة الخانقاة، إلا أن المساحات حول عقود هذه الشبابك الأربعة وحول عقد المحراب قد زينت بزخارف لأوراق نباتية ثلاثية وثنائية ومراوح نخيلية، وقد نقشت بطول هذا الجدار كتابات نسخية نصها : «بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع

ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم».(٧٢٧)

أما جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى ففى كل منهما شباكان مستطيلان متشابهان يعلو كلا منهما نافذتان مربعتان، وقد سبق وصف شباكى الجدار الشمالى عند وصف دركاة المدخل الرئيسى والجدار الجنوبى لحجرة السبيل، أما شباكى الجدار الجنوبى فكانا يطلان على القبة.

ن – الإيوان الغربى :

يقابل هذا الإيوان إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٣٫٦٠) متر وعرضها (٤٫٤٠) متر يغطيها سقف من كتل خشبية يزينها ويزين المساحات فيما بينها زخارف ملونة تتألف من عناصر نباتية وهندسية.

وفى كل من جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى دخلتان مسدودتان عرض كل منهما (١٫٥٠) متر وعمقها (٠٫٩٠) متر يعلو كلا منها عتب مستو من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق من صنج معشقة يعلوها شباك مستطيل ذو عقد نصف دائرى، أما الجدار الغربى فبه ثلاثة شبابيك مستطيلة عرض كل منها (١٫٧٥) متر وعمقه (١٫٣٠) متر يعلوه عتب من صنجات مزررة ويكتنف هذه الشبابيك الثلاثة من الشمال والجنوب دخلتان تشبهان تماماً باقى الدخلات.

س – الإيوانان الشمالى والجنوبى (السدلتان)

هذان الإيوانان متشابهان تماماً عرض كل منها (٣٫٦٥) متر وعمقه (٢٫٩٠) متر يعلوهما سقف من عروق خشبية يشبه باقى السقوف تتدلى من أركانه الأربعة أربعة كرادى خشبية تنتهى من أسفل بذيل على هيئة ورقة نباتية ثلاثية الفصوص.

ويقابل الدخلة القائمة فى الإيوان الجنوبى مدخل عرضه (١٫٠٥) متر ذو عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق يؤدى إلى حجرة مستطيلة سقفها غير موجود وفى جدارها الغربى نوافذ

مستطيلة متشابهة.

ومن المدخل الواقع فى الركن الجنوبى الغربى للصحن يفضى إلى ممر مستطيل طوله (٣ر٨٠) متر وعرضه (١ر٤٥) متر ينتهى بفتحة باب ذات عقد نصف دائرى يؤدى إلى حوش يتقدم القبة عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٢ر٣٥) متر وعرضها (٨ر١٠) متر، جداره الغربى مفتوح بثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة تطل على فناء يتقدم الخلوات التى تقع فى هذه الناحية.

وفى جداره الشمالى دخلة عرضها (١ر٤٠) متر وعمقها (١ر٨٠) متر ذات سقف برميلى يقابلها فى الجدار الجنوبى مدخل يفضى إلى الفناء الثانى الذى يفصل بين القصر والقبة.

ومما تجب الإشارة إليه فى هذا الصدد أنه يجاور كلا من هذين الإيوانين مكان مربع غطى بقبوة أقامه المعمار ليصنع به تقابلاً فى الشكل بحيث يجد الزائر تجاه كل باب باب آخر ولو مسدوداً، وقد شاع هذا النظام فى عصر المماليك الجراكسة حيث نجده فى مساجد الغورى ويحيى زين الدين بالأزهر وقايتباى وبرسباى بالصاغة وبرقوق بالنحاسين وقجماس الإسحاقى بالدرب الأحمر وقانى باى الرماح بالقلعة وغيرها.

ع – مدخل القبة الضريحية : (أنظر شكل ٥٧)

يفضى إلى هذه القبة الضريحية من مدخل يتوسط الجدار الشرقى للحوش يقع داخل دخلة عمقها (ر٥٥ متر يحدها جفت لاعب ذو ميمات دائزية وتكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (ر٦٠) متر وعرضها (ر٥) متر وارتفاعها (ر٩٠) متر تزينها صنجات حجرية مزررة ويحدها جفت لاعب ذو ميمات دائرية.

أما المدخل فعرضه (١ر٤٥) متر يعلوه عتب من صنجات مزررة فوقه عقد عاتق يعلوه إزار من كتابات نصها :

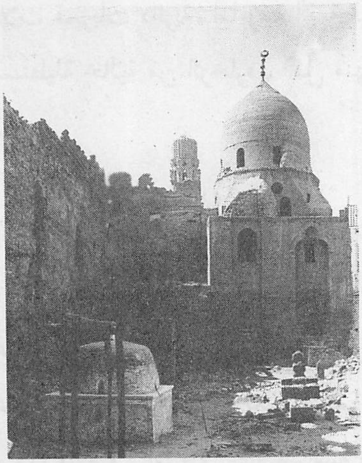

شكل ٥٧ الخانقاة القرقماسية (أمير كبير)
القبة من الخارج

«بسم الله الرحمن الرحيم. نصر من الله وفتح قريب صدق الله ورسوله الكريم».(٧٢٨)

وفوق هذا الإزار توجد نافذة مستطيلة الشكل داخل دخلة يكتنفها عمودان حجريان مخلقان فوقهما حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، وتنتهى دخلة هذا المدخل بعقد ثلاثى الفصوص.

وعلى جانبى هذا المدخل إزار به آثار كتابات نسخية ضاعت معالمها، أما على جانبيه من الشمال والجنوب فيوجد شباكان متشابهان يشبهان باقى الشبابيك الموجودة بهذه الخانقاة.

ف – الضريح :

يشغل هذا الضريح مساحة مربعة الشكل طول ضلعها (١٠ر٤٠) متر تقوم فوقها قبة على أربع مناطق انتقال (أنظر شكل ٥٨) يتكون كل منها من تسع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا التى زخرفت بعناصر نباتية وهندسية مختلفة بين كل منطقتين منها ثلاث نوافذ مستطيلة ذات عقود نصف دائرية فوقها ثلاث قمريات دائرية، أما رقبة القبة فبها ستة عشر نافذة مستطيلة خالية من الزخارف كل منها ذات عقد نصف دائرى.

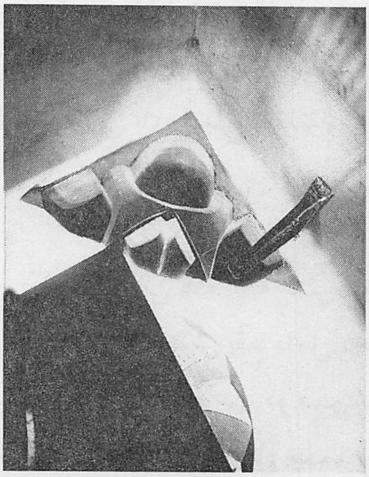

شكل ٥٨ الخانقاة القرقماسية (أمير كبير)
مقرنص القبة

ص – محراب الضريح :

يتوسط هذا المحراب الجدار الشرقى للقبة وهو عبارة عن حنية عرضها (١ر١٠) متر وعمقها (٧٠ر) متر ذات عقد نصف دائرى متراجع يكتنفه عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة وتاج كمثريا الشكل، وكان يزين حنية هذا المحراب من أسفل وزرة من أشرطة رخامية رأسية تعلوها زخارف من تفريعات نباتية وأنصاف مراوح نخيلية، أما على جانبيه فيوجد شباكان كبيران لكل منها عقد نصف دائرى سبق وصفهما عند الحديث عن

الواجهة الشرقية لهذه القبة من الخارج، أما الجدار الشمالى لهذا الضريح فبه ثلاثة شبابيك متشابهة الشرقى منها مسدود والآخران يطلان على إيوان القبلة وكذا الحال بالنسبة للجدار الجنوبى إلا أن الشباكين فيه يطلان على الحوش الثانى الذى يفصل – كما قلنا – بين القصر وبين القبة.

وأعلى وأسفل النوافذ العلوية لهذا الضريح يوجد شريطان كتابيان نص السفلى منها :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم. وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين صدق الله العظيم ورسوله الكريم﴾.(٧٢٩)

ونص الشريط العلوى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم .. .. وكان الفراغ من هذا المكان المبارك فى شهر ذى القعدة الحرام سنة أحد عشر وتسعمائة صلى الله على سيدنا محمد﴾.(٧٣٠)

ومن باب فى الركن الشمالى الغربى للصحن عرضه (١٫٥) متر يفضى إلى ممر منكسر أولا ناحية الشمال وبه سلم هابط يغطيه قبو برميلى ثم ينكسر ثانياً ناحية الغرب وكان يغطيه قبو برميلى أيضاً إلا أنه متهدم، وفى الجدار الشرقى لهذا الإنكسار يوجد باب عرضه (٫٨٥) متر ذو عقد مدبب يؤدى إلى حاصل مستطيل يغطيه سقف برميلى كذلك.

وفى بداية جداره الشمالى مدخل آخر عرضه (٫٩٠) متر ذو عقد مدبب أيضاً يؤدى إلى رحبة مستطيلة فى جدارها الشرقى مزغلة تفتح على الحاصل المشار إليه، وفى ناحيتها الغربية فتحتان متشابهتان عرض كل منهما (٫٧٠) متر يعلوها عقد مدبب فوقه نافذة مستطيلة، وتؤدى كل من هاتين الفتحتين (البابين) إلى دورة مياه، وينتهى هذا الإنكسار فى جداره الغربى بفتحة باب عرضها (١٫٠٥) متر يعلوها عقد نصف دائرى يؤدى إلى ممر مستطيل يتقدم خلوات الصوفية

من الناحية الغربية.

وتفتح هذه الخلوات فى الجانب الشرقى من هذا الممر وتتكون من ثمان خلوات متشابهة التكوين، يؤدى إلى كل منها مدخل عرضه (٨٥ر) متر يفضى إلى ممر مستطيل يغطيه سقف عبارة عن قبو برميلى فى جداره الشمالى دخلة ذات عقد نصف دائرى كانت تحتوى على دورة مياه.

أما الجدار الشرقى لهذا الممر فبه مدخل عرضه (٩٠ر) متر يعلوه عقد فارسى مدبب يؤدى إلى خلوة مستطيلة الشكل طولها (٤٫٧٥) متر وعرضها (٣٫٤٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو برميلى فى جدارها الشرقى مزغلة، وفى مواجهة باب هذه الخلوة من الناحية الغربية كان يوجد سلم يصعد منه إلى رحبة مستطيلة كانت تتقدم كل خلوة من الخلوات الثمانية فى الدور الثانى.

وهى خلوات متشابهة كل منها ذات شكل مستطيل طولها (٣٫٧٥) متر وعرضها (٣٫٠) متر فى كل جداريها الشمالى والجنوبى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٢٫٢٠) متر وعمقها (٣٠ر) متر ترتفع عن أرضية الخلوة بمقدار (٣٥ر) متر، فى جدار كل منهما الشرقى من أسفل ثلاثة شبابيك مستطيلة متشابهة عرض كل منها (٧٠ر) متر وارتفاعه (٢٫١٠) متر يعلو كلا منها ثلاثة نوافذ مستطيلة الشكل أيضاً، وقد سبق وصف هذه الفتحات عند الحديث عن الواجهة الشرقية.

٥ – ترميمات الخانقاة :

لم تنل هذه الخانقاة من عناية لجنة حفظ الآثار العربية الحظ الذى كانت تستحقه وما أجرته فيها هذه اللجنة من سنة (١٨٨٨/٨٧م) إلى سنة (١٩٠٨م) لم يتعد الأعمال الترميمية الصغيرة التى يمكن أن نوجزها فيما يلى :

ففى سنة (١٨٨٨/٨٧م) ورد أن اللجنة كانت قد خصصت مبلغاً قدره (–ر٢٠)جنيه لأعمال ترميمية (لم تحدد) بمسجد أمير كبير الكائن بالصحراء،[٧٣١] ثم ورد فى نفس المجموعة أن ما صرف من هذا المبلغ المخصص فقط هو مبلغ (١٣٫٨٩٠)جنيه.[٧٣٢]

وفى سنة (١٨٩٠م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٧)جنيه على عملية الباب الحديد الذى عملته للضريح،(٧٣٣) ولو أن ما ورد بعد ذلك فى المجموعة التالية يوضح أنه لم يصرف من هذه الجنيهات السبعة إلا ستة جنيهات فقط.(٧٣٤)

وفى سنة (١٨٩٢م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٤٦٥)جنيه على أعمال ترميمية (لم تحدد) بجامع أمير كبير بالصحراء.(٧٣٥)

وفى سنة (١٨٩٣م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٢٦٥ر–)جنيه على عمل بهذا الأثر لم يحدده محضر اللجنة.(٧٣٦)

وفى سنة (١٨٩٤٤م) ورد أن اللجنة قامت بتنكيس الواجهة الشرقية للضريح وعملت سلماً حجرياً ولم يرد ذكر لما تكلفته هذه الأعمال.(٧٣٧)

وفى سنة (١٨٩٦م) ورد أن اللجنة كانت قد خصصت مبلغاً قدره (–ر٣٠٠)جنيه لأعمال ترميمية لزم إجراؤها فى جملة آثار بصحراء قايتباى منها ضريح أمير كبير.(٧٣٨)

وفى سنة (١٩٠٨م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٢٥)جنيه على أعمال تقوية بتربة أمير كبير.(٧٣٩)

وفى سنة (١٩٥٨/٥٧م) صرفت مصلحة الآثار مبلغاً قدره (–ر٢٤٠٠)جنيه جنيه على ترميمات معمارية شاملة بمسجد قرقماس أمير كبير.(٧٤٠)

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته لجنة حفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها على ترميمات هذه الخانقاة كان قد بلغ (–ر٢٩٩٠)جنيه صرفت منها مصلحة الآثار مبلغاً قدره (–ر٢٤٠٠)جنيه بينما لم تصرف لجنة حفظ الآثار العربية طوال واحد وعشرين عاما سوى مبلغ قدره (–ر٥٩٠)جنيه، وربما يفسر لنا ذلك سبب وصول هذا الأثر إلينا بالصورة الخربة التى حاولت هيئة الآثار بالتعاون مع بعثة الترميم البولندية إصلاحها فى المشروع الذ لازال جاريا حتى الآن ولم ينته بعد.

الحواشي والتعليقات

١ – المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ٤١٧.

٢ – دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى: ص ١٣٦.

٣ – السيوطى : حسن المحاضرة فى ملوك مصر والقاهرة : ج ٢ ص ١٧،

– لين بول : سيرة القاهرة : ص ٢٥٨،

– صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر : ص ٢٦،

– فتحى الحديدى : دراسات فى مدينة القاهرة : حى الجمالية : ص ٩٢.

٤ – السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص ١٤٧، ٢٧١،

– السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : جـ ٣ ص ١١،

٥ – على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة : جـ ٦ ص ص ٤، ٥١.

٦ – حسن عبد الواهاب : تاريخ المساجد الأثرية : جـ١ ص ١٩٣،

– سعاد ماهر : القاهرة القديمة ،أحياؤها : ص ٨٣،

–كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص ٤٤،

– إدارة حفظ الآثار العربية ورسالتها فى حفظ الآثار العربية : ص ١٨،

– المنظمة العربية للتربية والعلوم : المعالم الأثرية فى البلاد العربية : جـ٣ ص٥٧.

٧ – حسن عبد الواهاب : المرجع السابق : جـ١ ص١٩٣.

٨ – عبد الرحمن زكى : القاهرة – تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ: ص١٦٦،

– لين بول : المرجع السابق: ص٢٠٢.

٩ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص٢٢١، جـ٦ ص٢٠٨،

– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : جـ١ ص٣١٧،

– أحمد تيمور باشا: المهندسون فى العصر الإسلامى: ص ص: ٥١–٥٢،

– محمود أحمد: دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة: ص١٤٦،

– أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى (أصوله – فلسفته) : ص١٩٩،

– لين بول: المرجع السابق: ص٨٨،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٩٧،

– وزارة الأوقاف: مساجد مصر : جـ٢ ص٧٧،

– المنظمة العربية للتربية والعلوم : المرجع السابق: جـ٣ ص٥٦.

١٠– عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص١٦٧.

١١– ابن الجيعان: التحفة السنية: ص ٨٤.

١٢– نفس المصدر: ص١٤٢.

١٣– نفس المصدر: ص١٤٢.

١٤– نفس المصدر: ص١٤٥.

١٥– نفس المصدر: ١٥١.

١٦– نفس المصدر: ١٥٢.

١٧– نفس المصدر: ص١٥٣.

١٨– نفس المصدر: ص١٥٣.

١٩ – نفس المصدر: ١٥٥.

٢٠ – نفس المصدر: ص١٥٥.

٢١ – نفس المصدر: ص١٥٥.

٢٢ – نفس المصدر: ١٥٧.

٢٣ – نفس المصدر: ص١٨٥.

٢٤ – نفس المصدر: ص١٨٧ وراجع أيضاً:

– وثيقة رقم (٩/٥١) بتاريخ ٤ شعبان سنة (٧٨٨هـ) باسم السلطان ابو سعيد برقوق سجل حجج الأمراء والسلاطين بدار الوثائق القومية، وهى حجة فاقدة لجزء من أولها، بهامشها وظاهرها ثلاث حجج أخرى للواقف، وقد ورد فيها أن حد الخانقاة القبلى ينتهى إلى جدار المدرسة الناصرية والبحرى إلى ساقية المدرسة المذكورة والشرقى إلى الزقاق والغربى إلى حمام الحسنى بالقرب من دار السيفى بكتمر الجوكندا، وأن وظائف الخانقاة كانت تشتمل على شيخ حنفى المذهب وصوفية من المذاهب الأربعة بالإضافة إلى شيخ الحديث وطلبته وشيخ القراءات السبعة وطلبته وإمام الإيوان القبلى وإمام القبة ومؤذنون وخادم للصوفية وخادم للسجادة وخادم للربعات، وكاتب للغيبة وخازن للكتب وفراشون ومزملاتى وبواب وعشرة مقرئين ومادح وكحال وطباخ ومساعدين ومشرف وسواق وكلاف، وقد نصت الوثيقة على أن عدة هؤلاء الموظفين كانت مائة وسبعة وثمانون نفساً اشترط الواقف أن يكون طلبتهم من العزاب غير المتزوجين وأن يبيتوا بها ولا يسمح لهم بالمبيت خارجها إلا خمس ليال من كل شهر عدا الإمامين المذكورين فإنهما يسكنان بالخانقاة متزوجين كانا أو غير متزوجين.

٢٥– المقريزى: الخطط: جـ٢ ص٢٠.

٢٦– ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة: جـ١١ص ص ٢٢١–٢٢٢.

٢٧– نفس المصدر: جـ١٢ ص ص ١–٤.

٢٨ - السخاوى : المصدر السابق: جـ٣ ص ص ١٠-١٢ وانظر أيضاً:

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق : جـ١ ص١٩٢،

- المنظمة العربية : المرجع السابق: ج٣ ص٥٤.

٢٩ - القاضى مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ٢ص ص٩٤-٩٥.

٣٠ - ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة : ص ٤٨.

٣١ - الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: جـ١ ص٢٠.

٣٢ - على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٦ ص٤.

٣٣ - محمود أحمد: المرجع السابق: ص١٤٦ حاشية ١.

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص ٥.

٣٤ - ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ١١ ص٢٢١.

٣٥ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ص ص١٩٢-١٩٣.

- سعاد ماهر: القاهرة القديمة:ص٨٣.

- سعاد ماهر: مساجد مصر:جـ٢ص٧٧جـ٤ص٣٧.

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ص٥٤.

٣٦ - لين بول: المرجع السابق: ص١٩٩.

٣٧ - المقريزى : السلوك:جـ٣ ق ١ ص ص ٢٧٧، ٢٨٢، ٣٥٢-٣٥٣، ٤٠٥.

- خليل ضومط: الدولة المملوكية:ص ص:٢٨٢-٢٨٧.

٣٨ - المقريزى:السلوك: جـ٣ق٢ص٦١٥.

٣٩ – ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة:جـ١١ ص٢٨٥.

٤٠ – نفس المصدر:جـ١١ ص٢٧١.

٤١ – نفس المصدر: جـ١٢ ص٦.

– نفس امصدر: جـ١٢ ص٦

– خليل ضومط: المرجع السابق:ص ص٣١٩–٣٢٢.

– زامبور: معجم الأنساب: ص١٦٣.

٤٢ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٣ص ص ١٠–١٢.

٤٣ – ابن حجر: الدرر الكامنة:جـ٣ص١٠١ ترجمة رقم ٢٣٠.

٤٤ – نفس المصدر: جـ١ص ص ٣٠٧–٣٠٨ترجمة رقم ٧٨٣ وراجع أيضاً:

– السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٧.

٤٥ – ابن الصيرفى: إنباء الهصر: ص ص ٢٣٨–٢٣٩.

٤٦ – السخاوى: المصدر السابق: جـ ٤ص ص ٦٥–٧١ ترجمة رقم ٢٠٣.

٤٧ – نفس المصدر: جـ ٤ص١٩٢ ترجمة رقم ٤٨٧.

٤٨ – ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: جـ٧ص١٢١.

٤٩ – السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ص٢٧١.

٥٠ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٢٢.

٥١ – عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى: جـ١ ص١٦٥. وراجع أيضاً:

– السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص٢٧١ .

٥٢ – نفس المصدر: جـ٢ ص٢٧١ .

٥٣ – ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص١٨٨ حاشية ٣ .

٥٤ – ابن العماد: المصدر السابق: جـ٥ ص٣٠٧ .

٥٥ – السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص٢٧١ .

٥٦ – ابن الصيرفى: المصدر السابق: ص٤٨٥ .

٥٧ – السيوطى: المصدر السابق:جـ٢ ص٢٧١ .

٥٨ – نفس المصدر: ج٢ص ص١٤٧ ,٢٧١ .

٥٩ – نفس المصدر: جـ٢ ص٢٧١ .

٦٠ – السخاوى: المصدر السابق:جـ٤ ص ص١٦–١٧ ترجمة رقم ٦٦ .

٦١ – السيوطى المصدر السابق: جـ٢ ص٢٧١ .

٦٢ – ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ ص٩٩ .

٦٣ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٣ ص١٩٩ ترجمة رقم٧٥٦ .

٦٤ – نفس المصدر: جـ٢ ص٧٣ ترجمة رقم٢١٧ .

٦٥ – نفس المصدر: جـ٣ ص١٣٥ ترجمة رقم ٥٤٠ .

٦٦ – صالح لمعى: المرجع السابق: ص ص ٢٦ ,٤٤ ،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص١٠٠ .

٦٧ – وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص٧٨ ،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ص٥٧،
- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص١٩٤،
- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص٣٨.

٦٨ – سورة الجمعة: آية : ٤.

٦٩ – كثيراً ما كان يعطف لقب «سيدنا» على لقب مولانا، وقد استعمل هذا اللقب خلفاء الدولة الفاطمية، وغالباً ما كان يرد بصيغة «مولانا وسيدنا أمير المؤمنين» حيث ورد بهذه الصفة فى نقش باسم العزيز بمقام الخضر فى دير البلح ثم استعمل اللقب أيضاً فى عصر المماليك فأطلق على الظاهر بيبرس ثم شاع استعماله فى أواخر عهد هذه الدولة المملوكية فأصبح لقباً شعبياً يتخذه أئمة الدين

- راجع: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية: ص ص٣٤٧،٥٢١.

٧٠ – السلطان لغة من السلطة والسلاطة بمعنى القهر والاستعباد رغم أنه قد ورد كثير من الآيات القرآنية بمعنى الحجة والبرهان، وقد ورد اللفظ فى أوراق البردى العربية منذ القرن الأول الهجرى مضافاً إلى كثير من متعلقات السلطان فقبل «خراج السلطان» وبيت مال السلطان» إلا أنه قد استعمل لأول مرة فى عهد هارون الرشيد كلقب فخرى لخالدبن برمك، ويشير القلقشندى إلى أن هذا اللقب لم يصبح لقباً عاماً إلا بعد أن تلقب به ملوك الشرق من بنى بويه وغيرهم، ثم صار لقباً على المستقلين من الولاة يضرب على نقودهم تمييزاً لهم عن الولاة غير المستقلين، وفى العصر الفاطمى كان لقب السلطان يطلق على الوزراء أو أمراء الجيوش مثلما حدث بالنسبة لأسد الدين شيركوه وصلاح الدين حين منح كل منهما لقب سلطان الجيوش فى العهد إليهما بالوزارة عن الخليفة العاضد، واتخذ صلاح الدين هذا اللقب كلقب فخرى عن طريق الوراثة عن الفاطميين حتى منحه رسمياً سنة (٥٧٠هـ)، ثم ورث المماليك اللقب عن الأيوبيين ولاسيما بعد أن أتخذوا لأنفسهم ولاية إسمية عامة على سائر أنحاء العالم الإسلامى حين أحيا بيبرس الخلافة العباسية فى القاهرة فكان أول من أتخذ لنفسه لقب «سلطان الإسلام والمسلمين» ومن ثم صار

«السلطان» لقباً عاماً على الحاكم فى عصر المماليك، وكان إما أن تفتح به سلسلة القابه فيقال «السلطان السيد الأجل الملك الفلانى» وإما أن يذكر على صيغة النسبة فيقال «المقام الشريف العالى المولوى السلطان الملكى الفلانى» وكثيراً ما كان اللقب يلحق ببعض الصفات مثل «العالم السعيد والشهيد والأعظم والمعظم» ونحوها، كما دخل فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «سلطان الإسلام والمسلمين» «وسلطان الأرض» ونحوهما.

- راجع : القلقشندى: المصدر السابق: جـ٥ص٤٤٨، جـ٦ ص١٥ ،جـ١٠ص٨٠،

- الكرملى: النقود العربية وعلم النميات: ص١٢٢،

- حسن الباشا : المرجع السابق: ص ص٣٢٣- ٣٢٩.

٧١ - الحامى اسم الفاعل من الحامية وهى الدفاع عن الشئ، وقد دخل هذا اللقب فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «حامى حوزة الدين» و «حامى البلاد» و «حامى الثغور» ونحو ذلك، والحوزة لغة هى الناحية وبذلك يكون المقصود بحامى حوزة الدين هو المدافع عن الدين بنفسه، وقد أطلق هذا اللقب على الملك الأشرف شعبان فى كتابة بمدرسته تاريخها سنة (٧٧٠هـ) وكان هذا من الألقاب التى شاعت فى عصر المماليك الذين كان لهم شرف الدفاع عن الإسلام ضمن حملات الصليبيين ووحشية التتار.

- راجع: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٢٥٤-٢٥٦.

٧٢ - أطلق لقب «صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية» على الملك الأشرف شعبان فى كتابه ثانية بمدرسته تاريخها سنة (٧٧٠هـ)، ثم صار لقباً رسمياً لسلاطين المماليك من بعده ولاسيما بعد أن استطاع الظاهر بيبرس توحيد مصر والشام على أثر إنقسامهما عقب وفاة صلاح الدين، وقد شاع هذا اللقب عندهم حيث تلقب به الظاهر برقوق فى كتابة بمدرسته تاريخها (٧٨٨هـ) وغيره من السلاطين.

- راجع: حسن الباشا: المرجع السابق: ص٣٧٢.

٧٣ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص١٩٤،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ص ص٣٨-٣٩.

٧٤ - محمود أحمد: المرجع السابق: ص ص٧، ١٤٥،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص١٩٤،

- سعاد ماهر: القاهرة القديمة: ص٨٣،

- إدارة حفظ الآثار العربية: ص١٨،

- أبو صالح الألفى: المرجع السابق: ص١٩،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ص٥٧.

٧٥ - كمال سامح: المرجع السابق: ص٤٥.

٧٦ - نفس المرجع: ص٤٥،

- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٨٩م)ص٨٢.

٧٧ - سورة التوبة: الآيتان: ١٨-١٩.

٧٨ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٩٤،

- سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٤ص ص٣٩-٤٠.

٧٩ - المثاغر لغة هو القائم بسد الثغور القائمة على حدود الدولة لأنه كالباب على الحلق، ومع أن هذا اللقب لم يكن من الألقاب التى وردت بشأنها بعض آيات الذكر الحكيم كالجهاد ونحوه لأن مناوشات الثغور لم تكن معروفة على عهد النبى (ص) وصدر الإسلام، إلا أنه كان أحد النتائج التى تربت على إحياء النهضة السنية التى قادها السلاجقة ونماها الأتابكة ووصلت ذروتها على يد الأيوبيين فى ضرباتهم الناجحة ضد الصليبيين، ومن هنا تلقب سلاطين الأيوبيين بهذا اللقب وتبعهم فى ذلك المماليك، وكان اللقب يستخدم مجرداً

للسلاطين والملوك ومضافاً إلى ياء النسب لأكابر العسكريين.

- راجع: القلقشندى: صبح الأعشى : جـ٦ ص٢٦ ،

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص:٤٤٩-٤٥٠ .

٨٠ - المرابط اسم فاعل من الرباط الذى لازمه المرابطون على الثغور، وهو من الألقاب التى ظهرت على أثر النهضة السنية التى قادها السلاجقة وتعهدها الأتابكة من بعدهم ثم اشعل جذوتها الجهاد ضد الصليبين فى عصور الأتابكة والأيوبيين والمماليك، واستمدت هذه النهضة حيويتها مما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» وفى قوله «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»، ورغم أن مدلول هذا اللقب كان حربياً فى المقام الأول إلا أنه ورد فى العصور المتأخرة كمدلول صوفى أيضاً، لأن الثغور المشار إليها كانت مجمع عناصر مختلفة من أنحاء العالم الإسلامى ذهبوا هناك للدفاع عن هذه الثغور ضد أعداء الإسلام أولاً ثم كان خروجهم بعد انتفاء الصفة الحربية عن هذه الثغور ودخولهم إلى صفة الزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة فكان ذلك من ثم مدخلاً لواحدة من أهم صفات الصوفية، وبينما جاء هذا اللقب على صيغة «المرابط» مجرداً بالنسبة للسلاطين والملوك، فقد جاء مضافاً إلى ياء النسب «المرابطى» بالنسبة لأكابر العسكريين ولاسيما نواب السلطنة فى عصر المماليك.

- راجع : سورة الأنفال: آية ٦١ ،

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص: ٤٦٦-٤٦٧ .

٨١ - سورة المائدة: الآيتان: (٦-٧) وانظر أيضاً،

- محمود أحمد: المرجع السابق: ص١٤٩ ،

- سعاد ماهر: المرجع: جـ٢ ص٧٧ ، جـ٤ ص٤١ .

٨٢ - سورة البقرة: الآيتان: ٢٥٥-٢٥٦ .

٨٣ – سورة البقرة: آية ٢٨٥ وأنظر أيضاً:

٨٤ – سورة الحجر: الآيتان : ٤٦–٤٧.

٨٥ – حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص١٩٥.

٨٦ – رغم أن العالم كان لقباً من ألقاب العلماء أصلاً إلا أنه استخدم كلقب مشترك بين رجال الحرب والإدارة حيث تلقب به كثير من سلاطين المماليك الذين كانوا فى غالبيتهم من رجال السيف، وكان يردف فى هذه الحالة بلقبى «العامل» و «العادل» وجاء هذا اللقب فى عصر المماليك غالباً ضمن ألقاب السلاطين مجرداً من ياء النسبة، أما فى حالة غيرهم من رجال الدولة فكان يرد بصسغة النسبة فيقال «العالمى».

– راجع: القلقشندى : المصدر السابق: جـ٦ص ص ٩٦، ١١٨ وانظر أيضاً:

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص٣٩٠،

– محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص٣٤٨ حاشية ٢.

٨٧ – العادل لغة خلاف الجائر، وقد استخدم كلقب من ألقاب الملوك والسلاطين فكان من أعلى الصفات الممكنة لهم لأن «العدل أساس الملك» ومع ورود هذا اللقب كصفة عامة للسلاطين والملوك، إلا أنه أطلق أيضاً على بعض الوزراء ولاسيما فى العصر الفاطمى حيث لقب به المغربى وابن المدبر وغيرهما، وعرف اللقب فى عصر المماليك فأطلق على السلاطين مجرداً من ياء النسبة «العادل» ومضافاً اليها «العادلى» فى حالة أكابر العسكريين من النواب ونحوهم، يدل على ذلك وروده بهذه الصفة فى نقش على مشكاة زجاجية ضمن ألقاب قرقماس أمير كبير،

– راجع: Sauvaget, Combe et wiet: Repertoire: Tome II,P.145,

– القلقشندى : المصدر السابق: جـ٦ ص١٩ وانظر أيضاً:

- حسن الباشا : المرجع السابق: ص.

٨٨ – المؤيد اسم مفعول من «أيد» وهو من الألقاب التى تشير إلى أن الملقب به مؤيد من الله تعالى لتقواه، مثله فى ذلك مثل المنصور والموفق، وكلها من الألقاب الملكية الإسلامية، وقد استعمل اللقب مجرداً من ياء النسب بالنسبة للسلاطين والملوك ومضافاً إليها بالنسبة للأمراء والعسكريين، وكانت تضاف إليه أحياناً بعض كلمات لتكوين لقب مركب منه مثل «المؤيد بالله» والمؤيد من السماء» ونحو ذلك.

- أنظر : حسن الباشا: المرجع السابق : ص٥٢٣.

٨٩ – سورة الحجر: الآيات : ٤٦–٤٨.

٩٠ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص١٩٦،

- سعاد ماهر : القاهرة القديمة : ص٨٣،

- وزارة الأوقاف : المرجع السابق: جـ ٢ ص٧٨.

٩١ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٩٦ ،

- كمال سامح: المرجع السابق : ص ص ٤٤–٤٥ ،

- أبو صالح الألفى : المرجع السابق: ص١٩ ،

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص٧٧،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص٥٨،

- كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٨٩م) ص٨٣،

- سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٤ ص ص٤١–٤٢.

Van Berchem: C.I.A. xix, Fassc. 1v, P.666. – ٩٢

٩٣ – محمود أحمد: المرجع السابق: ص١٤٦.

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: ٢ص ٧٨.

٩٤ – سورة الجمعة: الآيتان (٩-١٠).

٩٥ – محمود أحمد: المرجع السابق:ص١٤٩،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص٤٥،

– سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٤ ص ص ٤٢-٤٣.

٩٦ – محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٤٩.

٩٧ – حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص١٩٦،

– سعاد ماهر : المرجع السابق: جـ٤ ص٤٣،

Van Berchem: Op. cit I, P303.

٩٨ – سورة الفرقان: آية ١٠.

٩٩ – الغازى اسم فاعل من «غزا» واسم مفعوله «مغازى» وهى حروب النبى (ص) ضد أعداء الإسلام، وهو من الألقاب السنية التى كانت – كالمرابط والمثاغر إحدى نتائج النهضة التى دعت إلى الرجوع إلى الإسلام وحمايته من هجمات الصليبيين والتتار، وكان هذا اللقب على عهد المماليك من القاب العسكريين واستخدم لأدنى طبقاتهم فى معظم الأحيان.

– أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤١١- ٤١٢.

١٠٠ – المغيث لغة اسم فاعل من «أغاث» وأصله «غوات» قلبت واوه ياء لإنكسار ما قبلها، واستعمل بصيغة النسبة «الغياثى» كلقب فخرى للعسكريين ولاسيما الملوك منهم وقد جاء هذا اللقب على مشكاة زجاجية تاريخها (٧٢٧هـ) باسم الأمير سيف الدين أرغون الناصرى نائب السلطنة، ثم أضيفت إليه بعض كلمات أخرى لتكوين لقب مركب منه مثل «غياث الأنام» و «غياث الدين» و «غياث الأمة» و «غياث الدولة» و «غياث الإسلام والمسلمين» و «غياث الحرمين» ونحوها.

- راجع : القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص٢١ وأنظر أيضاً:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص: ٤١٣ - ٤١٥.

١٠١ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص١٩٧،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ص ٤٣ -٤.

١٠٢ - حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٩٦.

١٠٣ - صالح لمعى: المرجع السابق: ص٣١.

١٠٤ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ١٠٠، ٢٤٠- ٢٤١، ٢٤٣-٢٤٤.

١٠٥ - كراسة لجنة حفظ الآثار العربية مجموعة ٦: عن سنة (١٨٨٩م) ص٨٤.

١٠٦ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ١٠٠,٢٤٠ -٢٤١، ٢٤٣-٢٤٤.

١٠٧ - مجموعة ٦ عن سنة (١٨٨٩م)ص ص: ٢٦، ٦٥، ٧٤، ٨٤-٨٦،

- راجع أيضاً: مجموعة (٥) عن سنة (٨٧-١٨٨٨م) ص ص٣٩، ٤١، ٤٦.

١٠٨ - مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م): ص ص ١٤، ١٨، ٤٣، ٤٩، ٧٥، ٧٦، ٨٥، ٩٧، ١٠١-١٠٣.

١٠٩ - مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ص٨، ١-١٥.

١١٠ - مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م): ص ص ١٠، ٢٥، ٢٨، ٣٩.

١١١ - مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ص ١٨، ٢٥، ٢٨، ٧٠.

١١٢ - مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م): ص ص ٥٤، ٥٨، ١١٧، ١٢٦.

١١٣ - مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ص ١٢٨، ١٦٠.

١١٤ – مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ص٧٩، ١٣٠.

١١٥ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ص : ٥٧، ٧٣.

١١٦ – مجموعة (٢٢) عن سنة (١٩٠٥م) ص ص: ١١٠-١١١، ١٢١.

١١٧ – مجموعة (٢٣) عن سنة (١٩٠٦م) ص ص ٤١، ٩٠، ١٠٥.

١١٨ – مجموعة (٢٤) عن سنة (١٩٠٧م) ص: ٣٩.

١١٩ – مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص١٢٥.

١٢٠ – إدارة حفظ الآثار العربية ورسالتها فى حفظ الآثار العربية: ص١٨.

١٢١ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ص ص ٤١٨ وما بعدها.

١٢٢ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٣ص١٠.

١٢٣– صالح لمعى: المرجع السابق: ص٢٦،

– فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة: ص٧.

١٢٤ – لين بول: المرجع السابق: ص٢٥٨.

١٢٥ – مجموعة (٧) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٩٠م) ص٧.

١٢٦ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ص٤١٨.

١٢٧ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص٦٥،

– السخاوى: الذيل على رفع الإصر: ص ٢٩٨،

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٩،

– ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٣ص٤٩ وانظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـص ص٧٧، ٧٩١.

١٢٩ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ص ص ٤١٨-٤١٩.

١٣٠ - السخاوى: المصدر السابق: جـ٦ص ص٣٠٧-٣٠٨.

١٣١ - أنظر أيضاً: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ص ٨١.

١٣٢ - رغم أن القاضى أصلاً اسم لوظيفة إلا أنه استخدم كلقب فخرى منذ أواخر عصر الدولة الفاطمية وحتى نهاية عصرى الأيوبيين والمماليك، وكان يطلق فى هذه الحالة على الكتاب والعلماء وموظفى الدولة من المدنيين سواء كانوا ممن يتصدرون لوظيفة القضاء أم لغيرها من الوظائف، وقد استخدمت النسبة منه ومن مصدره فقيل «القاضوى» و «القضائى» و «القضاميرى» وقد استخدم هذا اللقب الأخير فى تلقيب من اجتمعت له رئاسة السيف والقلم نسبة إلى القضاء والأمير جرياً على مذهب النسبة إلى المضاف إليه معاً كقولهم فى النسبة إلى عبد شمس « عبشمى» ونحو ذلك.

- راجع : القلقشندى: المصدر السابق: جـ٥ص٤٥١، جـ٦ص٢٣ وانظر أيضاً:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص٤٢٤.

١٣٣ - عرف لقب «سعد الدين» أول ما عرف عن أبى نصر احمد بن مروان فى نص إنشائى تاريخه سنة (٤٢٦هـ) على سور بديار بكر، ثم عرف هذا اللقب فى عصر المماليك ولاسيما بين الكتاب الأقباط واختص فى بعض الأحيان بمن تسمى منهم بعبد الرزاق.

- راجع: حسن الباشا: المرجع السابق: ص٣٢١.

١٣٤- اختص ناظر الجيوش بالتحدث فى أمر اقطاعات المملكة سواء كان فى مصر أم فى الشام والكتابة بشأنها وأخذ رأى السلطان ومشاورته فى أمرها وكان لناظر الجيش أتباع يساعدونه على تحمل أعباء هذه الوظيفة ولاسيما فى «صحابة ديوان الإنشاء» و «نقابة الجيوش» التى أختصت كما يقول القلقشندى بتحلية الجند فى عرضهم.

- راجع : القلقشندى: المصدر السابق: جـ٤ص ص ٢١-٢٢.

١٣٥- كاتب السر هو صاحب ديوان الإنشاء الذى كان بحكم عمله على علم بأسرار الدولة، وقد ظهرت هذه الوظيفة فى الدولة العباسية وفى الدولة التى تفرعت عنها مثل الدولة الطولونية فى مصر حيث اتخذ ابن طولون كاتباً من المقربين إليه سماه «كاتب السر»، واستمرت هذه الوظيفة على عهد الدولة الفاطمية فأطلقت تسميتها على أبى الفرج محمد بن جعفر المغربى سنة (٤٥٤هـ) على عهد المستنصر، فلما جاء الأيوبيون ظلت كتابة السر قائمة وكان لا يتولاها إلا أعاظم أهل الدولة، أما فى عصر المماليك فقد اختفت صيغة «كاتب السر» وحلت محلها صيغة «كاتب الدست» أو «كاتب الدرج»، واستمر الأمر على ذلك إلى أن ولى القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر ديوان الإنشاء على عهد المنصور قلاوون فأعاد الصيغة القديمة لهذه الوظيفة «كاتب السر» وتلقب بها، واستمرت هذه التسمية بعد ذلك على كل من ولى هذا الديوان إلى نهاية عصر المماليك رغم ما أحدثه العامة فى كلمة كاتب من إبدال لحرف الباء إلى ميم فقيل «كاتم السر» وهى تسمية كما يقول القلقشندى صحيحة المعنى لأن صاحبها يكتم سر الملك ويتكتم عليه.

- راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ١ ص١٠٤،

- حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية: جـ٢ص ص٩٢٢-٩٢٧.

١٣٦ - سورة التوبة: آية ١٨.

١٣٧ - سورة: آل عمران: آية ٣٧.

١٣٨ - مجموعة (٤) عن سنة (١٨٨٦م) ص ٣٣ت٢٩.

١٣٩ - مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص٧١.

١٤٠- مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م)ص١٠٠،

- مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م)ص٥.

١٤١- مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م)ص٩١.

١٤٢- أنظر: محمود أحمد : المرجع السابق: ص ص١٥٠-١٥١،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٢ص ص ٨٢ - ٨٣،

- المنظمة العربية : المرجع السابق: جـ٣ص٦١،

- ادارة حفظ الآثار العربية: ص ص ١٩- ٢٠،

- لين بول: المرجع السابق: ص٢٦.

١٤٣ - أنظر فى ذلك أيضاً: سعاد ماهر: القاهرة القديمة: ص ص٨٧-٨٨،

- فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص١٦٧.

١٤٤ - ورد فى فهرست وثائق القاهرة أن هناك حجة بدار الوثائق القومية بالقلعة تحت رقم (١١/٦٦) تاريخها ٧ محرم سنة (٨١٢هـ) باسم السلطان فرج بن السلطان برقوق، وكان يظن أنها تخص هذه الخانقاة ولكنه بالرجوع إليها اتضح أنها خاصة بالجامع الأبيض الذى أنشأه الناصر فرج بالحوش السلطانى بقلعة الجبل المحروسة، وهو الجامع الذى لم يعد له وجود ويغلب على الظن أن جزءاً من موقعه حالياً ضمن المسجد الذى أنشأه أحمد كتخدا العزب فى مواجهة الباب الشهير المعروف باسمه. راجع أيضاً محمد أمين : المرجع السابق: ص١٦.

١٤٥ - المقريزى : المصدر السابق: جـ٢ص٤١٤.

١٤٦ - السخاوى : الضوء اللامع : جـ٣ص ص ٢٤٥- ٢٤٦ وأنظر أيضاً:

- عبد اللطيف ابراهيم: دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية: ص ٢٦.

١٤٧ - عبد الرحمن ركى: المرجع السابق: ص١٦٩.

١٤٨ - راجع فى ذلك: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٢ ص ص١٦٨-١٦٩،

- ابن اياس: بدائع الزهور: جـ١ ص٣١٦.

١٤٩ – راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: ج٢ص ص١٦٨–١٦٩،

- السخاوى: المصدر السابق: جـ٦ ص١٦٨،

- ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ص١١٢.

١٥٠ – الحنبلى: المصدر السابق: جـ٢ص٩٥ وأنظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ص ص ٥٩–٦٠.

١٥١ – راجع فى ذلك: السخاوى: المصدر السابق: جـ٦ ص١٦٨،

- الحنبلى: المصدر السابق: جـ٢ص٩٥،

- ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ص٤٨–٤٩.

١٥٢ – راجع: ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ص١١٢.

١٥٣ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٦ ص ١٦٨.

١٥٤ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٢ ص ٣٢٩.

١٥٥ – المقريزى: السلوك: جـ٣ق ٣ص ص : ١٠١٣ –١٠١٦.

١٥٦ – راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٢ ص ص: ١٧١–١٧٢.

١٥٧ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ١ ص ص: ١١٤–١١٥.

١٥٩ – أنظر أيضاً: خليل ضومط: المرجع السابق: ص ص ٣٤٨– ٣٤٩،

- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٥٠،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ٥٨–٦١،

- زامبور: المرجع السابق: ص: ١٦٣.

١٦٠ - السخاوى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٢١ ترجمة رقم ٣٢٤.

١٦١ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص١٥٨-١٥٩ ترجمة رقم ٤١٣.

١٦٢ - نفس المصدر: جـ١ ص ٣٧.

١٦٣ - نفس المصدر: جـ٢ ص٢١٥ ترجمة رقم ٥٨٩ وتخص خادم شيخ الصوفية بالخانقاة السرياقوسية.

١٦٥ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ٢٥٥-٢٥٦.

١٦٦ - نفس المصدر: جـ٥ ص ١٢٨.

١٦٧ - نفس المصدر: جـ٢ ص٥٤.

١٦٨ - نفس المصدر: جـ٣ ص ص ١٣١-١٣٢.

١٦٩ - نفس المصدر: جـ١ ص ص ٣٨٧-٣٨٠.

١٧٠ - نفس المصدر: جـ٢ ص ص ١٥٣-١٥٤ ترجمة رقم ٤٣٥.

١٧١ - نفس المصدر : جـ ٦ ص ص ١٠٩-١١٠ ترجمة رقم ٣٤٤.

١٧٢ - نفس المصدر: جـ١ ص ص ٢٢٧-٢٣١.

١٧٣ - نفس المصدر: جـ٥ ص ص ١٨١-١٨٢ ترجمة رقم ٦٢٥.

١٧٤ - نفس المصدر: جـ٦ ص ص ٨٥-٩٠ ترجمة رقم ٢٨٥.

١٧٥ - نفس المصدر: جـ١ ص٢١٠.

١٧٦ - نفس المصدر: جـ٦ ص ص٨١-٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨.

١٧٧ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١٢٦- ١٢٧ ترجمة رقم ٣٣٥.

١٧٨ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ترجمة رقم ٧٨٣.

١٧٩ - نفس المصدر: جـ٢ ص ص ١١٤ - ١١٥ ترجمة رقم ٣٤٣.

١٨٠ - نفس المصدر: جـ٢ ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤٤٣.

١٨١ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١٢٦-١٢٧ ترجمة رقم ٣٣٥.

١٨٢ - نفس المصدر: جـ٢ ص ص ١١٤ - ١١٥ ترجمة رقم ٣٤٣.

١٨٣ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٢٨٣ ترجمة رقم ٧٥٠.

١٨٤ - راجع أيضاً محمود أحمد : المرجع السابق : ص ص : ١٥٠ - ١٥١،

- سعاد ماهر: المرجع السابق : جـ ٤ ص ص ٦٢ - ٦٣،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٦٥،
- إرنست كونل: الفن الإسلامى: ص ١٠٧،
- كمال سامح: الرجع السابق: ص ٤٦،
- المنظمة العربية : المرجع السابق: جـ٣ ص ٦١،
- ثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية: ص ٢٠٠،
- زكى حسن: فنون الإسلام: ص ٧٧.

١٨٥ - راجع أيضاً : محمود أحمد : المرجع السابق: ص ص ١٥١ - ١٥٢،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص ٦٢،
- زكى حسن: المرجع السابق: ص ٧٧،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٥.

١٨٦ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر : المرجع السابق: جـ٤ ص ص ٦٢ – ٦٣،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٦٨،

– محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٥١،

– المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص ٦٢.

١٨٧ – لقد سبقت الإشارة إلى تعريف لقب السلطان، أما الأعظم فهو أفعل التفضيل من العظمة ومعناها الكبرياء، وقد استخدم هذا اللقب للإمام والسلطان ومن فى مستواهما فيقال «الإمام الأعظم» كما ورد فى حالة السلطان قايتباى وغيره، وكان ورود هذا اللقب متفرعاً على السلطان يعنى سعة النفوذ وادعاء السيطرة على كافة ملوك الإسلام، وقد ورد بهذه الصيغة على إناء زجاجى تاريخه (٧٧٠هـ) باسم «المقام الشريف الأعظم المولوى السلطانى الملكى الأشرفى ناصر الدنيا والدين شعبان».

– أنظر : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ص: ١٦٢ – ١٦٣.

١٨٨ – قارن : سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص٦٤ حيث ورد هذا النص بأخطاء كثيرة فى القراءة وإسقاط لكثير من الكلمات.

١٨٩ – كان لقب «سلطان الإسلام والمسلمين» هو أعلى الألقاب المضافة إلى كلمتى «الإسلام والمسلمين» وقد أتى فى اصطلاح كتاب المماليك فى أول الألقاب المركبة بعد اللقب المضاف إلى الدين شأنه فى ذلك شأن غيره من الألقاب المضافة إلى الإسلام والمسلمين.

– أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق: ص٣٣٣.

١٩٠ – المحيى لغة اسم الفاعل من أحيا ومعناه الباعث والمعيد، وكانت تضاف إلى هذا اللقب فى عصر المماليك بعض الكلمات الأخرى لتكوين ألقاب مركبة منه مثل «محيى السنة» و

«محيى الدين» وغيرهما، وهما من القاب العلماء والصلحاء أما «محيى العدل فى العالمين» فقد كان لقباً سلطانياً لملوك هذا العصر الذين أرادوا أن يضفوا على أنفسهم صفة احترام العدل، وقد أطلق مثلاً على الملك الأشرف شعبان فى نقش تاريخه سنة (٧٧٠هـ) جاء على جدران مدرسته.

- راجع: Van Berchem (M.) : oP. cit. I, NO, 178,

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

١٩١- الكهف لغة هو الملجأ والملاذ والأصل فيه البيت المنقور فى الجبل ليحمى إنسان العصر الأول من أخطار الطبيعة، وقد استخدم هذا اللقب للدلالة على أن صاحبه هو الملجأ والملاذ للفقراء والمساكين، وقد أضيفت إليه بعض الكلمات الأخرى لتكوين ألقاب مركبة منه مثل «كهف الأسرة الزاهرة» وكان من ألقاب الشرفاء و«كهف الكتاب» وكان من ألقاب أكابر الكتاب كالوزير وكاتب السر و «كهف الملة» وكان من ألقاب أكابر العسكريين كنواب السلطانة، أما «كهف الفقراء والمساكين» فقد أطلق على أبى الفوارس أيبك السلطانى فى نص إنشاء تاريخه سنة (٦٠٧هـ) فى المسجد الجامع فى بلوال، ويمكن اعتبار هذا اللقب أحد روافد الحركة السنية المشار إليها.

- راجع : القلقشندى : المصدر السابق: جـ٦ ص ص٦٦ - ٦٧،

Sauvaget, Combe et Wiiet Op. cit, x, No3678.

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٤٠ - ٤٤١.

١٩٢ - الشهيد لغة هو الشاهد انطلاقاً من قوله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» والشهيد معنى هو من قتل فى سبيل الله أو من قتل فى سبيل قضية مشروعة، وقد ورد أن الأمير أحمد ابن اسماعيل السامانى صاحب خراسان كان قد قتل سنة (٣٠١هـ) على يد جماعة من غلمانه فلقب بالشهيد، وفى عصر المماليك أطلق اللقب أيضاً على الظاهر برقوق فى كثير مما سجله ابنه الناصر

فرج على سكنه وعلى جدران خانقاته وفى شاهد قبره.

- راجع : سورة : البقرة: آية ١٣ ،

- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ٨ ص ٢٥ وأنظر أيضاً:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

١٩٣ - السيد لغة هو المالك والزعيم وقد أطلق فى البداية على الأجلاء من الرجال ولاسيما أبناء على بن أبى طالب (ر) وكثيراً ما كان يلحق فى هذه الحالة بالشريف فيقال «السيد الشريف» وربما جاء من هنا إطلاقه على رؤساء القرامطة الذين كانوا يدعون الإنتساب إلى على رضى الله عنه، ثم صار السيد بعد ذلك لقباً عاماً على أصحاب السلطان الفعلى فى مصر منذ العصر الفاطمى وحتى نهاية عصر المماليك، فأطلق «السيد الأجل» على أمراء الجيوش الفاطمية، ثم أطلق نفس اللقب على صلاح الدين ومن خلفه من ملوك الأسرة الأيوبية، ثم ورثه سلاطين المماليك حتى حظروا استخدامه فى المكاتبات السلطانية، وقد دخل هذا اللقب فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «سيد الأمراء» و «سيد الكبراء» لأرباب الأقلام، و «سيد العلماء والحكام» للقضاة و «سيد الرؤساء» للوزراء ومنه أيضاً «سيد الملوك والسلاطين» وقد أطلق على الأشرف شعبان فى نص بمدرسته تاريخه سنة (٧٧٠هـ) كما أطلق على غيره من سلاطين هذا العصر.

-Van Berchem (M.): Op.cit I, No178.

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص: ٣٤٥ - ٣٥٠.

١٩٤- راجع أيضـــاً: Van Berchem : corpus Inscriptiunum A rabicrum,Tome : xix, Fasc: 111, P. 316, text, 205 - 206.

١٩٥- أنظر أيضاً: صالح لمعى: المرجع السابق: ص٣٤،

- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٦.

١٩٦- أنظر أيضاً: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص١٧٢،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ص٦٤.

١٩٧- أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص١٥٢،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص٦٢.

١٩٨- المقام لغة هو اسم لموضع القيام انطلاقاً من قوله تعالى «فيه آيات بينات مقام إبراهيم» وقد استخدم فى المراسلات كناية عن صاحب المكان تعظيماً له عن التفوه باسمه، وقد صار هذا اللقب هو أرفع الألقاب الأصول فى عصر المماليك، فظل يستخدم للسلطان أو من فى منزلته حتى أواخر هذا العصر، حيث ورد أنه أطلق على الظاهر بيبرس سنة (٦٥٩هـ) فى عهد الخلافة إليه بالسلطنة، وقد رتب ابن فضل الله العمرى هذا اللقب ترتيباً تنازلياً إلى «المقام الشريف» ثم «المقام الكريم» ثم «المقام العالى» وغالب الظن أن المقام العالى ظل من اختصاص السلطان منذ أوائل العصر الأيوبى حتى أوائل عصر المماليك ثم استعمل لقب «المقام» و «المقام العالى» لولاة العهد من أبناء السلاطين، وهنا مال الكتاب إلى إطلاق لقب «المقام الشريف» على السلطان وتركوا «المقام العالى» لأبنائه، ومن هنا وضع ابن فضل الله العمرى «المقام الشريف» على رأس الألقاب الأصول كما سلف وأخذ عنه ذلك القلقشندى.

- راجع: سورة آل عمران : آية: ٩٦،

- ابن العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف: ص ص ١٧ ,٨٧،

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ٩٨ وأنظر أيضاً:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٨٢ - ٤٨٧.

١٩٩- الشريف فعيل من الشرف ومعناه العلو والرفعة والسمو، وقد أصطلح على منح هذا اللقب لمن له آباء يتقدمونه بالشرف، ولذلك أورده بعض كتاب الدساتير قبل «الكريم» لاشتماله

على عراقة الأصل وشرف المحتد، ومن هنا صار لقباً عاماً على كل عباسى فى بغداد وكل علوى فى مصر، وقد اصطلح الكتاب فى عصر المماليك على أن يرد لقب «الشريف» فى سلسلة الألقاب الأصول المفتتحة بالمقام والمقر والجناب فيقال «عهد شريف» و «تقليد شريف» و«توقيع شريف» و «مرسوم شريف» على حين وصف ما يتعلق بمكاتبات النواب بلقب «الكريم».

- راجع : القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ١٧،
- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٣٥٧ – ٣٥٩.

٢٠٠ – سورة الأحزاب: آية ٥٦.

٢٠١ – سورة: الكهف: الآيتان: ١٠٩ – ١١٠.

٢٠٢ – سورة: االأحزاب: آية ٥٦.

٢٠٣ – سورة: البقرة: آية ١٤٤.

٢٠٤ – سورة: الدخان: الآيات ٥ – ٥٩.

٢٠٥ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix, Fasc. 111, P. 318, text 207

٢٠٦ – سورة: الرحمن: الآيتان ٢٦ – ٢٧.

٢٠٧ – سورة: البقرة: آية ٢٥٥.

٢٠٨ – نفس السورة والآية.

٢٠٩ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix, Fasc. 111, P. 24, text 218

٢١٠ – سورة: الرحمن: الآيات ١ – ٦.

٢١١ – سورة: الرحمن: الآيات ٦٧ – ٧٣.

٢١٢ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix, Fasc. 111, P. 320, text 412

٢١٣ – راجع أيضاً: ibid: Tome, xix, Fasc , P. 323, text 216.

٢١٤ – سورة الرحمن: الآيتان: ٢٦ – ٢٧.

٢١٥ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix. 111, P. 323, text 216

٢١٦ – سورة: البقرة: آية ٢٥٥.

٢١٧ – سورة: لقمان: آية ٣٤.

٢١٨ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix, Fasc. 111, P. 324, text 219

٢١٩ – أنظر أيضاً: المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص٦٢.

٢٢٠ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix, Fasc. 111, P. 319, text 209

٢٢١ – أنظر أيضاً: المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص٦٢،

– محمود أحمد: المرجع السابق: ص١٥٢.

٢٢٢ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: نفس المرجع: ص١٥١،

– المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص٦١،

– ثروت عكاشة: المرجع السابق: ص٢٠٠.

٢٢٣ – سورة: الجمعة: الآيتان: ٩ – ١٠.

٢٢٤ – سورة: آل عمران: آية ١٨.

٢٢٥ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص١٥١.

٢٢٦ – سورة : البقرة: الآيتان: ٢٥٥ – ٢٥٦.

٢٢٧ – سورة: البقرة: الآيتان: ٢٥٧ – ٢٥٨.

٢٢٨ – راجع أيضاً: Van Berchem: op. cit. xix, Fasc. 111, P.668, text 484

٢٢٩ – أنظر أيضاً: صالح لمعى: المرجع السابق: ص ص ٦٥ – ٦٦.

٢٣٠ – راجع: محموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م)ص١٣.

٢٣١ – مجموعة (٣) عن سنة (١٨٨٥م) ص١٣.

٢٣٢ – مجموعة (٤) عن سنة (١٨٨٦م)ص٢٨.

٢٣٣ – مجموعة (٥) عن سنة (٨٧ – ١٨٨٨م) ص ٧.

٢٣٤– مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص ١١٢.

٢٣٥– نفس المجموعة: ص ١١٦.

٢٣٦– مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٣٦.

٢٣٧– نفس المجموعة: ص ٩١.

٢٣٨ – مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ص ٢٧ – ٧٢.

٢٣٩ – نفس المجموعة: ص ٨٠.

٢٤٠ – نفس المجموعة: ص ٩٢.

٢٤١ – مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩م) ص ٥٠.

٢٤٢ – مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٦.

٢٤٣ – نفس المجموعة: ص ٢٥.

٢٤٤ – مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ٩.

٢٤٥ – نفس المجموعة: ص ١٣٧.

٢٤٦ – مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص٥٧.

٢٤٧ – مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ٤٣.

٢٤٨ – نفس المجموعة: ص ص ١٠٤,١٢١.

٢٤٩ – مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ١٤، ٧٣.

٢٥٠ – نفس المجموعة: ص٨٧.

٢٥١ – نفس المجموعة: ص ١١٣ وأنظر أيضاً:

– مجموعة (١٧) عن سنة (١٠٠م) ص ص ١٧، ٣١.

٢٥٢ – مجموعة (١٧) عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٠٢.

٢٥٣ – مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥٨.

٢٥٤ – نفس المجموعة: ص ١١٠.

٢٥٥ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٤٣.

٢٥٦ – مجموعة (٢٣) عن سنة (١٩٠٦م) ص ٧٥.

٢٥٧ – مجموعة ٢٥ عن سنة (١٩٠٨م) ص ١٣.

٢٥٨ – راجع : على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٧٦، ١٥٩.

٢٥٩ – عبد الرحمن زكي: المرجع السابق: ص ١٦٧ ، ولهذه الخانقاة وثيقة لازالت محفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٠٢١) ومؤرخة بسنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) طولها (٢٠ر٢٥) متر وتتكون من (٩٣) درج عرض كل منها (٣٣ر) متر وطوله بين (٤٦ر)، (٦٠ر) متر ولكل منها هامش أيمن عرضه (٠٩ر) متر ويشتمل كل درج فى المتوسط حوالى (١٩) سطر متوسط عدد كلمات كل منها (١٨) كلمة وقد كتب النص بظاهر الوثيقة وباطنها وأرخ بسنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م).

٢٦٠ – راجع : ليلى الشافعى: مدرسة الأمير جوهر اللالا: ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة سنة (١٩٧٧م)ص ص ٢٠٠ – ٢٠١.

٢٦١ – راجع: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٥.

٢٦٢ – نفس المصدر: جـ٤ ص ص ٧٦ ، ١٦٠.

٢٦٣ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٢٢.

٢٦٤ – نفس المصدر: ص ٤١.

٢٦٥ – نفس المصدر: ص ٨٥.

٢٦٦ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٣ ص ٨٤.

٢٦٧ – نفس المصدر: جـ٣ ص ٨٤.

٢٦٨ – نفس المصدر: جـ٣ ص ٨٤.

٢٦٩ – نفس المصدر: جـ٣ ص ٨٤،

– ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٥ ص ٤٦٥،

– المقريزى: السلوك: جـ٤ ق ص ٢٤٨،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ص ١١٨ - ١٢٥ ،
- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٧٦، ١٦٠ ،
- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٠ حاشية ١ ،
- حسن عبد الوهاب: جامع السلطان حسن وما حوله من الآثار: ص ٥٣ ،
- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٧ .

٢٧٠ - السخاوى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص ١٧٤ - ١٧٨ .

٢٧١ - راجع حجة رقم (١٠٢١) أرشيف وزارة الأوقاف، وأنظر أيضاً:

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٧٦، ١٥٩ ،
- ليلى الشافعى: المرجع السابق: ص ٨٠.

٢٧٢ - راجع: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٧٦، ١٦٠ ،

- ليلى الشافعى: المرجع السابق: ص ٨٠.

٢٧٣ - أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٠ ،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ص٥٣ ،
- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ١٢١ ،
- مجموعة (٩) من كراسات اللجنة عن سنة (١٨٩٢م): ص٥٢ ،
- عاصم رزق: مسجد القاضى أبو بكر مزهر بالقاهرة: ماجستير كلية الأداب جامعة القاهرة (١٩٧١م) ص ص: ٩٢ - ٩٣ .

٢٧٤ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ١٢١.

٢٧٥ – سورة: التوبة: آية ١٨.

٢٧٦ – سورة: الزخرف: الآيات: ٦٧ – ٧١.

٢٧٧ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ١٢٣.

٢٧٨ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٠.

٢٧٩ – سورة: الإنسان: الآيات: ١ – ٣.

٢٨٠ – سورة: الإنسان: الآيات: ٥ – ٩.

٢٨١ – سورة: النور: الآيات: ٣٦ – ٣٨.

٢٨٢ – نفس السورة والآيات.

٢٨٣ – سورة: الأحزاب: آية: ٥٦.

٢٨٤ – سورة: الإسراء: الآيات: ٧٨ – ٨١.

٢٨٥ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ١٢٤.

٢٨٦ – نفس المرجع: جـ٤ ص ١٢٥.

٢٨٧ – مجموعة (٦) من كراسات اللجنة عن سنة (١٨٨٩م) ص ١١٧.

٢٨٨ – مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ص ٢٦، ٥٥،

– مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٨٥،

– مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ص ٥٨، ١٢٦،

- مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٢٦.

٢٨٩ - مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م)ص ٧٥.

٢٩٠ - نفس المجموعة: ص٧٧.

٢٩١ - مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ٨٦،

- مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٦٠.

٢٩٢ - نفس المجموعة: ص١٤٧.

٢٩٣ - نفس المجموعة: ص ٤٩.

٢٩٤ - مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ص ٥٩، ٨٣،

- مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ٤٩.

٢٩٥ - نفس المجموعة: ص ص ٢٨ - ٢٩.

٢٩٦ - نفس المجموعة: ص ٩٩.

٢٩٧ - مجموعة (١٨) عن سنة (١٩٠١م) ص ١٣٦.

٢٩٨ - مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ١٤٥.

٢٩٩ - مجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ٣٦،

- مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ١٢٥.

٣٠٠ - أنظر أيضاً: كمال سامح: المرجع السابق: ص٤٦،

- لين بول: المرجع السابق: ص ٢٥٩،

- صالح لمعى: المرجع السابق: ص ص ٢٦ – ٢٧.

٣٠١ – أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية: جـ١ ص ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

٣٠٢ – راجع: السخاوى: المصدر السابق: جـ٥ ص ص ٦١ – ٦٣.

٣٠٣ – أنظر أيضاً: عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق: ص ٣٠،

- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨.

٣٠٤ – هذه الوثيقة مؤرخة فى ١٦ جمادى الآخرة سنة (٨٢٧هـ) ومحفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (٨٨٠) مسلسل (٣٥٣) وصادرة من محكمة مصر فى ٢ صفر سنة (١٠٣٠هـ).

- راجع أيضاً: محمد أمين: المرجع السابق: ص ٩٦.

٣٠٥ – راجع: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٢٠.

٣٠٦ – راجع: ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ١٣٩.

٣٠٧ – نفس المصدر: ص ١٤٠.

٣٠٨ – نفس المصدر: ص ٩٧.

٣٠٩ – نفس المصدر: ص ص : ١٣ – ١٤.

٣١٠ – نفس المصدر: ص ١٨٥

- راجع أيضاً: ياقوت الحموى: معجم البلدان: جـ ٢ ص ص ١٢٥ – ١٢٦.

٣١١ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٧.

٣١٢ – نفس المصدر: ص ٩٦.

٣١٣ – نفس المصدر: ص ٨٣.

٣١٤ – نفس المصدر: ص ٦٦ وراجع أيضاً:

– ياقوت: المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٠١.

٣١٥ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٤٢.

٣١٦ – نفس المصدر: ص ٦١.

٣١٧ – نفس المصدر: ص ١٩٤.

٣١٨ – نفس المصدر: ص ١٥٦.

٣١٩ – نفس المصدر: ص ١٧٩.

٣٢٠ – نفس المصدر: ص ١٠٦.

٣٢١ – نفس المصدر: ص ١٥١.

٣٢٢ – نفس المصدر: ص ١٧٣.

٣٢٣ – نفس المصدر: ص ١١.

٣٢٤ – راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ١٣ ص ٢٤٢،

– ابن اياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ٨١.

٣٢٥ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٣ ص ٨.

٣٢٦ – ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ ص ٢٣٨.

٣٢٧ – راجع: ابن اياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ٨٢،

- ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٤ ص ٢٤٢،

- المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٢٤.

٣٢٨ - ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ٥٠ وأنظر أيضاً:

- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٥٩ حاشية ١.

٣٢٩ - ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١٤ ص ٢٢.

٣٣٠ - ابن اياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ٨٢.

٣٣١ - راجع: السخاوى: المصدر السابق: جـ٣ ص ٨،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ١٢٠ وأنظر أيضاً:

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٢١.

٣٣٢ - السخاوى: المصدر السابق: جـ٣ ص ٩،

- ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ ص ٢٣٨.

٣٣٣ - الحنبلى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٩٦.

٣٣٤ - ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ١٣.

٣٣٥ - ابن اياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٧.

٣٣٦ - أحمد دراج: المماليك والفرنج: ص ٣١.

٣٣٧ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٥٩ - ٦١.

٣٣٨ - نفس المصدر: جـ١ ص ١٧٨.

٣٣٩ – ابن اياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٠٥.

٣٤٠ – نفس المصدر: جـ٢ ص ١٣٤.

٣٤١ – ابن تغرى بردى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: جـ١ ص ص ٨٦ – ٨٧.

٣٤٢ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٧ ص ٥٤١.

٣٤٣ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٧١.

٣٤٤ – نفس المصدر: جـ٣ ص ص ٨٨ – ٨٩ ترجمة رقم ٣٥٢.

٣٤٥ – نفس المصدر: جـ ٤ ص ١٧٠ ترجمة رقم ٤٤٩.

٣٤٦ – نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢٣٣ ترجمة رقم ٨٧٦ وراجع أيضاً:

– ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ ص ٢٢٨.

٣٤٧ – الكنوى: الفوائد البهية فى تراجم الحنفية: ص ٣.

٣٤٨ – ابن العماد: المصدر السابق: جـ٧ ص ٦٩.

٣٤٩ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٣٢١ – ٣٢٢.

٣٥٠ – نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١٦ – ١٧ ترجمة رقم ٦٦.

٣٥١ – نفس المصدر: جـ١ ص ص ٢٠٥ – ٢٠٧.

٣٥٢ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ١١٠٩ ترجمة رقم ٢٩.

٣٥٣ – نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١٣٦ – ١٣٧ ترجمة رقم ٣٥٧.

٣٥٤ – نفس المصدر: جـ١ ص ص ٢٣٧ – ١٢٣٩

٣٥٥ - نفس المصدر: جـ٣ ص ١٤٨ ترجمة رقم ٥٥٩.

٣٥٦ - نفس المصدر: جـ٣ ص ص ١٧٩ ١٨٠ ترجمة رقم ٦٩٨.

٣٥٧ - نفس المصدر: جـ١ ص ص ١٦١ - ١٦٣.

٣٥٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ص ١١٤ - ١١٥ ترجمة رقم ٣٣.

٣٥٩ - نفس المصدر: جـ٥ ص ٩٧ ترجمة رقم ٣٦٤.

٣٦٠ - ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ١١٨.

٣٦١ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٤.

٣٦٢ - نفس المصدر: جـ ١ ص ٢٧١.

٣٦٣ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٢٥٧ ترجمة رقم ٧٣٦.

٣٦٤ - نفس المصدر: جـ ٥ ص ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ترجمة رقم ٩٤٤.

٣٦٥ - نفس المصدر: جـ ٤ ص ص ٢٤ - ٢٨ ترجمة رقم ٨١.

٣٦٦ - نفس المصدر: جـ ٤ ص ١٩٥ ترجمة رقم ٤٩٧.

٣٦٧ - نفس المصدر: جـ ٢ ص ٢٦٤ ترجمة رقم ٧٩٥.

٣٦٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ١٤٩ ترجمة رقم ٤١٧.

٣٦٩ - نفس المصد: جـ٥ ص ص ١٦١ - ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧.

٣٧٠ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ٧٨ - ٧٩ ترجمة رقم ٢٢٧.

٣٧١ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٤ ص ص ١٢١ - ١٢٢.

٣٧٢ - أنظر أيضاً: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ١٨٦ - ١٩٣ ،

- سعد زغلول عبد الحميد: العمارة والفنون فى دولة الإسلام: ص ٤٨٠.

٣٧٣ - سورة التوبة: آية ١٨.

٣٧٤ - أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٢٦.

٣٧٥ - المظهر لغة هو الموضح والمبين، وكان من الألقاب التى وردت دائماً مضافة إلى بعض الكلمات الأخرى لتكوين لقب مركب منه مثل «مظهر الحق بالبراهين» و «مظهر كلمة الله العليا» ، ونحوهما، وقد أطلق لقب «مظهر الحق بالبراهين» على السلطان الأشرف شعبان فى نص بمدرسته تاريخه سنة (٧٧٠هـ) وهو لقب يشير إلى احترام سلاطين المماليك للعدل ويصور فى الوقت نفسه تغليبهم للجانب العقلى على الجانب العاطفى الذى استحوذ على الأيوبيين فى بداية عصرهم.

- راجع: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٧٤ - ٤٧٥.

٣٧٦ - لقد سبقت الإشارة إلى لقب السلطان عند الحديث عن ألقاب الظاهر برقوق، أما «سلطان الأرض» التى وردت ضمن ألقاب الأشرف برسباى، فقد بدأت على ما يبدو بلقب «سلطان أرض الله» الذى كان قد أطلق على السلطان ملك شاه فى نص إنشاء بقلعة حلب تاريخه سنة (٨٠هـ) ، وهو لقب يرمز إلى أن الملقب به كان له الحق فى السيادة على جميع العالم انطلاقاً من القاعدة القائلة أن الملقب به مفوضاً من خليفة الله فى أرضه، وأن الأرض أرض الله وعلى ذلك يعتبر من حقه السيادة على كل هذه الأرض.

- راجع: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٣١.

٣٧٧ - بدأ استعمال لقب الصاحب كنعت خاص حين أطلق على الوزير اسماعيل بن عباد وزير بنى بويه بأصفهان ويقال أنه وصف بهذا اللقب لأنه كان يصحب ابن العميد دائماً فلقب «بالصاحب» ثم صار لقباً على كل من ولى الوزارة بعده، وانتقل اللقب إلى الأيوبين حين أطلق على صفى الدين عبد الله بن شكر الذى وزر للعادل والكامل وأصبح من بعده لقباً

عاماً على كل من وزر فى عصرى الأيوبيين والمماليك، وقد اصطلح كتاب هذا العصر على إيراد هذا اللقب قبل لقب التعريف على اعتبار أنه من الألقاب الدالة على الوظيفة دلالة خاصة وقد أضيفت إلى لقب «الصاحب» كثير من أسماء المماليك والبلاد والقلاع للدلالة على الملكية مثل «صاحب الأعمال الفراتية» و«صاحب الأقطار الحجازية والبلاد الشامية» ونحوهما، أما صاحب السيف والقلم فقد أطلق قبلاً على السلطان قايتباى فى نقش على إناء نحاسى فى مجموعة شفر، وهو يشير إلى السيطرة على العسكريين والمدنيين فى دولته كما يشير إلى تمكنه من شئون الحرب والإدارة خاصة وأن رجال الدولة كانوا ينقسمون دائماً إلى عسكريين ومدنيين وبذلك يكون معنى اللقب هو تمكن السلطان من إدارة الدولة على الوجه الأكمل.

- راجع: المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢٣،

Van Berchem: op.cit.1,No.251

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٣٦٧ -٣٧٦.

٣٧٨- المناقب لغة جمع منقبة وهى الخصلة الحميدة وضدها المثلبة وهى الخصلة الذميمة وقد أطلق لقب صاحب «المناقب العلوية» على السلطان الأشرف برسباى فى كتابات مدرسته وخانقاته التى يرجع تاريخها إلى سنة (٨٣٥هـ).

- راجع: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٧٦.

٣٧٩ - الملك لغة هو الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية وهو لقب معروف فى اللغات السامية، وقد ورد ذكره فى النقوش العربية القديمة ولاسيما نقش صرواح الذى تركه ملك سبأ المدعو «كرب ال وتر» ولم يعرف هذا اللقب فى الصدر الأول من الحكم الإسلامى، اذ اقتصر تلقيب الوالى الأعلى حينذاك بالخليفة وبأمير المؤمنين، ولكن حين أخذ بعض الولاة يستقلون عن مركز الخلافة فى العصر العباسى ويستبدون بالسلطة ظهر لقب «الملك» الذى حمل فى طياته معنى السيادة العليا على الأقليم، وكان من أبرز الألقاب المضافة إلى الملك

لقب «ملك البرين والبحرين» وقد أطلق على الصالح نجم الدين أيوب فى نص تاريخه سنة (٦٤٧هـ) بقلعة بصرى، وعلى المنصور قلاوون فى نص بمدرسته تاريخه سنة (٦٨٣هـ) وواضح أن المقصود بالبرين والبحرين هنا هما بر أفريقية وآسيا كما أن المقصود بالبحرين هما البحر الأبيض والبحر الأحمر.

- راجع: جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام: جـ٢ ص ١٤٤،

Sauvaget, Combe et wiet :oP.cit,x1,No,4308

Van Berchem:oP.cit,I,No,82,

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٩٦ - ٥٠٦.

٣٨٠ - ورد لقب الخادم فى المكاتبات تعبيراً عن صاحب الرسالة نفسه وهو بهذا يبين الصلة بين المكتوب عنه وبين المكتوب إليه، وهو ما عرف فى مصطلح الكتابة بالترجمة، وقد غلب استعمال هذا اللقب فى المكاتبات إذا كانت المكاتبة مرسلة مرسلة عن أحد الملوك إلى ديوان الخلافة واتفق فى ذلك على أن الترجمة إلى الديوان الشريف كانت توصف حال ورودها من ذوى الولايات بالعبد «وحال ورودها من الملوك» «بالخادم» ولو أن ذلك لم يمنع من ورودها «بالخادم» أيضاً عن أصحاب الولايات كما حدث مثلا فى مكاتبات صلاح الدين إلى الصالح اسماعيل، وقد رتبت ألقاب التراجم فى العصر الإسلامى ترتيباً تنازليا جاء فيه «المملوك» ثم «العبد» ثم «الخادم» وقد استخدم هذا اللقب فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «خادم بيت المقدس» و «خادم الحرمين الشريفين».

- راجع: أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين: جـ١ ص ٢٣١،

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

٣٨١ - المبيد لغة هو المهلك والمميت وكان يضاف إلى ألفاظ أخرى لتكوين ألقاب مركبة منه مثل «مبيد الخوارج والمتمردين»ومبيد الطغاة والمارقين» وهما من الألقاب التى ظهرت

بشكل خاص بعد القضاء على الدولة الفاطمية نتيجة لقمع ملوك أهل السنة لحركات الإسماعيلية وغيرها من أعداء المذهب السنى فضلاً عن جهادهم ضد الصليبين.

-أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٤٧ - ٤٤٨.

٣٨٢ - القامع لغة إسم الفاعل من قمع أى قهر وأذل، وقد أضيفت إلى هذا اللقب بعض كلمات لتكوين ألقاب مركبة منه مثل «قامع الخوارج والمتمردين» و «قامع الإلحاد والمتمردين» و «قامع الكفرة والمارقين» و «قامع البدعة» ونحوها وكلها من الألقاب التى ظهرت بعد القضاة على الخلافة الفاطمية ونشوب الحروب ضد أعداء السنة من الشيعة وغيرهم.

- أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٢٤ - ٤٢٦.

٣٨٣ - راجع أيضاً رغم الأخطاء الواردة فى بعض الكلمات:

Van Berchem : Op. Cit. xix,111,P.P366-367, text251.

٣٨٤ - سورة: الأحزاب: آية ٥٦.

٣٨٥ - سورة: النحل: آية ٩٠.

٣٨٦ - راجع: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص ٩٢،

- حسن عبد الوهاب: بين الآثار الإسلامية: ص١٩،

- حستن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية: جـ ١ ص ٢٢٨.

٣٨٧ - الزاهد لغة خلاف الراغب، ومعناه المعرض عن الدنيا غير الملتفت إليها وهو من أخص القاب الصوفية وأهل الصلاح، وقد تناسب ورود هذا اللقب تماماً فى هذا المقام، وقد سبق وروده فى نقوش مختلفة من أنحاء العالم الإسلامى فأطلق مثلاً على الشيخ الإمام أبى زكريا بن يحيى المتوفى سنة (٢٣٠هـ) فى نص جنائزى من طشقند، وعلى ذى النون بن

إبراهيم المصرى فى نص جنائزى تاريخه (٢٤٥هـ) من الفسطاط وغيرهما، وقد استعملت النسبة إليه أحياناً للمبالغة فقيل « الزاهدى»

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ١٤،

Sauvaget, combe rt wiet: op.cit. I,No,310,11,No 440.

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٣٠٩ – ٣١٠.

٣٨٨ – سورة: النور: الآيات ٣٦ – ٣٨.

٣٨٩ – أنظر أيضاً: كمال سامح: المرجع السابق ص ٤٦.

٣٩٠ – راجع: محمود أحمد: المرجع السابق ص ١٦٢.

٣٩١ – أنظر: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٢،

– محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦١.

٣٩٢ – مجموعة (١) عن سنة (٨٨٢م) ص ٦٠ وأنظر أيضاً:

– مجموعة (٦) عن سنة (٨٨٩م) ص ٦٠.

٣٩٣ – مجموعة (٣) عن سنة (١٨٨٥م) ص ٢٨.

٣٩٤ – مجموعة (٤) عن سنة (١٨٨٦م) ص ١٣.

٣٩٥ – مجموعة (٥) عن سنة (٨٧ – ١٨٨٨م) ص ص ٧، ٨، ١٠.

٣٩٦ – نفس المجموعة: ص ٦١.

٣٩٧ – مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٨ وأنظر أيضاً:

- مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٧١.

٣٩٨ - مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ص ٧٤، ٧٥، ٨٦ وأنظر أيضاً:

- مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ١١٥.

٣٩٩ - مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ٦١.

٤٠٠ - مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ١٣٩،

- مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ٤٣،

- مجموعة (١٧) عن سنة (١٩٠٠م) ص ٣٢.

٤٠١ - مجموعة (١٨) عن سنة (١٩٠١م) ص ١٣٩.

٤٠٢ - نفس المجموعة: ص ص ١٧، ١٠٦.

٤٠٣ - مجموعة (٢١) عن سنة (١٩٠٤م) ص ٤٥.

٤٠٤ - مجموعة (٢٣) عن سنة (١٩٠٦م) ص ٧٩.

٤٠٥ - مجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ٣٦.

٤٠٦ - مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ١٣٤.

٤٠٧ - سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ص ١٤٩.

٤٠٨ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٩٤.

٤٠٩- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٦،

- فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ٥٦، وراجع أيضاً:

- وثيقة وقف رقم (١٧/١١٠ب) مسلسل (١١٥) بتاريخ ٦ صفر سنة (٨٥٥هـ) بدار الوثائق القومية باسم الزينى أبو زكريا يحيى الأستادار وهى حجة طولها (٤٠) متر فاقدة لجزء من أولها وأجزاء من وسطها وقد نصت على أن يكون شيخ التصوف بالخانقاة ومدرس الحديث بها شافعى المذهب بالإضافة إلى عشرين صوفياً.

٤١٠ – راجع: السخاوى: المصدر السابق: جـ ١٠ ص ٢٣٣،

- سعاد ماهر : المرجع السابق: جـ ٤ ص ١٨،

- إدارة حفظ الآثار العربية: ص ٢٤،

- عبد الرحمن زكى: بناة القاهرة فى ألف عام : ص ٦٥.

٤١١ – عبد الرحمن زكى: نفس المرجع: ص ص ٦٥ – ٦٧،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ص ١٤٨ – ١٤٩ وأنظر أيضاً:

- تقريراً مفصلاً عن ترجمة المنشئ فى كراسة اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية رقم (١٨) عن سنة (١٩٠١م) ص ص :١٤٢ – ١٤٤.

٤١٢ – أنظر: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ١٥٠.

٤١٣ – عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ٦٦.

٤١٤ – سورة : التوبة: آية ١٨.

٤١٥ – سورة الجن: آية ١٨.

٤١٦ – سورة: التوبة: آية ١٨ وأنظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ١٥٠،

- دولت عبد الله – المرجع السابق: ص ١٩٧.

٤١٧ – سورة الجمعة: آية ٩.

٤١٨ – سورة: الإسراء: آية ٨٠.

٤١٩ – المحامى لغة هو المدافع، وكان يستخدم كلقب لرجال الدولة من المدنيين إشارة إلى مهمتهم التى كانت تعتمد على السفارة والنصح والإرشاد، وكان لقباً نادر الورود فى النقوش.

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٦ ص ٢٦ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٤٦٠.

٤٢٠ – السند لغة هو النصير والمعين والمعتمد عليه، وكان قد أطلق كلقب على بعض ملوك الغزنويين حيث وجد منقوشاً على نقودهم، وقد إنتقل هذا اللقب بعد ذلك إلى الدول الإسلامية الأخرى واستخدمه المماليك ضمن ألقابهم مضافاً إليه ياء النسب فقيل «السندى».

– راجع: الكرملى: النقود العربية: ص ١٣٢،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٠.

٤٢١ – الذخر لغة هو ما يذخر من النفائس وقد غلب استخدامه كلقب للعسكريين فى عصر المماليك وإن كان هذا لم يمنع من إطلاقه على غيرهم، وقد استخدم مضافاً إلى بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة منه ولاسيما «ذخر الطالبين» ونحوها من ألقاب الصلحاء طالبى الوصول إلى الحقيقة، واستخدم اللقب فى عصر المماليك مضافاً إلى ياء النسب فقيل الذخرى.

– أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

٤٢٢ – الهمام لغة هو الشجاع والمقدام وقد أطلق فى العصر الفاطمى كلقب على أبى الغضنفر

أسد الفائزى فى نص تاريخه (٥٥٢هـ)، فصار من ثم لقباً عاماً على رجال الدولة من العسكريين فى عصر المماليك، وقد استعمل كذلك مضافاً إلى ياء النسب فى هذا العصر فقيل «الهمامى» وقد ورد بهذه الصفة ضمن ألقاب سيف الدين أرغون الناصرى نائب السلطنة المعظمة فى كتابة على إحدى المشكاوات تاريخها (٧٢٧هـ) كما هو الحال بالنسبة لألقاب الزينى يحيى التى بين أيدينا.

– أنظر: حسن الباشا: المرجع الساب: ص ٥٣٧.

٤٢٣ – المشير لغة هو الناصح والمرشد، وقد استعمل فى عصر المماليك كلقب مضاف إلى ياء النسب فقيل « المشيرى» وقد غلب وروده فى المكاتبات دون النقوش، ولذلك فإن وروده فى الحالة التى بين أيدينا تعد واحدة من شواذ هذه القاعدة، وكان هذا اللقب من ألقاب الوزراء وكبار الأمراء من رتبة مقدمى الألوف، ونظراً لدلالته على أصالة رأى صاحبه وحكمته فقد غلب استعماله للمدنيين ممن توفرت فيهم ميزة سداد الرأى وحكمة القول،، وقد أضيفت إليه بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة منه مثل «مشير الدولة» و «مشير السلطنة» و «مشير الملوك والسلاطين» ونحو ذلك وكلها من ألقاب الوزراء ومن فى معناهم.

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٦ ص ص ٢٨، ٧٠،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٤٧١.

٤٢٤ – السفير لغة هو الرسول والمصلح بين القوم وقد استعمل مضافاً إلى ياء النسب كالمشير وغيره، وكان يطلق بصفة عامة على المدنيين الذين يتولون مهمة السفارة عن الملوك والدول، وقد ورد أنه كان من الألقاب الخاصة بالدوادار، وعلى الرغم من ندرته فى النقوش إلا أنه كان شائعاً فى المكاتبات المملوكية، وقد دخل فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «سفير الأمة» و «سفير الدولة» و «سفير المماليك» ونحوها وكانت من ألقاب الدوادار وكاتب السر خلال العصر المشار إليه.

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ١٥ ،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

٤٢٥ – الزين لغة هو نقيض الشين ومعناه الحسن والجيد والجميل، وقد دخل لفظ «الزين» فى تكوين كثير من الألقاب المركبة فى عصر المماليك مثل «زين الإسلام والمسلمين» لأرباب الأقلام، و «زين الأكابر» للتجار و «زين الأمراء المجاهدين» للعسكريين» ، و «زين الأئمة» للعلماء و «زين العباد» للصوفية وأهل الصلاح أما «زين الدين» فكان قبل عصر القلقشندى خاصاً بالإسم أبى بكر وعبد الرحمن فى حالة القضاة والعلماء ثم أصبح فى عصر المماليك البرجية خاصاً فى معظم الأحيان برجال الإدارة من غير العسكريين على حين بقى لقب «سيف الدين» خاصاً بالعسكريين.

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٥ ص ٤٨٩، جـ ٦ ص ٥٢،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٣١٣ – ٣١٤.

٤٢٦ – راجع فى ذلك:

Van Berchem:op.cit.xix,111,P.384,text,262.

– قارن أيضاً هذا النص فى: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ص ١٥١ – ١٥٢ ،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٩٩ .

٤٢٧ – سورة: البقرة: آية ١٤٤ وأنظر أيضاً:

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٩٩ .

٤٢٨ – سورة: الأحزاب: الآيات : ٤١ – ٤٦ .

٤٢٩ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص ٩٦ .

٤٣٠ – سورة: الأحزاب: آية ٣٦.

٤٣١ – أنظر أيضاً: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٩٩،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ١٥٢.

٤٣٢ – سورة: النور: الآيتان: ٣٦ – ٣٧.

٤٣٣ – أنظر أيضاً: محمود أحمد : المرجع السابق: ص٧،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص ٩٦.

٤٣٤ – أنظر أيضا: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٤٢.

٤٣٥ – نفس المرجع: ص ٢٠٠.

٤٣٦ – راجع: مجموعة (٢) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٨٤م) ص٣٩،

– أنظر أيضاً: تقريراً شاملاً عن حالة الأثر عندما أدركته اللجنة فى مجموعة (١٨) عن سنة (١٩٠١م) ص ص ١٤٥ – ١٤٦.

٤٣٧ – مجموعة (٣) عن سنة (١٨٨٥م) ص ٧.

٤٣٨ – مجموعة (٤) عن سنة (١٨٨٦م) ص ص ٦، ١٣.

٤٣٩ – مجموعة (٥) عن سنة (٨٧ – ١٨٨٨م) ص ص ٥، ٧.

٤٤٠ – مجموعة (٦) عن سنة (١٨٨٩م) ص ص ٦٥، ٩٥.

٤٤١ – مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص ١٨.

٤٤٢ – نفس المجموعة: ص ٤٣.

٤٤٣ – مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ص ٧٠، ٧٣ وأنظر أيضاً:

– مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٧٨.

٤٤٤ – مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٨٨.

٤٤٥ – مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٧٠.

٤٤٦ – مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ١٦.

٤٤٧ – نفس المجموعة: ص ص ٥٣، ٨٢.

٤٤٨ – نفس المجموعة: ص ٤٨.

٤٤٩ – مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ص ٥٣، ٧٥، ٧٧.

٤٥٠ – مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ١٣٨.

٤٥١ – مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٠٩.

٤٥٢ – نفس المجموعة: ص ١١٤.

٤٥٣ – نفس المجموعة: ص ١٤٩.

٤٥٤ – مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ١٠٠ – ١٠١.

٤٥٥ – مجموعة (٢١) عن سنة (١٩٠٤م) ص ص ٢٤ – ٢٥.

٤٥٦ – مجموعة (٢٤) عن سنة (١٩٥٤م) – (١٩٦١م) ص ٨٠.

٤٥٧ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٨،

– صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٦،

- لين بول: المرجع السابق: ص ٢٥٩ وراجع أيضاً:

- وثيقة رقم (٩١٠)، مسلسل (٣٩٢) تاريخها ١٧ ذى الحجة سنة (٨٦١هـ) باسم السلطان أبو النصر إينال - أرشيف وزارة الأوقاف، وأنظر أيضاً،

- محمد أمين: المرجع السابق: ص ص ١١٦، ٣٢٧، ٢٩.

٤٥٨ - عبد الرحمن زكى: المرجع السابق:ص ص ٩٠ - ٩١.

٤٥٩ - ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٥١.

٤٦٠ - نفس المصدر: ص ١٠٢.

٤٦١ - نفس المصدر: ص ١٢٨.

٤٦٢ - نفس المصدر: ص ١٣٨.

٤٦٣ - ابن الصيرفى: المصدر السابق: ص ٣١٨.

٤٦٤ - راجع: السخاوى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٣٢٨،

- ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ١٦ ص ٥٧.

٤٦٥ - راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ١٦ ص ص ٥٩ - ٦٠.

٤٦٦ - راجع: المقريزى: الخطط: جـ ٢ ص ٢٤٤،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: ج ١ ص ١٢٢.

٤٦٧ - راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ١٦ ص ٥٧،

- الحنبلى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٩٨،

– السخاوى: الذيل على رفع الإصر: ص ٣٦،

– ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ٥٠،

– ابن العماد: المصدر السابق: جـ ٧ ص ٣٠٤.

٤٦٨ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ١٦ ص ٦١.

٤٦٩ – نفس المصدر: جـ ١٦ ص ١٢٤.

٤٧٠ – راجع: السخاوى: الضوء اللامع: جـ٢ ص ٣٢٩،

– ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ ١٦ ص ١٣٠،

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ١٢٣،

– زامبور: المرجع السابق: ص ١٦٤.

٤٧١ – الحنبلى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٩٩.

٤٧٢ – السخاوى: المصدر الساب: جـ١ ص ٨٢.

٤٧٣ – نفس المصدر: جـ١ ص ١٩٦.

٤٧٤ – نفس المصدر: جـ١ ص ٣٠٨.

٤٧٥ – نفس المصدر: جـ١ ص ص ٥٩ – ٦١.

٤٧٦ – نفس المصد: جـ ١ ص ٣٠٨.

٤٧٧ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٨.

٤٧٨ – سورة: التوبة: آية ١٨.

٤٧٩ – سورة: الإنسان: آية ٥ .

٤٨٠ – نفس السورة: آية ٢١ .

٤٨١ – سورة: الإسراء: آية ٨٠

٤٨٢ – سورة: التوبة: آية ١٨ .

٤٨٣ – سورة: البقرة: آية ١٤٤ .

٤٨٤ – سورة: الفتح: الآيات: ١ – ٧.

٤٨٥ – سورة: آل عمران: آية ٢٦ .

٤٨٦ – الإمام بمعناه العام هو القدوة والمثل، وقد اصطلح إطلاقه على كبار رجال الدين والشريعة وأهل الصلاح والزهد والعلم وعلى كل من يمكن أن يعتبر قدوة ومثلاً فى شأن من شئون الدين.

– أنظر أيضاً: محمد أمين : المرجع السابق: ص ٣٤٨ حاشية ١ .

٤٨٧ – سورة: النجم: آية ٣٩.

٤٨٨ – سورة: المزمل: آية ٢٠.

٤٨٩ – سورة: البقرة: آية ١٩٧ .

٤٩٠ – راجع أيضاً: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٤٢.

٤٩١ – مجموعة (٣) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٨٥م)ص ٨.

٤٩٢ – مجموعة (٤) عن سنة (١٨٨٦م) ص ١٣ .

٤٩٣ – مجموعة: (٥) عن سنة (٨٧ – ١٨٨٨م) ص ٧.

٤٩٤ – مجموعة (٦) عن سنة (١٨٨٩م) ص ٦٠.

٤٩٥ – مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ٩٧.

٤٩٦ – مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٨١.

٤٩٧ – مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ص ٣٤، ١١٦.

٤٩٨ – مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص.٦.

٤٩٩ – نفس المجموعة: ص ٣.

٥٠٠ – مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ١٣٣.

٥٠١ – مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ٤٩.

٥٠٢ – نفس المجموعة: ص ٥٣.

٥٠٣ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٢٩.

٥٠٤ – كراسة (٤١) ع سنة (١٩٥٤ – ١٩٦١م) ص ٧١.

٥٠٥ – أنظر أيضاً: المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ص ٧٣ – ٧٥،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٧.

٥٠٦ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ١٦٣.

٥٠٧ – أظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٣.

٥٠٨ – حسن عبد الوهاب: بين الآثار الإسلامية: ص ص ١٩ – ٢٠،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٧،

- إدارة حفظ الآثار العربية: ص ٢٦،

- وزارة الأوقاف: جـ ٢ ص ٩٩.

٥٠٩ - أنظر: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢١٣.

٥١٠ - راجع أيضاً: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ص ١٦٤ - ١٦٥.

٥١١ - ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٢.

٥١٢ - نفس المصدر: ص ١٢٨.

٥١٣ - نفس المصدر: ص ١٣١.

٥١٤ - نفس المصدر: ١٦٥.

٥١٥ - نفس المصدر: ص ١٦٥.

٥١٦ - نفس المصدر: ص ١٩٠.

٥١٧ - أنظر: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ص ٢١٩.

٥١٨ - أنظر: وزارة الأوقاف : المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٩.

٥١٩ - راجع: المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٢٤٣،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ١٧٣،

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٩.

٥٢٠ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ص ١٦٨ - ١٦٩،

- عبد الرحمن زكى: القاهرة (تاريخها وأثارها): ص ١٧٨.

٥٢١ – راجع أعماله التى ذكرها بتفصيل زائد:

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ص ١٦٩ ١٧٣ وأنظر أيضاً:

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٧،

– المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ٣ ص ٧٣،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٢١٩،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٧٨.

٥٢٢ – أنظر أيضاً: عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٧٨.

٥٢٣ – تحتفظ دار الوثائق القومية بهذه الوثيقة تحت رقم (١٩٥) وهى حجة وقف مؤرخة فى ٢٤ ربيع الآخر سنة (٨٩٠هـ) وهناك حجة أخرى لنفس المنشئ لازالت محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (٨٨٨) تاريخها ٢٨ جمادى الآخرة سنة (٨٧٩هـ) تقول أنه عمر سنة (٨٧٧هـ) بالصحراء الشرقية تربة لدفنه وبجانبها مدرسة عظيمة بها خزانة كتب شريفة، بنى بجوارها ربعاً للصوفية وسبيلاً وصهريجاً وحوضاً ومكتباً للأيتام. راجع أيضاً:

– على باشا مبارك: المصدر الساب: جـ ٥ ص ص ١٦٣ – ١٦٤.

٥٢٤ – نفس المصدر: جـ ٥ ص ص ١٦٣ –١٦٤.

٥٢٥ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٣.

٥٢٦ – نفس المرجع: ص ١٦٧.

٥٢٧ – سورة: الإسراء: آية ٨٠.

٥٢٨ – أنظر أيضاً: المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ٧٣،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢١٤.

٥٢٩ - أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٧،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ٧٣.

٥٣٠ - سورة: الإسراء: آية ٨٤.

٥٣١ - أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٤،

- دولت عبد الله : المرجع السابق: ص ٢١٥.

٥٣٢ - سورة: الإنسان: الآيتان: ٥ - ٧.

٥٣٣ - سورة: المطففين: الآيتان: ٢٥ - ٢٦.

٥٣٤ - أنظر أيضاً: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢١٧.

٥٣٥ - سورة: الفتح: الآيات: ١ - ٣.

٥٣٦ - سورة: البقرة: آية: ٢٥٥.

٥٣٧ - سورة: الإسراء: الآيات : ٧٨ - ٨٢.

٥٣٨ - أنظر أيضاً: كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٧،

- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق: ص ٧٦،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ص ٢٢١.

٥٣٩ - أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢٠ص ٩٩،

- المنظمة العربية: جـ ٣٣ ص ٧٣.

٥٤٠ - سورة: آل عمران: آية ٣٧.

٥٤١ - سورة: الفتح: الآيات: ١ - ٤.

٥٤٢ - الوارث لغة اسم الفاعل من ورث ومعناه من يؤول إليه الإرث، وقد استخدم كلقب فى عصر المماليك مضافاً إلى بعض كلمات لتكوين لقب مركب منه مثل «وارث الأنبياء والمرسلين» و «وارث الملك» ونحوهما.

- أنظر: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

٥٤٣ - سورة: الجمعة: الآيتان: ٩ - ١٠.

٥٤٤ - أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٥،

- دولت عبد الله: المرجع السبق: ص ٢١٩.

٥٤٥ - سورة: الأحزاب: آية ٥٦.

٥٤٦ - سورة: النحل: آية ٩٠.

٤٥٧ - سورة: آل عمران: آية ٢٠٠.

٥٤٨ - سورة: الحج: آية ٧٧.

٥٤٩ - سورة الأحزاب : آية ٤.

٥٥٠ - أنظر أيضاً: دولت عبد الله : المرجع السابق: ص ٢٢١.

٥٥١ - سورة: التوبة: الآيتان: ١٢٨ - ١٢٩.

٥٥٢ - سورة: النور: الآيات: ٣٦ - ٣٨.

٥٥٣ - سورة: البقرة: آية ٢٨٦.

٥٥٤ – سورة: فصلت : آية ٣٠.

٥٥٥ – سورة: الزمر: آية ٧٣.

٥٥٦ – سورة: الملك: الآيات: ١ – ٣.

٥٥٧ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٩٩.

٥٥٨ – سورة: الدخان: الآيات: ٥١ – ٥٧.

٥٥٩ – المكرم لغة هو اسم المفعول من كرم ومعناه من يحاط بالكرم والرعاية، وقد أطلق كلقب على بعض ملوك الغزنويين فى بداية القرن السادس الهجرى كما حدث مثلاً بالنسبة لعلاء الدولة أبى سعد مسعود الذى لقب بالمكرم فى نص تاريخه (٥٠٨هـ) على برج مسعود فى غزنة، ثم انتقل اللقب إلى بقية الممالك الإسلامية واستخدمه المماليك ومنهم الأشرف قايتباى فى الحالة التى بين أيدينا.. راجع:

Sauvget, Combe et Wiet Op. cit. VIII, No2961.

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٤٩٥.

٥٦٠ – سورة : البقرة: آية ١٤٤.

٥٦١ – العابد لغة اسم الفاعل من عبد ومعناه المطيع، وكان من أخص ألقاب الصوفية وأهل الصلاح رغم أنه استعمل لغيرهم من العسكريين ورجال الإدارة إذا ما اتصف أحدهم بهذه الصفة أو إذا سبق إطلاقه على أحد من نفس وظيفته كان يتصف بها كما حدث بالنسبة لبيدمر الخوارزمى حين ولى نيابة الشام لما عرف عنه من التقوى، فلازم اللقب من جاء بعد من النواب على سبيل الوراثة.

راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٦ ص ص ١٠٦ – ١٠٧،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٨٧.

٥٦٢ – الورع لغة هو من تنزه عن الوقوع فى الشبهات ومعناه التقى النقى، وقد أطلق بصيغة «الوارع» على الإمام أبى زكريا بن يحيى الذى توفى سنة (٢٣٠هـ) واختص هذا اللقب فى عصر المماليك مجردا كان أم مضافاً بأهل الصلاح رغم أنه أستعمل أيضاً لبعض رجال الحرب والإدارة ممن اتصفوا بهذه الصفات.

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٦ ص ٣٤،

– حسن الباشا : المرجع السابق: ص ص ٥٣٩ – ٥٤٠.

٥٦٣ – سورة: الأنعام: الآيات: ٨ – ١٩.

٥٦٤ – نفس السورة: الآيات: ١ – ٧.

٥٦٥ – سورة: يس: الايات: ١ – ١٧.

٥٦٦ – أنظر أيضاً: دولت عبد الله : المرجع السابق: ص ٢٢٣.

٥٦٧ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٦.

٥٦٨ – نفس المرجع: ص ١٦٧.

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٢٢٢.

٥٦٩ – سورة: الجمعة: الآيتان: ٩ – ١٠.

٥٧٠ – سورة: الأحزاب: الآيتان: ٩ – ١٠.

٥٧١ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٧،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٧،

– المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ٧٣،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٢٢١،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٢٣.

٥٧٢ – أنظر أيضاً: إدراة حفظ الآثار العربية: ص ٢٦،

– محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٦٧،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٨.

٥٧٣ – مجموعة (٦) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٨٩م) ص ص ١٦,٦٥.

٥٧٤ – مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص ٢٥.

٥٧٥ – مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٨.

٥٧٦ – نفس المجموعة : ص ٠٩.

٥٧٧ – مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٢.

٥٧٨ – مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ص ٥٣، ٧٦، ٧٨.

٥٧٩ – مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٠٨.

٥٨٠ – مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ص ٤٣، ٤٥، ١٠٣، ١٠.

٥٨١ – مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ١٤، ٥٣، ١١٣.

٥٨٢ – مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ص ٦٩ – ٧٠.

٥٨٣ – مجموعة (٢١) عن سنة (١٩٠٤م) ص ص ٩٠، ٩٣.

٥٨٤ – مجموعة (٢٢) عن سنة (١٩٠٥م) ص ٣١.

٥٨٥ – مجموعة (٢٤) عن سنة (١٩٠٧م) ص ٣٩.

٥٨٦ – مجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ١٣.

٥٨٧ – نفس المجموعة: ص ص ١٣، ٨٣.

٥٨٨ – وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص ١١٢،

– إدارة حفظ الآثار العربية: ص ص ٢٩ – ٣٠.

٥٨٩ – محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٧٧.

٥٩٠ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ٢٤٦.

٥٩١ – نفس المصدر: جـ٥ ص ١٧٣.

٥٩٢ – سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٣١٣.

٥٩٣ – علي باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ٢٤٦.

٥٩٤ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٩٠.

٥٩٥ – أنظر: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٣٠٧،

– حسن عبد الوهاب: جامع السلطان حسن وما حوله: ص ٤١.

٥٩٦ – سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣٠٨ وأنظر أيضاً ترجمة للمنشئ وردت فى كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠١م) ص ١٤٨.

٥٩٧ – أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ص ٤٢.

٥٩٨ – سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٣١٠.

٥٩٩ – نفس المرجع: جـ٤ ص ٣١١.

٦٠٠ – أنظر: دولت عبد الله: المرجع السابق: جـ ٢٣٩.

٦٠١ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٧٧،

– حسن عبد الوهاب: جامع السلطان حسن وما حوله: ص ص ٤١ – ٤٣،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص ١١٢.

٦٠٢ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: نفس المرجع: جـ ٢ ص ١١٢،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٣١٣.

٦٠٣ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر: نفس المرجع: جـ ٤ ص ٣١٤.

٦٠٤ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ١١٢.

٦٠٥ – سورة: البقرة: آية ٢٥٥.

٦٠٦ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ١١٣.

٦٠٧ – أنظر: حسن عبد الوهاب: بين الآثار الإسلامية: ص ٢٠،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ص ٣١٥ – ٣٢٠.

٦٠٨ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٧٩،

– حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية: جـ١ ص ٢٨٤،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣٢٠.

٦٠٩ – نفس المرجع: جـ٤ ص ٣١٥.

٦١٠ – نفس المرجع: جـ٤ ص ٣١٥.

٦١١ – نفس المرجع: جـ ص ٣١٥.

٦١٢ – راجع: حجة رقم (١١٠٩) أوقاف – تاريخها (٩٠٨ – ٩١٠هـ)،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣١٦.

٦١٣ – نفس المرجع: جـ٤ ص ٣١٦.

٦١٤ – سورة: الحج: آية ٧٧ وأنظر أيضاً:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣١٧.

١٦٥ – سورة: الأحزاب: آية ٥٦.

٦١٦ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣١٨.

٦١٧ – سورة: الإسراء: آية ٨٤.

٦١٨ – سورة: التوبة: آية ١٨.

٦١٩ – أنظر أيضاً: سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣١٨.

٦٢٠ – أنظر أيضاً: سامى عبد الحليم: آثار قانيباى الرماح بالقاهرة : رسالة دكتوراة كلية الآداب جامعة القاهرة ص ١٢٨،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٤ ص ٣١٨.

٦٢١ – نفس المرجع: جـ٤ ص ٣١٨.

٦٢٢ – نفس المرجع: جـ٤ ص ٣١٨.

٦٢٣ – سبق ظهور القبو المروحى فى سقف الدركاة الموجودة فى نهاية الممر المنكسر بمدرسة وخانقاة الظاهر برقوق بالنحاسين (٧٨٧ – ٧٨٨هـ) ظهوره فى مدرسة الجاى اليوسفى

(٧٧٤هـ) بشارع سوق السلاح، ثم تعدد ظهوره بعد ذلك فى عمارة الجراكسة كما هو الحال فى مدرسة القاضى أبو بكر مزهر بيرجوان (٨٨٤ - ٨٨٥هـ) وغيرها.

٦٢٤ - سورة: الحجر: آية ٤٦.

٦٢٥ - أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: جامع السلطان حسن وما حوله: ص ٤٢.

٦٢٦ - سورة: البقرة : آية ١٤٤.

٦٢٧ - أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ١١٣.

٦٢٨ - سورة: البقرة: آية ١٤٤.

٦٢٩ - أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ص ٤١.

٦٣٠ - سورة: الزمر: آية ٧٣.

٦٣١ - إدارة حفظ الآثار العربية: ص ٣٠.

٦٣٢ - نفس المرجع: ص ٣٠.

٦٣٣ - مجموعة (٤) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٨٨٦م) ص٧.

٦٣٤ - نفس المجموعة: ص ١٤.

٦٣٥ - مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ١٣.

٦٣٦ - نفس المجموعة: ص ص ٢٢ - ٢٣ وأنظر أيضاً:

- مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ٥٠.

٩٣٧ - مجموعة (١٠) عن سسنة (١٨٩٣م) ص ص ٢٦ - ٢٧، ١٠١ وأنظر أيضاً:

- مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩م) ص ٥٨،

- مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٧٧،

- مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ٦، ٩٩،

- مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ص ١١٠ - ١١١.

٦٣٨ - مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ص ١٠ - ١١.

٦٣٩ - نفس المجموعة: ص ٣١.

٦٤٠ - نفس المجموعة: ص ٣١.

٦٤١ - نفس المجموعة: ص ٤٩.

٦٤٢ - مجموعة (٢١) عن سنة (١٩٠٤م) ص ٤٥.

٦٤٣ - حسن عبد الوهاب: بين الآثار الإسلامية: ص ٢٠،

- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق: ص ٤٧٦.

٦٤٤ - إدارة حفظ الآثار العربية: ص ٣٠.

٦٤٥ - أنظر أيضاً: المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ٨٠.

٦٤٦ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ٦٢،

- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٨٠.

٦٤٧ - حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية: جـ ١ ص ص ٢٩٢ - ٢٩٣،

- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٢١٤.

٦٤٨ – حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٩٣.

٦٤٩ – أنظر أيضاً: عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨.

٦٥٠ – أخذت هذه المعلومات عن أوقاف الخانقاة من حجة للمنشئ محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (٨٨٣) مؤرخة فى ٢٠ صفر سنة (٩١١هـ) وقد ورد فى هذه الحجة أن باب الخانقاة قبالة باب القبة بالدركاة وهى ذات قلب وجناحين بوسطها محراب يكتنفه عمودان رخام وشباكان نحاسا مطلان على الحوش يقابلهما شباكان مطلان على القصبة العظمى، وبها شباكان آخران مطلان على الطريق المتوصل منها للجامع الأزهر ومصبغة الأزرق وبها ثمانى كتبيات متطابقة وخلوة برسم المصحف والربعات الشريفة، وهى مسقفة بمربعات خشب نقيا على كريديات متقابلة وجفوت بزوايا وصدر مقرنص مدهون ذلك جميعه مغرقا، وبها باب آخر بالجهة القبلية على شكل باب الدخول وهيئته يتوصل إليه من الحوش المذكور.

٦٥١ – راجع أيضاً: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ص ٦١ – ٦٦.

٦٥٢ – نفس المصدر: جـ ٥ ص ص ٦٦.

٦٥٣ – راجع: نفس المصدر: جـ ٥ ص ص ٦١ – ٦٦ وأنظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ ٤ ص ٢٩٦،
- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: ص ٤٩،
- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٩.

٦٥٤ – الجمدارية وظيفة تعنى أن صاحبها (الجمدار) كان هو المتولى إلباس السلطان ثيابه. راجع:

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٥ ص ٤٥٩.

٦٥٥ – الخاصكية جماعة من حاشية السلطان تأتى فى الترتيب بعد الأمراء المقدمين وامتاز أعضاء

هذه الجماعة بحسن المظهر وأناقة الملبس وصرح لهم بالدخول على السلطان من غير إذن راجع:

- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ ٧٧ ص ص ١٧٩ - ١٨٠.

٦٥٦ - تعنى وظيفة «رأس نوبة» أن صاحبها كان مقدماً فى الحكم على بقية المماليك السلطانية، وقد جرت العادة أن يكون هؤلاء الرؤوس أربعة أولهم مقدم ألف وثلاثتهم الباقون أمراء طلبخانة . راجع:

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٨، جـ ٥ ص ٤٥٥.

٦٥٧ - أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ٨٦.

٦٥٨ - الأستادارية وظيفة تعنى أن صاحبها كان يتولى أمر البيوت السلطانية بما فيها من مطابخ وشرابخانة وحاشية وغلمان، وهو مطلق التصرف فى طلب كل ما تحتاجه هذه البيوت من النفقة وغيرها. راجع:

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٤، جـ ٥ ص ٤٥٧.

٦٥٩ - راجع أيضاً: ابن اياس: بدائع الزهور: جـ٤ ص ٤.

٦٦٠ - راجع: ابن العماد: المصدر السابق: جـ ٨ ص ١١٣.

٦٦١ - راجع: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ٦٤.

٦٦٢ - مرج دابق سهل يقع إلى الشمال من حلب جرت فيه معركة المماليك بقيادة الغورى والعثمانين بقيادة سليم الأول، وهى المعركة التى هزم فيها الغورى هزيمة قاسية بسبب خيانة خاير بك الذى أشاع بين الجند خبراً يقول أن الغورى قد قتل وأن الجناح الأيسر لجيشه قد انسحب فمكن العثمانيين بالإضافة إلى تفوقهم فى العتاد من الأنتصار فى هذه المعركة.

٦٦٣ - راجع: ابن إياس: المصدر السابق: جـ٥ ص ٨٩.

٦٦٤ - راجع: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ص ٦١ - ٦٦ وأنظر أيضاً:

- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٨١.

٦٦٥ - راجع: ابن إياس: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٢٦٨ وأنظر أيضاً:

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٨٦،

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٨٦،

- المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ٨٠.

٦٦٦ - أنظر : عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ص ١٨١ - ١٨٢،

- إدارة حفظ الآثار العربية: ص ٣٠.

٦٦٧ - راجع: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ص ٦٤ - ٦٥ وأنظر أيضاً:

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٨٦،

- وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ١١٤،

- كمال سامح: المرجع السابق: ص ٤٩،

- محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٨٦.

٦٦٨ - أنظر: عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٨٤.

٦٦٩ - راجع أيضا: على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ٦٤.

٦٧٠ - راجع: نفس المصدر: جـ٥ ص ٦٥.

٦٧١ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ص ١٨٢ ، ١٨٥ ،

– المنظمة العربية: المرجع السابق: جـ ٣ ص ١٨٣ ،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٩ ،

– حسن عبد الوهاب: بين الآثار الإسلامية: ص ٢٠ .

٦٧٢ – يغلب على الظن أن ظاهرة إلحاق أحواش للدفن بالخانقاوات يرجع أساساً إلى رغبة أصحابها من التماس بركات الصوفية العاملين فيها ولاسيما أهل التقوى والصلاح منهم. أنظر أيضاً:

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ٢٢٤ ، ٢٤٠ .

٦٧٣ – المظفر لغة هو اسم مفعول من ظفر ومعناه المنصور، وهو بهذا يعنى أن الملقب به نظراً لتقواه وصلاحه هو مؤيد من الله ومنصور على أعدائه، وقد عرف هذا اللقب فى شتى أنحاء العالم الإسلامى على مر عصوره فأطلق فى العصر العباسى على مؤنس الخادم المتوفى سنة (٣٢١هـ) وأطلق فى العصر الفاطمى على أنوشتكين الدزبرى حاكم الشام، ثم شاع استعماله فى عصر المماليك مجرداً كلقب سلطانى ومضافاً إلى ياء النسب «المظفرى» كلقب لأكابر العسكريين.. راجع:

– ابن الأثير: المصدر السابق: جـ ٨ ص ٥٢ ،

– القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ٢٨ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٤٧٣ .

٦٧٤ – سورة: الأنعام: آية ١١٠ وأنظر أيضاً:،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٩٤ .

٦٧٥ – سورة: الإسراء : آية ٨٠.

٦٧٦ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ ٢ ص ١١٥.

٦٧٧ – نقلت هذه الآثار بعد ذلك مع المصحف العثمانى إلى المشهد الحسينى بينما نقلت الربعة المذهبة إلى دار الكتب المصرية . أنظر أيضاً:

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٩٤.

٦٧٨ – سورة: فاطر: الآيات: ١ – ٧.

٦٧٩ – سورة: يس: الآيات: ٣٦ – ٣٨.

٦٨٠ – أنظر أيضاً: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٩٤.

٦٨١ – أنظر أيضاً: وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ٢ ص ١١٥.

٦٨٢ – سورة: الفتح: الآيات ١ – ٣.

٦٨٣ – سورة: التوبة: آية ١٨.

٦٨٤ – سورة: الجمعة: آية ٩.

٦٨٥ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ١٨١.

٦٨٦ – أنظر أيضا: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٤٣.

٦٨٧ – أنظر أيضاً: مجموعة (١) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (٨٨٢م) ص ص ٣٣، ٩٦.

٦٨٨ – مجموعة (٣) عن سنة (١٨٨٥م) ص ٧.

٦٨٩ – مجموعة (٦) عن سنة (١٨٨٩م) ص ص ٦٠، ٦٩، ٨٨.

٦٩٠ - مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص ص ٤٧، ١٠٠، ١١٢.

٦٩١ - مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ص ٩، ١٩، ٤٦.

٦٩٢ - نفس المجموعة: ص ص ٩، ١٠، ٨٠، ٨٧، ٨٩.

٦٩٣ - نفس المجموعة: ص ص ٦٧، ٩٩.

٦٩٤ - مجموعة (١٠) عن سنة (٨٩٣م) ص ص ٤٨، ٥٨، ٦٥.

٦٩٥ - مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٨٦.

٦٩٦ - مجموعة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٦٧ وأنظر أيضاً:

- مجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ٥٩.

٦٩٧ - نفس المجموعة: ص ١١٥.

٦٩٨ - مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ١٤، ٣٦، ٦٤ وأنظر أيضاً:

- مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ص ١١٠ - ١١١.

٦٩٩ - مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ١٢٣.

٧٠٠ - مجموعة (٢١) عن سنة (١٩٠٤م) ص ٣٦.

٧٠١ - مجموعة (٢٣) عن سنة (١٩٠٦م) ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

٧٠٢ - نفس المجموعة: ص ١٠٣.

٧٠٣ - مجموعة (٢٤) عن سنة (١٩٠٧م) ص ٦٦.

٧٠٤ - نفس المجموعة: ص ٧٢ وأنظر أيضاً:

– مجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ١٢.

٧٠٥ – مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ٣٩.

٧٠٦ – أنظر: حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٧٤.

٧٠٧ – أنظر: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٤٣.

٧٠٨ – ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ ١٥ ص ٤٦٦.

٧٠٩ – نفس المصدر: جـ ١٥ ص ٤٦٧.

٧١٠ – كان ذلك فى غالب الظن هو سبب تسميته «بأمير كبير» وهى وحدة لقبية اعتبرها الكتاب ذات مدلول فخرى لأنهما لم يلحقا منذ البداية بوظيفة معينة وإنما كانا يطلقان على قدامى الأمراء، وقد يسرى ذلك على النسبة إليهما فى لقب «الأميرى الكبيرى» ولو أن القلقشندى يخالف هذا الرأى حين يعتبر أن «الأميرى الكبيرى» هو أعلى رتبة من «الأمير الكبير» ولذا لحق اللقب الأول بالمقر وألحق اللقب الثانى بالمجلس، أما فى عصر المماليك فقد شاعت النسبة منه «الأميرى الكبيرى» وأطلقت على الكثيرين من رجاله مثل بدر الدين بيسرى الظاهرى حين أطلق عليه هذا اللقب سنة (٦٧٥هـ)، وسيف الدين شيخو بصفته أمير العساكر سنة (٧٥٥هـ)، وطيبغا بصفته أمير سلاح سنة (٧٦٨هـ)، وقرقماس سنة (٩١٦هـ) وغيرهم.

– راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٦ ص ١١٧،

Sauvget, Combe et Wiet Op cit.xII, No4720

– ابن شاهين: زبدة كشف الممالك: ص ١١٢ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ١٨٦ – ١٨٨.

٧١١ – السخاوى: المصدر السابق: جـ ٦ ص ٢١٩.

٧١٢ – ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ١٩٨.

٧١٣ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٥٢.

٧١٤ – نفس المصدر: ص ٥٧.

٧١٥ – نفس المصدر: ص ٥٩.

٧١٦ – نفس المصدر: ص ١٦٠.

٧١٧ – على باشا مبارك: المصدر السابق: ص ص ١٧٧ – ١٧٨.

٧١٨ – نفس المصدر: جـ ٥ ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ وراجع أيضاً:

- أرشيف وزارة الأوقاف: وثيقة رقم (٩٠١) مسلسل (٦٠٧) تاريخها أول رجب سنة (٩١٦هـ) باسم الأمير قرقماس من ولى الدين أتابك العسكر، وأنظر أيضاً:

- محمد أمين: المرجع السابق: ص ٢٢٦.

٧١٩ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ ٥ ص ١٧٨.

٧٢٠ – سورة: الحديد: آية ٢٢.

٧٢١ – سورة: محمد: آية ٢٨.

٧٢٢ – سورة: التوبة: آية ١٨.

٧٢٣ – سورة: الأحزاب: الآيات: ٤١ – ٤٥.

٧٢٤ – سورة: الإنسان: الآيات: ٥ – ١٢.

٧٢٥ – سورة: آل عمران: آية ١٨.

٧٢٦ - سورة: الحج: آية ٧٧.

٧٢٧ - سورة: النور: الآيات: ٣٦ - ٣٨.

٧٢٨ - سورة: الصف: آية ١٣.

٧٢٩ - سورة: الزمر: الآيات: ٧٣ - ٧٥.

٧٣٠ - راجع أيضاً:

Van Berchem: Op. cit. xix,111,P.592, text401.

٧٣١ - مجموعة (٥) من كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (٨٧ - ١٨٨٨م) ص٥.

٧٣٢ - نفس المجموعة: ص ٤٢.

٧٣٣ - مجموعة (٧) عن سنة (١٨٩٠م) ص ص ٢٥، ١٠٨.

٧٣٤ - مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٣٠.

٧٣٥ - مجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ص ٨، ٨٨.

٧٣٦ - مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٧٠.

٧٣٧ - مجموعة (١١) عن سنة (١٨٩م) ص ٦٤.

٧٣٨ - مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٥م) ص ١٠٨.

٧٣٩ - مجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ١٣.

٧٤٠ - مجموعة (٤١) عن سنة (١٩٥ - ١٩٦١م) ص ٥١.

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر العربية

أ - المصادر العربية المخطوطة :

ينال (السلطان الأشرف)

حجة رقم (٩١٠) تاريخها ١٧ ذو الحجة سنة (٨٦١هـ) أرشيف وزارة الأوقاف.

برسباى (السلطان الأشرف)

حجة رقم (٨٨٠) تاريخها ١٦ جماد آخر سنة (٨٢٧هـ) أرشيف وزارة الأوقاف.

برقوق (السلطان الظاهر أبوسعيد)

حجة رقم (٩/٥١) تاريخها ٤ شعبان سنة (٧٨٨هـ) دار الوثائق القومية بالقلعة

الرماح (الأمير قانيباى قرا)

حجة رقم (١٠١٩) تاريخها (٩٠٨ - ٩١٠هـ) أرشيف وزارة الأوقاف

زين الدين (أبو زكريا يحيى الأستادار)

حجة رقم (١٧/١١٠) تاريخها ٦ صفر سنة (٨٥٥هـ) دار الوثائق القومية.

الغورى (السلطان قانصوه)

حجة رقم (٨٣٣) تاريخها ٢٠ صفر سنة (٩١١هـ) أرشيف وزارة الأوقاف.

فرج (السلطان الناصر - بن برقوق)

حجة رقم (١١/٦٦) تاريخها ٧ محرم سنة (٨١٢هـ) دار الوثائق القومية.

قايتباى (السلطان الأشرف)

حجة رقم (٨٨٨) تاريخها ٢٨ جمادى الآخرة سنة (٨٧٩هـ) ، أرشيف وزارة الأوقاف،
حجة رقم (١٩٥) تاريخها ٢٤ ربيع آخر سنة (٨٩٠هـ) دار الوثائق القومية

قرقماس (السيفى – أمير كبير)

حجة رقم (٩٠١) تاريخها أول رجب سنة (٩١٦هـ) أرشيف وزارة الأوقاف

اللالا (الأمير جوهر)

حجة رقم (١٠٢١) تاريخها (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) أرشيف وزارة الأوقاف.

ب – المصادر العربية المطبوعة :

ابن الأثير (عز الدين)

الكامل فى التاريخ ط. بولاق (١٢٩٠هـ)

ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور .. تحقيق د. محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٤٠٣ – ١٩٨٣م)

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة..تحقيق د. جمال الدين الشيال – فهيم شلتوت طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة (١٩٣٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

– المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى – جزءان..تحقيق د. محمد أمين، د. سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤ – ١٩٨٥م).

الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن)

– عجائب الآثار فى التراجم والأخبار – ٤ أجزاء طبعة الشعب (مصورة عن) طبعة بولاق سنة (١٢٩٧م)

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن المقر)

– التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية.. مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة (١٩٧٤م).

الحنبلى (القاضى مجير الدين)

– الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل– جزءان، دار الجيل – بيروت (١٩٧٣م).

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)

– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ أجزاء فى ٣ مجلدات دار مكتبة الحياة – بيروت (بدون).

– الذيل على رفع الإصرأ و بغية العلماء والرواة تحقيق جودة هلال، محمد محمود صبح.

مراجعة على البجاوى .. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر – القاهرة (بدون).

السيوطى (الشيخ جلال الدين عبد الرحمن)

– حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة. . المطبعة الشرقية – القاهرة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م).

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن المقدسى)

– كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين – جزءان .. تحقيق د. محمد حلمى أحمد.. القاهرة (١٩٥٦م).

ابن الصيرفى (على بن داود الجوهرى)

– إنباء الهصر بأنباء العصر .. تحقيق حسن حبشى .. دار الفكر العربى – القاهرة (١٩٧٠م).

الظاهرى (خليل بن شاهين)

– زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .. طبعة باريس (١٨٩٤م).

العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر)

– الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .. طبعة دار الجيل – بيروت (بدون).

على (جواد)

– تاريخ العرب قبل الإسلام .. طبعة بغداد (١٩٥٢م).

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)

– شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .. دار إحياء التراث العربى – بيروت (بدون).

ابن العمرى (أحمد بن يحيى الكرمانى)

– التعريف بالمصطلح الشريف .. طبعة القاهرة (١٣١٢هـ).

ابن الغزى (الشيخ نجم الدين)

– الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة – ٣ أجزاء .. تحقيق جبرائيل سلمان جبور .. دار الأوقاف الجديدة – بيروت طبعة ثانية (١٩٧٩م).

القرآن الكريم

القلقشندى (الشيخ أبو العباس أحمد)

– صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .. المطبعة الأميرية بالقاهرة (١٣٣١هـ/١٩١٣).

الكنوى (أبو الحسنات محمد بن عبد الحى)

– الفوائد البهية فى تراجم الحنفية.. تصحيح محمد بدر الدين الغسانى.. مطبعة السعادة – القاهرة (١٣٢٤هـ).

مبارك (على باشا)

– الخطط التوفيقية الجديدة الصر القاهرة .. طبعة (مصورة عن) طبعة بولاق (١٣٠٦هـ/ ١٩٦٩م).. الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٩٨٠م).

المقريزى (تقى الدين احمد بن على)

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .. طبعة دار التحرير للطبع والنشر فى ٣ أجزاء عن طبعة بولاق (١٢٧٠هـ) ..أعدها للنشر د. محمد مصطفى زيادة – القاهرة (١٩٦٧ – ١٩٦٨م)

– السلوك لمعرفة دول الملوك .. الجزءان (١ ، ٢) فى ٦ مجلدات تحقيق د. محمد مصطفى زيادة .. القاهرة (١٩٥٨م). والجزءان (٣ ، ٤) فى ٦ مجلدات تحقيق د. سعيد عاشور – القاهرة (١٩٧٠م).

ياقوت (أبو عبد الله الحموى الرومى البغداد)

– معجم البلدان.

دار إحياء التراث العربى – بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ثانياً : المراجع العربية المنشورة :

إبراهيم (عبد اللطيف) – دكتور

– دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية.

– وثيقة رقم (١٨٦ / ٢٨) محكمة شرعية.

– وثيقة رقم (٢٧٨ / ٤٣) محكمة شرعية القاهرة – (١٩٦٢م).

أحمد (محمود)

– دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة – القاهرة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

إدارة حفظ الآثار العربية

– رسالتها فى رعاية الآثار الإسلامية فى القاهرة والأقاليم – دار المعارف بمصر (بدون)

– كراسات لجنة حفظ الآثار العربية من الكراسة الأولى طبعة بولاق سنة (١٨٩٥م)، إلى الكراسة الحادية والأربعون طبعة بولاق سنة (١٩٦٣م).

– فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة – مطبعة المساحة المصرية (١٩٥١م).

الألفى (أبو صالح)

– الفن الإسلامى (أصوله – فلسفته – مدارسه) – دار المعارف بمصر– طبعة ثانية – القاهرة (١٩٧٤م).

أمين (محمد محمد) – دكتور

– فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢٣٩ – ٩٢٢هـ/ ٨٥٣ – ١٥١٦م) – مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة (١٩٨١).

الأوقاف (وزارة)

– مساجد مصر من سنة ٢١ – ١٣٦٥هـ/ ٦١ – ١٩٤٦م – جزءان طبع مصلحة

المساحة المصرية (١٩٤٨م).

الباشا (حسن) – دكتور

– الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار – مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٧م).

– مدخل إلى الآثار الإسلامية – دار النهضة العربية (١٩٧٩م).

تيمور (أحمد باشا)

– المهندسون فى العصر الإسلامى – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة (١٩٧٩م).

الحديدى (فتحى حافظ)

– دراسات فى مدينة القاهرة – حى الجمالية – الشركة المصرية للطباعة والنشر – القاهرة (١٩٨٢م).

حسن (زكى محمد) – دكتور

– فنون الإسلام – دار الرائد العربى – بيروت (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

حمزة (عبد اللطيف) – دكتور

– الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول – طبعة ثانية – دار الفكر العربى – القاهرة (١٩٦٨م).

دراج (أحمد) – دكتور

– المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى

– دار الفكر العربى – القاهرة (١٩٦١م).

رزق (عاصم محمد) – دكتور

– مسجد القاضى أبو بكر مزهر بالقاهرة

– رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٧١م).

زكى (عبد الرحمن) – دكتور

– القاهرة – تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ (٩٦٩ – ١٨٢٥م) – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة (١٩٦٦م) .

– بناة القاهرة فى ألف عام – المكتبة الثقافية عدد (٢٢٠) – دار الكاتب العربى – القاهرة (بدون).

سامح (كمال الدين) – دكتور

– العمارة الإسلامية فى مصر – مطبعة جامعة القاهرة (١٩٧٠م).

الشافعى (ليلى كامل)

– مدرسة الأمير جوهر اللالا – رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٧٧م).

ضومط (أنطوان خليل) – دكتور

– الدولة المملوكية – التاريخ السياسى والإقتصادى والعسكرى (١٢٩٠ – ١٤٢٢م) – طبعة أولى – دار الحداثة – بيروت (١٩٨٠م).

عبد الله (دولت عبد الكريم) دكتورة

– معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى – مطبعة حسان – القاهرة (١٩٨٠م).

عبد الحليم (سامى أحمد) – دكتور

– آثار الأمير قانيباى قرا الرماح بالقاهرة – دكتوراة كلية الآداب ١٩٧٥م .

عبد الحميد (سعد زغلول) - دكتور

- العمارة والفنون فى دولة الإسلام - طبع منشأة المعارف بالإسكندرية (١٩٨٦م).

عبد الوهاب (حسن)

- تارخ المساجد الأثرية - جزءان (نص وكتالوج) - مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٤٦م).

- جامع السلطان حسن وما حوله من الآثار - المكتبة الثقافية عدد (٥٦) - القاهرة (١٩٦٢م)

- بين الآثار الإسلامية.

عكاشة (ثروت) - دكتور

- القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية - دار المعارف بمصر (١٩٨١م).

الكرملى (الأب أنستاسى)

- النقود العربية وعلم النميات - القاهرة (١٩٣٩م).

لمعى (صالح مصطفى) - دكتور

- التراث المعمارى الإسلامى فى مصر - جامعة بيروت العربية - بيروت (١٩٧٥م).

ماهر (سعاد محمد) - دكتورة

- القاهرة القديمة وأحياؤها - المكتبة الثقافية عدد (٧٠ أكتوبر (١٩٦٢م)

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ٤ أجزاء - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة (١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م).

مصطفى (محمد) – دكتور

– دليل موجز متحف الفن الإسلامى– هيئة الكتاب – القاهرة (١٩٧٨م).

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

– المعالم الأثرية فى البلاد العربية جـ ٣ جمهورية مصر العربية – القاهرة (١٩٧٢).

ثالثاً: المراجع الأجنبية المعربة:

زامبور:

– معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى – إخراج د. زكى محمد حسن وآخرون – دار الرائد العربى – بيروت (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

كونل (إرنست)

– الفن الإسلامى – ترجمة د. أحمد مرسى – دار صادر – بيروت (١٩٦٦م).

لين بول (ستانلى)

– سيرة القاهرة – ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة (١٩٥٠م).

رابعاً المراجع الأجنبية

Berchem (M.V) :

Corpus Inscriptionum Arabicarum

Tome, 1, II,Egypte (Mamluks Bahrits) Paris (1900)

Tome, XIX, Fascicle, IV, Paris (1903)

Combe (E.T.), Sauvaget (J.) et wiet (G)

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe

I . F . A . O., Le Carie (1931 - 1950).

تم بحمد الله

الجمع التصويري شركة إي. إم جرافيك ت. ٢٨٤٢٢٤٤

****